تفسير الخازن

المسمّى

لُبابُ التأويل في معاني التّنزيل

للإمام علاء الدّين علي بن محمّد بن إبراهيم البغدادي
الشهير بالخازن
المتوفّى سنة ٧٢٥ هـ

ومعه

تفسير البغوي

المسمّى

معالم التّنزيل

للإمام أبي محمّد الحسين بن مسعود
الفرّاء البغوي الشافعي
المتوفّى سنة ٥١٦ هـ

ضبطه وصححه

عبد السلام محمد علي شاهين

الجزء الرّابع

المحتوى

أول سورة النحل - آخر سورة النمل

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ - تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣-٨٦٨٠٥١-٦٠٢١٣٣
فاكس: ٤٧٨١٣٧٣/١٢١٢/٠٠ - ٦٠٢١٣٣/٩٦١١/٠٠

تفسير سورة النحل

مكية إلا قوله تعالى ﴿**وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به**﴾. إلى آخر السورة فإنها نزلت بالمدينة في قتل حمزة قاله ابن عباس وفي رواية أخرى عنه أنها مكية غير ثلاث آيات. نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى ﴿**ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً**﴾ إلى قوله ﴿**يعلمون**﴾ وقال قتادة هي مكية إلا خمس آيات وهي قوله ﴿**والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا**﴾ وقوله ﴿**ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا**﴾ وقوله تعالى ﴿**وإن عاقبتم**﴾ إلى آخر السورة زاد مقاتل وقوله: من كفر بالله من بعد إيمانه الآية وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة الآية وقيل كان يقال لسورة النحل سورة النعم لكثرة تعداد النعم فيها، وهي مائة وثمان وعشرون آية وألفان وثمانمائة وأربعون كلمة وسبعة آلاف وسبعمائة وسبعة أحرف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾

قوله سبحانه وتعالى: ﴿**أتى أمر الله**﴾ يعني جاء ودنا وقرب أمر الله تقول العرب: أتاك الأمر وهو متوقع المجيء، بعدما أتى، ومعنى الآية أتى أمر الله وعداً ﴿**فلا تستعجلوه**﴾ يعني وقوعاً بالمراد به مجيء القيامة. قال ابن عباس: لما نزل قوله سبحانه وتعالى ﴿**اقتربت الساعة وانشق القمر**﴾ قال الكفار: بعضهم لبعض إن هذا الرجل يزعم أن القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر ما هو كائن، فلما رأوا أنه لا ينزل شيء قالوا: ما نرى شيئاً فنزل قوله تعالى ﴿**اقترب للناس حسابهم**﴾ فأشفقوا فلما امتدت الأيام، قالوا: يا محمد ما نرى شيئاً مما تخوفنا به فنزل ﴿**أتى أمر الله**﴾ فوثب النبي ﷺ ورفع الناس رؤوسهم، وظنوا أنها قد أتت حقيقة فنزل ﴿**فلا تستعجلوه**﴾ فاطمأنوا، والاستعجال طلب مجيء الشيء قبل وقته ولما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: «بعثت أنا

سُورَة النَّحـل

مكية مائتان وثمان وعشرون آية إلّا قوله تعالى: ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عُوقبتم به ﴾ [النحل: ١٢٦] إلى آخر السورة.

﴿ **أتى** ﴾ أي: جاء ودنا وقرب، ﴿ **أمرُ الله** ﴾، قال ابن عرفة تقول العرب أتاك الأمر وهو متوقع بعد، أي: أتى أمر الله وعده. ﴿ **فلا تستعجلوه** ﴾، وقوعاً، ﴿ **أمر الله** ﴾ قال الكلبي وغيره: المراد منه القيامة. قال ابن عباس: لمّا نزل قوله تعالى: ﴿ اقتربت الساعة ﴾ [القمر: ١] قال الكفار بعضهم لبعض: إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت فأمسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى تنظروا ما هو كائن، فلما لم ينزل شيء قالوا: ما نرى شيئاً فنزل قوله:

والساعة كهاتين ويشير بأصبعيه يمدهما» أخرجاه في الصحيحين من حديث سهل بن سعد (ق) عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين كفضل إحداهما على الأخرى، وضم السبابة إلى الوسطى» وفي رواية «بعثت في نفس الساعة فسبقتها كفضل هذه على الأخرى» قال ابن عباس: كان مبعث النبي ﷺ من أشراط الساعة ولما مر جبريل بأهل السموات مبعوثاً إلى النبي ﷺ قالوا: الله أكبر قامت الساعة قال قوم: المراد بالأمر هنا عقوبة المذكبين وهو العذاب بالقتل بالسيف وذلك أن النضر بن الحارث قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. فاستعجل العذاب فنزلت هذه الآية، وقتل النضر يوم بدر صبراً ﴿**سبحانه وتعالى عما يشركون**﴾ يعني تنزه الله وتعاظم بالأوصاف الحميدة عما يصفه به المشركون. قوله سبحانه وتعالى: ﴿**ينزل الملائكة بالروح**﴾ يعني بالوحي ﴿**من أمره**﴾ وإنما سمي الأمر روحاً لأنه تحيا القلوب من موت الجهالات وقال عطاء: بالنبوة. وقال قتادة: بالرحمة. وقيل: الروح هو جبريل والباء بمعنى مع يعني ينزل الملائكة مع الروح وهو جبريل ﴿**على من يشاء من عباده**﴾ يعني على من يصطفيه من عباده للنبوة، والرسالة وتبليغ الوحي إلى الخلق ﴿**أن أنذروا**﴾ يعني بأن اعلموا ﴿**أنه لا إله إلا أنا فاتقون**﴾ أي فخافون. وقيل: معناه مروا بقول لا إله إلا الله منذرين يعني مخوفين بالقرآن.

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ

﴿ اقترب للناس حسابهم ﴾ [الأنبياء: ١]، فاشفقوا فلما امتدت الأيام قالوا: يا محمد ما نرى شيئاً مما تخوّفنا به فأنزل الله تعالى: ﴿ **أتى أمر الله** ﴾ فوثب النبي ﷺ ورفع الناس رؤوسهم وظنوا أنها قد أتت حقيقة فنزلت ﴿ **فلا تستعجلوه** ﴾ فاطمأنوا. والاستعجال: طلب الشيء قبل حينه، ولمّا نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: «بعثتُ أنا والساعة كهاتين وأشار بأصبعيه وإن كادت لتسبقني» قال ابن عباس: كان بعث النبي ﷺ من أشراط الساعة ولمّا مرّ جبريل عليه السلام بأهل السمٰوات مبعوثاً إلى محمد ﷺ قالوا: الله أكبر قامت الساعة. وقال قوم: المراد بالأمر ههنا عقوبة المكذبين والعذاب بالسيف، وذلك أن النضر بن الحارث قال: اللّهمّ إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء فاستعجل العذاب فنزلت هذه الآية. وقتل النضر يوم بدر صبراً. ﴿ **سبحانه وتعالى عمّا يشركون** ﴾، معناه تعاظم بالأوصاف الحميدة عمّا يصفه به المشركون.

﴿ **ينزّل الملائكة** ﴾، قرأ العامّة بضم الياء وكسر الزاي، ﴿ **والملائكة** ﴾ نصب. وقرأ يعقوب بالتاء وفتحها وفتح الزاي «والمـلائكة» رفع، ﴿ **ينزّل الملائكة بالروح** ﴾ بالوحي سمّاه روحاً لأنه يُحيي به القلوب والحق. قال عطاء: بالنبوّة. وقال قتادة: بالرحمة. قال أبو عبيدة: بالروح يعني مع الروح وهو جبرائيل. ﴿ **من أمره على مَن يشاء من عباده أن أنذروا** ﴾، اعلموا، ﴿ **أنه لا إلَه إلاّ أنا فاتّقون** ﴾، وقيل: معناه مُروهم بقول لا إلَه إلاّ الله منذرين مخوفين بالقرآن إن لم يقولوا. وقوله: فاتقون أي: فخافون.

ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوۡمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ ﴿١٢﴾

﴿خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون﴾ تقدم تفسيره ﴿خلق الإنسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين﴾ يعني أنه جدل بالباطل بين الخصومة نزلت في أبيّ بن خلف الجمحي، وكان ينكر البعث فجاء بعظم رميم إلى النبي ﷺ فقال: تزعم أن الله يحيي هذا بعدما رم فنزلت فيه هذه الآية، ونزل فيه أيضاً قوله تعالى «قال من يحيي العظام وهي رميم» والصحيح أن الآية عامة في كل ما يقع من الخصومة في الدنيا ويوم القيامة، وحملها على العموم أولى، وفيها بيان القدرة وأن الله خلق الإنسان من نطفة قذرة فصار جباراً كثيراً لخصومة، وفيه كشف قبيح ما فعله الكفار من جحدهم نعم الله تعالى مع ظهورها عليهم. قوله عز وجل ﴿والأنعام خلقها﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى أنه خلق السموات والأرض، ثم أتبعه بذكر خلق الإنسان، ذكر بعده ما ينتفع به في سائر ضروراته. ولما كان أعظم ضرورات الإنسان إلى الأكل واللباس اللذين يقوم بهما بدن الإنسان بدأ بذكر الحيوان المنتفع به في ذلك، وهو الأنعام. فقال تعالى ﴿والأنعام خلقها﴾ وهي الإبل والبقر والغنم. قال الواحدي: تم الكلام عند قوله والأنعام خلقها. ثم ابتدأ فقال تعالى ﴿لكم فيها دفء﴾ قال: ويجوز أيضاً أن يكون تمام الكلام عند قوله لكم ثم ابتدأ فقال تعالى: فيها دفء. قال صاحب النظم أحسن الوجهين أن يكون الوقف عند قوله خلقها ثم يبتدأ بقوله لكم فيها دفء، والدليل عليه أنه عطف عليه قوله، ولكم فيها جمال والتقدير لكم فيها دفء ولكم فيها جمال. ولما كانت منافع هذه الأنعام منها ضرورية، ومنها غير ضرورية، بدأ الله سبحانه وتعالى بذكر المنافع الضرورية، فقال تعالى: لكم فيها دفء وهو ما يُستدفأ به من اللباس والأكسية ونحوها، المتخذة من الأصواف والأوبار والأشعار الحاصلة من النعم ﴿ومنافع﴾ يعني النسل والدر والركوب، والحمل عليها وسائر ما ينتفع به من الأنعام ﴿ومنها تأكلون﴾ يعني من لحومها. فإن قلت: قوله تعالى ﴿ومنها تأكلون﴾ يفيد الحصر لأن تقديم الظرف مؤذن بالاختصاص، وقد يؤكل من غيرها. قلت: الأكل من هذه الأنعام هو الذي يعتمده الناس في معايشهم وأما الأكل من غيرها كالدجاج والبط والإوز وصيد البر والبحر، فغير معتد به في الأغلب: وأكله يجري مجرى التفكه به فخرج ومنها تأكلون مخرج الأغلب في الأكل من هذه الأنعام. فإن قلت: منفعة الأكل مقدمة على منفعة اللباس فلم أخر منفعة الأكل وقدم منفعة اللباس؟ قلت: منفعة اللباس أكثر وأعظم من منفعة الأكل فلهذا قدم على الأكل. وقوله سبحانه وتعالى ﴿ولكم فيها﴾ أي في الأنعام ﴿جمال﴾ أي زينة ﴿حين تريحون وحين تسرحون﴾ الإراحة رد الإبل بالعشي إلى مراحها حيث تأوي إليه بالليل. وقال: سرح القوم

﴿ خلق السمٰواتِ والأرضَ بالحق تعالى عمّا يشركون ﴾، أي: ارتفع عمّا يشركون.

﴿ خلق الإنسان من نطفةٍ فإذا هو خصيم ﴾، جدل بالباطل، ﴿ مبين ﴾، نزلت في أُبيّ بن خلف الجمحي وكان ينكر البعث جاء بعظم رميم فقال: أتقول إن الله تعالى يُحيي هذا بعد ما قد رُمَّ؟ كما قال جلّ ذكره: ﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه﴾ [يٓس: ٧٨] نزلت فيه أيضاً. والصحيح أن الآية عامّة، وفيها بيان القدرة وكشف قبيح ما فعلوه، من جحود نِعَم الله مع ظهورها عليهم.

قوله تعالى: ﴿ والأنعام خلقها ﴾، يعني الإبل والبقر والغنم. ﴿ لكم فيها دِفْءٌ ﴾ يعني: من أوبارها وأشعارها وأصوافها ملابس ولُحفاً تستدفئون بها، ﴿ ومنافعُ ﴾، بالنسل والدرّ والركوب والحمل وغيرها، ﴿ ومنها تأكلون ﴾، يعني لحومها.

﴿ ولكم فيها جمالٌ ﴾، زينة، ﴿ حين تُريحون ﴾، أي: حين تردّونها بالعشي من مراعيها إلى مباركها التي

إبلهم تسريحاً إذا أخرجوها بالغداة إلى المرعى. قال أهل اللغة: وأكثر ما تكون هذه الراحة أيام الربيع إذا سقط الغيث، ونبت العشب والكلأ وخرجت العرب للنجعة، وأحسن ما تكون النعم في ذلك الوقت فمن الله سبحانه وتعالى بالتجمل بها فيه كما من بالانتفاع بها لأنه من أغراض أصحاب المواشي بل هو من معظمها لأن الرعاة إذا سرحوا النعم بالغداة إلى المرعى، وروحوها بالعشي إلى الأفنية والبيوت يسمع للإبل رغاء وللشاء ثغاء يجاوب بعضها بعضاً، فعند ذلك يفرح أربابها بها وتتجمل بها الأفنية والبيوت، ويعظم وقعها عند الناس. فإن قلت: لم قدمت الإراحة على التسريح؟ قلت: لأن الجمال في الإراحة وهو رجوعها إلى البيوت أكثر منها وقت التسريح لأن النعم تقبل من المرعى ملأى البطون حافلة الضروع، فيفرح أهلها بها بخلاف تسريحها إلى المرعى فإنها تخرج جائعة البطون ضامرة الضروع من اللبن، ثم تأخذ في التفرق والانتشار للرعي في البرية فثبت بهذا البيان أن التجمل في الإراحة، أكثر منه في التسريح فوجب تقديمه. وقوله سبحانه وتعالى **﴿وتحمل أثقالكم﴾** الأثقال جمع ثقل وهو متاع السفر وما يحتاج إليه من آلات السفر **﴿إلى بلد﴾** يعني غير بلدكم قال ابن عباس: يريد من مكة إلى اليمن، وإلى الشام وإنما قال ابن عباس: هذا القول لأنه خطاب لأهل مكة وأكثر تجاراتهم وأسفارهم إلى الشام واليمن وحمله على العموم أولى لأنه خطاب عام فدخول الكافة فيه أولى من تخصيصه ببعض المخاطبين **﴿لم تكونوا بالغيه﴾** يعني بالغي ذلك البلد الذي تقصدونه **﴿إلا بشق الأنفس﴾** يعني بالمشقة والجهد والعناء والتعب والشق نصف الشيء، والمعنى على هذا لم تكونوا بالغيه إلا بنقصان قوة، النفس وذهاب نصفها **﴿إن ربكم لرؤوف رحيم﴾** يعني بخلقه حيث خلق لهم هذه المنافع. قوله سبحانه وتعالى: **﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها﴾** هذه الآية عطف على ما قبلها، والمعنى وخلق هذه الحيوانات لأجل أن تركبوها، والخيل اسم جنس لا واحد له من لفظه كالإبل والرهط والنساء **﴿وزينة﴾** يعني وجعلها زينة مع المنافع التي فيها.

فصل

احتج بهذه الآية من يرى تحريم لحوم الخيل، وهو قول ابن عباس وتلا هذه الآية وقال: هذه للركوب وإليه ذهب الحكم ومالك وأبو حنيفة رحمهم الله، واستدلوا أيضاً بأن منفعة الأكل أعظم من منفعة الركوب فلما لم يذكره الله تعالى، علمنا تحريم أكله فلو كان أكل لحوم الخيل جائزاً لكان هذا المعنى أولى بالذكر، لأن الله سبحانه وتعالى خص الأنعام بالأكل حيث قال ومنها تأكلون وخص هذه بالركوب. فقال: لتركبوها فعلمنا أنها مخلوقة للركوب لا للأكل وذهب مجموعة من أهل العلم إلى إباحة لحوم الخيل، وهو قول الحسن وشريح وعطاء وسعيد بن جبير: وإليه ذهب الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه وأحمد وإسحاق واحتجوا على إباحة لحوم الخيل لما روي عن أسماء بنت أبي بكر

تأوي إليها، **﴿ وحين تَسْرحُون ﴾**، أي: تُخرِجونها بالغداة من مراحها إلى مسارحها، وقدّم الرواح لأن المنافع تؤخذ منها بعد الرواح، ومالكها يكون أعجب بها إذا راحت.

﴿ وتحمل أثقالكم ﴾، أحمالكم، **﴿ إلى بلدٍ ﴾**، آخر غير بلدكم. قال عكرمة: البلد مكة، **﴿ لم تكونوا بالغيه إلاّ بِشِقِّ الأنفس ﴾**، أي: بالمشقّة والجهد. والشق: النصف أيضاً أي: لم تكونوا بالغيه إلا بنقصان قوة النفس وذهاب نصفها. وقرأ أبو جعفر **﴿ بشق ﴾** بفتح الشين وهما لغتان مثل رطل ورطل. **﴿ إنّ ربكم لرؤوف رحيم ﴾**، بخلقه حيث جعل لكم هذه المنافع.

﴿ والخيلَ ﴾، يعني: وخلق الخيل وهي اسم جنس لا واحد له من لفظه كالإبل والنساء والسماء. **﴿ والبغالَ والحميرَ لتركبوها وزينة ﴾**، يعني وجعلها زينة لكم مع المنافع التي فيها. واحتجّ بهذه الآية من حرم

الصديق أنها قالت: «نحرنا على عهد رسول الله ﷺ فرساً ونحن بالمدينة فأكلناه» أخرجه البخاري ومسلم (ق). عن جابر «أن رسول الله ﷺ نهى عن لحوم الخيل وحمر الوحش ونهى النبي ﷺ عن الحمار الأهلي» هذه رواية البخاري ومسلم، وفي رواية أبي داود قال: «ذبحنا يوم خيبر الخيل والبغال والحمير وكنا قد أصابتنا مخمصة فنهانا رسول الله ﷺ عن البغال والحمير ولم ينهنا عن الخيل» وأجاب من أباح لحوم الخيل عن هذه الآية بأن ذكر الركوب والزينة، لا يدل على أن منفعتها مختصة بذلك، وإنما خص هاتان المنفعتان بالذكر لأنهما معظم المقصود، قالوا: ولهذا سكت عن حمل الأثقال على الخيل مع قوله في الأنعام وتحمل أثقالكم، ولم يلزم من هذا التحريم حمل الأثقال على الخيل، وقال البغوي: ليس المراد من الآية بيان التحليل والتحريم، بل المراد منها تعريف الله عباده نعمه، وتنبيههم على كمال قدرته وحكمته، والدليل الصحيح المعتمد عليه في إباحة لحوم الخيل أن السنة مبينة للكتاب ولما كان نص الآية يقتضي أن الخيل والبغال والحمير مخلوقة للركوب والزينة، وكان الأكل مسكوتاً عنه دار الأمر فيه على الإباحة والتحريم فوردت بإباحة لحوم الخيل وتحريم لحوم البغال والحمير، فأخذنا بها جمعاً بين النصين والله أعلم وقوله تعالى ﴿**ويخلق ما لا تعلمون**﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى الحيوانات التي ينتفع بها الإنسان في جميع حالاته، وضرورياته على سبيل التفضيل، ذكر بعدها ما لا ينتفع به الإنسان في الغالب على سبيل الإجمال لأن مخلوقات الله عز وجل في البر والبحر والسموات أكثر من أن تحصى أو يحيط بها عقل أحد أو فهمه، فلهذا ذكرها على الإجمال، وقال بعضهم: ويخلق ما لا تعلمون يعني مما أعد الله لأهل الجنة في الجنة، ولأهل النار في النار مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر وقال قتادة في قوله: ويخلق ما لا تعلمون يعني السوس في النبات والدود في الفواكه. قوله سبحانه وتعالى ﴿**وعلى الله قصد السبيل**﴾ القصد استقامة الطريق، يقال: طريق قصد وقاصد إذا أداك إلى مطلوبك وفي الآية حذف تقديره وعلى الله بيان قصد السبيل، وهو بيان طريق الهدى من الضلالة وقيل: معناه وعلى الله بيان طريق الحق بالآيات والبراهين ﴿**ومنها جائر**﴾ يعني ومن السبل سبيل جائر عن الاستقامة بل هو معوج فالقصد من السبيل هو دين الإسلام، والجائر منها دين اليهودية والنصرانية وسائر ملل الكفر، وقال جابر بن عبد الله: قصد السبيل بيان الشرائع والفرائض، وقال عبد الله بن المبارك وسهل بن عبد الله: قصد السبيل السنة ومنها جائر الأهواء والبدع ﴿**ولو شاء لهداكم أجمعين**﴾ فيه دليل على أن الله تعالى ما شاء هداية الكفار، وما أراد منهم الإيمان لأن كلمة لو تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره، فقوله ولو شاء هدايتكم لهداكم أجمعين وذلك يفيد أنه تعالى ما شاء هدايتهم فلا جرم ما هداهم. قوله عز وجل ﴿**هو الذي أنزل من السماء ماء**﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى نعمته على

لحوم الخيل، وهو قول ابن عباس، وتلا هذه الآية، فقال: هذه للركوب وإليه ذهب الحَكَمُ ومالك وأبو حنيفة، وذهب جماعة إلى إباحة لحوم الخيل، وهو قول الحسن وشريح وعطاء وسعيد بن جبير، وبه قال الشافعي وإسحاق، ومَن أباحها قال: ليس المراد من الآية بيان التحليل والتحريم بل المراد منه تعريف الله عباده نِعَمه وتنبيههم على كمال قدرته وحكمته، واحتجّوا بما أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا سليمان بن حرب ثنا حمّاد بن زيد عن عمرو هو ابن دينار عن محمد بن علي عن جابر رضي الله عنه قال: نهى النبي ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر ورخّص في لحوم الخيل. أخبرنا أبو الفرج المظفر بن إسماعيل التميمي أنا أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي أنا أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ ثنا الحسن بن الفرج ثنا عمرو بن خالد ثنا عبد الله بن عبد الكريم عن عطاء بن أبي رباح عن جابر أنهم كانوا يأكلون لحوم الخيل على عهد رسول الله ﷺ، ونهى عن لحوم البغال والحمير. روي عن المقدام بن معدي كرب عن خالد بن الوليد أن رسول الله ﷺ نهى عن أكل لحوم الخيل والبغال والحمير. وإسناده ضعيف. ﴿ **ويخلق ما لا تعلمون** ﴾، قيل: يعني ما أعدّ الله في الجنّة لأهلها وفي النار لأهلها مما لم تره عين ولا سمعته أُذن ولا خطر على

عباده بخلق الحيوانات لأجل الانتفاع والزينة: عقبه بذكر إنزال المطر من السماء، وهو من أعظم النعم على العباد فقال: هو الذي أنزل من السماء. يعني، والله الذي خلق جميع الأشياء هو الذي أنزل من السماء ماء يعني المطر ﴿لكم منه﴾ يعني من ذلك الماء ﴿شراب﴾ يعني تشربونه ﴿ومنه﴾ يعني ومن ذلك الماء ﴿شجر﴾ الشجر في اللغة ما له ساق من نبات الأرض، ونقل الواحدي عن أهل اللغة أنهم قالوا: الشجر أصناف ما جل وعظم، وهو الذي يبقى على الشتاء وما دق وهو صنفان أحدهما تبقى له أدوحة في الشتاء، وينبت في الربيع ومنها ما لا يبقى له ساق في الشتاء كالبقول، وقال أبو إسحاق: كل ما ينبت على وجه الأرض فهو شجر وأنشد: * نطعمها اللحم إذا عز الشجر * أراد أنهم يسقون الخيل اللبن إذا أجدبت الأرض، وقال ابن قتيبة: في هذه الآية يعني الكلأ ومعنى الآية أنه ينبت بالماء الذي أنزل من السماء ما ترعى الراعية من ورق الشجر لأن الإبل ترعى كل الشجر ﴿فيه﴾ يعني في الشجر ﴿تسيمون﴾ يعني ترعون مواشيكم. يقال: أسمت السائمة إذا خليتها ترعى وسامت هي إذا رعت حيث شاءت ﴿ينبت لكم﴾ أي ينبت الله لكم وقرىء ينبت على التعظيم لكم ﴿به﴾ أي بذلك الماء ﴿الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات﴾ لما ذكر الله في الحيوان تفصيلاً وإجمالاً ذكر في الثمار تفصيلاً وإجمالاً فبدأ بذكر الزرع وهو الحب الذي يقتات به كالحنطة والشعير وما أشبههما لأن به قوام بدن الإنسان، وثنى بذكر الزيتون لما فيه من الأدم والدهن والبركة، وثلث بذكر النخيل لأن ثمرتها غذاء وفاكهة، وختم بذكر الأعناب لأنها شبه النخلة في المنفعة من التفكه، والتغذية، ثم ذكر سائر الثمرات إجمالاً لينبه بذلك على عظيم قدرته، وجزيل نعمته على عباده ثم قال تعالى ﴿إن في ذلك﴾ يعني الذي ذكر من أنواع الثمار ﴿لآية﴾ يعني علامة دالة على قدرتنا ووحدانيتنا ﴿لقوم يتفكرون﴾ يعني فيما ذكر من دلائل قدرته ووحدانيته ﴿وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم﴾ تقدم تفسيره في سورة الأعراف ﴿مسخرات﴾ يعني مذللات مقهورات تحت قهره وإرادته، وفيه رد على الفلاسفة والمنجمين لأنهم يعتقدون أن هذه النجوم هي الفعالة المتصرفة في العالم السفلي فأخبر الله تعالى أن هذه النجوم مسخرات في نفسها مذللات ﴿بأمره﴾ يعني بأمر ربها مقهورات تحت قهره يصرفها كيف يشاء، ويختار وأنها ليس لها تصرف في نفسها فضلاً عن غيرها، ولما ذكر الله سبحانه وتعالى أنه خلق هذه النجوم وجعلها مسخرات لمنافع عباده ختم هذه الآية بقوله ﴿إن في ذلك لآيات لقوم

قلب بشر. وقال قتادة يعني: السوس في النبات والدود في الفواكه.

قوله تعالى: ﴿ وعلى اللهِ قصدُ السبيل ﴾ يعني: بيان طريق الهدى من الضلالة. وقيل: بيان الحق بالآيات والبراهين، والقصد: الصراط المستقيم. ﴿ ومنها جائر ﴾ يعني: ومن السبيل جائر عن الاستقامة معوج، فالقصد من السبيل دين الإسلام، والجائر منها دين اليهودية والنصرانية وسائر مثل الكفر. قال جابر بن عبد الله: قصد السبيل بيان الشرائع والفرائض. وقال عبد الله بن المبارك وسهل بن عبد الله: قصد السبيل السنة. ومنها جائر الأهواء والبِدَع، دليله قوله تعالى: ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. ﴿ ولو شاء لهداكم أجمعين ﴾، نظيره قوله تعالى: ﴿ ولو شئنا لآتينا كلَّ نفسٍ هُداها ﴾ [السجدة: ١٣].

قوله: ﴿ هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ﴾، تشربونه، ﴿ ومنه شجر ﴾، أي: من ذلك الماء شراب أشجاركم حياة نباتكم، ﴿ فيه ﴾ يعني: في الشجر، ﴿ تُسِيمُون ﴾، ترعون مواشيكم.

﴿ يُنبِتُ لكم به ﴾ أي: ينبت الله لكم به يعني بالماء الذي أنزل وقرأ أبو بكر عن عاصم «نُنبت» بالنون. ﴿ الزرعَ والزيتونَ والنخيلَ والأعنابَ ومن كل الثمرات إنّ في ذلك لآيةً لقومٍ يتفكّرون ﴾.

﴿ وسخّر لكم ﴾، ذلّل لكم ﴿ الليلَ والنهارَ والشمسَ والقمرَ والنجومَ مسخراتٍ ﴾، مذلّلاتٍ، ﴿ بأمره ﴾

يعقلون﴾ يعني أن كل من كان له عقل صحيح سليم علم أن الله سبحانه وتعالى، هو الفعال المختار وأن جميع الخلق تحت قدرته، وقهره وتسخيره لما أراده منهم.

وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ
الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ
مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ
بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا
تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ
أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ
اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾

﴿وما ذرأ لكم في الأرض﴾ يعني وما خلق لكم في الأرض، وسخر لأجلكم من الدواب والأنعام والأشجار والثمار **﴿مختلفاً ألوانه﴾** يعني في الخلقة والهيئة والكيفية واختلاف ألوان المخلوقات مع كثرتها، حتى لا يشبه بعضها بعضاً من كل الوجوه، فيه دليل قاطع على كمال قدرة الله ولذلك ختم هذه الآية بقوله تعالى **﴿وهو الذي سخر لكم البحر﴾** لما ذكر الله سبحانه وتعالى الدلائل الدالة على قدرته، ووحدانيته من خلق السموات والأرض، وخلق الإنسان من نطفة وخلق سائر الحيوان والنبات وتسخير الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك، من آثار قدرته، وعجائب صنعته وذكر إنعامه في ذلك على عباده، ذكر بعد ذلك إنعامه على عباده بتسخير البحر لهم نعمة من الله عليهم، ومعنى تسخير الله البحر لعباده جعله بحيث يتمكن الناس من الانتفاع به. فقال تعالى: وهو الذي سخر البحر **﴿لتأكلوا منه لحماً طرياً﴾** فبدأ بذكر الأكل لأنه أعظم المقصود، لأن به قوام البدن وفي ذكر الطري مزيد فائدة دالة على كمال قدرة الله تعالى، وذلك أن السمك لون كان كله مالحاً لما عرف به من قدرة الله تعالى، ما يعرف بالطري لأنه لما خرج من البحر الملح الزعاق، الحيوان الطري الذي لحمه في غاية العذوبة علم أنه إنما حدث بقدرة الله، وخلقه لا بحسب الطبع وعلم بذلك أن الله قادر على إخراج الضد من الضد. المنفعة الثانية قوله تعالى **﴿وتستخرجوا منه حلية تلبسونها﴾** يعني

أي: بإذنه وقرأ حفص عن عاصم **﴿والنجوم مسخرات﴾** بالرفع على الابتداء. **﴿إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾**.

﴿وما ذرأ﴾، خلق، **﴿لكم﴾**، لأجلكم أي: وسخّر ما خلق لأجلكم، **﴿في الأرض﴾**، من الدواب والأشجار والثمار وغيرها، **﴿مختلفاً﴾**، نصب على الحال، **﴿ألوانه إنّ في ذلك لآية لقوم يذكرون﴾**، يعتبرون.

﴿وهو الذي سخّر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً﴾ يعني: السمك، **﴿وتستخرجوا منه حِلْيَةً تلبسونها﴾** يعني: اللؤلؤ والمرجان، **﴿وترى الفُلْكَ مواخر فيه﴾**، جواري فيه. قال قتادة: مقبلة ومدبرة وهو أنك ترى سفينتين إحداهما تقبل والأخرى تدبر تجريان بريح واحدة. وقال الحسن: مواخر أي: مملوءة. وقال الفراء والأخفش: مواخر شواق تشق الماء بجؤجؤها. قال مجاهد: تمخر السفن الرياح. وأصل المخر: الرفع والشق، وفي الحديث: «إذا أراد أحدكم البول فليستمخر الريح» أي: لينظر من أين مجراها وهبوبها حتى لا يرد عليه البول. وقال أبو عبيدة

اللؤلؤ والمرجان، كما قال تعالى: يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لأن زينة النساء بالحلي، وإنما هو لأجل الرجال فكان ذلك زينة لهم. المنفعة الثالثة قوله تعالى ﴿وترى الفلك﴾ يعني السفن ﴿مواخر فيه﴾ يعني جواري فيه قال قتادة: مقبلة ومدبرة وذلك أنك ترى سفينتين إحداهما تقبل والأخرى تدبر تجريان بريح واحدة، وأصل المخر في اللغة الشق يقال: مخرت السفينة مخراً إذا شقت الماء بجؤجؤها. وقال مجاهد: تمخر الرياح السفن يعني أنها إذا جرت يسمع لها صوت قال أبو عبيدة: يعني من صوائح والمخر صوت هبوب الريح عند شدتها وقال الحسن: مواخر يعني مواقر أي مملوءة متاعاً ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ يعني الأرباح بالتجارة في البحر ﴿ولعلكم تشكرون﴾ يعني إنعام الله عليكم إذا رأيتم نعم الله فيما سخر لكم ﴿وألقى في الأرض رواسي﴾ يعني جبالاً ثقالاً ﴿أن تميد بكم﴾ يعني لئلا تميل وتضطرب بكم، والميد هو اضطراب الشيء العظيم كالأرض، وقال وهب: لما خلق الله سبحانه وتعالى الأرض جعلت تمور وتتحرك فقالت الملائكة: إن هذه غير مقرة أحداً على ظهرها فأصبحوا، وقد أرسيت بالجبال فلم تدر الملائكة مم خلقت الجبال ﴿وأنهاراً﴾ يعني وجعل فيها أنهاراً لأن في ألقى معنى الجعل، فقوله سبحانه وتعالى: وأنهاراً معطوف على وألقى، ولما ذكر الله الجبال ذكر بعدها الأنهار لأن معظم عيون الأنهار، وأصولها تكون من الجبال ﴿وسبلاً﴾ يعني وجعل فيها طرقاً مختلفة تسلكونها في أسفاركم، والتردد في حوائجكم من بلد إلى بلد ومن مكان إلى مكان ﴿لعلكم تهتدون﴾ يعني بتلك السبل إلى ما تريدون فلا تضلون ﴿وعلامات﴾ يعني وجعل فيها علامات تهتدون بها في أسفاركم قال بعضهم: تم الكلام عند قوله: وعلامات ثم ابتدأ ﴿وبالنجم هم يهتدون﴾ قال محمد بن كعب والكلبي: أراد بالعلامات الجبال والنجوم، فالجبال علامات النهار، والنجوم علامات الليل. وقال مجاهد: أراد بالكل النجوم فمنها ما يكون علامات ومنها ما يهتدي به. وقال السدي: أراد بالنجم الثريا وبنات نعش والفرقدين والجدي، فهذه يهتدى بها إلى الطريق والقبلة. وقال قتادة: إنما خلق الله النجوم لثلاثة أشياء لتكون زينة السماء ومعالم الطريق ورجوماً للشياطين فمن قال غير هذا فقد تكلف ما لا علم له به. قوله سبحانه وتعالى ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق﴾ لما ذكر الله عز وجل من عجائب قدرته وغرائب صنعته، وبديع خلقه ما ذكر على الوجه الأحسن والترتيب الأكمل، وكانت هذه الأشياء المخلوقة المذكورة في الآيات المتقدمة كلها دالة على كمال قدرة الله تعالى، ووحدانيته وأنه تعالى هو المنفرد بخلقها جميعاً قال على سبيل الإنكار على من ترك عبادته واشتغل بعبادة هذه الأصنام التي لا تضر ولا تنفع، ولا تقدر على شيء ﴿أفمن يخلق﴾ يعني هذه الأشياء الموجودة المرئية بالعيان، وهو الله تعالى الخالق لها ﴿كمن لا يخلق﴾ يعني هذه الأصنام العاجزة التي لا تخلق شيئاً البتة، لأنها جمادات لا تقدر على شيء، فكيف يليق بالعاقل أن يشتغل بعبادتها ويترك عبادة من يستحق العبادة وهو الله خالق هذه الأشياء كلها، ولهذا

صوائخ والمخر صوت هبوب الريح عند شدّتها، ﴿ ولتبتغوا من فضله ﴾ يعني: التجارة، ﴿ ولعلكم تشكرون ﴾، إذا رأيتم صنع الله فيما سخر لكم.

﴿ وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم ﴾ أي: لئلا تميد بكم أي تتحرك وتميل، والميد: هو الاضطراب والتكفؤ ومنه قيل للدوار الذي يعتري راكب البحر: مَيَدٌ قال وهب: لمّا خلق الله الأرض جعلت تمور فقالت الملائكة: إن هذه غير مقرّة أحداً على ظهرها فأصبحت وقد أُرسيت بالجبال فلم تدرِ الملائكة مِمَّ خلقت الجبال، ﴿ وأنهاراً وسُبلاً ﴾ أي: وجعل فيها أنهاراً وطرقاً مختلفة، ﴿ لعلّكم تهتدون ﴾، إلى ما تريدون فلا تضلون.

﴿ وعلامات ﴾، يـعني: معالم الطرق. قال بعضهم: هٰهنا تمّ الكلام ثم ابتدأ، ﴿ وبالنجم هم يهتدون ﴾، قال محمد بن كعب والكلبي: أراد بالعلامات الجبال والجبال تكون علامات النهار والنجوم علامات الليل. وقال مجاهد: أراد بالكل النجوم منها ما يكون علامات ومنها ما يهتدون به. قال السدي: أراد بالنجوم الثريا وبنات نعش

المعنى ختم هذه الآية بقوله ﴿أفلا تذكرون﴾ يعني أن هذا القدر ظاهر غير خافٍ على أحد فلا يحتاج فيه إلى دقيق الفكر والنظر بل مجرد التذكر فيه، كفاية لمن فهم وعقل واعتبر بما ذكره. بقي في الآية سؤالان: الأول: قوله: كمن لا يخلق المراد به الأصنام وهي جمادات لا تعقل فكيف يعبر عنها بلفظة من وهي لمن يعقل، والجواب عنه أن الكفار لما سموا هذه الأصنام آلة وعبدوها أجريت مجرى من يعقل في زعمهم ألا ترى إلى قوله: بعد هذا والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً فخاطبهم على قدر زعمهم، وعقولهم. السؤال الثاني: قوله: أفمن يخلق كمن لا يخلق المقصود منه إلزام الحجة على من عبد الأصنام حيث جعل غير الخالق مثل الخالق، فكيف قال على سبيل الاستفهام أفمن يخلق كمن لا يخلق والجواب عنه أنه ليس المراد منه الاستفهام بل المراد منه أن من خلق الأشياء العظيمة وأعطى هذه النعم الجزيلة، كيف يسوى بينه وبين هذه الجمادات الخسيسة في التسمية والعبادة، وكيف يليق بالعاقل أن يترك عبادة من يستحق العبادة لأنه خالق هذه الأشياء الظاهرة كلها، ويشتغل بعبادة جمادات لا يخلق شيئاً البتة والله أعلم. وقوله تعالى ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ يعني أن نعم الله على العبد فيما خلق الله فيه من صحة البدن وعافية الجسم، وإعطاء النظر الصحيح والعقل السليم، والسمع الذي يفهم به الأشياء وبطش اليدين وسعي الرجلين إلى غير ذلك مما أنعم به عليه في نفسه، وفيما أنعم به عليه مما خلق له من جميع ما يحتاج إليه من أمر الدين والدنيا لا تحصى حتى لو رام أحد معرفة أدنى نعمة من هذه النعم لعجز عن معرفتها وحصرها فكيف بنعمة العظام التي لا يمكن الوصول إلى حصرها لجميع الخلق فذلك قوله تعالى ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ يعني ولو اجتهدتم في ذلك وأتعبتم نفوسكم لا تقدرون عليه ﴿إن الله لغفور﴾ يعني لتقصيركم في القيام بشكر نعمته كما يجب عليكم ﴿رحيم﴾ يعني بكم حيث وسع عليكم النعم، ولم يقطعها عنكم بسبب التقصير، والمعاصي ﴿والله يعلم ما تسرّون وما تعلنون﴾ يعني أن الكفار مع كفرهم كانوا يسرون أشياء. وهو ما كانوا يمكرون بالنبي ﷺ، وما يعلنون يعني، وما يظهرون من إيذائه فأخبرهم الله عز وجل أنه عالم بكل أحوالهم سرها وعلانيتها لا تخفى عليه خافية وإن دقت وخفيت، وقيل: إن الله سبحانه تعالى لما ذكر الأصنام وذكر عجزها في الآية المتقدمة ذكر في هذه الآية أن الإله الذي يستحق العبادة، يجب أن يكون عالماً بكل المعلومات سرها وعلانيتها، وهذه الأصنام ليست كذلك فلا تستحق العبادة ثم وصف الله هذه الأصنام بصفات فقال تعالى ﴿والذين تدعون من دون الله﴾ يعني الأصنام التي تدعونها آلهة من دون الله ﴿لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون﴾ فإن قلت: قوله سبحانه وتعالى في الآية المتقدمة أفمن يخلق كمن

والفرقدين والجدي يهتدون بها إلى الطرق والقِبلة. وقال قتادة: إنما خلق الله النجوم لثلاثة أشياء لتكون زينة للسماء ومعالم للطرق ورجوماً للشياطين. فمَن قال غير هذا فقد تكلّف ما لا علم له به.

﴿ أفمن يخلق ﴾، يعني: الله تعالى، ﴿ كمَنْ لا يخلق ﴾، يعني: الأصنام، ﴿ أفلا تذكّرون ﴾.

﴿ وإن تعدّوا نعمةَ الله لا تُحصوها إنّ الله لغفورٌ ﴾ لتقصيركم في شكر نعمه، ﴿ رحيمٌ ﴾ بكم حيث وسّع عليكم النعم ولم يقطعها عنكم بالتقصير والمعاصي.

﴿ والله يعلم ما تُسرّون وما تعلنون ﴾.

﴿ والذي تدعون من دون الله ﴾ يعني: الأصنام، وقرأ عاصم ويعقوب «يـدعون» بالياء. ﴿ لا يخلقون شيئاً وهم يُخلقون ﴾.

﴿ أموات ﴾ أي: الأصنام ﴿ غير أحياء وما يشعرون ﴾، يعني: الأصنام ﴿ أيّان ﴾ متى ﴿ يُبعثون ﴾، والقرآن يدلّ على أن الأصنام تُبعَث وتُجعَل فيها الحياة فتتبرأ من عابديها. وقيل: ما يدري الكفّار عبَدَة الأصنام متى يُبعَثون.

لا يخلق، يدل على أن هذه الأصنام لا تخلق شيئاً فقوله سبحانه وتعالى: لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون هذا هو نفس المعنى المذكور في تلك الآية فما فائدة التكرار؟ قلت: فائدته أن المعنى المذكور في الآية المتقدمة أنهم لا يخلقون شيئاً فقط والمذكور في هذه الآية أنهم لا يخلقون شيئاً وإنهم مخلوقون كغيرهم، فكان هذا زيادة في المعنى وهو فائدة التكرار ﴿أموات﴾ أي جمادات ميتة لا حياة فيها ﴿غير أحياء﴾ يعني كغيرها، والمعنى لو كانت هذه الأصنام آلهة كما تزعمون لكانت أحياء غير جائز عليها الموت لأن الإله الذي يستحق أن يعبد هو الحي الذي لا يموت وهذه أموات غير أحياء، فلا تستحق العبادة فمن عبدها فقد وضع العبادة في غير موضعها. وقوله ﴿وما يشعرون﴾ يعني هذه الأصنام ﴿أيان يبعثون﴾ يعني متى يبعثون وفيه دليل على أن الأصنام تجعل فيها الحياة، وتبعث يوم القيامة حتى تتبرأ من عابديها. وقيل: معناه ما يدري الكفار الذين عبدوا الأصنام متى يبعثون. قوله سبحانه وتعالى ﴿إلهكم إله واحد﴾ يعني أن الذي يستحق العبادة هو إله واحد، وهذه أصنام متعددة فكيف تستحق العبادة ﴿فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة﴾ يعني جاحدة لهذا المعنى ﴿وهم مستكبرون﴾ يعني عن اتباع الحق لأن الحق إذا تبين كان تركه تكبراً ﴿لا جرم﴾ يعني حقاً ﴿أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه لا يحب المستكبرين﴾ يعني عن اتباع الحق (م) عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً وفعله حسناً قال: «إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق، وغمط الناس» قوله بطر الحق هو أن يجعل ما جعله الله حقاً من توحيده، وعبادته باطلاً وهذا على قول من جعل أصل البطر من الباطل، ومن جعله من الحيرة فمعناه يتحير عند سماء الحق فلا يقبله، ولا يجعله حقاً، وقيل: البطر التكبر يعني أنه يتكبر عند سماع الحق فلا يقبله، وقوله: وغمط الناس يقال: غمطت حق فلان إذا احتقرته ولم تره شيئاً وكذا معنى غمصته أي انتقصت به وازدريته.
قوله عز وجل:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ

قوله تعالى: ﴿ إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة ﴾، جاحدة، ﴿ وهم مستكبرون ﴾، متعظّمون.

﴿ لا جَرَم ﴾، حقاً ﴿ أنّ الله يعلم ما يسرّون وما يعلنون إنّه لا يحب المستكبرين ﴾، أخبرنا أبو سعيد بكر بن محمد بن محمد بن يحيىٰ البسطامي أنا أبو الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم بن سحتوتة أنا أبو الفضل سفيان بن محمد الجوهري ثنا علي بن الحسن ابن أبي عيسى الهلالي ثنا يحيىٰ بن حماد ثنا شعبة عن أبَان بن ثعلبة عن فضيل العقيمي عن إبراهيم النخعي عن علقمة بن قيس عن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «لا يدخلُ الجنةَ مَن كان في قلبه مثقالُ ذرّة من كِبْرٍ ولا يدخلُ النارَ مَن في قلبه مثقالُ ذرّة من إيمان»، فقال رجل: يا رسول الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً؟ قال: «إنّ الله جميلٌ يحب الجمال، الكِبْرُ بَطَرُ الحق وغمطُ الناس».

لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ
ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾
ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾

﴿**وإذا قيل لهم**﴾ يعني لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم كفار مكة الذين اقتسموا عقابها، وطرقها إذا سألهم الحاج الذين يقدمون عليهم ﴿**ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين**﴾ يعني أحاديثهم وأباطيلهم ﴿**ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة**﴾ اللام في ليحملوا لام العاقبة وذلك أنهم لما وصفوا القرآن بكونه أساطير الأولين، كانت عاقبتهم بذلك أن يحملوا أوزارهم يعني ذنوب أنفسهم وإنما قال سبحانه وتعالى: كاملة لأن البلايا التي أصابتهم في الدنيا وأعمال البر التي عملوها في الدنيا، لا تكفر عنهم شيئاً يوم القيام بل يعاقبون بكل أوزارهم قال الإمام فخر الدين: وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى قد يسقط بعض العقاب عن المؤمنين، إذ لو كان هذا المعنى حاصلاً في حق الكل، لم يكن لتخصيص هؤلاء الكفار بهذا التكميل فائدة. وقوله سبحانه وتعالى ﴿**ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم**﴾ يعني ويحصل للرؤساء الذين أضلوا غيرهم وصدوهم عن الإيمان، مثل أوزار الأتباع والسبب فيه ما روي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً» أخرجه مسلم ومعنى الآية، والحديث أن الرئيس أو الكبير إذا سنَّ سنة حسنة أو سنة قبيحة، فتبعه عليها جماعة، فعملوا بها فإن الله سبحانه وتعالى يعظم ثوابه أو عقابه حتى يكون ذلك الثواب أو العقاب مساوياً لكل ما يستحقه كل واحد من الأتباع، الذين عملوا بسنته الحسنة أو القبيحة، وليس المراد أن الله تعالى يوصل جميع الثواب أو العقاب الذي يستحقه الأتباع إلى الرؤساء، لأن ذلك ليس بعدل ويدل عليه قوله تعالى: ولا تزر وازرة وزر أخرى، وقوله تعالى: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾. قال الواحدي: ولفظة من في قوله ومن أوزار الذين يضلونهم، **بغير** علم ليست للتبعيض لأنها لو كانت للتبعيض لنقص عن الأتباع بعض الأوزار، وذلك غير جائز لقوله عليه الصلاة والسلام «لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»، ولكنها للجنس أي ليحملوا من جنس أوزار الأتباع وقوله: بغير علم يعني أن الرؤساء إنما يقدمون على إضلال غيرهم، بغير علم، بما يستحقونه من العقاب، على ذلك الإضلال بل يقدمون على ذلك جهلاً منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد. ﴿**ألا ساء ما يزرون**﴾ يعني ألا بئس ما يحملون ففيه وعيد وتهديد. قوله سبحانه وتعالى ﴿**قد مكر الذين من قبلهم**﴾ يعني من قبل كفار قريش وهو نمروذ بن كنعان الجبار، وكان أكبر ملوك الأرض في زمن إبراهيم ﷺ

﴿ **وإذا قيل لهم** ﴾، يعني: لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم مشركو مكة الذين اقتسموا عقابها إذا سأل منهم الحاجّ، ﴿ **ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين** ﴾، أحاديثهم وأباطيلهم.

﴿ **ليحملوا** ﴾ أي: ليجعلوا، ﴿ **أوزارَهم** ﴾، ذنوب أنفسهم، ﴿ **كاملة** ﴾، وإنما ذكر الكمال لأن البلايا التي تلحقهم في الدنيا وما يفعلون فيها من الحسنات لا تكفّر عنهم شيئاً، ﴿ **يوم القيامة ومن أوزار الذين يُضلّونهم بغير علم** ﴾، بغير حجّة فيصدّونهم عن الإيمان، ﴿ **ألَا ساءَ ما يزِرُون** ﴾، ما يحملون. أنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي أنا أبوالحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشمهيني ثنا علي بن حجر ثنا إسماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «مَن دعا إلى هُدىً كان له من الأجر مثل أُجور مَن تبعه لا ينقص ذلك من أُجورهم شيئاً، ومَن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام مَن تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً».

وكان من مكره أنه بنى صرحاً ببابل ليصعد إلى السماء، ويقاتل أهلها في زعمه. قال ابن عباس: وكان طول الصرح في السماء خمسة آلاف ذراع. وقال كعب ومقاتل: كان طوله فرسخين فهبت ريح فقصفته وألقت رأسه في البحر وخر عليهم الباقي فأهلكهم وهم تحته ولما سقط تبلبلت ألسنة الناس من الفزع فتكلموا يومئذ بثلاثة وسبعين لساناً، فلذلك سميت بابل وكان لسان الناس قبل ذلك السريانية قلت هكذا ذكره البغوي وفي هذا نظر لأن صالحاً عليه السلام كان قبلهم وكان يتكلم بالعربية، وكان أهل اليمن عرباً منهم جرهم الذي نشأ إسماعيل بينهم، وتعلم منهم العربية وكانت قبائل من العرب قديمة قبل إبراهيم عليه السلام، مثل طسم وجديس وكل هؤلاء عرب تكلموا في قدم الزمان بالعربية، ويدل على صحة هذا قوله: ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى والله أعلم. وقيل: حمل قوله قد مكر الذين من قبلهم على العموم أولى فتكون الآية عامة في جميع الماكرين المبطلين الذين يحاولون إلحاق الضرر والمكر بالغير، وقوله سبحانه وتعالى ﴿**فأتى الله بنيانهم من القواعد**﴾ يعني قصد تخريب بنيانهم من أصوله، وذلك بأن أتاهم بريح قصفت بنيانهم من أعلى، وأتاهم بزلازل قلعت بنيانهم من قواعده وأساسه، هذا إذا حملنا تفسير الآية على القول الأول، وهو ظاهر اللفظ وإن حملنا تفسير الآية على القول الثاني: وهو حملها على العموم كان المعنى أنهم لما رتبوا منصوبات ليمكروا بها على أنبياء الله وأهل الحق من عباده أهلكهم الله تعالى، وجعل هلاكهم مثل هلاك بنوا بنياناً وثيقاً شديداً ودعموه بالأساطين فانهدم ذلك البنيان، وسقط عليهم فأهلكهم فهو مثل ضربه الله سبحانه وتعالى لمن مكر بآخر فأهلكه الله بمكره، ومنه المثل السائر على ألسنة الناس: من حفر بئراً لأخيه أوقعه الله فيه. وقوله تعالى ﴿**فخرّ عليهم السقف من فوقهم**﴾ يعني سقط عليهم السقف فأهلكهم وقوله: من فوقهم للتأكيد لأن السقف لا يخر إلا من فوقهم. وقيل: يحتمل أنهم لم يكونوا تحت السقف عند سقوطه، فلما قال من فوقهم علم أنهم كانوا تحته، وأنه لما خر عليهم أهلكوا وماتوا تحته ﴿**وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون**﴾ يعني في مأمنهم، وذلك أنهم لما اعتمدوا على قوة بنيانهم، وشدته كان ذلك البنيان سبب هلاكهم ﴿**ثم يوم القيامة يخزيهم**﴾ يعني يهينهم بالعذاب، وفيه إشارة بأن العذاب يحصل لهم في الدنيا والآخرة لأن الخزي هو العذاب مع الهوان ﴿**ويقول**﴾ يعني ويقول: الله لهم يوم القيامة ﴿**أين شركائي**﴾ يعني في زعمكم واعتقادكم ﴿**الذين كنتم تشاقون فيهم**﴾ يعني كنتم تعادون وتخالفون المؤمنين وتخاصمونهم في شأنهم لأن المشاقة عبارة عن كون كل واحد من الخصمين في شق غير شق صاحبه، والمعنى: ما لهم لا يحضرون معكم ليدفعوا عنكم ما نزل بكم من العذاب والهوان ﴿**قال الذين أوتوا العلم**﴾ يعني المؤمنين وقيل الملائكة ﴿**إن الخزي**﴾ يعني الهوان ﴿**اليوم**﴾ يعني في هذا اليوم وهو يوم القيامة ﴿**والسوء**﴾ يعني العذاب ﴿**على**

قوله تعالى: ﴿ **قد مكر الذين من قبلهم** ﴾، وهو نمروذ بن كنعان، بنى الصرح ببابل ليصعد السماء. قال ابن عباس ووهب: كان طول الصرح في السماء خمسة آلاف ذراع. وقال كعب ومقاتل: كان طوله فرسخين فهبّت ريح وألقت رأسه في البحر وخرّ عليهم الباقي وهم تحته، ولمّا سقط الصرح تبلبلت ألسن الناس من الفزع يومئذ فتكلموا بثلاثة وسبعين لساناً فلذلك سُمّيت بابل، وكان لسان الناس قبل ذلك بالسريانية، فذلك قوله تعالى: ﴿ **فأتى الله بنيانهم من القواعد** ﴾ أي: قصد تخريب بنيانهم من أصولها، ﴿ **فخرّ عليهم السَّقْفُ** ﴾ يعني أعلى البيوت ﴿ **من فوقهم وأتاهم العذابُ من حيثُ لا يشعرون** ﴾، من مأمنهم.

﴿ **ثم يوم القيامة يُخزيهم** ﴾، يهينهم بالعذاب، ﴿ **ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقّون فيهم** ﴾، تخالفون المؤمنون فيهم ما لهم لا يحضرونكم فيدفعون عنكم العذاب، وكسر نافع النون من ﴿ **تشاقون** ﴾ على الإضافة، والآخرون بفتحها. ﴿ **قال الذين أُوتوا العلم** ﴾، وهم المؤمنون، ﴿ **إنّ الخزيَ** ﴾، الهوان، ﴿ **اليوم والسوء** ﴾، أي: العذاب، ﴿ **على الكافرين** ﴾.

الكافرين﴾ وإنما يقول المؤمنون: هذا يوم القيامة لأن الكفار كانوا يستهزئون بالمؤمنين في الدنيا، وينكرون عليهم أحوالهم فإذا كان يوم القيامة ظهر أهل الحق، وأُكرموا بأنواع الكرامات وأهين أهل الباطل وعذبوا بأنواع العذاب فعند ذلك يقول المؤمنون: إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين وفائدة هذا القول إظهار الشماتة بهم فيكون أعظم في الهوان، والخزي قوله تعالى **﴿الذين تتوفاهم الملائكة﴾** تقبض أرواحهم الملائكة، وهم ملك الموت وأعوانه **﴿ظالمي أنفسهم﴾** يعني بالكفر **﴿فألقوا السلم﴾** يعني أنهم استسلموا وانقادوا لأمر الله الذي نزل بهم وقالوا **﴿ما كنا نعمل من سوء﴾** يعني شركاً وإنما قالوا: ذلك من شدة الخوف **﴿بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون﴾** يعني فلا فائدة لكم في إنكاركم. قال عكرمة: عنى بذلك ما حصل من الكفار يوم بدر **﴿فادخلوا﴾** أي فيقال لهم ادخلوا **﴿أبواب جهنم خالدين فيها﴾** يعني مقيمين فيها لا يخرجون منها. وإنما قال ذلك لهم ليكون أعظم في الغم والحزن، وفيه دليل على أن الكفار بعضهم أشد عذاباً من بعض **﴿فلبئس مثوى المتكبرين﴾** يعني عن الإيمان قوله عز وجل **﴿وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً﴾** وذلك أن أحياء العرب كانوا يبعثون إلى مكة أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي ﷺ فإذا جاء الوافد سأل الذين كانوا يقعدون على طرقات مكة من الكفار، فيقولون: هو ساحر كاهن شاعر كذاب مجنون وإذا لم تلقه خير لك. فيقول الوافد: أنا شر وافد إن رجعت إلى قومي من دون أن أدخل مكة فألقاه فيدخل مكة، فيرى أصحاب رسول الله ﷺ فيسألهم عنه فيخبرونه بصدقه، وأمانته وأنه نبي مبعوث من الله عز وجل، فذلك قوله سبحانه وتعالى: وقيل الذين اتقوا يعني اتقوا الشرك، وقول الزور والكذب ماذا أنزل ربكم؟ قالوا: خيراً يعني أنزل خيراً فان قلت لم رفع الأول وهو قوله: أساطير الأولين ونصب الثاني، وهو قوله قالوا خيراً قلت ليحصل الفرق بين الجوابين جواب المنكر الجاحد، وجواب المقر المؤمن وذلك أنهم لما سألوا الكفار عن المنزل على النبي ﷺ عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا: هو أساطير الأولين وليس هو من الإنزال في شيء لأنهم لم يعتقدوا كونه منزلاً، ولما سألوا المؤمنين على المنزل على النبي ﷺ لم يتلعثموا، وأطبقوا الجواب على السؤال بيّناً مكشوفاً معقولاً للإنزال فقالوا: خيراً أي أنزل خيراً، وتم الكلام عند قوله خيراً فهو، وقف تام ثم ابتدأ بقوله تعالى **﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة﴾** يعني للذين أتوا بالأعمال الصالحة الحسنة ثوابها حسنة مضاعفة من الواحد إلى العشرة إلى السبعمائة إلى أضعاف كثيرة، وقال الضحاك: هي النصر والفتح. وقال مجاهد: هي الرزق الحسن. فعلى هذا يكون معنى الآية للذين أحسنوا ثواب إحسانهم في هذه الدنيا حسنة، وهي النصر والفتح والرزق الحسن، وغير ذلك مما أنعم الله به على عباده في الدنيا، ويدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى **﴿ولدار الآخرة خير﴾** يعني ما لهم في الآخرة مما أعد الله لهم في الجنة خير مما يحصل لهم في الدنيا **﴿ولنعم دار المتقين﴾** يعني الجنة وقال الحسن: هي الدنيا لأن أهل

﴿ الذين تتوفّاهم الملائكة ﴾، يقبض أرواحهم ملك الموت وأعوانه، قرأ حمزة «يتوفّاهم» بالياء وكذا ما بعده، **﴿ ظالمي أنفسهم ﴾**، بالكفر، ونصب على الحال أي: في حال كفرهم، **﴿ فألقَوُا السَّلَم ﴾** أي: استسلموا وانقادوا وقالوا: **﴿ ما كنّا نعمل من سوء ﴾**، شرك فقال لهم الملائكة: **﴿ بلى إنّ الله عليم بما كنتم تعملون ﴾**. قال عكرمة: عنى بذلك من قتل من الكفّار ببدر.

﴿ فادْخُلوا ﴾ أي: قال لهم ادخلوا **﴿ أبوابَ جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبّرين ﴾**، عن الإيمان، **﴿ وقيل للذين اتقوا ﴾** وذلك أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم مَن يأتيهم بخبر النبي ﷺ **فإذا جاء** يسأل الذين قعدوا على الطرق عنه فيقولون ساحر كاهن شاعر كذّاب مجنون، ولو لم تلقه خير، فيقول السائل: إنّا شرّ وفد إن رجعت إلى قومي دون أن أدخل مكة فألقاه فيدخل مكة فيرى أصحاب النبي ﷺ فيخبرونه بصدقه وأنه نبيّ مبعوث.

التقوى يتزودون منها إلى الآخرة والقول الأول أولى وهو قول جمهور المفسرين لأن الله فسر هذه الدار بقوله **﴿جنّات عدن﴾** يعني بساتين إقامة من قولهم: عدنَ بالمكان، أي أقام به **﴿يدخلونها﴾** يعني تلك الجنات لا يرحلون عنها ولا يخرجون منها **﴿تجري من تحتها الأنهار﴾** يعني تجري الأنهار في هذه الجنات من تحت دور أهلها وقصورهم ومساكنهم **﴿لهم فيها﴾** يعني في الجنات **﴿ما يشاؤون﴾** يعني ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين مع زيادات غير ذلك، وهذه الحالة لا تحصل لأحد إلا في الجنة لأن قوله فيها ما يشاؤون لا يفيد الحصر، وذلك يدل على أن الإنسان لا يجد كل ما يريد في الدنيا **﴿كذلك يجزي الله المتقين﴾** أي هكذا يكون جزاء المتقين، ثم عاد إلى وصف المتقين فقال تعالى **﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين﴾** يعني مؤمنين طاهرين من الشرك. قال مجاهد: زاكية أقوالهم وأفعالهم وقيل: إن قوله طيبين كلمة جامعة لكل معنى حسن فيدخل فيه أنهم، أتوا بكل ما أمروا به من فعل الخيرات والطاعات، واجتنبوا كل ما نهوا عنه من المكروهات، والمحرمات مع الأخلاق الحسنة والخصال الحميدة، والمباعدة من الأخلاق المذمومة والخصال المكروهة القبيحة وقيل معناه إن أوقاتهم تكون طيبة سهلة لأنهم يبشرون عند قبض أرواحهم بالرضوان والجنة والكرامة، فيحصل لهم عند ذلك الفرح والسرور والابتهاج، فيسهل عليهم قبض أرواحهم ويطيب لهم الموت على هذه الحالة **﴿يقولون﴾** يعني الملائكة لهم **﴿سلام عليكم﴾** يعني تسلم عليهم الملائكة أو تبلغهم السلام من الله **﴿ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾** يعني في الدنيا من الأعمال الصالحة. فإن قلت: كيف الجمع بين قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وبين قوله: ﷺ «لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضله ورحمته» أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي هريرة؟ قلت: قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله في شرح مسلم. اعلم أن مذهب أهل السنة أنه لا يثبت بالعقل ثواب ولا عقاب ولا غيرها إلا بالشرع ومذهب أهل السنة أيضاً أن الله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شيء بل العالم كله ملكه والدنيا والآخرة في سلطانه يفعل فيهما ما يشاء فلو عذب المطيعين والصالحين أجمعين، وأدخلهم النار كان ذلك عدلاً منه، وإذا أكرمهم ورحمهم وأدخلهم الجنة فهو فضل منه ولو نعم الكافرون، وأدخلهم الجنة كان ذلك له ومنه فضلاً، ولكنه سبحانه وتعالى أخبر وخبره صادق أنه لا يفعل هذا بل يغفر للمؤمنين، ويدخلهم الجنة برحمته ويعذب الكافرين ويدخلهم النار عدلاً منه. وأما المعتزلة فيثبتون الأحكام بالعقل، ويوجبون ثواب الأعمال ويوجبون الأصلح في خبط طويل لهم، تعالى الله عن اختراعاتهم الباطلة المنابذة لنصوص الشرع. وفي ظاهر هذا الحديث دلالة لأهل الحق أنه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته. وأما قوله سبحانه وتعالى: «ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ـ وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون» ونحوها من الآيات التي تدل على أن الأعمال الصالحة يدخل بها الجنة، فلا تعارض بينها، وبين هذا الحديث بل معنى الآيات: أن دخول الجنة بسبب الأعمال والتوفيق للإخلاص فيها وقبولها برحمة الله

فلذلك قوله: **﴿ وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً ﴾** يعني: أنزل خيراً، ثم ابتدأ فقال: **﴿ للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ﴾**، كرامة من الله. قال ابن عباس: هي تضعيف الأجر إلى العُشر. وقال الضحاك: هي النصر والفتح. وقال مجاهد: هي الرزق الحسن. **﴿ ولَدارُ الآخرة ﴾**، أي ولَدارُ الحال الآخرة، **﴿ خير ولنعم دارُ المتّقين ﴾**، قال الحسن: هي الدنيا لأن أهل التقوى يتزوّدون فيها للآخرة. وقال أكثر المفسّرين: هي الجنة، ثم فسّرها.

فقال: **﴿ جناتُ عدنٍ يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاؤون كذلك يجزي الله المتقين ﴾**.

﴿ الذين تتوفاهم الملائكة طيبين ﴾، مؤمنين طاهرين من الشرك. قال مجاهد: زاكية أفعالهم وأقوالهم.

تعالى وفضله فيصح أنه لم يدخل الجنة بمجرد العمل وهو مراد الحديث ويصح أنه دخل بالأعمال أي بسببها وهي من الرحمة، والفضل والمنة والله أعلم بمراده قوله تعالى:

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾

﴿**هل ينظرون**﴾ يعني هؤلاء الذين أشركوا بالله وجحدوا نبوتك يا محمد ﴿**إلا أن تأتيهم الملائكة**﴾ يعني لقبض أرواحهم ﴿**أو يأتي أمر ربك**﴾ يعني بالعذاب في الدنيا وهو عذاب الاستئصال. وقيل: المراد به يوم القيامة ﴿**كذلك فعل الذين من قبلهم**﴾ يعني من الكفر والتكذيب ﴿**وما ظلمهم الله**﴾ يعني بتعذيبه إياهم ﴿**ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**﴾ يعني باكتسابهم المعاصي، والكفر والأعمال القبيحة الخبيثة، ﴿**فأصابهم سيئات ما عملوا**﴾ يعني فأصابهم عقوبات ما اكتسبوا من الأعمال الخبيثة ﴿**وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون**﴾ والمعنى ونزل بهم جزاء استهزائهم ﴿**وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا**﴾ يعني أن مشركي مكة قالوا هذا على طريق الاستهزاء. والحاصل أنهم تمسكوا بهذا القول في إنكار النبوة، فقالوا: لو شاء الله منا الإيمان لحصل جئت أو لم تجيء ولو شاء الله منا الكفر لحصل جئت أو لم تجيء. وإذا كان كذلك فالكل من الله، فلا فائدة في بعثة رسل إلى الأمم والجواب عن هذا أنهم لما قالوا: إن الكل من الله فكانت بعثة الرسل عبثاً كان هذا اعتراضاً على الله تعالى، وهو جار مجرى طلب العلة في أحكام الله، وفي أفعاله وهو باطل لأن الله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فلا اعتراض لأحد عليه في أحكامه وأفعاله، ولا يجوز لأحد أن يقول له لم فعلت هذا، ولم لم تفعل هذا وكان في حكم الله وسنته في عباده إرسال الرسل إليهم ليأمروهم بعبادة الله تعالى، وينهوهم عن عبادة غيره وأن الهداية والإضلال إليه فمن هداه فهو المهتدي، ومن أضله فهو الضال وهذه سنة الله في عباده أنه يأمر الكل بالإيمان به وينهاهم عن الكفر.

وقيل: معناه إن وفاتهم تقع طيبة سهلة. ﴿ **يقولون** ﴾ يعني: الملائكة لهم، ﴿ **سلام عليكم** ﴾، وقيل: معناه يبلغونهم سلام الله، ﴿ **ادخلوا الجنّة بما كنتم تعملون** ﴾.

قوله: ﴿ **هلْ ينظرون إلا أنْ تأتيهمُ الملائكة** ﴾، لقبض أرواحهم، ﴿ **أو يأتيَ أمرُ ربِّك** ﴾، يعني: يوم القيامة، وقيل: العذاب. ﴿ **كذلك فعل الذين من قبلهم** ﴾، أي: كفروا كما كفر الذين من قبلهم، ﴿ **وما ظلمهم الله** ﴾ بتعذيبه إيّاهم، ﴿ **ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** ﴾.

﴿ **فأصابهم سيئات ما عملوا** ﴾، عقوبات كفرهم وأعمالهم الخبيثة، ﴿ **وحاق بهم** ﴾، نزل بهم، ﴿ **ما كانوا به يستهزؤون** ﴾.

ثم إنه سبحانه وتعالى يهدي من يشاء إلى الإيمان، ويضلّ من يشاء فلا اعتراض لأحد عليه. ولما كانت سنة الله قديمة ببعثة الرسل إلى الأمم الكافرة المكذبة كان قول هؤلاء لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا جهلاً منهم، لأنهم اعتقدوا أن كون الأمر كذلك يمنع من جواز بعثة الرسل وهذا الاعتقاد باطل فلا جرم استحقوا عليه الذم والوعيد. وأما قوله تعالى ﴿ولا حرمنا من دونه من شيء﴾ يعني الوصيلة والسائبة والحام. والمعنى: فلولا أن الله رضيها لنا لغير ذلك ولهدانا إلى غيره ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ يعني أن من تقدم هؤلاء من كفار مكة ومن الأمم الماضية كانوا على هذه الطريقة، وهذا الفعل الخبيث فإنكار بعثة الرسل كان قديماً في الأمم الخالية ﴿فهل على الرسل إلا البلاغ المبين﴾ يعني ليس إليهم هداية أحد إنما عليهم تبليغ ما أرسلوا به إلى من أرسلوا إليه ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً﴾ يعني كما بعثنا فيكم محمداً ﷺ ﴿أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ يعني أن الرسل كانوا يأمرونهم بأن يعبدوا الله وأن يجتنبوا عبادة الطاغوت، وهو اسم كل معبود من دون الله ﴿فمنهم﴾ يعني فمن الأمم الذين جاءتهم الرسل ﴿من هدى الله﴾ يعني هداه الله إلى الإيمان به وتصديق رسله ﴿ومنهم من حقت عليه الضلالة﴾ يعني، ومن الأمم من وجبت عليه الضلالة بالقضاء السابق في الأزل حتى مات على الكفر والضلال، وفي هذه الآية أبين دليل على أن الهادي، والمضل هو الله تعالى لأنه المتصرف في عباده فيهدي من يشاء ويضل من يشاء لا اعتراض لأحد عليه بما حكم به في سابق علمه ﴿فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ يعني فسيروا في الأرض معتبرين متفكرين لتعرفوا مآل من كذب الرسل، وهو خراب منازلهم بالعذاب والهلاك، ولتعرفوا أن العذاب نازل بكم إن أصررتم على الكفر والتكذيب كما نزل بهم. قوله سبحانه وتعالى ﴿إن تحرص على هداهم﴾ الخطاب للنبي ﷺ يعني إن تحرص يا محمد على هدى هؤلاء، وإيمانهم وتجتهد كل الاجتهاد ﴿فإن الله لا يهدي من يضل﴾ قرئ بفتح الياء وكسر الدال يعني لا يهدي الله من أضله، وقيل: معناه لا يهتدي من أضله الله وقرئ بضم الياء، وفتح الدال ومعناه من أضله الله فلا هادي له ﴿وما لهم من ناصرين﴾ أي مانعين يمنعونهم من العذاب ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ قال ابن الجوزي: سبب نزولها أن رجلاً من المسلمين كان له على رجل من المشركين دين فأتاه يتقاضاه فكان فيما تكلم به المسلم: والذي أرجوه بعد الموت. فقال المشرك: إنك لتزعم أنك تبعث بعد الموت، وأقسم بالله لا يبعث الله من يموت فنزلت هذه الآية قاله أبو العالية. وتقرير الشبهة التي حصلت للمشركين في إنكار البعث بعد الموت أن الإنسان ليس هو، إلا هذه البنية المخصوصة، فإذا مات وتفرقت أجزاؤه وبلى امتنع عوده بعينه لأن الشيء إذا عدم فقد فني، ولم يبق له ذات ولا حقيقة بعد فنائه وعدمه، فهذا هو أصل شبهتهم ومعتقدهم في إنكار البعث بعد الموت، فذلك قوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم ﴿لا يبعث الله من يموت﴾ فرد الله عليهم ذلك، وكذبهم في قولهم فقال تعالى

﴿ وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء ﴾، يعني في البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، فلولا أن الله رضيها لنا لغيّر ذلك لنا وهدانا إلى غيرها، ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلّا البلاغ المبين ﴾، أي: ليس إليهم الهداية إنما إليهم التبليغ.

﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً ﴾ أي: كما بعثنا فيكم، ﴿ أنِ اعبدُوا الله واجتنبوا الطاغوتَ ﴾، وهو معبود من دون الله، ﴿ فمنهم مَن هدى الله ﴾، أي: هداه الله إلى دينه، ﴿ ومنهم مَن حقّت عليه الضلالة ﴾ أي: وجبت بالقضاء السابق حتى مات على كفره، ﴿ فسيروا في الأرض فانظُروا كيفَ كان عاقبة المكذبين ﴾، أي: مآل أمرهم وهو خراب منازلهم بالعذاب والهلاك.

﴿ إنْ تَحرصْ على هُداهم ﴾، يا محمد، ﴿ فَإن الله لا يهدي مَن يُضِلُّ ﴾، قرأ أهل الكوفة ﴿ يهدي ﴾ بفتح الياء وكسر الدال أي: لا يهدي الله مَن أضلّه. وقيل: معناه لا يهتدي مَن أضلّه الله، وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح

﴿بلى﴾ يعني بلى يبعثهم بعد الموت لأن لفظة بلى إثبات لما بعد النفي. والجواب عن شبهتهم أن الله سبحانه وتعالى، خلق الإنسان وأوجده من العدم ولم يك شيئاً فالذي أوجده بقدرته ثم أعدمه قادر على إيجاده بعد إعدامه لأن النشأة الثانية أهون من الأولى ﴿وعداً عليه حقاً﴾ يعني أن الذي وعد به من البعث بعد الموت وعد حق لا خلف فيه ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ يعني لا يفهمون كيف يكون ذلك العود والله سبحانه وتعالى، قادر على كل شيء.

لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾

﴿ليبين لهم الذي يختلفون فيه﴾ يعني من أمر البعث ويظهر لهم الحق الذي لا خلق فيه ﴿وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين﴾ يعني في قولهم لابعث بعد الموت ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ يعني أن الله سبحانه وتعالى قادر إذا أراد أن يحيي الموتى، ويبعثهم للحساب والجزاء فلا تعب عليه في إحيائهم وبعثهم إنما يقول لشيء أراده كن فيكون على ما أراد لأنه القادر الذي لا يعجزه شيء أراده (خ) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تبارك وتعالى يشتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني ويكذبني، وما ينبغي له أن يكذبني أما شتمه إياي فيقول إن لي ولداً، وأما تكذيبه إياي فقوله ليس يعيدني كما بدأني» وفي رواية «كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني، ولم يكن له ذلك أما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون من إعادته وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد» وقوله تعالى ﴿والذين

الدال يعني مَن أضلّه الله فلا هادي له كما قال: ﴿ مَن يضللِ اللَّهُ فلا هادي له ﴾ [الأعراف: ١٨٦]، ﴿ وما لهم من ناصرين ﴾ أي: مانعين من العذاب.

قوله تعالى: ﴿ وأقسموا بالله جَهْدَ أيمانهم لا يبعث الله مَن يموت ﴾، وهم منكرُو البعث قال الله تعالى رَدّاً عليهم: ﴿ بل وعداً عليه حقاً ولكنّ أكثرَ الناسِ لا يعلمون ﴾.

﴿ ليبيّن لهم الّذي يختلفون ﴾ أي: ليظهر لهم الحق فيما يختلفون، ﴿ فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين ﴾.

﴿ إنّما قولُنا لشيء إذا أردناه أن نقولَ له كنْ فيكون ﴾، يقول الله تعالى: إذا أردنا أن نبعث الموتى فلا تعب علينا في إحيائهم ولا في شيء مما يحدث إنما نقول له: كن فيكون. أخبرنا حسّان بن سعيد المنيعي أنا أبو طاهر

هاجروا في الله من بعد ما ظلموا﴾ يعني أوذوا وعذبوا نزلت في بلال وصهيب وخباب وعابس وجبير وأبي جندل بن سهيل، أخذهم المشركون بمكة فجعلوا يعذبونهم ليرجعوا عن الإسلام إلى الكفر، وهم المستضعفون. فأما بلال فكان أصحابه يخرجونه إلى بطحاء مكة في شدة الحر ويشدونه، ويجعلون على صدره الحجارة وهو يقول أحد أحد فاشتراه منهم أبو بكر الصديق وأعتقه واشترى معه ستة نفر آخرين، وأما صهيب فقال لهم إني رجل كبير إن كنت معكم فلن أنفعكم وإن كنت عليكم فلا أضركم فاشترى نفسه بماله فباعوه منه فمر به أبو بكر الصديق. فقال: يا صهيب ربح البيع. وأما باقيهم فأعطوهم بعض ما يريدون، فخلوا عنهم. وقال قتادة: هم أصحاب رسول الله ﷺ ظلمهم أهل مكة فأخرجوهم من ديارهم حتى لحق طائفة بالحبشة ثم بوأهم الله المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة، فهاجروا إليها وجعل لهم أنصاراً من المؤمنين فآووهم ونصروهم وواسوهم، وهذه الآية تدل على فضل المهاجرين، وفضل الهجرة وفيه دليل على أن الهجرة إذا لم تكن لله خالصة لم يكن لها موقع، وكانت بمنزلة الانتقال من بلد إلى آخر ومنه حديث «الأعمال بالنيات» وفيه «فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه» الحديث أخرجاه في الصحيحين من رواية عمر بن الخطاب وقوله تعالى ﴿لنبوأنهم في الدنيا حسنة﴾ يعني لنبوأنهم تبوئة حسنة وهو أنه تعالى أنزلهم المدينة، وجعلها لهم دار هجرة والمعنى لنبوأنهم في الدنيا داراً حسنة أو بلدة حسنة، وهي المدينة روي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان إذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاء يقول له: خذ هذا بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادخر لك في الآخرة أفضل، ثم يقول هذه الآية. وقيل: معناه ليحسنن إليهم في الدنيا بأن يفتح لهم مكة، ويمكنهم من أهلها الذين ظلموهم وأخرجوهم منها ثم ينصرهم على العرب قاطبة، وعلى أهل المشرق والمغرب وقيل المراد بالحسنة في الدنيا التوفيق والهداية في الدين ﴿ولأجر الآخرة أكبر﴾ يعني أعظم وأفضل وأشرف مما أعطاهم في الدنيا ﴿لو كانوا يعلمون﴾ قيل: الضمير يرجع إلى الكفار لأن المؤمنين يعلمون ما لهم في الآخرة، والمعنى لو كان هؤلاء الكفار يعلمون أن أجر الآخرة أكبر مما هم فيه من نعيم الدنيا لرغبوا فيه، وقيل: إنه راجع إلى المهاجرين والمعنى لو كانوا يعلمون ما أعد الله لهم في الآخرة، لزادوا في الجد والاجتهاد والصبر على ما أصابهم من أذى الماكرين ﴿الذين صبروا﴾ يعني في الله على ما نالهم، وبذل الأنفس والأموال في سبيل الله ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ يعني في أمورهم كلها قال بعضهم ذكر الله الصبر والتوكل في هذه الآية، وهما مبدأ السلوك إلى الله تعالى ومنتهاه أما الصبر فهو قهر النفس وحبسها على أعمال البر وسائر الطاعات، واحتمال الأذى من الخلق والصبر عن الشهوات المباحات

محمد بن محمد بن محمش الزيادي أنا أبو محمد بن الحسين القطّان ثنا أحمد بن يوسف السلمي ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن همّام بن منبّه ثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني عبدي ولم يكن له ذلك، فأمّا تكذيبه إيّاي أن يقول لن يعيدنا كما بدأنا، وأما شتمه إيّاي أن يقول اتخذ الله ولداً، وأنا الصمد لم ألدْ ولم أُولدْ ولم يكن لي كفواً أحد».

قوله تعالى: ﴿ والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا ﴾، عذبوا وأُوذوا في الله، نزلت في بلال وصُهيب وخبّاب وعمّار وعابس وجبير وأبي جندل بن سهل أخذهم المشركون بمكة فعذبوهم. وقال قتادة: هم أصحاب النبي ﷺ ظلمهم أهل مكة وأخرجوهم من ديارهم حتى لحق منهم طائفة بالحبشة ثم بوّأ الله لهم المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دارَ هجرة، وجعل لهم أنصاراً من المؤمنين. ﴿ لنبوئنّهم في الدنيا حسنة ﴾، وهو أنه أنزلهم المدينة. رُوِيَ عن عمر بن الخطاب كان إذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاء يقول خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادّخر لك في الآخرة أفضل، ثم تلا هذه الآية. وقيل: معناه لنحسننّ إليهم في الدنيا. وقيل: الحسنة

والمحرمات والصبر على المصائب، وأما التوكل فالانقطاع عن الخلق بالكلية والتوجه إلى الحق تعالى بالكلية فالأول هو مبدأ السلوك إلى الله تعالى، والثاني هو آخر الطريق ومنتهاه ﴿**وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم**﴾ نزلت هذه الآية جواباً لمشركي مكة حيث أنكروا نبوة محمد ﷺ وقالوا الله أعظم وأجل من أن يكون رسوله بشراً فهلا بعث ملكاً إلينا فأجابهم الله عز وجل بقوله: وما أرسلنا من قبلك يا محمد إلا رجالاً يعني مثلك نوحي إليهم والمعنى أن عادة الله عز وجل جارية من أول مبدأ الخلق أنه لم يبعث إلا رسولاً من البشر فهذه عادة مستمرة، وسنة جارية قديمة ﴿**فاسألوا أهل الذكر**﴾ يعني أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى، وإنما أمرهم الله بسؤال أهل الكتاب لأن كفار مكة كانوا يعتقدون أن أهل الكتاب أهل علم، وقد أرسل الله إليهم رسلاً منهم مثل موسى وعيسى وغيرهم من الرسل، وكانوا بشراً مثلهم فإذا سألوهم فلا بد، وأن يخبروهم بأن الرسل الذين أرسلوا إليهم كانوا بشراً، فإذا أخبروهم بذلك زالت الشبهة عن قلوبهم ﴿**إن كنتم لا تعلمون**﴾ الخطاب لأهل مكة يعني إن كنتم يا هؤلاء لا تعلمون ذلك ﴿**بالبينات والزبر**﴾ اختلفوا في المعنى الجالب لهذه الباء فقيل المعنى، وما أرسلنا من قبلك بالبيّنات والزبر إلا رجالاً يوحى إليهم أرسلناهم بالبينات والزبر، وقيل الذكر بمعنى العلم في قوله فاسألوا أهل الذكر يعني أهل العلم والمعنى فاسئلوا أهل الذكر الذي هو العلم بالبينات والزبر إن كنتم لا تعلمون أنتم ذلك. والبينات والزبر اسم جامع لكل ما يتكامل به أمر الرسالة، لأن مدار أمر الرسول على المعجزات الداله على صدقه، وهي بالبينات وعلى بيان الشرائع والتكاليف، وهي المراد بالزبر يعني الكتب المنزلة على الرسل من الله عز وجل ﴿**وأنزلنا إليك الذكر**﴾ الخطاب للنبي ﷺ يعني: وأنزلنا عليك يا محمد الذكر الذي هو القرآن وإنما سماه ذكراً لأن فيه مواعظ، وتنبيهاً للغافلين ﴿**لتبين للناس ما نزل إليهم**﴾ يعني ما أجمل إليك من أحكام القرآن، وبيان الكتاب يطلب من السنة والمبين لذلك المجمل هو الرسول ﷺ ولهذا قال بعضهم: متى وقع تعارض بين القرآن والحديث وجب تقديم الحديث لأن القرآن مجمل، والحديث مبين بدلالة هذه الآية والمبين مقدم على المجمل وقال بعضهم القرآن منه محكم، ومنه متشابه فالمحكم يجب أن يكون مبيناً والمتشابه هو المجمل ويطلب بيانه من السنة فقوله تعالى: لتبين للناس ما نزل إليهم محمول على ما أجمل فيه دون المحكم البين المفسر ﴿**ولعلهم يتفكرون**﴾ يعني فيما أنزل إليهم فيعملوا به ﴿**أفأمن الذين مكروا السيئات**﴾ فيه حذف تقديره المنكرات السيئات وهم كفار قريش مكروا برسول الله ﷺ وبأصحابه، وبالغوا في أذيتهم والمكر عبارة عن السعي بالفساد على سبيل الإخفاء، وقيل: المراد بهذا المكر اشتغالهم بعبادة غير الله فيكون مكرهم على أنفسهم

في الدنيا التوفيق والهداية. ﴿ **ولأجْرُ الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون** ﴾. وقوله: ﴿ **لو كانوا يعلمون** ﴾، ينصرف إلى المشركين لأن المؤمنين كانوا يعلمونه.

﴿ **الذين صبروا** ﴾، في الله على ما نالهم، ﴿ **وعلى ربهم يتوكلون** ﴾.

﴿ **وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم** ﴾، نزلت في مشركي مكة حيث أنكروا نبوّة محمد ﷺ، وقالوا الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً فهلّا بعث إلينا ملكاً، ﴿ **فاسئلوا أهلَ الذكر** ﴾، يعني مؤمني أهل الكتاب، ﴿ **إن كنتم لا تعلمون** ﴾.

﴿ **بالبينات والزُّبُرِ** ﴾، واختلفوا في الجالب للباء في قوله: ﴿ **بالبينات** ﴾ قيل: هي راجعة إلى قوله: ﴿ **وما أرسلنا** ﴾، وإلّا بمعنى غير مجاز، وما أرسلنا من قبلك بالبيّنات والزبر غير رجال يُوحى إليهم ولم نبعث ملائكة. وقيل: تأويله وما أرسلنا من قبلك إلّا رجالاً يُوحى إليهم أرسلناهم بالبينات والزُّبر. ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبيّن للناس ما نُزّل إليهم** ﴾، أراد بالذكر الوحي وكان النبي ﷺ مبيّناً للوحي وبيان الكتاب يطلب من السُّنّة، ﴿ **ولعلّهم يتفكّرون** ﴾.

والصحيح أن المراد بهذا المكر السعي في أذى رسول الله ﷺ والمؤمنين. وقيل: المراد بالذين مكروا السيئات نمروذ، ومن هو مثله والصحيح أن المراد بهم كفار مكة ﴿أن يخسف الله بهم الأرض﴾ يعني كما خسف بقرون من قبلهم ﴿أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ يعني أن العذاب يأتيهم بغتة فيهلكهم فجأة كما أهلك قوم لوط وغيرهم ﴿أو يأخذهم في تقلبهم﴾ يعني في تصرفهم في الأسفار فإنه سبحانه وتعالى، قادر على إهلاكهم في السفر كما هو قادر على إهلاكهم في الحضر، وقال ابن عباس يأخذهم في اختلافهم. وقال ابن جريج: في إقبالهم وإدبارهم يعني أنه تعالى قادر على أن يأخذهم في ليلهم ونهارهم، وفي جميع أحوالهم ﴿فما هم بمعجزين﴾ يعني بسابقين الله أو يفوتونه بل هو قادر عليهم ﴿أو يأخذهم على تخوف﴾ قال ابن عباس ومجاهد: يعني على تنقص. قال ابن قتيبة: التخوف التنقص ومثله التخون. يقال تخوفه الدهر وتخونه إذا انتقصه وأخذ ماله وحشمه، ويقال: هذه لغة هذيل فعلى هذا القول يكون المراد به أنه ينقص من أطرافهم ونواحيهم الشيء بعد الشيء حتى يهلك جميعهم وقيل هو على أصله من الخوف فيحتمل أنه سبحانه وتعالى لا يأخذهم بالعذاب أولاً، بل يخوفهم ثم يعذبهم بعد ذلك وقال الضحكاك والكلبي: هو من الخوف يعني يهلك طائفة فيتخوف الآخرون أن يصيبهم مثل ما أصابهم، فيحتمل أنه سبحانه وتعالى خوفهم بخسف يحصل في الأرض أو بعذاب ينزل من السماء، أو بآفات تحدث دفعة أو بآفات، تحدث قليلاً قليلاً إلى أن يأتي الهلاك على آخرهم ثم إنه سبحانه وتعالى، ختم الآية بقوله ﴿فإن ربكم لرؤوف رحيم﴾ يعني أنه سبحانه وتعالى، لا يعجل بالعقوبة والعذاب. قوله سبحانه وتعالى ﴿أولم يروا﴾ قرىء بالتاء على خطاب الحاضرين وبالياء على الغيبة ﴿إلى ما خلق الله من شيء﴾ يعني من جسم قائم له ظل، وهذه الرؤية لما كانت بمعنى النظر وصلت بإلى لأن المراد منها الاعتبار، والاعتبار لا يكون إلا بنفس الرؤية، التي يكون معها نظر إلى الشيء ليتأمل أحواله، ويتفكر فيه فيعتبر به ﴿يتفيئو ظلاله﴾ يعني تميل وتدور من جانب إلى جانب فهي من أول النهار على حال ثم تقلص ثم تعود في آخر النهار إلى حالة أخرى ويقال للظل بالعشي فيء، لأنه من فاء يفيء إذا رجع من المغرب إلى المشرق، والفيء الرجوع قال الأزهري تفيؤ الظلال رجوعها بعد انتصاف النهار فالتفيؤ لا يكون إلا بالعشي وما انصرفت عنه الشمس، والظل يكون بالغداة، وهو ما لم تنله الشمس وقوله ظلاله جمع ظل وإنما أضاف الظلال، وهو جمع مفرد وهو قوله: من شيء لأنه يراد به الكثرة ومعناه الإضافة إلى ذوي الظلال ﴿عن اليمين والشمائل﴾ قال العلماء: إذا طلعت الشمس من المشرق وأنت متوجه إلى القبلة كان ظلك عن يمينك فإذا ارتفعت الشمس واستوت في وسط السماء كان ظلك

﴿ أفأمِنَ الذين مكروا ﴾، عملوا ﴿ السيئات ﴾، من قبل يعني نمروذ بن كنعان وغيره من الكفّار، ﴿ أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾.

﴿ أو يأخذهم ﴾، بالعذاب، ﴿ في تقلّبهم ﴾، تصرفهم في الأسفار. وقال ابن عباس: في اختلافهم. وقال ابن جريج: في إقبالهم وإدبارهم، ﴿ فما هم بمعجزين ﴾، السابقين الله.

﴿ أو يأخذهم على تخوّف ﴾، والتخوّف: النقص، أي: ينقص من أطرافهم ونواحيهم شيئاً بعد شيء حتى يهلك جميعهم، يقال: تخوفه الدهر وتخونه إذا نقصه وأخذ ماله وحشمه، ويقال: هذا لغة بني هزيل. وقال الضحاك والكلبي: هو من الخوف، أي: أن يعذب طائفة ليتخوّف الآخرون أن يصيبهم مثل ما أصابهم. ﴿ فإنّ ربكم لرؤوف رحيم ﴾، حين لم يعجّل بالعقوبة.

قوله: ﴿ أوَ لم يروا إلى ما خلق الله من شيء ﴾، قرأ حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب وكذلك في سورة العنكبوت [١٩ و٦٧]، والآخرون بالياء خبراً عن الذين مكروا السيئات إلى ما خلق الله من شيء من جسم قائم له ظل، ﴿ يتفيّؤا ﴾، قرأ أبو عمر ويعقوب بالتاء والآخرون بالياء. ﴿ ظلالَه ﴾، أي تميل وتدور من جانب إلى جانب

خلفك فإذا مالت الشمس إلى الغروب كان ظلك عن يسارك. وقال الضحاك أما اليمين فأول النهار وأما الشمال فآخر النهار وإنما وحد اليمين وإن كان المراد به الجمع للإيجاز والاختصار في اللفظ وقيل اليمين راجع إلى لفظ الشيء وهو واحد والشمائل راجع إلى المعنى لأن لفظ الشيء يراد به الجمع ﴿سجداً لله﴾ في معنى هذا السجود قولان: أحدهما أن المراد به الاستسلام والانقياد والخضوع. يقال سجد البعير إذا طأطأ رأسه ليركب، وسجدت النخلة إذا مالت لكثرة الحمل والمعنى أن جميع الأشياء التي لها ظلال فهي منقادة لله تعالى مستسلمة لأمره غير ممتنعة عليه، فيما سخرها له من التفيؤ وغيره وقال مجاهد: إذا زالت الشمس سجد كل شيء لله، والقول الثاني في معنى هذا السجود أن الظلال واقعة على الأرض، ملتصقة بها كالساجد على الأرض فلما كانت الظلال يشبه شكلها الساجدين أطلق الله عليها هذا اللفظ وقيل ظل كل شيء ساجد لله سواء كان ذلك الشيء يسجد لله أو لا ويقال إن ظل الكافر ساجد لله وهو غير ساجد لله، ﴿وهم داخرون﴾ أي صاغرون أذلاء والداخر الصاغر الذي يفعل ما تأمره به شاء أم أبى وذلك أن جميع الأشياء منقادة لأمر الله تعالى. فإن قلت الظلال ليست من العقلاء فكيف عبر عنا بلفظ من يعقل وجمعها بالواو والنون. قلت: لما وصفها الله سبحانه وتعالى بالطاعة والانقياد لأمره، وذلك صفة من يعقل عبر عنها بلفظ من يعقل، وجاز جمعها بالواو والنون، وهو جمع العقلاء قوله عز وجل ﴿ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة﴾ قال العلماء: السجود على نوعين سجود طاعة، وعبادة كسجود المسلم لله عز وجل، وسجود انقياد وخضوع كسجود الظلال فقوله: ولله يسجد ما في السموات، وما في الأرض من دابة يحتمل النوعين لأن سجود كل شيء بحسبه فسجود المسلمين، والملائكة لله سجود عبادة وطاعة وسجود غيرهم سجود انقياد، وخضوع وأتى بلفظ ما في قوله ما في السموات وما في الأرض للتغليب لأن ما لا يعقل أكثر ممن يعقل في العدد، والحكم للأغلب كتغليب المذكر على المؤنث، ولأنه لو أتى بمن التي هي للعقلاء لم يكن فيها دلالة على التغليب بل كانت متناولة للعقلاء خاصة فأتى بلفظة

فهي في أول النهار على حال ثم تتقلص ثم تعود في آخر النهار إلى حال أخرى سجّداً لله، فميلانها ودورانها سجودها لله عزّ وجلّ. ويقال للظل بالعشي: فيء لأنه فاء أي رجع من المغرب إلى المشرق، فالفيء الرجوع، والسجود الميل. يقال: سجدت النخلة إذا مالت. قوله عزّ وجلّ: ﴿ عن اليمين والشمائل سُجّداً لله ﴾، قال قتادة والضحاك: أما اليمين فأول النهار والشمال آخر النهار، تسجد الظلال لله. وقال الكلبي: الظل قبل طلوع الشمس عن يمينك وعن شمالك وقدّامك وخلفك، وكذلك إذا غابت فإذا طلعت كان من قدّامك وإذا ارتفعت كان عن يمينك، ثم بعده كان خلفك فإذا كان قبل أن تغرب الشمس كان عن يسارك، فهذا تفيؤه وتقلبه وهو سجوده. وقال مجاهد: إذا زالت الشمس سجد كل شيء لله. وقيل: المراد من الظلال سجود الأشخاص فإن قيل لِمَ وحّد اليمين وجمع الشمائل؟ قيل: من شأن العرب في اجتماع العلامتين الاكتفاء بواحدة، كقوله تعالى: ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ﴾ [البقرة: ٧]، وقوله: ﴿ يخرجهم من الظلمات إلى النور ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقيل: اليمين يرجع إلى قوله: ﴿ ماخلق الله ﴾ ولفظ ﴿ ما ﴾ واحد والشمائل جمع يرجع إلى المعنى. ﴿ وهم داخِرُون ﴾، صاغرون.

﴿ ولله يسجد ما في السمٰوات وما في الأرض ﴾، إنما أخبر بما لغلبة ما لا يعقل على من يعقل في العدد، والحكم للأغلب كتغليب المذكّر على المؤنث، ﴿ من دابّة ﴾، أراد من كل حيوان يدبّ. ويقال: السجود الطاعة والأشياء كلها مطيعة لله عزّ وجلّ مِن حيوان وجماد، قال الله تعالى: ﴿ قالتا أتينا طائعين ﴾ [فصّلت: ١١]، وقيل: سجود الأشياء تذلّلها وتسخّرها لما أُريدت له وسُخّرت له. وقيل: سجود الجمادات وما لا يعقل ظهور أثر الصنع فيه

ما ليشمل الكل، ولفظة الدابة مشتقة من الدبيب وهو عبارة عن الحركة الجسمانية، فالدابة اسم يقع على كل حيوان جسماني يتحرك ويدب فيدخل فيه الإنسان، لأنه مما يدب على الأرض، ولهذا أفرد الملائكة في قوله ﴿والملائكة﴾ لأنهم أولو أجنحة يطيرون بها أو أفردهم بالذكر، وإن كانوا من جملة من في السموات لشرفهم. وقيل: أراد ولله يسجد ما في السموات من الملائكة، وما في الأرض من دابة فسجود الملائكة والمسلمين للطاعة، وسجود غيرهم تذليلها وتسخيرها لما خلقت له وسجود ما لا يعقل، وسجود الجمادات يدل على قدرة الصانع سبحانه وتعالى، فيدعو الغافلين إلى السجود لله عند التأمل والتدبر ﴿وهم لا يستكبرون﴾ يعني الملائكة ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ وكقوله «وهو القاهر فوق عباده» وقد تقدم تفسيره ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ عن أبي ذر قال رسول الله ﷺ: «إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا، وملك واضع جبهته ساجداً والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى» قال أبو ذر: لوددت أني كنت شجرة تعضد أخرجه الترمذي وقال عن أبي ذر موقوفاً.

فصل

وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن، فيسن للقارىء والمستمع أن يسجد عند قراءتها وسماعها. قوله سبحانه وتعالى:

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ
ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا
كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجۡعَلُونَ
لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا
يَشۡتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ

على معنى أنه يدعو الغافلين إلى السجود عند التأمّل والتدبّر فيه، قال الله تعالى: ﴿ سنُريهم آياتِنا في الآفاق ﴾ [فصّلت: ٥٣]. ﴿ والملائكةُ ﴾، خصّ الملائكة بالذكر مع كونهم من جملة ما في السمٰوات والأرض تشريفاً ورفعاً لشأنهم. وقيل: لخروجهم من الموصوفين بالدبيب إذ لهم أجنحة يطيرون بها. وقيل: أراد ولله يسجد ما في السمٰوات من الملائكة وما في الأرض من دابّة، وتسجد الملائكة. ﴿ وهم لا يستكبرون ﴾.

﴿ يخافون ربَّهم من فوقهم ﴾، كقوله: ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ [الأنعام: ١٨ و٦١]. ﴿ ويفعلون ما يُؤمرون ﴾، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا محمد بن سمعان ثنا أبو بكر محمد بن إبراهيم الشعراني ثنا محمد بن يحيىٰ الذهلي ثنا عبيد الله بن موسى العبسي ثنا إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن مورق عن أبي ذرّ قال: قال رسول الله ﷺ: «إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطّتِ السماء وحقّ لها أن تئط والذي نفسي بيده ما فيها موضع أربع أصابع إلّا وفيه ملك يُمجِّد الله ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وما تلذذتم بالنساء على الفرشات، ولصعدتم إلى الصعدات تجارون»، قال أبو ذر يا ليتني كنت شجرة تعضد. رواه أبو عيسى عن أحمد بن منيع عن أبي أحمد الزبيري عن إسرائيل وقال: «إلّا وملك واضع جبهته ساجداً لله».

أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾

﴿**وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين**﴾ لما أخبر الله عز وجل في الآية المتقدمة أن كل ما في السموات والأرض خاضعون لله، منقادون لأمره عابدون له، وأنهم في ملكه وتحت قدرته، وقبضته نهى في هذه الآية عن الشرك، وعن اتخاذ إلهين اثنين فقال «وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين» قال الزجاج: ذكر الاثنين توكيداً لقوله إلهين وقال صاحب النظم: فيه تقديم وتأخير تقديره، لا تتخذوا اثنين إلهين يعني أن الاثنين لا يكون كل واحد منهما إلهاً، ولكن اتخذوا إلهاً واحداً، وهو قوله تبارك وتعالى ﴿**إنما هو إله واحد**﴾ لأن الإلهين لا يكونان إلا متساويين في الوجود والقدم وصفات الكمال والقدرة والإرادة، فصارت الاثنينية منافية للإلهية، وذلك قوله تعالى إنما هو إله واحد يعني لا يجوز أن يكون في الوجود إلهان اثنان إنما هو إله واحد ﴿**فإياي فارهبون**﴾ يعني فخافون والرهب مخافة مع حزن، واضطراب وإنما نقل الكلام من الغيبة إلى الحضور، وهو من طريق الالتفات لأنه أبلغ في الترهيب من قوله، فإياه فارهبوا فهو من بديع الكلام وبليغه وقوله فإياي فارهبون يفيد الحصر، وهو أن لا يرهب الخلق إلا منه ولا يرغبون إلا إليه وإلى كرمه وفضله وإحسانه ﴿**وله ما في السموات والأرض**﴾ لما ثبت بالدليل الصحيح والبرهان الواضح أن إله العالم لا شريك له في الإلهية، وجب أن يكون جميع المخلوقات عبيداً له وفي ملكه وتصرفه، وتحت قدرته فذلك قوله تعالى وله ما في السموات والأرض يعني، عبيداً وملكاً ﴿**وله الدين واصباً**﴾ يعني وله العبادة والطاعة وإخلاص العمل دائماً ثابتاً والواصب: الدائم. قال ابن قتيبة: ليس من أحد يدان له ويطاع إلا انقطع ذلك لسبب في حال الحياة أو بالموت، إلا الحق سبحانه وتعالى فإن طاعته واجبة أبداً، ولأنه المنعم على عباده المالك لهم فكانت طاعته واجبة دائماً أبداً ﴿**أفغير الله تتقون**﴾ يعني أنكم عرفتم أن الله واحد لا شريك له في ملكه، وعرفتم أن كل ما سواه محتاج إليه فبعد هذه المعرفة كيف تخافون غيره، وتتقون سواه فهو استفهام بمعنى التعجب وقيل هو استفهام على طريق الانكار قوله عز وجل ﴿**وما بكم من نعمة فمن الله**﴾ يعني من نعمة الإسلام، وصحة الأبدان وسعة الأرزاق، وكل ما أعطاكم من مال أو ولد فكل ذلك من الله تعالى، إنما هو المتفضل به على عباده فيجب عليكم شكره على جميع إنعامه. ولما بين في الآية المتقدمة أنه يجب على جميع العباد أن لا يخافوا إلا الله تعالى بين في هذه الآية أن جميع النعم منه لا يشكر عليها إلا إياه، لأنه هو المتفضل بها على عباده فيجب عليهم شكره عليها ﴿**ثم إذا مسّكم الضر**﴾ أي الشدة والأمراض والأسقام ﴿**فإليه تجأرون**﴾ يعني إليه تستغيثون، وتصيحون وتضجون بالدعاء ليكشف عنكم ما نزل بكم من الضرر والشدة وأصل الجؤار هو رفع الصوت الشديد، ومنه جؤار البقر. والمعنى أن النعم لما كانت كلها ابتداء منه فإن حصل شدة، وضر في بعض الأوقات فلا يلجأ إلا إليه ولا يدعي إلا إياه ليكشفها، فإنه هو القادر على كشفها وهو قوله تعالى ﴿**ثم إذا كشف الضر عنكم**﴾ يعني ثم إذا أزال الشدة، والبلاء عنكم ﴿**إذا فريق منكم**﴾ يعني طائفة وجماعة

قوله تعالى: ﴿ **وقال الله لا تتخذوا إلٰهين اثنين إنّما هو إلٰه واحد فإيّاي فارهبون** ﴾.

﴿ **وله ما في السمٰوات والأرض وله الدين** ﴾، الطاعة والإخلاص ﴿ **واصباً** ﴾، دائماً ثابتاً، معناه: ليس من أحد يدان له ويطاع إلّا انقطع ذلك عنه بزوال أو هلاك غير الله عزّ وجلّ فإن الطاعة تدوم له ولا تنقطع. ﴿ **أفغير الله تتّقون** ﴾، أي: تخافون، استفهام على طريق الإنكار.

قوله تعالى: ﴿ **وما بكم من نعمة فمن الله** ﴾، أي: وما يكن بكم من نعمة فمن الله، ﴿ **ثم إذا مسّكم الضرّ** ﴾، القحط والمرض، ﴿ **فإليه تجأرون** ﴾، تضجّون وتصيحون بالدعاء والاستغاثة.

منكم ﴿بربهم يشركون﴾ يعني أنهم يضيفون كشف الضر إلى العوائد، والأسباب ولا يضيفونه إلى الله عز وجل فهذا من جملة شركهم الذي كانوا عليه، وإنما قسمهم فريقين لأن فريق المؤمنين لا يرون كشف الضر إلا من الله تعالى ثم قال تعالى ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ قيل: إن هذه اللام لام كي ويكون المعنى على هذا أنهم إنما أشركوا بالله ليجحدوا نعمه عليهم في كشف الضر عنهم وقيل: إنها لام العاقبة والمعنى عاقبة أمرهم، هو كفرهم بما آتيناهم من النعماء وكشفنا عنهم الضر والبلاء ﴿فتمتعوا﴾ لفظه أمر والمراد منه التهديد والوعيد. يعني: فعيشوا في اللذة التي أنتم فيها إلى المدة التي ضربها الله لكم ﴿فسوف تعلمون﴾ يعني عاقبة أمركم إلى ماذا تصير، وهو نزول العذاب بكم. قوله سبحانه وتعالى ﴿ويجعلون لمن لا يعلمون نصيباً﴾ قيل الضمير في قوله: لما لا يعلمون عائد إلى المشركين يعني أن المشركين لا يعلمون. وقيل: إنه عائد إلى الأصنام يعني أن الأصنام لا تعلم شيئاً البتة لأنها جماد والجماد لا علم له، ومنهم من رجح القول الأول لأن نفي العلم عن الحي حقيقة، وعن الجماد مجاز فكان عود الضمير إلى المشركين أولى، ولأنه قال لما لا يعلمون فجمعهم بالواو والنون، وهو جمع لمن يعقل ومنهم من رجح القول الثاني. قال: لأنا إذا قلنا أنه عائد إلى المشركين احتجنا فيه إلى إضمار فيكون المعنى: ويجعلون يعني المشركين لما لا يعلمون أنه إله ولا إله حتى نصيباً وإذا قلنا إنه عائد إلى الأصنام لم نحتج إلى هذا الاضمار لأنها لا علم لها، ولا فيهم وقوله ﴿مما رزقناهم﴾ يعني أن المشركين جعلوا للأصنام نصيباً من حروثهم وأنعامهم وأموالهم التي رزقهم الله، وقد تقدم تفسيره في سورة الأنعام ﴿تالله﴾ أقسم بنفسه على نفسه أنه يسألهم يوم القيامة، وهو قوله تعالى ﴿لتسألن عما كنتم تفترون﴾ يعني عما كنتم تكذبون في الدنيا في قولكم، إن هذه الأصنام آلهة وإن لها نصيباً من أموالكم، وهذا التفات من الغيبة إلى الحضور، وهو من بديع الكلام وبليغه ﴿ويجعلون لله البنات﴾ هم خزاعة وكنانة قالوا: الملائكة بنات الله وإنما أطلقوا لفظ البنات على الملائكة لاستتارهم عن العيون كالنساء، أو لدخول لفظ التأنيث في تسميتهم ﴿سبحانه﴾ نزه الله نفسه عن الولد والبنات ﴿ولهم ما يشتهون﴾ يعني: ويجعلون لأنفسهم ما يشتهون يعني البنين ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى﴾ البشارة عبارة عن الخبر السار الذي يظهر على بشرة الوجه أثر الفرح به، ولما كان ذلك الفرح والسرور يوجبان تغير بشرة الوجه كان كذلك الحزن، والغم يظهر أثره على الوجه وهو الكمودة التي تعلو الوجه، عند حصول الحزن والغم فثبت بهذا أن البشارة لفظ مشترك بين الخبر السار والخبر المحزن، فصح قوله: وإذا بشر أحدهم بالأنثى ﴿ظل وجهه مسوداً﴾ يعني متغيراً من الغم والحزن والغيظ والكراهة التي حصلت له عند هذه البشارة، والمعنى أن هؤلاء المشركين لا يرضى بالبنت الأنثى أن تنسب إليه فكيف يرضي أن ينسبها إلى الله تعالى ففيه تبكيت لهم وتوبيخ. وقوله سبحانه وتعالى ﴿وهو كظيم﴾ يعني أنه ظل ممتلئاً غماً وحزناً ﴿يتوارى من القوم من سوء ما بُشر به﴾ يعني أنه يختفي من ذلك القول الذي بشر به، وذلك أن العرب كانوا في الجاهلية إذا قربت ولادة زوجة أحدهم، توارى من القوم إلى أن يعلم ما ولد له فإن كان ولداً ابتهج بذلك وظهر وإن كانت أنثى حزن ولم يظهر أياماً حتى يفكر ما يصنع

﴿ ثم إذا كشف الضرَّ عنكم إذا فريقٌ منكم بربهم يشركون.

﴿ ليكفروا ﴾، ليجحدوا، ﴿ بما آتيناهم ﴾، وهذه اللام تُسمى لام العاقبة، أي: حاصل أمرهم هو كفرهم بما آتيناهم أعطيناهم من النعماء وكشف الضرّاء والبلاء، ﴿ فتمتعوا ﴾، أي: عيشوا في الدنيا المدة التي ضربتها لكم، ﴿ فسوف تعلمون ﴾ عاقبة أمركم هذا وعيد لهم.

﴿ ويجعلون لما لا يعلمون ﴾، له حقاً أي: الأصنام، ﴿ نصيباً مما رزقناهم ﴾، من الأموال وهو ما جعلوا للأوثان من حروثهم وأنعامهم، فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا، ثم رجع من الخبر إلى الخطاب فقال: ﴿ تَاللَّهِ لتُسئلنّ ﴾، يوم القيامة، ﴿ عمّا كنتم تفترون ﴾، في الدنيا.

بها وهو قوله تعالى ﴿أيمسكه على هون﴾ يعني على هوان، وإنما ذكر الضمير في أيمسكه لأنه عائد إلى ما بشر به في قوله، وإذا بشر أحدهم ﴿أم يدسه في التراب﴾ يعني أم يخفي الذي بشر به في التراب والدس إخفاء الشيء في الشيء قال أهل التفسير: إن مضر وخزاعة وتميماً كانوا يدفنون البنات أحياء، والسبب في ذلك إما خوف الفقر وكثر العيال ولزوم النفقة أو الحمية فيخافون عليهن من الأسر ونحوه، أو طمع غير الأكفّاء فيهن فكان الرجل من العرب في الجاهلية، إذا ولدت له بنت أراد أن يستحييها تركها حتى إذا كبرت ألبسها جبة من صوف أو شعر، وجعلها ترعى الإبل والغنم في البادية، وإذا أراد أن يقتلها تركها حتى إذا صارت سداسية، قال لأمها: زينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها ويكون قد حفر لها حفرة في الصحراء فإذا بلغ بها تلك الحفرة قال لها: انظري إلى هذه البئر فإذا نظرت إليها دفعها من خلفها في تلك البئر، ثم يهيل التراب على رأسها وكان صعصعة عم[1] الفرزدق إذا أحس بشيء من ذلك وجه بإبل إلى والد البنت حتى يحييها بذلك فقال الفرزدق يفتخر بذلك:

وعمـــي الـــذي منـع الـــوائـــدات فـــأحيـــا الـــوئيـد فلـم يـــوأد

عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «الوائدة والمؤودة في النار» أخرجه أبو داود. وقوله تعالى ﴿ألا ساء ما يحكمون﴾ يعني بئس ما يصنعون ويقضون حيث يجعلون لله الذي خلقهم البنات، وهم يستنكفون منهن ويجعلون لأنفسهم البنين نظيره قوله سبحانه وتعالى ﴿ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذاً قسمة ضيزي﴾ وقيل: معناه ألا ساء

﴿ **ويجعلون للّهِ البناتِ** ﴾، وهم خزاعة وكنانة، قالوا: الملائكة بنات الله تعالى. ﴿ **سبحانه ولهم ما يشتهون** ﴾، أي: ويجعلون لأنفسهم البنين الذين يشتهونهم فيكون ﴿ **ما** ﴾ في محل النصب، ويجوز أن يكون على الابتـدا فيكون ﴿ **ما** ﴾ في محل الرفع.

﴿ **وإذا بُشِّر أحدُهم بالأُنثى ظلّ وجهُهُ مسودّاً** ﴾، متغيراً من الغمّ والكراهية، ﴿ **وهو كظيم** ﴾، وهو ممتلىء حزناً وغيظاً فهو يكظمه، أي: يمسكه ولا يظهره.

﴿ **يتوارى** ﴾، أي: يختفي، ﴿ **من القوم من سوء ما بُشّر به** ﴾، من الحزن والعار ثم يتفكّر ﴿ **أيُمسكه** ﴾، ذكر الكناية ردّاً على ﴿ **ما** ﴾ ﴿ **على هُونٍ** ﴾ أي: هَوانٍ، ﴿ **أم يَدُسُّه في التراب** ﴾، أي: يخفيه فيئده، وذلك أن مضر وخزاعة وتميماً كانوا يدفنون البنات أحياء خوفاً من الفقر عليهم وطمع غير الأكفّاء فيهنّ، وكان الرجل من العرب إذا ولدت له بنت وأراد أن يستحيها ألبسها جبّة من صوف أو شعر وتركها ترعى له الإبل والغنم في البادية وإذا أراد أن يقتلها تركها حتى إذا صارت سداسية قال لأمها زيّنيها حتى أذهب بها إلى أحمائها، وقد حفر لها بئر في الصحراء فإذا بلغ بها البئر قال لها انظري إلى هذه البئر فيدفعها من خلفها في البئر ثم يهيل على رأسها التراب حتى يستوي البئر بالأرض، فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ **أيمسكه على هُونٍ أم يدسّه في التراب** ﴾ وكان صعصعة عمّ الفرزدق إذا أحسَّ بشيء من ذلك وجّه إلى والد البنت إبلاً يحييها بذلك فقال الفرزدق يفتخر به:

وعمّي الـذي منع الـوائدات فـأحيا الـوئيد فلم يـوأد

﴿ **ألاَ ساءَ ما يحكمُون** ﴾، بئس ما يقضون لله البنات ولأنفسهم البنين، نظيره: ﴿ ألكم الذكر وله الأُنثى تلك إذاً قسمة ضيزى ﴾ [النجم: ٢٢]، وقيل: بئس حكمهم وأد البنات.

---

(١) قوله مصححة عم كذا بالنسخ التي بأيدينا والصواب جد وكذا قوله (وعمي الذي) الصواب وجدي الذي كما هو مقرر في كتب الأدب اهـ.

ما يحكمون في وأد البنات ﴿للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء﴾ يعني صفة السوء من احتياجاتهم إلى الولد الذكر، وكراهتهم الإناث وقتلهن خوف الفقر ﴿ولله المثل الأعلى﴾ أي الصفة العليا المقدسة، وهي أن له التوحيد وأنه المنزه عن الولد، وأنه لا إله إلا هو وأن له جميع صفات الجلال والكمال من العلم والقدرة والبقاء السرمدي، وغير ذلك من الصفات التي وصف الله بها نفسه. وقال ابن عباس: مثل السوء النار والمثل الأعلى شهادة أن لا إله إلا الله ﴿وهو العزيز﴾ أي الممتنع في كبريائه وجلاله ﴿الحكيم﴾ يعني في جميع أفعاله قوله:

وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾

﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم﴾ يعني بسبب ظلمهم فيعاجلهم بالعقوبة على ظلمهم وكفرهم وعصيانهم. فإن قلت الناس اسم جنس يشمل الكل وقد قال تعالى في آية أخرى «فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات»، فقسمهم في تلك الآية ثلاثة أقسام فجعل الظالمين قسماً واحداً من ثلاثة. قلت: قوله ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم عام مخصوص بتلك الآية الأخرى، لأن في جنس الناس الأنبياء والصالحين ومن لا يطلق عليه اسم الظلم، وقيل: أراد بالناس الكفار فقط بدليل قوله ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ وقوله ﴿ما ترك عليها﴾ يعني على الأرض كناية عن غير مذكور لأن الدابة لا تدب إلا على الأرض ﴿من دابة﴾ يعني أن الله سبحانه وتعالى، لو يؤاخذ الناس بظلمهم لأهلك جميع الدواب التي على وجه الأرض. قال قتادة: وقد فعل الله ذلك في زمن نوح عليه السلام وروي أن أبا هريرة سمع رجلاً يقول: إن الظالم لا يضر إلا نفسه، فقال: بئس ما قلت إن الحبارى تموت هزالاً بظلم الظالم. وقال ابن مسعود: إن الجعل تعذب في جحرها بذنب ابن آدم وقيل أراد بالدابة الكافر بدليل قوله: «إن شر الدواب عند

﴿ للذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾، يعني: لهؤلاء الذين يصفون لله البنات ولأنفسهم البنينَ ﴿ مَثَلُ السَّوْءِ ﴾، صفة السوء من الاحتياج إلى الولد وكراهية الإناث وقتلهنّ خوف الفقر، ﴿ ولله المثل الأعلى ﴾، الصفة العليا وهي التوحيد وأنه لا إلَه إلاّ هو. وقيل: جميع صفات الجلال والكمال من العلم والقدرة والبقاء وغيرها من الصفات. قال ابن عباس: مثل السوء النار والمثل الأعلى شهادة أن لا إلَه إلاّ الله. ﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾.

﴿ ولو يُواخذ الله الناسَ بظلمهم ﴾، فيعاجلهم بالعقوبة على كفرهم وعصيانهم، ﴿ ما ترك عليها ﴾، أي: على الأرض، كناية عن غير مذكور، ﴿ من دابّة ﴾، قال قتادة في الآية: قد فعل الله ذلك من زمن نوح فأهلك مَن على الأرض إلا مَن كان في سفينة نوح عليه السلام. رُوِيَ أن أبا هريرة سمع رجلاً يقول: إن الظالم لا يضرّ إلاّ نفسه، فقال: بئس ما قلت إن الحبارى تموت في وكرها بظلم الظالم. وقال ابن مسعود: إن الجعل لتُعذّب في جُحرها بذنب ابن آدم. وقيل: إن معنى الآية لو يؤاخذ الله آباء الظالمين بظلمهم انقطع النسل ولم توجد الأبناء فلم

الله الذين كفروا» وقيل في معنى الآية ولو يؤاخذ الله الآباء الظالمين بسبب ظلمهم لانقطع النسل، ولم توجد الأبناء فلم يبق في الأرض أحد ﴿**ولكن يؤخرهم**﴾ يعني يمهلهم بفضله، وكرمه وحلمه ﴿**إلى أجل مسمى**﴾ يعني إلى انتهاء آجالهم وانقضاء أعمارهم ﴿**فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**﴾ يعني لا يؤخرون ساعة من الأجل الذي جعله الله لهم ولا ينقصون عنه. وقيل: أراد بالأجل المسمى يوم القيامة، والمعنى ولكن يؤخرهم إلى يوم القيامة فيعذبهم فلا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون ﴿**ويجعلون لله ما يكرهون**﴾ يعني لأنفسهم وهي البنات ﴿**وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى**﴾ يعني ويقولون: إن لهم البنين وذلك أنهم قالوا: لله البنات ولنا البنون، وهذا القول كذب منهم وافتراء على الله. وقيل: أراد بالحسنى الجنة، والمعنى أنهم مع كفرهم، وقولهم الكذب يزعمون أنهم على الحق وأن لهم الجنة وذلك أنهم قالوا: إن كان محمد صادقاً في البعث بعد الموت، فإن لنا الجنة لأنّا على الحق فأكذبهم الله فقول ﴿**لا جرم أن لهم النار**﴾ يعني في الآخرة لا الجنة ﴿**وأنهم مفرطون**﴾ قرىء بكسر الراء مع التخفيف، يعني مسرفون وقرىء بكسر الراء مع التشديد يعني مضيعون لأمر الله وقراءة الجمهور بفتح الراء مع تخفيفها أي منسيون في النار قاله ابن عباس وقال سعيد بن جبير ومقاتل: متروكون. وقال قتادة: معجلون إلى النار. وقال الفراء: مقدمون إلى النار، والفرط ما تقدم إلى الماء قبل القوم. ومنه قوله ﷺ «أنا فرطكم على الحوض» أي متقدمكم ﴿**تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك**﴾ يعني كما أرسلناك إلى هذه الأمة لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك، فكان شأنهم مع رسلهم التكذيب ففيه تسلية للنبي ﷺ ﴿**فزين لهم الشيطان أعمالهم**﴾ يعني أعمالهم الخبيثة من الكفر والتكذيب، والمزين في الحقيقة هو الله تعالى هذا مذهب أهل السنة، وإنما جعل الشيطان آلة بإلقاء الوسوسة في قلوبهم، وليس له قدرة أن يضل أحداً أو يهدي أحداً، وإنما له الوسوسة فقط فمن أراد شقاوته سلطه عليه حتى يقبل وسوسته ﴿**فهو وليهم**﴾ أي ناصرهم ﴿**اليوم**﴾ ومن كان الشيطان وليه وناصره فهو مخذول مغلوب مقهور، وإنما سماه ولياً لهم لطاعتهم إياه ﴿**ولهم عذاب أليم**﴾ يعني في الآخرة ﴿**وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه**﴾ يعني في أمر الدين والأحكام فتبين لهم الهدى من الضلال، والحق من الباطل والحلال من الحرام ﴿**وهدى ورحمة**﴾ يعني وما أنزلنا عليك الكتاب إلا بياناً وهدى ورحمة ﴿**لقوم يؤمنون**﴾ لأنهم هم المنتفعون به قوله سبحانه وتعالى ﴿**والله أنزل من السماء ماء**﴾ يعني المطر ﴿**فأحيا به**﴾ يعني بالماء ﴿**الأرض**﴾ يعني بالنبات والزروع ﴿**بعد موتها**﴾ يعني يبسها

يبقَ في الأرض أحد. ﴿ **ولكن يُؤخِّرهُم إلى أجلٍ** ﴾، يمهلهم بحلمه إلى أجل، ﴿ **مسمى** ﴾، إلى منتهى آجالهم وانقطاع أعمارهم. ﴿ **فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** ﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **ويجعلون لله ما يكرهون** ﴾، لأنفسهم يعني البنات، ﴿ **وتصف** ﴾، أي: تقول، ﴿ **ألسنتهم الكذب أنّ لهم الحسنى** ﴾، يعني البنين محل (أن) نصب بدل عن الكذب، قال يمان: يعني بالحسنى: الجنة في المعاد يقولون نحن في الجنة إن كان محمد صادقاً بالوعد في البعث. ﴿ **لا جَرَمَ** ﴾، حقاً. قال ابن عباس: بلى، ﴿ **أن لهم النار** ﴾، في الآخرة، ﴿ **وأنهم مفرطون** ﴾، قرأ نافع بكسر الراء أي: مسرفون، وقرأ أبو جعفر بتشديد الراء وكسرها أي: مضيّعون أمر الله، وقرأ الآخرون بفتح الراء وتخفيفها أي: منسيّون في النار، قاله ابن عباس، وقال سعيد بن جبير: مبعدون وقال مقاتل: متروكون. قال قتادة: معجّلون إلى النار. قال الفرّاء: مقدّمون إلى النار، ومنه قوله ﷺ: «أنا فَرطكُم على الحوض» أي: متقدمكم.

﴿ **تالله لقد أرسلنا إلى أُمم من قبلك** ﴾ كما أرسلنا إلى هذه الأمة، ﴿ **فزيّن لهم الشيطانُ أعمالهم** ﴾، الخبيثة، ﴿ **فهو وليّهم** ﴾، ناصرهم، ﴿ **اليوم** ﴾، وقرينهم سمّاه وليّاً لهم لطاعتهم إيّاه، ﴿ **ولهم عذاب أليم** ﴾، في الآخرة.

وجدوبتها ﴿إن في ذلك لآية﴾ يعني دلالة واضحة على كمال قدرتنا ﴿لقوم يسمعون﴾ يعني سماع إنصاف وتدبر وتفكر، لأن سماع القلوب هو النافع لا سماع الآذان فمن سمع آيات الله، أي القرآن بقلبه وتدبرها وتفكر فيها انتفع، ومن لم يسمع بقلبه لم ينتفع بالآيات ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة﴾ يعني إذا تفكرتم فيها عرفتم كمال قدرتنا على ذلك ﴿نسقيكم مما في بطونه﴾ الضمير عائد إلى الأنعام، وكان حقه أن يقال مما في بطونها، واختلف النحويون في الجواب، فقيل: إن لفظ الأنعام مفرد وضع لإفادة الجمع فهو بحسب اللفظ مفرد فيكون ضميره ضمير الواحد، وهو مذكر وبحسب المعنى جمع فيكون ضميره ضمير الجمع، وهو مؤنث فلهذا المعنى. قال هنا مما في بطونه وقال في سورة المؤمنين: مما في بطونها. وهذا قول أبي عبيدة والأخفش وقال الكسائي: إنه رده إلى ما ذكر يعني مما في بطون ما ذكرنا، وقال غيره الكناية مردودة إلى البعض وفيه إضمار كأنه قال: نسقيكم مما في بطونه اللبن فأضمر اللبن إذ ليس لكلها لبن ﴿من بين فرث﴾ وهو ما في الكرش من الثفل، فإذا خرج منها لا يسمى فرثاً ﴿ودم لبناً خالصاً﴾ يعني من الدم والفرث ليس عليه لون الدم ولا رائحة الفرث. قال ابن عباس: إذا أكلت الدابة العلف، واستقر في كرشها، وطبخته كان أسفله فرثاً وأوسطه لبناً وأعلاه دماً فالكبد مسلطة عليه تقسمه بتقدير الله سبحانه وتعالى فيجري الدم في العروق واللبن في الضروع ويبقى الثفل كما هو ﴿سائغا للشاربين﴾ يعني هنيئاً سهلاً يجري في الحلق بسهولة. قيل: إنه لم يغص أحد باللبن قط. هذا قول المفسرين في معنى هذه الآية. وحكى الإمام فخر الدين الرازي قول الحكماء في ذلك، فقال: ولقائل أن يقول الدم واللبن لا يتولدان في الكرش البتة، والدليل عليه الحس فان هذه الحيوانات تذبح ذبحاً متوالياً، وما رأى أحد في كرشها دماً ولا لبناً بل الحق أن الحيوان إذا تناول الغذاء، وصل ذلك العلف إلى معدته إن كان إنساناً وإلى كرشه إن كان من الأنعام، وغيرها فإذا طبخ وحصل الهضم الأول فيه فما كان منه صافياً انجذب إلى الكبد، وما كان كثيفاً نزل إلى الأمعاء، ثم ذلك الذي حصل في الكبد ينطبخ فيها ويصير دماً وهو الهضم الثاني، ويكون ذلك مخلوطاً بالصفراء والسوداء وزيادة المائية فأما الصفراء فتذهب إلى المرارة وأما السوداء فتذهب إلى الطحال، وأما المائية فتذهب إلى الكلية ومنها إلى المثانة، وأما الدم فيذهب في الأوردة وهي العروق النابتة من الكبد وهناك يحصل الهضم الثالث. وبين الكبد وبين الضرع عروق كثيرة فينصب الدم من تلك العروق إلى الضرع والضرع لحم غددي رخو أبيض، فيقلب الله عز وجل ذلك الدم عند انصبابه إلى ذلك اللحم الغددي الرخو الأبيض، فيصير الدم لبناً فهذا صورة تكوّن اللبن في الضرع فاللبن إنما يتولد من بعض أجزاء الدم، والدم إنما يتولد من بعض الأجزاء اللطيفة من الأشياء المأكولة الحاصلة في الكرش فاللبن تولد أولاً من الفرث ثم من الدم ثانياً ثم صفاه الله سبحانه وتعالى بقدرته فجعله لبناً خالصاً من بين فرث، ودم عند تولد اللبن في الضرع يخلق الله عز وجل بلطيف حكمته في حلمة الثدي ثقباً صغيراً ومسام ضيقة فيجعلها كالمصفاة للبن فكل ما كان لطيفاً من اللبن خرج بالمص أو

﴿ وما أنزلنا عليك الكتاب إلّا لتبيّن لهم الذي اختلفوا فيه ﴾، من الدين والأحكام، ﴿ وهُدىً ورحمةً لقومٍ يؤمنون ﴾، أي: ما أنزلنا عليك الكتاب إلّا بياناً وهدىً ورحمةً فالهدى والرحمة عطف على قوله: ﴿ لتبيّن ﴾.

﴿ والله أنزل من السماء ماءً ﴾، يعني: المطر، ﴿ فأحيا به الأرض ﴾، بالنبات، ﴿ بعد موتها ﴾، يبوستها، ﴿ إنّ في ذلك لآيةً لقومٍ يسمعون ﴾، سمع القلوب لا سمع الأذان.

﴿وإنّ لكم في الأنعام لعبرة﴾، لعظة، ﴿نسقيكم﴾، بفتح النون هٰهنا وفي المؤمنين [٢١]، قرأ نافع وابن عامر وأبو بكر ويعقوب والباقون بضمها وهما لغتان. ﴿ مما في بطونه ﴾، قال الفرّاء: ردّ الكناية إلى النَّعم، والنَّعم والأنعام واحد، ولفظ النعم مذكّر قال أبو عبيدة والأخفش النعم يذكّر ويؤنّث فمَن أنّث فالمعنى الجمع ومَن ذكر فلحكم اللفظ. قال الكسائي: ردّه إلى ما يعني في بطون ما ذكرنا، وقال المؤرج: الكناية مردودة إلى البعض والجزء كأنه قال نسقيكم مما في بطونه اللبن إذ ليس لكلها لبن واللبن فيه مضمر، ﴿ من بين فَرْثٍ ﴾، وهو ما في

الحلب وما كان كثيفاً احتبس في البدن، وهو المراد بقوله خالصاً هنيئاً مريئاً. قوله عز وجل ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب﴾ يعني ولكم أيضاً عبرة فيما نسقيكم ونرزقكم من ثمرات النخيل والأعناب ﴿تتخذون منه﴾ الضمير في منه يرجع إلى ما تقديره ولكم من ثمرات النخيل والأعناب ما تتخذون منه ﴿سكراً ورزقاً حسناً﴾ قال ابن مسعود وابن عمر والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وإبراهيم وابن أبي ليلى والزجاج وابن قتيبة: السكر الخمر سميت بالمصدر من قولهم سكر سكراً، وسكراً والرزق الحسن سائر ما يتخذ من ثمرات النخيل، والأعناب مثل الدبس والتمر والزبيب والخل وغير ذلك. فإن قلت: الخمر محرمة فكيف ذكرها الله عز وجل في معرض الإنعام والامتنان؟ قلت: قال العلماء في الجواب عن هذا: إن هذه السورة مكية، وتحريم الخمر إنما نزل في سورة المائدة وهي مدنية فكان نزول هذه الآية في الوقت الذي كانت الخمر فيه غير محرمة، وقيل: إن الله عز وجل نبه في هذه الآية على تحريم الخمر أيضاً، لأنه ميز بينها وبين الرزق الحسن في الذكر فوجب أن يقال الرجوع عن كونه حسناً يدل على التحريم، وروى العوفي عن ابن عباس أن السكر هو الخل بلغة الحبشة وقال بعضهم: السكر هو النبيذ وهو نقيع التمر والزبيب إذا اشتد، والمطبوخ من العصير وهو قول الضحاك والنخعي ومن يبيح شرب النبيذ ومن يحرمه يقول المراد من الآية الإخبار لا الإحلال، وأولى الأقاويل أن قوله تتخذون منه سكراً منسوخ. سئل ابن عباس عن هذه الآية فقال السكر: ما حرم من ثمراتها والرزق الحسن ما حل قلت: القول بالنسخ فيه نظر لأن قوله، ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً خبر، والأخبار لا يدخلها النسخ، ومن زعم أنها منسوخة رأى أن هذه الآية نزلت بمكة في وقت إباحة الخمر ثم إن الله تبارك وتعالى حرمها بالمدينة فحكم على هذه الآية بأنها منسوخة وقال أبو عبيدة في معنى الآية: السكر الطعم يقال هذا سكر لك أي طعم لك وقال غيره: السكر ما سد الجوع من قولهم سكرت النهر أي سددته والتمر والزبيب مما يسد الجوع، وهذا شرح قول أبي عبيدة أن السكر الطعم ﴿إن في ذلك﴾ يعني الذي ذكر من إنعامه على عباده ﴿لآية﴾ يعني دلالة وحجة واضحة ﴿لقوم يعقلون﴾ يعني أن من كان عاقلاً استدل بهذه الآية على كمال قدرة الله تعالى ووحدانيته وعلم بالضرورة أن لهذه الأشياء خالقاً، ومدبراً قادراً على ما يريد. قوله سبحانه وتعالى:

الكرش من الثفل فإذا خرج منه لا يُسمى فرثاً، ﴿ ودم لبناً خالصاً ﴾، من الدم والفرث ليس عليه لون دم ولا رائحة فرث، ﴿ سائغاً للشاربين ﴾، هنيئاً يجري على السهولة في الحلق. وقيل: إنه لم يغصّ أحد باللبن قطّ. قال ابن عباس: إذا أكلت الدابة العلف واستقر في كرشها وطحنته كان أسفله الفرث وأوسطه اللبن وأعلاه الدم، والكبد مسلّطة عليها تقسمها بتقدير الله تعالى فيجرِي الدم في العروق واللبن في الضرع ويبقى الفرث كما هو.

﴿ ومن ثمرات النخيل والأعناب ﴾، يعني: ولكم أيضاً عبرة فيما نسقيكم ونرزقكم من ثمرات النخيل والأعناب، ﴿ تتخذون منه ﴾ والكناية في ﴿ منه ﴾ عائدة إلى (ما) محذوفة أي: ما تتخذون منه، ﴿ سكراً ورزقاً حسناً ﴾، قال قوم: السكر الخمر، والرزق الحسن الخل والزبيب والتمر والرُّبُ، قالوا: وهذا قبل تحريم الخمر، وإلى هذا ذهب ابن مسعود وابن عمر وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد، وقال الشعبي: السكر ما شربت، والرزق الحسن ما أكلت. وروى العوفي عن ابن عباس: أن السكر هو الخل بلغة الحبشة، وقال بعضهم: السكر النبيذ المُسكِر، وهو نقيع التمر والزبيب إذا اشتد والمطبوخ من العصير، وهو قول الضحاك والنخعي، ومن يبيح شرب النبيذ ومن حرم يقول: المراد من الآية الإخبار لا الإحلال وأولى الأقاويل أن قوله: ﴿ تتخذون منه سكراً ﴾ منسوخ، رُوِيَ عن ابن عباس قال: السكر ما حرّم من ثمرها والرزق الحسن ما أحلّ. وقال أبو عبيدة: السكر الطعم يقال هذا سكر لك أي: طعم، ﴿ إن في ذلك لآيةً لقوم يعقلون ﴾.

وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى
سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ
خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ
عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ
يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾

﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى دلائل قدرته، وعجائب صنعته الدالة على وحدانيته من إخراج اللبن من بين فرث، ودم وإخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل، والأعناب ذكر في هذه الآية إخراج العسل الذي جعله شفاء للناس من دابة ضعيفة، وهي النحلة فقال سبحانه وتعالى وأوحى ربك إلى النحل الخطاب فيه للنبي ﷺ والمراد به كل فرد من الناس ممن له عقل، وتفكر يستدل به على كمال قدرة الله ووحدانيته وأنه الخالق لجميع الأشياء المدبر لها بلطيف حكمته، وقدرته وأصل الوحي الإشارة السريعة وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز، والتعريض وقد يكون بصوت مجرد ويقال للكلمة الإلهية التي يلقيها الله إلى أنبيائه وحي وإلى أوليائه إلهام وتسخير الطير لما خلق له ومنه قوله تعالى «وأوحى ربك إلى النحل» يعني أنه سخرها لما خلقها له، وألهمها رشدها وقدر في أنفسها هذه الأعمال العجيبة التي يعجز عنها العقلاء من البشر، وذلك أن النحل تبني بيوتاً على شكل مسدس من أضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض بمجرد طباعها ولو كانت البيوت مدورة أو مثلثة أو مربعة، أو غير ذلك من الأشكال لكان فيما بينها خلل ولما حصل المقصود فألهمها الله سبحانه وتعالى، أن تبنيها على هذا الشكل المسدس الذي لا يحصل فيه خلل وفرجة خالية ضائعة وألهمها الله تعالى أيضاً أن تجعل عليها أميراً كبيراً نافذ الحكم فيها وهي تطيعه، وتمتثل أمره ويكون هذا الأمير أكبرها جثة وأعظمها خلقة ويسمى يعسوب النحل يعني ملكها كذا حكاه الجوهري وألهمها الله سبحانه وتعالى أيضاً أنها تخرج من بيوتها، فتدور وترعى ثم ترجع إلى بيوتها، ولا تضل عنها. ولما امتاز هذا الحيوان الضعيف بهذه الخواص العجيبة، الدالة على مزيد الذكاء والفطنة دل ذلك على الإلهام الإلهي فكان ذلك شبيهاً بالوحي، فلذلك قال تبارك وتعالى: وأوحى ربك إلى النحل، والنحل زنبور العسل ويسمى الدبر أيضاً، قال الزجاج: يجوز أن يقال سمي هذا الحيوان نحلاً لأن الله سبحانه وتعالى، نحل الناس العسل الذي يخرج من بطونها بمعنى أعطاهم. وقال غيره: النحل يذكر ويؤنث وهي مؤنثة في لغة الحجاز، وكذا أنثها الله تعالى فقال **﴿أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون﴾** يعني يبنون ويثقفون وذلك أن النحل منه وحشي، وهو الذي يسكن الجبال والشجر ويأوي إلى الكهوف ومنه أهلي وهو الذي يأوي إلى البيوت، ويربيه الناس وقد جرت العادة أن الناس يبنون للنحل الأماكن حتى تأوي إليها، وقال ابن زيد: أراد بالذي يعرشون الكروم **﴿ثم كلي من كل الثمرات﴾** يعني من بعض الثمرات لأنها لا تأكل من جميع الثمار فلفظة كل هاهنا ليست للعموم **﴿فاسلكي سبل ربك﴾** يعني الطرق التي ألهمك الله أن تسلكيها، وتدخلي فيها لأجل طلب الثمرات **﴿ذللاً﴾** قيل إنها نعت للسبل يعني أنها مذللة لك الطرق مسهلة لك مسالكها. قال مجاهد: لا يتوعر عليها مكان تسلكه. وقيل: الذلل نعت للنحل يعني أنها مذللة مسخرة لأربابها مطيعة منقادة لهم حتى أنهم ينقلونها من مكانها إلى مكان آخر حيث شاؤوا! وأرادوا

﴿ وأوحَى ربُّك إلى النحل﴾، أي: ألهمها وقذف في أنفسها ففهمته والنحل زنابير العسل واحدتها نحلة.
﴿ أنِ اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ﴾، يبنون وقد جرت العادة أن أهلها يبنون لها الأماكن فهي تأوي إليها، **قال** ابن زيد: هي الكروم.

لا تستعصي عليهم ﴿**يخرج من بطونها شراب**﴾ يعني العسل ﴿**مختلف ألوانه**﴾ يعني ما بين أبيض وأحمر وأصفر وغير ذلك من ألوان العسل. وذلك على قدر ما تأكل من الثمار والأزهار، ويستحيل في بطونها عسلاً بقدرة الله تعالى ثم يخرج من أفواهها يسيل كاللعاب، وزعم الإمام فخر الدين الرازي أنه رأى في بعض كتب الطب، أن العسل طل من السماء ينزل كالترنجبين فيقع على الأزهار، وأوراق الشجر فتجمعه النحل فتأكل بعضه، وتدخر بعضه في بيوتها لأنفسها لتتغذى به فإذا اجتمع في بيوتها من تلك الأجزاء الطلية شيء كثير، فذلك هو العسل وقال هذا القول أقرب إلى العقل لأن طبيعة الترنجبين تقرب من طبيعة العسل، وأيضاً فإنا نشاهد أن النحل تتغذى بالعسل وأجاب عن قوله تعالى: يخرج من بطونها بأن كل تجويف في داخل البدن يسمى بطناً، فقوله: يخرج من بطونها يعني من أفواهها، وقول أهل الظاهر أولى وأصح لأنا نشاهد أنه يوجد في طعم العسل طعم تلك الأزهار التي تأكلها النحل، وكذلك يوجد لونها وريحها وطعمها فيه أيضاً، ويعضد هذا قول بعض أزواج النبي ﷺ له: أكلت مغافير؟ قال: لا. قالت: فما هذه الريح التي أجد منك؟ قال: سقتني حفصة شربة عسل. قالت: جرست نحلة العرفط. العرفط شجر الطلح، وله صمغ يقال له المغافير كريه الرائحة فمعنى جرست نحلة العرفط أكلت ورعت من العرفط الذي له الرائحة الكريهة، فثبت بهذا الدليل صحة قول أهل الظاهر من المفسرين، وأنه يوجد في طعم العسل، ولونه وريحه طعم ما يأكله النحل ولونه وريحه لا ما قاله الأطباء من أنه طل لأنه لو كان طلاً لكان على لون واحد وطبيعة واحدة. وقوله: إنه طبيعة العسل تقرب من طبيعة الترنجبين فيه نظر، لأن مزاج الترنجبين معتدل إلى الحرارة، وهو ألطف من السكر ومزاج العسل حار يابس في الدرجة الثانية فبينهما فرق كبير. وقوله: كل تجويف في داخل البدن يسمى بطناً فيه نظر، لأن لفظ البطن إذا أطلق لم يرد إلا العضو المعروف مثل بطن الإنسان، وغيره والله أعلم. وقوله تعالى ﴿**فيه**﴾ يعني في الشراب الذي يخرج من بطون النحل ﴿**شفاء للناس**﴾ وهذا قول ابن عباس وابن مسعود إذ الضمير في قوله فيه شفاء للناس، يرجع إلى العسل، وقد اختلفوا في هذا الشفاء هل هو على العموم لكل مرض، أو على الخصوص لمرض دون مرض، على قولين: أحدهما أن العسل فيه شفاء من كل داء وكل مرض. قال ابن مسعود: «العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور» وفي رواية أخرى عنه «عليك بالشفاءين القرآن والعسل» وروى نافع أن ابن عمر ما كانت تخرج به قرحة، ولا شيء إلا لطخ الموضع بالعسل ويقرأ «يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس» (ق) عن أبي سعيد الخدري قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن أخي استطلق بطنه فقال رسول الله ﷺ اسقه عسلاً فسقاه ثم جاء فقال: إني سقيته عسلاً فلم يزده إلا استطلاقاً فقال له: ثلاث مرات ثم جاء الرابعة. فقال: اسقه عسلاً، فقال: لقد سقيته فلم يزده إلا استطلاقاً فقال رسول الله ﷺ صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فبرأ» وقد اعترض بعض الملحدين، ومن في قلبه مرض على هذا الحديث. فقال: إن الأطباء مجمعون على أن العسل مسهل فكيف يوصف لمن به الإسهال فنقول في الرد على هذا المعترض الملحد الجاهل بعلم الطب أن الإسهال يحصل من أنواع كثيرة منها التخم، والهيضات، وقد أجمع الأطباء في مثل هذا على أن علاجه بأن تترك الطبيعة وفعلها، فإن

﴿ **ثم كلي من كل الثمرات** ﴾، ليس معنى الكل العموم، وهو كقوله تعالى: ﴿ وأُوتيت من كل شيء ﴾ [النمل: ٢٣]. ﴿ **فاسلكي سُبُلَ ربِّكِ ذُلُلاً** ﴾. قيل: هي نعت الطرق، يقول: هي مذلّلة للنحل سهلة المسالك. قال مجاهد: لا يتوعر عليها مكان سلكته. وقال آخرون: الذلل نعت النحل، أي: مطيعة منقادة بالتسخير. يقال: إن أربابها ينقلونها من مكان إلى مكان ولها يعسوب إذا وقف وقفت وإذا سار سارت، ﴿ **يخرج من بطونها شراب** ﴾، يعني: العسل ﴿ **مختلفٌ ألوانه** ﴾، أبيض وأحمر وأصفر. ﴿ **فيه شفاءٌ للناس** ﴾، أي: في العسل. وقال مجاهد: أي في القرآن والأول أولى، أنا إسماعيل بن عبد القاهر ثنا عبد الغافر بن محمد ثنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بـن الحجاج ثنا محمد بن المثنى أنا محمد بن جعفر ثنا شعبة

احتاجت إلى معين على الإسهال أعينت ما دامت القوة باقية فأما حبسها فمضر عندهم، واستعجال مرض فيحتمل أن يكون إسهال الشخص المذكور في الحديث أصابه من امتلاء أو هيضة، فدواؤه بترك إسهاله على ما هو عليه أو تقويته فأمره رسول الله ﷺ العسل فزاده إسهالاً، فزاده عسلاً إلى أن فنيت المادة فوقف الإسهال ويكون الخلط الذي كان به يوافقه شرب العسل، فثبت بما ذكرناه أن أمره ﷺ لهذا الرجل بشرب العسل جار على صناعة الطب، وأن المعترض عليه جاهل لها ولسنا نقصد الاستظهار لتصديق الحديث بقول الأطباء: بل لو كذبوه لكذبناهم وكفرناهم بذلك وإنما ذكرنا هذا الجواب الجاري على صناعة الطب، دفعاً لهذا المعترض بأنه لا يحسن صناعة الطب التي اعترض بها والله أعلم وقوله ﷺ: «صدق الله وكذب بطن أخيك» يحتمل أنه ﷺ، علم بالوحي الإلهي أن العسل، الذي أمره بشربه سيظهر نفعه بعد ذلك فلما لم يظهر نفعه في الحال عندهم قال: صدق الله يعني فيما وعد به من أن فيه شفاء وكذب بطن أخيك يعني باستعجالك للشفاء في أول مرة والله أعلم بمراده، وأسرار رسوله ﷺ فإن قالوا: كيف يكون شفاء للناس، وهو يضر بأصحاب الصفراء ويهيج الحرارة ويضر بالشباب المحرورين ويعطش، قلنا: في الجواب عن هذا الاعتراض أيضاً: إن قوله فيه شفاء للناس مع أنه يضر بأصحاب الصفراء، ويهيج الحرارة أنه خرج مخرج الأغلب، وأنه في الأغلب فيه شفاء، ولم يقل: إنه شفاء لكل الناس لكل داء ولكنه في الجملة دواء، وإن نفعه أكثر من مضرته، وقل معجون من المعاجين إلا وتمامه به. والأشربة المتخذة من العسل نافعة لأصحاب البلغم والشيوخ المبرودين، ومنافعه كثيرة جداً. والقول الثاني: أنه شفاء للأوجاع التي شفاؤها فيه وهذا قول السدي وقال مجاهد: في قوله فيه شفاء للناس يعني القرآن لأنه شفاء من أمراض الشرك، والجهالة والضلالة وهو هدى ورحمة للناس، والقول الأول أصح لأن الضمير يجب أن يعود إلى أقرب المذكورات، وأقربها قوله تعالى يخرج من بطونها شراب وهو العسل فهو أولى أن يرجع الضمير إليه لأنه أقرب مذكور. وقوله سبحانه وتعالى ﴿**إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون**﴾ يعني فيعتبرون ويستدلون بما ذكرنا على وحدانيتنا وقدرتنا. قوله عز وجل ﴿**والله خلقكم**﴾ يعني أوجدكم من العدم وأخرجكم إلى الوجود ولم تكونوا شيئاً ﴿**ثم يتوفاكم**﴾ يعني عند انقضاء آجالكم إما صبياناً وإما شباناً وإما كهولاً ﴿**ومنكم من يرد إلى أرذل العمر**﴾ يعني أرداه وأضعفه وهو الهرم قال بعض العلماء: عمر الإنسان له أربع مراتب أولها من النشوء والنماء، وهو من أول العمر إلى بلوغ ثلاث وثلاثين سنة، وهو غاية سن الشباب وبلوغ الأشد ثم المرتبة الثانية: سن الوقوف، وهو من ثلاث وثلاثين سنة إلى أربعين سنة، وهو غاية القوة وكمال العقل ثم المرتبة الثالثة: سن الكهولة، وهو من الأربعين إلى الستين، وهذه المرتبة يشرع الإنسان في النقص لكنه يكون نقصاً خفياً لا يظهر ثم المرتبة الرابعة: سن الشيخوخة والانحطاط من الستين إلى آخر العمر، وفيها يتبين النقص، ويكون الهرم والخرف. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أرذل العمر خمس وسبعون سنة. وقيل: ثمانون سنة وقال قتادة تسعون سنة (ق) عن أنس قال كان رسول الله ﷺ يقول «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات». وفي رواية أخرى عنه قال كان رسول الله ﷺ يدعو بهذه الدعوات: «اللهم إني

عن قتادة عن أبي المتوكل عن أبي سعيد الخدري قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن أخي استطلق بطنه، فقال رسول الله ﷺ: اسقه عسلاً، فسقاه ثم جاء فقال: إني سقيته فلم يزده إلّا استطلاقاً، فقال النبي ﷺ له ثلاث مرات، ثم جاء الرابعة فقال: اسقه عسلاً، قال: قد سقيته فلم يزده إلا استطلاقاً فقال رسول الله ﷺ: «صدق الله وكذب بطن أخيك، اسقه عسلاً، فسقاه فبرأ». قال عبد الله بن مسعود: العسلُ شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور. وروي عنه أنه قال: عليكم بالشفاءين القرآن والعسل. ﴿ **إن في ذلك لآيةً لقوم يتفكّرون** ﴾، فيعتبرون.

﴿ **والله خلقكم ثم يتوفّاكم** ﴾، صبياناً أو شبّاناً أو كهولاً، ﴿ **ومنكم مَنْ يُردُّ إلى أرذلِ العُمُرِ** ﴾، أردئه، قال

أعوذ بك من البخل والكسل وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات» وقوله تعالى: **﴿لكيلا يعلم بعد علم شيئاً﴾** يعني الإنسان يرجع إلى حالة الطفولية بنسيان ما كان علم بسبب الكبر، وقال ابن عباس: لكي يصير كالصبي لا عقل له. وقال ابن قتيبة: معناه حتى لا يعلم بعد علمه بالأمور شيئاً لشدة هرمه. وقال الزجاج: المعنى وإن منكم من يكبر حتى يذهب عقله خرفاً فيصير بعد أن كان عالماً جاهلاً، ليريكم الله من قدرته أنه كما قدر على إماتته وإحيائه، أنه قادر على نقله من العلم إلى الجهل هكذا، وجدته منقولاً عنه ولو قال: ليريكم من قدرته أنه كما قدر على نقله من العلم إلى الجهل، أنه قادر على إحيائه بعد إماتته ليكون ذلك دليلاً على صحة هذا البعث، بعد الموت لكان أجود. قال ابن عباس: ليس هذا في المسلمين لأن المسلم لا يزداد في طول العمر والبقاء إلا كرامة عند الله وعقلاً ومعرفة. وقال عكرمة: من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر حتى لا يعلم بعد علم شيئاً. وقال في قوله: إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، هم الذين قرؤوا القرآن وقال ابن عباس في قوله تعالى: ثم رددناه أسفل سافلين يريد الكافرين ثم استثنى المؤمنين فقال تعالى إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات. وقوله تعالى **﴿إن الله عليم﴾** يعني بما صنع بأوليائه وأعدائه **﴿قدير﴾** يعني على ما يريد قوله تعالى **﴿والله فضل بعضكم على بعض في الرزق﴾** يعني أن الله سبحانه وتعالى بسط على واحد، وضيق وقتر على واحد وكثر لواحد وقلل على آخر، وكما فضل بعضكم على بعض في الرزق، كذلك فضل بعضكم على بعض في الخلق والخلق والعقل والصحة والسقم والحسن والقبح والعلم والجهل وغير ذلك. فهم متفاوتون ومتباينون في ذلك كله، وهذا مما اقتضته الحكمة الإلهية والقدرة الربانية **﴿فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم﴾** يعني من العبيد حتى يستووا فيه هم وعبيدهم يقول الله سبحانه وتعالى هم لا يرضون أن يكونوا هم ومماليكهم فيما رزقتهم سواء وقد جعلوا عبيدي شركائي في ملكي وسلطاني يلزم بهذه الحجة المشركين حيث جعلوا الأصنام شركاء لله قال قتادة: هذا مثل ضربه الله عز وجل. يقول: هل منكم أحد يرضى أن يشركه مملوكه في جميع ماله فكيف تعدلون بالله خلقه وعباده، وقيل: في معنى الآية أن الموالي والمماليك الله رازقهم جميعاً **﴿فهم فيه﴾** يعني في رزقه **﴿سواء﴾** فلا تحسبن أن الموالي يردون رزقهم على مماليكهم من عند أنفسهم، بل ذلك رزق الله أجراه على أيدي الموالي للمماليك، والمقصود منه بيان أن الرازق هو الله سبحانه وتعالى لجميع خلقه وأن الموالي والمماليك في الرزق سواء وأن المالك لا يرزق المملوك، بل الرازق للمماليك والمالك هو الله سبحانه وتعالى.

مقاتل: يعني الهرم. قال قتادة: أرذل العمر تسعون سنة. رُوِيَ عن علي قال: أرذل العمر خمس وسبعون. وقيل: ثمانون سنة.

﴿ لكيلا يعلم بعد علم شيئاً ﴾، لكيلا يعقل بعد عقله الأول شيئاً، **﴿ إن الله عليم قدير ﴾**، أنا عبد الواحد المليحي ثنا أحمد النعيمي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا موسى بن إسماعيل ثنا هارون بن موسى ثنا أبو عبد الله الأعور عن شعيب عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يدعو: «أعوذ بك من البخل والكسل وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة الدجال وفتنة المحيا والممات».

﴿ والله فضّل بعضَكم على بعض في الرزق ﴾، بسط عن واحد وضيَّق على الآخر وقلّل وكثّر. **﴿ فما الذين فُضِّلُوا برادّي رزقهم على ما ملكتْ أيمانهم ﴾**، من العبيد، **﴿ فهم فيه سواء ﴾**، أي: حتى يستووا هم وعبيدهم في ذلك. يقول الله تعالى: لا يرضون أن يكونوا هم ومماليكهم فيما رزقهم الله سواء وقد جعلوا عبيدي شركائي في ملكي وسلطاني يلزم به الحجة على المشركين. قال قتادة: هذا مثل ضربه الله عزّ وجلّ فهل منكم أحد يشركه مملوكه في زوجته وفراشه وما له أفتعدلون بالله خلقه وعباده، **﴿ أفَبِنِعْمَةِ الله يجحدون ﴾**، بالإشراك به، وقرأ أبو بكر بالتاء لقوله: **﴿ والله فضّل بعضَكم على بعض في الرزق ﴾**، والآخرون بالياء لقوله: **﴿ فهم فيه سواء ﴾**.

وقوله ﴿أفبنعمة الله يجحدون﴾ فيه إنكار على المشركين حيث جحدوا نعمته وعبدوا غيره. قوله عز وجل:

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً﴾ يعني النساء فخلق من آدم حواء زوجته، وقيل: جعل لكم من جنسكم أزواجاً لأنه خطاب عام يعم الكل فتخصيصه بآدم وحواء خلاف الدليل ﴿وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة﴾ الحفدة جمع حافد، وهو المسرع في الخدمة المسارع إلى الطاعة ومنه قوله في الدعاء «وإليك نسعى ونحفد» أي نسرع إلى طاعتك، فهذا أصله في اللغة ثم اختلفت أقوال المفسرين فيهم فقال ابن مسعود والنخعي: الحفدة أختان الرجل على بناته وعن ابن مسعود أيضاً، أنهم أصهاره فهو بمعنى الأول فعلى هذا القول، يكون معنى الآية وجعل لكم من أزواجكم بنين وبنات، فزوجوهم فيجعل لكم بسببهم الأختان والأصهار. وقال الحسن وعكرمة والضحاك: هم الخدم. وقال مجاهد: هم الأعوان وكل من أعانك قد حفدك، وقال عطاء: هم ولد الرجل الذين يعينونه ويخدمونه وقيل: هم أهل المهنة الذين يمتهنون ويخدمون من الأولاد وقال مقاتل والكلبي: البنين هم الصغار والحفدة كبار الأولاد الذين يعينون الرجل على عمله، وقال ابن عباس: هم ولد الولد. وفي رواية أخرى عنه أنهم بنو امرأة الرجل الذين ليسوا منه وكل هذه الأقوال متقاربة لأن اللفظ يحتمل الكل بحسب المعنى المشترك، وبالجملة فإن الحفدة هم غير البنين، لأن الله سبحانه وتعالى قال: بنين وحفدة فجعل بينهما مغايرة ﴿ورزقكم من الطيبات﴾ يعني النعم التي أنعم عليكم من أنواع الثمار والحبوب والحيوان، والأشربة المستطابة الحلال من ذلك كله ﴿أفبالباطل يؤمنون﴾ يعني بالأصنام وقيل: بالشيطان يؤمنون وقيل: معناه يصدقون أن لي شريكاً وصاحبة وولداً وهذا استفهام إنكار أي ليس لهم ذلك ﴿وبنعمة الله هم يكفرون﴾ يعني أنهم يضيفون ما أنعم الله به عليهم إلى غيره، وقيل معناه إنهم يجحدون ما أحل الله لهم ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السموات والأرض﴾ يعني الأصنام التي لا تقدر على إنزال المطر الذي في السموات خزائنه، ولا يقدرون على إخراج النبات الذي في الأرض معدنه ﴿شيئاً﴾ يعني لا يملك من

قوله تعالى: ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ﴾، يعني: النساء خلق من آدم زوجته حواء، وقيل: من أنفسكم أي: من جنسكم أزواجاً، ﴿ وجعل لكم من أزواجكم بنينَ وحفدة ﴾، قال ابن مسعود والنخعي: الحَفَدَة أختان الرجل على بناته، وعن ابن مسعود أيضاً أنهم الأصهار، فيكون معنى الآية على هذا القول: وجعل لكم من أزواجكم بنين وبنات تزوّجونهم فيحصل بسببهم الأختان والأصهار. وقال عكرمة والحسن والضحاك: هم الخدم. قال مجاهد: هم الأعوان من أعانك فقد حفدك. وقال عطاء: هم ولد ولد الرجل الذين يعينونه ويخدمونه. وقال قتادة: مهنة تمتهنونهم ويخدمونكم من أولادكم. قال الكلبي ومقاتل: البنين الصغار والحَفَدَة كبار الأولاد الذين يُعينونه على عمله. وروى مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس: أنهم ولد الولد. وروى العوفي عنه: أنهم امرأة الرجل ليسوا منه ﴿ ورزقكم من الطيبات ﴾، من النِعَم الحلال، ﴿ أفبالباطل ﴾، يعني الأصنام، ﴿ يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون ﴾، يعني التوحيد والإسلام، وقيل: الباطل الشيطان أمرهم بتحريم البحيرة والسائبة، وبنعمة الله أي بما أحلّ الله لهم يكفرون يجحدون تحليله.

﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السموات ﴾، يعني المطر، ﴿ والأرض ﴾، يعني النبات، ﴿ شيئاً ﴾، قال الأخفش: هو بدل من الرزق معناه أنهم لا يملكون من أمر الرزق شيئاً قليلاً ولا كثيراً. وقال الفرّاء:

الرزق شيئاً قليلاً ولا كثيراً، وقيل معناه يعبدون ما لا يرزق شيئاً ﴿ولا يستطيعون﴾ يعني ولا يقدرون على شيء يذكر عجز الأصنام عن ايصال نفع أو دفع ضر.

﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٧٤) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٧٥) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٧٦) وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٧٧)﴾

﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ يعني لا تشبهوا الله بخلقه فإنه لا مثل له، ولا شبيه ولا شريك من خلقه، لأن الخلق كلهم عبيده، وفي ملكه فكيف يشبه الخالق بالمخلوق، أو الرازق بالمرزوق، أو القادر بالعاجز **﴿إن الله يعلم﴾** يعني ما أنتم عليه من ضرب الأمثال له **﴿وأنتم لا تعلمون﴾** خطأ ما تضربون له من الأمثال. قوله تعالى **﴿ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقاً حسناً﴾** لما نهاهم الله سبحانه وتعالى عن ضرب الأمثال، لقلة علمهم ضرب هو سبحانه وتعالى لنفسه مثلاً، فقال تعالى: مثلكم في إشراككم بالله الأوثان، كمثل من سوّى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر كريم مالك قادر، قد رزقه الله مالاً فهو يتصرف فيه، وينفق منه كيف يشاء، فصريح العقل يشهد بأنه لا تجوز التسوية بينهما في التعظيم والإجلال، فلما لم تجز التسوية بينهما مع استوائهما في الخلقة والصورة البشرية، فكيف يجوز للعقل أن يسوي بين الله عز وجل الخالق القادر على الرزق والإفضال وبين الأصنام التي لا تملك ولا تقدر على شيء البتة؟ وقيل: هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر والمراد بالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء هو الكافر، لأنه لما كان محروماً من عبادة الله وطاعته صار كالعبد الذليل الفقير العاجز الذي لا يقدر على شيء، وقيل: إن الكافر لما رزقه الله مالاً فلم يقدم فيه خيراً صار كالعبد الذي لا يملك شيئاً، والمراد بقوله ومن رزقناه منا رزقاً حسناً، المؤمن لأنه لما اشتغل بطاعة الله، وعبوديته والإنفاق في وجوه البر والخير صار كالحر المالك الذي ينفق سراً وجهراً في طاعة الله، وابتغاء مرضاته وهو قوله سبحانه وتعالى **﴿فهو ينفق منه سراً**

نصب شيئاً بوقوع الرزق عليه أي لا يرزق شيئاً، **﴿ ولا يستطيعون ﴾**، ولا يقدرون على شيء بذكر عجز الأصنام عن إيصال نفع أو دفع ضرّ.

﴿ فلا تضربوا لله الأمثال ﴾، يعني الأشباه فتشبّهونه بخلقه وتجعلون له شريكاً فإنه واحد لا مثل له، **﴿ إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾**، خطأ ما تضربون من الأمثال، ثم ضرب مثلاً للمؤمن والكافر فقال جلّ ذكره:

﴿ ضربَ اللّهُ مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ﴾، هذا مثل الكافر رزقه الله مالاً فلم يقدّم فيه خيراً، **﴿ ومَن رزقناه منّا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سرّاً وجهراً ﴾**، هذا مثل المؤمن أعطاه الله مالاً فعمل فيه بطاعة الله وأنفقه في رضاء الله سرّاً وجهراً فأثابه الله عليه الجنة. **﴿ هل يستوون ﴾**، ولم يقل هل يستويان لمكان **﴿ من ﴾** وهو اسم يصلح للواحد والاثنين والجمع، وكذلك قوله: **﴿ لا يستطيعون ﴾** بالجمع لأجل من معناه هل يستوي هذا الفقير البخيل والغني السخي كذلك لا يستوي الكافر العاصي والمؤمن المطيع. وروى ابن جريج عن عطاء في قوله تعالى: **﴿ عبداً مملوكاً ﴾**، أي: أبو جهل بن هشام **﴿ ومَن رزقناه رزقاً حسناً ﴾** أبو بكر الصديق رضي الله عنه. ثم

وجهراً﴾ فأثابه الله الجنة على ذلك. فإن قلت: لم قال عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء، وكل عبد هو مملوك وهو غير قادر على التصرف؟ قلت: إنما ذكر المملوك ليتميز من الحر لأن اسم العبد يقع عليهما جميعاً لأنهما من عباد الله، وقوله: لا يقدر على شيء احترز به عن المملوك المكاتب والمأذون له في التصرف، لأنهما يقدران على التصرف واحتج الفقهاء بهذه الآية على أن العبد لا يملك شيئاً ﴿هل يستوون﴾ ولم يقل هل يستويان يعني هل يستوي الأحرار والعبيد، والمعنى كما لا يستوي هذا الفقير البخيل، والغني السخي كذلك لا يستوي الكافر العاصي، والمؤمن الطائع، وقال عطاء في قوله: عبداً مملوكاً هو أبو جهل بن هشام ومن رزقناه منا رزقاً حسناً، هو أبو بكر الصديق ثم قال تعالى﴿الحمد لله﴾ حمد الله نفسه لأنه المستحق لجميع المحامد لأنه المنعم المتفضل على عباده، وهو الخالق الرازق لا هذه الأصنام التي عبدها هؤلاء، فإنها لا تستحق الحمد لأنها جماد عاجز، لا يد لها على أحد ولا معروف، فتحمد عليه إنما الحمد الكامل لله لا لغيره فيجب على جميع العباد، حمد الله لأنه أهل الحمد والثناء الحسن ﴿بل أكثرهم﴾ يعني الكفار ﴿لا يعلمون﴾ يعني أن الحمد لله لا لهذه الأصنام ﴿وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم﴾ هو الذي ولد أخرس فكل أبكم أخرس وليس كل أخرس أبكم، والأبكم الذي لا يفهم ولا يفهم ﴿لا يقدر على شيء﴾ هو إشارة إلى العجز التام والنقصان الكامل، ﴿وهو كل على مولاه﴾ أي ثقيل على من يلي أمره ويعوله وقيل أصله من الغلظ وهو نقيض الحدة، يقال كل السكين إذا غلظت شفرته وكل اللسان إذا غلظ فلم يقدر على النطق، وكل فلان عن الأمر إذا ثقل عليه فلم ينبعث فيه، فقوله وهو كل على مولاه أي غليظ ثقيل على مولاه ﴿أينما يوجهه﴾ أي حيثما يرسله ويصرفه في طلب حاجة أو كفاية مهم ﴿لا يأت بخير﴾ يعني لا يأت بجنح لأنه أخرس عاجز لا يحسن ولا يفهم ﴿هل يستوي﴾ يعني من هذه صفته ﴿هو﴾ يعني صاحب هذه الصفات المذمومة ﴿ومن يأمر بالعدل﴾ يعني ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات ذو رشد وديانة يأمر الناس بالعدل والخير ﴿وهو﴾ في نفسه ﴿على صراط مستقيم﴾ يعني على سيرة صالحة ودين قويم، فيجب أن يكون الآمر بالعدل، عالماً قادراً مستقيماً في نفسه حتى يتمكن من الأمر بالعدل، وهذا مثل ثان ضربه الله لنفسه، ولما يفيض على عباده من إنعامه ويشملهم به من آثار رحمته وألطافه وللأصنام التي هي أموات جماد، لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تنطق ولا تعقل، وهي كل على عابديها، لأنها تحتاج إلى كلفة الحمل والنقل والخدمة. وقيل: كلا المثلين للمؤمن والكافر، والمؤمن: هو الذي يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم. والكافر: هو الأبكم الثقيل الذي لا يأمر بخير فعلى هذا القول تكون الآية على العموم في كل مؤمن وكافر. وقيل: هي على الخصوص فالذي يأمر بالعدل هو رسول الله ﷺ وهو على صراط مستقيم، والذي يأمر بالظلم وهو أبكم أبو جهل. وقيل: الذي يأمر بالعدل عثمان بن عفان، وكان له مولى يأمره بالإسلام وذلك المولى يأمر عثمان

قال: ﴿ الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾، يقول ليس الأمر كما يقولون ما للأوثان عندهم من يد ولا معروف فتحمد عليه إنما الحمد الكامل لله عزّ وجلّ لأنه المنعم والخالق والرازق، ولكن أكثر الكفار لا يعلمون، ثم ضرب مثلاً للأصنام فقال:

﴿ وضربَ الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كَلٌّ على مولاه ﴾، كل ثقل ووبال على مولاه ابن عمّه وأهل ولايته، ﴿ أينما يُوجِّهه ﴾، يرسله، ﴿ لا يأت بخير ﴾، لأنه لا يفهم ما يقال له ولا يفهم عنه، هذا مثل الأصنام لا تسمع ولا تنطق ولا تعقل، ﴿ وهو كَلٌّ على مولاه ﴾ عابده يحتاج إلى أن يحمله ويضعه ويخدمه، ﴿ هل يستوي هو ومَن يأمر بالعدل ﴾، يعني: الله فإنه قادر متكلّم يأمر بالتوحيد، ﴿ وهو على صراط مستقيم ﴾، قال الكلبي: يعني يدلكم على صراط مستقيم. وقيل: هو رسول الله ﷺ يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم. وقيل: كِلا المثلين للمؤمن والكافر، يرويه عطية عن ابن عباس قال عطاء: الأبكم أُبيّ بن خلف ومَن يأمر بالعدل

بالإمساك عن الإنفاق في سبيل الله تعالى، فهو الذي لا يأت بخير. وقيل: المراد بالأبكم الذي لا يأت بخير أبي بن خلف، وبالذي يأمر بالعدل حمزة وعثمان بن عفان، وعثمان بن مظعون ﴿ولله غيب السموات والأرض﴾ أخبر الله عز وجل في الآية عن كمال علمه، وأنه عالم بجميع الغيوب، فلا تخفى عليه خافية ولا يخفى عليه شيء منها، وقيل الغيب هنا هو علم قيام الساعة وهو قوله ﴿وما أمر الساعة﴾ يعني في قيامها، والساعة هي الوقت الذي يقوم الناس فيه لموقف الحساب ﴿إلا كلمح البصر﴾ يعني في السرعة، ولمح البصر هو انطبقا جفن العين وفتحه وهو طرف العين أيضاً ﴿أو هو أقرب﴾ يعني أن لمح البصر يحتاج إلى زمان وحركة، والله سبحانه وتعالى إذا أراد شيئاً قال له: كن فيكون في أسرع من لمح البصر وهو قوله ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ فيه دليل على كمال قدرة الله تعالى وأنه سبحانه وتعالى مهما أراد شيئاً كان أسرع ما يكون. قال الزجاج: ليس المراد أن الساعة تأتي في أقرب من لمح البصر، ولكنه سبحانه وتعالى وصف سرعة القدرة على الإتيان بها متى شاء، لا يعجزه شيء. قوله عز وجل:

﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴿٨٠﴾﴾

﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً﴾ تم الكلام هنا لأن الإنسان خلق في أول الفطرة، ومبدئها خالياً عن العلم والمعرفة لا يهتدي سبيلاً ثم ابتدأ فقال تعالى ﴿وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾ يعني أن الله سبحانه وتعالى إنما أعطاكم هذه الحواس لتنتقلوا بها من الجهل إلى العلم، فجعل لكم السمع لتسمعوا به نصوص الكتاب، والسنة وهي الدلائل السمعية لتستدلوا بها على ما يصلحكم في أمر دينكم، وجعل لكم الأبصار لتبصروا بها عجائب مصنوعاته، وغرائب مخلوقاته، فتستدلوا بها على وحدانيته. وجعل لكم الأفئدة لتعقلوا بها، وتفهموا معاني الأشياء التي جعلها دلائل وحدانيته، وقال ابن عباس: في هذه الآية يريد لتسمعوا مواعظ الله وتبصروا ما أنعم الله به عليكم من إخراجكم من بطون أمهاتكم، إلى أن صرتم رجالاً وتعقلوا عظمة الله، وقيل في معنى الآية: والله خلقكم في بطون أمهاتكم وسواكم وصوركم، ثم أخرجكم من الضيق إلى السعة، وجعل لكم الحواس آلات لإزالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به، من شكر المنعم وعبادته، والقيام بحقوقه والترقي إلى ما يسعدكم به في الآخرة. فإن قلت: ظاهر الآية يدل على أن جعل الحواس الثلاث بعد الإخراج من البطون، وإنما خلقت هذه الحواس

حمزة وعثمان بن عفان وعثمان بن مظعون. وقال مقاتل: نزلت في هاشم بن عمرو بن الحرث بن ربيعة القرشي، وكان قليل الخير يُعادي رسول الله ﷺ. وقيل: نزلت في عثمان بن عفان ومولاه كان عثمان ينفق عليه وكان مولاه يكره الإسلام.

﴿ ولله غيبُ السمٰوات والأرض وما أمر الساعة ﴾، في قرب كونها، ﴿ إلّا كلمح البصر ﴾، إذا قال له كن فيكون، ﴿ أو هو أقرب ﴾، بل هو أقرب، ﴿ إنّ الله على كل شيء قدير ﴾، نزلت في الكفّار الذين يستعجلون القيامة استهزاء.

﴿ والله أخرجكم من بطون أُمهاتكم ﴾، قرأ الكسائي ﴿ بطون ﴾ و(بيوت) أُمهاتكم بكسر الهمزة، وقرأ حمزة بكسر الميم والهمزة الباقون بضم الهمزة وفتح الميم، ﴿ لا تعلمون شيئاً ﴾، تمّ الكلام ثم ابتدأ فقال جلّ وعلا:

للإنسان من جملة خلقه، وهو في بطن أمه. قلت: ذكر العلماء أن تقديم الإخراج، وتأخير ذكر هذه الحواس لا يدل على أن خلقها كان بعد الإخراج لأن الواو لا توجب الترتيب ولأن العرب تقدم وتؤخر في بعض كلامها. وأقول لما كان الانتفاع بهذه الحواس بعد الخروج من البطن، فكأنما خلقت في ذلك الوقت الذي ينتفع بها فيه وإن كانت قد خلقت قبل ذلك. وقوله تعالى **﴿لعلكم تشكرون﴾** يعني إنما أنعم عليكم بهذه الحواس لتستعملوها في شكر من أنعم بها عليكم **﴿ألم يروا إلى الطير مسخرات﴾** يعني مذللات **﴿في جو السماء﴾** الجو الفضاء الواسع بين السماء والأرض وهو الهواء. قال كعب الأحبار: إن الطير ترتفع في الجو اثني عشر ميلاً ولا ترتفع فوق ذلك **﴿ما يمسكهن إلا الله﴾** يعني في حال قبض أجنحتها، وبسطها واصطفاقها في الهواء، وفي هذا حث على الاستدلال بها على أن لها مسخراً سخرها، ومذللاً ذللها، وممسكاً أمسكها في حال طيرانها ووقوفها في الهواء، وهو الله تعالى **﴿إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾** إنما خص المؤمنين بالذكر، لأنهم هم الذين يعتبرون بالآيات ويتفكرون فيها وينتفعون بها دون غيرهم. قوله سبحانه وتعالى **﴿والله جعل لكم من بيوتكم﴾** يعني التي هي من الحجر والمدر **﴿سكناً﴾** يعني مسكناً تسكنونه، والسكن ما سكنت إليه وفيه من ألف أو بيت **﴿وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً﴾** يعني الخيام والقباب والأخبية، والفساطيط المتخذة من الأدم والأنطاع. واعلم أن المساكن على قسمين: أحدهما: ما لم يمكن نقله من مكان إلى مكان آخر، وهي البيوت المتخذة من الحجارة والخشب ونحوهما، والقسم الثاني: ما يمكن نقله من مكان إلى مكان آخر وهي الخيام والفساطيط المتخذة من جلود الأنعام، وإليها الإشارة بقوله تعالى **﴿تستخفونها﴾** يعني يخف عليكم حملها **﴿يوم ظعنكم﴾** يعني في يوم سيركم ورحيلكم في أسفاركم وظعن البادية هو لطلب ماء أو مرعى، ونحو ذلك **﴿ويوم إقامتكم﴾** يعني وتخف عليكم أيضاً في إقامتكم وحضركم، والمعنى: لا تثقل عليكم في الحالتين **﴿ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها﴾** الكناية عائدة إلى الأنعام، يعني ومن أصواف الضأن، وأوبار الإبل وأشعار المعز **﴿أثاثاً﴾** يعني تتخذون أثاثاً. الأثاث. متاع البيت الكبير، وأصله من أث إذا كثر وتكاثف، وقيل للمال أثاث إذا كثر. قال ابن عباس: أثاثاً يعني مالاً: وقال مجاهد: متاعاً. وقال القتيبي: الأثاث المال أجمع من الإبل والغنم والعبيد والمتاع. وقال غيره الأثاث هو متاع البيت من الفرش والأكسية ونحو ذلك **﴿ومتاعاً﴾** يعني وبلاغاً وهو ما يتمتعون به

﴿ وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ﴾، لأن الله تعالى جعل هذه الأشياء لهم قبل الخروج من بطون الأمهات وإنما أعطاهم العلم بعد الخروج، **﴿ لعلّكم تشكرون ﴾**، نعمة كون السمع والأبصار والأفئدة قبل الخروج إذ يسمع الطفل ويبصر ولا يعلم، وهذه الجوارح من غير هذه الصفات كالمعدوم، كما قال فيمن لا يسمع ولا يبصر العِبَر ولا يعقل الثواب: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُميٌ فهم لا يرجعون ﴾ [البقرة: ١٨] لا يشكرون نِعمَه.

﴿ ألم يروا ﴾، قرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء والباقون بالياء لقوله: **﴿ ويعبدون ﴾** [النحل: ٧٣]. **﴿ إلى الطير مسخرات ﴾**، مذلّلات، **﴿ في جوّ السماء ﴾** وهو الهوى بين السماء والأرض، روى كعب الأحبار أن الطير ترفع اثني عشر ميلاً ولا ترفع فوق هذا وفوق الجو السكاك السماء **﴿ ما يمسكهنّ ﴾** في الهواء **﴿ إلا الله إنّ في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾**.

﴿ والله جعل لكم من بيوتكم ﴾ التي هي من الحجر والمدر، **﴿ سكناً ﴾** أي: مسكناً تسكنونه، **﴿ وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً ﴾**، يعني الخيام والقِباب والأخبية والفساطيط من الأنطاع والأدم، **﴿ تستخفونها ﴾** أي: يخفّ عليكم حملها، **﴿ يوم ظَعْنِكم ﴾**، رحلتكم في سفركم، قرأ ابن عامر وأهل الكوفة ساكنة العين، والآخرون بفتحها، وهو أجزل اللغتين، **﴿ ويوم إقامتكم ﴾**، في بلدكم لا تثقل عليكم في الحالين، **﴿ ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها ﴾**، يعني أصواف الضأن وأوبار الإبل وأشعار المعز، والكناية راجعة إلى الأنعام، **﴿ أثاثاً ﴾**، قال ابن

﴿إلى حين﴾ يعني إلى حين يبلى ذلك الأثاث، وقيل: إلى حين الموت. فإن قلت: أي فرق بين الأثاث والمتاع حتى ذكره بواو العطف، والعطف يوجب المغايرة فهل من فرق؟. قلت: الأثاث ما كثر من آلات البيت وحوائجه وغير ذلك فيدخل فيه جميع أصناف المال، والمتاع ما ينتفع به في البيت خاصة فظهر الفرق بين اللفظتين والله أعلم.

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ
تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن
تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ
نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ
فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا
ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ
عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟
يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾

﴿والله جعل لكم مما خلق ظلالاً﴾ يعني جعل لكم ما تستظلون به من شدة الحر والبرد، وهي ظلال الأبنية والجدران والأشجار ﴿وجعل لكم من الجبال أكناناً﴾ جمع كن وهو ما يستكن فيه من شدة الحر والبرد، كالأسراب والغيران ونحوها وذلك لأن الإنسان إما أن يكون غنياً أو فقيراً، فإذا سافر احتاج في سفره ما يقيه من شدة الحر والبرد فأما الغني فيستصحب معه الخيام في سفره، ليستكن فيها وإليه الإشارة بقوله ﴿وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً﴾ وأما الفقير فيستكن في ظلال الأشجار والحيطان والكهوف ونحوها، وإليه الإشارة بقوله والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً ولأن بلاد العرب شديدة الحر، وحاجتهم إلى الظلال وما يدفع شدته وقوته أكثر فلهذا السبب ذكر الله هذه المعاني في معرض الامتنان عليهم بها، لأن النعمة عليهم فيها ظاهرة ﴿وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر﴾ يعني وجعل لكم قمصاً وثياباً من القطن والكتان والصوف وغير ذلك، تمنعكم من شدة **الحر** قال أهل المعاني والبرد فاكتفى بذكر أحدهما لدلالة الكلام عليه ﴿وسرابيل تقيكم بأسكم﴾ يعني الدروع والجواشن وسائر ما يلبس في **الحرب** من السلاح، والبأس الحرب يعني تقيكم في بأسكم السلاح أن يصيبكم. قال عطاء الخراساني: إنما نزل القرآن على قدر معرفتهم فقال تعالى وجعل لكم من الجبال أكناناً، وما جعل لهم من السهول أعظم وأكثر، ولكنهم كانوا أصحاب جبال كما قال ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها وما جعل لهم من القطن والكتان أكثر، ولكن

عباس: مالاً. قال مجاهد: متاعاً. قال القتيبي: الأثاث المال جميعه من الإبل والغنم والعير والمتاع، وقال غيره: هو متاع البيت من الفرش والأكسية، ﴿ ومتاعاً ﴾، بلاغاً ينتفعون بها، ﴿ إلى حين ﴾ يعني إلى حين الموت. وقيل: إلى حين تُبلى.

﴿ والله جعل لكم مما خلق ظلالاً ﴾ تستظلون بها من شدّة الحرّ وهي ظلال الأبنية والأشجار، ﴿ وجعل لكم من الجبال أكناناً ﴾، يعني: الأسراب والغيران واحدها كِنٌ ﴿ وجعل لكم سرابيل ﴾ قمصاً من الكتان والقزّ والقطن والصوف، ﴿ تقيكم ﴾، تمنعكم، ﴿ الحرّ ﴾، قال أهل المعاني: أراد الحرّ والبرد اكتفاء بذكر أحدهما لدلالة الكلام عليه. ﴿ وسرابيل تقيكم بأسكم ﴾، يعني: الدروع، والبأس: الحرب، يعني: تقيكم في بأسكم السلاح أن

كانوا أصحاب صوف ووبر وشعر، وكما قال تعالى ﴿وينزل من السماء من جبال فيها من برد﴾ وما أنزل من الثلج أكثر، ولكنهم كانوا لا يعرفون الثلج وقال تقيكم الحر وما جعل لهم مما يقي من البرد أكثر ولكنهم كانوا أصحاب حر. وقوله سبحانه وتعالى ﴿كذلك﴾ يعني كما أنعم عليكم بهذه النعم ﴿يتم نعمته عليكم﴾ يعني نعم الدنيا والدين ﴿لعلكم تسلمون﴾ يعني لعلكم يا أهل مكة تخلصون لله الوحدانية والربوبية والعبادة والطاعة وتعلمون، أنه لا يقدر على هذه الإنعامات إلا الله تعالى ﴿فإن تولوا﴾ يعني فإن أعرضوا عن الإيمان بك وتصديقك يا محمد وآثروا ما هم فيه من الكفر واللذات الدنيوية، فإنما وبال ذلك عليهم لا عليك ﴿فإنما عليك البلاغ المبين﴾ يعني ليس عليك في ذلك عتب، ولا سمة تقصير إنما عليك البلاغ، وقد فعلت ذلك ثم ذمهم الله تعالى بقوله ﴿يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها﴾ قال السدي: نعمة الله يعني محمداً ﷺ أنكروه وكذبوه. وقيل: نعمة الله هي الإسلام لأنه من أعظم النعم التي أنعم الله بها على عباده، ثم إن كفار مكة أنكروه وجحدوه، وقال مجاهد وقتادة: نعمة الله ما عدد عليهم في هذه السورة من النعم يقرون بأنها من الله، ثم إذا قيل لهم: صدقوا وامتثلوا أمر الله فيها ينكرونها ويقولون ورثناها عن آبائنا. وقال الكلبي: إنه لما ذكر هذه النعم قالوا: هذه نعم كلها من الله تعالى لكنها بشفاعة آلهتنا وقيل هو قول الرجل لولا فلان لكان كذا ولولا فلان لما كان كذا وقيل إنهم يعترفون بأن الله أنعم بهذه النعم، ولكنهم لا يستعملونها في طلب رضوانه ولا يشكرونه عليها ﴿وأكثرهم الكافرون﴾ إنما قال الله سبحانه وتعالى أكثرهم الكافرون مع أنهم كانوا كلهم كافرين، لأنه كان فيهم من لم يبلغ بعد حد التكليف فعبر بالأكثر عن البالغين، وقيل: أراد بالأكثر الكافرين الحاضرين المعاندين، وقد كان فيهم من ليس بمعاند وإن كان كافراً وقيل إنه عبر بالأكثر عن الكل لأنه قد يذكر الأكثر، ويراد به الجمع قوله سبحانه وتعالى ﴿ويوم نبعث من كل أمة شهيداً﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى نعمه على الكافرين وإنكارهم لها، وذكر أن أكثرهم كافرون، أتبعه بذكر الوعيد لهم في الآخرة فقال تعالى: ﴿ويوم نبعث من كل أمة شهيداً﴾ يعني رسولاً وذلك اليوم، هو يوم القيامة والمراد بالشهداء: الأنبياء يشهدون على أممهم بإنكار نعم الله عليهم وبالكفر ﴿ثم

يصيبكم، ﴿ وكذلك يُتِمُّ نعمتَه عليكم لعلّكم تُسلمون ﴾، تخلصون له الطاعة، قال عطاء الخراساني: إنما أنزل القرآن على قدر معرفتهم، فقال: وجعل لكم من الجبال أكناناً وما جعل لهم من السهول أكثر وأعظم، ولكنهم كانوا أصحاب جبال كما قال: ﴿ ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها ﴾ لأنهم كانوا أصحاب وبر وشعر، وكما قال: ﴿ وينزّل من السماء من جبال فيها من برد ﴾ [النور: ٤٣] وما أنزل من الثلج أكثر، ولكنهم كانوا لا يعرفون الثلج. وقال: ﴿ تقيكم الحرّ ﴾ وما تقي من البرد أكثر ولكنهم كانوا أصحاب حرّ.

﴿ فإن تولّوا ﴾، فإن أعرضوا فلا يلحق في ذلك عتب ولا سِمة تقصير، ﴿ فإنما عليك البلاغ المبين ﴾ ﴿ يعرفون نعمة الله ﴾، قال السدي يعني: محمداً ﷺ، ﴿ ثم ينكرونها ﴾، يكذبون به، وقال قوم: هي الإسلام. وقال مجاهد وقتادة: يعني ما عدّ لهم من النِعَم في هذه السورة يقرّون أنها من الله، ثم قيل لهم: تصدقوا وامتثلوا لأمر الله فيها ينكرونها فيقولون ورثتها من آبائنا. وقال الكلبي: هو أنه لمّا ذكر لهم هذه النعمة قالوا: نعم هذه كلها من الله ولكنها بشفاعة آلهتنا. وقال عوف بن عبد الله: وهو قول الرجل لولا فلان لكان كذا وكذا ولولا فلان لما كان كذا، ﴿ وأكثرهم الكافرون ﴾، الجاحدون.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ ويوم نبعث من كل أمة شهيداً ﴾، يعني رسولاً ﴿ ثم لا يؤذن للذين كفروا ﴾، في الاعتذار، وقيل: في الكلام أصلاً، ﴿ ولا هم يُستعتَبُون ﴾، يَسترضون، يعني: لا يكلفون أن يرضوا ربهم لأن الآخرة ليست بدار تكليف ولا يرجعون إلى الدنيا فيتوبون، وحقيقة المعنى في الاستعتاب. أنه التعرّض لطلب الرضا وهذا الباب مُنسدٌّ في الآخرة على الكفّار.

لا يؤذن للذين كفروا﴾ يعني في الاعتذار وقيل لا يؤذن لهم في الكلام أصلاً. وقيل: لا يؤذن لهم بالرجوع إلى دار الدنيا فيعتذروا ويتوبوا وقيل: لا يؤذن لهم في معارضة الشهود بل يشهدون عليهم ويقرونهم على ذلك **﴿ولا هم يستعتبون﴾** الاستعتاب: طلب العتاب، والمعتبة: هي الغلظة والموجدة التي يجدها الإنسان في نفسه على غيره، والرجل إنما يطلب العتاب من خصمه ليزيل ما في نفسه عليه من الموجدة والغضب، ويرجع إلى الرضا عنه وإذا لم يطلب العتاب منه دل ذلك على أنه ثابت على غضبه عليه، ومعنى الآية: أنهم لا يكلفون أن يرضوا ربهم في ذلك اليوم، لأن الآخرة ليست دار غضبه عليه، ومعنى الآية أنهم لا يكلفون أن يرضوا ربهم في ذلك اليوم لأن الآخرة ليست دار تكليف ولا يرجعون إلى الدنيا فيتوبوا ويرجعوا يرضوا ربهم فالاستعتاب: التعرض لطلب الرضا، وهذا باب مسند على الكفار في الآخرة **﴿وإذا رأى الذين ظلموا﴾** يعني ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي **﴿العذاب﴾** يعني عذاب جهنم **﴿فلا يخفف عنهم﴾** يعني العذاب **﴿ولا هم ينظرون﴾** يعني لا يؤخرون ولا يمهلون **﴿وإذا رأى الذين أشركوا﴾** يعني يوم القيامة **﴿شركاءهم﴾** يعني أصنامهم التي كانوا يعبدونها في الدنيا **﴿قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك﴾** يعني أرباباً وكنا نعبدهم ونتخذهم آلهة **﴿فألقوا﴾** يعني الأصنام **﴿إليهم﴾** يعني إلى عابديها **﴿القول إنكم لكاذبون﴾** يعني أن الأصنام قالت للكفار: إنكم لكاذبون يعني في تسميتنا آلهة وما دعوناكم إلى عبادتنا. فإن قلت: الأصنام جماد لا تتكلم فكيف يصح منها الكلام؟ قلت: لا يبعد أن الله سبحانه وتعالى لما بعثها، وأعادها في الآخرة، خلق فيها الحياة والنطق والعقل حتى قالت ذلك. والمقصود من إعادتها وبعثها، أن تكذب الكفار ويراها الكفار وهي في غاية الذلة والحقارة، فيزدادون بذلك غماً وحسرة **﴿وألقوا﴾** يعني المشركين **﴿إلى الله يومئذ السلم﴾** يعني أنهم استسلموا له، وانقادوا لحكمه فيهم ولم تغن عنهم آلهتهم شيئاً **﴿وضل عنهم﴾** يعني وزال عن المشركين **﴿ما كانوا يفترون﴾** يعني ما كانوا يكذبون في الدنيا في قولهم، إن الأصنام تشفع لهم **﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾** يعني ضموا مع كفرهم أنهم منعوا الناس عن الدخول في الإيمان بالله ورسوله **﴿زدناهم عذاباً فوق العذاب﴾** يعني زدناهم هذه الزيادة بسبب صدهم عن سبيل الله مع ما يستحقونه من العذاب على كفرهم الأصلي، واختلفوا في هذه الزيادة ما هي فقال عبد الله بن مسعود: عقارب لها أنياب، كأمثال النخل الطوال. وقال سعيد بن جبير: حيات كالبخت وعقارب أمثال البغال، تلسع إحداهن اللسعة، فيجد صاحبها ألمها أربعين خريفاً. وقال ابن عباس ومقاتل: يعني خمسة أنهار من صفر مذاب كالنار تسيل يعذبون بها ثلاثة على مقدار الليل واثنان على مقدار النهار، وقيل: إنهم يخرجون من حر النار إلى برد الزمهرير فيبادرون من شدة الزمهرير إلى النار مستغيثين بها وقيل: يضاعف لهم العذاب

﴿ وإذا رأى الذين ظلموا ﴾، كفروا، **﴿ العذاب ﴾**، يعني جهنّم، **﴿ فلا يخفّف عنهم ولا هم يُنظرون ﴾**.

﴿ وإذا رأى الذين أشركوا ﴾، يوم القيامة، **﴿ شركاءهم ﴾**، أوثانهم، **﴿ قالوا ربّنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنّا ندعُوا من دونكَ ﴾**، أرباباً ونعبدهم، **﴿ فألْقَوا ﴾**، يعني الأوثان، **﴿ إليهم القول ﴾**، أي: قالوا لهم: **﴿ إنكم لكاذبون ﴾**، في تسميتنا آلهة ما دعوناكم إلى عبادتنا.

﴿ وألْقَوا ﴾، يعني المشركين **﴿ إلى الله يومئذٍ السَّلَم ﴾**، استسلموا وانقادوا لحكمه فيهم، لم تغنِ عنهم آلهتهم شيئاً، **﴿ وضلّ ﴾**، وزال، **﴿ عنهم ما كانوا يفترون ﴾**، من أنها تشفع لهم.

﴿ الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله ﴾، منعوا الناس عن طريق الحق **﴿ زدناهم عذاباً فوق العذاب ﴾**، قال عبد الله: عقارب لها أنياب أمثل النخل الطوال. وقال سعيد بن جبير: حيّات أمثال البخت وعقارب أمثال البغال تلسع إحداهنّ اللسعة يجد صاحبها حمتها أربعين خريفاً. وقال ابن عباس ومقاتل: يعني خمسة أنهار من صفر مُذاب كالنار تسيل من تحت العرش، يعذّبون بها ثلاثة على مقدار الليل واثنان على مقدار النهار، وقيل: إنهم

ضعفاً بسبب كفرهم وضعفاً بسبب صدهم الناس عن سبيل الله ﴿بما كانوا يفسدون﴾ يعني أن الزيادة إنما حصلت لهم بسبب صدهم عن سبيل الله، وبسبب ما كانوا يفسدون مع ما يستحقونه من العذاب على الكفر.

وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ
الْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ
ذِى الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ
اللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا
تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن
تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِۦ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ
شَآءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾
وَلَا تَتَّخِذُوٓا أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ
يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوٓا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن
ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾

﴿ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم﴾ قال ابن عباس: يريد الأنبياء. قال المفسرون: كل نبي شاهد على أمته وهو أعدل شاهد عليها ﴿من أنفسهم﴾ يعني منهم لأن كل نبي إنما بعث من قومه الذين بعث إليهم ليشهدوا عليهم وبما فعلوا من كفر وإيمان وطاعة وعصيان ﴿وجئنا بك﴾ يا محمد ﴿شهيداً على هؤلاء﴾ يعني على قومك وأمتك وتم الكلام هنا ثم قال تبارك وتعالى ﴿ونزلنا عليك الكتاب﴾ يعني القرآن ﴿تبياناً لكل شيء﴾ اسم من البيان قال مجاهد: يعني لما أمر به وما نهى عنه. وقال أهل المعاني: تبياناً لكل شيء يعني من أمور الدين إما بالنص عليه أو بالإحالة على ما يوجب العلم به من بيان النبي ﷺ لأن النبي ﷺ بيّن ما في القرآن من الأحكام والحدود والحلال والحرام، وجميع المأمورات والمنهيات، وإجماع الأمة فهو أيضاً أصل ومفتاح لعلوم الدين ﴿وهدى﴾ يعني من الضلالة ﴿ورحمة﴾ يعني لمن آمن به وصدقه ﴿وبشرى للمسلمين﴾ يعني وفيه بشرى للمسلمين من الله عز وجل. وقوله سبحانه وتعالى ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ قال ابن عباس: العدل شهادة أن لا إله إلا الله والإحسان أداء الفرائض. وفي رواية عنه قال: العدل خلع الأنداد، والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه وأن تحب للناس ما تحب لنفسك إن كان مؤمناً تحب

يخرجون من حرّ النار إلى برد الزمهرير فيبادرون من شدّة الزمهرير إلى النار مستغيثين بها. وقيل: يضاعف لهم العذاب. ﴿ بما كانوا يفسدون ﴾، في الدنيا بالكفر وصدّ الناس عن الإيمان.

﴿ ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم ﴾، يعني نبيّها لأن الأنبياء كانت تبعث إلى الأمم منها. ﴿ وجئنا بك ﴾، يا محمد، ﴿ شهيداً على هؤلاء ﴾، الذين بعثتَ إليهم ﴿ ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً﴾، بياناً، ﴿ لكل شيء ﴾، يحتاج إليه من الأمر والنهي والحلال والحرام والحدُود والأحكام، ﴿ وهدىً ﴾، من الضلالة، ﴿ ورحمةً وبشرى ﴾، بشارة ﴿ للمسلمين ﴾.

أن يزداد إيماناً، وإن كان كافراً تحب أن يكون أخاك في الإسلام. وقال في رواية أخرى عنه: العدل التوحيد والإحسان الإخلاص، وأصل العدل في اللغة المساواة في كل شيء من غير زيادة في شيء ولا غلو ولا نقصان فيه، ولا تقصير فالعدل هو المساواة في المكافأة إن خيراً فخير، وإن شراً فشر والإحسان أن تقابل الخير بأكثر منه والشر بأن تعفو عنه: وقيل: العدل الإنصاف ولا إنصاف أعظم من الاعتراف للمنعم بإنعامه، والإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك، وقيل يأمر بالعدل في الأفعال والإحسان في الأقوال فلا يفعل إلا ما هو عدل، ولا يقول إلا ما هو حسن ﴿وإيتاء ذي القربى﴾ يعني ويأمر بصلة الرحم وهم القرابة الأدنون والأبعدون منك فيستحب أن تصلهم من فضل ما رزقك الله فإن لم يكن لك فضل فدعاء حسن وتودد ﴿وينهى عن الفحشاء﴾ قال ابن عباس: يعني الزنا. وقال غيره الفحشاء، ما قبح من القول والفعل فيدخل فيه الزنا وغيره من جميع الأقوال والأفعال المذمومة ﴿والمنكر﴾ قال ابن عباس: يعني الشرك والكفر. وقال غيره: المنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة ﴿والبغي﴾ يعني الكبر والظلم. وقيل: البغي هو التطاول على الغير على سبيل الظلم والعدوان. قال بعضهم: إن أعجل المعاصي البغي ولو أن جبلين بغى أحدهما على الآخر لدك الباغي. وقال ابن عيينة في هذه الآية: العدل استواء السر والعلانية، والإحسان أن تكون سريرته أحسن من علانيته والفحشاء والمنكر والبغي، أن تكون علانيته أحسن من سريرته، وقال بعضهم: إن الله سبحانه وتعالى ذكر من المأمورات ثلاثة أشياء، ومن المنهيات ثلاثة أشياء، فذكر: العدل وهو الإنصاف، والمساواة في الأقوال والأفعال وذكر في مقابلته الفحشاء، وهي ما قبح من الأقوال والأفعال وذكر الإحسان، وهو أن تعفو عمن ظلمك وتحسن إلى من أساء إليك وذكر في مقابلته المنكر، وهو أن تنكر إحسان من أحسن إليك، وذكر إيتاء ذي القربى، والمراد به صلة القرابة والتودد إليهم، والشفقة عليهم وذكر في مقابلته البغي، وهو أن يتكبر عليهم أو يظلمهم حقوقهم ثم قال تعالى ﴿يعظكم لعلكم تذكرون﴾ يعني إنما أمركم بما أمركم به ونهاكم عما نهاكم عنه، لكي تتعظوا وتتذكروا فتعملوا، بما فيه رضا الله تعالى. قال ابن مسعود: إن أجمع آية في القرآن لخير وشر هذه الآية. وقال أهل المعاني: لما قال الله تعالى في الآية الأولى، ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء بيّن في هذه الآية المأمور به والمنهي عنه على سبيل الإجمال، فما من شيء يحتاج إليه الناس في أمر دينهم، مما يجب أن يؤتى أو يترك إلا وقد اشتملت عليه هذه الآية وروى عكرمة أن النبي ﷺ، قرأ على الوليد بن المغيرة أنّ الله يأمر بالعدل إلى آخر الآية، فقال له: «يا ابن أخي أعد عليّ» فأعادها عليه فقال له الوليد: والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله

﴿ إنّ الله يأمر بالعدل ﴾، بالإنصاف، ﴿ والإحسان ﴾، إلى الناس وعن ابن عباس: العدل: التوحيد والإحسان: أداء الفرائض. وعنه أيضاً: الإحسان: الإخلاص في التوحيد، وذلك معنى قول النبي ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه». وقال مقاتل: العدل التوحيد، والإحسان: العفوعن الناس، ﴿ وإيتاء ذي القربى ﴾، صلة الرحم، ﴿ وينهى عن الفحشاء ﴾، ما قبح من القول والفعل. وقال ابن عباس: الزنا، ﴿ والمنكر ﴾، ما لا يعرف في شريعة ولا سُنّة، ﴿ والبغي ﴾، الكبر والظلم. وقال ابن عيينة العدل استواء السر والعلانية، والإحسان أن تكون سريرته أحسن من علانيته، والفحشاء والمنكر أن تكون علانيته أحسن من سريرته، ﴿ يعظكم لعلكم تذكرون ﴾، لعلكم تتعظون. قال ابن مسعود: أجمع آية في القرآن هذه الآية. وقال أيوب عن عكرمة: إن النبي ﷺ قرأ على الوليد: ﴿ إن الله يأمر بالعدل ﴾ إلى آخر الآية فقال له: يا ابن أخي أعد فعاد عليه، فقال: إن له والله لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق، وما هو بقول البشر.

قوله تعالى: ﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ﴾، والعهد ههنا هو اليمين، قال الشعبي: العهد يمين وكفّارته كفّارة اليمين، ﴿ ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ﴾، تشديدها فتحنثوا فيها، ﴿ وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً ﴾،

لمغدق وما هو بقول البشر. قوله عز وجل ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى في الآية المتقدمة المأمورات والمنهيات على سبيل الإجمال، ذكر في هذه الآية بعض ذلك الإجمال على التفصيل فبدأ بالأمر بالوفاء بالعهد، لأنه آكد الحقوق فقال تعالى ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم﴾ نزلت في الذين بايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام، فأمرهم بالوفاء بهذه البيعة، وقيل: المراد منه كل ما يلتزمه الإنسان باختياره، ويدخل فيه الوعد أيضاً لأن الوعد من العهد، وقيل: العهد هاهنا اليمين. قال القتيبي: العهد يمين وكفارته كفارة يمين فعلى هذا يجب الوفاء به إذا كان فيه صلاح أما إذا لم يكن فيه صلاح، فلا يجب الوفاء به لقوله ﷺ: «من حلف يميناً ثم رأى غيرها خيراً منها فليأت الذي هو خير، وليكفّر عن يمينه» فيكون قوله وأوفوا بعهد الله من العام الذي خصصته السنة. وقال مجاهد وقتادة: نزلت في حلف أهل الجاهلية، ويشهد لهذا التأويل قوله ﷺ «كل حلف كان في الجاهلية، لم يزده الإسلام إلا شدة» ﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾ يعني تشديدها فتحنثوا فيها وفيه دليل على أن المراد بالعهد غير اليمين لأنه أعم منها ﴿وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً﴾ يعني شهيداً بالوفاء بالعهد ﴿إن الله يعلم ما تفعلون﴾ يعني من وفاء العهد ونقضه ثم ضرب الله سبحانه وتعالى مثلاً لنقض العهد فقال تعالى ﴿ولا تكونوا﴾ يعني في نقض العهد ﴿كالتي نقضت غزلها من بعد قوة﴾ يعني من بعد إبرامه وإحكامه. قال الكلبي ومقاتل: هذه امرأة من قريش يقال لها ريطة بنت عمرو بن سعد بن كعب بن زيد مناة بن تميم وكانت خرقاء حمقاء بها وسوسة، وكانت قد اتخذت مغزلاً قدر ذراع وصنارة مثل الإصبع وفلكة عظيمة على قدرها، وكانت تغزل الغزل من الصوف، أو الشعر أو الوبر وتأمر جواريها بالغزل فكن يغزلن من الغداة إلى نصف النهار، فإذا انتصف النهار أمرتهن بنقض جميع ما غزلن، فكان هذا دأبها. والمعنى: أن هذه المرأة، لم تكف عن العمل ولا حين عملت كفت عن النقض فكذلك من نقض العهد لاتركه ولا حين عاهد وفى به ﴿أنكاثاً﴾ جمع نكث وهو ما ينقض من الغزل أو الحبل بعد الفتل ﴿تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم﴾ يعني دغلاً وخيانة وخديعة، والدخل ما يدخل في الشيء على سبيل الفساد، وقيل: الدخل والدغل أن يظهر الرجل الوفاء بالعهد ويبطن نقضه ﴿أن تكون﴾ يعني لأن تكون ﴿أمة هي أربى من أمة﴾ يعني أكثر وأعلى من أمة. قال مجاهد: وذلك أنهم كانوا يحالفون الحلفاء فإذا وجدوا قوماً أكثر من أولئك وأعز نقضوا حلف هؤلاء، وحالفوا الأكثر. والمعنى: أنكم طلبتم العز بنقض العهد لأن كانت أمة أي جماعة أكثر من جماعة فنهاهم الله عن ذلك، وأمرهم بالوفاء بالعهد لمن عاهدوا وحالفوا، ﴿إنما يبلوكم الله به﴾ يعني يختبركم بما أمركم به من الوفاء بالعهد وهو أعلم بكم ﴿وليبينن لكم يوم

شهيداً بالوفاء، ﴿ إنّ الله يعلم ما تفعلون ﴾، واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية وإن كان حكمها عامّاً قيل نزلت في الذين بايعوا رسول الله ﷺ، أمرهم الله بالوفاء بها. وقال مجاهد وقتادة: نزلت في حلف أهل الجاهلية ثم ضرب الله مثلاً لنقض العهد.

فقال: ﴿ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة﴾، أي: من بعد غزله وإحكامه. قال الكلبي ومقاتل: هي امرأة خرقاء حمقاء من قريش يقال لها ريطة بنت عمرو بن سعد بن كعب بن زيد مناة بن تميم، وتلقب بجعر وكانت بها وسوسة، وكانت اتخذت مِغزلاً بقدر ذراع وصنّارة مثل الأصبع، وفلكة عظيمة على قدرها وكانت تغزل الغزل من الصوف والشعر والوبر، وتأمر جواريها بذلك فكنّ يغزلن من الغداة إلى نصف النهار، فإذا انتصف النهار أمرتهنّ بنقض جميع ما غزلنَ فهذا كان رأيها ومعناه أنها لم تكفّ عن العمل ولا حين عملت كفّت عن النقض، فكذلك أنتم إذا أنقضتم العهد لا كففتم عن العهد، ولا حين عاهدتم وفيتم به، ﴿أنكاثاً﴾، يعني أنقاضاً واحدتها نكث وهو ما نقض بعد الفتل غزلاً كان أو حبلاً. ﴿ تتخذون أيمانكم دَخَلاً بينكم ﴾، أي: دخلاً وخيانة وخديعة، والدخل ما يدخل في شيء للفساد، وقيل: الدخل والدغل أن يظهر الوفاء ويبطن النقض. ﴿ أن تكون ﴾ أي: لأن تكون،

القيامة ما كنتم فيه تختلفون﴾ يعني في الدنيا فيثيب الطائع المحق، ويعاقب المسيء الخالف قوله سبحانه وتعالى **﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾** يعني على ملة واحدة ودين واحد، وهو دين الإسلام **﴿ولكن يضل من يشاء﴾** يعني بخذلانه إياه عدلاً منه **﴿ويهدي من يشاء﴾** بتوفيقه إياه فضلاً منه وذلك مما اقتضته الحكمة الإلهية لا يسأل عما يفعل، وهم يسألون، وهو قوله تعالى **﴿ولتسألن عما كنتم تعملون﴾** يعني في الدنيا فيجازى المحسن بإحسانه، ويعاقب المسيء بإساءته أو يغفر له. قوله عز وجل **﴿ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم﴾** يعني خديعة وفساداً بينكم فتغروا بها الناس فيسكنوا إلى أيمانكم، ويأمنوا إليكم ثم تنقضونها. وإنما كرر هذا المعنى تأكيداً عليهم وإظهاراً لعظم أمر نقض العهد. قال المفسرون: وهذا في نهي الذين بايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام نهاهم عن نقض عهده، لأن الوعيد الذي بعده وهو قوله سبحانه وتعالى: فتنزل قدم بعد ثبوتها لا يليق بنقض عهد غيره، إنما يليق بنقض عهد رسول الله ﷺ على الإيمان به وبشريعته وقوله **﴿فتزل قدم بعد ثبوتها﴾** مثل يذكر لكل من وقع في بلاء ومحنة بعد عافية ونعمة أو سقط في ورطة بعد سلامة. تقول العرب لكل واقع في بلاء بعد عافية: زلت قدمه، والمعنى: فتزل أقدامكم عن محجة الإسلام، بعد ثبوتها عليها **﴿وتذوقوا السوء﴾** يعني العذاب **﴿بما صددتم عن سبيل الله﴾** يعني بسبب صدكم غيركم عن دين الله وذلك لأن من نقض العهد، فقد علّم غيره نقض العهد فيكون هو أقدمه على ذلك **﴿ولكم عذاب عظيم﴾** يعني بنقضكم العهد **﴿ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً﴾** يعني ولا تنقضوا عهودكم وتطلبوا بنقضها عوضاً من الدنيا قليلاً، ولكن أوفوا بها **﴿إنما عند الله﴾** يعني فإن ما عند الله من الثواب لكم على الوفاء بالعهد **﴿هو خير لكم﴾** يعني من عاجل الدنيا **﴿إن كنتم تعلمون﴾** يعني فضل ما بين العوضين ثم بين ذلك فقال تبارك وتعالى **﴿ما عندكم ينفد﴾** يعني من متاع الدنيا، ولذاتها يفنى ويذهب **﴿وما عند الله باق﴾** يعني من ثواب الآخرة ونعيم الجنة **﴿ولنجزين الذين صبروا﴾** يعني على الوفاء بالعهد على السراء والضراء **﴿أجرهم﴾** يعني ثواب صبرهم **﴿بأحسن ما كانوا يعملون﴾** عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى» وقوله سبحانه وتعالى **﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن﴾** فإن قلت: من عمل صالحاً يفيد العموم فما فائدة الذكر والأنثى؟ قلت: هو مبهم صالح على الإطلاق للنوعين إلا أنه إذا ذكر وأطلق، كان الظاهر تناوله للذكر دون الأنثى فقيل من ذكر أو أنثى على التبيين، ليعلم الوعد للنوعين جميعاً وجواب آخر وهو أن الآية واردة بالوعد بالثواب والمبالغة في تقرير الوعد، من أعظم دلائل الكرم والرحمة إثباتاً للتأكد، وإزالة لِوَهْم التخصيص، وقوله: وهو مؤمن، جعل الإيمان شرطاً في كون العمل الصالح موجباً للثواب **﴿فلنحيينه حياة طيبة﴾** قال

﴿ أمة هي أربى ﴾، أي: أكثر وأعلى، **﴿ من أمة ﴾** قال مجاهد: وذلك أنهم كانوا يحالفون الحلفاء فإذا وجدوا قوماً أكثر منهم وأعزّ نقضوا حلف هؤلاء وحالفوا الأكثر، فمعناه طلبتم العزّ بنقض العهد بأن كانت أمة أكثر من أمة فنهاهم الله عن ذلك. **﴿ إنّما يبلوكم الله به ﴾**، يختبركم الله بأمره إياكم بالوفاء بالعهد، **﴿ ولِيُبيِّننَّ لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ﴾**، في الدنيا.

﴿ ولو شاء الله لجعلكم أمةً واحدة ﴾، على ملّة واحدة وهي الإسلام، **﴿ ولكن يُضلّ مَن يشاء ﴾**، بخذلانه إيَّاهم عدلاً منه، **﴿ ويهدي مَن يشاء ﴾**، بتوفيقه إيَّاهم فضلاً منه، **﴿ ولتسئلنّ عمّا كنتم تعملون ﴾**، يوم القيامة.

﴿ ولَا تتخذوا أيمانكم دخلًا ﴾، خديعةً وفساداً، **﴿ بينكم ﴾**، فتغرون بها الناس فيسكنون إلى أيمانكم ويأمنون ثم تنقضونها، **﴿ فتزلّ قدم بعد ثبوتها ﴾**، فتهلكوا بعد ما كنتم آمنين والعرب تقول لكل مبتلى بعد عافية أو ساقط في ورطة بعد سلامة زلّت قدمه، **﴿ وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ﴾**، قيل: معناه سهّلتم طريق نقض العهد على الناس بنقضكم العهد، **﴿ ولكم عذاب عظيم ﴾**.

سعيد بن جبير وعطاء: هي الرزق الحلال، وقال مقاتل: هي العيش في الطاعة، وقيل: هي حلاوة الطاعة. وقال الحسن هي القناعة وقيل رزق يوم بيوم، واعلم أن عيش المؤمن في الدنيا، وإن كان فقيراً أطيب من عيش الكافر وإن كان غنياً لأن المؤمن لما علم أن رزقه من عند الله، وذلك بتقديره وتدبيره وعرف أن الله محسن كريم متفضل لا يفعل إلا الصواب، فكان المؤمن راضياً عن الله وراضياً بما قدره الله له ورزقه إياه، وعرف أنه له مصلحة في ذلك القدر الذي رزقه إياه فاستراحت نفسه من الكد والحرص فطاب عيشه بذلك وأما الكافر أو الجاهل بهذه الأصول الحريص على طلب الرزق فيكون أبداً في حزن وتعب وعناء وحرص وكد ولا ينال من الرزق إلا ما قدر له فظهر بهذا أن عيش المؤمن القنوع أطيب من غيره. وقال السدي: الحياة الطيبة إنما تحصل في القبر لأن المؤمن يستريح بالموت من نكد الدنيا وتعبها. وقال مجاهد وقتادة: في قوله فلنحيينه حياة طيبة هي الجنة. وروى العوفي عن الحسن، قال: لا تطيب لأحد الحياة إلا في الجنة لأنها حياة بلا موت، وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم وملك بلا هلك وسعادة بلا شقاة، فثبت بهذا أن الحياة الطيبة لا تكون إلا في الجنة، ولقوله في سياق الآية ﴿**ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**﴾ لأن ذلك الجزاء إنما يكون في الجنة. قوله عز وجل:

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

﴿**فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم**﴾ الخطاب فيه للنبي ﷺ ويدخل فيه غيره من أمته، لأن النبي ﷺ لما كان غير محتاج إلى الاستعاذة، وقد أمر بها فغيره أولى بذلك، ولما كان الشيطان ساعياً في إلقاء الوسوسة في

﴿ **ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً** ﴾، يعني لا تنقضوا عهودكم تطلبون بنقضها عَرَضاً قليلاً من الدنيا، ولكن أوفوا بها. ﴿ **إنما عند الله هو** ﴾، من الثواب لكم على الوفاء بالعهد، ﴿ **خير لكم إن كنتم تعلمون** ﴾، فضلَ ما بين العوضين ثم بينّ ذلك.

فقال: ﴿ **ما عندكم ينفد** ﴾، أي: الدنيا وما فيها يفنى، ﴿ **وما عند الله باقٍ ولَنجزينَّ** ﴾، قرأ أبو جعفر وابن كثير وعاصم بالنون والباقون بالياء، ﴿ **الذين صبروا** ﴾، على الوفاء في السرّاء والضرّاء، ﴿ **أجرهم بأحسنِ ما كانوا يعملون** ﴾. أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي أنا أبو الحسن الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري ثنا أحمد بن علي الكشمهيني ثنا علي بن حجر ثنا إسماعيل بن جعفر ثنا عمرو بن أبي عمرو مولى المطّلب عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: «مَن أحبّ دنياه أضرّ بآخرته، ومَن أحبّ آخرته أضرّ بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى».

قوله تعالى: ﴿ **مَن عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينّه حياةً طيبةً** ﴾، قال سعيد بن جبير وعطاء: هي الرزق الحلال. قال الحسن: هي القناعة. وقال مقاتل بن حيان: يعني العيش في الطاعة. قال أبو بكر الورّاق: هي حلاوة الطاعة. وقال مجاهد وقتادة: هي الجنة. ورواه عوف عن الحسن. وقال: لا تطيب الحياة لأحد إلّا في الجنة. ﴿ **ولنجزينّهم أجرهم بأحسنِ ما كانوا يعملون** ﴾.

قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **فإذا قرأت القرآن** ﴾، أي: إذا أردت قراءة القرآن ﴿ **فاستعذ بالله من الشيطان**

قلوب بني آدم وكانت الاستعاذة بالله مانعة من ذلك، فلهذا السبب أمر الله رسوله ﷺ والمؤمنين بالاستعاذة عند القراءة، حتى تكون مصونة من وسواس الشيطان عن جبير بن مطعم أنه رأى رسول الله ﷺ يصلي صلاة، قال عمر: ولا أدري أي صلاة هي. قال: الله أكبر كبيراً ثلاثاً والحمد لله كثيراً ثلاثاً وسبحان الله بكرة وأصيلا ثلاثاً وأعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخته ونفثته وهمزته. قال: نفخته الكبر ونفثته السحر وهمزته المونة أخرجه أبو داود. المونة الجنون والفاء في قوله فاستعذ بالله للتعقيب. فظاهر لفظ الآية يدل على أن الاستعاذة بعد القراءة، وإليه ذهب جماعة من الصحابة والتابعين وهو قول أبي هريرة وإليه ذهب مالك وجماعة وداود الظاهري. قالوا: لأن قارىء القرآن يستحق ثواباً عظيماً وربما حصلت الوساوس في قلب القارىء هل حصل له ذلك الثواب أم لا؟ فإذا استعاذ بعد القراءة اندفعت تلك الوساوس وبقي الثواب مخلصاً فأما مذهب الأكثرين من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من الأئمة وفقهاء الأمصار، فقد اتفقوا على أن الاستعاذة مقدمة على القراءة، قالوا: ومعنى الآية إذا أردت أن تقرأ القرآن، فاستعذ بالله ومثله قوله سبحانه وتعالى ﴿إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم﴾ الخ ومثله من الكلام إذا أردت أن تأكل فقل: بسم الله وإذا أردت أن تسافر فتأهب، وأيضاً فإن الوسوسة إنما تحصل في أثناء القراءة فتقديم الاستعاذة على القراءة، لتذهب الوسوسة عنه أولى من تأخيرها عن وقت الحاجة إليها، ومذهب عطاء أنه تجب الاستعاذة عند قراءة القرآن سواء كانت في الصلاة أو في غيرها، واتفق سائر الفقهاء على أن الاستعاذة عند قراءة القرآن سواء كانت في الصلاة أو في غيرها، واتفق سائر الفقهاء على أن الاستعاذة سنة في الصلاة وغيرها، وقد تقدمت هذه المسألة والخلاف فيها في أول سورة الفاتحة، والاستعاذة: الاعتصام بالله والالتجاء إليه من شر الشيطان ووسوسته. والمراد من الشيطان إبليس. وقيل: هو اسم جنس يطلق على المردة من الشياطين، لأن لهم قدرة على إلقاء الوسوسة في قلوب بني آدم بإقدار الله إياهم على ذلك ﴿**إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون**﴾ لما أمر الله رسوله ﷺ بالاستعاذة من الشيطان فكأن ذلك أوهم أن له سلطان يعني ليس له قدرة، ولا ولاية على الذين آمنوا، وعلى ربهم يتوكلون. قال سفيان ليس له سلطان على أن يحملهم على ذنب لا يغفر ويظهر من هذا(١) أن الاستعاذة، إنما تفيد إذا حضر بقلب الإنسان كونه ضعيفاً، وأنه لا يمكنه التحفظ من وسوسة الشيطان إلا بعصمة الله ولهذا قال المحققون: لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله إلا بتوفيق الله ثم قال تعالى ﴿**إنما سلطانه على**

الرجيم﴾، كقوله تعالى: ﴿ **إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا** ﴾ [المائدة: ٦]، والاستعاذة سُنّة عند قراءة القرآن، وأكثر العلماء على أن الاستعاذة قبل القراءة. وقال أبو هريرة: بعدها ولفظة أن يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي ثنا علي بن الجعد أنا شعبة عن عمرو بن مرّة سمعت عاصماً عن ابن جبير بن مطعم عن أبيه أنه رأى النبي ﷺ يصلّي، قال: فكبّر، فقال: «الله أكبر كبيراً» ثلاث مرات، «والحمد لله كثيراً» ثلاث مرات، «وسبحان الله بكرةً وأصيلاً» ثلاث مرات، «اللّهمّ إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ولمزه ونفخه ونفثه». قال عمر: ونفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموتة، والموتة الجنون، والاستعاذة بالله هي الاعتصام به.

﴿ **إنه ليس له سلطان** ﴾، حجّة وولاية، ﴿ **على الذين آمنوا وعلى ربِّهم يتوكلون** ﴾، قال سفيان: ليس له سلطان على أن يحملهم على ذنب لا يُغفَر.

﴿ **إنما سلطانه على الذين يتولّونه** ﴾، يطيعونه ويدخلون في ولايته، ﴿ **والذين هم به مشركون** ﴾، أي: بالله

---

(١) قوله ويظهر من هذا، اسم الإشارة راجع لما ذكره قبل قول سفيان كما يعلم من الفخر فإنه لم يذكر في هذا المحل قول سفيان وذكر ما قبله وما بعده وعبارته بخلاف ما هنا فإنه يوهم رجوع اسم الإشارة لقول سفيان وهو غير ظاهر اهـ.

الذين يتولونه﴾ يعني يطيعونه ويدخلون في ولايته، يقال: توليته إذا أطعته وتوليت عنه إذا أعرضت عنه ﴿والذين هم به مشركون﴾ يعني بالله، وقيل: الضمير في به راجع إلى الشيطان، والمعنى هم من أهله مشركون بالله قوله سبحانه وتعالى ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل﴾ وذلك أن المشركين من أهل مكة قالوا: إن محمداً يسخر بأصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غداً، ما هو إلا مفترٍ يتقوله من تلقاء نفسه فأنزل الله هذه الآية. والمعنى: وإذا نسخنا حكم آية فأبدلنا مكانه حكماً آخر والله أعلم بما ينزل اعتراض دخل في الكلام، والمعنى والله أعلم بما ينزل من الناسخ وبما هو أصلح لخلقه، وبما يغير ويبدل من أحكامه أي هو أعلم بجميع ذلك مما هو من مصالح عباده، وهذا نوع من توبيخ وتقريع للكفار على قولهم للنبي ﷺ وهو قوله تعالى ﴿قالوا إنما أنت مفتر﴾ أي تختلقه من عندك، والمعنى: إذا كان الله تعالى أعلم بما ينزل فما بالهم ينسبون محمداً إلى الافتراء والكذب لأجل التبديل والنسخ؟ وإنما فائدة ذلك ترجع إلى مصالح العباد، كما يقال: إن الطبيب يأمر المريض بشرب دواء ثم بعد ذلك ينهاه عنه ويأمره بغيره لما يرى فيه من المصلحة ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ يعني لا يعلمون فائدة الناسخ وتبديل النسوخ ﴿قل﴾ أي قل لهم يا محمد ﴿نزله﴾ يعني القرآن ﴿روح القدس﴾ يعني جبريل ﷺ أضيف إلى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وطلحة الخير، والمعنى الروح المقدس المطهر ﴿من ربك﴾ يعني أن جبريل نزل بالقرآن من ربك يا محمد ﴿بالحق ليثبت الذين آمنوا﴾ يعني ليثبت بالقرآن قلوب المؤمنين فيزدادوا إيماناً ويقيناً ﴿وهدى وبشرى﴾ يعني وهو هدى وبشرى ﴿للمسلمين﴾ قوله عز وجل:

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر﴾ وذلك أن كفار مكة قالوا: إنما يتعلم هذه القصص وهذه الأخبار من إنسان آخر وهو آدمي مثله، وليس هو من عند الله كما يزعم فأجابهم الله بقوله ولقد نعلم أنهم يقولون: إنما يعلمه بشر واختلفوا في ذلك البشر من هو فقال ابن عباس: كان رسول الله ﷺ يعلم قيناً بمكة اسمه بلعام وكان نصرانياً أعجمي اللسان فكان المشركون يرون رسول الله ﷺ يدخل عليه ويخرج من عنده، فكانوا يقولون إنما يعلمه بلعام. وقال عكرمة: كان رسول الله ﷺ يقرىء غلاماً لبني المغيرة يقال له يعيش فكان يقرأ الكتب؟ فقالت قريش: إنما يعلمه يعيش، وقال محمد بن إسحاق: كان رسول الله ﷺ فيما بلغني كثيراً ما يجلس عند المروة إلى غلام رومي نصراني عبد لبعض بني الحضرمي يقال له: جبر وكان يقرأ الكتب. وقال عبيد الله بن مسلمة: كان لنا عبدان من أهل عين التمر

مشركون. وقيل: الكناية راجعة إلى الشيطان، ومجازه الذين هم من أجله مشركون بالله.

﴿ وإذا بدّلنا آية مكان آية ﴾، يعني وإذا نسخنا حكم آية فأبدلنا مكانه حكماً آخر، ﴿ والله أعلم بما ينزل ﴾، أعلم بما هو أصلح لخلقه فيما يغيّر ويبدّل من أحكامه، ﴿ قالوا إنما أنت ﴾، يا محمد، ﴿ مفترٍ ﴾، مختلق وذلك أن المشركين قالوا: إن محمداً يسخر بأصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غداً ما هو إلّا مفترٍ يتقوّله من تلقاء نفسه، قال الله: ﴿ بل أكثرهم لا يعلمون ﴾، حقيقة القرآن، وبيان الناسخ والمنسوخ.

﴿ قُلْ نزّله ﴾، يعني القرآن، ﴿ رُوحُ القُدُس ﴾، جبريل، ﴿ من ربّك بالحق ﴾، بالصدق، ﴿ ليثبّت الذين آمنوا ﴾، أي: ليثبت قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً ويقيناً، ﴿ وهدىً وبشرى للمسلمين ﴾.

﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون إنّما يعلمه بشر ﴾، آدمي وما هو من عند الله، واختلفوا في هذا البشر، قال ابن عباس: كان رسول الله ﷺ يعلّم فتىً بمكة اسمه بلعام وكان نصرانياً أعجمي اللسان، فكان المشركون يرون رسول

يقال لأحدهما: يسار ويكنى أبا فكيهة، ويقال للآخر: جبر وكانا يصنعان السيوف بمكة، وكانا يقرآن التوراة والإنجيل بمكة فربما مر بهما النبي ﷺ وهما يقرآن فيقف ويستمع قال الضحاك: وكان رسول الله ﷺ إذا آذاه الكفار يقعد إليهما فيتروح بكلامهما، فقال المشركون إنما يتعلم محمد منهما. وقال الفراء: قال المشركون إنما يتعلم محمد من عائش المملوك كان لحويطب بن عبد العزى كان نصرانياً، وقد أسلم وحسن إسلامه وكان أعجمياً، وقيل: هو عداس غلام عتبة بن ربيعة. والحاصل أن الكفار اتهموا رسول الله ﷺ وقالوا إنما يتعلم هذه الكلمات من غيره ثم إنه يضيفها لنفسه، ويزعم أنه وحي من الله عز وجل وهو كاذب في ذلك فأجاب الله عنه، وأنزل هذه الآية تكذيباً لهم فيما رموا به رسول الله ﷺ من الكذب فقال تعالى ﴿**لسان الذي يلحدون إليه**﴾ يعني يميلون، ويشيرون إليه ﴿**أعجمي**﴾ يعني هو أعجمي والأعجمي هو الذي لا يفصح في كلامه، وإن كان يسكن البادية ومنه سمي زياد الأعجم لأنه كان في لسانه عجمة مع أنه كان من العرب، والعجمي منسوب إلى العجم، وإن كان فصيحاً بالعربية والأعرابي الذي يسكن البادية، والعربي الذي يسكن الأمصار من بلاد العرب وهو منسوب إلى العرب ﴿**وهذا لسان عربي مبين**﴾ يعني بين الفصاحة والبلاغة ووجه الجواب، هو أن الذي يشيرون إليه رجل أعجمي في لسانه عجمة تمنعه من الإتيان بفصيح الكلام ومحمد ﷺ جاءكم بهذا القرآن الفصيح الذي عجزتم أنتم عنه، وأنتم أهل الفصاحة والبلاغة، فكيف يقدر من هو أعجمي على مثله وأين فصاحة هذا القرآن من عجمة هذا الذي يشيرون إليه، فثبت بهذا البرهان، أن الذي جاء به محمد ﷺ وحي أوحاه الله إليه وليس هو من تعليم الذي يشيرون إليه ولا هو أتى به من تلقاء نفسه بل هو وحي من الله عز وجل إليه وروي أن الرجل الذي كانوا يشيرون إليه أسلم وحسن إسلامه ﴿**إن الذين لا يؤمنون بآيات الله**﴾ يعني لا يصدقون أنها من عند الله ﴿**لا يهديهم الله**﴾ يعني لا يرشدهم ولا يوفقهم للإيمان ﴿**إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله**﴾ يعني إنما يقدم على فرية الكذب من لا يؤمن بآيات الله فهو رد لقول كفار قريش إنما أنت مفترٍ ﴿**وأولئك هم الكاذبون**﴾ يعني في قولهم، إنما يعلمه بشر لا محمد ﷺ. فإن قلت: قد قال تبارك وتعالى إنما يفتري الكذب فما معنى قوله تعالى وأولئك هم الكاذبون والثاني هو الأول؟ قلت: قوله سبحانه وتعالى إنما يفتري الكذب

الله ﷺ يدخل عليه ويخرج، فكانوا يقولون إنما يعلمه بلعام. وقال عكرمة: كان النبي ﷺ يُقرىء غلاماً لبني المغيرة يقال له يعيش وكان يقرأ الكتب، فقالت قريش: إنما يعلّمه بشر، يعيش. وقال الفرّاء: قال المشركون إنما يتعلّم من عايش مملوك كان لحويطب ابن عبد العزّى، وكان قد أسلم وحَسُنَ إسلامه، وكان أعجمي اللسان. وقال ابن إسحق: كان رسول الله ﷺ فيما بلغني كثيراً ما يجلس عند المروة إلى غلام رومي نصراني عبد لبعض بني الحضرمي، يقال له جبر، وكان يقرأ الكتب، وقال عبد الله بن مسلم الحضرمي كان لنا عبدان من أهل عين النمر يقال لأحدهما يكنّى أبا فكيهة، ويقال للآخر جبر، وكانا يصنعان السيوف بمكة، وكانا يقرآن التوراة والإنجيل فربما مرّ بهما النبي ﷺ، وهما يقرآن التوراة، فيقف ويستمع. قال الضحاك: وكان النبي ﷺ إذا آذاه الكفّار يقعد إليهما ويستريح بكلامهما، فقال المشركون: إنما يتعلم محمد منهما، فنزلت هذه الآية قال الله تعالى تكذيباً لهم: ﴿ **لسانُ الذي يُلحدون إليه** ﴾، أي يميلون ويشيرون إليه، ﴿ **أعجمي** ﴾، الأعجمي الذي لا يفصح وإن كان ينزل بالبادية، والعجمي منسوب إلى العجم، وإن كان فصيحاً، والأعرابي البدوي، والعربي منسوب إلى العرب، وإن لم يكن فصيحاً، ﴿ **وهذا لسانٌ عربي مبين** ﴾، فصيح وأراد باللسان القرآن، والعرب تقول: اللغة لسان، ورُوِيَ أن الرجل الذي كانوا يشيرون إليه أسلم وحَسُنَ إسلامه.

﴿ **إنَّ الذين لا يؤمنون بآياتِ الله لا يهديهم الله** ﴾، لا يرشدهم الله، ﴿ **ولهم عذاب أليم** ﴾، ثم أخبر الله تعالى أن الكفّار هم المفترون.

إخبار عن حال قولهم، وقوله: وأولئك الكاذبون نعت لازم لهم كقول الرجل لغيره كذبت وأنت كاذب، أي كذبت في هذا القول ومن عادتك الكذب، وفي الآية دليل على أن الكذب من أفحش الذنوب الكبار لأن الكذاب المفتري، هو الذي لا يؤمن بآيات الله. روى البغوي بإسناد الثعلبي عن عبد الله بن جراد قال: «قلت يا رسول الله المؤمن يزني؟ قال: قد يكون ذلك. قلت: المؤمن يسرق؟ قال: قد يكون ذلك قلت: المؤمن يكذب قال: لا قال الله تعالى إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله». قوله تعالى:

مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ
صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى
ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ
وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ
رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ
رَّحِيمٞ ﴿١١٠﴾ ۞ يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١١١﴾
وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ
فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡهُمۡ فَكَذَّبُوهُ
فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن
كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۖ فَمَنِ
ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ
وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ
أَلِيمٞ ﴿١١٧﴾

﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ نزلت في عمار بن ياسر وذلك أن المشركين

فقال: ﴿ **إنما يفتري الكذبَ الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون** ﴾، لا محمد ﷺ، فإن قيل: قد قال: إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون فما معنى قوله: ﴿ **وأولئك هم الكاذبون** ﴾، قيل إنما يفتري الكذب أخبار عن فعلهم وهم الكاذبون نعت لازم لهم كقول الرجل لغيره كذبت وأنت كاذب أي كذبت في هذا القول، ومن عادتك الكذب، أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحق الثعلبي أنا أبو حفص عمر بن أحمد الجوهري أنا جدّي أبو بكر محمد بن عمر بن حفص ثنا أبو بكر محمد بن الفرج الأزرق ثنا سعيد بن عبد الحميد بن جعفر ثنا يعلى بن الأشدق عن عبد الله بن جراد قال: قلت: يا رسول الله المؤمن يزني؟ قال: «قد يكون ذلك»، قال: قلت: المؤمن يسرق؟ قال: «قد يكون ذلك»، قلت: المؤمن يكذب؟ قال: «لا، قال الله: ﴿ **إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله** ﴾».

﴿ **مَن كفر بالله من بعد إيمانه إلاّ مَن أُكره** ﴾ قال ابن عباس نزلت هذه الآية في عمّار وذلك أن المشركين

أخذوه وأباه ياسر وأمه سمية، وصهيباً وبلالاً وخباباً وسالماً فعذبوهم ليرجعوا عن الإسلام، فأما سمية أم عمار فإنها ربطت بين بعيرين ووجيء قلبها بحربة، فقتلت، وقتل زوجها ياسر فهما أول قتيلين قتلا في الإسلام وأما عمار فإنه أعطاهم بعض ما أرادوا بلسانه مكرهاً. قال قتادة أخذ بنو المغيرة عمار وغطوه في بئر ميمون وقالوا له: اكفر بمحمد فبايعهم على ذلك وقلبه كاره، وأخبر رسول الله ﷺ أن عماراً كفر. فقال «كلا إن عماراً مليء إيماناً من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله ﷺ وهو يبكي فقال له رسول الله ﷺ: ما وراءك قال: شر يا رسول الله نلت منك وذكرت. فقال: كيف وجدت قلبك قال: مطمئناً بالإيمان فجعل النبي ﷺ يمسح عينيه. وقال: إن عادوا لك فعد لهم بما قلت» فنزلت هذه الآية. وقال مجاهد: نزلت في أناس من أهل مكة آمنوا فكتب إليهم بعض أصحاب النبي ﷺ أن هاجروا إلينا فإنا لا نراكم منا حتى تهاجروا، فخرجوا يريدون المدينة فأدركتهم قريش في الطريق ففتنوهم عن دينهم فكفروا كارهين، وهذا القول ضعيف لأن الآية مكية وكان هذا في أول الإسلام قبل أن يؤمروا بالهجرة، وقال مقاتل: نزلت في جبر مولى عامر بن الحضرمي أكرهه سيده على الكفر، فكفر مكرهاً وقلبه مطمئن بالإيمان ثم أسلم عامر بن الحضرمي مولى جبر، وحسن إسلامه وهاجر إلى المدينة والأولى أن يقال إن الآية عامة في كل من أكره على الكفر، وقلبه مطمئن بالإيمان، وإن كان السبب خاصاً. فإن قلت: المكره على الكفر ليس بكافر فلا يصح استثناؤه من الكافر، فما معنى هذا الاستثناء فيه إلا من أكره. قلت: المكره لما ظهر منه بعد الإيمان ما شابه ما يظهر من الكافر طوعاً صح هذا الاستثناء لهذه المشابهة والمشاكلة والله أعلم.

فصل في حكم الآية

قال العلماء: يجب أن يكون الإكراه الذي يجوز له أن يتلفظ معه بكلمة الكفر أن يعذب بعذاب لا طاقة له به، مثل التخويف بالقتل والضرب الشديد والإيلامات القوية، مثل التحريق بالنار ونحوه. قال العلماء: أول من أظهر الإسلام مع رسول الله ﷺ سبعة: أبو بكر وخباب وصهيب وبلال وعمار وأبوه ياسر وأمه سمية فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله من أذى المشركين بعمه أبي طالب وأما أبو بكر، فمنعه قومه وعشيرته وأخذ الآخرون، وألبسوا أدراع الحديد وأجلسوا في حر الشمس بمكة، فأما بلال فكانوا يعذبونه وهو يقول أحد أحد حتى اشتراه أبو بكر وأعتقه وقتل ياسر وسمية كما تقدم. وقال خباب: لقد أوقدوا لي ناراً ما أطفأها إلا ودك ظهري. وأجمعوا على أن من أكره على الكفر لا يجوز له أن يتلفظ بكلمة تصريحاً بل يأتي بالمعاريض، وبما يوهم أنه كفر، فلو أكره على التصريح يباح له ذلك بشرط طمأنينة القلب على الإيمان غير معتقد، ما يقوله من كلمة الكفر ولو صبر حتى قتل كان أفضل لأن ياسراً وسمية قتلا ولم يتلفظا بكلمة الكفر، ولأن بلالاً صبر على العذاب ولم يلم على ذلك. قال

أخذوه وأباه ياسراً وأُمه سُميّة وصهيباً وبلالاً وخبّاباً وسالماً فعذّبوهم فأما سُميّة فإنها ربطت بين بعيرين ووجيء قُبُلَها بحربة فقتلت وقتل زوجها ياسر وهما أول قتيلين قتلا في الإسلام، وأما عمّار فإنه أعطاهم ما أرادوا بلسانه مُكرَهاً، قال قتادة: أخذ بنو المغيرة عمّاراً وغطوه في بئر ميمون، وقالوا له: اكفر بمحمد فتابعهم على ذلك وقلبه كاره، فأخبر رسول الله ﷺ بأن عمّاراً كفر فقال: «كلا إن عمّاراً ملىء إيماناً من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه»، فأتى عمّار رسول الله ﷺ وهو يبكي، فقال رسول الله ﷺ: «ما وراءك»؟ قال: شرّ يا رسول الله نلت منك وذكرت آلهتهم بخير، قال: «كيف وجدت قلبك»؟ قال: مطمئناً بالإيمان فجعل النبي ﷺ، يمسح عينيه وقال: «إن عادُوا لَكَ فعُدْ لهم بما قلت»، فنزلت هذه الآية. قال مجاهد: نزلت في ناس من أهل مكة آمنوا فكتب إليهم بعض أصحاب رسول الله ﷺ: إن هاجروا فإنّا لا نراكم منّا حتى تهاجروا إلينا فخرجوا يريدون المدينة، فأدركتهم قريش في الطريق فكفروا كارهين. وقال مقاتل: نزلت في جبر مولى عامر بن الحضرمي أكرهه سيده على الكفر فكفر

العلماء: من الأفعال ما يتصور الإكراه عليها كشرب الخمر وأكل لحم الخنزير، والميتة ونحوها فمن أكره بالسيف أو القتل على أن يشرب الخمر أو يأكل الميتة أو لحم الخنزير أو نحوها، جاز له ذلك لقوله تعالى ﴿**ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة**﴾ وقيل: لا يجوز له ذلك ولو صبر كان أفضل، ومن الأفعال ما لا يتصور الإكراه عليه كالزنا لأن الإكراه يوجب الخوف الشديد، وذلك يمنع انتشار الآلة فلا يتصور فيه الإكراه واختلف العلماء في طلاق المكره، فقال الشافعي رضي الله تعالى عنه وأكثر العلماء: لا يقع طلاق المكره. وقال أبو حنيفة: يقع. حجة الشافعي ومن وافقه قوله سبحانه وتعالى: ﴿**لا إكراه في الدين**﴾ ولا يمكن أن يكون المراد نفي ذاته، لأن ذاته موجودة فوجب حمله على نفي آثاره والمعنى أنه لا أثر له ولا عبرة به، وقوله تعالى ﴿**وقلبه مطمئن بالإيمان**﴾ فيه دليل على أن محل الإيمان هو القلب ﴿**ولكن من شرح بالكفر صدراً**﴾ يعني فتحه ووسعه لقبول الكفر واختاره ورضي به ﴿**فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم**﴾ يعني في الآخرة ﴿**ذلك بأنهم استحبّوا الحياة الدنيا على الآخرة**﴾ يعني يكون ذلك الإقدام على الارتداد إلى الكفر، لأجل أنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ﴿**وأن الله لا يهدي القوم الكافرين**﴾ يعني لا يرشدهم إلى الإيمان ولا يوفقهم للعمل به ﴿**أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم**﴾ تقدم تفسيره ﴿**وأولئك هم الغافلون**﴾ يعني عما يراد بهم من العذاب في الآخرة وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿**لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون**﴾ يعني أن الإنسان إنما يعمل في الدنيا، ليربح في الآخرة فإذا دخل النار بان خسرانه وظهر غبنه لأنه ضيع رأس ماله، وهو الإيمان ومن ضيع رأس ماله فهو خاسر. قوله عز وجل ﴿**ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا**﴾ يعني عذبوا ومنعوا من الدخول في الإسلام فتنهم المشركون ﴿**ثم جاهدوا وصبروا**﴾ على الإيمان والهجرة والجهاد ﴿**إن ربك من بعدها**﴾ يعني من بعد الفتنة التي فتنوها ﴿**لغفور رحيم**﴾ نزلت هذه الآية في عياش بن ربيعة، وكان أخا أبي جهل من الرضاعة، وقيل كان أخاه لأمه وفي أبي جندل بن سهيل بن عمرو والوليد بن الوليد بن المغيرة، وسلمة بن هشام وعبد الله بن أسد الثقفي فتنهم المشركون، وعذبوهم فأعطوهم بعض ما أرادوا ليسلموا من شرهم ثم إنهم بعد ذلك هاجروا وجاهدوا. وقال الحسن وعكرمة: نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي سرح كان قد أسلم، وكان يكتب للنبي ﷺ فاستزله الشيطان، فارتد ولحق بدار الحرب فلما كان يوم فتح مكة أمر النبي ﷺ بقتله فاستجاره عثمان، وكان أخاه لأمه فأجاره رسول الله ﷺ فأسلم وحسن إسلامه وهذا القول إنما يصح إذا قلنا: إن هذه الآية مدنية

مكرهاً، ﴿ **وقلبُه مطمئنٌ بالإيمان** ﴾، ثم أسلم مولى عامر بن الحضرمي وحَسُنَ إسلامه وهاجر جبر مع سيده، ﴿ **ولكنْ مَن شرح بالكفر صدراً** ﴾ أي: فتح صدره بالكفر بالقبول فاختاره، ﴿ **فعليهم غضبٌ من الله ولهم عذاب عظيم** ﴾. وأجمع العلماء على أن مَن أُكره على كلمة الكفر، يجوز له أن يقول بلسانه، وإذا قال بلسانه غير معتقد لا يكون كفراً وإن أبى أن يقول حتى يقتل كان أفضل. واختلف أهل العلم في طلاق المكره فذهب أكثرهم إلاّ أنه لا يقع.

﴿ **ذلك بأنهم استحبّوا** ﴾، آثروا، ﴿ **الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين** ﴾، لا يرشدهم.

﴿ **أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون** ﴾، عمّا يراد بهم.

﴿ **لا جَرَمَ** ﴾، أي حقاً، ﴿ **أنهم في الآخرة هم الخاسرون** ﴾، أي المغبونون.

﴿ **ثم إنَّ ربك للذين هاجروا من بعد ما فُتِنُوا** ﴾، عذبوا ومنعوا من الإسلام فتنهم المشركون، ﴿ **ثم جاهدُوا وصبرُوا** ﴾ على الإيمان والهجرة والجهاد، ﴿ **إنَّ ربك من بعدها** ﴾، من بعد تلك الفتنة والغفلة ﴿ **لغفورٌ**

نزلت بالمدينة فتكون من الآيات المدنيات في السور المكيات، والله أعلم بحقيقة ذلك قوله سبحانه وتعالى **﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها﴾** يعني تخاصم وتحتج عن نفسها أي بما أسلفت من خير وشر، واشتغلت بالمجادلة لا تتفرغ إلى غيرها. فإن قلت: النفس هي نفس واحدة، وليس لها نفس أخرى فما معنى قوله كل نفس تجادل عن نفسها؟ قلت: إن النفس قد يراد بها بدن الإنسان، وقد يراد بها مجموع ذاته وحقيقته فالنفس الأولى هي مجموع ذات الإنسان وحقيقته والنفس الثانية، هي بدنه فهي عينها وذاتها أيضاً، والمعنى: يوم يأتي كل إنسان يجادل عن ذاته، ولا يهمه غيره ومعنى هذه المجادلة الاعتذار بما لا يقبل منه كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين، ونحو ذلك من الاعتذارات **﴿وتوفى كل نفس ما عملت﴾** يعني جزاء ما عملت في الدنيا من خير أو شر **﴿وهم لا يظلمون﴾** يعني لا ينقصون من جزاء أعمالهم شيئاً، بل يوفون ذلك كاملاً من غير زيادة ولا نقصان. روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب الأحبار: خوفنا فقال يا أمير المؤمنين والذي نفسي بيده لو وافيت القيامة بمثل عمل سبعين نبياً، لأتت عليك ساعات وأنت لا يهمك إلا نفسك وإن جهنم لتزفر زفرة ما يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثا على ركبتيه حتى إبراهيم خليل الرحمن يقول: يا رب لا أسألك إلا نفسي، وإن تصديق ذلك فيما أنزل الله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها. وروى عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية قال: ما تزال الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى تخاصم الروح الجسد، فتقول الروح: يا رب لم تكن لي أيدٍ أبطش بها، ولا رجل أمشي بها ولا عين أبصر بها، ويقول الجسد: يا رب خلقتني كالخشبة، ليست لي يد أبطش بها، ولا رجل أمشي بها ولا عين أبصر بها فجاء هذا الروح كشعاع النور فيه نطق لساني، وبه أبصرت عيناي وبه مشت رجلاي فضرب الله لهما مثلاً أعمى ومقعد دخلا حائطاً، يعني بستاناً فيه ثمار فالأعمى لا يبصر الثمار والمقعد لا يناله فحمل الأعمى المقعد فأصابا من الثمر فعليهما العذاب. قوله عز وجل **﴿وضرب الله مثلاً قرية﴾** المثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة، ليبين أحدهما الآخر ويصوره، وقيل: هو عبارة عن المشابهة لغيره في معنى من المعاني أي معنى كان وهو أعم الألفاظ الموضوعة للمشابهة، قال الإمام فخر الدين الرازي: المثل قد يضرب بشيء موصوف بصفة معينة سواء، كان ذلك الشيء موجوداً أو لم يكن وقد يضرب بشيء موجود معين، فهذه القرية التي ضرب الله بها هذا المثل يحتمل أن تكون شيئاً مفروضاً، ويحتمل أن تكون قرية معينة، وعلى التقدير الثاني فتلك القرية يحتمل أن تكون مكة أو غيرها والأكثر من المفسرين على أنها مكة، والأقرب أنها غير مكة لأنها ضربت مثلاً لمكة ومثل مكة يكون غير مكة، وقال الزمخشري في كتابه الكشاف: وضرب الله مثلاً قرية أي جعل القرية التي هذه حالها، مثلاً لكل قوم أنعم الله عليهم

رحيم ﴾، نزلت في عيّاش بن أبي ربيعة أخي أبي جهل من الرضاعة، وفي أبي جندل بن سهيل بن عمرو والوليد بن الوليد بن المغيرة وسلمة بن هشام وعبد الله بن أبي أسيد الثقفي فتنهم المشركون فأعطوهم بعد ما أرادوا ليسلموا من شرّهم ثم إنهم هاجروا بعد ذلك وجاهدوا، وقال الحسن وعكرمة: نزلتْ في عبد الله بن سعد بن أبي سرح وكان يكتب للنبي ﷺ فاستزلّه الشيطان فلحق بالكفّار فأمر النبي ﷺ يوم فتح مكة بقتله فاستجاره عثمان وكان أخاه لأمه من الرضاعة فأجاره رسول الله ﷺ، ثم أسلم وحَسُنَ إسلامه فأنزل الله هذه الآية، وقرأ ابن عامر «فَتَنـوا» بفتح الفاء والتاء، وردّه إلى مَن أسلم من المشركين فتنوا المسلمين.

﴿ يوم تأتي كل نفس تجادل ﴾، تخاصم وتحتجّ، **﴿ عن نفسها ﴾**، بما أسلفت من خير وشر مشتغلاً بها لا تتفرغ إلى غيرها، **﴿ وتُوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون ﴾**. رُوِيَ أن عمر بن الخطاب قال لكعب الأحبار: خوفنا، قال: يا أمير المؤمنين والذي نفسي بيده لو وافيت يوم القيامة بمثل عمل سبعين نبياً لأتت عليك ساعات وأنت لا تهمّك إلا نفسك، وإن لجهنم زفرة لا يبقى ملك مقرّب ولا نبي مرسل منتخب إلاّ وقع جاثياً على ركبتيه

فأبطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فأنزل الله بهم نقمته، فيجوز أن تراد قرية مقدرة على هذه الصفة، وأن تكون في قرى الأولين قرية كانت هذه حالها، فضرب الله مثلاً لمكة إنذاراً من مثل عاقبتها وقال الواحدي: ضرب المثل ببيان المشبه والمشبه به، وهاهنا ذكر المشبه به ولم يذكر المشبه لوضوحه عند المخاطبين، والآية عند عامة المفسرين نازلة في أهل مكة وما امتحنوا به من الخوف والجوع بعد الأمن، والنعمة بتكذيبهم النبي ﷺ فتقدير الآية ضرب الله مثلاً لقريتكم أي بين الله لها شبهاً ثم قال: قرية فيجوز أن تكون القرية بدلاً من مثلاً لأنها هي الممثل بها، ويجوز أن يكون المعنى ضرب الله مثلاً، مثل قرية فحذف المضاف هذا قول الزجاج والمفسرون كلهم قالوا: أراد بالقرية مكة يعنون أنه أراد مكة في تمثيلها بقرية صفتها ما ذكر. وقال ابن الجوزي: في هذه القرية قولان: أحدهما أنها مكة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والجمهور وهو الصحيح، والثاني أنها قرية أوسع الله على أهلها حتى كانوا يستنجون بالخبز فبعث الله عليهم الجوع، قاله الحسن. وأقول: هذه الآية نزلت بالمدينة في قول مقاتل وبعض المفسرين، وهو الصحيح لأن الله سبحانه وتعالى وصف هذه القرية بصفات ستة كانت هذه الصفات موجودة في أهل مكة، فضربها الله مثلاً لأهل المدينة يحذرهم أن يصنعوا مثل صنيعهم، فيصيبهم ما أصابهم من الجوع والخوف، ويشهد لصحة ما قلت إن الخوف المذكور في هذه الآية في قوله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف هو البعوث والسرايا التي كان النبي ﷺ يبعثها في قول جميع المفسرين لأن النبي ﷺ لم يؤمر بالقتال، وهو بمكة وإنما أُمر بالقتال لما هاجر إلى المدينة، فكان يبعث البعوث والسرايا إلى حول مكة يخوّفهم بذلك، وهو بالمدينة والله أعلم بمراده، وأما تفسير قوله تعالى: وضرب الله مثلاً قرية يعني مكة ﴿**كانت آمنة**﴾ يعني ذات أمن لا يهاج أهلها ولا يغار عليهم ﴿**مطمئنة**﴾ يعني قارة بأهلها لا يحتاجون إلى الانتقال عنها للانتجاع كما كان يحتاج إليه سائر العرب ﴿**يأتيها رزقها رغداً**﴾ يعني واسعاً ﴿**من كل مكان**﴾ يعني يحمل إليها الرزق والميرة من البر والبحر. نظيره قوله سبحانه وتعالى تجبى إليه ثمرات كل شيء وذلك بدعوة إبراهيم ﷺ وهو قوله «وارزق أهله من الثمرات» ﴿**فكفرت**﴾ يعني هذه القرية والمراد أهلها ﴿**بأنعم الله**﴾ جمع نعمة والمراد بها سائر النعم التي أنعم الله بها على أهل مكة فلما قابلوا نعم الله التي أنعم بها عليهم بالجحود والكفر، لا جرم أن الله تعالى انتقم منهم فقال تعالى ﴿**فأذاقها الله لباس الجوع والخوف**﴾ وذلك أن الله سبحانه وتعالى ابتلاهم بالجوع سبع سنين، فقطع عنهم المطر وقطعت عنهم العرب الميرة بأمر رسول الله ﷺ حتى جهدوا فأكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب والميتة والعهن، وهو الوبر يعالج بالدم ويخلط به حتى يؤكل، حتى كان أحدهم ينظر إلى السماء فيرى شبه الدخان من الجوع ثم إن رؤساء مكة كلموا رسول الله ﷺ في ذلك، وقالوا: ما هذا هبك عاديت

حتى إبراهيم خليل الرحمن، يقول: يا ربِّ لا أسألك إلاّ نفسي، وإن تصديق ذلك الذي أنزله الله عليكم ﴿ **يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها** ﴾، وروى عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية قال: ما تزال الخصومة بين الناس يوم القيامة، حتى تخاصم الروح الجسد فتقول الروح يا ربِّ لم يكن لي أيدٍ أبطش بها ولا رِجل أمشي بها ولا أعين أُبصر بها، فنجِّني وعذِّبه، ويقول الجسد يا ربِّ خلقتني كالخشب لم تبطش يدي ولم تمشِ رِجلي ولم تُبصِر عيني، فجاء هذا كشعاع النور، فبه نطق لساني وأبصرت عيني وبطشت يدي ومشت رِجلي، قال: فيضرب الله لهما مثلاً فقال: إنما مثلكما مثل أعمى ومُقعَد دخلا حائطاً فيه ثمار فالأعمى لا يُبصِر الثمر، والمُقعَد يرى ولا يناله، فحمل الأعمى المُقعَد فأصابا من الثمر فعليهما العذاب.

قوله تعالى: ﴿ **وضرب الله مثلاً قرية كانتْ آمنةً** ﴾ يعني: مكة كانت آمنة لا يهاج أهلها ولا يُغار عليها، ﴿ **مطمئنة** ﴾، قارّة بأهلها لا يحتاجون إلى الانتقال للانتجاع كما يحتاج إليه سائر العرب، ﴿ **يأتيها رزقها رَغَداً من كل مكان** ﴾، يُحمَل إليها من البرّ والبحر نظيره: ﴿ **يُجبى إليه ثمرات كل شيء** ﴾ [القصص: ٥٧]. ﴿ **فكفرت**

الرجال فما بال النساء والصبيان، فأذن رسول الله ﷺ في حمل الطعام إليهم، وهم بعد مشركون. والخوف يعني خوف بعوث النبي ﷺ وسراياه التي كان يبعثها للإغارة فكانت تطيف بهم وتغير على من حولهم من العرب فكان أهل مكة يخافونهم. فإن قلت: الإذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما، والإذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة إيقاعها عليه، وهو أن اللباس لا يذاق بل يلبس، فيقال كساهم الله لباس الجوع أو يقال فأذاقهم الله طعم الجوع قلت: قال صاحب الكشاف: أما الإذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد، وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر وأذاقه العذاب شبه ما يدرك من أثر الضرر، والألم بما يدرك من طعم المر البشع وأما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشي الإنسان، والتلبس به من بعض الحوادث وأما ايقاع الإذاقة على لباس الجوع والخوف، فلأنه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكأنه قيل فأذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف، ثم ذكر بعده من علم المعاني والبيان ما يشهد لصحة ما قال. وقال الإمام فخر الدين الرازي: جوابه من وجوه، الأول، أن الأحوال التي حصلت لهم عند الجوع نوعان: أحدهما أن المذوق هو الطعام فلما فقدوا الطعام صاروا كأنهم يذوقون الجوع. والثاني، أن ذلك الجوع كان شديداً كاملاً فصار كأنه أحاط بهم من كل الجهات فأشبه اللباس، والحاصل أنه حصل لهم في ذلك الجوع حالة تشبه المذوق، وحالة تشبه الملبوس فاعتبر الله كلا الاعتبارين فقال فأذاقها الله لباس الجوع والخوف، الوجه الثاني: أن التقدير أن الله عرفها أثر لباس الجوع والخوف، إلا أنه تعالى عبر عن التعريف بلفظ الإذاقة، وأصل الذوق بالفم ثم قد يستعار فوضع موضع التعرف، وهو الاختبار تقول ناظر فلاناً وذاق ما عنده:

ومن يذق الدنيا فاني طعمتها وسيق إلينا عذبها وعذابها

ولباس الجوع والخوف ما ظهر عليهم من الضمور، وشحوب اللون ونهكة البدن وتغيير الحال وكسوف البال، كما تقول: تعرفت سوء أثر الجوع والخوف على فلان، كذلك يجوز أن تقول: ذقت لباس الجوع والخوف على فلان. الوجه الثالث: أن يحمل لفظ الذوق واللبس على المماسة، فصار التقدير فأذاقها الله مساس الجوع والخوف ثم قال تعالى ﴿بما كانوا يصنعون﴾ ولم يقل بما صنعت لأنه أراد أهل القرية، والمعنى: فعلنا بهم ما فعلنا بسبب ما كانوا يصنعون، وهذا مثل أهل مكة لأنهم كانوا في الأمن والطمأنينة والخصب ثم أنعم الله عز وجل عليهم بالنعمة العظيمة وهي إرسال محمد ﷺ وهو منهم فكفروا به وكذبوه وبالغوا في إيذائه، وأرادوا قتله فأخرجه الله من بينهم وأمره بالهجرة إلى المدينة وسلط على أهل مكة البلاء والشدائد والجوع والخوف كل ذلك بسبب تكذيبهم رسول الله ﷺ وخروجه من بين أظهرهم. قوله سبحانه وتعالى ﴿ولقد جاءهم﴾ يعني أهل مكة ﴿رسول منهم﴾ يعني محمداً ﷺ يعرفون نسبه، ويعرفونه قبل النبوة وبعدها ﴿فكذبوه فأخذهم العذاب﴾ يعني الجوع والخوف وقيل القتل

بأنعُمِ الله ﴾، جمع النعمة، وقيل: جمع نعماء مثل بأساء وأبؤس، **﴿ فأذاقها الله لباس الجوع ﴾** ابتلاهم الله بالجوع سبع سنين وقطعت العرب عنهم الميرة بأمر رسول الله ﷺ حتى جهدوا وأكلوا العظام المحرقة، والجيف والكلاب الميتة، والعهن وهو الوبر يعالج بالدم، حتى كان أحدهم ينظر إلى السماء فيرى شبه دخان من الجوع، ثم إن رؤوساء مكة كلّموا رسول الله ﷺ وقالوا: ما هذا؟ هَبْكَ عَاديتَ الرجال فما بال النساء والصبيان؟ فأذِنَ رسول الله ﷺ للناس بحمل الطعام إليهم وهم بعد مشركون، وذكر اللباس لأن ما أصابهم من الهزال والشحوب وتغيّر ظاهرهم عمّا كانوا عليه من قبل كاللباس لهم، **﴿ والخوف ﴾**، يعني: بعوث النبي ﷺ وسراياه التي كانت تطيف بهم. **﴿ بما كانوا يصنعون ﴾**.

﴿ ولقد جاءهم رسول منهم ﴾، محمد ﷺ، **﴿ فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون ﴾**.

﴿ فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واشكروا نعمة الله إن كنتم إيَّاه تعبدون ﴾.

يوم بدر، والقول الأول أولى لما تقدم في الآية ﴿وهم ظالمون﴾ يعني كافرون ﴿فكلوا مما رزقكم الله﴾ في المخاطبين بهذا قولان: أحدهما، أنهم المسلمون، وهو قول جمهور المفسرين، والثاني، أنهم هم المشركون من أهل مكة. قال الكلبي: لما اشتد الجوع بأهل مكة كلم رؤساؤهم رسول الله ﷺ فقالوا: إنك إنما عاديت الرجال فما بال النساء والصبيان؟ فأذن رسول الله ﷺ أن يحملوا الطعام إليهم حكاه الواحدي وغيره والقول الأول هو الصحيح. قال ابن عباس فكلوا يا معشر المؤمنين مما رزقكم الله يريد الغنائم ﴿حلالاً طيباً﴾ يعني أن الله سبحانه وتعالى أحل الغنائم لهذه الأمة وطيبها لهم ولم تحل لأحد قبلهم ﴿واشكروا نعمة الله﴾ يعني التي أنعم بها عليكم ﴿إن كنتم إياه تعبدون إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهلّ لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم﴾ تقدم تفسير هذه الآية وأحكامها في سورة البقرة فلم نعده هنا، وقوله تعالى ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب﴾ يعني ولا تقولوا لأجل وصفكم الكذب ﴿هذا حلال وهذا حرام﴾ يعني أنكم تحلون وتحرمون لأجل الكذب لا لغيره فليس لتحليلكم وتحريمكم معنى وسبب إلا الكذب فقط، فلا تفعلوا ذلك. قال مجاهد: يعني البحيرة والسائبة. وقال ابن عباس: يعني قولهم ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا، ومحرم على أزواجنا وذلك أن العرب في الجاهلية كانوا يحلون أشياء ويحرمون أشياء من عند أنفسهم، وينسبون ذلك إلى الله تعالى وهو قوله تعالى ﴿لتفتروا على الله الكذب﴾ يعني لا تقولوا إن الله أمرنا بذلك فتكذبوا على الله لأن وصفهم الكذب هو افتراء على الله ثم توعد المفترين للكذب فقال سبحانه وتعالى ﴿إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون﴾ يعني: لا ينجون من العذاب، وقيل: لا يفوزون بخير لأن الفلاح هو الفوز بالخير والنجاح ثم بين أن ما هم فيه من نعيم الدنيا يزول عنهم عن قريب فقال تعالى ﴿متاع قليل﴾ يعني متاعهم في الدنيا متاع قليل فإنه لا بقاء له ﴿ولهم عذاب أليم﴾ يعني في الآخرة.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ
رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ
إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ
حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾

﴿وعلى الذين هادوا﴾ يعني اليهود ﴿حرمنا ما قصصنا عليك من قبل﴾ يعني ما سبق ذكره وبيانه في سورة الأنعام

﴿ إنَّما حرَّم عليكم الميتةَ والدمَ ولحمَ الخنزيرِ وما أُهلَّ لغير الله به فمَن اضطر غيرَ باغٍ ولا عادٍ فإنَّ الله غفور رحيم ﴾.

قوله تعالى: ﴿ ولا تقولوا لما تَصِفَ ألسنتكم الكذب ﴾، أي: لا تقولوا لوصف ألسنتكم أو لأجل وصفكم الكذب أي: أنكم تُحلّون وتُحرّمون لأجل الكذب لا لغيره، ﴿ هذا حلال وهذا حرام ﴾، يعني البحيرة والسائبة، ﴿ لتفتروا على الله الكذب ﴾، فتقولون إن الله أمرنا بهذا، ﴿ إنّ الذين يفترون على الله الكذب لا يُفلحون ﴾، لا ينجون من عذاب الله.

﴿ متاعٌ قليلٌ ﴾، يعني: الذي هم فيه متاع قليل أو لهم متاع قليلٌ في الدنيا. ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾، في الآخرة.

﴿ وعلى الذين هادُوا حرّمنا ما قَصَصْنا عليك من قبل ﴾، يعني في سورة الأنعام [١٤٦]. وقوله تعالى:

وهو قوله تعالى «وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر» الآية ﴿وما ظلمناهم﴾ يعني بتحريم ذلك عليهم ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ يعني إنما حرمنا عليهم ما حرمنا بسبب بغيهم وظلمهم أنفسهم ونظيره قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم. وقوله تعالى ﴿ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة﴾ المقصود من هذه الآية بيان فضل الله وكرمه وسعة مغفرته ورحمته، لأن السوء لفظ جامع لكل فعل قبيح فيدخل تحته الكفر وسائر المعاصي وكل ما لا ينبغي وكل من عمل السوء فإنما يفعله بالجهالة، لأن العاقل لا يرضى بفعل القبيح فمن صدر عنه فعل قبيح من كفر أو معصية، فإنما يصدر عنه بسبب جهله إما لجهله بقدر ما يترتب عليه من العقاب أو لجهله بقدر من يعصيه، فثبت بهذا أن فعل السوء إنما يفعل بجهالة ثم إن الله تعالى وعد من عمل سوءاً بجهالة ثم تاب، وأصلح العمل في المستقبل أن يتوب عليه ويرحمه وهو قوله تعالى ثم تابوا من بعد ذلك، يعني من بعد عمل ذلك السوء ﴿وأصلحوا﴾ يعني أصلحوا العمل في المستقبل، وقيل معنى الإصلاح الاستقامة على التوبة ﴿إن ربك من بعدها﴾ يعني من بعد عمل السوء بالجهالة والتوبة منه ﴿لغفور﴾ يعني لمن تاب وآمن ﴿رحيم﴾ يعني بجميع المؤمنين والتائبين. قوله سبحانه وتعالى ﴿إن إبراهيم كان أمة﴾ حكى ابن الجوزي عن ابن الأنباري أنه قال: هذا مثل قول العرب: فلان رحمة وفلان علامة ونسابة يقصدون بهذا التأنيث قصد التناهي في المعنى الذي يصفونه به. والعرب توقع الأسماء المبهمة على الجماعة وعلى الواحد كقوله تبارك وتعالى «فنادته الملائكة» وإنما ناداه جبريل وحده، وإنما سمي إبراهيم ﷺ أمة لأنه اجتمع فيه من صفات الكمال وصفات الخير والأخلاق الحميدة ما اجتمع في أمة. ومنه قول الشاعر:

ليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد

ثم للمفسرين في معنى هذه اللفظة أقوال أحدها: قول ابن مسعود: الأمة معلم الخير يعني أنه كان معلماً للخير يأتم به أهل الدنيا. الثاني قال مجاهد: إنه كان مؤمناً وحده والناس كلهم كفار فلهذا المعنى كان أمة واحدة ومنه قوله ﷺ في زيد بن عمرو بن نفيل «يبعثه الله أمة وحده» وإنما قال فيه هذه المقالة لأنه كان قد فارق الجاهلية وما كانوا عليه من عبادة الأصنام. الثالث قال قتادة: ليس من أهل دين إلا وهم يتلونه ويرضونه، وقيل: الأمة فعلة بمعنى مفعولة، وهو الذي يؤتم به وكان إبراهيم عليه السلام إماماً يقتدى به دليله قوله سبحانه وتعالى ﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾ وقيل إنه عليه السلام هو السبب الذي لأجله جعلت أمته ومن تبعه ممتازين عمن سواهم بالتوحيد لله والدين الحق وهو

﴿ وعلى الذين هادوا حرّمنا كل ذي ظفر ﴾ [الأنعام: ١٤٦] الآية ﴿ وما ظلمناهم ﴾ بتحريم ذلك عليهم، ﴿ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ فحرّمنا عليهم ببغيهم.

﴿ ثم إن ربَّك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ﴾ يعني: بالإصلاح الاستقامة على التوبة، ﴿ إن ربَّك من بعدها ﴾، أي: من بعد الجهالة، ﴿ لغفور رحيم ﴾.

قوله تعالى: ﴿ إن إبراهيم كان أمةً ﴾ قال ابن مسعود الأمة معلم الخير أي: كان معلم الخير يأتم به أهل الدنيا، وقد اجتمع فيه من الخِصال الحميدة ما اجتمع في أمة، قال مجاهد: كان مؤمناً وحده والناس كلهم كفّار. قال قتادة: ليس من أهل دين إلّا يتولّونه ويرضونه. ﴿ قانتاً لله ﴾، مطيعاً. وقيل: قائماً بأوامر الله تعالى، ﴿ حنيفاً ﴾ مستقيماً على دين الإسلام. وقيل: مخلصاً. ﴿ ولم يكُ من المشركين ﴾.

﴿ شاكراً لأنعمه اجتباه ﴾، اختاره، ﴿ وهداه إلى صراط مستقيم ﴾، أي: إلى دين الحق.

﴿ وآتيناه في الدنيا حسنة ﴾، يعني الرسالة والخلّة. وقيل: لسان الصدق والثناء الحسن وقال مقاتل بن

من باب إطلاق المسبب على السبب، وقيل: إنما سمي إبراهيم عليه السلام أمة لأنه قام مقام أمة في عبادة الله ﴿**قانتاً لله**﴾ يعني مطيعاً لله وقيل هو القائم بأوامر الله ﴿**حنيفاً**﴾ مسلماً يعني مقيماً على دين الإسلام لا يميل عنه ولا يزول. وهو أول من اختتن وضحّى، وأقام مناسك الحج ﴿**ولم يك من المشركين**﴾ يعني أنه عليه السلام كان من الموحدين المخلصين من صغره إلى كبره ﴿**شاكراً لأنعمه**﴾ يعني أنه كان شاكراً لله على أنعمه التي أنعم بها عليه ﴿**اجتباه**﴾ أي اختاره لنبوته واصطفاه لخلته ﴿**وهداه إلى صراط مستقيم**﴾ يعني هداه إلى دين الإسلام لأنه الصراط المستقيم والدين القويم ﴿**وآتيناه في الدنيا حسنة**﴾ يعني الرسالة والخلة. وقيل: هي لسان الصدق والثناء الحسن والقبول العام في جميع الأمم فإن الله حببه إلى جميع خلقه فكل أهل الأديان يتلونه المسلمون واليهود والنصارى، ومشركو العرب وغيرهم، وقيل: هو قول المصلي في التشهد: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم. وقيل إنه آتاه أولاداً أبراراً على الكبر ﴿**وإنه في الآخرة لمن الصالحين**﴾ يعني في أعلى مقامات الصالحين في الجنة. وقيل: معناه وإنه في الآخرة لمن الصالحين يعني الأنبياء في الجنة فتكون من بمعنى مع ولما وصف الله عز وجل إبراهيم عليه السلام بهذه الصفات الشريفة العالية، أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً ﷺ باتباعه فقال تعالى ﴿**ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم**﴾ يعني دينه وما كان عليه من الشريعة والتوحيد. قال أهل الأصول: كان النبي ﷺ مأموراً بشريعة إبراهيم إلا ما نسخ منها وما لم ينسخ صار شرعاً له، وقال أبو جعفر الطبري أمره باتباعه في التبري من الأوثان والتدين بدين الإسلام وهو قوله ﴿**حنيفاً**﴾ مسلماً ﴿**وما كان من المشركين**﴾ تقدم تفسيره وقوله تعالى:

إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

﴿**إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه**﴾ يعني إنما فرض تعظيم السبت على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود. روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: أمرهم موسى بتعظيم يوم الجمعة فقال: تفرغوا لله في كل سبعة أيام يوماً فاعبدوه في يوم الجمعة ولا تعملوا فيه شيئاً من صنعتكم وستة أيام لصنعتكم، فأبوا عليه وقالوا لا نريد إلا اليوم

حيّان: يعني الصلاة عليه في قول هذه الأمة اللّهمَّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم. وقيل: أولاداً أبراراً على الكبر. وقيل: القبول العام في جميع الأمم. ﴿ **وإنه في الآخرة لَمِنَ الصالحين** ﴾، مع آبائه الصالحين في الجنة. وفي الآية تقديم وتأخير مجازه: وآتيناه في الدنيا والآخرة حسنة، وإنه لمن الصالحين.

﴿ **ثم أوحينا إليك** ﴾، يا محمد، ﴿ **أن اتبعْ مِلّةَ إبراهيم حنيفاً** ﴾، حاجّاً مسلماً، ﴿ **وما كان من المشركين** ﴾، وقال أهل الأصول: كان النبي ﷺ مأمور بشريعة إبراهيم إلّا ما نُسِخَ في شريعته، وما لم يُنسَخ صار شرعاً.

قوله تعالى: ﴿ **إنّما جُعل السبتُ على الذين اختلفوا فيه** ﴾ أي: خالفوا فيه. قيل: معناه إنما جعل السبت

الذي فرغ الله فيه من الخلق، وهو يوم السبت فجعل ذلك اليوم عليهم وشدد عليهم فيه ثم جاءهم عيسى عليه السلام أيضاً بيوم الجمعة. فقالت النصارى لا نريد أن يكون عيدهم بعد عيدنا يعنون اليهود فاتخذوا الأحد فأعطى الله عز وجل الجمعة لهذه الأمة فقبلوها، فبورك لهم فيها (ق) عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا فاختلفوا فيه، وأوتيناه من بعدهم فهذا يومهم الذي فرض عليهم، فاختلفوا فيه فهدانا الله له فهم لنا فيه تبع فغداً لليهود، وبعد غد للنصارى» وفي رواية لمسلم «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة» وفي رواية أخرى له قال «أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الأحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هم لنا تبع يوم القيامة نحن الآخرون في الدنيا، الأولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق» قال الشيخ محيي الدين النووي في شرح مسلم: قال العلماء في معنى الحديث: نحن الآخرون في الزمان والوجود السابقون في الفضل ودخول الجنة فتدخل هذه الأمة الجنة قبل سائر الأمم. وقوله بيد أنهم يعني غير أنهم أو إلا أنهم. وقوله فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له قال: القاضي عياض الظاهر أنه فرض عليهم تعظيم يوم الجمعة بغير تعيين ووكل إلى اجتهادهم لإقامة شرائعهم فيه، فاختلف أحبارهم في تعيينه ولم يهدهم الله له وفرضه على هذه الأمة مبيناً، ولم يكلهم إلى اجتهادهم ففازوا بفضيلته قال: يعني القاضي عياضاً ـ وقد جاء أن موسى عليه السلام أمرهم بيوم الجمعة، وأعلمهم بفضله فناظروه أن السبت أفضل. فقيل له دعهم. قال القاضي: ولو كان منصوصاً عليه لم يصح اختلافهم فيه بل كان يقول: خالفوا فيه. قال الشيخ محيي الدين النووي: ويمكن أن يكونوا أمروا به صريحاً ونص على عينه فاختلفوا فيه هل يلزم تعيينه أم لهم إبداله فأبدلوه، وغلطوا في إبداله. قال الإمام فخر الدين الرازي في قوله تعالى «على الذين اختلفوا فيه» يعني على نبيهم موسى، حيث أمرهم بالجمعة فاختاروا السبت فاختلافهم في السبت كان اختلافاً على نبيهم في ذلك اليوم، أي لأجله وليس معنى قوله اختلفوا فيه أن اليهود اختلفوا، فمنهم من قال بالسبت، ومنهم من لم يقل به، لأن اليهود اتفقوا على ذلك. وزاد الواحدي على هذا فقال: وهذا مما أشكل على كثير من المفسرين حتى قال بعضهم: معنى الاختلاف في السبت أن بعضهم قال: هو أعظم الأيام حرمة لأن الله فرغ من خلق الأشياء، وقال الآخرون بل الأحد أفضل لأن الله سبحانه وتعالى، ابتدأ فيه بخلق الأشياء، وهذا غلط لأن اليهود لم يكونوا فريقين في السبت، وإنما اختار الأحد النصارى بعدهم بزمان طويل. فان قلت إن اليهود إنما اختاروا السبت، لأن أهل الملل اتفقوا على أن الله خلق الخلق في ستة أيام وبدأ بالخلق والتكوين في يوم الأحد، وتم الخلق يوم الجمعة وكان يوم السبت يوم فراغ، فقالت اليهود نحن نوافق ربنا في ترك العمل في هذا اليوم، فاختاروا السبت لهذا المعنى وقالت النصارى: إنما بدأ بخلق الأشياء في يوم الأحد فنحن نجعل هذا اليوم عيداً لنا، وهذان الوجهان

لعنة على الذين اختلفوا فيه. وقيل: معناه ما فرض الله تعظيم السبت وتحريمه إلّا على الذين اختلفوا فيه، يعني: اليهود، فقال قوم: هو أعظم الأيام لأن الله تعالى فرغ من خلق الأشياء يوم الجمعة، ثم سبت يوم السبت. وقال قوم: بل أعظم الأيام يوم الأحد، لأن الله تعالى ابتدأ فيه خلق الأشياء فاختاروا تعظيم غير ما فرض الله عليهم، وقد افترض عليهم تعظيم يوم الجمعة. قال الكلبي: أمرهم موسى بالجمعة فقال تفرغوا لله في كل سبعة أيام يوماً فاعبدوه يوم الجمعة ولا تعملوا فيه لصنيعكم، وستّة أيام لصناعتكم، فأبوا وقالوا لا نريد إلا اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق السبت، فجعل ذلك اليوم عليهم وشدّد عليهم فيه ثم جاءهم عيسى عليه السلام بيوم الجمعة، فقالوا: لا نريد أن يكون عيدهم بعد عيدنا يعنون اليهود، فاتخذوا الأحد فأعطى الله الجمعة هذه الأمة فقبلوها وبُورِكَ لهم فيها. أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي ثنا أبو بكر محمد بن

معقولان فما وجه فضل يوم الجمعة حتى جعله أهل الإسلام عيداً؟ قلت: يوم الجمعة أفضل الأيام لأن كمال الخلق وتمامه كان فيه وحصول التمام والكمال يوجب الفرح والسرور فجعل يوم الجمعة عيداً بهذا الوجه وهو أولى. ووجه آخر وهو أن الله عز وجل خلق فيه أشرف خلقه، وهو آدم عليه السلام وهو أبو البشر وفيه تاب عليه فكان يوم الجمعة أشرف الأيام لهذا السبب، ولأن الله سبحانه وتعالى اختار يوم الجمعة لهذه الأمة وادخره لهم، ولم يختاروا لأنفسهم شيئاً، وكان ما اختاره الله لهم أفضل مما اختاره غيرهم لأنفسهم، وقال بعض العلماء: بعث الله موسى بتعظيم يوم السبت ثم نسخ بيوم الأحد في شريعة عيسى عليه السلام ثم نسخ يوم السبت، ويوم الأحد بيوم الجمعة في شريعة محمد ﷺ فكان أفضل الأيام يوم الجمعة كما أن محمداً ﷺ أفضل الأنبياء. وفي معنى الآية قول آخر قال قتادة: الذين اختلفوا فيه اليهود استحله بعضهم، وحرمه بعضهم فعلى هذا القول يكون معنى قوله إنما جعل السبت أي وبال السبت ولعنته على الذين اختلفوا فيه، وهم اليهود فأحله بعضهم فاصطادوا فيه فلُعنوا ومسخوا قردة وخنازير في زمن داود عليه السلام، وقد تقدمت القصة في تفسير سورة الأعراف وبعضهم ثبت على تحريمه، فلم يصطد فيه شيئاً وهم الناهون والقول الأول أقرب إلى الصحة. وقوله تعالى ﴿**وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون**﴾ يعني في أمر السبت فيحكم الله بينهم يوم القيامة فيجازي المحققين بالثواب والمبطلين بالعقاب. قوله عز وجل ﴿**ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة**﴾ يعني ادع إلى دين ربك يا محمد، وهو دين الإسلام بالحكمة يعني بالمقالة المحكمة الصحيحة، وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة، يعني وادعهم إلى الله بالترغيب والترهيب وهو أنه لا يخفى عليهم أنك تناصحهم وتقصد ما ينفعهم ﴿**وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾ يعني بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف. وقيل: إن الناس اختلفوا وجعلوا ثلاثة أقسام: القسم الأول هم العلماء الكاملون أصحاب العقول الصحيحة والبصائر الثاقبة الذين يطلبون معرفة الأشياء على حقائقها، فهؤلاء المشار إليهم بقوله «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة» يعني ادعهم بالدلائل القطعية اليقينية حتى يعلموا الأشياء بحقائقها حتى ينتفعوا وينفعوا الناس وهم خواص العلماء من الصحابة وغيرهم. القسم الثاني: هم أصحاب الفطرة السليمة، والخلقة الأصيلة وهم غالب الناس الذين لم يبلغوا حدّ الكمال، ولم ينزلوا إلى حضيض النقصان فهم أوساط الأقسام، وهم المشار إليهم بقوله: والموعظة الحسنة أي ادع هؤلاء بالموعظة الحسنة. القسم الثالث: هم أصحاب جدال وخصام ومعاندة، وهؤلاء المشار إليهم بقوله: وجادلهم بالتي هي أحسن حتى ينقادوا إلى الحق ويرجعوا إليه. وقيل: المراد بالحكمة القرآن يعني ادعهم بالقرآن الذي هو حكمة وموعظة حسنة، وقيل: المراد بالحكمة النبوة أي ادعهم بالنبوة والرسالة والمراد بالموعظة الحسنة الرفق واللين في الدعوة، وجادلهم بالتي هي أحسن أي أعرض عن أذاهم ولا تقصر في تبليغ الرسالة، والدعاء إلى الحق فعلى هذا القول قال بعض علماء التفسير:

الحسين القطان ثنا أحمد بن يوسف السلمي أنبأنا عبد الرزاق أنا معمر عن همّام بن منبّه قال: ثنا أبو هريرة عن محمد رسول الله ﷺ قال: «نحن الآخِرُون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أُوتوا الكتاب من قبلنا وأُوتيناه من بعدهم، ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم» يعني: يوم الجمعة «فاختلفوا فيه فهدانا الله له والناس لنا فيه تبع اليهود غداً والنصارى بعد غد» قال الله تعالى: ﴿ **إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه** ﴾. قال قتادة: الذين اختلفوا فيه هم اليهود استحلّه بعضهم وحرّمه بعضهم. ﴿ **وإنّ ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون** ﴾.

﴿ **ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة** ﴾، بالقرآن، ﴿ **والموعظة الحسنة** ﴾، يعني مواعظ القرآن. وقيل: الموعظة الحسنة هي الدعاء إلى الله بالترغيب والترهيب. وقيل: هو قول اللين الرقيق من غير تغليظ ولا تعنيف، ﴿ **وجادلهم بالتي هي أحسن** ﴾، وخاصمهم وناظرهم بالخصومة التي هي أحسن أي أعرض عن أذاهم ولا تقصر في تبليغ

هذا منسوخ بآية السيف ﴿**إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**﴾ يعني إنما عليك يا محمد تبليغ ما أرسلت به إليهم ودعاؤهم بهذه الطرق الثلاثة وهو أعلم بالفريقين الضال والمهتدي فيجازي كل عامل بعمله قوله سبحانه وتعالى ﴿**وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به**﴾ نزلت هذه الآية بالمدينة في سبب شهداء أحد وذلك أن المسلمين لما رأوا ما فعل المشركون بقتلى المسلمين يوم أحد من تبقير البطون، والمثلة السيئة حتى لم يبق أحد من قتلى المسلمين إلا مثل به غير حنظلة بن أبي عامر الراهب، وذلك أن أباه أبا عامر الراهب كان مع أبي سفيان فتركوا حنظلة لذلك فقال المسلمون حين رأوا ذلك: لئن أظهرنا الله عليهم، لنربين على صنيعهم ولنمثلن بهم مثلة لم يفعلها أحد من العرب بأحد. ووقف رسول الله ﷺ على عمه حمزة بن عبد المطلب وقد جدعوا أنفه وآذانه وقطعوا مذاكيره، وبقروا بطنه وأخذت هند بنت عتبة قطعة من كبده فمضغتها ثم استرطبتها لتأكلها فلم تنزل في بطنها حتى رمت بها فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «أما إنها لو أكلتها لم تدخل النار أبداً حمزة أكرم على الله من أن يدخل شيئاً من جسده النار» فلما نظر رسول الله ﷺ إلى عمه حمزة نظر إلى شيء لم ينظر إلى شيء قط كان أوجع لقلبه منه. فقال رسول الله ﷺ: «رحمة الله عليك فإنك ما علمنا ما كنت إلا فعّالاً للخيرات، وصولاً للرحم ولولا حزن من بعدك عليك لسرني أن أدعك حتى تحشر من أفواج شتى أما والله لئن أظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين منهم مكانك». فأنزل الله عز وجل: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ الآية فقال رسول الله ﷺ: «بل نصبر وأمسك عما أراد وكفر عن يمينه» عن أبي بن كعب قال: لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعة وستون رجلاً ومن المهاجرين ستة منهم حمزة فمثلوا بهم فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوماً مثل هذا لنربين عليهم. قال: فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله عز وجل ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾ فقال رجل: لا قريش بعد اليوم. فقال رسول الله ﷺ «كفوا عن القوم إلا أربعة» أخرجه الترمذي. وقال حديث حسن غريب وأما تفسير الآية فقوله تعالى ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ سمي الفعل الأول باسم الثاني للمزاوجة في الكلام، والمعنى إن صنع بكم سوء من قتل أو مثلة ونحوها، فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه فهو كقوله «وجزاء سيئة سيئة مثلها» أمر الله برعاية العدل والإنصاف في هذه الآية في باب استيفاء الحقوق. يعني: إن رغبتم في استيفاء القصاص فاقتصوا بالمثل، ولا تزيدوا عليه فإن استيفاء الزيادة ظلم والظلم ممنوع منه في عدل الله وشرعه ورحمته، وفي الآية دليل على أن الأولى ترك استيفاء القصاص وذلك بطريق الإشارة والرمز والتعريض، بأن الترك أولى فإن كان لا بد من استيفاء القصاص فيكون من غير زيادة عليه بل يجب مراعاة المماثلة ثم انتقل من طريق الإشارة إلى طريق التصريح فقال تعالى ﴿**ولئن صبرتم لهو خير للصابرين**﴾ يعني ولئن عفوتم، وتركتم استيفاء القصاص وصبرتم كان ذلك العفو، والصبر خيراً من استيفاء القصاص وفيه أجر للصابرين والعافين.

الرسالة والدعاء إلى الحق، نسختها آية القتال. ﴿ **إنّ ربّك هو أعلم بمَن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين** ﴾.

﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عُوقبتم به** ﴾، هذه الآيات نزلت بالمدينة في شهداء أُحُد وذلك أن المسلمين لمّا رأوا ما فعل المشركون بقتلاهم يوم أُحُد من تبقير البطون والمَثْلة السيئة حتى لم يبقَ أحد من قتلى المسلمين إلاّ مُثِّلَ به غير حنظلة بن الراهب فإن أباه أبا عامر الراهب كان مع أبي سفيان فتركوا حنظلة لذلك، فقال المسلمون حين رأوا ذلك: لئن أظهرنا الله عليهم لنزيدنّ على صنيعهم ولنمثلنّ بهم مَثْلَة لم يفعلها أحد من العرب بأحد، فوقف رسول الله ﷺ على عمّه حمزة بن عبد المطّلب وقد جدعوا أنفه وأُذنه وقطعوا مذاكيره وبقروا بطنه، وأخذت هند بنت عتبة قطعة من كبده فمضغتها ثم استرطبتها لتأكلها فلم تلبث في بطنها حتى رمت بها فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «أما إنها لو أكلتها لم تدخل النار أبداً إن حمزة أكرم على الله تعالى من أن يدخل شيئاً من جسده النار، فلما نظر

فصل

اختلف العلماء هل هذه الآية منسوخة أم لا، على قولين: أحدهما أنها نزلت قبل براءة فأمر النبي ﷺ أن يقاتل من قاتله ولا يبدأ بالقتال ثم نسخ ذلك وأمر بالجهاد وهذا قول ابن عباس والضحاك، فعلى هذا يكون معنى قوله ولئن صبرتم عن القتال، فلما أعز الله الإسلام وكثر أهله أمر الله رسوله ﷺ بالجهاد، ونسخ هذا بقوله: اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية، القول الثاني: أنها أحكمت، وأنها نزلت فيمن ظلم ظلامة فلا يحل له أن ينال من ظالمه أكثر مما نال منها الظالم وهذا قول مجاهد والشعبي والنخعي وابن سيرين والثوري. قال بعضهم: الأصح أنها محكمة لأن الآية واردة في تعليم حسن الأدب في كيفية استيفاء الحقوق وفي القصاص وترك التعدي وهو طلب الزيادة، وهذه الأشياء لا تكون منسوخة فلا تعلق لها بالنسخ والله أعلم. قوله عز وجل ﴿**واصبر وما صبرك إلا بالله**﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بالصبر، وأعلمه أن صبره بتوفيقه ومعونته ﴿**ولا تحزن عليهم**﴾ يعني على الكافرين، وإعراضهم عنك وقيل: معنى الآية ولا تحزن على قتلى أحد وما فعل بهم فإنهم أفضوا إلى رحمة الله ورضوانه ﴿**ولا تك في ضيق مما يمكرون**﴾ يعني: ولا يضيقن صدرك يا محمد بسبب مكرهم، فإن الله كافيك وناصرك عليهم. قرىء في ضيق بفتح الضاد وكسرها، فقيل لغتان. وقال أبو عمر: والضيق بالفتح الغم وبالكسر الشدة، وقال أبو عبيد الضيق بالكسر في قلة المعاش وفي المسكن وإما ما كان في القلب والصدر فإنه بالفتح، وقال القتيبي: الضيق تخفيف ضيق مثل هين وهين ولين ولين فعلى هذا يكون صفة كأنه قال سبحانه وتعالى: ولا تك في أمر ضيق من مكرهم. قال الإمام فخر الدين الرازي: هذا الكلام من المقلوب، لأن الضيق صفة والصفة تكون حاصلة في الموصوف، ولا يكون الموصوف حاصلاً في الصفة فكان المعنى فلا يكن الضيق حاصلاً فيك إلا أن الفائدة في قوله: ولا تك في ضيق، هي أن الضيق إذا عظم وقوي صار كالشيء المحيط بالإنسان من كل جانب، كالقميص المحيط به فكانت الفائدة في ذكر هذا اللفظ بهذا المعنى ﴿**إن الله مع الذين اتقوا**﴾ أي اتقوا المثلة والزيادة في القصاص وسائر المناهي ﴿**والذين هم محسنون**﴾ يعني بالعفو عن الجاني، وهذه المعية بالعون والفضل والرحمة يعني إن أردت أيها الإنسان أن أكون معك بالعون والفضل والرحمة، فكن من المتقين المحسنين، وفي هذا إشارة إلى التعظيم لأمر الله،

رسول الله ﷺ إلى حمزة نظر إلى شيء لم ينظر إلى شيء قطّ كان أوجع لقلبه منه فقال النبي ﷺ: «**رحمة الله عليك** أبا السائب فإنك ما علمتك إلّا فعّالاً للخيرات وَصُولاً للرَحِم، ولولا حزن من بعدك عليك لسرّني أن أدعك حتى تُحشَر من أفواج شتّى أما والله لئن أظفرني الله بهم لأمثلنّ بسبعين منهم مكانك»، فأنزل الله تعالى: ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا** ﴾ الآية. ﴿ **ولئن صبرتم لهو خيرٌ للصابرين** ﴾، أي: ولئن عفوتم لهو خير للعافين فقال النبي ﷺ: «بل نصبر»، وأمسك عمّا أراد وكفّر عن يمينه. قال ابن عباس والضحاك: كان هذا قبل نزول براءة حين أمر النبي ﷺ بقتال مَن قاتله ومنع من الابتداء بالقتال، فلما أعزّ الإسلام وأهله نزلت براءة، وأُمروا بالجهاد ونُسِخت هذه الآية، قال النخعي والثوري ومجاهد وابن سيرين: الآية مُحكَمة نزلت في مَن ظلم بظلامة فلا يحلّ له أن ينال من ظالمه أكثر مما نال الظالم منه أمر بالجزاء والعفو ومنع من الاعتداء، ثم قال لنبيّه ﷺ.

﴿ **واصْبِرْ وما صبرُكَ إلاّ بالله** ﴾، أي: بمعونة الله وتوفيقه، ﴿ **ولا تحزنْ عليهم** ﴾، في إعراضهم عنك، ﴿**ولا تَكُ في ضيق مما يمكرون**﴾، أي: مما فعلوا من الأفاعيل، قرأ ابن كثير ههنا وفي النمل [٧٠] ﴿**ضيق**﴾ بكسر الضاد وقرأ الآخرون بفتح الضاد، قال أهل الكوفة: هما لغتان مثل رطل ورطل، وقال أبو عمر: الضيق بالفتح الغم، وبالكسر الشدّة، وقال أبو عبيدة: الضيق بالكسر في قلّة المعاش وفي المساكن، فأما ما كان في القلب

والشفقة على خلق الله. قال بعض المشايخ: كمال الطريق صدق مع الحق، وخلق مع الخلق وكمال الإنسان أن يعرف الحق لذاته والخير لأجل أن يعمل به، وقيل لهرم ابن حيان عند الموت: أوص. فقال: إنما الوصية في المال ولا مال لي، ولكني أوصيك بخواتيم سورة النحل. والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

والصدر فإنه بالفتح. وقال ابن قتيبة: الضيق تخفيف ضيق مثل هين وهيّن، ولين وليّن، فعلى هذا هو صفة كأنه قال: ولا تكن في أمر ضيق من مكرهم.

﴿ إن الله مع الذين اتقوا ﴾، المناهي، ﴿ والذين هم محسنون ﴾ بالعون والنصرة.

تفسير سورة الإسراء

فصل في نزولها

قال ابن الجوزي: هي مكية في قول الجماعة إلا أن بعضهم يقول فيها مدني فروي عن ابن عباس أنه قال هي مكية إلا ثمان آيات من قوله سبحانه وتعالى ﴿**وإن كادوا ليفتنونك**﴾ إلى قوله ﴿**نصيراً**﴾ وهذا قول قتادة وقال مقاتل فيها من المدني ﴿**وقل رب أدخلني مدخل صدق**﴾ ـ الآية وقوله تعالى ﴿**إن الذين أوتوا العلم من قبله**﴾ ـ وقوله ﴿**إن ربك أحاط بالناس**﴾ ـ وقوله تعالى ﴿**وإن كادوا ليفتنونك**﴾ ـ وقوله تعالى ﴿**ولولا أن ثبتناك**﴾ والتي تليها ـ وهي مائة وعشر آيات وقيل وإحدى عشرة آية وخمسمائة وثلاث وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف وأربعمائة وستون حرفاً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾

قوله عز وجل ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً**﴾ روى ابن الجوزي عن النبي ﷺ أنه سئل عن تفسير سبحان الله فقال: تنزيه الله عن كل شيء. هكذا ذكره بغير سند وقال النحويون: سبحان اسم علم على التسبيح يقال سبحت الله تسبيحاً فالتسبيح هو المصدر وسبحان الله علم للتسبيح وتفسير سبحان الله، تنزيه الله عن كل سوء ونقيصة وأصله في اللغة التباعد فمعنى سبحان الله بعده ونزاهته عن كل ما لا ينبغي «**الذي أسرى**» يقال سري به وأسري به لغتان «بعبده» أجمع المفسرون والعلماء والمتكلمون، أن المراد به محمد ﷺ لم يختلف أحد من الأمة في ذلك، وقوله بعبده إضافة تشريف وتعظيم وتبجيل وتفخيم وتكريم ومنه قول بعضهم.

لا تـدعنـي إلا بيـا عبـدهـا ... فـإنـه أشـرف أسمـائـي

قيل: لما بلغ رسول الله ﷺ إلى الدرجات العالية والرتب الرفيعة ليلة المعراج، أوحى الله عز وجل إليه يا محمد بم شرفتك؟ قال: رب حيث نسبتني إلى نفسك بالعبودية. فأنزل الله سبحانه وتعالى: سبحان الذي أسرى

سُورَة الإِسْـراء

مكيّة وهي مائة وإحدى عشرة آية.

﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً** ﴾، سبحان الله تنزّه الله تعالى من كل سوء ووصف بالبراءة من كل نقص على طريق المبالغة، وتكون سبحان بمعنى التعجّب أسرى بعبده، أي: سيّره، وكذلك سرى به، والعبد هو: محمد ﷺ، ﴿ **من المسجد الحرام** ﴾، قيل: كان الإسراء من مسجد مكة. روى قتادة عن أنس عن مالك بن

بعبده ليلاً. فإن قلت: الإسراء لا يكون إلا بالليل فما معنى ذكر الليل. قلت: أراد بقوله ليلاً بلفظ التنكير تقليل مدة الإسراء وأنه أسري به في بعض ليلة من مكة إلى الشام مسيرة شهر أو أكثر، فدل تنكير الليل على البعضية ﴿من المسجد الحرام﴾ قيل كان الإسراء من نفس مسجد مكة وفي حديث مالك بن صعصعة أن رسول الله ﷺ قال «بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر» وذكر حديث المعراج، وسيأتي بكماله فيما بعد وقيل عرج به من دار أم هانيء بنت أبي طالب وهي بنت عمه أخت علي رضي الله تعالى عنه، فعلى هذا أراد بالمسجد الحرام الحرم ﴿إلى المسجد الأقصى﴾ يعني إلى بيت المقدس سمي أقصى لبعده عن المسجد الحرام أو لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد ﴿الذي باركنا حوله﴾ يعني بالأنهار والأشجار والثمار، وقيل سماه مباركاً لأنه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة والوحي وقبلة الأنبياء قبل نبينا محمد ﷺ وإليه تحشر الخلق يوم القيامة. فإن قلت: ظاهر الآية يدل على أن الإسراء كان إلى بيت المقدس والأحاديث الصحيحة تدل على أنه عرج به إلى السماء فكيف الجمع بين الدليلين، وما فائدة ذكر المسجد الأقصى فقط؟ قلت: قد كان الإسراء على ظهر البراق إلى المسجد الأقصى، ومنه كان عروجه إلى السماء على المعراج وفائدة ذكر المسجد الأقصى فقط أنه ﷺ لو أخبر بصعوده إلى السماء أولاً لاشتد إنكارهم لذلك فلما أخبر أنه أسرى به إلى بيت المقدس، وبان لهم صدقه فيما أخبر به من العلامات التي فيه وصدقوه عليها أخبر بعد ذلك بعروجه إلى السماء، فجعل الإسراء إلى المسجد الأقصى كالتوطئة لمعراجه إلى السماء. وقوله تعالى ﴿لنريه من آياتنا﴾ يعني من عجائب قدرتنا فقد رأى محمد ﷺ في تلك الليلة الأنبياء وصلى بهم ورأى الآيات العظام. فإن قلت لفظة من في قوله من آياتنا تقتضي التبعيض وقال في حق إبراهيم عليه السلام وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض، وظاهر هذا يدل على فضيلة إبراهيم عليه السلام على محمد ﷺ ولا قائل به فما وجهه. قلت: ملكوت السموات والأرض من بعض آيات الله أيضاً ولآيات الله أفضل من ذلك وأكثر والذي أراه محمداً ﷺ من آياته وعجائبه تلك الليلة كان أفضل من ملكوت السموات والأرض، فظهر بهذا البيان فضل محمد ﷺ على إبراهيم ﷺ ﴿إنه هو السميع﴾ لأقواله ودعائه ﴿البصير﴾ لأفعاله الحافظة له في ظلمة الليل وقت إسرائه وقيل إنه هو السميع لما قالته له قريش حين أخبرهم بمسراه إلى بيت المقدس ﴿البصير﴾ بما ردوا عليه من التكذيب. وقيل: إنه هو السميع لأقوال جميع خلقه البصير بأفعالهم فيجازي كل عامل بعمله. وحمله على العموم أولى.

فصل

في ذكر حديث المعراج وما يتعلق به من الأحكام، وما قال العلماء فيه (ق) حدثنا قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به قال: «بينما أنا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجعاً، ومنهم من قال بين النائم واليقظان إذ أتاني آت فقد قال وسمعته يقول: فشق ما بين هذه إلى هذه فقلت للجارود وهو إلى جنبي ما يعني به قال من ثغرة نحره إلى شعرته وسمعته يقول من قصته إلى شعرته، فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً، فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض فقال له الجارود: أهو البراق يا أبا حمزة؟ قال أنس: نعم يضع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه، فانطلق بي جبريل عليه السلام حتى

صعصعة أن رسول الله ﷺ قال: «بينا أنا في المسجد الحرام في الحِجْرِ بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل بالبراق»، فذكر حديث المعراج، وقال قوم: عرج به من دار أُم هانيء بنت أبي طالب، ومعنى قوله: ﴿ من المسجد الحرام ﴾ أي: من الحرم. قال مقاتل: كانت ليلة الإسراء قبل الهجرة بسنة. ويقال: كان في رجب. وقيل: كان في رمضان. ﴿ إلى المسجد الأقصى ﴾، يعني: بيت المقدس، وسُمّي أقصى لأنه أبعد المساجد التي تُزار. وقيل: لبُعده من المسجد الحرام. ﴿ الذي باركنا حوله ﴾، بالأنهار والأشجار والثمار. وقال مجاهد: سمّاه مباركاً لأنه مقرّ

أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل: من هذا؟ قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل: وقد أرسل إليه قال: نعم قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فإذا فيها آدم فقال: هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح. قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال: محمد قيل: وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فإذا بيحيى وعيسى وهما ابنا خالة قال: هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا: مرحباً بالأخ الصالح، والنبي الصالح. ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل: ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال: نعم قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت إذا يوسف، قال: هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت، فإذا إدريس قال: هذا إدريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فإذا هارون قال: هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قال مرحباً به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا موسى قال: هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح فلما تجاوزت بكى قيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل: ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا إبراهيم قال: هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة قال: هذه سدرة المنتهى فإذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران، فقلت: ما هذان يا جبريل قال: أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات، ثم رفع لي البيت المعمور ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل فأخذت اللبن فقال: هي الفطرة أنت عليها وأمتك ثم فرضت علي الصلوات خمسين صلاة كل يوم فرجعت، فمررت على موسى فقال بم أمرت قلت: أمرت بخمسين صلاة كل يوم. قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم وإني والله قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت إلى موسى، قال: بم أمرت؟ قلت: بخمس صلوات كل يوم قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك قال سألت: ربي حتى

الأنبياء ومهبط الملائكة والوحي، وفيه الصخرة ومنه يحشر الناس يوم القيامة. ﴿ لنُرِيَه من آياتنا ﴾، من عجائب قدرتنا، وقدّر أي هناك الأنبياء والآيات الكبرى، ﴿ إنه هو السميع البصير ﴾، ذكر السميع لينبّه على أنه المُجيب لدعائه، وذكر البصير لينبّه على أنه الحافظ له في ظلمة الليل. ورُوِيَ عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول ما فقد جسد النبي ﷺ، ولكن الله أسرى بروحه. والأكثرون على أنه أسرى بجسده في اليقظة وتواترت الأخبار الصحيحة على ذلك. أخبرنا أبو عمرو عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو حامد أحمد بن عبد الله النعيمي أنا أبو

استحييت ولكن أرضى وأسلم قال: فلما جاوزت نادى منادي أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي» زاد في رواية أخرى «وأجزي بالحسنة عشراً» وفي رواية أخرى «بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان وفيه ثم غسل البطن بماء زمزم ثم ملىء إيماناً وحكمة، وفيه فرفع إلى البيت المعمور فسألت جبريل فقال هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا مرة أخرى» (ق) «عن أنس بن مالك قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال: فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل، ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيماناً، فأفرغها في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء فلما جئنا السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء الدنيا: افتح قال من هذا قال هذا جبريل قيل هل معك أحد قال: نعم معي محمد ﷺ قال: فأرسل إليه قال نعم فافتح ففتح قال: فلما علونا السماء الدنيا فإذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة قال فإذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى فقال مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح، قال: قلت يا جبريل من هذا قال هذا آدم، وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فأهل اليمين أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى، قال: ثم عرج بي جبريل حتى أتى السماء الثانية فقال لخازنها: افتح. فقال له خازنها مثل ما قال خازن السماء الدنيا ففتح. قال أنس بن مالك: فذكر أنه وجد في السموات آدم وإدريس وعيسى وموسى وإبراهيم، ولم يثبت كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه قد وجد آدم في السماء الدنيا وإبراهيم في السماء السادسة، قال: فلما مر جبريل ورسول الله بإدريس قال مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح، قال: ثم مر فقلت من هذا قال هذا إدريس قال: ثم مررت بموسى فقال مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح قال: فقلت من هذا قال: هذا موسى. قال ثم مررت بعيسى فقال مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح قلت من هذا قال: هذا عيسى ابن مريم قال ثم مررت بإبراهيم فقال مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح قال فقلت من هذا قال هذا إبراهيم. قال ابن شهاب: وأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري كانا يقولان: قال رسول الله ﷺ ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام. قال ابن حزم وأنس بن مالك قال رسول الله ﷺ: ففرض الله على أمتي خمسين صلاة قال: فرجعت بذلك حتى مررت بموسى فقال موسى: ماذا فرض ربك على أمتك؟ قلت: فرض عليهم خمسين صلاة. قال لي موسى: فراجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك قال فراجعت ربي فوضع شطرها. قال فرجعت إلى موسى فأخبرته قال: راجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك قال: فراجعت ربي فقال: هي خمس وهن خمسون لا يبدل القول لدي قال فرجعت إلى موسى فقال: راجع ربك فقلت قد استحييت من ربي قال: ثم انطلق بي جبريل حتى أتى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي؟ قال: ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك» (ق) عن شريك بن أبي نمر «أنه سمع أنس بن مالك يقول: ليلة أسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام. فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم هو خيرهم فقال آخرهم خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة، فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم، فتولاه منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره

عبد الله محمد بن يوسف الفربري ثنا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ثنا هدبة بن خالد ثنا همّام بن يحيىٰ ثنا قتادة ثنا قال البخاري: وقال لي خليفة العصفري: ثنا يزيد بن زريع ثنا سعيد بن هشام. قال: ثنا قتادة ثنا أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة أن نبيّ الله ﷺ، حدّثهم عن ليلة أسرِيَ به، ثنا قال البخاري: ثنا يحيىٰ بن بكير ثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك قال: كان أبو ذر يحدّث الناس أن رسول الله ﷺ قال: حدّثنا، وأخبرنا أبو سعيد إسماعيل بن عبد القاهر أنا أبو الحسين عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا أبو أحمد محمد بن عيسى الجلودي ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا أبو الحسين مسلم بن الحجّاج ثنا شيبان بن

إلى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه، ثم أتى بطست من ذهب فيه نور من ذهب محشواً إيماناً، وحكمة فحشا به صدره ولغاد يده يعني عروق حلقه ثم أطبقه ثم عرج به إلى السماء الدنيا، فضرب باباً من أبوابها فناداه أهل السماء من هذا فقال جبريل قالوا: ومن معك قال معي محمد قالوا: وقد بعث إليه قال نعم قالوا: مرحباً به وأهلاً يستبشر به أهل السماء لا يعلم أهل السماء ما يريد الله به في الأرض حتى يعلمهم فوجد في السماء الدنيا آدم عليه السلام فقال له جبريل: هذا أبوك آدم فسلم عليه ورد عليه السلام وقال: مرحباً وأهلاً يا بني نعم الابن أنت فإذا هو في السماء الدنيا، بنهرين يطردان فقال: ما هذان النهران يا جبريل؟ قال: هذان النيل والفرات عنصر هما ثم مضى به في السماء، فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب بيده، فإذا هو مسك أذفر قال ما هذا يا جبريل قال: هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك ثم عرج إلى السماء الثانية فقالت الملائكة له مثل ما قالت له الأولى من هذا؟ قال جبريل قالوا: ومن معك قال محمد قالوا: وقد بعث إليه قال: نعم قالوا: مرحباً به وأهلاً ثم عرج به إلى السماء الثالثة. وقالوا له مثل ما قالت الأولى والثانية. ثم عرج به إلى الرابعة فقالوا له مثل ذلك. ثم عرج به إلى السماء الخامسة. فقالوا له مثل ذلك. ثم عرج به إلى السماء السادسة. فقالوا له مثل ذلك. ثم عرج به إلى السماء السابعة. فقالوا له مثل ذلك. كل سماء فيها أنبياء قد سماهم فوعيت منهم إدريس في الثانية وهارون في الرابعة، وآخر في الخامسة ولم أحفظ اسمه وإبراهيم في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله فقال موسى: رب لم أظن أن يرفع علي أحد، ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاء سدرة المنتهى، ودنا الجبار رب العزة فتدلى فكان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى الله فيما أوحى إليه خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة، ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال: يا محمد ماذا عهد إليك ربك قال عهد إلي خمسين صلاة كل يوم وليلة قال: إن أمتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم فالتفت النبي ﷺ إلى جبريل كأنه يستشيره في ذلك فأشار إليه جبريل أن نعم إن شئت فعلا به إلى الجبار تعالى، فقال: وهو مكانه يا رب خفف عنا فإن أمتي لا تستطيع هذا فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع إلى موسى فاحتبسه فلم يزل يردده موسى إلى ربه حتى صارت خمس صلوات، ثم احتبسه موسى عند الخمس فقال: يا محمد والله لقد راودت بني إسرائيل قومي على أدنى من هذا، فضعفوا فتركوه فأمتك أضعف أجساداً وقلوباً وأبداناً وأبصاراً وأسماعاً، فارجع فليخفف عنك ربك كل ذلك يلتفت النبي ﷺ إلى جبريل عليه السلام ليشير عليه، فلا يكره ذلك جبريل فرفعه عند الخامسة فقال: يا رب إن أمتي ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبدانهم، فخفف عنا. فقال الجبار: يا محمد. قال: لبيك وسعديك قال: إنه لا يبدل القول لدي كما فرضت عليك في أم الكتاب قال: فكل حسنة بعشر أمثالها فهي خمسون في أم الكتاب وهي خمس عليك فرجع إلى موسى فقال: كيف فعلت؟ قال: خفف عنا أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها. قال موسى: قد والله راودت بني إسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه ارجع إلى ربك فليخفف عنك أيضاً قال رسول الله ﷺ: يا موسى قد والله استحييت من ربي مما اختلفت إليه. قال: فاهبط بسم الله فاستيقظ وهو في المسجد الحرام» هذا لفظ حديث البخاري وأدرج مسلم حديث شريك عن أنس الموقوف عليه في حديث ثابت البناني المسند، فذكر من أول حديث شريك طرفاً ثم قال:

فروخ ثنا حمّاد بن سلمة ثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «دخل حديث بعضهم في بعض»، قال أبو ذر: إن رسول الله ﷺ قال: «فُرّج عنّي سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمةً وإيماناً فأفرغه في صدري، ثم أطبقه». وقال مالك بن صعصعة: إن نبيّ الله ﷺ حدّثهم عن ليلة أُسريَ به قال: «بينما أنا في الحطيم» وربما قال: «في الحجر بين النائم واليقظان»، وذكر بين رجلين، «فأُتيتُ بطست من ذهب مملوء حكمةً وإيماناً فشُقّ من النحر إلى مُراق البطن، واستُخرجَ قلبي فغُسِلَ ثم مُلِىء، وقيل حُشِيَ، ثم أُعيد». وقال سعيد وهشام: «ثم غُسِل البطن بماء زمزم ثم مُلِىء إيماناً وحكمةً ثم

وساق الحديث نحو حديث ثابت قال مسلم، وقدم وأخر وزاد ونقص وليس في حديث ثابت من هذه الألفاظ إلا ما نورده على نصه، أخرجه مسلم وحده وهو حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس أن رسول الله ﷺ: «قال أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه. قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس قال فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء، ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل عليه السلام اخترت الفطرة قال ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه، قال قد بعث إليه ففتح لنا، فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل، قيل ومن معك قال محمد، قيل: وقد بعث إليه قال: قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بيوسف عليه السلام فإذا هو قد أعطى شطر الحسن، قال: فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة. فاستفتح جبريل فقيل: من هذا؟ قال جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل وقد بعث إليه قال: قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإدريس فرحب ودعا لي بخير. قال الله تعالى ورفعناه مكاناً علياً ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة. فاستفتح جبريل فقيل: من هذا قال: جبريل قيل: ومن معك قال محمد قيل: وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بهارون فرحب ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل، فقيل من هذا قال جبريل قيل: ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال: قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل: من هذا قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال محمد قيل: وقد بعث إليه قال: قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام مسنداً ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من

أُتيت بالبُراق وهو دابّة أبيض فوق الحمار ودون البغل حافره عند منتهى طرفه، فركبته فانطلقت مع جبريل حتى أتيت بيت المقدس، قال: فربطته بالحلقة التي تربط بها الأنبياء، قال: ثم دخلت المسجد فصلّيت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن، فقال جبريل: اخترتَ الفطرةَ فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح قيل: مَن هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومَن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنِعمَ المجيء جاء، ففتح الباب فلما خلصت فإذا فيها آدم، فقال لي: هذا أبوك آدم فسلّم عليه فسلّمتُ عليه فردّ السلام، ثم قال: مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح، وفي حديث أبي ذرّ: علونا السماء الدنيا فإذا رجل قاعد عن يمينه أسوِدة وعن يساره أسوِدة إذا نظر قِبَلَ يمينه ضحك وإذا نظر قِبَلَ شماله بكى، فقال مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح، قلت لجبريل: مَن هذا؟ قال: هذا أبوك آدم وهذه الأسودة التي عن يمينه وشماله نسم بنيه، فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار فإذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر عن قِبَل شماله بكى، ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح قيل: مَن هذا؟ قال: جبريل، ومَن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت إذا بيحيىٰ بن زكريا وعيسى عليهما السلام وهما ابنا خالة، قال: هذا يحيىٰ وعيسى، فسلّم فردّا عليَّ السلام، ثم قالا: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح، قيل: مَن هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومَن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعمَ المجيء جاء، ففتح فلما خلصت فإذا يوسف

حسنها، فأوحى إلي ما أوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى فقال: ما فرض ربك على أمتك قلت خمسين صلاة قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم قال: فرجعت إلى ربي فقلت: يا رب خفف على أمتي فحط عني خمساً فرجعت إلى موسى فقلت: قد حط عني خمساً قال: إن أمتك لا تطيق ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف قال: فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى حتى قال يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشراً ومن همّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً، فإن عملها كتبت واحدة قال فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله ﷺ: فقلت قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه» هذه رواية مسلم وأخرجه الترمذي مختصراً وفيه «أن رسول الله ﷺ أتي بالبراق ليلة أسرى به ملجماً مسرجاً، فاستصعب عليه فقال له جبريل أبمحمد تفعل هكذا ما ركبك أحد أكرم على الله منه فارفض عرقاً» وأخرجه النسائي مختصراً، والمعنى واحد وفي آخره قال: فرجعت إلى ربي فسألته التخفيف فقال إني يوم خلقت السموات والأرض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة فخمس بخمسين فقم بها أنت وأمتك، فعرفت أن أمر الله جرى بقول حتم فلم أرجع.

فصل

قال البغوي: قال بعض أهل الحديث ما وجدنا للبخاري ومسلم في كتابيهما شيئاً لا يحتمل مخرجاً إلا حديث شريك بن أبي نمر عن أنس، وأحال الأمر فيه على شريك وذلك أنه ذكر فيه إن ذلك كان قبل الوحي، واتفق أهل العلم على أن المعراج كان بعد الوحي بنحو من اثنتي عشرة سنة وفيه أن الجبار تبارك وتعالى دنا فتدلى وذكرت عائشة أن الذي تدلى هو جبريل عليه السلام. قال البغوي: وهذا الاعتراض عندي لا يصح لأن هذا كان رؤيا في النوم أراه الله ذلك قبل أن يوحى إليه بدليل آخر الحديث، فاستيقظ وهو في المسجد الحرام ثم عرج به في اليقظة بعد الوحي، وقبل

وإذا هو قد أُعطي شطر الحسن، قال: هذا يوسف فسلّمْ عليه، فسلّمتُ عليه فردّ عليّ، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح، قيل: مَن هذا: قال: جبريل، قيل: ومَن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت فإذا إدريس، قال: هذا إدريس فسلّم عليه فسلّمتُ عليه، فردّ ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل: مَن هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومَن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا هارون، قال: هذا هارون فسلّمْ عليه فسلّمت عليه فردّ ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قيل: مَن هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومَن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنِعمَ المجيء جاء ففتح فلما خلصت فإذا موسى، قال: هذا موسى فسلّمْ عليه فسلّمتُ عليه فردّ ثم قال: مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح، قال: فلما جاوزت بكى قيل له: ما يُبكيك؟ قال: أبكي لأن غلاماً بُعِثَ بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممّن يدخلها من أُمتي، ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل: مَن هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومَن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء فلما خلصتُ فإذا إبراهيم، قال: هذا أبوك إبراهيم فسلّم عليه فسلّمتُ عليه فردّ السلام ثم قال: مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح، فرفع لي البيت المعمور فسألت جبريل فقال: هذا البيت المعمور يصلّي فيه كل يوم سبعون ألف

الهجرة بسنة تحقيقاً لرؤياه التي رآها من قبل كما أنه رأى فتح مكة في المنام عام الحديبية سنة ست من الهجرة، ثم كان تحقيقها سنة ثمان، ونزل قوله سبحانه وتعالى: لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق. وقال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله تعالى في كتابه شرح مسلم: قد جاء من رواية شريك في هذا الحديث أوهام أنكرها عليه العلماء وقد نبه مسلم على ذلك بقوله قدم وأخر وزاد ونقص منها قوله وذلك قبل أن يوحى إليه وهو غلط لم يوافق عليه فإن الإسراء أقل ما قيل فيه أنه كان بعد مبعثه ﷺ بخمسة عشر شهراً. وقال الحربي: كانت ليلة الإسراء ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة. وقال الزهري: كان ذلك بعد مبعثه ﷺ بخمس سنين. وقال ابن إسحاق: أسري به ﷺ وقد فشا الإسلام بمكة والقبائل. قال الشيخ محيي الدين: وأشبه الأقوال قول الزهري وابن إسحاق وأما قوله في رواية شريك وهو نائم وفي الرواية الأخرى بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان، فقد يحتج به من يجعلها رؤيا نوم، ولا حجة فيه إذ قد يكون ذلك حالة أول وصول الملك إليه، وليس في الحديث ما يدل على كونه نائماً في القصة كلها هذا كلام القاضي عياض، وهذا الذي قاله في رواية شريك وأن أهل العلم قد أنكروها قد قاله غيره، وقد ذكر البخاري في رواية شريك هذه عن أنس في كتاب التوحيد من صحيحه، وأتى بالحديث مطولاً. قال الحافظ من رواية شريك بن أبي نمر عن أنس قد زاد فيه زيادة مجهولة، وأتى فيه بألفاظ غير معروفة وقد روى حديث الإسراء جماعة من الحفاظ المتقنين، والأئمة المشهورين كابن شهاب وثابت البناني وقتادة يعني عن أنس فلم يأت أحد منهم بما أتى شريك، وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث قال: والأحاديث التي تقدمت قبل هذا هي المعول عليها.

فصل

في شرح بعض ألفاظ حديث المعراج وما يتعلق به، كانت ليلة الإسراء قبل الهجرة بسنة يقال كانت في رجب ويقال في رمضان وقد تقدم زيادة على هذا القدر في الفصل الذي قبل هذا واختلف الناس في الإسراء برسول الله ﷺ. فقيل: إنما كان ذلك في المنام والحق الذي عليه أكثر الناس، ومعظم السلف وعامة الخلف من المتأخرين والفقهاء والمحدثين والمتكلمين أنه أسري بروحه وجسده ﷺ ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى: ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً**﴾ ولفظ العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد، والأحاديث الصحيحة التي تقدمت تدل على صحة هذا القول

ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم. وقال ثابت عن أنس: فإذا أنا بـإبراهيم مسند ظهره إلى البيت المعمور، وإذ هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا أوراقها مثل آذان الفيلة، قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حُسنها، في أصلها أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران، فقلت: ما هذان يا جبريل؟ فقال: أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات، وأوحي إليّ ما أوحي، ففرض عليّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى، فقال: ما فرض ربك على أُمتك؟ قلت: خمسين صلاة، قال: ارجعْ إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أُمتك لا تطيق ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخَبِرتهم، قال: فرجعتُ إلى ربي فقلت: يا رب خفّف على أمتي فحطّ عنّي خمساً، فرجعت إلى موسى فقلت: حطّ عني خمساً، قال: إن أمتك لا تطيق ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، قال: فلم أزل أُراجع بين ربي وبين موسى حتى قال الله تعالى: يا محمد إنهنّ خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر هي خمس وهي خمسون لا يبدّل القول لديّ ومَنْ همّ بحسنة فلم يعملها كُتبت له حسنة، فإن عملها كُتِبت له عشراً، ومَن همَّ بسيئةٍ فلم يعملها لم تُكتَب شيئاً فإن عملها كُتِبت سيئة واحدة، قال: فنزلت حتى انتهيتُ إلى موسى فأخبرتهُ، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فقلت: سألت ربي حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم، قال: فلما جاوزت نادى مُنادٍ أمضيتُ فريضتي وخفّفت عن

لمن طالعها، وبحث عنها وحكى محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن حذيفة أنه قال: كل ذلك كان رؤيا وأنه ما فقد جسد رسول الله ﷺ وإنما أسري بروحه. وحكي هذا القول عن عائشة أيضاً وعن معاوية ونحوه والصحيح ما عليه جمهور العلماء من السلف والخلف والله أعلم قوله ﷺ أتيت بالبراق هو اسم للدابة التي ركبها رسول الله ﷺ ليلة أسري به واشتقاقه من البرق لسرعته، أو لشدة صفائه وبياضه ولمعانه وتلألؤه ونوره والحلقة باسكان اللام، ويجوز فتحها والمراد بربط البراق بالحلقة الأخذ بالاحتياط في الأمور وتعاطي الأسباب، وإن ذلك لا يقدح في التوكل إذا كان الاعتماد على الله تعالى وقوله جاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فيه اختصار والتقدير، قال لي اختر فاخترت اللبن وهو قول جبريل اخترت الفطرة يعني فطرة الإسلام، وجعل اللبن علامة للفطرة الصحيحة السليمة لكونه سهلاً طيباً سائغاً للشاربين وأنه سليم العاقبة، بخلاف الخمر فإنها أم الخبائث وجالبة لأنواع الشر. قوله: ثم عرج بي حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقيل: من أنت قال: جبريل فيه بيان الأدب لمن استأذن وأن يقول: أنا فلان ولا يقول: أنا فإنه مكروه وفيه أن للسماء أبواباً وبوابين وأن عليها حرساً وقول بواب السماء وقد أرسل إليه، وفي الرواية الأخرى وقد بعث إليه معناه للإسراء وصعوده السماء وليس مراده الاستفهام عن أصل البعثة والرسالة، فإن ذلك لا يخفى عليه إلى هذه المدة هذا هو الصحيح في معناه، وقيل غيره وقوله فإذا أنا بآدم وذكر جماعة من الأنبياء فيه استحباب لقاء أهل الفضل والصلاح بالبشر والترحيب والكلام اللين الحسن، وإن كان الزائر أفضل من المزور وفيه جواز مدح الإنسان في وجهه إذا أمن عليه من الإعجاب، وغيره من أسباب الفتنة وقوله فإذا أنا بإبراهيم مسنداً ظهره إلى البيت المعمور فيه دليل على جواز الاستناد إلى القبلة، وتحويل ظهره إليها. وقوله ثم ذهب بي إلى السدرة هكذا، وقع في هذه الرواية السدرة بالألف واللام وفي باقي الروايات إلى سدرة المنتهى قال ابن عباس وغيره من المفسرين: سميت بذلك لأن علم الملائكة ينتهي إليها. ولم يجاوزها أحد غير رسول الله ﷺ وقال ابن مسعود: سميت بذلك لكونها ينتهي إليها ما يهبط من فوقها، وما يصعد من تحتها من أمر الله عز وجل وقوله وإذا ثمرها كالقلال، هو بكسر القاف جمع قلة بضمها، وهي الجرة الكبيرة التي تسع قربتين أو أكثر قوله فرجعت إلى ربي. قال الشيخ محيي الدين النووي: معناه رجعت إلى الموضع الذي ناجيته فيه أولاً فناجيته فيه ثانياً وقوله: فلم أزل أرجع بين موسى وبين ربي معناه وبين موضع مناجاة ربي عز وجل. قلت: وأما الكلام على معنى الرؤية وما يتعلق بها فإنه

عبادي، ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك، قال ابن شهاب: فأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا دجانة الأنصاري، كانا يقولان: قال النبي ﷺ: ثم عرج بي حتى ظهرتُ لمستوىً أسمع فيه صريف الأقلام، قال ابن حزم وأنس: قال النبي ﷺ: ففرض الله على أمتي خمسين صلاة. وروى مَعْمَرُ عن قتادة عن أنس أن النبـي ﷺ: أُتي بالبُراق ليلة أُسريَ به ملجّماً مسرّجاً، فاستصعب عليه فقال له جبريل: أبمحمد تفعل هذا فما ركبك أحد أكرم على الله منه، فارفض عرقاً. وقال ابن بريدة عن أبيه قال: قال النبي ﷺ: لما انتهينا إلى بيت المقدس قال جبريل بإصبعه فخرق بها الحجر وشدّ بها البُراق. أنا عبد الواحد المليحي أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل حدّثني محمود أنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهري أخبرني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ليلة أُسرِيَ بي لقيتُ موسى قال فنعته فإذا هو رجل حسبته قال مضطرب، رَجْلُ الرأس كأنه من رجال شنوءة، قال: ولقيت عيسى، فنعته النبي ﷺ فقال: ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس يعني الحمام، ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به، قال: وأتيت بإناءين أحدهما لبن والآخر فيه خمر، فقيل لي: خذ أيهما شئت فأخذت اللبن فشربته، فقيل لي: هديت الفطرة وأصبت الفطرة، أمَا أنك لو أخذت الخمر لغوت أُمتك». أنا عبد الواحد المليحي ثنا أحمد بن عبد الله النعيمي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا الحميدي ثنا سفيان ثنا عمرو عن عكرمة عن ابن عباس في قوله: ﴿وما جعلنا الرؤيا التي

سيأتي إن شاء الله تعالى في تفسير سورة والنجم، عند قوله تعالى ثم دنا فتدلى قوله ففرض الله سبحانه وتعالى على أمتي خمسين صلاة إلى قوله فوضع شطرها وفي الرواية الأخرى فوضع عني عشراً وفي الأخرى خمساً ليس بين هذه الرواية منافاة، لأن المراد بالشطر الجزء وهو الخمس، وليس المراد منه التنصيف، وأما رواية العشر فهي رواية شريك ورواية الخمس رواية ثابت البناني وقتادة، وهما أثبت من شريك فالمراد حط عني خمساً إلى آخره ثم قال: هي خمس وهن خمسون يعني خمسين في الأجر والثواب لأن الحسنة بعشر أمثالها، واحتج العلماء بهذا الحديث على جواز نسخ الشيء قبل فعله وفي أول الحديث أنه شق صدره ﷺ ليلة المعراج، وقد شق أيضاً في صغره وهو عند حليمة التي كانت ترضعه، فالمراد بالشق الثاني زيادة التطهير لمن يراد به من الكرامة ليلة المعراج. وقوله: أتيت بطست من ذهب، قد يتوهم متوهم أنه يجوز استعمال إناء الذهب لنا وليس الأمر كذلك لأن هذا الفعل من فعل الملائكة، وهو مباح لهم استعمال الذهب أو يكون هذا قد كان قبل تحريمه وقوله ممتلىء إيماناً وحكمة فأفرغها في صدري. فان قلت الحكمة والإيمان معان والإفراغ صفة الإجسام، فما معنى ذلك؟ قلت: يحتمل أنه جعل في الطست شيء يحصل به كمال الإيمان والحكمة وزيادتهما، فسمي إيماناً وحكمة لكونه سبباً لهما وهذا من أحسن المجاز. وقوله في صفة آدم عليه السلام: فإذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة هو جمع سواد، وقد فسره في الحديث بأنه نسم بنيه يعني أرواح بنيه وقد اعترض على هذا، بأن أرواح المؤمنين في السماء وأرواح الكفار تحت الأرض السفلى فكيف تكون في السماء والجواب عنه أنه يحتمل أن أرواح الكفار، تعرض على آدم عليه السلام، وهو في السماء فوافق وقت عرضها على آدم مرور النبي ﷺ فأخبر بما رأى. وقوله: فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر عن شماله بكى فيه شفقة الوالد

أريناك إلّا فتنة للناس﴾ [الإسراء: ٦٠]، قال: هي رؤيا عين أُريها النبي ﷺ ليلة أُسريَ به إلى بيت المقدس. قال: والشجرة الملعونة في القرآن قال: هي شجرة الزقوم. أنا عبد الواحد المليْحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عبد العزيز بن عبد الله حدّثني سليمان عن شريك بن عبد الله قال: سمعت أنس بن مالك يقول ليلة أُسرِيَ برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يُوحَى إليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم: أيّهم هو؟ فقال: أوسطهم هو خيرهم، فقال آخرهم: خذوا خيرهم، فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه أو تنام عيناه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلّموه حتى احتملوه ووضعوه عند بئر زمزم، فشقّ جبريل ما بين نحره إلى لبّته حتى فرغ من صدره وجوفه، فغسله من ماء زمزم بيده. وساق حديث المعراج بقصته. فقال: وإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطّردان، قال: هذا النيل والفرات عنصرهما واحد ثم مضى به إلى السماء الدنيا فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب يده فإذا هو مسك أذفر، قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي خبّأ لك ربك. وساق الحديث، وقال: ثم عُرِج بي إلى السماء السابعة، وقال: قال موسى: ربِّ لم أظن أن ترفع عليّ أحداً، ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاء سدرة المنتهى ودنى الجبار ربّ العزّة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى إليه فيما أوحى إليه خمسين صلاة كل يوم وليلة، وقال: فلم يزل يردُده موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس صلوات ثم احتبسه موسى عند الخمس، فقال: يا محمد والله لقد راودت بني إسرائيل قومي على أدنى من ذلك فضعفوا عنه وتركوه، فأُمتك أضعف قلوباً وأجساداً وأبداناً وأبصاراً وأسماعاً، فارجع فليخفّف عنك ربك، كل ذلك يلتفت النبي ﷺ إلى جبريل ليشير عليه ولا يكره ذلك جبريل فرفعه عند الخامسة، فقال: يا ربِّ إن أُمتي ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبدانهم فخفّف عنهم، فقال الجبار: يا محمد، قال: لبّيك وسعديك، قال: إنه لا يبدل القول لديّ كما فرضت عليك في أُم الكتاب فكل حسنة بعشر أمثالها فهي خمسون في أُم الكتاب وهي خمس

على أولاده وسروره وفرحه بحسن حال المؤمن منهم، وحزنه على سوء حال الكفار منهم. وقوله في إدريس مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح قد اتفق المؤرخون على أن إدريس، هو أخنوخ وهو جد نوح عليهما السلام فيكون جد النبي ﷺ كما أن إبراهيم جده، فكان ينبغي أن يقول بالنبي الصالح والابن الصالح كما قال آدم وإبراهيم عليهما السلام: فالجواب عن هذا أنه قيل: إن إدريس المذكور هنا هو إلياس، وهو من ذرية إبراهيم فليس هو جد نوح هذا جواب القاضي عياض. قال الشيخ محيي الدين: ليس في الحديث ما يمنع كون إدريس أباً لنبينا محمد ﷺ وإن قوله: الأخ الصالح يحتمل أن يكون قاله تلطفاً وتأدباً، وهو أخ وإن كان أباً لأن الأنبياء إخوة والمؤمنين إخوة والله أعلم.

فصل

في ذكر الآيات التي ظهرت بعد المعراج الدالة على صدقه ﷺ وسياق أحاديث تتعلق بالإسراء قال البغوي؛ روي أنه لما رجع رسول الله ﷺ ليلة أسرى به وكان بذي طوى قال: يا جبريل إن قومي لا يصدقون. قال: يصدقك أبو بكر وهو الصديق. قال ابن عباس وعائشة أن رسول الله ﷺ قال: «لما كانت ليلة أسري بي إلى السماء أصبحت بمكة فضقت بأمري وعرفت أن الناس يكذبوني فروي أنه ﷺ قعد معتزلاً حزيناً، فمر به أبو جهل فجلس إليه فقال كالمستهزىء هل استفدت من شيء؟ قال: نعم أسري بي الليلة قال إلى أين قال إلى بيت المقدس قال: أبو جهل: ثم أصبحت بين أظهرنا؟ قال: نعم. فلم ير أبو جهل أن ينكر ذلك مخافة أن يجحده الحديث، ولكن قال: أتحدث قومك بما حدثتني به. قال: نعم قال أبو جهل: يا معشر بني كعب بن لؤي هلموا، فانقضت المجالس وجاؤوا حتى جلسوا إليهما قال: حدث قومك بما حدثتني قال: نعم أسري بي الله قالوا إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس قالوا ثم أصبحت

عليك، فقال موسى: ارجع إلى ربك فليخفف عنك أيضاً، فقال رسول الله ﷺ: «قد والله استحييت من ربي مما اختلفت إليه» قال: فاهبط بسم الله فاستيقظ وهو في المسجد الحرام. وروى مسلم هذا الحديث مختصراً عن هارون بن سعيد الإيلي عن ابن وهب عن سليمان بن بلال قال شيخنا الإمام رضي الله عنه: قد قال بعض أهل الحديث ما وجدنا لمحمد بن إسماعيل ولمسلم في كتابيهما شيئاً لا يحتمل مخرجاً إلا هذا، وأحال الأمر فيه إلى شريك بن عبد الله، وذلك أنه ذكر فيه أن ذلك قبل أن يوحى إليه، واتفق أهل العلم على أن المعراج كان بعد الوحي بنحو من اثنتي عشر سنة قبل الهجرة بسنة، وفيه أيضاً: أن الجبار دنا فتدلى. وذكرت عائشة أن الذي دنا فتدلى جبريل عليه السلام. قال شيخنا الإمام رضي الله عنه: وهذا الاعتراض عندي لا يصحّ لأن هذا كان رؤيا في النوم أراه الله عزّ وجلّ قبل الوحي بدليل آخر الحديث، قال: فاستيقظ وهو في المسجد الحرام، ثم عرج به في اليقظة بعد الوحي قبل الهجرة بسنة تحقيقاً لرؤياه من قبل كما أنه رأى فتح مكة في المنام عام الحديبية سنة ست من الهجرة، ثم كان تحقيقه سنة ثمانٍ ونزل قوله عزّ وجلّ: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق﴾ [الفتح: ٢٧]، ورُوِيَ أنه لما رجع رسول الله ﷺ ليلة أُسري به وكان بذي طوى قال: يا جبريل إن قومي لا يصدقوني، قال: يصدقك أبو بكر وهو الصديق، قال ابن عباس وعائشة رضي الله عنهم عن رسول الله ﷺ: لمّا كانت ليلة أُسرِيَ بي أصبحت بمكة فضقت بأمري وعرفت أن الناس يكذبوني، فرُوِيَ أنه عليه الصلاة والسلام قعد معتزلاً حزيناً فمرّ به أبو جهل فجلس إليه فقال له كالمستهزىء: هل استفدت من شيء؟ قال: «نعم إني أُسري بي الليلة» قال: إلى أين؟ قال: «إلى بيت المقدس»، قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا، قال: «نعم»، فلم يرَ أبو جهل أنه ينكر ذلك مخافة أن يجحده الحديث، قال: أتحدّث قومك بما حدّثتني به؟ قال: «نعم»، قال أبو جهل: يا معشر بني كعب بن لؤي هلمّوا، قال: فانقضت إليه المجالس فجاؤوا حتى جلسوا إليهما، قال: فحدّث قومك بما حدّثتني، قال: «نعم إنه أُسرِيَ بي الليلة»، قالوا: إلى أين؟ قال: «إلى بيت المقدس»، قالوا: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: «نعم»،

بين أظهرنا؟ قال: نعم قال فبقي الناس بين مصفق وبين واضع يده على رأسه متعجباً وارتد أناس ممن كان قد آمن به وصدقه، وسعى رجل من المشركين إلى أبي بكر فقال له هل لك في صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس قال: أو قد قال ذلك قال نعم قال لئن كان قال ذلك لقد صدق قالوا: أو تصدقه أنه ذهب إلى بيت المقدس وجاء في ليلة قبل أن يصبح؟ قال: نعم إني أصدقه بما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة فلذلك سمي أبو بكر الصديق. قال: وكان في القوم من أتى المسجد الأقصى. قالوا: هل تستطيع أن تنعت لنا المسجد قال: نعم قال فذهبت أنعت حتى التبس علي قال فجيء بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وضع دون دار عقيل فنعت المسجد وأنا أنظر إليه، فقال القوم: أما النعت فوالله لقد أصاب فيه ثم قالوا يا محمد أخبرنا عن عيرنا فهي أهم إلينا هل لقيت منها شيئاً؟ قال: نعم مررت بعير بني فلان وهي بالروحاء وقد أضلوا بعيراً وهم في طلبه، وفي رحالهم قدح من ماء فعطشت فأخذته فشربته، ثم وضعته كما كان فسلوا هل وجدوا الماء في القدح حين رجعوا قالوا: هذه آية قال ومررت بعير بني فلان وفلان راكبان قعوداً لهما بذي طوى فنفر بعيرهما مني فرمى بفلان، فانكسرت يده فسلوهما عن ذلك قالوا وهذه آية أخرى قالوا: فأخبرنا عن عيرنا قال مررت بها بالتنعيم قالوا فما عدتها وأحمالها وهيئتها؟ فقال: كنت في شغل عن ذلك ثم مثلت له بعدتها وأحمالها وهيئتها ومن فيها وكانوا بالحزورة قال: نعم هيئتها كذا وكذا وفيها فلان وفلان يقدمها جمل أورق عليه غرارتان مخيطتان تطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا: وهذه آية. ثم خرجوا يشتدون نحو الثنية وهم يقولون والله لقد قص محمد شيئاً وبينه حتى أتوا كداء فجلسوا عليه فجعلوا ينظرون متى تطلع الشمس فيكذبونه إذ قال قائل منهم: هذه الشمس قد طلعت. وقال آخر: وهذه العير قد طلعت يقدمها بعير أورق فيه فلان وفلان كما قال: فلم يؤمنوا وقالوا: هذا سحر مبين (م) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكربت كربة ما كربت مثلها قط. قال: فرفعه الله لي أنظر إليه ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلي فإذا رجل ضرب جعداً كأنه من رجال شنوءة وإذا عيسى ابن مريم قائم يصلي أقرب الناس به شبهاً عروة بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم يعني به نفسه ﷺ فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت من الصلاة قال لي قائل: يا محمد يا محمد هذا مالك صاحب النار، فسلم عليه فالتفتُّ إليه

قال: فمن بين مصفّق ومن بين واضع يده على رأسه متعجباً للكذب، وارتدّ ناس ممّن كان آمن به وصدّقه، وسعى رجل من المشركين إلى أبي بكر فقال: هل لك في صاحبك يزعم أنه أُسرِيَ به الليلة إلى بيت المقدس، قال: أوَ قد قال ذلك؟ قال: نعم، قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا وتصدّقه أنه ذهب إلى بيت المقدس في ليلة وجاء قبل أن يُصبح؟ قال: نعم إني لأصدّقه بما هو أبعد من ذلك أُصدّقه بخبر السماء في غدوة أو روحة، فلذلك سُمّي أبو بكر الصديق، قال: وفي القوم مَن قد أتى المسجد الأقصى، فقال: أهل تستطيع أن تنعت لنا المسجد الأقصى؟ قال: «نعم، قال: فذهبت أنعت وأنعت فما زلت أنعت حتى التبس عليَّ بعض النعت، قال: فجيء بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وُضع دون دار عقيل فنعت المسجد، وأنا أنظر إليه»، فقال القوم: أمّا النعت فوالله أصاب، ثم قالوا: يا محمد أخبرنا عن عيرنا فهي أهم إلينا فهل لقيت منها شيئاً؟ قال: «نعم مررت على عير بني فلان، وهي بالروحاء وقد أضلّوا بعيراً لهم وهم في طلبه وفي رِحالهم قدح من ماء فعطشت فأخذته فشربته ثم وضعته كما كان فسلوا هل وجدوا الماء في القدح حين رجعوا إليه»، قالوا: هذه آية، قال: «ومررت بعير بني فلان وفلان وفلان راكبان قعوداً لهما بذي طوى فنفر بعيرهما مني فرمى بفلان فانكسرت يده فسلوهما عن ذلك»، قالوا: هذه آية، قالوا: فأخبرنا عن عيرنا نحن متى تجيء؟ قال: «مررت بها بالتنعيم»، قالوا: فما عدّتها وأحمالها وهيئتها

فبدأني بالسلام» (ق) عن جابر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لما كذبتني قريش قمت إلى الحجر فجلى الله إلي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه زاد البخاري في رواية: لما كذبني قريش حين أسري بي إلى بيت المقدس» وذكر الحديث (م) عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: أتيت على موسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر، فإذا هو قائم يصلي في قبره. عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ «لما انتهينا إلى بيت المقدس قال جبريل كذا بأصبعه فخرق به الحجر وشد به البراق» أخرجه الترمذي. فإن قلت: كيف رأى رسول الله ﷺ موسى يصلي في قبره وكيف صلى بالأنبياء في بيت المقدس ثم وجدهم على مراتبهم في السموات، وسلموا عليه وترحبوا به وكيف تصح الصلاة من الأنبياء بعد الموت، وهم في الدار الآخرة؟ قلت أما صلاته ﷺ بالأنبياء في بيت المقدس يحتمل أن الله سبحانه وتعالى، جمعهم له ليصلي بهم ويعرفوا فضله وتقدمه عليهم ثم إن الله سبحانه وتعالى، أراه إياهم في السموات على مراتبهم ليعرف هو مراتبهم وأما مروره بموسى، وهو قائم يصلي في قبره عند الكثيب الأحمر، فيحتمل أنه كان بعد رجوعه من المعراج، وأما صلاة الأنبياء وهم في الدار الآخرة فهم في حكم الشهداء بل أفضل منهم، وقد قال الله سبحانه وتعالى: ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء فالأنبياء أحياء بعد الموت، وأما حكم صلاتهم فيحتمل أنها الذكر والدعاء وذلك من أعمال الآخرة فإن الله تعالى قال ﴿**دعواهم فيها سبحانك اللهم**﴾ وورد في الحديث أنهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس، ويحتمل أن الله سبحانه وتعالى خصّهم بخصائص في الآخرة كما خصهم في الدنيا بخصائص لم يخص بها غيرهم. منها أنه ﷺ أخبر أنه رآهم يلبون، ويحجون، فكذلك الصلاة والله أعلم بالحقائق. قوله سبحانه وتعالى:

وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾

﴿**وآتينا موسى الكتاب**﴾ يعني التوراة ﴿**هدى لبني إسرائيل أن لا تتخذوا**﴾ يعني وقلنا لهم: لا تتخذوا ﴿**من**

ومَن فيها؟ فقال: «نعم هيئتها كذا وكذا، وفيها فلان وفلان يقدمها جمل أورق عليه غرارتـان مَخيطتان، تطلع عليكم عند طلوع الشمس»، قالوا: وهذه آية أخرى، ثم خرجوا يشتدّون نحو الثنية وهم يقولون والله لقد قصّ محمد شيئاً وبيّنه حتى أتوا كُدىً، فجلسوا عليه فجعلوا ينتظرون متى تطلع الشمس فيكذّبونه إذْ قال قائل منهم: والله هذه الشمس قد طلعت، وقال آخر: وهذه والله الإبل قد طلعت يقدمها بعير أورق فيها فلان وفلان كما قال لهم فلم يؤمنوا، ﴿ وقالوا: إن هذا إلّا سحر مبين ﴾ [الصّافّات: ١٥]. أنا إسماعيل بن عبد القاهر أنبأنا عبد الغافر بن محمد أنبأنا محمد بن عيسى الجلودي أنبأنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجّاج حدّثني زهير بن حرب ثنا حجر بن المثنى أنبأنا عبد العزيز وهو ابن أبي سلمة عن عبد الله بن الفضل عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسرايَ فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، قال: فكربت كرباً ما كربتُ مثله قطّ، قال: فرفعه الله لي أنظر إليه ما يسألوني عن شيء إلّا أنبأتهم به، ولقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلّي فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة، وإذا عيسى قائم يصلّي أقرب الناس به شبهاً عروة بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم قائم يصلّي أشبه الناس به صاحبكم، يعني نفسه، فجاءت الصلاة فأممتهم فلما فرغت من الصلاة قال قائل: يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلّم عليه فالتفتّ إليه فبدأني بالسلام».

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدىً لبني إسرائيل أنْ لا** ﴾، بأن لا، ﴿ **تتخذوا من دوني**

دوني وكيلاً﴾ يعني رباً كفيلاً **﴿ذرية﴾** يعني يا ذرية **﴿من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً﴾** يعني أن نوحاً كان كثير الشكر، وذلك أنه كان إذا أكل طعاماً أو شرب شراباً أو لبس ثوباً قال: الحمد لله فسماه الله عبداً شكوراً لذلك. قوله عز وجل **﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب﴾**: يعني أعلمناهم وأخبرناهم فيما آتيناهم من الكتاب أنهم سيفسدون وهو قوله تعالى **﴿لتفسدن في الأرض مرتين﴾** وقال ابن عباس: وقصينا عليهم في الكتاب فإلى بمعنى على، والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ واللام في لتفسدن لام القسم تقديره والله لتفسدن في الأرض يعني بالمعاصي والمراد بالأرض أرض الشام، وبيت المقدس **﴿ولتعلن﴾** يعني ولتستكبرن ولتظلمن الناس **﴿علواً كبيراً فإذا جاء وعد أولاهما﴾** يعني أولى المرتين قيل: إفسادهم في المرة الأولى هو ما خالفوا من أحكام التوراة، وركبوا من المحارم وقيل: إفسادهم في المرة الأولى قتلهم شعياء في الشجرة وارتكابهم المعاصي **﴿بعثنا عليكم عباداً لنا﴾** يعني جالوت وجنوده، وهو الذي قتله داود وقيل: هو سنحاريب وهو من أهل نينوى وقيل هو بختنصر البابلي وهو الأصح **﴿أولي بأس شديد﴾** يعني ذوي بطش وقوة في الحرب **﴿فجاسوا خلال الديار﴾** يعني طافوا بين الديار وسطها يطلبونكم ليقتلوكم **﴿وكان وعداً مفعولاً﴾** يعني قضاء كائناً لازماً لا خلف فيه **﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم﴾** يعني رددنا لكم الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم، حين تبتم من ذنوبكم ورجعتم عن الفساد **﴿وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً﴾** يعني أكثر عدداً **﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم﴾** يعني لها ثوابها وجزاء إحسانها **﴿وإن أسأتم فلها﴾** يعني فعليها إساءتها **﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾** يعني المرة الآخرة من إفسادكم وهو قصدكم قتل عيسى فخلصه الله منهم،

وكيلاً ﴾، ربّاً كفيلاً قرأ أبو عمرو «لا يتخـذوا» بالياء لأنه خبر عنهم والآخرون بالتاء، يعني قلنا لهم: لا تتخذوا.

﴿ ذرية من حملنا ﴾، قال مجاهد: هذا نداء يعني يا ذرية من حملنا، **﴿ مع نوح ﴾**، في السفينة فأنجيناهم من الطوفان، **﴿ إنه كان عبداً شكوراً ﴾**، كان نوح عليه السلام إذا أكل طعاماً أو شرب شراباً أو لبس ثوباً قال: الحمد لله، فسُمّي عبداً شكوراً، أي: كثير الشكر.

قوله عزّ وجلّ: **﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب ﴾** الآيات، روى سفيان بن سعيد الثوري عن منصور بن المعتمر عن ربعي بن خراش عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بني إسرائيل لمّا اعتدوا وقتلوا الأنبياء بعث الله عليهم ملك فارس بختنصّر، وكان الله ملكه سبعمائة سنة فسار إليهم حتى دخل بيت المقدس فحاصروها وفتحها، حتى قتل على دم يحيىٰ بن زكريا عليه السلام سبعين ألفاً ثم سبى أهلها وأولاد الأنبياء وسلب حُليّ بيت المقدس، واستخرج منها سبعين ألفاً ومائة ألف عجلة من حليّ»، قلت: يا رسول الله كان بيت المقدس عظيماً؟ قال: «أجل بناه سليمان بن داود من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد، وكان عمده ذهباً أعطاه الله ذلك وسخّر له الشياطين يأتونه بهذه الأشياء في طرفة عين، فسار بها بختصّر حتى نزل بابل فأقام بنو إسرائيل في يده مائة سنة يستعبدهم المجوس وأبناء المجوس، فيهم الأنبياء ثم إن الله رحمهم فأوحى إلى ملك من ملوك فارس يقال له كورش وكان مؤمناً أن يسير إليهم ليستنقذ بقايا بني إسرائيل، فسار كورش لبني إسرائيل وحلي بيت المقدس حتى ردّه إليه، فأقام بنو إسرائيل مُطيعين لله تعالى مائة سنة ثم إنهم عادوا في المعاصي فسلّط الله عليهم ملكاً يقال له أنطيانوس فغزا بني إسرائيل حتى أتاهم بيت المقدس فسبى أهلها وأحرق بيت المقدس، وقال لهم: يا بني إسرائيل إن عدتم في المعاصي عدنا عليكم بالسبي، فعادوا فسلّط الله عليهم ملك رومية يقال له فاقس بن أستيانوس، فغزاهم في البرّ والبحر فسباهم وسبى حليّ بيت المقدس وأحرق بيت المقدس، قال رسول الله ﷺ: هذا من صفة حليّ بيت المقدس، ويردّه المهدي إلى بيت المقدس هو ألف وسبعمائة سفينة يرمي بها عليّ حتى تنقل إلى بيت المقدس، وبها يجمع الله الأوّلين والآخرين». قال محمد بن إسحاق: كانت بنو إسرائيل فيهم الأحداث والذنوب وكان

ورفعه إليه، وقتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام، فسلط عليهم الفرس والروم فسبوهم وقتلوهم وهو قوله تعالى ﴿ليسوءوا وجوهكم﴾ يعني ليحزنوكم وقرىء بالنون أي ليسوء الله وجوهكم ﴿وليدخلوا المسجد﴾ يعني بيت المقدس ونواحيه ﴿كما دخلوه أول مرة﴾ يعني وقت إفسادهم الأول ﴿وليتبروا ما علوا تتبيراً﴾ يعني وليهلكوا ما غلبوا عليه من بلاد بني إسرائيل إهلاكاً.

ذكر القصة في هذه الآية

قال محمد بن إسحاق: كانت بنو إسرائيل فيهم الأحداث والذنوب وكان الله في ذلك متجاوزاً عنهم ومحسناً إليهم وكان أول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم أن ملكاً منهم كان يدعى صديقة وكان الله إذا ملّك عليهم الملك بعث معه نبياً ليسدده ويرشده، ولا ينزل عليهم كتاباً إنما يؤمرون اتباع التوراة والأحكام التي فيها، فلما ملك صديقة بعث الله معه شعياء وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وشعياء هو الذي بشر بعيسى ومحمد ﷺ فقال: أبشري أورشليم الآن يأتيك راكب الحمار ومن بعده صاحب البعير. فملك ذلك الملك يعني صديقة بني إسرائيل وبيت المقدس زماناً، فلما انقضى ملكه عظمت الأحداث فيهم وكان معه شعياء فبعث الله سنحاريب ملك بابل ومعه ستمائة ألف راية، فلم يزل سائراً حتى نزل حول بيت المقدس، والملك مريض من قرحة كانت في ساقه، فجاء شعياء النبي إليه، وقال: يا ملك بني إسرائيل إن سنحاريب ملك بابل، قد نزل بك هو وجنوده؟ بستمائة ألف راية، وقد هابهم الناس وفرقوا منهم فكبر

الله في ذلك متجاوزاً عنهم مُحسِناً إليهم، وكان أول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم كما أخبر على لسان موسى عليه السلام، إن ملكاً منهم كان يدعى صديقة وكان الله تعالى إذا ملك الملك عليهم بعث معه نبيّاً يسدده ويرشده لا ينزل عليهم الكتب إنما يؤمرون باتّباع التوراة والأحكام التي فيها، فلما ملك ذلك الملك بعث الله معه شعياء بن أصفيا، وذلك قبل مبعث زكريا ويحيىٰ وعيسى عليهم السلام، وشعياء هو الذي بشّر بعيسى ومحمد عليهما السلام، فقال: أبشري أورستم الآن يأتيك راكب الحمار ومن بعده صاحب البعير، فملك ذلك الملك بني إسرائيل وبيت المقدس زماناً طويلاً فلما انقضى ملكه عظمت فيهم الأحداث وشعياء معه بعث الله عليهم سنجاريب ملك بابل، مع ستمائة ألف راية فأقبل سائراً حتى نزل حول بيت المقدس، والملك مريض في ساقه قرحة فجاء النبي شعياء وقال له: يا ملك بني إسرائيل إن سنجاريب ملك بابل قد نزل بك، هو وجنوده بستمائة ألف راية، وقد هابهم الناس وفرّقوا فكبر ذلك على الملك، فقال: يا نبيّ الله هل أتاك وحي من الله فيما حدث فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا وسنجاريب وجنوده، فقال: لم يأتني وحي فبينما هم على ذلك أوحى الله إلى شعياء النبي أن ائت ملك بني إسرائيل فمره أن يوصي وصيته ويستخلف ـ على ملكه مَن يشاء من أهل بيته، فأتى شعياء ملك بني إسرائيل صديقة فقال له: إن ربك قد أوحى إليّ أن آمرك أن توصي وصيتك وتستخلف مَن شئت على مُلكك من أهل بيتك فإنك ميت، فلما قال شعياء لصديقة: أقبل على القِبلة فصلّى ودعا وبكى، فقال وهو يبكي ويتضرّع إلى الله بقلب مخلص: اللّهمَّ ربَّ الأرباب وإلّه الآلهة يا قدّوس المقتدس يا رحمن يا رحيم يا رؤوف الذي لا تأخذه سنة ولا نوم اذكرني بعملي وفعلي وحُسْن قضائي على بني إسرائيل، وذلك كله كان منك وأنت أعلم به منّي، سرِّي وعلانيتي لك وأنت الرحمن، فاستجاب له وكان عبداً صالحاً فأوحى الله تعالى إلى شعياء صديقة أن ربّه قد استجاب له ورحمه وأخّر له أجَلَه خمس عشر سنة وأنجاه من عدوّه سنجاريب، فأتاه شعياء فأخبره بذلك فلما قال له ذهب عنه الوجع وانقطع عنه الحزن، وخرّ ساجداً لله، وقال: يا إلّهي وإلّه آبائي لك سجدت وسبّحت وكبّرت وعظّمت أنت الذي تعطي المُلكَ لمَن تشاء وتنزع المُلكَ ممّن تشاء وتعزّ مَن تشاء وتذلّ مَن تشاء بيدك الخير عالم الغيب والشهادة أنت الأول والآخر والظاهر

ذلك على الملك وقال: يا نبي الله هل أتاك من الله وحي فيما حدث فتخبرنا به وكيف يفعل الله بنا وبسنحاريب وجنوده فقال شعياء: لم يأتني وحي في ذلك فبينما هم على ذلك أوحى الله إلى شعياء النبي، أن ائت ملك بني إسرائيل فمره أن يوصي وصيته، ويستخلف على ملكه من يشاء من أهل بيته فأتى شعياء ملك بني إسرائيل وقال: إن ربك قد أوحى إلي أن آمرك أن توصي وصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من أهل بيتك فإنك ميت، فلما قال ذلك شعياء لصديقة الملك أقبل على القبلة فصلى ودعا فقال وهو يبكي ويتضرع إلى الله تعالى بقلب مخلص: اللهم رب الأرباب وإله الآلهة يا قدوس يا متقدس يا رحمن يا رحيم يا رؤوف، يا من لا تأخذه سنة ولا نوم اذكرني بعملي وفعلي وحسن قضائي على بني إسرائيل، وذلك كله كان منك وأنت أعلم به مني سري وعلانيتي لك. فاستجاب الله له وكان عبداً صالحاً فأوحى الله إلى شعياء أن يخبر صديقة أن ربه قد استجاب له ورحمه، وأخر أجله خمس عشرة سنة وأنجاه من عدوه سنحاريب فأتاه شعياء فأخبره، فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع وانقطع عنه الحزن وخر ساجداً لله وقال: إلهي وإله آبائي لك سجدت وسبحت وكبرت وعظمت أنت الذي تعطي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء، وتعز من تشاء وتذل من تشاء عالم الغيب والشهادة أنت الأول والآخر والظاهر والباطن، وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين أنت الذي أجبت دعوتي ورحمت تضرعي، فلما رفع رأسه أوحى الله إلى شعياء أن قل للملك صديقة فيأمر عبداً من عبيده، فيأتيه بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى فيصبح وقد برأ ففعل ذلك فشفي فقال الملك لشعياء: سل ربك أن يجعل لنا علماً بما هو صانع بعدونا هذا. قال الله لشعياء: قل له إني قد كفيتك عدوك وأنجيتك منهم، وأنهم سيصبحون موتى كلهم إلا سنحاريب، وخمسة نفر من كتابه أحدهم بختنصر. فلما أصبحوا جاء صارخ يصرخ على باب المدينة يا ملك بني إسرائيل إن الله قد كفاك عدوك، فاخرج فإن سنحاريب ومن معه هلكوا فخرج الملك،

والباطن وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين، وأنت الذي أجبت دعوتي ورحمت تضرعي، فلما رفع رأسه أوحى الله إلى شعياء أن قل للملك صديقة فيأمر عبداً من عبيده فيأتيه بماء التين فيجعله في قرحته فيشفى فيصبح وقد برأ ففعل وشفي، وقال الملك لشعياء: سَلْ ربك أن يجعل لنا علماً بما هو صانع بعدونا هذا قال الله لشعياء قل له: إني قد كفيتك عدوّك وأنجيتك منهم وأنهم سيُصبحون موتى كلهم إلا سنجاريب وخمسة نفر من كتَّابه أحدهم بختنصّر فلما أصبحوا جاء صارخ فصرخ على باب المدينة، يا ملك بني إسرائيل إن الله قد كفاك عدوّك فاخرج فإن سنجاريب ومَن معه قد هلكوا فلما خرج الملك التمس سنجاريب في القتلى فلم يوجد في الموتى فبعث الملك في طلبه فأدركه الطلب في مغارة وخمسة نفر من كتَّابه أحدهم بختنصّر فجعلوهم في الجوامع ثم أَتَوْا بهم إلى ملك بني إسرائيل، فلما رآهم خرَّ ساجداً لله من حين طلعت الشمس إلى العصر، ثم قال: يا سنجاريب كيف ترى فعل ربنا بكم ألم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون، فقال سنجاريب له: قد أتاني خبر ربكم ونصره إياكم ورحمته التي يرحمكم بها قبل أن أخرج من بلادي فلم أطع مرشداً ولم يلقني في الشقوة إلاّ قلّة عقلي، ولو سمعت أو عقلت ما غزوتكم فقال صديقة الحمد لله ربّ العالمين الذي كفاناكم بما شاء وإن ربنا لم يبقِك ومَن معك لكرامتك على ربك، ولكنه إنما أبقاك ومَن معك لتزدادوا شقوة في الدنيا وعذاباً في الآخرة ولتخبروا مَن وراءكم بما رأيتم من فِعْل ربنا بكم فتنذروا مَن بعدكم ولولا ذلك لقتلتكم ولدمك ولدم مَن معك أهون على الله من دم قراد، لو قتلت ثم إن ملك بني إسرائيل أمر أمير حرسه فقذف في رقابهم الجوامع فطافت بهم سبعين يوماً حول بيت المقدس وإيليا وكان يرزقهم كل يوم خبزين من شعير لكل رجل منهم، فقال سنجاريب لملك بني إسرائيل: القتل خير مما تفعل بنا فأمر بهم الملك إلى السجن والقتل فأوحى الله إلى شعياء عليه السلام أن قل لملك بني إسرائيل يرسل سنجاريب ومَن معه لينذروا مَن وراءهم وليكرمهم وليحملهم حتى يبلغوا بلادهم، فبلغ شعياء الملك ذلك ففعل الملك صديقة ما

والتمس سنحاريب فلم يوجد في الموتى فبعث الملك في طلبه فأدركه الطلب في مفازة ومعه خمس نفر من كتابه، أحدهم بختنصر فجعلوهم في الجوامع ثم أتوا بهم الملك فلما رآهم خر ساجداً لله تعالى، من حين طلعت الشمس إلى العصر ثم قال لسنحاريب: كيف رأيت فعل ربنا بكم ألم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون؟ فقال سنحاريب: قد أتاني خبر ربكم ونصره إياكم ورحمته التي يرحمكم بها قبل أن أخرج من بلادي فلم أطع مرشداً ولم يلقني في الشقوة إلا قلة عقلي ولو سمعت أو عقلت ما غزوتكم فقال الملك صديقة: الحمد لله رب العالمين الذي كفاناكم بما شاء، وإن ربنا لم يمتعك ومن معك لكرامتك عليه، ولكنه إنما أبقاك ومن معك لتزدادوا شقوة في الدنيا وعذاباً في الآخرة ولتخبروا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا بكم، فتنذروا من بعدكم ولولا ذلك لقتلك ومن معك ولدمك ودم من معك أهون على الله من دم قراد لو قتلت. ثم إن ملك بني إسرائيل أمر أمير حرسه أن يقذف في رقابهم الجوامع، ففعل وطاف بهم سبعين يوماً حول بيت المقدس وإيلياء، وكان يرزقهم في كل يوم خبزين من شعير لكل رجل منهم فقال سنحاريب للملك صديقة: القتل خير مما نحن فيه وما تفعل بنا فأمر بهم إلى السجن فأوحى الله إلى شعياء النبي أن قل لملك بني إسرائيل يرسل سنحاريب ومن معه لينذروا من وراءهم وليكرمهم وليحملهم حتى يبلغوا بلادهم. فبلغ ذلك شعياء للملك ففعل وخرج سنحاريب ومن معه، حتى قدموا بابل فلما قدم جمع الناس فأخبرهم كيف فعل الله تعالى بجنوده فقال له كهانه وسحرته: يا ملك بابل قد كنا نقص عليك خبر ربهم وخبر نبيهم ووحي الله إلى نبيهم، فلم تطعنا وهي أمة لا يستطيعها أحد مع ربهم وكان أمر سنحاريب تخويفاً لبني إسرائيل، ثم كفاهم الله تعالى ذلك تذكرة وعبرة ثم إن سنحاريب لبث بعد ذلك سبع سنين، ثم مات، واستخلف على ملكه بختنصر ابن ابنه فعمل بعمله وقضى بقضائه فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله ملك بني إسرائيل صديقة فمرج أمر بني إسرائيل وتنافسوا الملك حتى

أمر به، فخرج سنجاريب ومَن معه حتى قَدِموا بابل فلما قَدِموا جمع الناس فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده، فقال له كهانه وسَحَرَته: يا ملك بابل قد كنّا نقصّ عليك خبر ربّهم وخبر نبيّهم ووحي الله إلى نبيّهم فلم تطعنا وهي أمة لا يستطيعها أحد مع ربهم وكان أمر سنجاريب تخويفاً لهم ثم كفاهم الله تذكرة وعبرة، ثم لبث سنجاريب بعد ذلك سبع سنين ثم مات واستخلف بختنصّر ابن ابنه على ما كان عليه جدّه يعمل عمله، فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله ملك بني إسرائيل صديقة، فمرج أمر بني إسرائيل وتنافسوا المُلكَ حتى قتل بعضهم بعضاً ونبيّهم شعياء معهم ولا يقبلون منه، فلما فعلوا ذلك قال الله لشعياء قم في قومك حتى أُوحي على لسانك، فلما قام النبي شعياء أنطق الله على لسانه بالوحي، فقال: يا سماء استمعي ويا أرض انصتي فإن الله يريد أن يقصّ شأن بني إسرائيل الذين ربّاهم بنعمته واصطفاهم لنفسه وخصّهم بكرامته وفضّلهم على عباده، وهم كالغنم الضائعة التي لا راعي لها فآوى شاردتها وجمع ضالّتها وجبر كسرها، وداوى مريضها وأسمن مهزولها وحفظ سمينها، فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت كباشها فقتل بعضها بعضاً حتى لم يبقَ منها عظم صحيح يُجبَر إليه آخر كسير، فويل لهذه الأمة الخاطئة التي لا يدرون أنى جاءهم الحين أن البعير لما يذكر وطنه فينتابه وأن الحمار لما يذكر الأري الذي شبع عليه فيراجعه وأن الثور لما يذكر المرج الذي سمن فيه فينتابه وأن هؤلاء القوم لا يذكرون من حيث جاءهم الخير وهم أُولوا الألباب العقول، ليسوا ببقر ولا حمير وأني ضارب لهم مثلاً فليسمعوه وقل لهم كيف ترون في الأرض كانت خراباً زماناً مواتاً لا عمران فيها، وكان لها ربٌّ حكيم قوي فأقبل عليها بالعمارة وكره أن تخرب أرضه وهو قوي، أو أن يقال ضيّع وهو حكيم فأحاط عليها جداراً وشيّد فيها قصوراً وأنبط نهراً وصنّف فيها غراساً من الزيتون والرمان والنخيل والأعناب وألوان الثمار كلها وولّى ذلك واستحفظه قيماً ذا رأي وهمّة حفيظاً قوياً أميناً، فلما اطّلعت جاء طلعها خروباً قالوا بئست الأرض هذه فترى أن يهدم جدرها وقصرها ويدفن نهرها ويقبض قيمها ويحرق غراسها حتى تصير كما كانت أول مرة

قتل بعضهم بعضاً، وشعياء نبيهم معهم لا يقبلون منه فلما فعلوا ذلك، قال الله لشعياء: ـ قم في قومك حتى أوحي على لسانك. فلما قام أطلق الله لسانه بالوحي فقال: يا سماء استمعي ويا أرض أنصتي، فإن الله يريد أن يقص شأن بني إسرائيل الذين رباهم بنعمته واصطفاهم لنفسه وخصهم بكرامته، وفضلهم على عباده وهم كالغنم الضائعة التي لا راعي لها، فآوى شاردتها وجمع ضالتها وجبر كسيرها وداوى مريضها، وأسمن مهزولها وحفظ سمينها، فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت كباشها فقتل بعضها بعضاً، حتى لم يبق منها عظم صحيح يجبر إليه آخر، فويل لهذه الأمة الخاطئة الذين لا يدرون أنى جاءهم الحين. إن البعير مما يذكر وطنه فينتابه وأن الحمار مما يذكر الأرى الذي يشبع عليه فيراجعه وأن الثور مما يذكر المرج الذي سمن فيه فينتابه وإن هؤلاء القوم لا يذكرون من حيث جاءهم الخير، وهم أولو الألباب والعقول ليسوا ببقر ولا حمير وإني ضارب لهم مثلاً فليسمعوه، قل كيف ترون في أرض كانت خراباً زماناً لا عمران فيها، وكان لها رب حكيم قوي فأقبل عليها بالعمارة، وكره أن تخرب أرضه وهو قوي أو يقال: ضيع وهو حكيم فأحاط عليها جداراً وشيد فيها قصراً وأنبط فيها نهراً وصفّ فيها غراساً من الزيتون والرمان والنخيل والأعناب وألوان الثمار كلها، وولى ذلك واستحفظه قيّماً ذا رأي وهمة حفيظاً قوياً فلما أطلعت جاء طلعها خروباً. فقالوا: بئست الأرض هذه فنرى أن يهدم جدارها وقصرها ويدفن نهرها، ويقبض قيّمها ويحرق غراسها حتى تصير كما كانت أول مرة خراباً مواتاً، لا عمران فيها قال الله تعالى: قل لهم الجدار ديني والقصر شريعتي وإن النهر كتابي وأن القيّم نبيي وأن الغراس هم، وأن الخروب الذي أطلع الغراس أعمالهم الخبيثة وإني قد قضيت عليهم قضاءهم

خراباً مواتاً لا عمران فيها، قال الله قل لهم فإن الجدارَ ديني وأن القصر شريعتي وأن النهر كتابي وأن القيّم نبيّي وأن الغراس هم وأن الخرّوب الذي اطّلع الغراس أعمالهم الخبيثة، وأني قد قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم وأنه مثل ضربته لهم يتقرّبون إليّ بذبح البقر والغنم وليس ينالني اللحم ولا آكله ويدعون أن يتقرّبوا إليّ بالتقوى والكفّ عن ذبح الأنفس التي حرّمتها فأيديهم مخضوبة منها وثيابهم مزّملة بدمائها يشيدون لي البيوت مساجداً ويطهّرون أجوافها وينجسون قلوبهم وأجسادهم ويدنّسونها ويزوّقون إلى المساجد، ويزيّنونها ويخرّبون عقولهم وأخلاقهم ويفسدونها فأيّ حجة لي إلى تشييد البيوت ولست أسكنها؟ وأيّ حجّة لي إلى تزويق المساجد ولست أدخلها إنما أُمرت برفعها لأذكر وأُسبّح فيها، يقولون: صمنا فلم يرفع صيامنا وصلّينا فلم يرفع تنّور صلاتنا وتصدّقنا فلم تـرك صدقاتنا، ودعونا بمثل حنين الحمام وبكينا بمثل عواء الذئاب في كلِ ذنب لا يُستجاب لنا، قال الله فاسألهم ما الذي يمنعني أن أستجب لهم ألست أسمع السامعين وأبصر الناظرين وأقرب المجيبين وأرحم الراحمين؟ فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بقوله الزور ويتقوون عليه بطعمة الحرام؟ أم كيف أُنوّر صلاتهم وقلوبهم صاغية إلى مَن يحاربني ويحادني وينتهك محارمي؟ أم كيف تزكّى عندي صدقاتهم يتصدّقون بأموال غيرهم إنما آجر عليها أهلها المغصوبين؟ أم كيف أستجيب دعاءهم وإنما هو قول بألسنتهم بلا فعل، والفعل من ذلك بعيد إنما أستجيب للداعي اللّين وإنما أسمع قول المستعفف المسكين، وأن من علامة رضاي رضا المساكين، يقولون لمّا سمعوا كلامي وبلغتهم رسالتي إنها أقاويل منقولة وأحاديث متوارثة وتأليف مما يؤلّف السَّحرة والكَهَنة، وزعموا أنهم لو شاؤوا أن يأتوا بحديث مثله فعلوا ولو شاءوا أن يطّلعوا على علم الغيب بما يوحي إليهم الشياطين اطّلعوا وأني قد قضيت يوم خلقت السمٰوات والأرض قضاءاً أثبته وختمته على نفسي وجعلت دونه أجلاً مؤجّلاً لا بدّ أنه واقع، فإن صدقوا فيما ينتحلون من علم الغيب فليخبروك متى أنفذه أو في أيّ زمان يكون وإن كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاؤون، فليأتوا بمثل هذه القدرة التي بها أمضيت فإني مُظهِره على الدين كله ولـو كره المشـركون، وإن كـانوا يقـدرون على أن يؤلّفوا ما يشاؤون فليؤلّفوا مثـل الحكمة التي بهـا أدبر أمـر ذلك القضـاء إن كانـوا صادقين، وإني قـد قضيت يوم خلقت

على أنفسهم، وأنه مثل ضربته لهم يتقربون إليّ بذبح البقر والغنم، وليس ينالني اللحم ولا آكله ويدّعون أن يتقربوا إلي بالتقوى والكف عن ذبح الأنفس التي حرمتها، وأيديهم مخضوبة منها وثيابهم متزملات بدمائها يشيدون لي البيوت مساجد، ويطهرون أجوافها وينجسون قلوبهم وأجسادهم، ويدنسونها ويزوقون لي المساجد ويزينونها، ويخربون عقولهم وأخلاقهم ويفسدونها فأي حاجة لي إلى تشييد البيوت ولست أسكنها، وأي حاجة إلى تزويق المساجد ولست أدخلها إنما أمرت برفعها لأذكر وأسبح فيها. يقولون: صمنا فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم تنور صلاتنا، وتصدقنا فلم تزكَّ صدقتنا، ودعونا بمثل حنين الحمام وبكينا بمثل عواء الذئاب في كل ذلك لا يستجاب لنا، قال الله: فاسألهم ما الذي يمنعني أن أستجيب لهم ألست أسمع السامعين، وأبصر الناظرين وأقرب المجيبين وأرحم الراحمين فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور، ويتقوون عليه بطعمة الحرام أم كيف أنور صلاتهم وقلوبهم صاغية إلى من يحاربني ويحادني وينتهك محارمي، أم كيف تزكو عندي صدقاتهم وهم يتصدقون بأموال غيرهم إنما آجر عليها أهلها المغصوبين أم كيف أستجيب لهم دعاءهم وإنما هو قولهم بألسنتهم، والفعل من ذلك بعيد وإنما أستجيب للداعي اللين، وإنما استمع قول المستضعف المستكين، وان من علامة رضاي رضى المساكين يقولون لما سمعوا كلامي وبلغتهم رسالتي: إنها أقاويل منقولة، وأحاديث متواترة وتآليف مما تؤلف السحرة والكهنة، وزعموا أنهم لو شاؤوا أن يأتوا بحديث مثله فعلوا، ولو شاؤوا أن يطلعوا على علم الغيب بما توحي إليهم الشياطين اطلعوا، وإني قد قضيت يوم خلقت السموات والأرض قضاء أثبته وحتمته على نفسي وجعلت دونه أجلاً مؤجلاً لا بد أنه واقع فإن صدقوا فيما

السموات والأرض أن أجعل النبوّة في الأُجراء، وأن أجعل المُلْكَ في الرعاء، والعِزَّ في الأذلّاء، والقوة في الضعفاء، والغنى في الفقراء، والعلم في الجهالة، والحكمة في الأُميّين فسلهم متى هذا ومَن القائم بهذا، ومَن أعوان هذا الأمر وأنصاره إن كانوا يعلمون، وإني باعث لذلك نبياً أُمياً أميناً ليس أعمى من عميان ولا ضالاً من ضالّين ليس بفظٍّ ولا غليظ ولا صخّاب في الأسواق، ولا متزين بالفحش ولا قوّال للخِنا أُسدِّدهُ بكل جميل وأهب له كل خلق كريم، أجعل السكينة لِباسَه والبِرَّ شعاره، والتقوى ضميره والحكمة معقوله، والصدق والوفاء طبيعته، والعفوَ والمعروف خلقه والعدل سيرته، والحق شريعته والهدى إمامه والإسلامَ ملّته والحمدَ دينه وأحمدَ اسمه، أهدي به بعد الضلالة وأُعلّم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخمالة، وأُشهّر به بعد النكرة وأُكثر بعد القلّة وأُغني به بعد العيلة، وأجمع به بعد الفرقة وأُؤلّف به بين قلوب مختلفة، وأهواء مشتتة وأُمم متفرقة، وأجعل أُمته خير أُمة أُخرجَت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر توحيداً لي وإيماناً وإخلاصاً لي يصلّون قياماً وقعوداً ورُكّعاً وسجوداً، ويقاتلون في سبيلي صفوفاً وزحوفاً، ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء رضواني ألهمهم التكبير والتوحيد والتسبيح والتحميد والتهليل والمدحة والتمجيد في مسيرهم ومجالسهم ومضاجعهم ومناقبهم ومثواهم، يكبِّرون ويُهلّلون ويقدّسون على رؤوس الأشراف ويطهّرون لي الوجوه والأطراف يعقدون لي الثياب على الأنصاف، قربانهم دماهم وأناجيلهم في صدورهم رهبان بالليل ليوث بالنهار، ذلك فضلي أُوتيه مَن أشاء وأنا ذو الفضل العظيم، فلما فرغ شعياء من مقالته عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم، فلقيته شجرة فانفلقت له فدخل فيها فأدركه الشيطان فأخذ بهدبة من ثوبه فأراهم إيّاها فوضعوا المِنشار في وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه في وسطها، واستخلف الله على بني إسرائيل بعد ذلك رجلاً منهم يقال له ناشية بن أموص، وبعث لهم أرمياء بن حلقيا نبيّاً وكان من سبط هارون بن عمران، وذكر ابن إسحاق أنه الخضر واسمه أرمياء سُمّي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فقام عنها وهي تهتزّ خضراء، فبعث الله أرمياء إلى ذلك الملك ليسدّده ويرشده ثم عظمت الأحداث في بني إسرائيل وركبوا المعاصي واستحلّوا المحارم، فأوحى الله إلى أرمياء أن ائت قومك من بني إسرائيل فاقصص عليهم ما آمرك

ينتحلون من علم الغيب، فليخبروك متى أنفذه أو في أي زمان يكون وإن كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاؤون فليأتوا بمثل هذه القدرة التي بها أمضيت فإني مظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وإن كانوا يقدرون على أن يؤلفوا ما يشاؤون فيؤلفوا مثل هذه الحكمة التي أدبر بها ذلك القضاء، إن كانوا صادقين وإني قد قضيت يوم خلقت السماء والأرض، أن أجعل النبوة في الأجراء، وأن أجعل الملك في الرعاء والعز في الأذلاّء والقوة في الضعفاء والغنى في الفقراء، والعلم في الجهلة والحكمة في الأميين فسلهم متى هذا ومن القائم بهذا، ومن أعوان هذا الأمر وأنصاره إن كانوا يعلمون وإني باعث لذلك نبياً أمياً ليس أعمى من عميان، ولا ضالاً من ضالين وليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا مترين بالفحش، ولا قوال للخنا أسدده بكل جميل وأهب له كل خلق كريم أجعل السكينة لباسه، والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه، والعدل سيرته والحق شريعته والهدى إمامه والإسلام ملته وأحمد اسمه أهدي به بعد الضلالة، وأعلم به بعد الجهالة

به وذكّرهم نعمتي وعرّفهم بأحداثهم، فقال أرمياء: يا رب إني ضعيف إن لم تقوّني عاجز إن لم تبلغني، مخذول إن لم تنصرني، قال الله تعالى: أوَ لم تعلم أن الأمور كلها تصدر عن مشيئتي، وأن القلوب والألسنة بيدي أُقلّبها كيف شئت، إني معك ولن يصل إليك شيء معي، فقام أرمياء فيهم ولم يدرِ ما يقول فألهمه الله عزّ وجلّ في الوقت خطبة بليغة بيّن لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية، وقال في آخرها عن الله تعالى: وإني حلفت بعزّتي لأقضينّ لهم فتنة يتحيّر فيها الحليم ولأسلطنّ عليهم جبّاراً قاسياً أُلبسه الهيبة، وأنزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم، ثم أوحى الله إلى أرمياء: إني مُهلِك بني إسرائيل بيافث، ويافث من أهل بابل على ما ذكرنا في سورة البقرة، فسلّط الله عليهم بختنصّر فخرج في ستمائة ألف راية، ودخل بيت المقدس بجنوده ووطىء الشام، وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم وخرّب بيت المقدس وأمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه تراباً ثم يقذفوه في بيت المقدس، ففعلوا ذلك حتى ملأوه، ثم أمرهم أن يجمعوا مَنْ في بلدان بيت المقدس كلهم، فاجتمع عنده كل صغير وكبير من بني إسرائيل فاختار منهم سبعين ألف صبي فلما خرجت غنائم جنده، وأراد أن يقسمها فيهم قالت له الملوك الذين كانوا معه: أيها الملك لك غنائمنا كلها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بني إسرائيل، فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل رجل منهم أربعة غلمان، وفرّق مَن بقي من بني إسرائيل ثلاث فِرَق، فثلثاً أقرّ بالشام، وثلثاً سبي وثلثاً قُتل، وذهب بناشئة بيت المقدس وبالصبيان السبعين الألف حتى أقدمهم بابل فكانت هذه الواقعة الأولى التي أنزل الله ببني إسرائيل بظلمهم، فذلك قوله تعالى: ﴿ فإذا جاء وعداً أُولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد﴾ [الإسراء: ٥] يعني: بختنصّر وأصحابه، ثم إن بختنصّر أقام في سلطانه ما شاء الله ثم رأى رؤياً أعجبته إذْ رأى شيئاً أصابه فأنساه الله الذي رأى فدعا دانيال وحنانيا وعزازيا وميشائيل، وكانوا من ذراري الأنبياء وسألهم عنها قالوا أخبرنا بها نخبرك بتأويلها، قال: ما أذكرها ولئن لم تخبروني بها وبتأويلها لأنزعنّ أكتافكم فخرجوا من عنده فدعوا الله وتضروعوا إليه فأعلمهم الله بالذي رأى وسألهم عنه فجاؤوه وقالوا: رأيت تمثالاً قدماه وساقاه من فخار وركبتاه وفخذاه من نحاس، وبطنه من فضة وصدره من ذهب ورأسه وعنقه من حديد، قال: صدقتم، قالوا: فبينما أنت تنظر إليه وقد أعجبتك أرسل الله تعالى صخرة من السماء فدقّته فهي التي أنستكها، قال: صدقتم، قال: فما تأويلها؟ قالوا: تأويلها أنك رأيت ملك الملوك، فبعضهم كان ألين ملكاً وبعضهم كان أحسن ملكاً وبعضهم كان أشبه ملكاً الفخار أضعفه، ثم فوقه النحاس أشدّ منه، ثم فوق النحاس الفضة أحسن من ذلك وأفضل، والذهب أحسن من الفضة وأفضل، ثم الحديد ملكك فهو أشدّ وأعزّ مما كان قبله، والصخرة التي رأيت أرسل الله من السماء فدقّته نبي يبعثه الله من السماء فيدقّ ذلك أجمع ويصير الأمر إليه، ثم إن أهل بابل قالوا لبختنصّر أرأيت هؤلاء

وأرفع به بعد الخمالة وأشهر به بعد النكرة، وأكثر به القلة وأغني به بعد العيلة، وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به بين قلوب مختلفة وأهواء متشتتة وأمم متفرقة، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر توحيداً لي وإيماناً بي وإخلاصاً لي يصلون قياماً وقعوداً، وركعاً وسجوداً، ويقاتلون في سبيلي صفوفاً وزحوفاً، ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء مرضاتي ألهمهم التكبير، والتوحيد والتسبيح والتحميد والتهليل والمدحة والتمجيد لي في مسيرهم ومجالسهم، ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم يكبرون ويهللون ويقدسون على رؤوس الأشراف يطهرون لي، الوجوه والأطراف ويعقدون لي الثياب على الأنصاف قربانهم دماؤهم، وأناجيلهم في صدورهم رهبان بالليل ليوث بالنهار ذلك فضلي أوتيه من أشاء أنا ذو الفضل العظيم. فلما فرغ شعياء من مقالته عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة، فانفلقت له فدخل فيها فأدركه الشيطان، فأخذ بهدبة من ثوبه فأراهم إياها فوضعوا المنشار في وسطها فنشروها حتى قطعوها، وقطعوه في وسطها واستخلف الله على بني إسرائيل بعد ذلك

الغلمان من بني إسرائيل الذين كنّا سألناك أن تعطيناهم ففعلت، فإنّا قد أنكرنا نساءنا منذ كانوا معنا، لقد رأينا نساءنا انصرفت عنّا وجوههنّ إليهم فأخرجهم من بين أظهرنا أو اقتلهم، قال: شأنكم بهم، فمَن أحبّ منكم أن يقتل مَن كان في يده فليفعل ذلك، فلما قرّبوهم للقتل بكوا إلى الله تعالى وقالوا: يا رب أصابنا البلاء بذنوب غيرنا فوعد الله أن يجيبهم، فقتلوا إلّا مَن استبقى بختنصّر منهم دانيال وحنانيا وعزازيا وميشائيل، ثم لمّا أراد الله هلاك بختنصّر انبعث وتيقظ فقال لمَن في يده من بني إسرائيل: أرأيتم هـذا البيت الذي خرّبته والنـاس الذين قتلتهم منهم؟ ومـا هـذا البيت؟ قالوا: هذا بيت الله وهؤلاء أهله كانوا من ذراري الأنبياء فظلموا وتعدّوا فسلّطت عليهم بذنوبهم، وكان ربّهم ربّ السمٰوات والأرض وربّ الخلق كلهم يكرمهم ويعزّهم، فلما فعلوا ما فعلوا أهلكهم الله وسلّط عليهم غيرهم، فاستكبر وظنّ أنه بجبروته فعل ذلك ببني إسرائيل، قال: فأخبروني كيف لي أن أطلع إلى السماء العليا فأقتل مَن فيها وأتخذها مُلْكاً لي فإني قد فرغت من الأرض، قالوا: ما يقدر عليها أحد من الخلائق، قال: لتفعلُنَّ أو لأقتلنّكم عن آخركم، فبكوا وتضرّعـوا إلى الله تعالى فبعث الله عليه بقدرته بعوضة فدخلت مِنخره حتى عضّت بأُم دماغه، فما كان يقرّ ولا يسكن حتى يوجأ له رأسه على أُمّ دماغه، فلما مات شقّوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضّة على أُمّ دماغه ليُري الله العباد قدرته ويُنجي الله مَن بقي من بني إسرائيل في يديه، فردّوهم إلى الشام فبنوا فيه وكثروا حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه. ويزعمون أن الله تعالى أحيا أولئك الذين قتلوا فلحقوا بهم، ثم إنهم لمّا دخلوا الشام دخلوها وليس معهم عهد من الله تعالى وكانت التوراة قد احترقت، وكان عزير من السبايا الذين كانوا ببابل فرجع إلى الشام يبكي عليها ليلاً ونهاراً وقد خرج من الناس فهو كذلك إذ أقبل إليه رجل فقال يا عزير ما يُبكيك ؟ قال: أبكي على كتاب الله وعهده الذي كان بين أظهرنا الذي لا يصلح أمر دنيانا وآخرتنا غيـره، قال: أفتحبّ أن يـردّه إليك؟ قال: ارجع فصُم وتطهّر وطهّر ثيابك ثم موعدك هذا المكان غداً، فـرجع عـزير فصـام وتطهّـر وطهّـر ثيـابه ثم عمـد إلى المكان الذي وعده فجلس فيه فأتاه ذلك الرجل بإناء فيه ماء، وكان ملكاً بعثه الله إليه فسقاه من ذلك الإناء، فمثلت التوراة في صدره فرجع إلى بني إسرائيل فوضع لهم التوراة فأحبّوه حتى لم يحبّوا حبّه شيئاً قطّ، ثم قبضه الله وجعلت بنو إسرائيل بعد ذلك يحدثون الأحداث ويعود الله عليهم ويبعث فيهم الرسل، ففريقاً يكذبون وفريقاً يقتلون حتى كان آخر مَن بعث الله فيهم من أنبيائهم زكريا ويحيـى وعيسى، وكان من بيت آل داود، فمات زكريا وقيل: قتل زكريا فلما رفع الله عيسى من بين أظهرهم وقتلوا يحيـى بعث الله عليهم ملكاً من ملوك بابل يقال له خردوش، فسار إليهم بأهل بابل حتى دخل عليهم الشام فلما ظهر عليهم أمر رأساً من رؤوس جنوده يدعى بيورزاذان صاحب الفيل، فقال: إني كنت حلفت بإلٰهي لئن أنا ظفرت على أهل بيت المقدس لأقتلنّهم حتى تسيل دماءهم في وسط

رجلاً منهم يقال: ناشة بن أموص وبعث لهم أرمياء بن حلقيا نبياً، وكان من سبط هرون بن عمران، وذكر ابن إسحاق أنه الخضر واسمه أرمياء الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء، فقام عنه وهي تهتز خضراء فبعث الله أرمياء إلى ذلك الملك ليسدده ويرشده، ثم عظمت الأحداث في بني إسرائيل، وركبوا المعاصي واستحلوا المحارم فأوحى الله إلى أرمياء، أن ائت قومك من بني إسرائيل فاقصص عليهم ما آمرك به وذكرهم نعمي وعرفهم بأحداثهم. فقال أرمياء: يا رب إني ضعيف إن لم تقوني عاجز إن لم تبلغني مخذول إن لم تنصرني قال الله تعالى: أو لم تعلم أن الأمور كلها تصدر عن مشيئتي وأن القلوب والألسنة بيدي، أقلبها كيف شئت إني معك، ولن يصل إليك شيء معي فقام أرمياء فيهم، ولم يدر ما يقول فألهمه الله عز وجل في الوقت خطبة بليغة بين لهم فيها ثواب الطاعة، وعقاب المعصية وقال

عسكري، إلّا أني لا أجد أحداً أقتله، فأمره أن يقتلهم حتى بلغ ذلك منهم بيورزاذان، ودخل بيت المقدس فقام في البقعة التي كانوا يُقرّبون فيها قربانهم فوجد فيها دماً يغلي فسألهم عنه، فقال: يا بني إسرائيل ما شأن هذا الدم يغلي؟ أخبروني خبره، قالوا: هذا دم قربان لنا قرّبناه فلم يقبل منه فلذلك يغلي، ولقد قرّبناه منذ ثمانمائة سنة القربان يتقبّل منّا إلّا هذا، فقال: ما صدقتموني، فقالوا: لو كان كأول زماننا لتُقبّل منّا ولكن قد انقطع منّا المُلْك والنبوّة والوحي فلذلك لم يُقبَل منّا، فذبح منهم بيورزاذان على ذلك الدم سبعمائة وسبعين رجلاً من رؤوسهم، فلم يهدأ فأمر بسبعمائة غلام من غلمانهم على الدم فلم يهدأ فأمر بسبعة آلاف من شيبهم وأزواجهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ فلما رأى بيورزاذان الدم لا يهدأ قال لهم: يا بني إسرائيل ويلكم أصدقوني واصبروا على أمر ربكم فقد طال ما ملكتم في الأرض تفعلون فيها ما شئتم قبل أن لا أترك منكم نافخ نار أُنثى ولا ذَكر إلّا قتلته، فلما رأوا الجهد منه وشدّة القتل صدقوا الخبر، فقالوا: إن هذا الدم دم نبيّ كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله فلو أنّا أطعناه فيها لكان أرشد لنا وكان يخبرنا بأمركم فلم نصدّقه، فقتلناه فهذا دمه، فقال لهم بيورزاذان: ما كان اسمه؟ قالوا: يحيىٰ بن زكريا، قال: الآن صدقتموني، بمثل هذا انتقم ربُّكم منكم، فلما رأى بيورزاذان أنهم صدقوه خرّ ساجداً وقال لمَن حوله: أغلقوا أبواب المدينة وأخرجوا مَن كان ههنا من جيش خردوش وخلا في بني إسرائيل قال: يا يحيىٰ بن زكريا قد علم ربّي وربُّك ما قد أصاب قومك من أجلك وما قتل منهم فاهدأ بإذن ربك قبل أن لا أُبقي من قومك أحداً فهدأ الدم بإذن الله، ورفع بيورزاذان عنهم القتل وقال: آمنت بالذي آمنت به بنو إسرائيل وأيقنت أنه لا ربّ غيره، وقال لبني إسرائيل: إنّ خردوش أمرني أن أقتل منكم حتى تسيل دماءكم وسطَ عسكره، وإني لست أستطيع أن أعصيه، قالوا له: افعل ما أُمِرتَ به فأمرهم فحفروا خندقاً وأمر بأموالهم من الخيل والبِغال والحمير والإبل والبقر والغنم فذبحها حتى سال الدم في العسكر وأمر بالقتلى الذين قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من مواشيهم فلم يظن خردوش إلا أن ما في الخندق من دماء بني إسرائيل، فلما بلغ الدم عسكره أرسل إلى بيورزاذان أن ارفع عنهم القتل، ثم انصرف إلى بابل، وقد أفنى بني إسرائيل أو كاد يفنيهم، وهي الواقعة الأخيرة التي أنزل الله بني إسرائيل، وذلك قوله: ﴿ لتفسدنّ في الأرض مرتين ﴾، فكانت الواقعة الأولى بختنصّر وجنوده، والأخرى خردوش وجنوده، وكانت أعظم الوقعتين فلم يقم لهم بعد ذلك راية وانتقل الملك بالشام ونواحيها إلى الروم اليونانية إلّا أن بقايا بني إسرائيل كثروا، وكانت لهم الرياسة ببيت المقدس ونواحيها على غير وجه الملك، وكانوا في نعمة إلى أن بدّلوا وأحدثوا الأحداث فسلّط الله عليهم طيطوس بن أسطيانوس الرومي، فأخرب بلادهم وطردهم عنها ونزع الله عنهم المُلْك والرياسة وضربت عليهم الذلّة فلا يبقى أحد منهم إلّا وعليه الصغار والجزية، وبقي بيت المقدس خراباً إلى خلافة عمر بن الخطاب فعمّره المسلمون بأمره. وقال قتادة: بعث الله عليهم جالوت في الأولى فسبى وقتل وخرّب ﴿ ثم رددنا لكم الكرّة عليهم ﴾ [الإسراء: ٦] يعني في زمان داود، فإذا جاء وعد الآخرة بعث

في آخرها: عن الله عز وجل حلفت بعزتي لأقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم، ولأسلطن عليهم جباراً قاسياً ألبسه الهيبة، وأنزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم، ثم أوحى الله إلى أرمياء أني مهلك بني إسرائيل بيافث ويافث من أهل بابل فسلط الله عليهم بختنصر فخرج في ستمائة ألف راية ودخل بيت المقدس بجنوده ووطىء الشام وقتل بني إسرائيل حتى افناهم وخرب بيت المقدس وأمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه تراباً، يقذفه في بيت المقدس ففعلوا ذلك حتى ملؤوه. ثم أمرهم أن يجمعوا من بلدان بيت المقدس كلهم، فاجتمع عنده كل صغير وكبير من بني إسرائيل فاختار منهم سبعين ألف صبي، فلما خرجت غنائم جنده وأراد أن يقسمها فيهم، قالت له الملوك الذين كانوا معه: أيها الملك لك غنائمنا كلها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بني إسرائيل،

الله عليهم بختنصّر فسبى وخرّب، ثم قال: ﴿عسى ربكم أن يرحمكم﴾ [الإسراء: ٨] فعاد الله عليهم بالرحمة ثم عاد القوم بشرٍّ ما بحضرتهم، فبعث الله عليهم ما شاء من نقمته وعقوبته، ثم بعث الله عليهم العرب كما قال: ﴿وإذ تأذنَ ربُّك ليبعثنّ عليهم إلى يوم القيامة مَن يسومهم سوءَ العذاب﴾ [الأعراف: ١٦٧]، فهم في العذاب إلى يوم القيامة، وذكر السدي بإسناده أن رجلاً من بني إسرائيل رأى في النوم أن خراب بيت المقدس على يدي غلام يتيم ابن أرملة من أهل بابل، يدعى بختنصّر وكانوا يصدقون فتصدق رؤياهم، فأقبل ليسأل عنه حتى نزل على أمه وهو يحتطب فجاء وعلى رأسه حزمة حطب فألقاها ثم قعد فكلّمه ثم أعطاه ثلاثة دراهم، فقال: اشترِ بهذا طعاماً وشراباً، فاشترى بدرهم لحماً وبدرهم خبزاً وبدرهم خمراً، فأكلوا وشربوا وفعل في اليوم الثاني كذلك وفي اليوم الثالث كذلك، ثم قال: إني أُحبّ أن تكتب لي أماناً إن أنت ملكت يوماً من الدهر، فقال: أتسخر منّي؟ فقال: إني لا أسخر منك ولكن ما عليك أن تتّخذ بها عندي يداً، فكتب له أماناً وقال: أرأيت إن جئت والناس حولك قد حالوا بيني وبينك، قال: ترفع صحيفتك على قصبة فأعرفك، فكتب له وأعطاه، ثم إن ملك بني إسرائيل كان يكرم يحيىٰ بن زكريا ويُدني مجلسه وأنه هو ابنة امرأته. وقال ابن عباس: ابنة أخيه. فسأل يحيىٰ بن زكريا عن تزويجها فنهاه عن نكاحها فبلغ ذلك أُمها فحقدت على يحيىٰ بن زكريا وعمدت حين جلس الملك على شرابه فألبستها ثياباً رقاقاً حمراً وطيّبتها وألبستها الحليّ وأرسلتها إلى الملك وأمرتها أن تسقيه الخمر، فإن أرادها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما سألته، فإن أعطاها سألت رأس يحيىٰ بن زكريا أن يؤتى به في طست ففعلت ذلك، فلما أرادها قالت: لا أفعل حتى تعطيني ما أسألك، قال: فما تسأليني؟ قالت: رأس يحيىٰ بن زكريا أن يؤتى به في هذا الطست، فقال: ويحك سليني غير هذا، فقالت: ما أُريد إلّا هذا فلما أبت عليه بعث فأُتي برأسه حتى وُضِعَ بين يديه والرأس يتكلم، ويقول: ويل لك لا تحلّ لك ويكرّر ذلك، فلما أصبح إذا دمه يغلي فأمر بتراب فأُلقي عليه فرقى الدم يعني صعد الدم يغلي، ويلقي عليه التراب حتى بلغ سور المدينة وهو في ذلك يغلي فبعث صخابين ملك بابل جيشاً إليهم وأمر عليهم بختنصّر، فسار بختنصّر وأصحابه حتى بلغوا ذلك المكان فلما سمعوا به تحصّنوا منه في مدائنهم، فلما اشتد عليهم المقام أراد الرجوع فخرجت إليه عجوز من عجائز بني إسرائيل، فقالت: تريد أن ترجع قبل فتح المدينة؟ قال: نعم، قد طال مقامي وجاع أصحابي، قالت: أرأيت إن فَتحتُ لك المدينةَ تعطيني ما أسألك فتقتل مَن أمرتك بقتله وتكفّ إذا أمرتك أن تكفّ؟ قال: نعم، قالت: إذا أصبحت تقسم جندك أربعة أرباع ثم أقم على كل زاوية ربعاً ثم ارفعوا أيديكم إلى السماء فنادوا إنّا نستفتحك يا الله بدم يحيىٰ بن زكريا فإنها سوف تساقط، ففعلوا فتساقطت المدينة ودخلوا من جوانبها، فقالت: كفّ يدك وانطلقت به إلى دم يحيىٰ بن زكريا وقالت: اقتل على هذا الدم حتى يسكن فقتل عليه سبعين ألفاً حتى سكن، فلما سكن قالت: كفّ الآن يدك فإن الله لم يرض إذا قتل نبي حتى يقتل من قتله ومَن رضي بقتله، فأتاه صاحب الصحيفة بصحيفته فكفّ عنه وعن أهل

فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل رجل منهم أربعة غلمان، وفرق من بقي من بني إسرائيل ثلاث فرق ثلثاً أقرهم بالشام وثلثاً سباهم وثلثاً قتلهم وذهب بانات بيت المقدس، وبالصبيان السبعين ألفاً حتى أقدمهم بابل فكانت هذه الوقعة الأولى التي أنزل الله عز وجل ببني إسرائيل بظلمهم فذلك قوله سبحانه وتعالى:

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦ إِنْ أَحْسَنتُمْ

بيته، فخرّب بيت المقدس وطرح فيه الجيف وأعانه علي خرابه الروم من أجل أن بني إسرائيل قتلوا يحيىٰ بن زكريا، وذهب معه بوجوه بني إسرائيل وذهب بدانيال وقوم من أولاد الأنبياء وذهب معه برأس جالوت، فلما قَدِمَ بابل وجد صخابين قد مات فتملك مكانه، وكان أكرم الناس عنده دانيال وأصحابه فحسدهم المجوس ووشوا بهم إليه وقالوا له: إن دانيال وأصحابه لا يعبدون إلٰهك ولا يأكلون ذبيحتك، فسألهم فقالوا: أجل لنا ربّاً نعبده ولسنا نأكل من ذبيحتكم، فأمر الملك بخدٍّ فخُدّ لهم فألقوا فيه وهم ستةً وألقى معهم بسَبُعٍ ضارٍ ليأكلهم، فذهبوا ثم راحوا فوجدوهم جلوساً والسَّبُع مفترش ذراعيه معهم لم يخدش منهم أحداً ووجدوا معهم رجلاً سابعاً، فقال: ما هذا السابع إنما كانوا ستّة فخرج السابع وكان ملكاً فلطمه لطمة فصار في صورة الوحش ومسخه الله سبع سنين. وذكر وهب: أن الله مسخ بختنصّر نسراً في الطيور ثم مسخه ثوراً في الدواب ثم مسخه أسداً في الوحوش، فكان مسخه سبع سنين وقلبه في ذلك قلب إنسان، ثم ردّ الله إليه مُلكه فآمن. فسُئِلَ وهب أكان مؤمناً؟ فقال: وجدت أهل الكتاب اختلفوا فيه فمنهم مَن قال مات مؤمناً ومنهم مَن قال أحرق بيت الله وكتبه وقتل الأنبياء فغضب الله عليه فلم يقبل توبته. وقال السدي: ثم إن بختنصّر رجع إلى صورته بعد المسخ وردّ الله إليه مُلكه كان دانيال وأصحابه أكرم الناس عليه فحسدهم المجوس، وقالوا لبختنصّر: إن دانيال إذا شرب الخمر لم يملك نفسه أن يبول وكان ذلك فيهم عاراً فجعل لهم طعاماً وشراباً فأكلوا وشربوا، وقال للبوّاب انظر أول مَن يخرج ليبول فاضربه بالطبرزين فإن قال: أنا بختنصّر فقل: كذبت بختنصّر أمرني بذلك، فكان أول مَن قام للبول بختنصّر فلما رآه البوّاب شدّ عليه، فقال: ويحك أنا بختنصّر، فقال: كذبت بختنصّر أمرني فضربه فقتله، هذا ما ذكره في المبتدأ، إلاّ أن رواية مَن روى أن بختنصّر غزى بني إسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكريا غلط عند أهل السِّيَر، بل هم مُجمِعون على أن بختنصّر إنما غزا بني إسرائيل عند قتلهم شعياء في عهد أرمياء، ومن وقت أرمياء تخريب بختنصّر بيت المقدس إلى مولد يحيى بن زكريا أربعمائة وإحدى وستّون سنة، وذلك أنهم كانوا يعدّون من لدن تخريب بختنصّر بيت المقدس إلى حين عمارته في عهد كيوس بن أخشورش بن أصيهيد ببابل من قِبَلِ بَهْمَن بن إسفنديار سبعين سنة، ثم من بعد عمارته إلى ظهور الإسكندر على بيت المقدس ثمانٍ وثمانون سنة، ثم من بعد مملكته التي قتل يحيىٰ بن زكريا ثلثمائة وستون سنة. والصحيح من ذلك ما ذكر محمد بن إسحاق.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب** ﴾ أي: أعلمناهم وأخبرناهم فيما آتيناهم من الكتاب أنهم سيفسدون، والقضاء على وجوه يكون أمراً كقوله: ﴿ وقضى ربك ﴾ [الإسراء: ٢٣]. ويكون حكماً كقوله ﴿ إن ربك يقضي بينهم ﴾ [يونس: ٩٣، والنمل: ٧٢] ويكون خلقاً كقوله: ﴿ فقضاهنّ سبع سمٰوات ﴾ [فصّلت: ١٢]، وقال ابن عباس وقتادة: يعني وقضينا عليهم، فإلى بمعنى على، والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ، ﴿ **لتفسدُنَّ** ﴾، لام القسم مجازه والله لتفسدنّ، ﴿ **في الأرض مرتين** ﴾، بالمعاصي، والمراد بالأرض أرض الشام وبيت المقدس، ﴿ **ولتعلنَّ** ﴾، ولتستكبرنّ ولتظلمنّ الناس، ﴿ **علوّاً كبيراً** ﴾.

أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾

﴿فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليك عباداً لنا أولي بأس شديد﴾ يعني بختنصر وأصحابه، ثم إن بختنصر أقام في سلطانه ما شاء الله ثم رأى رؤيا عجيبة إذ رأى شيئاً أصابه فأنساه الذي رأى، فدعا دانيال وحنانيا وعزاريا ومشائيل وكانا من ذراري الأنبياء، وسألهم عنها فقالوا: أخبرنا بها نخبرك بتأويلها فقال: ما أذكرها ولئن لم تخبروني بها وبتأويلها لأنزعن أكتافكم فخرجوا من عنده، فدعوا الله وتضرعوا إليه فأعلمهم الله بالذي سألهم عنه فجاؤوه فقالوا: رأيت تمثالاً قدماه وساقاه من فخار وركبتاه وفخذاه من نحاس وبطنه من فضة وصدره من ذهب، ورأسه وعنقه من حديد قال: صدقتم قالوا: فبينما أنت تنظر إليه وقد أعجبك أرسل الله صخرة من السماء فدقته فهي التي أنستكها قال: صدقتم فما تأويلها قالوا: تأويلها أنك رأيت الملوك بعضهم كان ألين ملكاً، وبعضهم، كان أحسن ملكاً وبعضهم كان أشد ملكاً، والفخار أضعفه ثم فوقه النحاس أشد منه ثم فوق النحاس الفضة أحسن من ذلك وأفضل والذهب أحسن من الفضة، وأفضل ثم الحديد ملكك فهو أشد وأعز مما قبله، والصخرة التي رأيت أرسل الله من السماء، فدقته فنبي يبعثه الله من السماء فيدق ذلك أجمع ويصير الأمر إليه، ثم إن أهل بابل قالوا لبختنصر: أرأيت هؤلاء الغلمان من بني إسرائيل الذين سألناك أن تعطيناهم ففعلت فإنا قد أنكرنا نساءنا منذ كانوا معنا، لقد رأينا نساءنا انصرفت وجوههن عنا إليهم فأخرجهم من بين أظهرنا أو اقتلهم فقال شأنكم بهم فمن أحب منكم أن يقتل من كان في يده، فليفعل فلما قربوهم للقتل بكوا وتضرعوا إلى الله عز وجل، وقالوا: يا ربنا أصابنا البلاء بذنوب غيرنا فوعدهم الله أن يحييهم فقتلوا إلا من كان منهم مع بختنصر منهم دانيال وحنانيا وعزاريا وميشائيل، ثم لما أراد الله تعالى هلاك بختنصر انبعث فقال لمن في يده من بني إسرائيل: أرأيتم هذا البيت الذي خربت والناس الذي قتلت منكم، وما هذا البيت؟ قالوا هو بيت الله وهؤلاء أهله كانوا من ذراري الأنبياء فظلموا وتعدوا فسلطت عليهم بذنوبهم وكان ربهم رب السموات والأرض ورب الخلائق كلهم يكرمهم ويعزهم، فلما فعلوا ما فعلوا أهلكهم وسلط عليهم غيرهم فاستكبر وتجبر، وظن أنه بجبروته فعل ذلك ببني إسرائيل، قال فأخبروني كيف لي أن أطلع إلى السماء العليا، فأقتل من فيها وأتخذها لي ملكاً فإني قد فرغت من أهل الأرض، قالوا: ما يقدر عليها أحد من الخلائق قال: لتفعلن أو لأقتلنكم عن آخركم فبكوا وتضرعوا إلى الله تعالى فبعث الله عز وجل عليه بقدرته بعوضة، فدخلت منخره حتى عضت أم دماغه فما كان يقر ولا يسكن، حتى يوجأ له رأسه على أم دماغه فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة على أم دماغه، ليري الله العباد قدرته ونجى الله من بقي من بني إسرائيل في يده، وردهم إلى الشام فبنوا فيه وكثروا حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه، ويزعمون أن الله سبحانه وتعالى أحيا أولئك الذين قتلوا فلحقوا بهم ثم إنهم لما دخلوا الشام دخلوها، وليس معهم من الله عهد. كانت التوراة قد احترقت وكان عزير من السبايا الذين كانوا ببابل، فلما رجع إلى الشام جعل يبكي ليله ونهاره، وخرج عن الناس فبينما هو كذلك إذ جاءه رجل فقال له: يا عزير ما يبكيك؟ قال: أبكي على كتاب الله وعهده الذي كان بين أظهرنا الذي لا يصلح ديننا وآخرتنا غيره. قال: أفتحب أن يرد إليك قال: نعم قال: ارجع فصم وتطهر وطهر ثيابك ثم موعدك هذا المكان غداً فرجع عزيز فصام وتطهر وطهر ثيابه ثم عمد إلى المكان الذي وعده،

﴿ فإذا جاء وَعْدُ أولاهما ﴾، يعني أولى مرتين، قال قتادة: إفسادهم في المرة الأولى ما خالفوا من أحكام التوراة وركبوا المحارم. وقال محمد بن إسحاق: إفسادهم في المرة الأولى قتل شعياء بين الشجرة وارتكابهم المعاصي. **﴿ بعثنا عليكم عباداً لنا ﴾**، قال قتادة: يعني جالوت الخزري وجنوده، وهو الذي قتله داود. وقال

فجلس فيه فأتاه ذلك الرجل بإناء فيه ماء وكان ملكاً بعثه الله إليه فسقاه من ذلك الإناء، فمثلت التوراة في صدره فرجع إلى بني إسرائيل فوضع لهم التوراة، فأحبوه حباً لم يحبوا حبه شيئاً قط، ثم قبضه الله تعالى وجعلت بنو إسرائيل بعد ذلك يحدثون الأحداث، ويعود الله عليهم، ويبعث فيهم الرسل ففريقاً يكذبون وفريقاً يقتلون حتى كان آخر من بعث إليهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام، وكانوا من بيت آل داود فزكريا مات، وقيل قتل وقصدوا عيسى ليقتلوه فرفعه الله من بين أظهرهم وقتلوا يحيى، فلما فعلوا ذلك بعث الله عليهم ملكاً من ملوك بابل يقال له خردوش، فسار إليهم بأهل بابل حتى دخل عليه الشام، فلما ظهر عليهم أمر رأساً من رؤساء جنوده يقال له بيورزاذان صاحب القتل فقال له: إني قد كنت حلفت بإلّهي لئن أنا ظفرت على أهل بيت المقدس لأقتلنهم حتى يسيل الدم في وسط عسكري، إلا أن لا أجد أحداً أقتله فأمره أن يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم، ثم إن بيورزاذان دخل بيت المقدس فقام في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم، فوجد فيها دماً يغلي فسألهم عنه فقال: يا بني إسرائيل ما شأن هذا الدم يغلي؟ أخبروني خبره. فقالوا: هذا دم قربان لنا قرّبناه فلم يقبل منا فلذلك يغلي ولقد قربنا القربان من ثمانمائة سنة، فتقبل منا إلا هذا فقال: ما صدقتموني فقالوا لو كان كأول زماننا لتقبل منا، ولكن قد انقطع منا الملك والنبوة والوحي فلذلك لم يقبل منا فذبح بيورزاذان منهم على ذلك الدم سبعمائة وسبعين روحاً، من رؤوسهم فلم يهدأ الدم فأمر سبعمائة غلام من غلمانهم، فذبحهم على الدم فلم يهدأ فأمر بسبعة آلاف من شيبهم وأزواجهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ، فلما رأى بيورزاذان أن الدم لا يهدأ قال لهم: يا بني إسرائيل ويلكم أصدقوني واصبروا على أمر ربكم فقد طالما ملكتم في الأرض تفعلون ما شئتم قبل أن لا أترك منكم نافخ نار من ذكر ولا أنثى إلا قتلته، فلما رأوا الجهد وشدة القتل صدقوه الخبر فقالوا: إن هذا دم نبي كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله تعالى فلو كنا أطعناه كنا أرشدنا. وكان يخبرنا عن أمركم فلم نصدقه فقتلناه فهذا دمه فقال لهم بيورزادان ما كان اسمه قالوا: يحيى بن زكريا قال: الآن صدقتموني لمثل هذا ينتقم ربكم منكم فلما علم بيورزاذان أنهم صدقوه خر ساجداً وقال لمن حوله: أغلقوا ابواب المدينة، وأخرجوا من كان هاهنا من جيش خردوش، وخلا في بني إسرائيل ثم قال: يا يحيى بن زكريا قد علم ربي وربك ما أصاب قومك من أجلك، ومن قتل منهم فاهدأ باذن ربك قبل أن لا أبقي من قومك أحداً إلا قتلته فهدأ الدم باذن الله تعالى، ورفع بيورزاذان عنهم القتل وقال: آمنت بما آمنت به بنو إسرائيل، وأيقنت أنه لا رب غيره. وقال لبني إسرائيل: إن خردوش أمرني أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره، وإني لا أستطيع أن أعصيه قالوا له افعل ما أمرت به، فأمرهم فحفروا خندقاً، وأمرهم بأموالهم من الخيل والبغال والحمير والإبل والبقر والغنم فذبحها حتى سال الدم في العسكر، وأمر بالقتلى الذين قتلوا قبل ذلك فطرحوه على ما قتل من المواشي، فلم يظن خردوش إلا أن

سعيد بن جبير: يعني سنجاريب من أهل نينوى. وقال ابن إسحاق: بختنصّر البابلي وأصحابه، وهو الأظهر. ﴿ **أولي بأسٍ** ﴾، ذوي بطش، ﴿ **شديد** ﴾، في الحرب، ﴿ **فجاسُوا** ﴾، أي: فطافوا وداروا، ﴿ **خلال الديار** ﴾، وسطها يطلبونكم ويقتلونكم، والجوس طلب الشيء بالاستقصاء. قال الفرّاء: جاسوا قتلوكم بين بيوتكم، ﴿ **وكان وعداً مفعولاً** ﴾، قضاءً كائناً لا خلف فيه.

﴿ **ثم رددنا لكم الكرّة** ﴾، يعني: الرجعة والدولة، ﴿ **عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً** ﴾، عدداً، أي: مَن ينفر معهم وعاد البلد أحسن مما كان.

﴿ **إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم** ﴾، أي: لها ثوابها، ﴿ **وإنْ أسأتم فلها** ﴾، أي: فعليها، كقوله تعالى: ﴿ فسلم لك ﴾ [الواقعة: ٩١] أي: عليك. وقيل: فلها الجزاء والعقاب، ﴿ **فإذا جاء وعد الآخرة** ﴾ أي: المرة الأخيرة من إفسادكم وذلك قصدهم قتل عيسى عليه السلام حين رفع وقتلهم يحيىٰ بن زكريا عليهما السلام، فسلّط الله عليهم الفرس والروم، خردوش وطيطوس حتى قتلوهم وسبوهم ونفوهم عن ديارهم، فذلك قوله تعالى:

ما في الخندق من دماء بني إسرائيل فلما بلغ الدم عسكره، أرسل إلى بيورزاذان أن ارفع عنهم القتل ثم انصرف إلى بابل وقد أفنى بني إسرائيل أو كاد يفنيهم، وهي الوقعة الأخيرة التي أنزل الله ببني إسرائيل في قوله لتفسدن في الأرض مرتين فكانت الوقعة الأولى بختنصر وجنوده، والأخرى خردوش وجنوده وكانت أعظم الوقعتين، فلم تقم لهم بعد ذلك راية وانتقل الملك بالشام ونواحيها إلى الروم واليونانيين، إلا أن بقايا بني إسرائيل كثروا وكانت لهم الرياسة ببيت المقدس ونواحيها على غير وجه الملك، وكانوا في نعمة إلى أن بدلوا وأحدثوا الأحداث فسلط الله عليهم ططوس بن أسبيانيوس الرومي، فخرب بلادهم وطردهم عنها، ونزع الله عنهم الملك والرياسة وضربت عليهم الذلة والمسكنة، فما لبثوا في أمة إلا وعليهم الصَّغار والجزية وبقي بيت المقدس خراباً إلى خلافة عمر بن الخطاب فعمره المسلمون بأمره، وقيل في سبب قتل يحيى عليه السلام: أن ملك بني إسرائيل كان يكرمه ويدني مجلسه، وأن الملك هوى بنت امرأته، وقال ابن عباس ابنة أخيه فسأل يحيى تزويجها فنهاه عن نكاحها، فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيى وعمدت حين جلس الملك على شرابه فألبستها ثياباً رقاقاً حمراً وطيبتها وألبستها الحلي، وأرسلتها إلى الملك وأمرتها أن تسقيه فإن هو راودها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما سألته فإذا أعطاها ما سألت سألت رأس يحيى بن زكريا، وأن يؤتى به في طست ففعلت فلما راودها قالت: لا أفعل حتى تعطيني ما أسألك قال فما تسأليني قالت: رأس يحيى بن زكريا في هذا الطست فقال ويحك سليني غير هذا. قالت: ما أريد غير هذا فلما أبت عليه، بعث فأتي برأسه حتى وضع بين يديه والرأس يتكلم يقول: لا يحل لك فلما أصبح إذا دمه يغلي، فأمر بتراب فألقي عليه فرقى الدم يغلي فلا زال يغلي، ويلقى عليه التراب، وهو يغلي حتى بلغ سور المدينة وهو في ذلك يرقى ويغلي وسلط الله عليهم ملك بابل فخرب بيت المقدس، وقتل سبعين ألفاً حتى سكن دمه قوله عز وجل:

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ مَّن كَانَ

﴿ **ليَسُوؤا وجوهَكم** ﴾، أي: تحزن وجوهكم وسوء الوجه بإدخال الغمّ والحزن. قرأ الكسائي ويعقوب: «لنســوء» بالنون وفتح الهمزة على التعظيم، كقوله: ﴿ وقضينا ﴾ [الحجر: ٦٦، الإسراء: ٤، القصص: ٤٤، سبأ: ١٤] ﴿ وبعثنا ﴾ [المائدة: ١٢، الأعراف: ١٠٣، يونس: ٧٤ و٧٥، النحل: ٣٦، الإسراء: ٥] وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو بكر بالياء وفتح الهمزة على التوحيد، أي: ليسوء الله وجوهكم، وقيل: ليسوء الوعد وجوهكم، وقرأ الباقون بالياء وضمّ الهمزة على الجمع، أي: ليسوء العباد أُولوا البأس الشديد وجوهكم ﴿ **وليدخلوا المسجد** ﴾، يعني: بيت المقدس ونواحيه، ﴿ **كما دخلوه أوّل مرةٍ وليتبّروا** ﴾، وليهلكوا، ﴿ **ما علَوا** ﴾، أي: ما غلبوا عليه من بلادكم ﴿ **تتبيراً** ﴾.

يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾

﴿عسى ربكم أن يرحمكم﴾ يعني يا بني إسرائيل بعد انتقامه منكم فيرد الدولة إليكم ﴿وإن عدتم﴾ أي إلى المعصية ﴿عدنا﴾ أي إلى العقوبة. قال قتادة فعادوا فبعث الله محمداً ﷺ: فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون ﴿وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً﴾ أي سجناً ومحبساً من الحصر الذي هو مجلس الحبس، وقيل: فراشاً من الحصير الذي يبسط ويفترش. قوله تعالى ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ أي إلى الطريقة التي هي أصوب وقيل: إلى الكلمة التي هي أعدل وهي شهادة أن لا إله إلا الله ﴿ويبشر﴾ يعني القرآن ﴿المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً﴾ يعني الجنة ﴿وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً﴾ يعني النار في الآخرة ﴿ويدع الإنسان﴾ أي على نفسه وولده وماله ﴿بالشر﴾ يعني قوله عند الغضب: اللهم أهلكه اللهم العنه ونحو ذلك ﴿دعاءه بالخير﴾ أي كدعائه ربه أن يهب له النعمة والعافية ولو استجاب الله دعاءه على نفسه لهلك، ولكن الله لا يستجيب بفضله وكرمه ﴿وكان الإنسان عجولاً﴾ أي بالدعاء على ما يكره أن يستجاب له فيه، وقال ابن عباس: ضجراً لا صبر له على سّراء ولا ضراء. قوله تعالى ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾ أي علامتين دالتين على وحدانيتنا وقدرتنا وفي معنى الآية قولان: أحدهما: أن يكون المراد من الآيتين نفس الليل والنهار، وهو أنه جعلهما دليلين للخلق على مصالح الدنيا والدين، أما في الدين فلأن كل واحد منهما مضاد للآخر مغاير مع كونهما متعاقبين على الدوام ففيه أقوى دليل على أن لهما مدبراً يدبرهما، ويقدرهما بالمقادير المخصوصة وأما في الدنيا، فلأن مصالح العباد لا تتم إلا بهما ففي الليل يحصل السكون، والراحة وفي النهار يحصل التصرف في المعاش والكسب. والقول الثاني: أن يكون المراد وجعلنا نيرى الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر ﴿فمحونا آية الليل﴾ أي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموساً مظلماً لا يستبان فيه شيء ﴿وجعلنا آية النهار مبصرة﴾ أي تبصر فيه الأشياء رؤية بينة. قال ابن عباس: جعل الله نور الشمس سبعين جزءاً ونور القمر كذلك فمحا من نور القمر تسعة وستين جزءاً، فجعلها مع نور الشمس وحكي أن الله أمر جبريل فأمر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات، فطمس عليه الضوء وبقي فيه النور وسأل ابن الكواء علياً عن السواد

﴿ عسى ربُّكم ﴾، يا بني إسرائيل، ﴿ أن يرحَمكم ﴾، بعد انتقامه منكم فيردّ الدولة إليكم، ﴿ وإنْ عُدتُّم عُدْنَا ﴾، أي: إن عدتم إلى المعصية عدنا إلى العقوبة. قال قتادة: فعادوا فبعث الله عليهم محمداً ﷺ فهم يعطون الجزية عن يدٍ وهم صاغرون، ﴿ وجعلنا جهنّم للكافرين حصيراً ﴾، سجناً ومحبساً من الحصر وهو الحبس. قال الحسن: حصيراً أي: فراشاً. وذهب إلى الحصير الذي يُبسَط ويُفرَش.

﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾، أي: إلى الطريقة التي هي أصوب. وقيل: الكلمة التي هي أعدل وهي شهادة أن لا إله إلّا الله، ﴿ ويبشّر ﴾، يعني: القرآن، ﴿ المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنّ لهم ﴾، بأن لهم، ﴿ أجراً كبيراً ﴾، وهو الجنة.

﴿ وأنّ الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً ﴾، وهو النار.

وقوله تعالى: ﴿ ويَدْعُ الإنسانُ ﴾، حذف الواو لفظاً لاستقلال اللام الساكنة كقوله: ﴿ سندع الزبانية ﴾ [العلق: ١٨]، وحذف في الخط أيضاً وهي غير محذوفة في المعنى، ومعناه: ويدعو الإنسان على ماله وولده ونفسه، ﴿ بالشرِّ ﴾، فيقول عند الغضب: اللّهمّ العنه واهلكه ونحوهما، ﴿ دعاءَهُ بالخير ﴾، أي: كدعائه ربه

الذي في القمر، فقال هو أثر المحو ﴿لتبتغوا فضلاً من ربكم﴾ أي لتتوصلوا ببياض النهار إلى استبانة أعمالكم، والتصرف في معايشكم ﴿ولتعلموا﴾ أي باختلاف الليل والنهار ﴿عدد السنين والحساب﴾ أي ما يحتاجون إليه ولولا ذلك، لما علم أحد حساب الأوقات ولتعطلت الأمور، ولو ترك الله الشمس والقمر، كما خلقهما لم يعرف الليل من النهار ولم يدر الصائم متى يفطر، ولم يعرف وقت الحج ولا وقت حلول الديون المؤجلة. واعلم أن الحساب يبنى على أربع مراتب: الساعات والأيام والشهور والسنين، فالعدد للسنين والحساب لما دونها من الشهور والأيام والساعات، وليس بعد هذه المراتب الأربعة إلا التكرار ﴿وكل شيء فصلناه تفصيلاً﴾ يعني وكل شيء تفتقرون إليه من أمر دينكم ودنياكم قد بيّنّاه بياناً شافياً واضحاً غير ملتبس قيل: إنه سبحانه وتعالى لما ذكر أحوال آيتي الليل والنهار وهما من وجه دليلان قاطعان على التوحيد ومن وجه آخر نعمتان من الله تعالى على أهل الدنيا، وكل ذلك تفضل منه فلا جرم قال، وكل شيء فصلناه تفصيلاً قوله عز وجل ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾ قال ابن عباس: عمله وما قدر عليه فهو ملازمه أينما كان. وقيل: خيره وشره معه لا يفارقه حتى يحاسب به. وقيل: ما من مولود إلا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد، وقيل: أراد بالطائر ما قضى عليه أنه عامله وما هو صائر إليه من سعادة أو شقاوة، وقيل: هو من قولك طار له سهم إذا خرج يعني ألزمناه ما طار له من عمله لزوم القلادة أو الغل، لا ينفك عنه والعنق في قوله في عنقه كناية عن اللزوم كما يقال: جعلت هذا في عنقك أي قلدتك هذا العمل، وألزمتك الاحتفاظ به وإنما خص العنق من بين سائر الأعضاء لأنه موضع القلائد والأطواق والغل مما يزين أو يشين فإن كان عمله خيراً كان له كالقلادة أو الحلي في العنق وهو ما يزينه، وإن كان عمله شراً كان له كالغلّ في عنقه وهو ما يشينه ويخرج له بقول تبارك وتعالى ﴿ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً﴾ قيل: بسطت للإنسان صحيفتان ووكل به ملكان يحفظان

بالخير أن يهب له النعمة والعافية ولو استجاب الله دعاءه على نفسه لهلك، ولكن الله لا يستجيب بفضله، ﴿ وكان الإنسان عجولاً ﴾ بالدعاء على ما يكره أن يُستجاب له فيه. قال جماعة من أهل التفسير: وقال ابن عباس: ضجراً لا صبر له على السرّاء والضرّاء.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ وجعلنا الليلَ والنهارَ آيتين ﴾، أي: علامتين دالّتين على وجودنا ووحدانيتنا وقدرتنا، ﴿ فمحونا آية الليل ﴾، قال ابن عباس: جعل الله نور الشمس سبعين جزءاً ونور القمر كذلك فمحا من نور القمر تسعة وستين جزءاً فجعلها مع نور الشمس، حُكِيَ أن الله تعالى أمر جبريل فأمر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقي فيه النور. وسأل ابن الكوّاء عليّاً عن السواد الذي في القمر قال هو أثر المحو. ﴿ وجعلنا آية النهار مبصرةً ﴾، منيرة مضيئة، يعني يبصر بها. قال الكسائي: تقول العرب أبصر النهار إذا أضاءت بحيث يبصر بها، ﴿ لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب ﴾، أي: لو ترك الله الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف الليل من النهار ولم يدرِ الصائم متى يفطر ولم يدرِ وقت الحج ولا وقت حلول الآجال ولا وقت السكون والراحة. ﴿ وكلَّ شيء فصّلناه تفصيلاً ﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ وكلَّ إنسانٍ ألزمناه طائره في عنقه ﴾، قال ابن عباس: عمله وما قدر عليه فهو ملازمه أينما كان. وقال الكلبي ومقاتل: خيره وشرّه معه لا يفارقه حتى يحاسبه به. وقال الحسن: يمنه وشؤمه. وعن مجاهد: ما من مولود إلا في عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد. وقال أهل المعاني: أراد بالطائر ما قضى الله عليه أنه عامله وما هو صائر إليه من سعادة أو شقاوة سُمّيَ طائر على عادة العرب فيما كانت تتفاءل وتتشاءم به من سوانح الطير وبوارحها. وقال أبو عبيدة والقتيبي: أراد بالطائر حظه من الخير والشر من قولهم: طار سهم فلان بكذا وكذا، وخصّ العنق من بين سائر الأعضاء لأنه موضع القلائد والأطواق وغيرهما مما يزين أو يشين، فجرى كلام العرب

عليه حسناته وسيئاته. فإذا مات طويت الصحيفتان، وجعلتا معه في عنقه فلا ينشران إلا يوم القيامة **﴿اقرأ كتابك﴾** أي يقال له: اقرأ كتابك قيل يقرأ يوم القيامة من لم يكن قارئاً **﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾** أي محاسباً قال الحسن: لقد عدل عليك[1] من جعلك حسيب نفسك، وقيل: يقول الكافر إنك لست بظلام للعبيد فاجعلني أحاسب نفسي. فيقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً. قوله سبحانه وتعالى **﴿من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها﴾** يعني أن ثواب العمل الصالح مختص بفاعله، وعقاب الذنب مختص بفاعله أيضاً، ولا يتعدى منه إلى غيره وهو قوله تعالى **﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾** أي لا تحمل حاملة ثقل أخرى من الآثام، ولا يؤاخذ أحد بذنب أحد بل كل أحد مختص بذنبه **﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾** لإقامة الحجة وقطعاً للعذر وفيه دليل على أن ما وجب إنما وجب بالسمع لا بالعقل. قوله سبحانه وتعالى **﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها﴾** في معنى الآية قولان: أحدهما: أن المراد منه الأمر بالفعل، ثم إن لفظ الآية يدل على أنه تعالى بماذا أمرهم فقال أكثر المفسرين: معناه أنه تعالى أمرهم بالأعمال الصالحة، وهي الإيمان والطاعة وفعل الخير والقوم خالفوا ذلك الأمر وفسقوا. والقول الثاني: أمرنا مترفيها أي كثرنا فساقها. يقال أمر القوم إذا كثروا وأمرهم الله إذا كثرهم، ومنه الحديث «خير المال مهرة مأمورة» أي كثيرة النتاج والنسل فعلى هذا قوله تعالى أمرنا ليس من الأمر بالفعل. والمترف هو الذي أبطرته النعمة وسعة العيش **﴿ففسقوا فيها﴾** أي خرجوا عما أمرهم الله به من الطاعة **﴿فحق عليها القول﴾** أي وجب عليها العقاب **﴿فدمرناها تدميراً﴾** أي أهلكناها إهلاك استئصال والدمار الهلاك والخراب (ق)، عن أم المؤمنين زينب بنت جحش أن النبي ﷺ دخل عليها فزعاً يقول: «لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها». قالت زينب: قلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون قال:

بتشبيه الأشياء اللازمة إلى الأعناق، **﴿ ونُخرج له ﴾**، يقول الله تعالى ونحن نخرج له، **﴿ يوم القيامة كتاباً ﴾**، وقرأ الحسن ومجاهد ويعقوب «ويخرج لـه» بفتح الياء وضمّ الراء، معناه: ويخرج له الطائر يوم القيامة كتاباً. وقرأ أبو جعفر «يخـرج» بالياء وضمّها وفتح الراء، **﴿ يلقاه ﴾**، قرأ ابن عامر وأبو جعفر **﴿ يلقاه ﴾** بضمّ الياء وفتح اللام وتشديد القاف، يعني: يلقى الإنسان ذلك الكتاب، أي: يؤتاه، وقرأ الباقون بفتح الياء خفيفة أي يراه **﴿ منشوراً ﴾**، وفي الآثار: أن الله تعالى يأمر الملك بطيّ الصحيفة إذا تمّ عمر العبد فلا تُنشر إلا في يوم القيامة.

﴿ اقرأ كتابك ﴾، أي: يقال له اقرأ كتابك، قوله تعالى: **﴿ كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾**، محاسباً. قال الحسن: لقد عدل عليك مَن جعلك حسيب نفسك. قال قتادة: سيقرأ يومئذ مَن لم يكن قارئاً في الدنيا.

﴿ مَن اهتدى فإنّما يهتدي لنفسه ﴾، لها ثوابه، **﴿ ومَن ضلّ فإنما يضلّ عليها ﴾**، لأن عليها عقابه، **﴿ ولا تزر وازرةٌ وِزْرَ أُخرى ﴾**، أي: لا تحمل حاملة حمل أخرى من الآثام، أي: لا يؤخذ أحد بذنب أحد. **﴿ وما كنّا معذّبين حتى نبعث رسولاً ﴾**، إقامةً للحجّة وقطعاً للعذر، وفيه دليل على أن ما وجب وجب بالسمع لا بالعقل.

﴿ وإذا أردنا أن نُهلك قريةً أمرنا مُترفيها ﴾، قرأ مجاهد: **﴿ أمرنا ﴾** بالتشديد أي: سلّطنا شرارها فعصوا، وقرأ الحسن وقتادة ويعقوب **﴿ أمرنا ﴾** بالمدّ، أي: أكثرنا. وقرأ الباقون بالقصر مختلفاً، أي أمرناهم بالطاعة فعصوا، ويحتمل أن يكون معناه جعلناهم أمراء ويحتمل أن تكون بمعنى أكثرنا، يقال: أمرهم الله أي كثّرهم الله. وفي الحديث: «خير المال مهرة مأمورة» أي كثيرة النسل. ويقال: منه أمر القوم يأمرون أمراً إذا كثروا، وليس من

---

(١) قوله عدل هكذا في الأصل الطبع وفي بعض النسخ إليك سيدل عليك وفي الخطيب عدل والله في خلقك من الخ وفي الكشاف: يا ابن آدم أنصفك والله من الخ اهـ.

«نعم إذا كثر الخبث» قوله: ويل للعرب. ويل كلمة تقال: لمن وقع في هلكة، أو أشرف أن يقع فيها وقوله إذا كثر الخبث أي الشر قوله تعالى **﴿وكم أهلكنا من القرون﴾** أي المكذبة **﴿من بعد نوح﴾** وهم عاد وثمود وغيرهم من الأمم الخالية يخوف الله بذلك كفار قريش. قال عبد الله بن أبي أوفى: **القرن** عشرون ومائة سنة فكان رسول الله ﷺ في أول قرن ويزيد بن معاوية في آخره. وقيل: القرن مائة سنة وروي عن محمد بن القاسم بن عبد الله بن بشر المازني أن النبي ﷺ وضع يده على رأسه وقال: «سيعيش هذا الغلام قرناً» قال محمد بن القاسم: ما زلنا **نعد** له حتى تمت له مائة سنة ثم مات. وقيل: القرن ثمانون سنة. وقيل: أربعون **﴿وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً﴾** يعني أنه عالم بجميع المعلومات راء لجميع المرئيات، لا يخفى عليه شيء من أحوال الخلق. قوله عز وجل **﴿من كان يريد العاجلة﴾** أي الدار العاجلة يعني الدنيا **﴿عجلنا له فيها ما نشاء﴾** أي من البسط أو التقتير **﴿لمن نريد﴾** أن نفعل به ذلك أو إهلاكه، وقيل في معنى الآية. عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد أي القدر الذي نشاء نعجله له في الدنيا، الذي يشاء هو ولمن نريد أن نعجل له شيئاً، قدرناه له وهذا ذم لمن أراد بعمله ظاهر الدنيا ومنفعتها وبيان أن من أرادها لا يدرك منها إلا ما قدر له، **﴿ثم جعلنا له﴾** أي في الآخرة **﴿جهنم يصلاها﴾** أي يدخلها **﴿مذموماً مدحوراً﴾** أي مطروداً مباعداً. قوله سبحانه وتعالى **﴿ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها﴾** أي عمل لها عملها **﴿وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً﴾** أي مقبولاً قيل: في الآية ثلاث شرائط في كون السعي مشكوراً إرادة الآخرة بعمله بأن يعقد بها همه ويتجافى عن دار الغرور، والسعي فيما كلف من الفعل والترك، والإيمان الصحيح الثابت، وعن بعض السلف الصالح. من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله، إيمان ثابت، ونية صادقة، وعمل مصيب. وتلا هذه الآية. قوله عز وجل:

الأمر بمعنى الفعل، فإن الله لا يأمر بالفحشاء، واختار أبو عبيدة قراءة العامّة وقال: لأن المعاني الثلاثة تجتمع فيها يعني الأمر والإمارة والكثرة. **﴿ مترفيها ﴾** مُنعِمِيها وأغنيائها **﴿ ففسقُوا فيها فحقّ عليها القولُ ﴾**، وجب عليها العذاب، **﴿ فدمرناها تدميراً ﴾**، أي: خرّبناها وأهلكنا مَن فيها. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا يحيىٰ بن بكر ثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير أن زينب بنت أبي سلمة حدّثته عن أُم حبيبة بنت أبي سفيان عن زينب بنت جحش أنّ النبي ﷺ دخل عليها فزعاً وهو يقول: «لا إله إلّا الله ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوجك مثل هذه وحلّق بأصبعه الإبهام والتي تليها»، قالت زينب فقلت: يا رسول الله أنهلَكُ وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثر الخبث».

قوله: **﴿ وكم أهلكنا من القرون ﴾** أي: المكذّبة، **﴿ من بعد نوح ﴾**، يُخوّف كفّار مكة، **﴿ وكفى بربِّك بذنوب عباده خبيراً بصيراً ﴾**، قال عبد الله بن أبي أوفى: القَرْنُ مائة وعشرون سنة، فبعث رسول الله ﷺ في أول قرن، وكان في آخره يزيد بن معاوية. وقيل: مائة سنة. ورُوِيَ عن محمد بن القاسم عن عبد الله بن بشر المازني أن رسول الله ﷺ وضع يده على رأسه وقال: «سيعيش هذا الغلام قرناً» قال محمد بن القاسم: فما زلنا نعدّ له حتى تمّ له مائة سنة، ثم مات. قال الكلبي: القرن ثمانون سنة. وقيل: أربعون سنة.

﴿ مَن كان يريد العاجلة ﴾، يعني الدنيا أي الدار العاجلة، **﴿ عجّلنا له فيها ما نشاء ﴾**، من البسط والتقتير، **﴿ لمَن نُريد ﴾**، أن نفعل به ذلك أو إهلاكه، **﴿ ثم جعلنا له ﴾**، في الآخرة، **﴿ جهنّم يصلاها ﴾**، يدخل نارها، **﴿ مذموماً مدحوراً ﴾**، مطروداً مُبعداً.

﴿ ومَن أراد الآخرة وسعى لها سعيها ﴾، عمل عملها، **﴿ وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً ﴾**، مقبولاً.

﴿كُلًّا نُمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾

﴿كلا نمد هؤلاء وهؤلاء﴾ أي نمد كلا الفريقين من يريد الدنيا، ومن يريد الآخرة ﴿من عطاء ربك﴾ يعني يرزقهما جميعاً ثم يختلف الحال بهما في المآل ﴿وما كان عطاء ربك محظوراً﴾ أي ممنوعاً عن عباده والمراد بالعطاء العطاء في الدنيا إذ لا حظ للكافر في الآخرة ﴿انظر﴾ يا محمد ﴿كيف فضلنا بعضهم على بعض﴾ أي في الرزق والعمل يعني طالب العاجلة وطالب الآخرة ﴿وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً﴾ يعني أن تفاضل الخلق في درجات منافع الدنيا محسوس فتفاضلهم في درجات منافع الآخرة أكبر وأعظم فإن نسبة التفاضل في درجات الآخرة إلى التفاضل في درجات الدنيا، كنسبة الآخرة إلى الدنيا فإذا كان الإنسان تشتد رغبته في طلب الدنيا فلأن تقوى وتشتد رغبته في طلب الآخرة أولى، لأنها دار المقامة. قوله تعالى ﴿لا تجعل مع الله إلهاً آخر﴾ الخطاب مع النبي ﷺ والمراد غيره وقيل معناه لا تجعل أيها الإنسان مع الله إلهاً آخر وهذا أولى ﴿فتقعد مذموماً﴾ أي من غير حمد ﴿مخذولاً﴾ أي بغير ناصر. قوله سبحانه وتعالى: ﴿وقضى ربك﴾ أي وأمر ربك. قاله ابن عباس: وقيل معناه وأوجب ربك. وقيل: معناه الحكم والجزم. وقيل: ووصى ربك. وحكي عن الضحاك أنه قرأها ووصى ربك وقال: إنهم ألصقوا الواو بالصاد فصار قافاً وهي قراءة علي وابن مسعود. قال الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير هذا القول بعيد جداً لأنه يفتح باب أن التحريف والتغيير قد تطرق إلى القرآن ولو جوزنا ذلك لارتفع الأمان على القرآن، وذلك يخرجه عن كونه حجة، ولا شك أنه طعن عظيم في الدين ﴿ألّا تعبدوا إلا إياه﴾ فيه وجوب عبادة الله، والمنع من عبادة غيره وهذا

﴿ كُلًّا نُمِدُّ هؤلاء وهؤلاء ﴾، أي: نمدّ كِلا الفريقين مَن يريد الدنيا ومَن يريد الآخرة، ﴿ من عطاء ربك ﴾، أي: يرزقهما جميعاً ثم يخلف بهما الحال في المآل، ﴿ وما كان عطاء ربك ﴾، رزق ربك، ﴿ محظوراً ﴾، ممنوعاً عن عباده فالمراد من العطاء العطاء في الدنيا وإلّا فلا حظّ للكفّار في الآخرة.

﴿ انظر ﴾، يا محمد، ﴿ كيف فضّلنا بعضهم على بعض ﴾، في الرزق والعمل الصالح، يعني: طالب العاجلة وطالب الآخرة، ﴿ وللآخرة أكبرُ درجات وأكبرُ تفضيلاً ﴾.

﴿ لا تجعلْ مع الله إلّهاً آخر ﴾، الخطاب مع النبي ﷺ والمراد غيره. وقيل: معناه لا تجعل أيها الإنسان مع الله إلّهاً آخر، ﴿ فتقعد مذموماً مخذولاً ﴾، مذموماً من غير حمد مخذولاً من غير نصر.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ وقضى ربُّك ﴾، وأمر ربك، قاله ابن عباس وقتادة والحسن. قال الربيع بن أنس: وأوجب ربك. قال مجاهد: وأوصى ربك. وحُكِيَ عن الضحاك بن مزاحم أنه قرأ: ووصّى ربك. وقال: إنهم ألصقوا الواو بالصاد فصارت قافاً، ﴿ ألّا تعبدوا إلّا إيّاه وبالوالدين إحساناً ﴾، أي: وأمر بالوالدين إحساناً برّاً بهما وعطفاً عليهما، ﴿ إما يبلغنّ عندك الكِبَرَ ﴾، قرأ حمزة والكسائي بالألف على التثنية فعلى هذا قوله: ﴿ أحدهما أو كلاهما ﴾، كلام مستأنف، كقوله تعالى: ﴿ ثم عموا وصمّوا كثيرٌ منهم ﴾ [المائدة: ٧١] وقوله: ﴿ وأسرّوا النجوى الذين ظلموا ﴾ [الأنبياء: ٣] وقوله: ﴿ الذين ظلموا ﴾ [الأنبياء: ٣] ابتداء وقرأ الباقون ﴿ يبلغن ﴾ على التوحيد،

هو الحق لأن العبادة عبارة عن الفعل المشتمل على نهاية التعظيم، ونهاية التعظيم لا تليق إلا بمن له الإنعام والإفضال على عباده ولا منعم إلا الله، فكان هو المستحق للعبادة لا غيره ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ أي وأمر بالوالدين إحساناً أي براً بهما وعطفاً عليهما وإحساناً إليهما ﴿إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما﴾ معناه أنهما يبلغان إلى حالة الضعف، والعجز فيصيران عندك في آخر العمر كما كنت عندهما في أول العمر واعلم أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر هذه الجملة، كلف الإنسان في حق الوالدين خمسة أشياء: الأول قوله تعالى ﴿فلا تقل لهما أف﴾ وهي كلمة تضجَّر وكراهية، وقيل: إن أصل هذه الكلمة أنه إذا سقط عليك تراب أو رماد، ونفخت فيه تزيله تقول: أف ثم إنهم توسعوا بذكر هذه الكلمة إلى كل مكروه يصل إليهم. والثاني: قوله ﴿ولا تنهرهما﴾ أي تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك يقال: نهره وانتهره بمعنى. فإن قلت: المنع من التأفيف أبلغ من المنع من الانتهار فما وجه الجمع قلت: المراد من قوله ولا تقل لهما أف المنع من إظهار الضجر بالقليل والكثير، والمراد من قوله ولا تنهرهما، المنع من إظهار المخالفة في القول على سبيل الرد عليها. الثالث: قوله ﴿وقل لهما قولاً كريماً﴾ أي حسناً جميلاً ليناً كما يقتضيه حسن الأدب معهما، وقيل: هو يا أماه يا أبتاه وقيل: لا يكنيهما وقيل: هو أن يقول لهم كقول العبد الذليل المذنب للسيد الفظ الغليظ. الرابع: قوله عز وجل ﴿واخفض لهما جناح الذل﴾ أي ألن لهما جناحك واخفضه لهما حتى لا تمتنع عن شيء أحباه ﴿من الرحمة﴾ أي من الشفقة عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم إليك، كما كنت في حال الصغر مفتقراً إليهما. الخامس: قوله سبحانه وتعالى ﴿وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾ أي وادع الله لهما أن يرحمهما برحمته الباقية، وأراد به إذا كانا مسلمين فأما إذا كانا كافرين فإن الدعاء منسوخ في حقهما بقوله سبحانه وتعالى ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى﴾ وقيل: يجوز الدعاء لهما بأن يهديهما الله إلى الإسلام فإذا هداهما فقد رحمهما. وقيل في معنى هذه الآية: إن الله سبحانه وتعالى بالغ في الوصية بهما حيث افتتحها بالأمر بتوحيده وعبادته، ثم شفعه بالإحسان إليهما ثم ضيق الأمر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تسوؤهما وأن يذل، ويخضع لهما ثم ختمها بالأمر بالدعاء لهما والترحم عليهما.

﴿ فلا تقلْ لهما أُفٍّ ﴾، فيه ثلاث لغات، قرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بفتح الفاء وقرأ أبو جعفر ونافع وحفص بالكسر والتنوين والباقون بكسر الفاء غير منوّن، ومعناها واحد وهي كلمة كراهية، قال أبو عبيدة أصل التف والأف الوسخ على الأصابع إذا فتلتها. وقيل: الأف ما يكون في المغابن من الوسخ، والتفّ ما يكون في الأصابع. وقيل: الأف وسخ الأُذن والتف وسخ الأظفار. وقيل: الأف وسخ الظفر والتف ما رفعته بيدك من الأرض من شيء حقير، ﴿ ولا تنهرهما ﴾، ولا تزجرهما، ﴿ وقل لهما قولاً كريماً ﴾، حسناً جميلاً ليّناً قال ابن المسيب: كقول العبد المذنب للسيد الفظّ. وقال مجاهد: لا تسمّيهما ولا تكنّهما وقل لهما: يا أبتاه يا أُماه. وقال مجاهد: في هذه الآية أيضاً إذا بلغا عندك من الكِبَر ما يبولان فلا تتقذرهما ولا تقل لهما أفٍّ حين تميط عنهما الخلاء والبول كما كانا يميطانه عنك صغيراً.

﴿ واخفضْ لهما جناح الذلّ ﴾، أي: أَلِنْ جانبك لهما واخضع لهما. قال عروة بن الزبير: أَلِن لهما حتى لا تمتنع عن شيء أحبّاه ﴿ مِنَ الرحمة ﴾، من الشفقة، ﴿ وقل ربِّ ارحمهما كما ربياني صغيراً ﴾، أراد إذا كانا مسلمين. قال ابن عباس: هذا منسوخ بقوله: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾ [التوبة: ١١٣]. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو مسعود محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن يزيد عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن يعني السلمي عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «الوالد أوسط أبواب الجنة فاحفظ إن شئت أو ضيِّع» أخبرنا أبو

فصل

في ذكر الأحاديث التي وردت في بر الوالدين، (ق) عن أبي هريرة قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحبتي؟ قال: أمك ثم أمك ثم أباك ثم أدناك فأدناك» (م) عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: رغم أنفه، رغم أنفه رغم أنفه قيل من يا رسول الله؟ قال من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة» (م) عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لن يجزي ولد والده إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه» (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فاستأذنه في الجهاد فقال: أحيّ والداك قال: نعم قال ففيهما فجاهد» وعنه أن رسول الله ﷺ قال «رضا الرب في رضا الوالدين وسخط الرب في سخط الوالدين» أخرجه الترمذي مرفوعاً وموقوفاً قال: وهو أصح عن أبي الدرداء قال «فإن شئت فضيع ذلك الباب أو احفظه» أخرجه الترمذي. وقال حديث صحيح (م) «عن عبد الله بن مسعود قال: سألت رسول الله ﷺ أي الأعمال أحب إلى الله تعالى قال الصلاة لوقتها قلت، ثم أي قال بر الوالدين قلت ثم أي قال الجهاد في سبيل الله تعالى». قوله سبحانه وتعالى **﴿ربكم أعلم بما في نفوسكم﴾** أي من بر الوالدين، واعتقاد ما يجب لهما من التوقير، عدم عقوقهما **﴿إن تكونوا صالحين﴾** أي أبراراً مطيعين قاصدين الصلاح والبر بعد تقصير كان منكم في القيام بما لزمكم من حق الوالدين، أو غيرهما أو قيل فرط منكم في حال الغضب، وعند حرج الصدر وما لا يخلو منه البشر مما يؤدي إلى أذاهما ثم أنبتم إلى الله، واستغفرتم مما فرط منكم **﴿فإنه كان للأوابين﴾** للتوابين **﴿غفوراً﴾** قال سعيد بن جبير في هذه الآية: هو الرجل تكون منه البادرة إلى أبويه لا يريد بذلك إلا الخير فإنه لا يؤاخذ بهما. وقال سعيد بن المسيب: الأوّاب الذي يذنب ثم يتوب وعنه أنه الرجاع إلى الخير. وقال ابن عباس: الأوّاب الرجاع إلى الله فيما يحزنه، وينوبه وعنه أنهم

طاهر محمد بن محمد بن علي الزراد أنا أبو بكر محمد بن إدريس الجرجاني أنا أبو الحسن علي بن الحسين الماليني أنا حسن بن سفيان ثنا يحيىٰ بن حبيب بن عدي ثنا خالد بن الحارس عن سعيد عن يعلى بن عطاء عن أبيه عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال: «رضا الله في رضا الوالد وسخط الله في سخط الوالد» أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار ثنا أبو جعفر محمد بن غالب بن تمتام الضبي ثنا عبد الله بن مسلمة ثنا عبد العزيز بن مسلم عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة منّان ولا عاقٌ ولا مُدمنُ خمر»، أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد بن ناموية الأصفهاني أنا أبو سعيد أحمد بن زياد البصري أنا الحسن بن محمد بن الصباح ثنا ربعي بن عليّة عن عبد الرحمن بن إسحاق عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رَغِمَ أنفُ رجل ذُكِرتُ عنده فلم يصلّ عليَّ ورَغِمُ أنفُ رجل أتى عليه شهر رمضان فلم يغفر له ورغم أنف امرىء أدرك أبويه الكبرُ فلم يدخلاه الجنة».

﴿ **ربكم أعلم بما في نفوسكم** ﴾، من برِّ الوالدين وعقوقهما، ﴿ **إنْ تكونوا صالحين** ﴾، أبراراً مطيعين بعد تقصير كان منكم في القيام بما لزمكم من حق الوالدين وغير ذلك، ﴿ **فإنه كان للأوّابين** ﴾، بعد المعصية ﴿ **غفوراً** ﴾، قال سعيد بن جبير في هذه الآية: هو الرجل يكون منه البادرة إلى أبويه لا يريد به إلّا الخير فإنه لا يؤاخذ به. قال سعيد بن المسيب: الأوّاب الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب. قال سعيد بن جبير: الرجّاع إلى الخير. وعن ابن عباس قال: هو الرجّاع إلى الله فيما يحزنه وينوبه. وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: هُمُ المسبِّحون، دليله قوله: ﴿ يا جبال أوّبي معه ﴾ [سبأ: ١٠]. قال قتادة: هم المصلّون، قال عون العقيلي: هم الذين يصلّون صلاة الضحى. أخبرنا أبو الحسن طاهر بن الحسين الدورقي الطوسي أنا أبو الحسن محمد بن

المسبحون. وقيل: هم المصلون وقيل هم الذين يصلون صلاة الضحى يدل عليه ما روي عن زيد بن أرقم. قال: خرج رسول الله ﷺ على أهل قباء وهم يصلون الضحى فقال «صلاة الأوّابين إذا رمضت الفصال» أخرجه مسلم قوله: إذا رمضت الفصال يريد ارتفاع الضحى وأن تحمى الرمضاء وهو الرمل بحر الشمس فتبرك الفصال من الحر وشدة إحراقه أخفافها. والفصال جمع فصيل وهي أولاد الإبل الصغار وقيل: الأوّاب الذي يصلي بين المغرب والعشاء يدل عليه ما روي عن ابن عباس قال: إن الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهي صلاة الأوّابين. قوله سبحانه وتعالى:

وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ
وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا (٢٧) وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا (٢٨) وَلَا
تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا (٢٩) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ
وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا (٣٠) وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ
خِطْـًٔا كَبِيرًا (٣١) وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا (٣٢) وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ
وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا (٣٣) وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ
إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا (٣٤) وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟
بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٣٥) وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ
أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا (٣٦) وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا (٣٧) كُلُّ ذَٰلِكَ
كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (٣٨)

﴿وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل﴾ قيل: الخطاب للنبي ﷺ أمره الله سبحانه وتعالى أن يؤتي أقاربه حقوقهم وقيل: إنه خطاب للكل وهو أنه سبحانه وتعالى، وصى بعد بر الوالدين بالقرابة أن يؤتوا حقهم من صلة الرحم والمودة، والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك وقيل إن كانوا محاويج، وهو موسر لزمه الإنفاق عليهم وهو مذهب أبي حنيفة. وقال الشافعي رضي الله عنه: لا تلزم النفقة إلا لوالد

يعقوب أنا أبو النضر محمد بن محمد بن يوسف ثنا الحسن بن سفيان ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا وكيع عن هشام صاحب الدستوائي عن قتادة عن القاسم بن عوف عن زيد بن أرقم قال: خرج رسول الله ﷺ على أهل قباء وهم يصلّون صلاة الضحى، فقال: «صلاة الأوّابين إذا رمضت الفصال من الضحى» وقال محمد بن المنكدر: الأوّاب يصلّي بين المغرب والعشاء. ورُوِيَ عن ابن عباس أنه قال: إن الملائكة لتحفّ بالذين يصلّون بين المغرب والعشاء، وهي صلاة الأوّلين.

قوله تعالى: ﴿ وآتِ ذَا القُربى حقه ﴾، يعني صلة الرحم، وأراد به قرابة الإنسان وعليه الأكثرون. عن علي بن الحسين أراد به قرابة الرسول ﷺ، ﴿ والمسكين وابنَ السبيل ولا تُبَذِّرْ تبذيراً ﴾، أي: لا تنفق مالك في المعصية. وقال مجاهد: لو أنفق الإنسان ماله كله تبذيراً ولو أنفق مدّاً في باطل كان تبذيراً. وسُئِلَ ابن مسعود عن التبذير فقال: إنفاق المال في غير حقه. قال شعبة: كنت أمشي مع أبي إسحاق في طريق الكوفة فأتى على دار بنيت بجص وآجر، فقال: هذا التبذير. وفي قول عبد الله: إنفاق المال من غير حقه.

على ولده أو ولد على والديه فحسب وقيل: أراد بالقرابة قرابة رسول الله ﷺ وتقدم الكلام على المسكين وابن السبيل ﴿**ولا تبذر تبذيراً**﴾ أي لا تنفق مالك في المعصية. وقيل: لو أنفق الإنسان ماله كله في الحق لم يكن مبذراً ولو أنفق درهماً أو مداً في باطل كان مبذراً. وسئل ابن مسعود عن التبذير فقال: إنفاق المال في غير حقه. وقيل: هو إنفاق المال في العمارة على وجه السرف وقيل: إن بعضهم أنفق نفقة في خير فأكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير ﴿**إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين**﴾ يعني أولياءهم وأصدقاءهم لأنهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الإسراف، وقيل: أمثالهم في الشر وهذا غاية المذمة لأنه أشر من الشياطين، والعرب تقول لكل من هو ملازم سنة قوم: هو أخوهم ﴿**وكان الشيطان لربه كفوراً**﴾أي جحوداً للنعمة فما ينبغي أن يطاع لأنه يدعو إلى مثل عمله. قوله عز وجل ﴿**وإما تعرضن عنهم**﴾ نزلت في مهجع وبلال وصهيب وسالم وخباب كانوا يسألون النبي ﷺ في الأحايين ما يحتاجون إليه، ولا يجد فيعرض عنهم حياء منهم ويمسك عن القول فنزلت هذه الآية. والمعنى: وإن تعرض عن هؤلاء الذين أمرت أن تؤتيهم ﴿**ابتغاء رحمة من ربك ترجوها**﴾ أي انتظار رزق من الله ترجوه أن يأتيك ﴿**فقل لهم قولاً ميسوراً**﴾ أي ليناً جميلاً أي عدهم وعداً طيباً، تطيب به قلوبهم. وقيل: هو أن يقول رزقنا الله وإياكم من فضله. قوله سبحانه وتعالى ﴿**ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك**﴾ قال جابر: أتى صبي فقال يا رسول الله إن أمي تستكسيك درعاً ولم يكن لرسول الله ﷺ إلا قميصه فقال للصبي: من ساعة إلى ساعة يظهر كذا فعد إلينا وقتاً آخر فعاد إلى أمه فقالت: قل له إن أمي تستكسيك الدرع الذي عليك، فدخل رسول الله ﷺ داره ونزع قميصه وأعطاه وقعد عرياناً فأذن بلال بالصلاة، وانتظره فلم يخرج فشغل قلوب أصحابه فدخل عليه بعضهم فرآه عرياناً فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية، ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك أي لا تمسك يدك عن النفقة في الحق والخير كالمغلولة يده لا يقدر على مدها ﴿**ولا تبسطها**﴾ أي بالعطاء ﴿**كل البسط**﴾ أي فتعطي جميع ما عندك. وقيل: هذا تمثيل لمنع الشحيح، وإعطاء المسرف أمر

﴿ **إنّ المبذرين كانوا إخوان الشياطين** ﴾، أي: أولياءهم، والعرب تقول لكل ملازم سنة قوم هو أخوهم. ﴿ **وكان الشيطان لربه كفوراً** ﴾، جحوداً لنِعَمِه.

﴿ **وإما تعرضنّ عنهم** ﴾، نزلت في مهجع وبلال وصهيب وسالم وخباب كانوا يسألون النبي ﷺ في الأحايين ما يحتاجون إليه ولا يجد فيعرض عنهم حياءً منهم ويمسك عن القول، فنزل ﴿ **وإما تعرضنّ عنهم** ﴾، وإن تعرض عن هؤلاء الذين أمرتك أن تؤتيهم، ﴿ **ابتغاء رحمة من ربك ترجوها** ﴾، انتظار رزق من الله ترجوه أن يأتيك، ﴿ **فقلْ لهم قولاً ميسوراً** ﴾ ليّناً وهي العدة، أي: عِدْهم وَعْداً جميلاً. وقيل: القول الميسور أن تقول رزقنا الله وإيّاك.

﴿ **ولا تجعلْ يدكَ مغلولةً إلى عنقك** ﴾، قال جابر: إني صبي فقال: يا رسول الله إن أُمي تستكسيك درعاً ولم يكن لرسول الله ﷺ إلاّ قميصه، فقال للصبي: من ساعة إلى ساعة يظهر كذا، فَعُدْ إلينا وقتاً آخر، فعاد إلى أُمه فقالت: قل له إن أُمي تستكسيك الدرع الذي عليك، فدخل رسول الله ﷺ داره فنزع قميصه فأعطاه إيّاه وقعد عرياناً فأذّن بلال بالصلاة فانتظروه فلم يخرج، فشغل قلوب أصحابه فدخل عليه بعضهم فرآه عرياناً فأنزل الله تعالى ﴿ **ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك** ﴾، يعني: ولا تمسك يدك عن النفقة في الحق كالمغلولة يده لا يقدر على مدّها، ﴿ **ولا تبسطها** ﴾، بالعطاء، ﴿ **كل البسط** ﴾، فتعطي جميع ما عندك، ﴿ **فتقعد ملوماً** ﴾، يلومك سائلوك بالإمساك إذا لم تعطهم، والملوم الذي أتى بما يلوم نفسه أو يلوم غيره، ﴿ **محسوراً** ﴾ منقطعاً لا شيء عندك تنفقه. يقال: حسرته بالمسألة إذا ألحفت عليه ودابّة حسيرة إذا كانت كالّة رازحة. قال قتادة: ﴿ **محسوراً** ﴾ نادماً على ما فرط منك.

بالاقتصاد الذي هو بين الإسراف والتقتير ﴿فتقعد ملوماً﴾ أي عند الله لأن المسرف غير مرضي عنده، وقيل ملوماً عند نفسك وأصحابك أيضاً يلومونك على تضييع المال بالكلية وقيل: يلومك سائلوك على الإمساك إذا لم تعطهم ﴿محسوراً﴾ أي منقطعاً لا شيء عندك تنفقه وقيل: محسوراً أي نادماً على ما فرط منك. ثم سلّى رسول الله ﷺ عما كان يرهقه من الإضافة بأن ذلك ليس لهوان بك عليه ولا لبخل منه عليك فقال تعالى ﴿إن ربك يبسط﴾ أي يوسع ﴿الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ أي يقتر ويضيق، وذلك لمصلحة العباد ﴿إنه كان بعباده خبيراً بصيراً﴾ يعني أنه سبحانه وتعالى عالم بأحوال جميع عباده، وما يصلحهم فالتفاوت في أرزاق العباد ليس لأجل البخل بل لأجل رعاية مصالح العباد. قوله عز وجل ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾ أي فاقة وفقر ﴿نحن نرزقهم وإياكم﴾ وذلك أن أهل الجاهلية، كانوا يئدون بناتهم خشية الفاقة أو يخافون عليهم من النهب والغارات، أو أن ينكحوهن لغير أكفاء لشدة الحاجة وذلك عار شديد عندهم فنهاهم الله عن قتلهن وقال نحن نرزقهم وإياكم، يعني أن الأرزاق بيد الله فكما أنه فتح أبواب الرزق على الرجال فكذلك يفتحه على النساء ﴿إن قتلهم كان خطأ كبيراً﴾ أي إثماً كبيراً ﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة﴾ أي قبيحة زائدة على حد القبح ﴿وساء سبيلاً﴾ أي بئس طريقاً طريقه، وهو أن تغصب امرأة غيرك أو أخته أو بنته من غير سبب والسبب ممكن وهو الصهر الذي شرعه الله تعالى قيل: إن الزنا يشتمل على أنواع من المفاسد منها المعصية وإيجاب الحد على نفسه، ومنها اختلاط الأنساب فلا يعرف الرجل ولد من هو ولا يقوم أحد بتربيته وذلك يوجب ضياع الأولاد، وانقطاع النسل وذلك يوجب خراب العالم. قوله عز وجل ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ الأصل في القتل هو الحرمة المغلظة، وحل القتل إنما ثبت بسبب عارض، فلما كان كذلك نهى الله عن القتل على حكم الأصل ثم استثنى الحالة التي يحصل فيها حل القتل، وهي الأسباب العرضية فقال إلا بالحق أي إلا بإحدى ثلاث كما روي عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال «لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله

﴿ إنّ ربَّك يبسط ﴾، يوسع ﴿ الرزق لمَن يشاء ويقدر ﴾، أي: يقتّر ويضيق، ﴿ إنه كان بعباده خبيراً بصيراً ﴾.

قوله تعالى: ﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق ﴾، فقر، ﴿ نحن نرزقهم وإيّاكم ﴾، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يئدون بناتهم خشية الفاقة فنُهوا عنه، وأُخبِروا أن رزقهم ورزق أولادهم على الله تعالى، ﴿ إنّ قتلهم كان خِطأً كبيراً ﴾، قرأ ابن عامر وأبو جعفر «خطأً» بفتح الخاء والطاء مقصوراً. وقرأ ابن كثير بكسر الخاء ممدوداً وقرأ الآخرون بكسر الخاء وجزم الطاء ومعنى الكل واحد، أي: إثماً كبيراً.

﴿ ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشةً وساء سبيلاً ﴾.

﴿ ولا تقتلوا النفسَ التى حرّم الله إلاّ بالحق ﴾، وحقّها ما روينا أن النبي ﷺ قال: «لا يحلّ دمُ امرىءٍ مسلم إلاّ بإحدى ثلاث: رجل كفر بعد إيمانه أو زنى بعد إحصانه أو قتل نفساً بغير نفس فيقتـل بها». ﴿ومَن قُتِـلَ مظلومـاً فقد جعلنا لوليّه سلطاناً ﴾، أي: قوة ولاية على القاتل بالقتل، قاله مجاهد، وقال الضحاك: سلطانه هو أنه يتخيّر فإن شاء استقاد منه وإن شاء أخذ الديّة، وإن شاء عفا عنه. ﴿ فلا يُسرفْ في القتل ﴾، قرأ حمزة والكسائي: «فـلا تسـرف» بالتاء يخاطب وليّ القتيل، وقرأ الآخرون بالياء على الغائب أي: لا يسرف الوليّ في القتل، واختلفوا في هذا الإسراف الذي منع منه وليّ القتيل، فقال ابن عباس وأكثر المفسّرين: معناه لا يقتل غير القاتل وذلك أنهم كانوا في الجاهلية إذا قُتل منهم قتيل لا يرضون بقتل قاتله حتى يُقتَل أشرف منه. وقال سعيد بن جبير: إذا كان القاتل واحداً فلا يقتل جماعة بدل واحد، وكان أهل الجاهلية إذا كان المقتول شريفاً لا يرضون بقتل القاتل وحده حتى

وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة». أخرجاه في الصحيحين ﴿**ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً**﴾ أي قوة وولاية على القاتل بالقتل وقيل: سلطانه هو أنه يتخير فإن شاء استقاد منه وإن شاء أخذ الدية وإن شاء عفا ﴿**فلا يسرف في القتل**﴾ أي الولي قال ابن عباس: لا يقتل غير القاتل وذلك أنهم كانوا في الجاهلية إذا قتل منهم قتيل لا يرضون بقتل قاتله حتى يقتل أشرف منه. وقيل معناه إذا كان القتيل واحداً فلا يقتل به جماعة بل بواحد وكان أهل الجاهلية إذا كان المقتول شريفاً فلا يرضون بقتل القاتل وحده حتى يقتلوا معه جماعة من أقربائه، وقيل معناه أن لا يمثل بالقاتل ﴿**إنه كان منصوراً**﴾ قيل الضمير راجع للمقتول ظلماً يعني أنه منصور في الدنيا بايجاب القود على قاتله وفي الآخرة بتكفير خطاياه وايجاب النار لقاتله، وقيل: الضمير راجع إلى ولي المقتول معناه: إنه كان منصوراً على القاتل باستيفاء القصاص منه أو الدية وقيل في قوله: فلا يسرف في القتل أراد به القاتل المتعدي بالقتل بغير الحق فإنه إن فعل ذلك فولي القتيل منصور عليه باستيفاء القصاص منه.

قوله سبحانه وتعالى ﴿**ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن**﴾ أي الطريقة التي هي أحسن، وهي تنميته وحفظه عليه ﴿**حتى يبلغ أشده**﴾ وهو بلوغ النكاح والمراد ببلوغ الأشد كمال عقله ورشده بحيث يمكنه القيام بمصالح ماله، وإلا لم ينفك عنه الحجر ﴿**وأوفوا بالعهد**﴾ أي الإتيان بما أمر الله به والانتهاء عما نهي عنه وقيل: أراد **بالعهد** ما يلتزمه الإنسان على نفسه ﴿**إن العهد كان مسؤولاً**﴾ أي عنه وقيل مطلوباً وقيل: العهد يسأل فيقال فيم نقضت كالموؤدة تسأل فيم قتلت. قوله عز وجل ﴿**وأوفوا الكيل إذا كلتم**﴾ المراد منه إتمام الكيل ﴿**وزنوا بالقسطاس المستقيم**﴾ قيل هو الميزان صغيراً كان أو كبيراً، من ميزان الدراهم إلى ما هو أكبر منه وقيل: هو القبان قيل هو رومي وقيل: سرياني والأصح أنه عربي مأخوذ من القسط وهو العدل، أي وزنوا بالعدل المستقيم، واعلم أن التفاوت الحاصل بسبب نقصان الكيل والوزن قليل والوعيد الحاصل عليه شديد عظيم، فوجب على العاقل الاحتراز عنه وإنما عظم الوعيد فيه لأن جميع الناس محتاجون إلى المعاوضات والبيع والشراء، فالشارع بالغ في المنع من التطفيف والنقصان، سعياً في

يقتلوا معه جماعة من أقربائه. وقال قتادة: معناه لا يمثل بالقاتل. ﴿ **إنه كان مَنصوراً** ﴾، فالهاء راجعة إلى المقتول في قوله: ﴿ **ومَن قُتل مظلوماً** ﴾ يعني: أن المقتول منصور في الدنيا بإيجاب القود على قاتله، وفي الآخرة بتكفير خطاياه وإيجاب النار لقاتله، هذا قول مجاهد، وقال قتادة: الهاء راجعة إلى وليِّ المقتول معناه أنه منصور على القاتل باستيفاء القصاص منه أو الدية. وقيل في قوله: ﴿ **فلا يسرف في القتل** ﴾ أنه أراد به القاتل المعتدي، يقول: لا يعتدي بالقتل بغير الحق فإنه إن فعل ذلك فوليّ المقتول منصور عليه باستيفاء القصاص منه.

﴿ **ولا تقربوا مال اليتيم إلّا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشدَّه وأوفُوا بالعهد** ﴾، بالإتيان بما أمر الله به والانتهاء عمّا نهى الله عنه. وقيل: أراد بالعهد أن يلتزمه الإنسان على نفسه، ﴿ **إنّ العهدَ كان مسئولاً** ﴾ وقال السدي: كان مطلوباً. وقيل: العهد يسأل عن صاحب العهد، فيقال: فيما نقضت كالمؤودة تسأل فيمَ قُتلت.

﴿ **وأوفوا الكيل إذا كِلْتُم وزنُوا بالقسطاس** ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص ﴿ **بالقِسطاس** ﴾ بكسر القاف والباقون بضمه، وهما لغتان وهو الميزان صغيراً كان أو كبيراً أي: بميزان العدل. وقال الحسن: هو القبّان. قال مجاهد: هو رومي. وقال غيره: هو عربي مأخوذ من القسط وهو العدل، أي: زنوا بالعدل. ﴿ **المستقيم ذلك خيرٌ وأحسن تأويلاً** ﴾، أي: عاقبة.

﴿ **ولا تَقفُ ما ليس لك به علم** ﴾، قال قتادة: لا تقل رأيت ولم تره وسمعت ولم تسمعه وعلمت ولم تعلمه. وقال مجاهد: لا ترمِ أحداً بما ليس لك به علم. قال القتيبي: لا تتبعه بالحدس والظن. وهو في اللغة اتّباع الأثر، يقال: قفوت فلاناً أقفوه وقفيته وأقفيته إذا اتّبعت أثره، وبه سمّيت القافية لتتبعهم الآثار. قال القتيبي: هو مأخوذ من

إبقاء الأموال على أربابها ﴿ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾ أي أحسن عاقبة من آل إذا رجع، وهو ما يؤول إليه أمره. قوله سبحانه وتعالى ﴿ولا تقفُ﴾ أي ولا تتبع ﴿ما ليس لك به علم﴾ أي لا تقل رأيت ولم تر وسمعت ولم تسمع وعلمت ولم تعلم. وقيل: معناه لا ترم أحداً بما ليس لك به علم وقيل لا يتبعه بالحدس والظن وقيل: هو مأخوذ من القفا كأنه يقفو الأمور، ويتتبعها ويتعرفها والمراد أنه لا يتكلم في أحد بالظن ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾ معناه يسأل المرء عن سمعه وبصره وفؤاده، وقيل يسأل السمع والبصر والفؤاد، عما فعله المرء فعلى هذا ترجع الإشارة في أولئك إلى الأعضاء، وعلى القول الأول ترجع إلى أربابها. عن شكل بن حميد قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: يا نبي الله علمني تعويذاً أتعوذ به قال: فأخذ بيدي ثم قال: «قل أعوذ بك من شر سمعي وشر بصري وشر فؤادي وشر لساني وشر قلبي وشر منيي قال فحفظتها» أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي. وقال حديث حسن غريب. قوله: وشر منيي يعني ماءه وذكره. قوله عز وجل ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً﴾ أي بطراً وكبراً وخيلاء ﴿إنك لن تخرق الأرض﴾ أي لن تقطها بكبرك حتى تبلغ آخرها ﴿ولن تبلغ الجبال طولاً﴾ أي لا تقدر أن تطاول الجبال، وتساويها بكبرك والمعنى أن الإنسان لا ينال بكبره وبطره شيئاً كمن يريد خرق الأرض ومطاولة الجبال، لا يحصل على شيء. وقيل: إن الذي يمشي مختالاً يمشي مرة على عقبيه، ومرة على صدور قدميه فقيل له: إنك لن تنقب الأرض إن مشيت على عقبيك ولن تبلغ الجبال طولاً إن مشيت على صدور قدميك. عن علي قال: كان رسول الله ﷺ إذا مشى تكفأ تكفؤاً كأنما ينحط من صبب. أخرجه الترمذي في الشمائل. قوله تكفؤاً: التكفؤ التمايل في المشي إلى

القفو كأنه يقفو الأمور، أي: يكون في إقفائها يتبعها ويتعرّفها. وحقيقة المعنى: لا تتكلم أيّها الإنسان بالحدس والظن. ﴿ إنّ السمعَ والبصر والفؤادَ كلُّ أولئك كان عنه مسئولاً ﴾، قيل: معناه يسأل المرء عن سمعه وبصره وفؤاده. وقيل: يسأل السمع والبصر والفؤاد عمّا فعله المرء. وقوله: ﴿ كل أولئك ﴾ أي كل هذه الجوارح والأعضاء، وعلى القول الأول يرجع أولئك إلى أربابها، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو طاهر أحمد بن محمد بن الحسن أنا أبو علي حامد بن محمد الرفاء ثنا أبو الحسن علي بن عبد العزيز أنا الفضل بن دكين ثنا سعيد بن أوس العبسي حدّثني بلال بن يحيى العبسي أن شتير بن شكل أخبره عن أبيه شكل بن حميد قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله علّمني تعويذاً أتعوّذ به، قال: فأخذ بيدي ثم قال: «قل اللّهمَّ إني أعوذ بك من شرِّ سمعي وشرِّ بصري وشرِّ لساني وشرِّ قلبي وشرِّ مَنِيِّ» قال: فحفظتها قال سعيد: المني ماؤه.

﴿ ولا تمشِ في الأرض مرحاً ﴾، أي بطراً وكِبَراً وخُيلاءُ وهو تفسير المشي فلذلك أخرجه على المصدر، ﴿ إنك لن تخرق الأرض ﴾ أي: لن تقطعها بكبرك حتى تبلغ آخرها، ﴿ ولن تبلغ الجبال طولاً ﴾ أي: لا تقدر أن تطاول الجبال وتساويها بكبرك، معناه أن الإنسان لا ينال بكبره وبطره شيئاً كَمن يريد خرق الأرض ومطاولة الجبال لا يحصل على شيء. وقيل: ذكر ذلك لأن مَن مشى مختالاً يمشي مرة على عقبه ومرة على صدور قدميه، فقيل له: إنك لن تنقب الأرض إن مشيت على عقبيك، ولن تبلغ الجبال طولاً إن مشيت على صدور قدميك. أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي أنا أبو الهيثم بن كليب ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا سفيان بن وكيع ثنا أبي عن المسعودي عن عثمان بن مسلم بن هرمز عن نافع بن جبير بن مطعم عن علي قال: كان رسول الله ﷺ إذا مشى يتكفأ تكفؤاً كأنما ينحطّ من صبب. أخبرنا أبو محمد الجرجاني أنا أبو القاسم الخزاعي أنا الهيثم بن كليب ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا قتيبة بن سعيد ثنا ابن لهيعة عن أبي يونس عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: رأيتُ شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ كأنّ الشمس تجري في وجهه، وما رأيتُ أحداً أسرعَ في مشيه من رسول الله ﷺ كأنما الأرض تُطوى له، إنّا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث.

قدام، وقوله كأنما ينحط من صبب هو قريب من التكفؤ أي كأنه ينحدر من موضع عال، عن أبي هريرة قال: ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ كأن الشمس تجري في وجهه، وما رأيت أحداً أسرع في مشيه من رسول الله ﷺ كأنما الأرض تطوى له إنا لنجهد أنفسنا. وإنه لغير مكترث. أخرجه الترمذي. قوله: لغير مكترث أي شاق والاكتراث الأمر الذي يشق على الإنسان ﴿كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروهاً﴾ أي ما ذكر من الأمور التي نهى الله عنها فيما تقدم. فإن قلت: كيف قيل: سيئة مع قوله مكروهاً؟ قلت: قيل فيه تقديم وتأخير تقديره كل ذلك كان مكروهاً سيئة عند ربك وقوله: مكروهاً على التكرير لا على الصفة أي كل ذلك كان سيئة وكان مكروهاً وقيل إنه يرجع إلى المعنى دون اللفظ، لأن السيئة الذنب وهو مذكر. قوله سبحانه وتعالى:

﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدۡحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ﴿٤٢﴾ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا ﴿٤٦﴾﴾

﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما تقدم من الأوامر والنواهي في هذه الآيات ﴿مما أوحى إليك ربك من الحكمة﴾ أي إن الأحكام المذكورة في هذه الآيات شرائع واجبة الرعاية في جميع الأديان والملل لا تقبل النسخ والإبطال فكانت محكمة وحكمة بهذا الاعتبار. وقيل: إن حاصل هذه الآيات يرجع إلى الأمر بالتوحيد وأنواع البر والطاعات والإعراض عن الدنيا والإقبال على الآخرة وذلك من الحكمة. قيل: إن هذه الآيات كانت في ألواح موسى عليه السلام أولها: ولا تجعل مع الله إلهاً آخر. قال الله سبحانه وتعالى وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة، واعلم أن الله

﴿ كل ذلك كان سيئة عندَ ربِّك مكروهاً ﴾، قرأ ابن عامر وأهل الكوفة برفع الهمزة وضمّ الهاء على الإضافة، ومعناه كل الذي ذكرنا من قوله: ﴿ وقضى ربّك ألاّ تعبدوا إلاّ إيّاه ﴾ [الإسراء: ٢٣] ﴿ كان سيئة ﴾ أي: سيء ما عددنا عليك عند ربك مكروهاً لأن فيما عددنا أموراً حسنة كقوله: ﴿ وآتِ ذَا القربى حقّه ﴾ [الإسراء: ٢٦] ﴿ واخفض لهما جناح الذلّ ﴾ [الإسراء: ٢٤] وغير ذلك، وقرأ الآخرون ﴿ سيئة ﴾ منصوبة منوّنة يعني: كل الذي ذكرنا من قوله: ﴿ ولا تقتلوا أولادكم ﴾ إلى هذا الموضع سيئة لا حسنة فيه، إذ الكل يرجع إلى المنهي عنه دون غيره، ولم يقل مكروهة لأن فيه تقديماً وتأخيراً تقديره كل ذلك كان مكروهاً سيئة. وقوله: ﴿ مكروهاً ﴾ على التكرير لا على الصفة مجازه كل ذلك كان سيئة وكان مكروهاً، راجع إلى المعنى دون اللفظ، لأن السيئة الذنب وهو مذكّر.

﴿ ذلك ﴾، الذي ذكرناه، ﴿ مما أوحى إليكَ رَبُّكَ من الحكمة ﴾، وكل ما أمر الله به أو نهى الله عنه فهو حكمة. ﴿ ولا تجعلْ مع الله إلهاً آخر ﴾، خاطب النبي ﷺ في هذه الآيات والمراد منه الأمة، ﴿ فتُلقى في جهنّم ملوماً مدحوراً ﴾، مطروداً مُبعداً من كل خير.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ أَفأَصفاكم ربكم ﴾، أي: اختاركم فجعل لكم الصفوة ولنفسه ما ليس بصفوة، يعني

سبحانه وتعالى: افتتح هذه الآيات بالأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك وختمها به، والمقصود منه التنبيه على أن كل قول وعمل يجب أن يكرر فيه التوحيد لأنه رأس كل حكمة، وملاكها ومن عدمه لم ينفعه شيء ثم إنه سبحانه وتعالى ذكر في الآية الأولى أن الشرك يجب أن يكون صاحبه مذموماً مخذولاً وقال في هذه الآية **﴿ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً﴾** والفرق بين المذموم والملوم أما كونه مذموماً فمعناه، أن يذكر له أن الفعل الذي أقدم عليه قبيح ومنكر فهذا معنى كونه مذموماً ثم يقال له: لم فعلت هذا الفعل القبيح وما الذي حملك عليه، وهذا هو اللوم والفرق بين المخذول والمدحور أن المخذول هو الضعيف الذي لا ناصر له، والمدحور هو المبعد المطرود عن كل خير. قوله سبحانه وتعالى **﴿أفأصفاكم ربكم﴾** يعني أفخصكم واختاركم فجعل لكم الصفوة ولنفسه ما ليس بصفوة **﴿بالبنين﴾** يعني اختصكم بأفضل الأولاد وهم البنون **﴿واتخذ من الملائكة إناثاً﴾** لأنهم كانوا يقولون: الملائكة بنات الله مع علمهم بأن الله سبحانه وتعالى هو الموصوف بالكمال الذي لا نهاية له وهذا يدل على نهاية جعل القائلين بهذا القول **﴿إنكم لتقولون قولاً عظيماً﴾** يخاطب مشركي مكة يعني بإضافتهم إليه الأولاد وهي خاصة بالأجسام، ثم إنهم يفضلون عليه أنفسهم حيث يجعلون له ما يكرهون لأنفسهم يعني البنات. قوله سبحانه وتعالى **﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن﴾** يعني العبر والحكم والأمثال والأحكام والحجج والإعلام والتشديد في صرفنا للتكثير والتكرير **﴿ليذكروا﴾** أي ليتعظوا ويعتبروا **﴿وما يزيدهم﴾** أي تصريفنا وتذكيرنا **﴿إلا نفوراً﴾** أي تباعداً عن الحق **﴿قل﴾** أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين **﴿لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا﴾** أي لطلبوا يعني هؤلاء الآلهة **﴿إلى ذي العرش سبيلاً﴾** أي بالمبالغة والقهر ليزيلوا ملكه كفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض. وقيل: معناه لتقربوا إليه. وقيل: معناه لتعرفوا إليه فضله فابتغوا ما يقربهم إليه والأول أصح، ثم نزه نفسه فقال عز وجل **﴿سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً﴾** معنى وصفه بذلك المبالغة في البراءة والبعد عما يصفونه. قوله عز وجل **﴿تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن﴾** يعني الملائكة والإنس والجن **﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾** قال ابن عباس: وإن من شيء حي إلا

اختاركم، **﴿ بالبنين واتخذَ من الملائكة إناثاً ﴾** لأنهم كانوا يقولون الملائكة بنات الله، **﴿ إنكم لتقولون قولاً عظيماً ﴾**، يخاطب مشركي مكة.

﴿ ولقد صرّفنَا في هذا القرآن ﴾، يعني الصبر والحكم والأمثال والأحكام والحجج والإعلام والتشديد للتكثير والتكرير، **﴿ ليذّكّروا ﴾** أي: ليتذكروا ويتّعظوا، وقرأ حمزة والكسائي بإسكان الذال وضمّ الكاف وكذلك في الفرقان. **﴿ وما يزيدهم ﴾**، تصريفنا وتذكيرنا وتكريرنا، **﴿ إلا نفوراً ﴾**، ذهاباً وتباعداً عن الحق.

﴿ قلْ ﴾، يا محمد لهؤلاء المشركين، **﴿ لو كان معه آلهةٌ كما يقولون ﴾**، قرأ حفص وابن كثير **﴿ يقولون ﴾** بالياء وقرأ الآخرون بالتاء، **﴿ إذاً لابتَغوا ﴾**، لطلبوا يعني الآلهة **﴿ إلى ذي العرش سبيلاً ﴾**، بالمبالغة والقهر ليزيلوا ملكه، كفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض. وقيل: معناه لطلبوا إلى ذي العرش سبيلاً بالتقرّب إليه. قال قتادة: لعرفوا الله بفضله وابتغوا ما يقرّبهم إليه. والأول أصحّ، ثم نزّه نفسه.

فقال عزّ من قائل: **﴿ سبحانه وتعالى عمّا يقولون ﴾**، قرأ حمزة والكسائي (تقولون) بالتاء والآخرون بالياء، **﴿ علوّاً كبيراً ﴾**.

﴿ تسبّح له السمواتُ السبعُ والأرضُ ومَن فيهنّ ﴾، قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وحفص ويعقوب **﴿ تسبّح ﴾** بالتاء وقرأ الآخرون بالياء للحائل بين الفعل والتأنيث، **﴿ وإنْ من شيء إلاّ يسبّح بحمده ﴾**، رُوِيَ عن ابن عباس أنه قال: وإن من شيء حيّ إلاّ يسبّح بحمده. وقال قتادة: يعني الحيوانات والناميات. وقال عكرمة:

يسبح. وقيل: جميع الحيوانات والنباتات. قيل: إن الشجرة تسبح والاسطوانة لا تسبح. وقيل: إن التراب يسبح ما لم يبتل، فإذا ابتل ترك التسبيح، وإن الخرزة تسبح ما لم ترفع من موضعها، فإذا رفعت تركت التسبيح. وإن الورقة تسبح ما دامت على الشجرة، فإذا سقطت تركت التسبيح، وإن الماء يسبح ما دام جارياً فإذا ركد ترك التسبيح وإن الثوب يسبح ما دام جديداً فإذا اتسخ ترك التسبيح وإن الوحش والطير لتسبح إذا صاحت، فإذا سكتت تركت التسبيح وإن من شيء جماد أوحيّ إلا يسبح بحمده حتى صرير الباب ونقيض السقف وقيل: كل الأشياء تسبح الله حيواناً كان أو جماداً وتسبيحها: سبحان الله وبحمده، ويدل على ذلك ما روي عن ابن مسعود قال: كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفاً كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقل الماء فقال: «اطلبوا فضلة من ماء فجاؤوا بإناء فيه قليل، فأدخل يده ﷺ في الإناء ثم قال: حي على الطهور المبارك، والبركة من الله». فقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل. أخرجه البخاري (م) عن جابر بن سمرة أن رسول الله ﷺ قال «إن بمكة حجراً كان يسلم علي ليالي بعثت وإني لأعرفه الآن» (خ) عن ابن عمر قال: «كان رسول الله ﷺ يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحن الجذع فأتاه فمسح بيده عليه» وفي رواية «فنزل فاحتضنه وسارَّه بشيء» ففي هذه الأحاديث دليل على أن الجماد يتكلم وأنه يسبح، وقال بعض أهل المعاني: تسبيح السموات والأرض، والجمادات والحيوانات سوى العقلاء بلسان الحال، بحيث تدل على الصانع وقدرته ولطيف حكمته فكأنها تنطق بذلك، ويصير لها بمنزلة التسبيح والقول الأول أصح كما دلت عليه الأحاديث، وأنه منقول عن السلف. واعلم أن لله تعالى علماً في الجمادات لا يقف عليه غيره فينبغي أن نكل علمه إليه. وقوله تعالى ﴿**ولكن لا تفقهون تسبيحهم**﴾ أي لا تعلمون ولا تفهمون تسبيحهم، ماعدا من يسبح بلغتكم ولسانكم ﴿**إنه كان حليماً غفوراً**﴾ أي حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على

الشجرة تسبّح والأسطوانة لا تسبّح. وعن المِقدام بن معد يكرب قال: إن التراب يسبّح ما لم يبتلّ، فإذا ابتلّ ترك التسبيح، وإن الخرزة تسبّح ما لم تُرفَع من موضعها، فإذا رُفِعَت تركت التسبيح، وإن الورقة لتسبّح ما دامت على الشجرة فإذا سقطت تركت التسبيح، وإن الثوب ليسبّح ما دام جديداً فإذا وُسِّخ ترك التسبيح، وإن الماء يسبّح ما دام جارياً فإذا ركد ترك التسبيح، وإن الوحش والطير تسبّح إذا صاحت فإذا سكنت تركت التسبيح. وقال إبراهيم النخعي: وإن من شيء جماد إلّا يسبّح بحمده حتى صرير الباب ونقيض السقف. وقال مجاهد: كل الأشياء تسبّح لله حيّاً كان أو ميتاً أو جماداً وتسبيحها سبحان الله وبحمده. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن المثنى أنا أبو أحمد الزبير أنا إسرائيل عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: كنّا نعدّ الآيات بركة وأنتم تعدّونها تخويفاً كنّا مع رسول الله ﷺ في سفر فقلّ الماء فقال: «اطلبوا فضلة من ماء فجاؤوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء ثم قال: حيَّ على الطهور المبارك والبركة من الله»، فلقد رأيت الماء ينبع من أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كنّا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل. وقال بعض أهل المعاني: تسبّح السمٰوات والأرض والجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء ما دامت تدلّ بلطيف تركيبها وعجيب هيئتها على خالقها، فيصير ذلك بمنزلة التسبيح منها. والأول هو المنقول عن السلف واعلم أن الله تعالى علماً في الجمادات لا يقف عليه غيره فينبغي أن يوكل علمه إليه. ﴿ **ولكن لا تفقهون تسبيحهم** ﴾، أي لا تعلمون تسبيح ما عدا من يسبّح بلغاتكم وألسنتكم، ﴿ **إنه كان حليماً غفوراً** ﴾.

﴿ **وإذا قرأتَ القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يُؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً** ﴾، يحجب قلوبهم عن فهمه والانتفاع به. قال قتادة: وهو الأكنّة، والمستور بمعنى الساتر كقوله: ﴿ وكان وعده مأتيّاً ﴾ [مريم: ٦١] مفعول بمعنى فاعل. وقيل: مستور عن أعين الناس فلا يرونه. وفسّره بعضهم بالحجاب عن الأعين. الظاهر كما رُوِيَ عن

غفلتكم وجهلكم بالتسبيح. قوله عز وجل ﴿**وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً**﴾ أي يحجب قلوبهم عن فهمه والانتفاع به، وقيل: معناه مستوراً عن أعين الناس فلا يرونه كما روي عن سعيد بن جبير أنه قال: «لما نزلت تبت يدا أبي لهب جاءت امرأة أبي لهب ومعها حجر والنبي ﷺ مع أبي بكر فلم تره فقالت لأبي بكر: أين صاحبك لقد بلغني أنه هجاني فقال لها أبو بكر والله ما ينطق بالشعر، ولا يقوله فرجعت وهي تقول قد كنت جئت بهذا الحجر لأرضخ رأسه فقال أبو بكر: ما رأتك يا رسول الله. قال: لا لم يزل ملك بيني وبينها» ﴿**وجعلنا على قلوبهم أكنة**﴾ أي أغطية ﴿**أن يفقهوه**﴾ أي لئلا يفهموه ﴿**وفي آذانهم وقراً**﴾ أي ثقلاً لئلا يسمعوه ﴿**وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده**﴾ يعني إذا قلت لا إله إلا الله وأنت تتلو القرآن ﴿**ولّوا على أدبارهم نفوراً**﴾ جمع نافر.

نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾
ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا
جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى
فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ
فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ
بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ
أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ
زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ
يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾

﴿**نحن أعلم بما يستمعون به**﴾ أي من الهزء بك وبالقرآن وقيل: معناه نحن أعلم بالوجه الذي يستمعون به وهو التكذيب ﴿**إذ يستمعون إليك**﴾ أي وأنت تقرأ القرآن ﴿**وإذ هم نجوى**﴾ أي وبما يتناجون به في أمرك، وقيل: معناه ذوو نجوى بعضهم يقول: هو مجنون وبعضهم يقول هو كاهن وبعضهم يقول ساحر أو شاعر ﴿**إذ يقول الظالمون**﴾ يعني الوليد بن المغيرة وأصحابه ﴿**إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً**﴾ أي مطبوباً وقيل مخدوعاً وقيل: معناه أنه سحر

سعيد بن جبير أنه لمّا نزلت: ﴿ تبّت يدا أبي لهب ﴾ [المسد: ١] جاءت امرأة أبي لهب ومعها حجر والنبي ﷺ مع أبي بكر فلم تره، فقالت لأبي بكر: أين صاحبك لقد بلغني أنه هجاني؟ فقال: والله ما ينطق عن الهوى ولا ينطق بالشعر ولا يقوله، فرجعت وهي تقول قد كنت جئت بهذا الحجر لأرضخ رأسه، فقال أبو بكر: ما رأتك يا رسول الله، قال: «لا لم يزل ملك بيني وبينها يسترني».

﴿ **وجعلنا على قلوبهم أكنّة** ﴾، أغطية، ﴿ **أن يفقهوه** ﴾، كراهية أن يفقهوه. وقيل: لئلا يفقهوه، ﴿ **وفي آذانهم وقراً** ﴾، ثقلاً لئلا يسمعوه. ﴿ **وإذا ذكرتَ ربَّك في القرآن وحده** ﴾، يعني إذا قلت: لا إله إلاّ الله في القرآن وأنت تتلوه، ﴿ **ولّوا على أدبارِهم نفوراً** ﴾، جمع نافر مثل قاعد وقعود وجالس وجلوس، أي نافرين.

﴿ **نحن أعلم بما يستمعون به** ﴾، قيل: به صلة أي: يطلبون سمعه، ﴿ **إذ يستمعون إليك** ﴾، وأنت تقرأ القرآن، ﴿ **وإذْ هم نجوى** ﴾، يتناجون في أمرك. وقيل: ذو نجوى، فبعضهم يقول هو مجنون، وبعضهم يقول

فجن. وقيل: هو من السحر وهو الرئة، ومعناه أنه بشر مثلكم يأكل ويشرب قال الشاعر:

أرانـــا مـــوضعيـــن لأمـــر غيـــب ونسخـــر بـــالطعـــام وبـــالشـــراب

أي يغذى بهما ﴿**انظر كيف ضربوا لك الأمثال**﴾ أي الأشباه فقالوا: ساحر شاعر كاهن مجنون ﴿**فضلّوا**﴾ أي في جميع ذلك وحاروا ﴿**فلا يستطيعون سبيلاً**﴾ أي إلى طريق الحق ﴿**وقالوا أئذا كنا عظاماً**﴾ أي بعد الموت ﴿**ورفاتاً**﴾ أي تراباً وقيل: الرفات هي الأجزاء المتفتتة من كل شيء تكسر ﴿**أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً**﴾ فيه أنهم استبعدوا الإعادة بعد الموت والبلى. فقال سبحانه وتعالى رداً عليهم ﴿**قل**﴾ أي قل يا محمد ﴿**كونوا حجارة**﴾ أي في الشدة ﴿**أو حديداً**﴾ أي في القوة وليس هذا بأمر إلزام بل هو أمر تعجيزي أي استشعروا في قلوبكم، أنكم حجارة أو حديد في القوة ﴿**أو خلقاً مما يكبر في صدوركم**﴾ قيل: يعني السماء والأرض والجبال لأنها أعظم المخلوقات. وقيل: يعني به الموت لأنه لا شيء في نفس ابن آدم أكبر من الموت، ومعناه لو كنتم الموت بعينه لأميتنكم ولأبعثنكم ﴿**فسيقولون من يعيدنا**﴾ أي من يبعثنا بعد الموت ﴿**قل الذي فطركم**﴾ أي خلقكم ﴿**أول مرة**﴾ فمن قدر على الإنشاء قدر على الإعادة ﴿**فسينغضون إليك رؤوسهم**﴾ أي يحركونها إذا قلت لهم ذلك مستهزئين بما تقول ﴿**ويقولون متى هو**﴾ يعني البعث والقيامة ﴿**قل عسى أن يكون قريباً**﴾ أي هو قريب ﴿**يوم يدعوكم**﴾ أي من قبوركم إلى موقف القيامة ﴿**فتستجيبون بحمده**﴾ قال ابن عباس: بأمره وقيل بطاعته وقيل مقرين بأنه خالقهم وباعثهم ويحمدونه حين لا ينفعهم الحمد، وقيل: هذا خطاب مع المؤمنين فإنهم يبعثون حامدين ﴿**وتظنون إن لبثتم**﴾ أي في الدنيا وقيل في القبور ﴿**إلا قليلاً**﴾ وذلك لأن الإنسان لو مكث في الدنيا وفي القبر ألوفاً من السنين، عد ذلك قليلاً بنسبة مدة القيامة والخلود في الآخرة، وقيل: إنهم يستحقرون مدة الدنيا في جنب القيامة. قوله سبحانه وتعالى ﴿**وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن**﴾ وذلك

كاهن، وبعضهم يقول ساحر، وبعضهم يقول شاعر. ﴿ **إذْ يقول الظالمون** ﴾، يعني الوليد بن المغيرة وأصحابه، ﴿ **إنْ تتبعون إلاّ رجلاً مسحوراً** ﴾، مطبوباً. وقال مجاهد: مخدوعاً. وقيل: مصروفاً عن الحق. يقال: ما سحرك عن كذا أي ما صرفك عنه؟ وقال أبو عبيدة: أي رجلاً له سحراً، والسحر الرئة أي إنه بشر مثلكم **تغذّى معلّلاً** بالطعام والشراب يأكل ويشرب. قال الشاعر:

أرنـا مـوضعين لأمـر غيب ويسحـر بالـطعام وبـالشراب

أي: يغذّي ويعلّل.

﴿ **انظر** ﴾، يا محمد، ﴿ **كيف ضربوا لكَ الأمثال** ﴾، الأشباه، قالوا: شاعر وساحر وكاهن ومجنون، ﴿ **فضلّوا** ﴾، فحاروا وحادوا، ﴿ **فلا يستطيعون سبيلاً** ﴾ أيْ: وصولاً إلى طريق الحق.

﴿ **وقالوا أئذا كنّا عظاماً ورفاتاً** ﴾ بعد الموت. قال مجاهد: تراباً. وقيل: حطاماً. والرفات: كل ما يُكسَر ويُبلى من كل شيء كالفتات والحطام.

﴿ **أئنّا لمبعوثون خلقاً جديـداً** ﴾.

﴿ **قلْ** ﴾ لهم يا محمد ﴿ **كُونوا حجارةً أو حديداً**﴾، في الشدّة والقوة، وليس هذا بأمر إلزام بل هو أمر تعجيز، أي: استشعروا في قلوبكم أنكم حجارة أو حديد في القوة.

﴿ **أو خلقاً مما يكبر في صدوركم** ﴾، قيل السماء والأرض والجبال. وقال مجاهد وعكرمة وأكثر المفسّرين: إنه الموت، فإنه ليس في نفس ابن آدم شيء أكبر من الموت، أي: ولو كنتم الموت بعينه لأُميتنَّكم ولأَبعثنّكم، ﴿ **فسيقولون مَن يُعيدنا** ﴾، مَن يبعثنا بعد الموت، ﴿ **قل الذي فطركم** ﴾، خلقكم، ﴿ **أول مرة** ﴾، ومَن قدر على

أن المشركين كانوا يؤذون المسلمين، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل. وقل لعبادي يقولوا يعني للكفار التي هي أحسن، أي لا يكافئوهم على سفههم بل يقولون لهم يهديكم الله وكان هذا قبل الإذن في القتال والجهاد. وقيل: نزلت في عمر بن الخطاب وذلك أنه شتمه بعض الكفار، فأمره الله بالعفو. وقيل: أمر الله المؤمنين أن يقولوا ويفعلوا الخلة التي هي أحسن وقيل الأحسن كلمة الإخلاص لا إله إلا الله ﴿**إن الشيطان ينزغ بينهم**﴾ أي يفسد ويلقي العداوة بينهم ﴿**إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً**﴾ أي ظاهر العداوة. قوله عز وجل: ربكم أعلم بكم ﴿**إن يشأ يرحمكم**﴾ أي يوفقكم للإيمان فتؤمنوا ﴿**أو إن يشأ يعذبكم**﴾ أي يميتكم على الشرك فتعذبوا، وقيل معناه إن يشأ يرحمكم فينجيكم من أهل مكة، وإن يشأ يعذبكم أي يسلطهم عليكم ﴿**وما أرسلناك عليهم وكيلاً**﴾ أي حفيظاً وكفيلاً قيل: نسختها آية القتال ﴿**وربك أعلم بمن في السموات والأرض**﴾ يعني أن علمه غير مقصور عليكم بل علمه متعلق بجميع الموجودات والمعدومات ومتعلق بجميع ذات الأرضين والسموات، ويعلم حال كل أحد ويعلم ما يليق به من المصالح والمفاسد وقيل: معناه أنه عالم بأحوالهم واختلاف صورهم وأخلاقهم ومللهم وأديانهم ﴿**ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض**﴾ وذلك أنه اتخذ إبراهيم خليلاً وكلم موسى تكليماً، وقال لعيسى: كن فكان وآتى سليمان ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده وآتى داود زبوراً وذلك قوله تعالى ﴿**وآتينا داود زبوراً**﴾ وهو كتاب أنزله الله على داود يشتمل على مائة وخمسين سورة، كلها دعاء وثناء على الله تعالى وتحميد وتمجيد ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود ولا أحكام. فإن قلت: لم خص داود في هذه الآية بالذكر دون غيره من الأنبياء؟ قلت: فيه وجوه: أحدها أن الله ذكر أنه فضل بعض النبيين على بعض ثم قال تعالى: وآتينا داود زبوراً وذلك أن داود أعطي مع النبوة الملك، فلم يذكره بالملك وذكر ما آتاه من الكتاب تنبيهاً على أن الفضل المذكور في هذه الآية المراد به العلم لا الملك

الإنشاء قدر على الإعادة، ﴿ **فسينغضون إليك رؤوسَهم** ﴾، أي: يحرّكونها إذا قلت لهم ذلك مستهزئين بها، ﴿ **ويقولون متى هو** ﴾، أي: البعث والقيامة، ﴿ **قلْ عسى أن يكون قريباً** ﴾ أي: هو قريب، لأن عسى من الله واجب، نظيره قوله تعالى: ﴿ وما يُدريك لعلّ الساعة تكون قريباً ﴾ [الأحزاب: ٦٣].

﴿ **يوم يدعوكم** ﴾ من قبوركم إلى موقف القيامة، ﴿ **فتستجيبون بحمده** ﴾، قال ابن عباس: بأمره. وقال قتادة: بطاعته. وقيل: مقرّين بأنه خالقهم وباعثهم ويحمدونه حتى لا ينفعهم الحمد. قيل: هذا خطاب مع المؤمنين فإنهم يبعثون حامدين. ﴿ **وتظنُّون إنْ لبثتم** ﴾ في الدنيا أو في القبور، ﴿ **إلاّ قليلاً** ﴾، لأنّ الإنسان لو مكث ألوفاً من السنين في الدنيا أو في القبور عدّ ذلك قليلاً في مدة القيامة والخلود. قال قتادة: يستحقرون مدة الدنيا في جنب القيامة.

قوله تعالى: ﴿ **وقلْ لعبادي يقولوا التي هي أحسنُ** ﴾، قال الكلبي: كان المشركون يؤذون المسلمين فشكوا إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿ **وقلْ لعبادي يقولوا** ﴾ للكافرين ﴿ **التي هي أحسن** ﴾ ولا يكافؤوهم بسفههم. قال الحسن: يقول له يهديك الله. وكان هذا قبل الإذن في الجهاد والقتال. وقيل: نزلت في عمر بن الخطاب شتمه بعض الكفّار فأمره الله بالعفو. وقيل: أمر الله المؤمنين بأن يقولوا ويفعلوا التي هي أحسن أي: الخلّة التي هي أحسن. وقيل: الأحسن: كلمة الإخلاص لا إلّه إلاّ الله. ﴿ **إنّ الشيطان يَنْزَغُ بينهم** ﴾، أي: يفسد ويلقي العداوة بينهم، ﴿ **إنّ الشيطان كان للإنسان عدوًّاً مبيناً** ﴾ ظاهر العداوة.

﴿ **ربكم أعلم بكم إنْ يشأ يَرْحَمْكم** ﴾، يوفّقكم فتؤمنوا، ﴿ **أو إن يشأ يعذِّبْكم** ﴾، يميتكم على الشرك فتعذبوا، قاله ابن جريج. وقال الكلبي: إن يشأ يرحمكم فينجيكم من أهل مكة، وإن يشأ يعذبكم فيسلطهم عليكم، ﴿ **وما أرسلناك عليهم وكيلاً** ﴾ حفيظاً وكفيلاً. قيل: نسختها آية القتال.

والمال. الوجه الثاني: أن الله سبحانه وتعالى كتب له في الزبور أن محمداً خاتم الأنبياء، وأن أمته خير الأمم فلهذا خصه بالذكر. الوجه الثالث: أن اليهود زعمت أن لا نبي بعد موسى، ولا كتاب بعد التوراة فكذبهم الله بقوله: وآتينا داود زبوراً ومعنى الآية أنكم لن تنكروا تفضيل النبيين، فكيف تنكرون تفضيل النبي ﷺ وإعطاءه القرآن وأن الله آتى موسى التوراة، وداود الزبور وعيسى الإنجيل فلم يبعد أن يفضل محمداً ﷺ على جميع الخلائق ﴿**ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء**﴾ وهذا خطاب مع من يقر بتفضيل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. قوله عز وجل ﴿**قل ادعوا الذين زعمتم من دونه**﴾ وذلك أن الكفار أصابهم قحط شديد حتى أكلوا الكلاب والجيف، فاستغاثوا بالنبي ﷺ ليدعو لهم فقال الله عز وجل: قل ادعوا الذين زعمتم أنهم آلهة من دونه ﴿**فلا يملكون كشف الضر عنكم**﴾ أي الجوع والقحط ﴿**ولا تحويلاً**﴾ أي إلى غيركم أو تحويل الحال من العسر إلى اليسر، ومقصود الآية الرد على المشركين، حيث قالوا ليس لنا أهلية أن نشتغل بعبادة الله فنحن نعبد المقربين إليه، وهم الملائكة. ثم إنهم اتخذوا لذلك الملك الذي عبدوه تمثالاً وصورة وقد اشتغلوا بعبادته فاحتج على بطلان قولهم بهذه الآية وبين عجز آلهتهم ثم قال تعالى ﴿**أولئك الذين يدعون**﴾ أي الذين يدعون المشركون آلهة ﴿**يبتغون إلى ربهم الوسيلة**﴾ أي القربة والدرجة العليا. قال ابن عباس: هم عيسى وأمه وعزير والملائكة والشمس والقمر والنجوم. وقال عبد الله بن مسعود: نزلت هذه الآية في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن فأسلم أولئك الجن، ولم يعلم الإنس بذلك فتمسكوا بعبادتهم فعيرهم الله وأنزل هذه الآية. قوله تعالى ﴿**أيهم أقرب**﴾ معناه، ينظرون أيهم أقرب إلى الله فيتوسلون به، وقيل: أيهم أقرب يبتغي الوسيلة إلى الله، ويتقرب إليه بالعمل الصالح وازدياد الخير والطاعة ﴿**ويرجون رحمته**﴾ أي جنته ﴿**ويخافون عذابه**﴾ وقيل:

﴿ **وربُّك أعلم بمَن في السمٰوات والأرض** ﴾، أي: ربك العالم بمَن في السمٰوات والأرض فجعلهم مختلفين في صورهم وأخلاقهم وأحوالهم وملكهم، ﴿ **ولقد فضّلنا بعض النبيّين على بعض** ﴾، قيل جعل أهل السمٰوات والأرض مختلفين كما فضّل بعض النبيّين على بعض. قال قتادة في هذه الآية اتخذ الله إبراهيم خليلاً وكلّم الله موسى تكليماً وقال لعيسى كن فيكون، وآتى سليمان ملكاً عظيماً لا ينبغي لأحد من بعده، وآتى داود زَبُوراً كما قال: ﴿ **وآتينا داودَ زَبُوراً** ﴾، والزبور كتاب علمه الله داود يشتمل على مائة وخمسين سورة كلها دعاء وتمجيد وثناء على الله عزّ وجلّ، وليس فيها حرام ولا حلال ولا فرائض ولا حدود، معناه: إنكم لم تنكروا تفضيل النبيّين فكيف تنكرون فضل النبيّ ﷺ وإعطاءَه القرآن؟ وهذا خطاب مع مَن يقرّ بتفضيل الأنبياء عليهم السلام من أهل الكتاب وغيرهم.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **قل ادعوا الذين زعمتم من دونه** ﴾، وذلك أن المشركين أصابهم قحط شديد حتى أكلوا الكلاب والجيف فاستغاثوا بالنبي ﷺ ليدعو لهم، قال الله تعالى: ﴿ **قل** ﴾ للمشركين ﴿ **ادعو الذين زعمتم** ﴾ أنها آلهة ﴿ **من دونه** ﴾ ﴿ **فلا يملكون كشفَ الضرّ** ﴾، القحط والجوع، ﴿ **عنكم ولا تحويلاً** ﴾، إلى غيركم أو تحويل الحال من العسر إلى اليسر.

﴿ **أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة** ﴾، يعني الذين يدعونهم المشركون أنهم آلهة يعبدونهم. قال ابن عباس ومجاهد: وهم عيسى وأمه وعزير والملائكة، والشمس والقمر والنجوم، يبتغون أي يطلبون إلى ربهم الوسيلة، أي القربة. وقيل: الوسيلة الدرجة أي: يتضرّعون إلى الله في طلب الدرجة العليا. وقيل: الوسيلة كل ما يتقرّب به إلى الله تعالى. وقوله: ﴿ **أيّهم أقرب** ﴾، معناه ينظرون أيّهم أقرب إلى الله فيتوسلون به. وقال الزجّاج: أيّهم أقرب يبتغي الوسيلة إلى الله تعالى ويتقرّب إليه بالعمل الصالح، ﴿ **ويرجون رحمته** ﴾، جنته، ﴿ **ويخافون عذابه إنّ عذابَ ربِّكَ كان محذوراً** ﴾، أي يطلب منه الحذر. وقال عبد الله بن مسعود: نزلت الآية في نفر من

معناه يرجون ويخافون كغيرهم من عباد الله فكيف يزعمون أنهم آلهة ﴿إن عذاب ربك كان محذوراً﴾ أي حقيقاً بأن يحذره كل أحد من ملك مقرب، ونبي مرسل فضلاً عن غيرهم من الخلائق. قوله سبحانه وتعالى:

﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾

﴿وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة﴾ أي بالموت والخراب ﴿أو معذبوها عذاباً شديداً﴾ أي بالقتل وأنواع العذاب إذا كفروا وعصوا، وقيل: الإهلاك في حق المؤمنين الإماته وفي حق الكفار العذاب قال عبد الله بن مسعود: إذا ظهر الزنا والربا في قرية أذن الله في هلاكها ﴿كان ذلك في الكتاب﴾ أي في اللوح المحفوظ ﴿مسطوراً﴾ أي مكتوباً مثبتاً. عن عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب فقال: ما أكتب قال: القدر وما هو كائن إلى يوم القيامة إلى الأبد» أخرجه الترمذي. قوله سبحانه وتعالى ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون﴾ قال ابن عباس «سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً وفضة وأن ينحي الجبال عنهم ليزرعوا فأوحى الله إلى رسول الله ﷺ إن شئت أن أستأني بهم فعلت وإن شئت أن

العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن فأسلم الجنيّون ولم يعلم الإنس الذين كانوا يعبدونهم بإسلامهم، فتمسكوا بعبادتهم فعيّرهم الله وأنزل هذه الآية، وقرأ ابن مسعود ﴿ الذين تدعون ﴾ بالتاء.

﴿ وإنْ من قريةٍ ﴾ وما من قرية، ﴿ إلاّ نحنُ مُهلكوها قبلَ يومِ القيامة ﴾، أي: مخرّبوها ومُهلِكوا أهلها، ﴿ أو معذّبوها عذاباً شديداً ﴾، بأنواع العذاب إذا كفروا وعصوا. وقال مقاتل وغيره: مهلكوها في حق المؤمنين بالإماتة ومعذّبوها في حقّ الكفّار بأنواع العذاب. قال عبد الله بن مسعود: إذا ظهر الزنا والربا في قرية أذِنَ الله في إهلاكها. ﴿ كان ذلك في الكتاب ﴾، في اللوح المحفوظ، ﴿ مسطوراً ﴾، مكتوباً. قال عبادة بن الصامت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم فقال اكتب، فقال: ما أكتب؟ قال: القدر، وما كان وما هو كائن إلى الأبد».

قوله: ﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات إلاّ أن كذّب بها الأوّلون ﴾، قال ابن عباس: سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً وأن ينحّي الجبال عنهم فيزرعوا فأوحى الله تعالى إلى رسوله ﷺ إن شئت أن أستأني بهم فعلت، وإن شئت أن أوتيهم ما سألوا فعلت، فإن لم يؤمنوا أهلكهم كما أهلكتُ مَن كان قبلهم، فقال النبي ﷺ: «لا بل تستأني بهم»، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات ﴾ التي سألها كفّار قريش ﴿ إلاّ

أوتيهم ما سألوا فعلت، فإن لم يؤمنوا أهلكتهم كما أهلكت من كان قبلهم فقال النبي ﷺ لا بل تستأني بهم» فأنزل الله عز وجل ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات﴾ أي التي سألها الكفار قومك ﴿إلا أن كذب بها الأولون﴾ أي فأهلكناهم فإن لم يؤمن قومك بعد إرسال الآيات أهلكناهم، لأن من سنتنا في الأمم إذا سألوا الآيات ثم لم يؤمنوا بعد إتيانها أن نهلكهم ولا نمهلهم وقد حكمنا بإمهال هذه الأمة إلى يوم القيامة، ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحها الأولون ثم كذبوا بها لما أرسلت فأهلكوا فقال تعالى ﴿وآتينا ثمود الناقة مبصرة﴾ أي بينة، وذلك لأن آثار إهلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم ﴿فظلموا بها﴾ أي جحدوا أنها من عند الله. وقيل: فظلموا أنفسهم بتكذيبها فعاجلناهم بالعقوبة ﴿وما نرسل بالآيات﴾ المقترحة ﴿إلا تخويفاً﴾ أي وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً من العذاب، فإن لم يخافوا وقع عليهم. وقيل: معناه وما نرسل بالآيات يعني العبر والدلالات، إلا تخويفاً أي إنذاراً بعذاب الآخرة إن لم يؤمنوا فإن الله سبحانه وتعالى يخوف الناس بما شاء من آياته لعلهم يرجعون. قوله عز وجل ﴿وإذ قلنا لك﴾ أي واذكر يا محمد إذ قلنا لك ﴿إن ربك أحاط بالناس﴾ أي إن قدرته محيطة بهم فهم في قبضته وقدرته لا يقدرون على الخروج من مشيئته وإذا كان الأمر كذلك فهم لا يقدرون على أمر من الأمور إلا بقضائه وقدره وهو حافظك ومانعك منهم، فلا تهبهم وامضِ لما أمرك من التبليغ للرسالة، فهو ينصرك ويقويك على ذلك ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾ الأكثرون من المفسرين على أن المراد منها ما رأى النبي ﷺ ليلة المعراج من العجائب والآيات. قال ابن عباس: هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة المعراج وهي ليلة أسري به إلى بيت المقدس أخرجه البخاري. وهو قول سعيد بن جبير والحسن ومسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة وابن جريج وغيرهم. والعرب تقول: رأيت بعيني رؤية ورؤيا فلما ذكرها رسول الله ﷺ للناس أنكر بعضهم ذلك وكذبوا فكانت فتنة للناس، وازداد المخلصون إيماناً. وقال

أن كذَّب بها الأوّلون ﴾ فأهلكناهم، فإن لم يؤمن قومك بعد إرسال الآيات أهلكناهم، لأن من شأننا في الأمم إذا سألوا الآيات ثم لم يؤمنوا بعد إتيانها أن نهلكهم ولا نمهلهم، وقد حكمنا بإمهال هذه الأمة في العذاب، فقال جلّ ذكره: ﴿ بل الساعةُ موعدهم والساعة أدهى وأمرّ ﴾ [القمر: ٤٦]، ثم قال: ﴿ **وآتينا ثمودَ الناقةَ مبصرةً** ﴾، مضيئة بيّنة، ﴿ **فظلموا بها** ﴾، أي: جحدوا بها أنها من عند الله كما قال: ﴿ بمـا كانوا بآياتنا يظلمون ﴾ [الأعراف: ٩]، أي: يجحدون. وقيل: ظلموا أنفسهم بتكذيبها يريد فعاجلناهم بالعقوبة، ﴿ **وما نرسل بالآيات** ﴾ أي: العِبَر والدلالات، ﴿ **إلاّ تخويفاً** ﴾، للعباد ليؤمنوا. قال قتادة: إن الله تعالى يُخوّف الناس بما شاء من آياته لعلّهم يرجعون.

قـوله عـزّ وجلّ: ﴿ **وإذْ قلنـا لك إنّ ربَّـك أحاط بـالناس** ﴾، أي: هم في قبضتـه لا يقدرون على الخـروج عن مشيئته فهو حافظك ومانعك منهم فـلا تهبهم وامضِ إلى ما أمـر الله به من تبليـغ الرسـالة، كمـا قال: ﴿ والله يعصمـك من الناس ﴾ [المائـدة: ٦٧]، ﴿ **وما جعلنـا الرؤيـا التي أريناك إلاّ فتنـة للناس** ﴾، فـالأكثرون على أن المـراد منه مـا رأى النبي ﷺ ليلة المعراج من العجائب والآيات. قال ابن عباس: هي رؤيا عين أُريها النبي ﷺ، وهو قول سعيد بن جبير والحسن ومسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة وابن جريج والأكثرين. والعرب تقول: رأيت بعيني رؤية ورؤيا، فلما ذكرها رسول الله ﷺ للناس أنكر بعضهم ذلك، وكذبوا وكان فتنة للناس. وقال قوم: أسري بروحه دون بدنه. وقال بعضهم: كان له معراجان رؤية بالعين ومعراج رؤيا بالقلب، وقال قوم: أراد بهذه الرؤيا ما رأى ﷺ عام الحديبية أنه دخل مكة هو وأصحابه فجعل السير إلى مكة قبل الأجل فصدّه المشركون، فرجع إلى المدينة وكان رجوعه في ذلك العام بعدما أخبر أنه يدخلها فكان رجوعه فتنة لبعضهم، حتى دخلها في العام المقبل، فأنزل الله تعالى: ﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ﴾ [الفتح: ٢٧]، ﴿ **والشجرة الملعونة في القرآن** ﴾، يعني شجرة

قوم: أسري بروحه دون جسده وهو ضعيف. وقال قوم كان له معراجان: معراج رؤية عين في اليقظة ومعراج رؤيا منام. وقيل: أراد بهذه الرؤيا ما رأى رسول الله ﷺ عام الحديبية، أنه دخل مكة هو وأصحابه فعجل المسير إلى مكة قبل الأجل، فصده المشركون فرجع إلى المدينة فكان رجوعه في ذلك العام بعدما أخبر أنه يدخلها فتنة لبعضهم، ثم دخل مكة في العام المقبل وأنزل الله عز وجل لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق، وقيل: إن النبي ﷺ رأى في المنام أن ولد الحكم بن أمية يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة فساءه ذلك. فإن اعترض معترض على هذا التفسير وقال السورة مكية وهاتان الواقعتان كانتا بالمدينة أجيب بأنه لا إشكال فيه فإنه لا يبعد أن النبي ﷺ رأى ذلك بمكة، ثم كان ذلك حقيقة بالمدينة ﴿**والشجرة الملعونة في القرآن**﴾ يعني شجرة الزقوم التي وصفها الله تعالى في سورة الصافات والعرب تقول لكل طعام كريه: طعام ملعون، والفتنة فيها أن أبا جهل قال: إن ابن أبي كبشة يعني النبي ﷺ توعدكم بنار تحرق الحجارة، ثم يزعم أنه تنبت فيها شجرة وتعلمون أن النار تحرق الشجر. وقيل: إن عبد الله بن الزبعري قال: إن محمداً يخوفنا بالزقوم ولا نعرف الزقوم إلا الزبد والتمر، فقال أبو جهل: يا جارية تعالي فزقمينا فأتت بزبد وتمر فقال يا قوم فإن هذا ما يخوفكم به محمد، فأنزل الله سبحانه وتعالى حين عجبوا أن يكون في النار شجر ﴿**إنا جعلناها فتنة للظالمين**﴾ الآيات. فإن قلت: أين لعنت شجرة الزقوم في القرآن؟ قلت: لعنت حيث لعن الكفار الذين يأكلونها لأن الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن، وإنما وصفت بلعن أصحابها على المجاز. وقيل وصفها الله تعالى باللعن لأن اللعن الإبعاد من الرحمة، وهي في أصل جهنم في أبعد مكان من الرحمة، وقال ابن عباس: في رواية عنه إن الشجرة الملعونة هي الكشوث الذي يلتوي على الشجر والشوك فيجففه ﴿**ونخوفهم فما يزيدهم**﴾ أي التخويف ﴿**إلا طغياناً كبيراً**﴾ أي تمرداً وعتواً عظيماً قوله سبحانه وتعالى ﴿**وإذ قلنا للملائكة اسجدوا**

الزقوم، مجازه والشجرة الملعونة المذكورة في القرآن، والعرب تقول لكل طعام كريه: طعام ملعون. وقيل: معناه الملعون أكلها، ونصب الشجرة عطفاً على الرؤيا، أي: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك والشجرة الملعونة إلّا فتنة للناس، فكانت الفتنة في الرؤيا ما ذكرنا، والفتنة في الشجرة الملعونة من وجهين أحدهما أن أبا جهل قال: إن ابن أبي كبشة يوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم أنه ينبت فيها شجرة، وتعلمون أن النار تحرق الشجرة، والثاني أن عبد الله بن الزبعري قال: إن محمداً يخوّفنا بالزقوم ولا نعرف الزقوم إلّا الزبد والتمر، وقال أبو جهل: يا جارية تعالي فزقمينا فأتت بالتمر والزبد، فقال: يا قوم تزقموا فإن هذا ما يخوّفكم به محمد، فوصفها الله تعالى في الصّافات [٦٢]. وقيل: الشجرة الملعونة هي التي تلتوي على الشجر فتخنقه، يعني الكشوث، ﴿ **وتخوّفهم فما يزيدهم** ﴾، التخويف، ﴿ **إلّا طغياناً كبيراً** ﴾ أي: تمرّداً وعتوّاً عظيماً في قوله عزّ وجلّ:

﴿ **وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلّا إبليس قال أأسجدُ لمَن خلقتَ طيناً** ﴾ أي: خلقته من طين أنا جئتُ به، وذلك ما رُوِي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن الله تعالى بعث إبليس حتى أخذ كفّاً من تراب الأرض من عذبها ومالحها فخلق منه آدم، فمَن خلقه من العذب فهو سعيد وإن كان ابن كافرين، ومَن خلقه من الملح فهو شقي وإن كان ابن نبي.

﴿ **قال** ﴾، يعني إبليس، ﴿ **أرأيتك** ﴾ أي أخبرني والكاف لتأكيد المخاطبة، ﴿ **هذا الذي كرّمتَ عليّ** ﴾ أي: فضّلته عليّ: ﴿ **لئن أخّرتنِ** ﴾ أمهلتني ﴿ **إلى يوم القيامة لأحتنِكَنّ ذريّته** ﴾ أي: لأستأصلنّهم بالإضلال، يقال احتنك الجراد الزرع إذا أكله كله. وقيل: هو من قول العرب حنك الدابّة يحنك إذا شدّ في حنكها الأسفل حبلاً يقودها، أي لأقودنهم كيف شئت. وقيل: لأستولينّ عليهم بالإغواء، ﴿ **إلّا قليلاً** ﴾، يعني المعصومين الذين استثناهم الله عزّ وجلّ في قوله: ﴿ إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾ [الحجر: ٤٢، الإسراء: ٦٥].

لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طيناً﴾ أي من طين وذلك أن آدم خلق من تراب الأرض من عذبها وملحها، فمن خلق من العذب فهو سعيد ومن خلق من الملح فهو شقي **﴿قال﴾** يعني إبليس **﴿أرأيتك﴾** الكاف للمخاطب والمعنى أخبرني **﴿هذا الذي كرمت علي﴾** أي فضلته **﴿لئن أخرتن﴾** أي أمهلتني **﴿إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته﴾** أي لأستأصلنهم بالاضلال. وقيل: معناه لأقودنهم كيف شئت. وقيل: لأستولين عليهم بالإغواء **﴿إلا قليلاً﴾** يعني المعصومين الذي استثناهم الله تعالى في قوله **﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾** **﴿قال﴾** الله تعالى **﴿اذهب﴾** أي امض لشأنك وليس هو من الذهاب الذي هو ضد المجيء **﴿فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم﴾** أي جزاؤك وجزاء أتباعك **﴿جزاء موفوراً﴾** أي مكملاً. قوله سبحانه وتعالى **﴿واستفزز﴾** أي استخف واستزل واستعجل وأزعج **﴿من استطعت منهم﴾** أي من ذرية آدم **﴿بصوتك﴾** قال ابن عباس: معناه بدعائك إلى معصية الله وكل داع إلى معصية الله فهو من جند إبليس. وقيل: أراد بصوتك الغناء والمزامير واللهو واللعب **﴿واجلب عليهم بخيلك ورجلك﴾** اي أجمع عليهم مكايدك وحبائلك، واحثهم على الإغواء. وقيل: معناه استعن عليهم بركبان جندك ومشاتهم. يقال: إن له خيلاً ورجلاً من الجن والإنس فكل من قاتل أو مشى في معصية الله، فهو من جند إبليس. وقيل: المراد منه ضرب المثل كما تقول للرجل المجد في الأمر جئتنا بخيلك ورجلك **﴿وشاركهم في الأموال والأولاد﴾** أما المشاركة في الأموال فكل مال أصيب من حرام أو أنفق في حرام، وقيل هو الربا، وقيل: هو ما كانوا يذبحونه لآلهتهم ويحرمونه كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام. وأما المشاركة في الأولاد فروي عن ابن عباس أنها المؤودة، وقيل: أولاد الزنا. وعن ابن عباس أيضاً هي تسميتهم أولادهم بعبد العزى، وعبد الحارث وعبد شمس ونحوه، وقيل: هو أن يرغبوا أولادهم في الأديان الباطلة الكاذبة، كاليهودية والنصرانية والمجوسية ونحوها. وقيل: إن الشيطان يقعد على ذكر الرجل وقت الجماع فإذا لم يقل بسم الله أصاب معه امرأته وأنزل في فرجها كما ينزل الرجل. وروي في بعض الأخبار أن فيكم مغربين قال: وما المغربون قال: الذين شارك فيهم الجن. وعن ابن عباس أنه سأله رجل فقال: إن امرأتي

﴿ قال ﴾ الله ﴿ اذهبْ فمَن تبعك منهم فإن جهنّم جزاؤكم ﴾ أي: جزاءك وجزاء أتباعك، **﴿ جزاءً موفوراً ﴾**، وافراً مكمّلاً، يقال: وفّرته أوفره وفراً.

وقوله: **﴿واستفزز﴾**، واستخفف واستجهد، **﴿ مَن استطعتَ منهم ﴾**، أي: من ذريّة آدم، **﴿ بصوتك ﴾**، قال ابن عباس وقتادة: بدعائك إلى معصية الله، وكل داعٍ إلى معصية الله فهو من جند إبليس. قال الأزهري: معناه ادعهم دعاء تستفزهم به إلى جانبك، أي: تستخفّهم. وقال مجاهد: بالغناء والمزامير، **﴿ وأجلِبْ عليهم بخيلك ورَجِلِكَ ﴾**، قيل: اجمع عليهم مكايدك وخيلك، ويقال: اجلبوا وجلبوا إذا صاحوا، يقول: صحْ بخيلك ورجلك واحثهم عليه بالإغواء، قال مقاتل: استعن عليهم بركبان جندك ومشاتهم، والخيل: الركبان، والرجل: المشاة. قال أهل التفسير: كل راكب وماشٍ في معاصي الله فهو من جند إبليس. وقال مجاهد وقتادة: إن له خيلاً ورجلاً من الجن والإنس وهو كل مَن يقاتل في المعصية، والرجل والرجالة والراجلة واحد، يقال: راجل ورجل مثل تاجر وتجر وراكب وركب، وقرأ حفص ورجِلك بكسر الجيم وهما لغتان، **﴿ وشاركهم في الأموال والأولاد ﴾**، فالمشاركة في الأموال كل ما أُصيب من حرام أو أُنفق في حرام، هذا قول مجاهد والحسن وسعيد بن جبير، وقال عطاء: هو الربا وقال قتادة: هو ما كان المشركون يحرّمونه من الأنعام كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام. وقال الضحاك: هو ما كانوا يذبحونه لآلهتهم، وأما الشركة في الأولاد رُوِيَ عن ابن عباس: أنها الموؤدة. وقال مجاهد والضحاك: هم أولاد الزنا. وقال الحسن وقتادة: هو أنهم هوّدوا أولادهم ونصّروهم ومجّسوهم. وعن ابن عباس رواية أخرى: هو تسميتهم الأولاد عبد الحٰرث وعبد شمس وعبد العزّى وعبد الدار ونحوها. ورُوِيَ عن جعفر بن محمد أن الشيطان

استيقظت وفي فرجها شعلة نار قال: ذلك من وطء الجن ﴿وعدهم﴾ أي منهم الجميل في طاعتك، وقيل: قل لهم لا جنة ولا نار ولا بعث، وذلك أن الشيطان إذا دعا إلى المعصية فلا بد أن يقرر أولاً أنه لا مضرة في فعلها البتة، وذلك لا يمكن إلا إذا قال له لا معاد ولا جنة ولا نار ولا حياة بعد هذه الحياة، فيقرر عند المدعو أنه لا مضرة في هذه المعاصي وإذا فرغ من هذا النوع قرر عنده أن هذا الفعل يفيد أنواعاً من اللذة والسرور ولا حياة للإنسان في الدنيا إلا به، فهذا طريق الدعوة إلى المعصية ثم ينفره عن فعل الطاعات وهو أنه يقرر عنده أن لا جنة ولا نار ولا عقاب فلا فائدة فيها. وقيل معنى عدهم أي شفاعة الأصنام عند الله وإيثار العاجل على الأجل. فإن قلت: كيف ذكر الله هذه الأشياء بصيغة الأمر، والله سبحانه وتعالى يقول: إن الله لا يأمر بالفحشاء؟ قلت: هذا على طريق التهديد كقوله تعالى: اعملوا ما شئتم. وكقول القائل اجتهد جهدك فسترى ما ينزل بك. وقوله سبحانه وتعالى ﴿**وما يعدهم الشيطان إلا غروراً**﴾ أي يزين الباطل بما يظن أنه حق واعلم أن الله سبحانه وتعالى لما قال: وعدهم، أردفه بما هو زاجر عن قبول وعده بقوله: وما يعدهم الشيطان إلا غرورا والسبب فيه أنه إنما يدعو إلى قضاء الشهوة وطلب الرياسة ونحو ذلك، ولا يدعو إلى معرفة الله تعالى، ولا إلى عبادته وتلك الأشياء التي يدعو إليها خيالية لا حقيقة لها ولا تحصل إلا بعد متاعب ومشاق عظيمة، وإذا حصلت كانت سريعة الذهاب والانقضاء وينغصها الموت والهرم وغير ذلك، وإذا كانت هذه الأشياء بهذه الصفة كانت الرغبة فيها غروراً.

إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ

يقعد على ذكر الرجل فإذا لم يقل بسم الله أصاب معه امرأته وأنزل في فرجها كما ينزل الرجل. ورُوِيَ في بعض الأخبار أن فيكم مغربين، قيل: وما المغرَّبون؟ قال: الذين يشارك فيهم الجن. ورُوِيَ أن رجلاً قال لابن عباس: إن امرأتي استيقظت وفي فرجها شعلة من نار، قال: ذلك من وطء الجن. وفي الآثار: أن إبليس لمّا أُخرج إلى الأرض، قال: يا ربِّ أخرجتني من الجنة لأجل آدم فَسَلِّطني عليه وعلى ذريّته، قال: أنت مسلَّط، فقال: لا أستطيعه إلّا بك فزدني، قال: استفزز مَن استطعت منهم بصوتك الآية، فقال آدم: يا ربِّ سلّطت إبليس عليّ وعلى ذريّتي وإني لا أستطيعه إلّا بك، قال: لا يولد لك ولد إلّا وكّلت به مَن يحفظونه، قال: زدني، قال: الحسنة العشرة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها، قال: زدني، قال: التوبة معروضة ما دام الروح في الجسد، فقال: زدني، قال: ﴿ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ﴾ [الزمر: ٥٣] الآية. وفي الخبر: أن إبليس قال: يا رب بعثت أنبياءً وأنزلت كتباً فما قراءتي؟ قال: الشعر، قال: فما كتابي؟ قال: الوشم، قال: ومَن رُسلي؟ قال: الكهنة، قال: وأين مسكني؟ قال: الحمّامات، قال: وأين مجلسي؟ قال: الأسواق، قال: فما مطعمي؟ قال: ما لم يُذكر عليه اسمي، قال: ما شرابي؟ قال: كل مُسْكِر، قال: وما حبالي؟ قال: النساء، قال: وما أذاني؟ قال: المزامير. قوله عزّ وجلّ: ﴿ **وعِدْهم** ﴾، أي: خذ منهم الجميل في طاعتك. وقيل: قل لهم لا جنة ولا نار ولا بعث. ﴿ **وما يعِدُهم الشيطانُ إلّا غروراً** ﴾، والغرور تزيين الباطل بما يظن أنه حق، فإن قيل: كيف ذكر الله هذه الأشياء وهو يقول: ﴿ إنّ الله لا يأمر بالفحشاء ﴾ [الأعراف: ٢٨]؟ قيل: هذا على طريق التهديد، كقوله تعالى: ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ [فصّلت: ٤٠]، وكقول القائل: افعل ما شئت فسترى.

لَا تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾

﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ يعني بعبادة الأنبياء وأهل الفضل والصلاح لأنه لا يقدر على إغوائهم **﴿وكفى بربك وكيلاً﴾** أي حافظاً. والمعنى: أنه سبحانه وتعالى لما أمكن إبليس أن يأتي بما يقدر عليه من الوسوسة كان ذلك سبباً لحصول الخوف في قلب الإنسان، قال تعالى **﴿وكفى بربك وكيلاً﴾** أي فالله سبحانه وتعالى أقدر منه وأرحم بعباده فهو يدفع عنهم كيد الشيطان ووساوسه، ويعصمهم من إغوائه وإضلاله. وفي بعض الآثار أن إبليس لما خرج إلى الأرض قال: يا رب أخرجتني من الجنة لأجل آدم فسلطني عليه وعلى ذريته قال: أنت مسلط. قال: لا أستطيعه إلا بك فزدني. قال: استفزز من استطعت منهم الآية. فقال آدم: يا رب سلطت إبليس علي وعلى ذريتي وإني لا أستطيعه إلا بك قال: لا يولد لك ولد إلا وكلت به من يحفظه قال رب زدني قال الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها قال رب زدني قال: التوبة معروضة مادام الروح في الجسد قال رب زدني فقال يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية. وفي الخبر قال إبليس: يا رب بعثت أنبياء وأنزلت كتباً فما قراءتي؟ قال: الشعر. قال: فما كتابتي؟ قال: الوشم، قال: ومن رسلي؟ قال الكهنة. قال: أي شيء مطعمي؟ قال ما لم يذكر عليه اسمي قال فما شرابي قال كل مسكر قال: وأين مسكني؟ قال الحمامات ـ قال ـ وأين مجلسي؟ قال في الأسواق قال: وما حبائلي قال: النساء قال: وما أذاني؟ قال المزمار. قوله **﴿ربكم الذين يزجي﴾** أي يسوق ويجري **﴿لكم الفلك﴾** أي السفن **﴿في البحر لتبتغوا من فضله﴾** أي لتطلبوا من رزقه بالأرباح في التجارة وغيرها **﴿إنه كان بكم رحيماً﴾** أي حيث يسر لكم هذه المنافع، والمصالح وسهلها عليكم **﴿وإذا مسكم الضر في البحر﴾** أي الشدة وخوف الغرق في البحر **﴿ضل من تدعون﴾** أي ذهب عن أوهامكم وخواطركم كل من تدعون في حوادثكم من الأصنام وغيرها **﴿إلا إياه﴾** أي إلا الله وحده فإنكم لا تذكرون سواه ولا يخطر ببالكم غيره لأنه القادر على إعانتكم ونجاتكم **﴿فلما نجاكم﴾** أي أجاب دعاءكم وأنجاكم من هول البحر وشدته وأخرجكم **﴿إلى البر أعرضتم﴾** أي عن الإيمان والإخلاص والطاعة، وكفرتم النعمة وهو قوله تعالى **﴿وكان الإنسان كفوراً﴾** أي جحوداً **﴿أفأمنتم﴾** أي بعد إنجائكم **﴿أن يخسف بكم جانب البر﴾** أي تغوره. والمعنى: أن الجهات كلها له، وفي قدرته براً كان أو بحراً بل إن كان الغرق في البحر

قوله: ﴿ **إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلاً** ﴾، أي حافظاً ومَن يوكل الأمر إليه.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **ربُكم الذي يُزجي لكم الفُلْكَ** ﴾ أي: يسوق ويُجري لكم الفلك، ﴿ **في البحر لتبتغُوا من فضله** ﴾، لتطلبوا من رزقه، ﴿ **إنه كان بكم رحيماً** ﴾.

﴿ **وإذا مسّكم الضرّ** ﴾، الشدّة وخوف الغرق، ﴿ **في البحر ضَلّ** ﴾، أي: بطل وسقط، ﴿ **مَن تدعون** ﴾، من الآلهة، ﴿ **إلاّ إيّاه** ﴾، إلا الله فلم تجدوا مُغيثاً سواه، ﴿ **فلما نجّاكم** ﴾، أجاب دعاءكم وأنجاكم من هول البحر وأخرجكم، ﴿ **إلى البرّ أعرضتم** ﴾، عن الإيمان والإخلاص والطاعة كفراً منكم لنعمه، ﴿ **وكان الإنسان كفوراً** ﴾.

﴿ **أفأمِنْتُم** ﴾، بعد ذلك، ﴿ **أن يخسف بكم** ﴾، يغور بكم، ﴿ **جانب البرّ** ﴾، ناحية البرّ وهي الأرض، ﴿ **أو يرسل عليكم حاصباً** ﴾، أي: يمطر عليكم حجارةً من السماء كما أمطر على قوم لوط. وقال أبو عبيدة والقتيبي: الحاصب الريح التي ترمي بالحصباء، وهي الحصا الصغار، ﴿ **ثم لا تجدوا لكم وكيلاً** ﴾، قال قتادة: مانعاً.

ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لأنه يغيب تحت الثرى كما أن الغرق يغيب تحت الماء ﴿**أو يرسل عليكم حاصباً**﴾ أي نمطر عليكم حجارة من السماء، كما أمطرناها على قوم لوط ﴿**ثم لا تجدوا لكم وكيلاً**﴾ أي مانعاً وناصراً ﴿**أم أمنتم أن يعيدكم فيه**﴾ أي في البحر ﴿**تارة**﴾ أي مرة ﴿**أخرى فيرسل عليكم قاصفاً من الريح**﴾ قال ابن عباس: أي عاصفاً وهي الريح الشديدة. وقيل: الريح التي تقصف كل شيء من شجر وغيره ﴿**فيغرقكم بما كفرتم**﴾ أي بكفرانكم النعمة وإعراضكم حين أنجيناكم ﴿**ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعاً**﴾ التبيع المطالب. والمعنى: أنا نفعل ما نفعل بكم ثم لا تجدون لكم أحداً يطالبنا بما فعلنا انتصاراً لكم ودركاً للثأر من جهتنا. وقيل: معناه من يتبعنا بالإنكار علينا.

قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾

﴿**ولقد كرمنا بني آدم**﴾ قال ابن عباس: هو أنهم يأكلون بالأيدي وغير الآدمي يأكل بفيه من الأرض وقال أيضاً بالعقل وقيل بالنطق والتميز والخط والفهم، وقيل باعتدال القامة وامتدادها وقيل بحسن الصورة وقيل: الرجال باللحى والنساء بالذوائب. وقيل: بتسليطهم على جميع ما في الأرض وتسخيره لهم وقيل: بحسن تدبيرهم أمر المعاش والمعاد. وقيل بأن منهم خير أمة أخرجت للناس ﴿**وحملناهم في البر**﴾ أي على الإبل والخيل والحمير ﴿**والبحر**﴾ أي وحملناهم في البحر على السفن، وهذا من مؤكدات التكريم لأن الله تعالى سخر لهم هذه الأشياء لينتفعوا بها، ويستعينوا بها على مصالحهم ﴿**ورزقناهم من الطيبات**﴾ يعني لذيذ المطاعم والمشارب وقيل الزبد والتمر والحلواء، وجعل رزق غيرهم مما لا يخفى، وقيل: إن جميع الأغذية إما نباتية وإما حيوانية ولا يتغذى الإنسان إلا بأطيب القسمين بعد الطبخ الكامل والنضج التام ولا يحصل هذا لغير الإنسان ﴿**وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً**﴾ واعلم أن الله تعالى قال في أول الآية: ولقد كرمنا بني آدم وفي آخرها وفضلناهم، ولا بد من الفرق بين

﴿ **أم أمنتم أن يعيدكم فيه** ﴾، يعني في البحر، ﴿ **تارةً** ﴾ مرة، ﴿ **أخرى فيرسل عليكم قَاصِفاً من الريح** ﴾، قال ابن عباس: أي: عاصفاً وهي الريح شديدة. وقال أبو عبيدة: هي الريح التي تقصف كل شيء، أي تدقّه وتحطّمه. وقال القتيبي: هي التي تقصف الشجر، أي تكسره، ﴿ **فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعاً** ﴾، ناصراً ولا ثائراً، وتبيع بمعنى تابع أي تابعاً مطالباً بالثأر. وقيل: مَن يتبعنا بالإنكار. قرأ ابن كثير وأبو عمرو (أن نخسف، ونرسل، ونعيدكم، فنرسل، فنغرقكم). بالنون فيهنّ، لقوله: ﴿ **علينا** ﴾ وقرأ الآخرون بالياء لقوله: ﴿ **إلاّ إيّاه** ﴾ وقرأ أبو جعفر ويعقوب (فتغرقكم) بالتاء يعني الريح.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **ولقد كرّمنا بني آدم** ﴾، رُوِيَ عن ابن عباس أنه قال: هو أنهم يأكلون بالأيدي وغير الآدمي يأكل بفِيه من الأرض. ورُوِيَ عنه أنه قال: بالعقل. وقال الضحاك: بالنطق. وقال عطاء: بتعديل القامة وامتدادها، والدواب منكبّة على وجوهها. وقيل: بحُسْنِ الصورة. وقيل: الرجال باللحى والنساء بالذوائب. وقيل: **بأن سخّر لهم سائر الأشياء**. وقيل: بأن منهم خير أمة أُخرجت للناس. ﴿ **وحملناهم في البرّ والبحر** ﴾، أي: حملناهم في **البرّ** على الدواب وفي البحر على السفن، ﴿ **ورزقناهم من الطيبات** ﴾، يعني: لذيذ المطاعم والمشارب. قال مقاتل: السمن والزبد والتمر والحلوى، وجعل رزق غيرهم ما لا يخفى. ﴿ **وفضّلناهم على كثير ممّن خلقنا**

التكريم والتفضيل والإلزام التكرار والأقرب أن يقال: إن الله تعالى كرم الإنسان على سائر الحيوان بأمور خلقية ذاتية طبيعية، مثل العقل والنطق والخط وحسن الصورة، ثم إنه سبحانه وتعالى عرفه بواسطة ذلك العقل والفهم اكتساب العقائد الصحيحة والأخلاق الفاضلة، فالأول هو التكريم والثاني هو التفضيل. ثم قال سبحانه وتعالى: على كثير ممن خلقنا تفضيلاً. ظاهر الآية يدل على أنه فضل بني آدم على كثير ممن خلق لا على الكل فقال: قوم فضلوا على جميع الخلق إلا على الملائكة وهذا مذهب المعتزلة. وقال الكلبي: فضلوا على الخلائق كلهم إلا على طائفة من الملائكة مثل جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزائيل وأشباههم. وقيل: فضلوا على جميع الخلائق وعلى الملائكة كلهم. فإن قلت: كيف تصنع بكثير؟ قلت: يوضع الأكثر موضع الكل كقوله تعالى ﴿**يلقون السمع وأكثرهم كاذبون**﴾ أراد كلهم وفي الحديث عن جابر يرفعه قال: «لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة يا رب خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون فاجعل لهم الدنيا، ولنا الآخرة فقال: لا أجعل من خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت له كن فكان» وقيل بالتفضيل وهو الأولى والراجح أن خواص بني آدم وهم الأنبياء أفضل من خواص الملائكة، وعوام الملائكة أفضل من عوام البشر من بني آدم، وهذا التفضيل إنما هو بين الملائكة والمؤمنين من بني آدم لأن الكفار لا حرمة لهم قال الله سبحانه وتعالى ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية**﴾ وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: المؤمن أكرم على الله تعالى من الملائكة الذين عنده. قوله عز وجل ﴿**يوم ندعو كل أناس بإمامهم**﴾ أي بنبيهم وقيل بكتابهم الذي أنزل عليهم، وقيل بكتاب أعمالهم وعن ابن عباس: بإمام زمانهم الذي دعاهم في الدنيا إما إلى هدى وإما إلى ضلالة وذلك أن كل قوم يجتمعون إلى رئيسهم في الخير والشر. وقيل: بمعبودهم وقيل بإمامهم جمع أم يعني بأمهاتهم والحكمة فيه رعاية حق عيسى عليه السلام وإظهار شرف الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما، وأن لا يفتضح أولاد الزنا ﴿**فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرؤون كتابهم**﴾ فإن قلت: لم خص أصحاب اليمين بقراءة كتابهم، مع أن أصحاب الشمال يقرؤونه أيضاً. قلت: الفرق أن أصحاب الشمال إذا طالعوا

تفضيلاً ﴾، وظاهر الآية أنه فضّلهم على كثير ممّن خلقهم لا على الكل. وقال قوم: فُضِّلوا على جميع الخلق إلاّ على الملائكة. وقال الكلبي: فُضّلوا على الخلائق كلهم إلاّ على طائفة من الملائكة جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، وأشباههم. وفي تفضيل الملائكة على البشر اختلاف، فقال قوم: فُضِّلوا على جميع الخلق وعلى الملائكة كلهم، وقد يوضع الأكثر موضع الكل كما قال تعالى: ﴿ هل أُنبئكم على مَن تنزل الشياطين ﴾ [الشعراء: ٢٢١]، إلى قوله تعالى: ﴿ وأكثرهم كاذبون ﴾ [الشعراء: ٢٢٣]، أي: كلهم وفي الحديث عن جابر يرفعه قال: لمّا خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة: يا ربّ خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة، فقال تعالى: لا أجعل مَن خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي كمَن قلت له: كنْ فكان. والأولى أن يقال: عوام المؤمنين أفضل من عوام الملائكة، وخواص المؤمنين أفضل من خواص الملائكة. قال الله تعالى: ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البريّة ﴾ [البيّنة: ٧]، ورُوِيَ عن أبي هريرة أنه قال: المؤمن أفضل وأكرم على الله من الملائكة الذين عنده.

قوله تعالى: ﴿ **يوم ندعو كل أُناس بإمامهم** ﴾، قال مجاهد وقتادة: بنبيّهم. وقال: أبو صالح والضحاك: بكتابهم الذي أُنزل عليهم. وقال الحسن وأبو العالية: بأعمالهم. وقال قتادة أيضاً: بكتابهم الذي فيه أعمالهم، بدليل سياق الآية، ﴿ **فمَن أُوتي كتابه بيمينه** ﴾، ويسمّي الكتاب إماماً كما قال عزّ وجلّ: ﴿ وكلّ شيء أحصيناه في إمام مبين ﴾ [يٓس: ١٢]. وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: بإمام زمانهم الذي دعاهم في الدنيا إلى ضلالة أو هدى، قال الله تعالى: ﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا ﴾ [الأنبياء: ٧٣]، وقال: ﴿ وجعلناهم أئمة

كتابهم، وجدوه مشتملاً على مشكلات عظيمة فيستولي عليهم الخجل والدهشة فلا يقدرون على إقامة حروفه فتكون قراءتهم كلا قراءة، وأصحاب اليمين إذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملاً على الحسنات والطاعات فيقرؤونه أحسن قراءة وأبينها ﴿ولا يظلمون فتيلاً﴾ أي ولا ينقصون من ثواب أعمالهم أدنى شيء.

﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ﴿٧٣﴾ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا ﴿٧٥﴾ وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَاۖ وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٧٦﴾﴾

﴿ومن كان في هذه أعمى﴾ المراد عمى القلب والبصيرة لا عمى البصر. والمعنى: ومن كان في هذه الدنيا أعمى، أي عن هذه النعم التي قد عدها في هذه الآيات المتقدمة ﴿فهو في الآخرة﴾ أي التي لم تعاين ولم تر ﴿أعمى وأضل سبيلاً﴾ قاله ابن عباس: وقيل معناه ومن كان في هذه الدنيا أعمى القلب عن رؤية قدرة الله وآياته ورؤية الحق فهو في الآخرة أعمى أي أشد عمى وأضل سبيلاً، أي أخطأ طريقاً. وقيل: معناه ومن كان في الدنيا كافراً ضالاً، فهو في الآخرة أعمى لأنه في الدنيا تقبل توبته، وفي الآخرة لا تقبل توبته. قوله سبحانه وتعالى ﴿وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك﴾ قيل في سبب نزولها أن النبي ﷺ كان يستلم الحجر الأسود، فمنعته قريش وقالوا: لا ندعك حتى تلم بآلهتنا وتمسها فحدث نفسه ما علي أن أفعل ذلك، والله يعلم إني لها كاره بعد أن يدعوني أستلم الحجر. وقيل طلبوا منه أن يذكر آلهتهم حتى يسلموا، ويتبعوه فحدث نفسه فأنزل الله هذه الآية. وقال ابن عباس: قد وفد ثقيف على النبي ﷺ فقالوا: نبايعك على أن تعطينا ثلاث خصال. قال: وما هن؟ قالوا: لا نحبي في الصلاة أي لا ننحني

يدعون إلى النار﴾ [القصص: ٤١]، وقيل: بمعبودهم. وعن سعيد بن المسيب قال: كل قوم يجتمعون إلى رئيسهم في الخير والشر. وقال محمد بن كعب: ﴿ بإمامهم ﴾، قيل: يعني بأُمّهاتهم، وفيه ثلاثة أوجه من الحكمة أحدها: لأجل عيسى عليه السلام، والثاني لشرف الحسن والحسين، والثالث لئلا يفتضح أولاد الزنا. ﴿ فمَن أُوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرأون كتابهم ولا يُظلمون فتيلاً ﴾ أي: لا ينقص من حقهم قدر فتيل.

﴿ ومَن كان في هذه أعمى ﴾، اختلفوا في هذه الإشارة فقال قوم: هي راجعة إلى النِّعم التي عدّدها الله تعالى في هذه الآيات من قوله: ﴿ ربكم الذي يزجي لكم الفلك ﴾ إلى قوله: ﴿ تفضيلاً ﴾ [الإسراء: ٢١ و٧٠] يقول: ومَن كان منكم في هذه النِّعَم التي قد عاين أعمى، ﴿ فهو في ﴾، أمر، ﴿ الآخرة ﴾، التي لم يعاين ولم يرَ، ﴿ أعمى وأضلّ سبيلاً ﴾، يُروَى هذا عن ابن عباس، وقال الآخرون: هي راجعة إلى الدنيا، يقول: مَن كان في هذه الدنيا أعمى القلب عن رؤية قدرة الله وآياته ورؤية الحق، فهو في الآخرة أعمى أي أشدّ عمى وأضلّ سبيلاً أي أخطأ طريقاً. وقيل: مَن كان في هذه الدنيا أعمى عن الاعتبار فهو في الآخرة أعمى عن الاعتذار. وقال الحسن: مَن كان في هذه الدنيا ضالاً كافراً فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً لأنه في الدنيا تقبل توبته وفي الآخرة لا تقبل توبته، وأمال بعض القرّاء هذين الحرفين وفتحهما بعضهم، وكان أبو عمرو يكسر الأول ويفتح الثاني فهو في الآخرة أشدّ عمىً لقوله: ﴿ وأضلّ سبيلاً ﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ وإنْ كادُوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك ﴾ الآية، اختلفوا في سبب نزولها، قال سعيد بن جبير: كان النبي ﷺ يستلم الحجر الأسود فمنعته قريش، وقالوا: لا ندعك حتى تلمّ بآلهتنا وتمسّها فحدّث نفسه:

ولا نكسر أصنامنا بأيدينا وأن تمتعنا باللات سنة من غير أن نعبدها فقال النبي ﷺ: لا خير في دين لا ركوع فيه ولا سجود، وأما أن لا تكسروا أصنامكم بأيديكم، فذاك لكم وأما الطاغية يعني اللات والعزى فإني غير ممتعكم بها قالوا: يا رسول الله إنا نحب أن تسمع العرب أنك أعطيتنا ما لم تعط غيرها فإن خشيت أن تقول العرب أعطيتهم ما لم تعطنا فقل الله أمرني بذلك فسكت النبي ﷺ فطمع القوم في سكوته أن يعطيهم ذلك فأنزل الله تعالى وإن كادوا ـ أي هموا ـ ليفتنونك ـ أي ليصرفونك ـ عن الذي أوحينا إليك ﴿لتفتري﴾ أي لتختلق وتبتعث ﴿علينا غيره﴾ ما لم تقله ﴿وإذاً﴾ أي لو فعلت ما دعوك إليه ﴿لاتخذوك خليلاً﴾ أي والوك ووافوك وصافوك ﴿ولولا أن ثبتناك﴾ أي على الحق بعصمتنا إياك ﴿لقد كدت تركن﴾ أي تميل ﴿إليهم شيئاً قليلاً﴾ أي قربت من الفعل. فإن قلت كان النبي ﷺ معصوماً فكيف يجوز أن يقرب مما طلبوه. قلت: كان ذلك خاطر قلب ولم يكن عزماً وقد عفا الله تعالى عن حديث النفس وكان النبي ﷺ يقول بعد ذلك «اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين» والجواب الصحيح هو أن الله سبحانه وتعالى قال ولولا أن ثبتناك وقد ثبته الله فلم يركن إليهم ﴿إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات﴾ أي لو فعلت لأذقناك عذاب الحياة وضعف عذاب الممات يعني ضعفنا لك العذاب في الدنيا والآخرة ﴿ثم لا تجد لك علينا نصيراً﴾ أي ناصراً يمنعك من عذابنا. قوله سبحانه وتعالى ﴿وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها﴾ قيل: هذه الآية مدنية وذلك أن النبي ﷺ لما قدم المدينة كره اليهود مقامه بالمدينة، وذلك حسداً فأتوه فقالوا: يا أبا القاسم لقد علمت

ما عليَّ أن أفعل ذلك والله تعالى يعلم أني لها كاره بعد أن يدعوني حتى أستلم الحجر، وقيل: طلبوا منه أن يمسّ آلهتهم حتى يسلموا ويتبعوه فحدّث نفسه بذلك، فأنزل الله هذه الآية، قال ابن عباس: قَدِمَ وفد ثقيف على النبي ﷺ فقالوا: نبايعك على أن تعطينا ثلاث خصال، قال: وما هنّ؟ قالوا: أن لا ننحني أي في الصلاة ولا نكسر أصنامنا بأيدينا وأن تمتعنا باللّات سنة من غير أن نعبدها، فقال النبي ﷺ: «لا خير في دين لا ركوع فيه ولا سجود، وأما أن تكسروا أصنامكم بأيديكم فذاك لكم، وأما الطاغية يعني اللات والعزّى فإني غير ممتعكم بها»، فقالوا: يا رسول الله إنّا نحبّ أن تسمع العرب إنك أعطيتنا ما لم تعطِ غيرنا، فإن خشيت أن تقول العرب أعطيتهم ما لم تعطنا، فقل: الله أمرني بذلك؟ فسكت رسول الله ﷺ، فطمع القوم في سكوته أن يعطيهم ذلك، فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية: ﴿ وإن كادوا ليفتنونك ﴾ ليصرفونك ﴿ عن الذي أوحينا إليك ﴾ ﴿ لتفتري ﴾، لتختلق، ﴿ علينا غيره وإذاً ﴾، لو فعلت ما دعوك إليه ﴿ لاتّخذُوكَ خليلاً ﴾ أي: وَالوكَ وصَافُوكَ.

﴿ ولولا أن ثبّتناك ﴾، على الحق بعصمتنا، ﴿ لقد كِدتَّ تركنُ ﴾ أي: تميل، ﴿ إليهم شيئاً قليلاً ﴾ أي: قريباً من الفعل، فإن قيل: كان النبي ﷺ معصوماً فكيف يجوز أن يقرب مما طلبوه وما طلبوه كفر؟ قيل: كان ذلك خاطر قلب ولم يكن عزماً وقد عفا الله عزّ وجلّ عن حديث النفس. قال قتادة: كان النبي ﷺ يقول بعد ذلك: «اللهمّ لا تكلني إلى نفسي طرفة عين». والجواب الصحيح هو: أن الله تعالى قال: ﴿ ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً ﴾ وقد ثبّته الله ولم يركن وهذا، مثل قوله تعالى: ﴿ ولولا فضل الله ورحمته لاتّبعتم الشيطان إلاّ قليلاً ﴾ [النساء: ٨٣]، وقد تفضّل فلم يتبعوا.

﴿ إذاً لأذقناك ضِعْفَ الحياةِ وضِعْفَ الممات ﴾، أي: لو فعلت ذلك لأذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات، يعني أضعفنا لك العذاب في الدنيا والآخرة. وقيل: الضعف هو العذاب سُمّي ضعفاً لتضاعف الألم فيه. ﴿ ثم لا تجد لك علينا نصيراً ﴾، أي: ناصراً يمنعك من عذابنا.

قوله تعالى: ﴿ وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها ﴾، اختلفوا في معنى الآية فقال بعضهم: هذه الآية مدنية. قال الكلبي: لمّا قَدِمَ رسول الله ﷺ المدينة كره اليهود مقامه بالمدينة حسداً منهم، فأتوه وقالوا: يا

ما هذه بأرض أنبياء، وإن أرض الأنبياء الشام، وهي الأرض المقدسة وكان بها إبراهيم والأنبياء عليهم السلام، فإن كنت نبياً مثلهم فأت الشام، وإنما يمنعك من الخروج إليها مخافة الروم، وإن الله سيمنعك من الروم إن كنت رسوله فعسكر النبي ﷺ على ثلاثة أميال من المدينة وفي رواية إلى ذي الحليفة حتى يجتمع إليه أصحابه، فيخرج فأنزل الله هذه الآية فالأرض هنا أرض المدينة، وقيل الأرض أرض مكة والآية مكية والمعنى: همّ المشركون أن يخرجوه منها فكفهم الله عنه حتى أمره بالخروج للهجرة فخرج بنفسه وهذا أليق بالآية لأن ما قبلها خبر عن أهل مكة والسورة مكية. وقيل: همّ المشركون كلهم وأرادوا أن يستفزوه من أرض العرب باجتماعهم وتظاهرهم عليه فمنع الله رسوله ولم ينالوا منه ما أملوه والاستفزاز الازعاج ﴿**وإذاً لا يلبثون خلافك إلا قليلاً**﴾ أي لا يبقون بعد إخراجك إلا زماناً قليلاً حتى يهلكوا. قوله سبحانه وتعالى:

﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾

﴿**سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا**﴾ يعني أن كل قوم أخرجوا رسولهم من بين أظهرهم فسنة الله أن يهلكهم وأن لا يعذبهم مادام نبيهم بينهم فإذا خرج من بين أظهرهم عذبهم ﴿**ولا تجد لسنتنا تحويلاً**﴾ أي تبديلاً. قوله سبحانه وتعالى ﴿**أقم الصلاة لدلوك الشمس**﴾ روي عن ابن مسعود أنه قال الدلوك الغروب وهو قول النخعي ومقاتل والضحاك والسدي. قال ابن عباس وابن عمر وجابر: هو زوال الشمس. وهو قول عطاء وقتادة ومجاهد والحسن وأكثر

أبا القاسم لقد علمت ما هذه بأرض الأنبياء فإنّ أرض الأنبياء الشام، وهي الأرض المقدسة، وكان بها إبراهيم والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإن كنت نبياً مثلهم فأتِ الشام، وإنما يمنعك من الخروج إليها مخافتك الروم، وإن الله سيمنعك من الروم إن كنت رسوله، فعسكر النبي ﷺ على ثلاثة أميال من المدينة. وفي رواية: إلى ذي الحُليفة حتى يجتمع إليه أصحابه ويخرج، فأنزل الله هذه الآية ﴿ **والأرض** ﴾ ههنا هي المدينة. وقال مجاهد وقتادة: الأرض أرض مكة. والآية مكية، هَمَّ المشركون أن يُخرجوه منها فكفّهم الله عنه حتى أمره بالهجرة، فخرج بنفسه. وهذا أليق بالآية لأن ما قبلها خبر عن أهل مكة والسورة مكية. وقيل: همّ الكفّار كلهم أرادوا أن يستفزّوه من أرض العرب باجتماعهم وتظاهرهم عليه، فمنع الله عزّ وجلّ رسوله ﷺ ولم ينالوا منه ما أملوا، والاستفزاز هو الإزعاج بسرعة، ﴿ **وإذاً لا يلبثون خِلافَكَ** ﴾ أي: بعدك، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص ويعقوب هذا ﴿ **خلافك** ﴾ اعتباراً بقوله تعالى: ﴿ فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله ﴾ [التوبة: ٨١]، ومعناهما واحد. ﴿ **إلا قليلاً** ﴾ أي: لا يلبثون بعدك إلا قليلاً حتى يهلكوا، فعلى هذا القول الأول حدة حياتهم، وعلى الثاني ما بين خروج النبي ﷺ إلى المدينة إلى أن قتلوا ببدر.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **سُنَّةَ مَن قد أرسلنا قبلك من رسُلنا** ﴾ أي: كسنّتنا، فانتصب بحذف الكاف، وسُنّة الله في الرّسل إذا كذبتهم الأمم أن لا يعذبهم ما دام نبيّهم بين أظهرهم، فإذا خرج نبيّهم من بين أظهرهم عذّبهم. ﴿ **ولا تجد لسنّتنا تحويلاً** ﴾، أي تبديلاً.

قوله: ﴿ **أقم الصلاة لدلوكِ الشمس** ﴾، اختلفوا في الدلوك رُوِيَ عن عبد الله بن مسعود أنه قال: الدلوك هو الغروب، وهو قول إبراهيم النخعي ومقاتل بن حيان والضحاك والسدي، وقال ابن عباس وابن عمر وجابر: هو زوال

التابعين. ومعنى اللفظ: يجمعهما، لأن أصل الدلوك الميل والشمس: تميل إذا زالت وإذا غربت والحمل على الزوال أولى القولين: لكثرة القائلين به وإذا حملناه عليه كانت الآية جامعة لمواقيت الصلاة كلها فدلوك الشمس يتناول صلاة الظهر والعصر ﴿**إلى غسق الليل**﴾ أي ظهور ظلمته وقال ابن عباس: بدو الليل وهذا يتناول المغرب والعشاء ﴿**وقرآن الفجر**﴾ يعني صلاة الفجر سمى الصلاة قرآنا لأنها لا تجوز إلا بالقرآن ﴿**إن قرآن الفجر كان مشهوداً**﴾ أي يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار (خ). عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول تفضل صلاة الجمع صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين جزءاً وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم إن قرآن الفجر كان مشهوداً. قال الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره: هذا دليل قاطع قوي على أن التغليس أفضل من التنوير لأن الإنسان، إذا شرع فيها من أول الصبح ففي ذلك الوقت الظلمة باقية فتكون ملائكة الليل حاضرين، ثم إذا امتدت الصلاة بسبب ترتيل القرآن وتكثيرها زالت الظلمة وظهر الضوء، وحضرت ملائكة النهار أما إذا ابتدأ بهذه الصلاة في وقت الإسفار فهناك لم يبق أحد من ملائكة الليل، فلا يحصل المعنى المذكور في الآية فثبت أن قوله تعالى ﴿**إن قرآن الفجر كان مشهوداً**﴾ دليل على أن الصلاة في أول وقتها أفضل. قوله سبحانه وتعالى ﴿**ومن الليل فتهجد به**﴾ أي قم بعد نومك، والتهجد لا يكون إلا بعد القيام من النوم. والمراد من الآية قيام الليل للصلاة، وكانت صلاة الليل فريضة على النبي ﷺ وعلى الأمة في الابتداء لقوله تعالى ﴿يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً نصفه﴾ ثم نزل التخفيف فصار الوجوب منسوخاً في حق الأمة بالصلوات الخمس، وبقي قيام الليل على الاستحباب بدليل قوله تعالى ﴿فاقرؤوا ما تيسر منه﴾ وبقي الوجوب ثابتاً في حق النبي ﷺ بدليل قوله تعالى ﴿**نافلة لك**﴾ أي زيادة لك يريد فريضة

الشمس، وهو قول عطاء وقتادة ومجاهد والحسن وأكثر التابعين، ومعنى اللفظ يجمعهما لأن أصل الدلوك الميل والشمس تميل إذا زالت وغربت، والحمل على الزوال أولى القولين لكثرة القائلين به، ولأنا إذا حملناه عليه كانت الآية جامعة لمواقيت الصلاة كلها، فدلوك الشمس يتناول صلاة الظهر والعصر وإلى غسق الليل يتناول المغرب والعشاء، وقرآن الفجر هو صلاة الصبح، قوله عزّ وجلّ: ﴿ **إلى غسق الليل** ﴾، أي: ظهور ظلمته، وقال ابن عباس: بدُوّ الليل. وقال قتادة: وقت صلاة المغرب. وقال مجاهد: غروب الشمس، ﴿ **وقرآن الفجر** ﴾، يعني صلاة الفجر، سمّي صلاة الفجر قرآناً لأنها لا تجوز إلّا بقرآن، وانتصاب القرآن من وجهين أحدهما أنه عطف على الصلاة، أي: وأقم قرآن الفجر، قاله الفرّاء، وقال أهل البصرة: على الإغراء أي وعليك قرآن الفجر، ﴿ **إنّ قرآن الفجر كان مشهوداً** ﴾، أي: يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أبو اليمان أنبأنا شعيب عن الزهري أخبرني سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تفضل صلاة الجمع على صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين جزءاً وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر» ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم «إن قرآن الفجر كان مشهوداً».

قوله تعالى: ﴿ **ومن الليل فتهجّد به** ﴾ أي: قم بعد نومك، والتهجّد لا يكون إلّا بعد النوم، يقال: تهجّد إذا قام بعدما نام، وهجّد إذا نام، والمراد من الآية: قيام الليل للصلاة، وكانت صلاة الليل فريضة على النبي ﷺ في الابتداء، وعلى الأمة، لقوله تعالى: ﴿ يا أيها المزّمّل قم الليل إلّا قليلاً ﴾ [المزّمّل: ١]، ثم نزل التخفيف فصار الوجوب منسوخاً في حق الأمة بالصلوات الخمس، وبقي الاستحباب: قال الله تعالى: ﴿ فاقرؤوا ما تيسّر منه ﴾ [المزّمّل: ٢٠]، وبقي الوجوب في حق النبي ﷺ. ورُوِيَ عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «ثلاث هنّ عليّ فريضة، وهنّ سُنّة لكم: الوتر والسِواك وقيام الليل». قوله عزّ وجلّ: ﴿ **نافلة لك** ﴾ أي: زيادة لك، يريد

زائدة على سائر الفرائض التي فرضها الله عليك روي عن عائشة أن النبي ﷺ قال: «ثلاث هن عليّ فريضة وهن سنة لكم الوتر والسواك وقيام الليل» وقيل: إن الوجوب صار منسوخاً في حقه كما في حق الأمة: فصار قيام الليل نافلة لأن الله سبحانه وتعالى قال: نافلة لك ولم يقل عليك. فإن قلت: ما معنى التخصيص إذا كان زيادة في حق المسلمين كما في حقه ﷺ؟ قلت: فائدة التخصيص أن النوافل كفارات لذنوب العباد والنبي ﷺ، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكانت له نافلة وزيادة في رفع الدرجات.

فصل

في الأحاديث الواردة في قيام الليل (ق) عن المغيرة بن شعبة قال: «قام رسول الله ﷺ حتى انتفخت قدماه فقيل له أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً» (م) عن زيد بن خالد الجهني: قال لأرمقن صلاة رسول الله ﷺ فتوسدت عتبته أو فسطاطه فقام فصلى ركعتين خفيفتين، ثم صلى ركعتين طويلتين طويلتين طويلتين ثم صلّى ركعتين دون اللتين قبلهما، ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم أوتر فذلك ثلاث عشرة ركعة لفظ أبي داود (ق)، «عن أبي سلمة عبد الرحمن أنه سأل عائشة كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ في رمضان؟ قالت: ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على أكثر من إحدى عشرة ركعة يصلي أربعاً، فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثاً، قالت عائشة: فقلت يا رسول الله أتنام قبل أن توتر فقال يا عائشة: إنّ عيني تنامان ولا ينام قلبي» (ق) عنها قالت «كان رسول الله ﷺ يصلي فيما بين أن يفرغ من صلاة العشاء إلى الفجر إحدى عشر ركعة يسلم بين كل ركعتين ويوتر بواحدة، ويسجد سجدتين قدر ما يسجد، ويقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسه فإذا سكت المؤذن من صلاة الفجر، وتبين له الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المؤذن للإقامة» (خ) عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين» عن عوف بن

فضيلة زائدة، على سائر الفرائض، فرضها الله عليك. وذهب قوم إلى أن الوجوب صار منسوخاً في حقه كما في حق الأمة، فصارت نافلة، وهو قول مجاهد وقتادة، لأن الله تعالى قال: ﴿ نافلة لك ﴾ ولم يقل عليك، فإن قيل: فما معنى التخصيص وهي زيادة في حق كافّة المسلمين كما في حقه ﷺ قيل: التخصيص من حيث إن نوافل العباد كفّارة لذنوبهم، والنبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكانت نوافله لا تعمل في كفّارة الذنوب فتبقى له زيادة في رفع الدرجات. أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا قتيبة وبشر بن معاذ قالا ثنا أبو عوانة عن زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبة قال: قام النبي ﷺ حتى انتفخت قدماه، فقيل له: أتتكلّف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً». أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الله بن أبي بكرة عن أبيه عن عبد الله بن قيس بن مخرمة أنه أخبره عن زيد بن خالد الجهني أنه قال: لأرمقنّ صلاة رسول الله ﷺ الليلة، فتوسدت عتبته أو فسطاطه، فقام فصلّى ركعتين خفيفتين، ثم صلّى ركعتين طويلتين، ثم صلّى ركعتين دون اللتين قبلهما، ثم صلّى ركعتين دون اللتين قبلهما، ثم صلّى ركعتين دون اللتين قبلهما، ثم صلّى ركعتين دون اللتين قبلهما، ثم أوتر فذلك ثلاثة عشرة ركعة، أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه أخبره أنه سأل عائشة رضي الله عنها: كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ في رمضان؟ قال: فقالت ما كان رسول الله ﷺ يزيد

مالك الأشجي قال: «قمت مع رسول الله ﷺ ليلة فقام فقرأ سورة البقرة لا يمر بآية رحمة إلا وقف وسأل ولا يمر بآية عذاب، إلا وقف وتعوذ ثم ركع بقدر قيامه، يقول في ركوعه. سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة، ثم سجد بقدر قيامه ثم قال في سجوده مثل ذلك ثم قام فقرأ بآل عمران ثم قرأ سورة النساء» أخرجه أبو داود النسائي. «عن عائشة قالت: قام رسول الله ﷺ بآية من القرآن ليلة» أخرجه الترمذي (ق) عن الأسود قال: «سألت عائشة كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ من الليل قالت كان ينام أوله ويقوم آخره فيصلي ثم يرجع إلى فراشه، فإذا أذن المؤذن وثب، فإن كانت به حاجة اغتسل وإلا توضأ وخرج» عن أنس قال: «ما كنا نشاء أن نرى رسول الله ﷺ في الليل مصلياً إلا رأيناه ولا نشاء أن نراه نائماً إلا رأيناه» أخرجه النسائي. زاد في رواية غيره قال: «وكان يصوم من الشهر حتى نقول لا يفطر منه شيئاً ويفطر حتى نقول لا يصوم منه شيئاً». وقوله عز وجل: ﴿**عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً**﴾ أجمع المفسرون على أن عسى من الله واجب وذلك لأن لفظة عسى تفيد الإطماع ومن أطمع إنساناً في شيء ثم أحرمه كان ذلك عاراً عليه والله أكرم من أن يطمع أحداً ثم لا يعطيه ما أطمعه فيه. والمقام المحمود هو مقام الشفاعة لأنه يحمده فيه الأولون والآخرون (ق) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل نبي دعوة مستجابة وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي، فهي نائلة منكم إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئاً» (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليّ فمن صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تبتغى إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة» (م) عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه

في رمضان ولا في غيره على إحدى عشر ركعة، يصلّي أربعاً فلا تسأل عن حُسنهنّ وطولهنّ، ثم يصلّي أربعاً فلا تسأل عن حُسنهنّ وطولهنّ ثم يصلّي ثلاثاً. قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله أتنام قبل أن توتر؟ فقال: «يا عائشة إن عيني تنامان ولا ينام قلبي». أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الإسفرايني أنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق أنا يونس بن هارون بن عبد الأعلى أنا ابن وهب أخبرني يونس وابن أبي ذئب وعمر بن الحارث أن ابن شهاب أخبرهم عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يصلّي فيما بين أن يفرغ من صلاة العشاء إلى الفجر إحدى عشرة ركعة يسلّم من كل ركعتين ويوتر بواحدة، فيسجد السجدة قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسه، فإذا سكت المؤذّن من آذان الفجر وتبيّن له الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين، ثم اضطجع على شقّه الأيمن حتى يأتيه المؤذّن للإقامة فيخرج، وبعضهم يزيد على بعض. أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا عبد الرحمن بن منيب أنا يزيد بن هارون أنا حميد الطويل عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ما كنّا نشاء أن نرى رسول الله ﷺ في الليل مصلياً إلّا رأيناه ولا نشاء أن نراه نائماً إلا رأيناه، وقال: كان يصوم الشهر حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم منه شيئاً. قوله عزّ وجلّ: ﴿ **عسى أنْ يبعثك ربُّك مقاماً محموداً** ﴾ عسى من الله تعالى واجب لأنه لا يدع أن يعطي عباده أو يفعل بهم ما أطمعهم فيه، والمقام المحمود هو مقام الشفاعة لأمته لأنه، يحمده فيه الأوّلون والآخرون، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبّار الرياني ثنا حميد بن زنجويه أنا عبد الله بن يزيد المقري أنا حياة عن كعب عن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «إذا سمعتم المؤذّن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلّوا عليّ فإنه مَن صلّى عليّ صلاة صلّى الله عليه بها عشراً، ثم سَلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا ينبغي أن تكون إلّا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمَن سأل لي الوسيلة حلّت عليه الشفاعة»،

الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة» (ق) عن أنس أن النبي ﷺ قال: «يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك وفي رواية فيلهمون لذلك فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا، فيريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده، وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول: لست هناكم فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها، ولكن ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض فيأتون نوحاً فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته التي أصاب، فيستحي ربه منها ولكن ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلاً فيأتون إبراهيم، فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها، ولكن ائتوا موسى الذي كلمه الله، وأعطاه التوراة قال فيأتون موسى فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها، ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته فيأتون عيسى روح الله وكلمته فيقول: لست هناكم ولكن ائتوا محمداً ﷺ عبداً قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال قال رسول الله ﷺ: فيأتوني فأستأذن على ربي تعالى فيؤذن لي فإذا أنا رأيته، وقعت ساجداً فيدعني ما شاء فيقال: يا محمد ارفع رأسك قل تسمع سل تعطه اشفع تشفع فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي ثم أشفع فيحد لي حداً فأخرجهم من النار، وأدخلهم الجنة ثم أعود فأقع ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال لي: ارفع يا محمد رأسك قل تسمع، سل تعطه اشفع تشفع فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي ثم أشفع فيحد لي حداً فأخرجهم من النار، وأدخلهم الجنة قال فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة فأقول يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن أي من وجب عليه الخلود» وفي رواية للبخاري ثم تلا هذه الآية عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً، قال وهذا

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا علي بن عياش ثنا سعيد بن أبي حمزة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «مَن قال حين يسمع النداء اللّهمّ ربّ هذه الدعوة التامّة والصلاة القائمة آتِ محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلّتْ له شفاعتي يوم القيامة»، أخبرنا أبو حامد أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا عبد الرحيم بن منيب أنا يعلى عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل نبي دعوة مستجابة وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي وهي نائلة منكم إن شاء الله مَن مات لا يشرك بالله شيئاً»، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل قال: وقال الحجّاج بن منهال ثنا همّام بن يحيىٰ ثنا قتادة عن أنس أن النبي ﷺ قال: «يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهتموا بذلك فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا، فيأتون آدم فيقولون: أنت آدم أبو الناس خلقك الله بيده وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته، وعلّمك أسماء كل شيء، اشفعْ لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب أكله من الشجرة، وقد نهي عنها ولكن ائتوا نوحاً أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض، فيأتون نوح فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب سؤاله ربّه بغير علم. ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن، قال: فيأتون إبراهيم، فيقول: إني لست هناكم ويذكر كذبات كذبهنّ، ولكن ائتوا موسى عبداً أتاه الله التوراة وكلّمه وقربه نجيّاً. قال: فيأتون موسى، فيقول: إني لستُ هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب قتله النفس، ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وروح الله وكلمته، قال: فيأتون عيسى، فيقول: لستُ هناكم، ولكن ائتوا محمداً عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال: فيأتوني فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه، فإذا رأيته وقعت ساجداً فَيَدَعني ما شاء الله أن يدعني، فيقول ارفعْ محمدُ وقلْ تُسمع واشفعْ تشفع، وسلْ تعطه قال: فأرفع رأسي فأُثني على ربي بثناء وتحميد يعلّمنيه، ثم أشفع

المقام المحمود الذي وعده نبيكم ﷺ زاد في رواية «فقال النبي ﷺ يخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن برة، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة» قال يزيد بن زريع في حديث شعبة ذرة وفي رواية من إيمان مكان خير، وفي حديث معبد بن هلال العنزي عن أنس في حديث الشفاعة، وذكر نحوه وفيه فأقول يا رب أمتي أمتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار فانطلق فافعل قال فلما خرجنا من عند أنس، مررنا بالحسن فسلمنا عليه فحدثناه بالحديث إلى هذا الموضع فقال: هيا، فقلنا: لم يزدنا على هذا فقال لقد حدثني، وهو يومئذ جميع منذ عشرين سنة كما حدثكم، ثم قال: ثم أعود في الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخرّ له ساجداً فيقال لي يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فأقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله قال: ليس ذاك لك أو قال ليس ذاك إليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي، لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله. قوله: وهو يومئذ جميع أي مجتمع الذهن والرأي. عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد، ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الأرض، ولا فخر قال فيفزع الناس ثلاث فزعات فيأتون آدم فيقولون أنت أبونا اشفع لنا إلى ربك فيقول: إني أذنبت ذنباً عظيماً فأهبطت به إلى الأرض ولكن ائتوا نوحاً فيأتون نوحاً فيقول: إني دعوت على أهل الأرض دعوة فأهلكوا ولكن اذهبوا إلى إبراهيم فيأتون إبراهيم فيقول: إني كذبت ثلاث كذبات ثم قال رسول الله ﷺ ما منها كذبة إلا ما حل بها عن دين الله ولكن ائتوا موسى فيأتون موسى فيقول قد قتلت نفساً ولكن ائتوا عيسى فيأتون عيسى فيقول: إني عبدت من دون الله ولكن ائتوا محمداً فيأتوني فأنطلق معهم» قال: ابن جدعان:

فيحدّ لي حدّاً فأخرج فأخرجهم من النار، وأدخلهم الجنة، ثم أعود الثانية فاستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقول: ارفعْ محمدُ وقلْ تسمعْ واشفعْ تشفعْ وسلْ تعطه، قال: فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلّمنيه، ثم أشفع فيحدّ لي حدّاً فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود الثالثة فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقول: ارفع محمد وقـل تسمعْ واشفعْ تشفعْ وسلْ تعطه، قال: فأرفع رأسي فأُثني على ربي بثناء وتحميد يعلّمنيه ثم اشفع فيحدّ لي حدّاً فأخرج فأدخلهم الجنة». قال قتادة: وقد سمعته يقول: «فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة حتى ما بقي في النار إلا من قد حبسه القرآن»، أي وجب عليه الخلود، ثم تلا هذه الآية: ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾ قال: «وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيّكم ﷺ». وبهذا الإسناد قال: حدّثنا محمد بن إسماعيل ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد ثنا معبد بن هلال الغزي قال: ذهبنا إلى أنس بن مالك فذكر حديث الشفاعة، بمعناه، وقال: «فأستأذن على ربّي فيؤذن لي ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد وأخرّ له ساجداً، فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسَل تعطه واشفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال: انطلق فأخرج مَن كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان، فأنطلق فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخرّ له ساجداً فذكر مثله، وقال: فيقال لي: انطلق فأخرج مَن كان في قلبه مثقال ذرّة أو خردلة من إيمان، قال: فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخرّ له ساجداً، فذكر مثله، ثم يقال: انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيْمان، فأنطلق فأفعل، فلما خرجنا من عند أنس مررنا بالحسن فسلّمنا عليه فحدّثناه بالحديث إلى هذا الموضوع، فقال: هيه، فقلنا: يزدنا على هذا، فقال: لقد حدّثني وهو يومئذ جميع منذ عشرين سنة كما حدّثكم، ثم قال: ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد، ثم أخرّ

قال أنس فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ قال فآخذ بحلقة باب فأقعقعها، فيقال من هذا؟ فيقال: محمد فيفتحون لي ويقولون مرحباً فأخرج ساجداً فيلهمني الله من الثناء والحمد فيقال لي ارفع رأسك وسل تعطه، واشفع تشفع وقل يسمع لقولك وهو المقام المحمود الذي قال الله سبحانه وتعالى: عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً. قال سفيان: ليس عن أنس غير هذه الكلمة فآخذ بحلقة باب الجنة فاقعقعها فيقال: من هذا فيقال محمد فيفتحون لي ويرحبون فيقولون: مرحباً فأخر ساجداً فيلهمني الله من الثناء والحمد» أخرجه الترمذي. قوله: ماحل المماحلة: المخاصمة والمجادلة. والمعنى: أنه عليه الصلاة والسلام خاصم وجادل عن دين الله بتلك الألفاظ التي صدرت منه. قوله: فاقعقعها أي أحركها حركة شديدة والقعقعة حكاية أصوات الترس وغيره مما له صوت. عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ «أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا، وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا ولواء الحمد يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر» أخرجه الترمذي زاد في رواية غير الترمذي: وأنا مستشفعهم إذا حبسوا الكرامة، والمفاتيح يومئذ بيدي يطوف علي خدم كأنهم بيض مكنون أو لؤلؤ منثور» (م) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع وأول مشفع» زاد الترمذي، قال: «أنا أول من تنشق عنه الأرض فأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش فليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري. عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنه قال: إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن فبينما هم كذلك، استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام، فيشفع ليقضي بين الخلائق فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب، فيؤمئذٍ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمده فيه أهل الجمع كلهم (م) عن يزيد بن صهيب قال: كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد أن نحج ثم نخرج على الناس قال:

له ساجداً فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع، فأقول: يا ربِّي إئذن لي فيمن قال لا إله إلا الله، فيقول وعزّتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجنّ منها مَن قال لا إله إلا الله» ورُوِيَ عن عبد الله بن عمر قال: إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأُذن فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد ﷺ فيشفع ليقضي بين الخلق، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمده أهل الجمع كلهم. وأخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد بن ماموية ثنا أبو بكر محمد بن الحسين القطّان ثنا محمد بن حنوية ثنا سعيد بن سليمان ثنا منصور بن أبي الأسود ثنا الليث عن الربيع بن أنس عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أوّلهم خروجاً إذا بعثوا وأنا قائدهم إذا وفدوا وأنا خطيبهم إذا أنصتوا وأنا شفيعهم إذا حبسوا وأنا مبشّرهم إذا أيسوا، الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي، ولواء الحمد يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي، يطوف عليّ ألف خادم كأنهم لؤلؤ بيض مكنون أو لؤلؤ منثور»، أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجّاج حدّثني الحكم بن موسى ثنا معقل بن زياد عن الأوزاعي حدّثني أبو عمّار حدّثني عبد الله بن فرّوخ حدّثني أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول مَن ينشقّ عنه القبر وأول شافع وأول مشفع»، والأخبار في الشفاعة متواترة كثيرة وأول مَن أنكرها عمرو بن عبيد وهو مبتدع باتفاق أهل السُنّة، ورُوِيَ عن يزيد بن صهيب الفقيه قال: كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج، وكنت رجلاً شاباً فخرجنا في عصابة تريد الحج، فمررنا على المدينة فإذا جابر بن عبد الله يحدّث القوم عن رسول الله ﷺ، وذكر حديث الجهنميين، فقلت له: يا صاحب رسول الله ما هذا الذي يحدّثون والله عزّ وجلّ يقول: ﴿إنك مَن تدخل النار فقد أخزيته﴾ [آل عمران: ١٩٢]، ﴿وكلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها﴾ [السجدة: ٢٠]، فقال لي:

فمررنا على المدينة فإذا جابر بن عبد الله جالس إلى سارية يحدث عن رسول الله ﷺ، وإذا هو قد ذكر الجهنميين فقلت يا صاحب رسول الله ﷺ ما هذا الذي تحدثونه والله يقول إنك من تدخل النار فقد أخزيته وكلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها، فما هذا الذي تقولون قال: أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم. قال: فاقرأ ما قبله إنه في الكفار ثم قال فهل سمعت بمقام محمد الذي يبعثه الله فيه قلت: نعم قال فإن مقام محمد ﷺ المحمود الذي يخرج الله به من يخرج من النار قال ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه، قال وأخاف أن لا أكون أحفظ ذاك. قال غيره أنه قد زعم أن قوماً يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها. قال: يعني فيخرجون كأنهم عيدان السماسم قال فيدخلون نهراً من أنهار الجنة فيغتسلون فيه، فيخرجون منه كأنهم القراطيس فرجعنا فقلنا ويحكم أترون هذا الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ، فرجعنا فلا والله ما خرج غير رجل واحد أو كما قال، والأحاديث في الشفاعة كثيرة وأول من أنكرها عمرو ابن عبيد وهو مبتدع باتفاق أهل السنة. وروى أبو وائل عن ابن مسعود أنه قال: إن الله اتخذ إبراهيم خليلاً وإن صاحبكم خليل الله وأكرم الخلق عليه. ثم قرأ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً قال يقعده على العرش. وعن مجاهد مثله وعن عبد الله بن سلام قال يقعد على الكرسي. قوله عز وجل:

﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾

﴿**وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق**﴾ المراد منهما الإدخال والإخراج قال ابن عباس: معناه أدخلني مدخل صدق المدينة وأخرجني مخرج صدق من مكة نزلت حين أمر رسول الله ﷺ بالهجرة. وقيل: معناه أخرجني من مكة آمناً من المشركين، وأدخلني مكة ظاهراً عليها بالفتح، وقيل: أدخلني في أمرك الذي أرسلتني به من النبوة مدخل صدق، وأخرجني من الدنيا، وقد قمت بما وجب علي من حق النبوة مخرج صدق وقيل: معناه

يا فتى أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قال: هل سمعت بمقام محمد المحمود الذي يبعثه الله فيه؟ قلت: نعم، قال: فإنه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به مَن يخرج من النار، ثم نعتَ وَضْعَ الصراط ومرَّ الناس عليه، وأن قوماً يخرجون من النار بعدما يكونون فيها، قال: فرجعنا وقلنا أترون هذا الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ، ورُوِيَ عن أبي وائل عن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «إن الله عزّ وجلّ اتخذ إبراهيم خليلاً، وإن صاحبكم خليل الله وأكرم الخلق على الله»، ثم قرأ: ﴿ **عسى أن يبعثك ربُّك مقاماً محموداً** ﴾. وعن مجاهد في قوله تعالى: ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾، قال: يجلسه على العرش. وعن عبد الله بن سلام قال: يقعده على الكرسي.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **وقلْ ربِّ أدخلني مُدْخلَ صدق وأخرجني مُخرَجَ صدق** ﴾، المراد من المدخل والمخرج الإدخال والإخراج، واختلف أهل التفسير فيه، فقال ابن عباس والحسن وقتادة: أدخلني مدخل صدق المدينة، وأخرجني مخرج صدق من مكة، نزلت حين أمر النبي ﷺ بالهجرة. وقال الضحاك: وأخرجني مخرج صدق من مكة آمناً من المشركين، وأدخلني مدخل صدق مكة ظاهراً عليها بالفتح. وقال مجاهد: أدخلني في أمرك الذي أرسلتني به من النبوّة مدخل صدق، وأخرجني من الدنيا وقد قمت بما وجب عليّ من حقها مخرج صدق. وعن الحسن أنه قال: أدخلني مدخل صدق الجنة واخرجني مخرج صدق من مكة وقيل: أدخلني في طاعتك وأخرجني من المناهي وقيل معناه أدخلني حيث ما أدخلتني بالصدق، وأخرجني بالصدق، أي: لا تجعلني ممّن يدخل بوجه ويخرج بوجه، فإنّ ذا الوجهين لا يكون أميناً ووجيهاً عند الله. ووصف الإدخال والإخراج بالصدق لما يؤل إليه الخروج والدخول من النصر والعزّ ودولة الدين، كما وصف القدم بالصدق فقال: ﴿ إنّ لهم قدم صدق عند ربهم ﴾

أدخلني في طاعتك مدخل صدق وأخرجني من المناهي مخرج صدق وقيل: معناه أدخلني حيثما أدخلتني بالصدق، وأخرجني بالصدق ولا تجعلني ممن يخرج بوجه ويدخل بوجه فإن ذا الوجهين لا يكون آمناً عند الله ﴿**واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً**﴾ أي حجة بينة وقيل: ملكاً قوياً تنصرني به على من عاداني وعزاً ظاهراً أقيم به دينك فوعده الله لينزعن ملك فارس والروم وغيرهما ويجعله له، وأجاب دعاءه فقال له والله يعصمك من الناس، وقال يظهره على الدين كله وقال: وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض الآية. قوله تعالى ﴿**وقل جاء الحق**﴾ يعني الإسلام والقرآن ﴿**وزهق الباطل**﴾ أي الشرك والشيطان ﴿**إن الباطل كان زهوقاً**﴾ أي مضمحلاً غير ثابت، وذلك أن **الباطل** وإن كان له دولة وصولة في وقت من الأوقات فهو سريع الذهاب والزوال (ق). عن عبد الله بن مسعود قال: دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وكان حول البيت ثلثمائة وستون صنماً فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: جاء الحق وزهق **الباطل** إن الباطل كان زهوقاً ـ جاء الحق، وما يبدىء **الباطل** وما يعيد ـ قوله تعالى:

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾

﴿**وننزل من القرآن ما هو شفاء**﴾ من في قوله تعالى من القرآن لبيان الجنس. والمعنى: ننزل من هذا الجنس الذي هو القرآن ما هو شفاء أي بيان من الضلالة والجهالة، يتبين به المختلف فيه ويتضح به المشكل، ويستشفى به من الشبهة ويهتدى به من الحيرة وهو شفاء القلوب بزوال الجهل عنها. وقيل: هو شفاء للأمراض الباطنة والظاهرة، وذلك لأنها تنقسم إلى نوعين(١) أحدهما الاعتقادات الباطلة، والثاني الأخلاق المذمومة أما الاعتقادات الباطلة

[يونس: ٢]. ﴿ **واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً** ﴾، قال مجاهد: حجة بيّنة. وقال الحسن: ملكاً قوياً تنصرني به على مَن ناوأني وعزاً ظاهراً أُقيم به دينك، فوعده الله لينزعنّ ملك فارس والروم وغيرهما فيجعله له. قال قتادة: علم نبيّ الله ﷺ أن لا طاقة له بهذا الأمر إلّا بسلطان نصير، فسأل سلطاناً نصيراً كتاب الله وحدوده وإقامة دينه.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **وقلْ جاء الحق** ﴾، يعني القرآن، ﴿ **وزهق الباطل** ﴾، أي الشيطان، قال قتادة: وقال السدي: الحق الإسلام، والباطل الشرك. وقيل: الحق عبادة الله، والباطل عبادة الأصنام. ﴿ **إنّ الباطل كان زهوقاً** ﴾ ذاهباً، يقال: زهقت نفسه أي خرجت. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا صدقة بن الفضل ثنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله، قال: دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة صنم، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: «**جاء الحق وزهق الباطل، جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد**».

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **وننزل من القرآن ما هو شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين** ﴾، قيل: ﴿ **من** ﴾ ليس للتبعيض، ومعناه: وننزل من القرآن ما هو كله شفاء، أي: بيان من الضلالة والجهالة يتبيّن به المختلف ويتضح به المشكل ويستشفى به من الشبهة ويهتدى به من الحيرة، وهو شفاء القلوب بزوال الجهل عنها ورحمة للمؤمنين. ﴿ **ولا يزيد الظالمين**

---

(١) قوله لأنها تنقسم إلى نوعين أي الأمراض الغير الجسمانية بدليل قوله بعد وأما كونه شفاء من الأمراض الجسمانية والعبارة في الفخر الرازي بغاية التهذيب فليراجع.

فأشدها فساداً والاعتقادات الفاسدة في الذات والصفات والنبوات والقضاء والقدر والبعث بعد الموت، فالقرآن كتاب مشتمل على دلائل المذهب الحق في هذه الأشياء وابطال المذاهب الفاسدة، لا جرم، كان القرآن شفاء لما في القلوب من هذا النوع. وأما النوع الثاني: وهو الأخلاق المذمومة فالقرآن مشتمل على التنفير منها، والإرشاد إلى الأخلاق المحمودة والأعمال الفاضلة، فثبت أن القرآن شفاء من جميع الأمراض الباطنة وأما كونه شفاء من الأمراض الجسمانية، فلأن التبرك بقراءته يدفع كثيراً من الأمراض. يدل عليه ما روي عن النبي ﷺ في فاتحة الكتاب، «وما يدريك أنها رقية»: ﴿ورحمة للمؤمنين﴾ لما كان القرآن شفاء للأمراض الباطنة والظاهرة، فهو جدير بأن يكون رحمة للمؤمنين ﴿ولا يزيد الظالمين إلا خساراً﴾ لأن الظالم لا ينتفع به، والمؤمن ينتفع به فكان رحمة للمؤمنين وخساراً للظالمين، وقيل: لأن كل آية تنزل يتجدد لهم تكذيب بها فيزداد خسارهم قال قتادة: لم يجالس القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان قضاه الله الذي قضى شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً. قوله سبحانه وتعالى: ﴿وإذا أنعمنا على الإنسان﴾ أي بالصحة والسعة ﴿أعرض﴾ أي عن ذكرنا ودعائنا ﴿ونأى بجانبه﴾ أي تباعد منا بنفسه وترك التقرب إلينا بالدعاء وقيل: معناه تكبر وتعظم ﴿وإذ مسه الشر﴾ أي الشدة والضر ﴿كان﴾ أي يائساً قنوطاً، وقيل: معناه إنه يتضرع ويدعو عند الضر والشدة، فإذا تأخرت الإجابة يئس فلا ينبغي للمؤمن أن يدع الدعاء ولو تأخرت الإجابة. قوله عز وجل ﴿قل كل﴾ أي كل أحد ﴿يعمل على شاكلته﴾ قال ابن عباس: على ناحيته. وقيل: الشاكلة الطريقة أي على طريقته التي جبل عليها، وفيه وجه آخر وهو أن كل إنسان يعمل على حسب جوهر نفسه، فإن كانت نفسه شريفة طاهرة، صدرت عنه أفعال جميلة وأخلاق زكية طاهرة وإن كانت نفسه كدرة خبيثة صدرت عنه أفعال خبيثة فاسدة رديئة ﴿فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً﴾ أي أوضح طريقاً وأحسن مذهباً واتباعاً للحق قوله سبحانه وتعالى:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ﴾

إلّا خساراً ﴾، لأن الظالم لا ينتفع به والمؤمن مَن ينتفع به فيكون رحمة له، وقيل: زيادة الخسارة للظالم من حيث أن كل آية تنزل يتجدّد منهم تكذيب ويزداد لهم خسارة، قال قتادة: لم يجالس هذا القرآن أحد إلّا قام عنه بزيادة أو نقصان، قضى الله الذي قضى شفاء ورحمة للمؤمنين، ولا يزيد الظالمين إلّا خساراً.

قوله تعالى: ﴿ وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ﴾، عن ذكرنا ودعائنا، ﴿ ونأى بجانبه ﴾، أي تباعد منّا بنفسه، أي ترك التقرّب إلى الله بالدعاء. وقال عطاء: تعظم وتكبر، ويكسر النون والهمزة حمزة والكسائي، ويفتح النون ويكسر الهمزة أبو بكر، وقرأ ابن عامر وأبو جعفر «ونـاء» مثل جاء قيل: هو بمعنى نأى، وقيل: ناء من النوء وهو النهوض والقيام. ﴿ وإذا مسّه الشرّ ﴾، الشدّة والضرّ، ﴿ كان يؤساً ﴾، أي آيساً قنوطاً. وقيل: معناه أنه يتضرّع ويدعو عند الضرّ والشدّة، فإذا تأخرت الإجابة يئس ولا ينبغي للمؤمن أن ييأس من الإجابة، وإن تأخرت فيدع الدعاء.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ قلْ كلٌّ يعمل على شاكلته ﴾، قال ابن عباس: على ناحيته. قال الحسن وقتادة: على نيّته. وقال مقاتل: على خليقته. قال الفرّاء على طريقته التي جُبلَ عليها. وقال القتيبي: على طبيعته وجبلته. وقيل: على السبيل الذي اختاره لنفسه، وهو من الشكل، يقال: لستَ على شكلي ولا شاكلتي، وكلها لغات متقاربة، تقول العرب: طريق ذو شواكل إذا تشعبت منه الطرق، ومجاز الآية: كلٌّ يعمل على ما يشبهه كما يقال في المثل: كل امرىء يشبهه فعله. ﴿ فربكم أعلم بمَن هو أهدى سبيلاً ﴾، أوضح طريقاً.

﴿بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾
قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾

﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾ (ق) عن عبد الله بن مسعود قال: بينما أنا أمشي مع النبي ﷺ وهو يتوكأ على عسيب معه فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح. وقال بعضهم: لا تسألوه يسمعكم ما تكرهون فقاموا إليه، وفي رواية، فقام إليه رجل منهم فقال: يا أبا القاسم ما الروح؟ فسكت وفي رواية، فقالوا حدثنا عن الروح، فقام ساعة ينتظر الوحي، وعرفت أنه يوحى إليه فتأخرت حتى صعد الوحي قال: ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً. فقال بعضهم لبعض: قد قلنا لكم لا تسألوه. وفي رواية، وما أوتوا من العلم إلا قليلاً. قال الأعمش هكذا في قراءتنا. العسيب: جريد النخل وسعفه. وقال ابن عباس: إن قريشاً اجتمعوا وقالوا إن محمداً نشأ فينا بالأمانة والصدق وما اتهمناه بكذب قط، وقد ادعى ما ادعى فابعثوا نفراً إلى اليهود بالمدينة واسألوهم عنه فإنهم أهل كتاب، فبعثوا جماعة إليهم فقالت اليهود سلوه عن ثلاثة أشياء فإن أجاب عن كلها، أو لم يجب عن شيء منها فليس بنبي وإن أجاب عن اثنتين ولم يجب عن واحد فهو نبي فسألوه عن فتية فقدوا في الزمن الأول ما كان شأنهم، فإنه كان لهم حديث عجيب، وعن رجل بلغ مشرق الأرض ومغربها ما خبره وعن الروح قال فسألوا النبي ﷺ فقال: أخبركم بما سألتم غداً، ولم يقل إن شاء الله فلبث الوحي. قال مجاهد: اثني عشر يوماً وقيل: خمسة عشر يوماً وقيل أربعين يوماً وأهل مكة يقولون: قد وعدنا محمد غداً وقد أصبحنا لا يخبرنا بشيء، حتى حزن رسول الله ﷺ من مكث الوحي وشق عليه ما يقوله أهل مكة ثم نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى: ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾ ونزل في الفتية ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً﴾ ونزل فيمن بلغ المشرق والمغرب، قوله ﴿ويسألونك عن ذي القرنين﴾ ونزل في

قوله تعالى: ﴿ ويسئلونك عن الروح قلِ الروح من أمر ربي ﴾، الآية، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا قيس بن حفص ثنا عبد الواحد يعني ابن زياد ثنا الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: بينا أنا أمشي مع النبي ﷺ في حرث المدينة وهو يتوكأ على عسيب معه، فمرّ بنفر من اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه لا يجيء فيه بشيء تكرهونه، فقال بعضهم: لنسألنّه، فقام رجل منهم فقال: يا أبا القاسم ما الروح؟ فسكت، فقلت: إنه يوحى إليه فقمت فلما انجلى عنه، وقال: ﴿ ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أُوتيتم من العلم إلاّ قليلاً ﴾ وفي رواية (وما أُوتوا من العلم إلاّ قليلاً) قال الأعمش: هكذا في قراءتنا. ورُوِيَ عن ابن عباس أنه قال: إن قريشاً قد اجتمعوا وقالوا: إن محمداً نشأ فينا بالأمانة والصدق وما اتهمناه بكذب، وقد ادّعى ما ادّعى، فابعثوا نفراً إلى اليهود بالمدينة واسألوهم عنه فإنهم أهل كتاب فبعثوا جماعة إليهم، فقالت اليهود: سلوه عن ثلاثة أشياء فإن أجاب عن كلها أو لم يجب عن شيء منها، فليس بنبي وإن أجاب عن اثنين ولم يجب عن واحدة فهو نبي فسلوه عن فتية فقدوا في الزمن الأول ما كان من أمرهم فإنه كان لهم حديث عجيب وعن رجل بلغ شرق الأرض وغربها ما خبره، وعن الروح، فسألوه، فقال النبي ﷺ: «أخبركم بما سألتم غداً» ولم يقل إن شاء الله، فلبث الوحي، قال مجاهد: اثني عشرة ليلة، وقيل: خمسة عشر يوماً. وقال عكرمة: أربعين يوماً وأهل مكة يقولون: وعدنا محمد غداً وقد أصبحنا لا يخبرنا بشيء، حتى حزن النبي ﷺ من مكث الوحي وشقّ عليه ما يقوله أهل مكة، ثم نزل جبريل بقوله: ﴿ ولا تقولنّ لشيء إني فاعل ذلك غداً إلاّ أن يشاء الله ﴾ [الكهف: ٢٣]، ونزل في الفتية ﴿ أم حسبتَ أن

الروح ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾ واختلفوا في الذي وقع السؤال عنه، فروي عن ابن عباس أنه جبريل وعن علي أنه ملك له سبعون ألف وجه في كل وجه سبعون ألف لسان لكل لسان سبعون ألف لغة يسبح الله تعالى بكلها. وقال مجاهد: خلق على صورة بني آدم، لهم أيد وأرجل ورؤوس ليسوا بملائكة ولا ناس يأكلون الطعام. وقال سعيد بن جبير: لم يخلق الله خلقاً أعظم من الروح غير العرش لو شاء أن يبتلع السموات والأرض ومن فيها بلقمة واحدة لفعل ذلك صورة خلقه على صورة الملائكة، وصورة وجهه على صورة وجه الآدميين، يقوم يوم القيامة على يمين العرش، وهو أقرب الخلق إلى الله تعالى اليوم عند الحجب السبعين وأقرب الخلق إلى الله يوم القيامة وهو ممن يشفع لأهل التوحيد، ولولا أن بينه وبين الملائكة ستراً من نور لاحترق أهل السموات من نوره. وقيل: الروح هو القرآن لأن الله سماه روحاً ولأن به حياة القلوب. وقيل: هو الروح المركب في الخلق الذي به يحيى الإنسان وهو أصح الأقوال. وتكلم قوم في ماهية الروح فقال بعضهم: هو الدم ألا ترى أن الإنسان إذا مات لا يفوت منه شيء إلا الدم. وقال قوم: هو نفس الحيوان بدليل أنه يموت باحتباس النفس. وقال قوم: هو عرض. وقال قوم: هو جسم لطيف يحيا به الإنسان. وقيل: الروح معنى اجتمع فيه النور والطيب والعلم والعلو والبقاء، ألا ترى أنه إذا كان موجوداً يكون الإنسان موصوفاً بجميع هذه الصفات إذا خرج منه ذهب الكل. وأقاويل الحكماء والصوفية في ماهية الروح كثيرة، وليس هذا موضع استقصائها وأولى الأقاويل أن يوكل علمه إلى الله عز وجل وهو قول أهل السنة قال عبد الله بن بريدة: إن الله لم يطلع على الروح ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً بدليل قوله: قل الروح من أمر ربي أي من علم ربي الذي استؤثر به ﴿**وما أوتيتم من العلم**﴾ من علم ربي ﴿**إلا قليلاً**﴾ أي في جنب علم الله عز وجل الخطاب عام. وقيل: هو خطاب لليهود فإنهم كانوا يقولون: أوتينا التوراة وفيها العلم الكثير، فقيل لهم: إن علم التوراة قليل في جنب علم الله. وقيل إن القلة والكثرة تدوران مع الإضافة فوصف الشيء بالقلة مضافاً إلى ما فوقه، وبالكثرة مضافاً

أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً﴾ [الكهف: ٩]، ونزل فيمن بلغ الشرق والغرب ﴿ويسئلونك عن ذي القرنين﴾ [الكهف: ٨٣]، ونزل في الروح ﴿**ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي**﴾، واختلفوا في الروح الذي وقع السؤال عنه، فرُوِيَ عن ابن عباس: أنه جبريل، وهو قول الحسن وقتادة، رُوِيَ عن علي أنه قال: مَلك له سبعون ألف وجه لكل وجه سبعون ألف لسان يسبّح الله تعالى بكلها. وقال مجاهد: خلق على صور بني آدم لهم أيدٍ وأرجل ورؤوس وليسوا بملائكة ولا ناس يأكلون الطعام، وقال سعيد بن جبير: لم يخلق الله تعالى خلقاً أعظم من الروح غير العرش، لو شاء أن يبتلع السمٰوات السبع والأرضين السبع ومَن فيها بلقمة واحدة لفعل، صورة خلقه على صورة خلق الملائكة وصورة وجهه على صورة الآدميين، يقوم يوم القيامة عن يمين العرش وهو أقرب الخلق إلى الله عزّ وجلّ اليوم عند الحجب السبعين، وأقرب إلى الله يوم القيامة وهو ممّن يشفع لأهل التوحيد، ولولا أن بينه وبين الملائكة ستراً من نور لاحترق أهل السمٰوات من نوره. وقيل: الروح هو القرآن. وقيل: المراد منه عيسى عليه السلام، فإنه روح الله وكلمته، ومعناه أنه ليس كما يقوله اليهود ولا كما يقوله النصارى، وقال قوم: هو الروح المركّب في الخلق الذي يحيل به الإنسان، وهو الأصح. وتكلّم فيه قوم فقال بعضهم: هو الدم ألا ترى أن الحيوان إذا مات لا يفوت منه شيء إلا الدم. وقال قوم: هو نَفَسُ الحيوان بدليل أنه يموت باحتباس النفس. وقال قوم: هو عرض. وقال قوم: هو جسم لطيف. وقال بعضهم: الروح معنى اجتمع فيه النور والطيب والعلو والعلم والبقاء، ألا ترى أنه إذا كان موجوداً يكون الإنسان موصوفاً بجميع هذه الصفات، فإذا خرج ذهب الكل، وأولى الأقاويل: أن يوكل علمه إلى الله عزّ وجلّ، وهو قول أهل السُّنّة. قال عبد الله بن بريدة: إن الله لم يطلعْ على الروح ملكاً مقرباً ولا نبيّاً مرسلاً. وهو قول أهل السُّنّة. قال عبد الله بن بريدة إن الله لم يطلعْ على الروح

إلى ما تحته وقيل: إن النبي ﷺ علم معنى الروح ولكن لم يخبر به لأن ترك الإخبار به كان علماً لنبوته. والقول الأصح هو أن الله عز وجل استأثر بعلم الروح. قوله عز وجل ﴿**ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك**﴾ ومعناه أنا كما منعنا علم الروح عنك وعن غيرك، إن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من الصدور والمصاحف، فلم نترك له أثراً وبقيت كما كنت ما تدري ما الكتاب ﴿**ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً**﴾ معناه لا تجد بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده عليك، وإعادته محفوظاً مستوراً ﴿**إلا رحمة من ربك**﴾ معناه إلا أن يرحمك ربك فيرده عليك، وقيل هو على الاستثناء المنقطع. معناه لكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به، وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظاً، فإن قلت كيف يذهب بالقرآن وهو كلام الله عز وجل؟ قلت: المراد منه محو ما في المصاحف وإذهاب ما في الصدور وقال عبد الله بن مسعود: «اقرؤوا القرآن قبل أن يرفع فإنه لا تقوم الساعة حتى يرفع» قيل: هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الناس قال: يسرى عليه ليلاً فيرفع ما في صدورهم فيصبحون لا يحفظون شيئاً، ولا يجدون مما في المصاحف شيئاً ثم يفيضون في الشعر وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال «لا تقوم الساعة حتى يرفع القرآن من حيث نزل. له دوي حول العرش كدوي النحل، فيقول الرب: ما لك؟ فيقول: يا رب أُتلى ولا يُعمل بي» ﴿**إن فضله كان عليك كبيراً**﴾ أي بسبب بقاء العلم والقرآن عليك وجعلك سيد ولد آدم، وختم النبيين بك وإعطائك المقام المحمود. قوله سبحانه وتعالى ﴿**قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله**﴾ أي لا يقدرون على ذلك ﴿**ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً**﴾ أي عوناً. نزلت حين قال المشركون: لو نشاء لقلنا مثل هذا فكذبهم الله عز وجل، فالقرآن معجز في النظم والتأليف والإخبار عن الغيوب، وهو كلام في أعلى طبقات البلاغة

ملكاً مقرّباً ولا نبيّاً مرسلاً. وقوله عزّ وجلّ: ﴿ **قل الروح من أمر ربي** ﴾ قيل: من علم ربي، ﴿ **وما أُوتيتم من العلم إلّا قليلاً** ﴾ أي: في جنب علم الله قيل: هذا خطاب للرسول ﷺ. وقيل: خطاب لليهود لأنهم كانوا يقولون أوتينا التوراة وفيها العلم الكثير. وقيل: كان النبي ﷺ يعلم معنى الروح ولكن لم يخبر به أحداً لأن ترك إخباره به كان علماً لنبوّته. والأول أصح لأن الله عزّ وجلّ استأثر بعلمه.

قوله تعالى: ﴿ **ولئن شئنا لنذهبنّ بالذي أوحينا إليك** ﴾، يعني القرآن، معناه: إنّا كما منعنا علم الروح عنك وعن غيرك، لو شئنا لنذهبنّ بالذي أوحينا إليك يعني القرآن، ﴿ **ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً** ﴾، أي: مَن يتوكل بردّ القرآن إليك.

﴿ **إلّا رحمةً من ربك** ﴾، هذا استثناء منقطع معناه: ولكن لا نشاء ذلك رحمة من ربك. ﴿ **إن فضله كان عليك كبيراً** ﴾، فإن قيل كيف يذهب القرآن وهو كلام الله عزّ وجلّ؟ قيل: المراد منه محوه من المصاحف وإذهاب ما في الصدور. وقال عبد الله بن مسعود: اقرؤوا القرآن قبل أن يرفع فإنه لا تقوم الساعة حتى يرفع. قيل هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الناس؟ قال: يسرى عليه ليلاً فيرفع ما في صدورهم فيصبحون لا يحفظون شيئاً ولا يجدون في المصاحف شيئاً، ثم يفيضون في الشعر، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث نزل، له دوي حول العرش كدوي النحل، فيقول الرب: ما لك وهو أعلم؟ فيقول: يا رب أُتلى ولا يُعمَل بي.

قوله جلّ وعلا: ﴿ **قل لئنِ اجتمعتِ الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله** ﴾، لا يقدرون على ذلك، ﴿ **ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً** ﴾، عوناً ومظاهراً، نزلت حين قال الكفّار: لو نشاء لقلنا مثل هذا فكذّبهم الله تعالى، فالقرآن مُعجِز في النظم والتأليف والإخبار عن الغيوب، وهو كلام في أعلى طبقات المبالغة

لا يشبه كلام الخلق لأنه كلام الخالق وهو غير مخلوق ولو كان مخلوقاً لأتوا بمثله قوله عز وجل:

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ
حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ
تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ
فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾

﴿ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل﴾ أي رددنا وكررنا من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه. وقيل: معناه من كل وجه من العبر والأحكام والوعد والوعيد والقصص وغيرها ﴿فأبى أكثر الناس إلا كفوراً﴾ أي جحوداً. قوله سبحانه وتعالى ﴿وقالوا لن نؤمن لك﴾ أي لن نصدقك ﴿حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾ لما تبين إعجاز القرآن وانضمت إليه معجزات أخر وبينات، ولزمتهم الحجة وغلبوا أخذوا يتغالون باقتراح الآيات، فقالوا: لن نؤمن **لك**. روى عكرمة عن ابن عباس أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب والنضر بن الحارث وأبا البختري بن هشام والأسود بن عبد المطلب، وزمعة بن الأسود والوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية وأمية بن خلف والعاص بن وائل، ونبيهاً ومنبهاً ابني الحجاج اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، فقال بعضهم لبعض: ابعثوا إليّ محمداً فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه، فبعثوا إليه أن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً وهو يظن أنه بدا لهم في أمره بدء، وكان حريصاً يحب رشدهم حتى جلس إليهم فقالوا: يا محمد إنا بعثنا إليك لنعذر فيك وإنا والله لا نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك. لقد شتمت الآباء، وعبت الدين، وسفهت الأحلام، وشتمت الآلهة، وفرقت الجماعة، وما بقي من قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك فإن كنت جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جعلنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً وإن

لا يشبه كلام الخلق، لأنه غير مخلوق ولو كان مخلوقاً لأتوا بمثله.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **ولقد صرّفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل** ﴾، من كل وجه من العِبَر والأحكام والوعد والوعيد وغيرها، ﴿ **فأبى أكثر الناس إلّا كفوراً** ﴾، جحوداً.

﴿ **وقالوا لن نؤمن لك** ﴾، لن نصدقك، ﴿ **حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً** ﴾، قرأ أهل الكوفة ويعقوب ﴿ **تفجر** ﴾ بفتح التاء وضمّ الجيم مخفّفاً، لأن الينبوع واحد، وقرأ الباقون بالتشديد من التفجير، واتفقوا على تشديد قوله: ﴿ **فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً** ﴾، لأن الأنهار جمع والتشديد يدلّ على التكثير، ولقوله: ﴿ **تفجيراً** ﴾ من بعد، وروى عكرمة عن ابن عباس: أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب والنضر بن الحارث وأبا البختري بن هشام والأسود بن عبد المطلب وزمعة بن الأسود والوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية وأمية بن خلف والعاص بن وائل ونبيهاً ومنبّهاً ابني الحجّاج اجتمعوا ومَن اجتمع معهم بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، فقال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلّموه وخاصموه حتى تُعذروا فيه، فبعثوا إليه أن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلّموك فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً وهو يظن أنه بدا لهم في أمره بدء وكان عليهم حريصاً يحب رشدهم حتى جلس إليهم، فقالوا: يا محمد إنّا بعثنا إليك لنعذر فيك وإنّا والله لا نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفّهت الأحلام وشتمت الآلهة، وفرّقت الجماعة فما بقي أمر قبيح إلّا وقت جئته فيما بينك وبيننا، فإن كنت جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جعلنا لك من أموالنا

كنت تريد الشرف سودناك علينا وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي بك رئي تراه قد غلب عليك لا تستطيع رده بذلنا لك أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه ونعذر فيك وكانوا يسمون التابع من الجن الرئي فقال رسول الله ﷺ: ما بي ما تقولون ما جئتكم بما جئتكم به لطلب أموالكم، ولا للشرف عليكم ولا للملك عليكم ولكن الله بعثني إليكم رسولاً وأنزل عليّ كتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً، فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فإن تقبلوا مني فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم بيني وبينكم فقالوا: يا محمد إن كنت غير قابل منّا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد أضيق بلاداً ولا أشد عيشاً منا، فسل لنا ربك الذي بعثك فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا، ويبسط لنا بلادنا ويفجر لنا فيها الأنهار كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن منهم قصي بن كلاب فإنه كان شيخاً صدوقاً فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل فإن صدقوك صدقناك. فقال رسول الله ﷺ: ما بهذا بعثت فقد بلغتكم ما أرسلت به، فإن تقبلوه فهو حظكم وإن تردوه أصبر لأمر الله تعالى. قالوا: فإن لم تفعل هذا فسل لنا ربك أن يبعث ملكاً يصدقك، وسله أن يجعل لك جنات وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة يعينك بها على ما تريد، فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه فقال: ما بعثت بهذا ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً. قالوا: فأسقط السماء كما زعمت إن ربك إن شاء فعل. فقال: ذلك إلى الله إن شاء فعل ذلك بكم. وقال قائل منهم: لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلاً فلما قالوا ذلك قام رسول الله ﷺ وقام معه عبد الله بن أبي أمية، وهو ابن عمته عاتكه بنت عبد المطلب فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم، ثم سألوك لأنفسهم أموراً يعرفون بها منزلتك من الله فلم تفعل ثم سألوك أن تعجل

حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تطلب الشرف سوّدناك علينا، وإن كنت تريد ملكاً ملّكناك علينا، وإن كان هذا الأمر الذي بك رئي تراه حتى غلب عليك لا تستطيع ردّه بذلنا لك أموالنا في طلب حتى نبرئك منه، أو نعذر فيك، وكانوا يسمّون التابع من الجن: الرئي، فقال رسول الله ﷺ: «ما بي ما تقولون ما جئتكم بما جئتكم به لطلب أموالكم ولا الشرف عليكم، ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل عليّ كتاباً وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً فبلّغتكم رسالة ربّي ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردّوه عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم، فقالوا: يا محمد إن كنت غير قابل منّا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد أضيق منّا بلاداً ولا أشدّ منّا عيشاً فسَلْ لنا ربك الذي بعثك فليسيّر عنّا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا، ويبسط لنا بلادنا ويفجّر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا مَن مضى من آبائنا وليكن منهم قصي بن كلاب فإنه كان شيخاً صدوقاً فنسألهم عمّا تقول أحق هو أم باطل، فإن صدقوك صدّقناك، فقال رسول الله ﷺ: «ما بهذا بعثتُ فقد بلّغتكم ما أُرسلت به، فإن تقبلوه منّي فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردّوه أصبر لأمر الله»، قالوا: فإن لم تفعل هذا فسَلْ ربك أن يبعث لنا ملكاً يصدقك واسأله أن يجعل لك جناناً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة يغنيك بها عمّا نراك، فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه، فقال: ما بُعثتُ بهذا ولكنّ الله بعثني بشيراً ونذيراً، قالوا: فأسقط السماء كما زعمت، إن ربك لو شاء فعل، فقال: «ذلك إلى الله إن شاء فعل ذلك بكم فعله»، وقال قائل منهم: لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلاً»، فلما قالوا ذلك قام رسول الله ﷺ وقام معه عبد الله بن أبي أُمية وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب، فقال: يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا عليك فلم تقبله منهم ثم سألوك لأنفسهم أموراً يعرفون بها منزلتك من الله تعالى فلم تفعل، ثم سألوك أن تعجّل ما تخوفهم به من العذاب، فلم تفعل، فوالله لا أُؤمن لك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلماً ترقى فيها وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتي بنسخة منشورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك بما تقول، وإيم الله لو فعلت ذلك لظننت أن لا أصدقك، فانصرف رسول

ما تخوفهم به من العذاب، فلم تفعل فوالله ما أؤمن لك أبداً حتى تتخذ إلى السماء مرقى ترقى فيه، وأنا أنظر حتى تأتيها فتأتي بنسخة منشورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك بما تقول، وايم الله لو فعلت ذلك لظننت أن لا أصدقك. فانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزيناً من مباعدتهم فأنزل الله تعالى: ﴿**وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض**﴾ يعني أرض مكة ﴿**ينبوعاً**﴾ أي عيوناً أو ﴿**أو تكون لك جنة من نخيل وعنب**﴾ أي بستان فيه نخيل وعنب ﴿**فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً**﴾ أي تشقيقاً ﴿**أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً**﴾ أي قطعاً ﴿**أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً**﴾ قال ابن عباس: كفيلاً أي يكفلون بما تقول. وقيل هو جمع القبيلة أي بأصناف الملائكة قبيلة قبيلة، يشهدون لك بصحة ما تقول. وقيل: معناه تراهم مقابلة عياناً ﴿**أو يكون لك بيت من زخرف**﴾ أي من ذهب وأصله الزينة ﴿**أو ترقى**﴾ أي تصعد ﴿**في السماء ولن نؤمن لرقيك**﴾ أي لأجل رقيك ﴿**حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه**﴾ أمرنا فيه باتباعك وهذا قول عبد الله بن أبي أمية ﴿**قل**﴾ أي قل يا محمد ﴿**سبحان ربي**﴾ أمره بتنزيهه وتمجيده وفيه معنى التعجب ﴿**هل كنت إلا بشراً رسولاً**﴾ أي كسائر الرسل لأممهم وكان الرسل لا يؤتون قومهم إلا بما يظهره الله عليهم من الآيات، فليس أمر الآيات إليهم إنما هو إلى الله تعالى، ولو أراد أن ينزل ما طلبوا لفعل، ولكن لا ينزل الآيات على ما اقترحه البشر وما أنا إلا بشر، وليس ما سألتم في طوق البشر واعلم أن الله سبحانه وتعالى قد أعطى النبي ﷺ من الآيات والمعجزات ما يغني عن هذا كله، مثل القرآن وانشقاق القمر ونبع الماء من بين أصابعه وما أشبهها من الآيات، وليست بدون ما اقترحوه بل هي أعظم مما اقترحوه والقوم عامتهم كانوا متعنتين، ولم يكن قصدهم طلب الدليل ليؤمنوا فرد الله تعالى عليهم سؤالهم قوله عز وجل:

الله ﷺ إلى أهله حزيناً لِما رأى من مباعدتهم، فأنزل الله تعالى: ﴿ **وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجّر لنا من الأرض** ﴾ يعني: أرض مكة ﴿ **ينبوعاً** ﴾ أي: عيوناً.

﴿ **أو تكون لك جنة** ﴾، بستان ﴿ **من نخيل وعنب فتفجّر الأنهار خلالها تفجيراً** ﴾، تشقيقاً.

﴿ **أو تُسقِطَ السماء كما زعمتَ علينا كِسَفاً** ﴾، قرأ نافع وابن عامر وعاصم بفتح السين، أي: قطعاً وهي جمع كسفة، وهي القطعة والجانب مثل كسرة وكسر، وقرأ الآخرون بسكون السين على التوحيد، وجمعه أكساف وكسوف، أي: تسقطها طبقاً واحداً. وقيل: أراد جانبها علينا. وقيل: معناه أيضاً القطع، وهي جمع التكسير مثل سدرة وسدر في الشعراء [٨٧] وسبأ [٩] ﴿ **كسفاً** ﴾ بالفتح، حفص، وفي الروم [٤٨] ساكنة أبو جعفر، وابن عامر. ﴿ **أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً** ﴾، قال ابن عباس: كفيلاً أن يكفلون بما تقول: وقال الضحاك: ضامناً. وقال مجاهد: هو جمع القبيلة أي: بأصناف الملائكة قبيلة قبيلة. وقال قتادة: عياناً أي: تراهم القابلة أي معاينة. وقال الفرّاء: هو من قول العرب لقيت فلاناً قبيلاً، وقبيلاً أي: معاينة.

﴿ **أو يكون لك بيت من زُخرف** ﴾ أي: من ذهب، وأصله الزينة، ﴿ **أو ترقى** ﴾، تصعد، ﴿ **في السماء** ﴾، هذا قول عبد الله بن أبي أُميّة، ﴿ **ولنْ نُؤمن لرقيك** ﴾، لصعودك، ﴿ **حتى تُنزِّلَ علينا كتاباً نقرأه** ﴾، أمرنا فيه باتباعك، ﴿ **قلْ سبحان ربي** ﴾، وقرأ ابن كثير وابن عامر «قال» يعني محمداً، وقرأ الآخرون على الأمر، أي: قلْ يا محمد، ﴿ **هلْ كنتُ إلّا بشراً رسولاً** ﴾، أمره بتنزيهه وتمجيده، على معنى أنه لو أراد أن ينزل ما طلبوا لفعل، ولكن الله لا ينزل الآيات على ما يقترحه البشر، وما أنا إلّا بشر وليس ما سألتم في طوق البشر، واعلم أن الله تعالى قد أعطى النبي ﷺ من الآيات والمعجزات ما يُغني عن هذا كله، مثل القرآن وانشقاق القمر وتفجير العيون من بين الأصابع وما أشبهها، والقوم عامّتهم كانوا متعنتين لم يكن قصدهم طلبَ الدليل ليؤمنوا، فردّ الله عليهم سؤالهم.

وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾

﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى﴾ أي الوحي. والمعنى: وما منعهم الإيمان بالقرآن وبنبوة محمد ﷺ إلا شبهة تلجلجت في صدورهم هي إنكارهم أن يرسل الله البشر وهو قوله تعالى ﴿إلا أن قالوا﴾ أي جهلاً منهم ﴿أبعث الله بشراً رسولاً﴾ وذلك أن الكفار كانوا يقولون لن نؤمن لك لأنك بشر وهلا بعث الله إلينا ملكاً فأجابهم الله بقوله: ﴿قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين﴾ أي مستوطنين مقيمين فيها ﴿لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً﴾ أي من جنسهم لأن الجنس إلى الجنس أميل ﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم﴾ أي على أني رسوله إليكم وأني قد بلغت ما أرسلت به إليكم، وأنكم كذبتم وعاندتم ﴿إنه كان بعباده﴾ يعني المنذرين والمنذرين ﴿خبيراً بصيراً﴾ أي عالماً بأحوالهم، فهو مجازيهم وفيه تسلية للنبي ﷺ ووعيد للكفار ﴿ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه﴾ أي يهدونهم وفيه أيضاً تسلية للنبي ﷺ ،وهو أن الذين حكم لهم بالإيمان والهداية وجب أن يصيروا مؤمنين ومن سبق لهم حكم الله بالضلال والجهل استحال أن ينقلبوا عن ذلك ﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم﴾ (ق) «عن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله قال الله الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أيحشر الكافر على وجهه قال رسول الله: ﷺ أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا، قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟ قال قتادة حين بلغه بلى وعزة ربنا» وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفاً مشاة، وصنفاً ركباناً، وصنفاً على وجوههم. قيل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم قال: إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك» أخرجه الترمذي الحدب كل ما ارتفع من الأرض ﴿عمياً وبكماً وصماً﴾ أي لا يبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون. فإن قلت:

قوله عزّ وجلّ: ﴿ وما منع الناس أنْ يُؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلّا أن قالوا ﴾، جهلاً منهم، ﴿ أبعث الله بشراً رسولاً ﴾، أراد أن الكفّار كانوا يقولون لن نؤمن لك لأنك بشر، وهلّا بعث الله إلينا ملكاً فأجابهم الله تعالى:

﴿ قلْ لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين ﴾، مستوطنين مقيمين، ﴿ لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً ﴾، من جنسهم لأن القلب إلى الجنس أميل منه إلى غير الجنس.

﴿ قلْ كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ﴾، أني رسوله إليكم، ﴿ إنه كان بعباده خبيراً بصيراً ﴾.

﴿ ومَن يهدِ الله فهو المهتد ومَن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ﴾، يهدونهم، ﴿ ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم ﴾، أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا الحسن بن شجاع الصوفي المعروف بابن الموصلي أنبأنا أبو بكر بن الهيثم ثنا جعفر بن محمد الصائغ ثنا حسين بن محمد ثنا سفيان عن قتادة عن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال النبي ﷺ: «إن الذي أمشاه على رجليه قادر على أن يمشيه على وجهه»، وجاء في الحديث: «إنهم يتّقون بوجوههم كل حدب وشوك». ﴿ عمياً وبكماً وصُمّاً ﴾، فإن قيل: كيف وصفهم بأنهم عميٌ وبكمٌ وصُمٌّ. وقد قال: ﴿ ورأى المجرمون النار ﴾ [الكهف: ٥٣]، وقال: ﴿ ادعوا هنالك ثبوراً ﴾ [الفرقان: ١٣] وقال: ﴿ سمعوا لها تغيظاً وزفيراً ﴾ [الفرقان: ١٢]، أثبت الرؤية والكلام والسمع؟

كيف وصفهم بأنهم عمي وبكم وصم وقد قال الله تعالى ﴿ورأى المجرمون النار﴾ وقال ﴿دعوا هنالك ثبوراً﴾ وقال ﴿سمعوا لها تغيظاً وزفيراً﴾ فأثبت لهم الرؤية والكلام والسمع. قلت فيه أوجه: أحدها قال ابن عباس معناه عمياً لا يبصرون ما يسرهم بكماً لا ينطقون بحجة صماً لا يسمعون ما يسرهم. الوجه الثاني: قيل: معناه يحشرون على ما وصفهم الله وتعالى: ثم تعاد إليهم هذه الأشياء. الوجه الثالث: قيل معناه هذا حين يقال لهم اخسئوا فيها، ولا تكلمون فيصيرون بأجمعهم عمياً وبكماً وصماً لا يرون ولا ينطقون ولا يسمعون ﴿مأواهم جهنم كلما خبت﴾ أي سكن لهيبها. وقيل: ضعفت وهدأت من غير أن يوجد نقصان في إيلام الكفار، لأن الله سبحانه وتعالى قال: لا يفتر عنهم وقيل معناه أرادت أن تخبو ﴿زدناهم سعيراً﴾ أي وقوداً وقيل معناه خبت أي نضجت جلودهم واحترقت أعيدوا إلى ما كانوا عليه، وزيد في سعير النار لتحرقهم.

ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾

﴿ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا﴾ لما ذكر الوعيد المتقدم قال: ذلك جزاؤهم بما كفروا يعني ذلك العذاب جزاؤهم بسبب كفرهم بآياتنا ﴿وقالوا أئذا كنا عظاماً ورفاتاً أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً﴾أجابهم الله ورد عليهم بقوله ﴿أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض﴾ أي في عظمها وشدتها ﴿قادر على أن يخلق مثلهم﴾ أي في صغرهم وضعفهم ﴿وجعل لهم أجلاً﴾ أي وقتاً لعذابهم ﴿لا ريب فيه﴾ أي لا شك فيه أنه يأتيهم قبل الموت، وقيل يوم القيامة ﴿فأبى الظالمون إلا كفوراً﴾ أي جحوداً وعناداً ﴿قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي﴾ أي خزائن نعمه ورزقه وقيل:

قيل: يحشرون على ما وصفهم الله ثم تُعاد إليهم هذه الأشياء، وجواب آخر قال ابن عباس: عمياً لا يرون ما يسرّهم بكماً لا ينطقون بحجة صمّاً لا يسمعون شيئاً يسرّهم. وقال الحسن: هذا حين يُساقون إلى الموقف إلى أن يدخلوا النار. وقال مقاتل: هذا حين يقال لهم: ﴿ اخسئوا فيها ولا تكلمون ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] يصيرون بأجمعهم عمياً وبكماً وصُمّاً لا يرون ولا ينطقون ولا يسمعون. ﴿ مأواهم جهنّم كلما خَبَتْ ﴾، قال ابن عباس: كلما سكنت، أي: سكن لهيبها. وقال مجاهد: طفئت وقال قتادة: ضعفت وقيل: هو الهدو من غير أن يوجد نقصان في ألم الكفّار، لأن الله تعالى قال: ﴿ لا يفتر عنهم ﴾ [الزخرف: ٧٥]، وقيل: كلما خبت أي أرادت أن تخبو، ﴿ زدناهم سعيراً ﴾، أي: وقوداً، وقيل: المراد من قوله: ﴿ كلما خبت ﴾ أي: نضجت جلودهم واحترقت أُعيدوا فيها إلى ما كانوا عليه وزِيدَ في تسعير النار لتحرقهم.

﴿ ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنّا عظاماً ورفاتاً أئنّا لمبعوثون خلقاً جديداً ﴾، فأجابهم الله تعالى.

فقال: ﴿ أو لم يروا أنّ الله الذي خلق السمٰوات والأرضَ ﴾، في عظمتها وشدّتها، ﴿ قادر على أن يخلق مثلهم ﴾، في صغرهم وضعفهم، نظيره قوله تعالى: ﴿ لخلق السمٰوات والأرض أكبر من خلق النـاس ﴾ [غافر: ٥٧]. ﴿ وجعل لهم أجَلاً ﴾ أي: وقتاً لعذابهم، ﴿ لا ريب فيه ﴾، أنه يأتيهم، قيل: هو الموت، وقيل: هو يوم القيامة، ﴿ فأبى الظالمون إلاّ كفوراً ﴾، أي: جحوداً وعناداً.

إن خزائن الله غير متناهية. والمعنى: لو أنكم ملكتم من النعم خزائن لا نهاية لها ﴿إذاً لأمسكتم﴾ أي لبخلتم وحبستم ﴿خشية الإنفاق﴾ والفقر والنفاد وهذا مبالغة عظيمة في وصفهم بهذا الشيء ﴿وكان الإنسان قتوراً﴾ أي ممسكاً بخيلاً. فان قلت: قد يوجد في جنس الإنسان من هو جواد كريم، فكيف وصفه بالبخل؟ قلت: الأصل في الإنسان البخل، لأنه خلق محتاجاً والمحتاج لا بد وأن يحب ما يدفع به عنه ضرر الحاجة، ويمسكه لنفسه إلا أنه قد يجود لأسباب خارجة مثل أن يحب المدحة أو رجاء ثواب، فثبت بها أن الأصل في الإنسان البخل. قوله تعالى ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات﴾ أي دلالات واضحات. قال ابن عباس: هي العصا واليد البيضاء والعقدة التي كانت بلسانه، فحلها وفلق البحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقيل عوض فلق البحر، واليد والسنون ونقص من الثمرات وقيل: الطمس والبحر بدل السنين والنقص. قيل كان الرجل منهم مع أهله في الفراش وقد صارا حجرين والمرأة قائمة تخبز، وقد صارت حجراً وقد روي أن عمر بن عبد العزيز سأل محمد بن كعب القرظي عن الآيات فذكر منها الطمس فقال عمر: هذا يجب أن يكون الفقيه ثم قال يا غلام اخرج ذلك الجراب فأخرجه. فإذا فيه بيض مكسر نصفين، وجوز مكسر نصفين وثوم وحمص وعدس كلها حجارة. وقيل: التسع آيات هي آيات الكتاب وهي الأحكام يدل عليه ما روي عن صفوان بن غسان أن يهودياً قال لصاحبه: تعال حتى نسأل هذا النبي فقال الآخر: لا تقل نبي. فإنه لو سمع صارت له أربعة أعين، فأتياه فسألاه عن هذه الآية. ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فقال: لا تشركوا بالله شيئاً ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تزنوا ولا تأكلوا الربا، ولا تسحروا ولا تمشوا بالبريء إلى

﴿ قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي ﴾ أي: نعمة ربي. وقيل: رزق ربي، ﴿ إذاً لأمسكتم ﴾، لبخلتم وحبستم، ﴿ خشية الإنفاق ﴾، أي: خشية الفاقة، قاله قتادة، وقيل: خشية النفاد، يقال: أنفق الرجل أي أملق وذهب ماله ونفق الشيء، أي: ذهب، وقيل: لأمسكتم عن الإنفاق خشية الفقر، ﴿ وكان الإنسان قتوراً ﴾، أي: بخيلاً ممسكاً عن الإنفاق.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات بيّنات ﴾، أي: دلالات واضحات، فهي الآيات التسع، قال ابن عباس والضحاك: هي العصا واليد البيضاء والعقدة التي كانت بلسانه فحلّها وفلق البحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم. وقال عكرمة وقتادة ومجاهد وعطاء: هي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا واليد والسنون ونقص الثمرات. وذكر محمد بن كعب القرظي: الطمس والبحر بدل السنين ونقص من الثمرات، قال فكان الرجل منهم مع أهله في فراشه وقد صَارَا حجرين، والمرأة منهم قائمة تخبز وقد صارت حجراً. وقال بعضهم: هنّ آيات الكتاب. أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أخبرني الحسن بن محمد الثقفي أنا هارون بن محمد بن هارون العطارد أنبأنا يوسف بن عبد الله بن ماهان ثنا الوليد الطيالسي ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن مسلمة عن صفوان بن عسال المرادي أن يهودياً قال لصاحبه تعالَ حتى نسأل هذا النبي، فقال الآخر: لا تقل نبي فإنه لو سمع صارت أربعة أعين، فأتياه فسألاه عن هذه الآية: ﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات بيّنات ﴾ فقال: لا تشركوا بالله شيئاً ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلاّ بالحق، ولا تزنوا ولا تأكلوا الربا، ولا تسحروا ولا تمشوا بالبريء إلى سلطان ليقتله، ولا تسرفوا ولا تقذفوا المحصنة، ولا تفرّوا من الزحف، وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا في السبت، فقبّلا يده، وقالا نشهد أنك نبي، قال: «فما يمنعكم أن تتبعوني»؟ قالا: إن داود دعا ربه أن لا يزال في ذريته نبي وإنّا نخاف إن تبعناك أن يقتلنا اليهود. قوله عزّ وجلّ: ﴿ فاسأل ﴾، يا محمد، ﴿ بني إسرائيل إذْ جاءهم ﴾، موسى، يجوز أن يكون الخطاب معه والمراد غيره، ويجوز أن يكون خاطبه عليه السلام وأمره بالسؤال ليتبيّن كذبهم مع قومهم. ﴿ فقال له فرعون

سلطان ليقتله ولا تسرفوا ولا تقذفوا المحصنات ولا تفروا من الزحف، وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا في السبت فقبلا يده وقالا: نشهد إنك نبي قال: فما يمنعكم أن تتبعوني قالا إن داود دعا ربه أن لا يزال في ذريته نبي، وإنا نخاف إنا اتبعناك أن تقتلنا اليهود ﴿فاسأل﴾ يا محمد ﴿بني إسرائيل﴾ يجوز الخطاب معه والمراد غيره ويجوز أن يكون خاطبه وأمره بالسؤال ليتبين كذبهم مع قومهم ﴿إذ جاءهم﴾ يعني جاء موسى إلى فرعون بالرسالة من عند الله عز وجل ﴿فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحوراً﴾ قال ابن عباس: مخدوعاً وقيل: مطبوباً أي سحروك وقيل معناه ساحراً معطى علم السحر، فهذه العجائب التي تفعلها من سحرك.

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾

﴿قال﴾ موسى ﴿لقد علمت﴾ خطاباً لفرعون. قال ابن عباس: علمه فرعون ولكنه عانده ﴿ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض﴾ يعني الآيات التسع ﴿بصائر﴾ أي بينات يبصر بها ﴿وإني لأظنك يا فرعون مثبوراً﴾ قال ابن عباس: ملعوناً. وقيل: هالكاً. وقيل: مصروفاً عن الخير ﴿فأراد أن يستفزهم من الأرض﴾ معناه أراد فرعون أن يخرج موسى وبني إسرائيل من أرض مصر ﴿فأغرقناه ومن معه جميعاً﴾ أي أغرقنا فرعون وجنوده ونجينا موسى وقومه ﴿وقلنا من بعده﴾ أي من بعد هلاك فرعون ﴿لبني إسرائيل اسكنوا الأرض﴾ يعني أرض مصر والشام ﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ يعني القيامة ﴿جئنا بكم لفيفاً﴾ أي جميعاً إلى موقف القيامة، واللفيف: الجمع الكثير إذا كانوا مختلفين من

إني لأظنك يا موسى مسحوراً ﴾، أي: مطبوباً سحروك، قاله الكلبي، وقال ابن عباس: مخدوعاً. وقيل: مصروفاً عن الحق. وقال الفرّاء وأبو عبيدة: ساحراً، فوضع المفعول موضع الفاعل. وقال محمد بن جرير: معطى علم السحر، فهذه العجائب التي تفعلها من سحرك.

﴿ **قال** ﴾، موسى، ﴿ **لقد علمت** ﴾، قرأ العامّة بفتح التاء خطاباً لفرعون، وقرأ الكسائي بضم التاء، ويُروى ذلك عن علي، وقال: لم يعلم الخبيث أن موسى على الحق، ولو عَلم لأمن ولكن موسى هو الذي علم، قال ابن عباس: علّمه فرعون ولكنه عاند، قال الله تعالى: ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوّاً ﴾ [النمل: ١٤]، وهذه القراءة وهي نصب التاء أصحّ في المعنى وعليه أكثر القرّاء، لأن موسى لا يحتجّ عليه بعلم نفسه، ولا يثبت عن علي رفع التاء لأنه رُوِيَ عن رجل من مراد عن علي، وذلك الرجل مجهول ولم يتمسك بها أحد من القرّاء غير الكسائي، ﴿ **ما أنزل هؤلاء** ﴾، هذه الآيات التسع، ﴿ **إلاّ ربّ السموات والأرض بصائر** ﴾، جمع بصيرة أي يبصر بها، ﴿ **وإني لأظنك يا فرعون مثبوراً** ﴾، قال ابن عباس: ملعوناً. وقال مجاهد: هالكاً. وقال قتادة: مهلكاً. وقال الفرّاء: أي مصروفاً ممنوعاً عن الخير. يقال: ما ثبرك عن هذا الأمر أي ما منعك وصرفك عنه.

﴿ **فأراد أن يستفزهم** ﴾، أي: أراد فرعون أن يستفزّهم موسى وبني إسرائيل أي يخرجهم، ﴿ **مِّن الأرض** ﴾، يعني أرض مصر، ﴿ **فأغرقناه ومَن معه جميعاً** ﴾، ونجّينا موسى وقومه.

﴿ **وقلنا من بعده** ﴾، أي من بعد هلاك فرعون، ﴿ **لبني إسرائيل اسكنوا الأرض** ﴾، يعني أرض مصر والشام، ﴿ **فإذا جاء وعد الآخرة** ﴾، يعني يوم القيامة، ﴿ **جئنا بكم لفيفاً** ﴾ أي: جميعاً إلى موقف القيامة. واللفيف: الجمع الكثير إذا كانوا مختلطين من كل نوع، يقال: لفّت الجيوش إذا اختلطوا وجمع القيامة كذلك فيهم

كل نوع فيهم المؤمن والكافر والبر والفاجر وقيل: أراد بوعد الآخرة نزول عيسى من السماء قوله سبحانه وتعالى:

﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل﴾ يعني أنا ما أردنا بإنزال القرآن إلا تقريره للحق فلما أردنا هذا المعنى فكذلك وقع وحصل. وقيل: معناه وما أنزلنا القرآن إلا بالحق المقتضي لإنزاله وما نزل إلا ملتبساً بالحق لاشتماله على الهداية إلى كل خير ﴿وما أرسلناك إلا مبشراً﴾ يعني بالجنة للمطيعين ﴿ونذيراً﴾ أي مخوفاً بالنار للعاصين. قوله عز وجل ﴿وقرآناً فرقناه﴾ أي فصلناه وبيناه وقيل فرقنا به بين الحق والباطل، وقيل: معناه أنزلنا نجوماً لم ينزل مرة واحدة بدليل قوله تعالى ﴿لتقرأه على الناس على مكث﴾ أي على تؤدة وترسل في ثلاث وعشرين سنة ﴿ونزلناه تنزيلاً﴾ أي على حسب الحوادث ﴿قل آمنوا به أو لا تؤمنوا﴾ فيه وعيد وتهديد ﴿إن الذين أوتوا العلم من قبله﴾ قيل: هم مؤمنو أهل الكتاب الذين كانوا يطلبون الدين قبل مبعث رسول الله ﷺ ثم أسلموا بعد مبعثه مثل زيد بن عمرو بن نفيل وسلمان الفارسي وأبي ذر وغيرهم ﴿إذا يتلى عليهم﴾ يعني القرآن ﴿يخرون للأذقان﴾ قال ابن عباس: أراد بها الوجوه ﴿سجداً﴾ أي يقعون على الوجوه سجداً ﴿ويقولون سبحان ربنا﴾ أي تعظيماً لربنا لإنجازه ما وعد في الكتب المنزلة،

المؤمن والكافر والبرّ والفاجر. وقال الكلبي: فإذا جاء وعد الآخرة يعني مجيء عيسى من السماء جئنا بكم لفيفاً أي: النزاع من كل قوم من ههنا وهنا لفّوا جميعاً.

﴿ وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ﴾، يعني القرآن، ﴿ وماأرسلناك إلاّ مبشّراً ﴾ للمطيعين، ﴿ ونذيراً ﴾، للعاصين.

﴿ وقرآناً فرّقناه ﴾، قيل: أنزلناه نجوماً لم ينزل مرة واحدة، بدليل قراءة ابن عباس: ﴿ وقرآناً فرّقناه ﴾ بالتشديد، وقراءة العامّة بالتخفيف، أي: فصّلناه. وقيل: بيّناه. وقال الحسن: معناه فرّقنا به بين الحق والباطل. ﴿ لتقرأه على الناس على مكث ﴾، أي: على تؤدة وترسّل في ثلاث وعشرين سنة، ﴿ ونزّلناه تنزيلاً ﴾.

﴿ قلْ آمنوا به أو لا تؤمنوا ﴾، هذا على طريق الوعيد والتهديد، ﴿ إنّ الذين أُوتوا العلم من قبله ﴾، قيل: هم مؤمنوا أهل الكتاب وهم الذين كانوا يطلبون الذين قبل مبعث رسول الله ﷺ ثم أسلموا بعد مبعثه، مثل زيد بن عمر بن نفيل وسلمان الفارسي وأبي ذرّ وغيرهم. ﴿ إذا يُتلى عليهم ﴾، يعني القرآن ﴿ يخِرّون للأذقان ﴾ أي: يسقطون على الأذقان، قال ابن عباس: أراد بها الوجوه، ﴿ سجّداً ﴾.

﴿ ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً ﴾، أي: كائناً واقعاً.

﴿ ويخِرُّون للأذقان يبكون ﴾، أي: يقعون على الوجوه يبكون، البكاء مستحب عند قراءة القرآن، ﴿ ويزيدهم ﴾، نزول القرآن، ﴿ خشوعاً ﴾، خضوعاً لربهم، نظيره قوله تعالى: ﴿ إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خرّوا سجّداً وبُكياً ﴾ [مريم: ٥٨] أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أبو عمرو بن بكر بن محمد المزني ثنا أبو بكر محمد بن عبد الله الجنيد ثنا الحسن بن الفضل البجلي أنا عاصم عن علي بن عاصم ثنا المسعودي هو عبد الرحمن بن عبد الله عن محمد بن عبد الرحمن مولى أبي طلحة عن أبي عيسى بن طلحة عن أبي هريرة قال:

من بعثة محمد ﷺ ﴿إن كان وعد ربنا لمفعولاً﴾ أي كائناً واقعاً ﴿ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً﴾ أي خضوعاً لربهم وقيل يزيدهم القرآن لين قلب، ورطوبة عين فالبكاء مستحب عند قراءة القرآن. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع، ولا اجتمع على عبدي غبار في سبيل الله ودخان جهنم» أخرجه الترمذي والنسائي. وزاد النسائي «في منخري مسلم أبداً» الولوج الدخول والمنخر الأنف عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله» أخرجه الترمذي قوله عز وجل:

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾

﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾ قال ابن عباس: سجد رسول الله ﷺ ذات ليلة فجعل يقول في سجوده: يا الله يا رحمن فقال أبو جهل: إن محمداً ينهانا عن آلهتنا وهو يدعو إلهين فأنزل الله هذه الآية ومعناه أنهما اسمان لله تعالى فسموه بهذا الاسم أو بهذا الاسم ﴿أيّاً ما تدعوا﴾ ما صلة ومعناه أي هذين الاسمين سميتم وذكرتم، أو من جميع أسمائه ﴿فله الأسماء الحسنى﴾ يعني إذا حسنت أسماؤه كلها فهذان الاسمان منها ومعنى كونها حسنى أنها مشتملة على معاني التقديس، والتعظيم والتمجيد ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾ (ق) عن ابن عباس في قوله: ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال: نزلت ورسول الله ﷺ مختف بمكة وكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به فقال الله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ: ولا تجهر بصلاتك أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن، ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم وابتغ بين ذلك سبيلاً زاد في رواية وابتغ

قال رسول الله ﷺ: «لا يلج النار مَن بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في مِنخري مسلم أبداً»، أخبرنا أبو القاسم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري أنا أبو القاسم عبد الخالق بن علي بن عبد الخالق المؤذن أنا أحمد بن بكر بن محمد بن حمدان ثنا محمد بن يونس الكريمي أنبأنا عبد الله بن محمد الباهلي ثنا أبو حبيب الغنوي ثنا بهز بن حكيم عن أبيه عن جدّه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «حرّمت النار على ثلاث أعين: عين بكت من خشية الله، وعين سهرت في سبيل الله، وعين غضّت عن محارم الله».

قوله جلّ وعلا: ﴿ قلِ ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ﴾، قال ابن عباس: سجد رسول الله ﷺ بمكة ذات ليلة فجعل يبكي ويقول في سجوده: «يا الله يا رحمن»، فقال أبو جهل: إن محمداً ينهانا عن آلهتنا وهو يدعو إلّهين، فأنزل الله تعالى هذه الآية ومعناه أنهما اسمان لواحد، ﴿ أيّاً ما تدعوا ﴾، ﴿ ما ﴾ صلة معناه أيّاً ما تدعوا من هذين الاسمين ومن جميع أسمائه، ﴿ فله الأسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ﴾، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل أنا يعقوب بن إبراهيم هشيم ثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ﴾ قال: نزلت ورسول الله ﷺ مختفٍ بمكة كان إذا صلّى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمعه المشركون سبّوا القرآن ومَن أنزله ومَن جاء به، فقال الله تعالى لنبيّه ﷺ: ﴿ ولا تجهر بصلاتك ﴾ أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبّوا القرآن،

بين ذلك سبيلاً أسمعهم، ولا تجهر حتى يأخذوا عنك القرآن وقيل نزلت الآية في الدعاء وهو قول عائشة والنخعي ومجاهد ومكحول. (ق) عن عائشة «ولا تجهور بصلاتك ولا تخافت بها» قالت: نزل ذلك في الدعاء. وقيل: كان أعراب من بني تميم إذا سلم رسول الله ﷺ قالوا: اللهم ارزقنا مالاً وولداً يجهرون بذلك فأنزل الله عز وجل «ولا تجهر بصلاتك أي لا ترفع صوتك بقراءتك ودعائك ولا تخافت بها» المخافتة خفض الصوت، والسكوت ﴿**وابتغ**﴾ أي اطلب ﴿**بين ذلك سبيلاً**﴾ أي طريقاً وسطاً بين الجهر والاخفاء. عن أبي قتادة أن النبي ﷺ قال لأبي بكر: «مررت بك وأنت تقرأ القرآن وأنت تخفض من صوتك فقال إني أسمعت من ناجيت فقال ارفع قليلاً وقال لعمر مررت بك، وأنت تقرأ وأنت ترفع من صوتك فقال إني أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان فقال: اخفض قليلاً» أخرجه الترمذي ﴿**وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً**﴾ أمر الله نبيه ﷺ بأن يحمده على وحدانيته. وقيل: معناه الحمد لله الذي عرفني أنه لم يتخذ ولداً وقيل إن كل من له ولد فهو يمسك جميع النعم لولده وإذا لم يكن له ولد أفاض نعمه على عبيده. وقيل: إن الولد يقوم مقام والده بعد انقضائه والله عز وجل يتعالى عن جميع النقائص فهو المستحق لجميع المحامد ﴿**ولم يكن له شريك في الملك**﴾ والسبب في اعتبار هذه الصفة أنه لو كان له شريك، لم يكن مستحقاً للحمد والشكر وكذا قوله

ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم ﴿ **وابتغ بين ذلك سبيلاً** ﴾ وبهذا الإسناد عن محمد بن إسماعيل قال: ثنا مسدد عن هشيم عن أبي بشر بإسناده مثله وزاد ﴿ **وابتغ بين ذلك سبيلاً** ﴾، أسمعهم ولا تجهر حتى يأخذوا عنك القرآن. وقال قوم: نزلت الآية في الدعاء وهو قول عائشة رضي الله عنها والنخعي ومجاهد ومكحول، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا طلق بن غنام ثنا زائدة عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها: ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قالت: أنزل ذلك في الدعاء. وقال عبد الله بن شداد: كان أعراب من بني تميم إذا سلّم النبي ﷺ قالوا: اللّهمّ ارزقنا مالاً وولداً فيجهرون بذلك، فأنزل الله هذه الآية: ﴿ **ولا تجهر بصلاتك** ﴾ أي: لا ترفع صوتك بقراءتك أو بدعائك ولا تخافت بها، والمخافتة خفض الصوت والسكوت، وابتغِ بين ذلك سبيلاً أي: بين الجهر والإخفاء. أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الخزاعي أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا محمود بن غيلان ثنا يحيـىٰ بن إسحاق ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الله بن أبي رباح الأنصاري عن أبي قتادة أنّ النبي ﷺ قال لأبي بكر: «مررتُ بك وأنت تقرأ القرآن وأنت تخفض صوتك»، فقال: إني سمعت مَن ناجيت، فقال: «ارفع قليلاً»، والإخفاء «مررت بك وأنت تقرأ وأنت صوتك»، فقال: إني أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان. فقال اخفض قليلاً».

﴿ **وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً** ﴾، أمر الله نبيّه ﷺ بأن يحمد على وحدانيته، ومعنى الحمد لله هو الثناء عليه بما هو أهله، قال الحسين بن الفضل: معناه الحمد لله الذي عرفني أنه لم يتخذ ولداً، ﴿ **ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليّ من الذلّ** ﴾، قال مجاهد: لم يذلّ حتى يحتاج إلى وليّ يتعزّز به، ﴿ **وكبِّرهُ تكبيراً** ﴾، أي: وعظّمه عن أن يكون له شريك أو وليّ. أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا الإمام أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان ثنا أبو العباس الأصم ثنا محمد بن إسحاق الصفاني ثنا نضر بن حماد أبو الحرث الورّاق ثنا شعبة عن حبيب بن أبي ثابت قال سمعت سعيد بن جبير يحدّث عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أول ما يدعى إلى الجنة يوم القيامة الحمّادون الذين يحمدون الله في السرّاء والضرّاء». أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسن بن بشران أنا إسماعيل بن محمد الصفّار أنا أحمد بن منصور الرمادي أنبأنا عبد الرزّاق ثنا معمر عن قتادة أن عبد الله بن

﴿ولم يكن له ولي من الذل﴾ ومعناه أنه لم يذل فيحتاج إلى ناصر يتعزز به ﴿وكبره تكبيراً﴾ أي وعظمه عن أن يكون له ولد أو شريك أو ولي. وقيل: إذا كان منزهاً عن الولد والشريك والولي كان مستوجباً لجميع أنواع المحامد. عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أول ما يدعى إلى الجنة يوم القيامة، الذين يحمدون الله في السراء والضراء» عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «الحمد لله رأس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمده» عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «أفضل الدعاء الحمد لله وأفضل الذكر لا إله إلا الله» أخرجه الترمذي. وقال حديث حسن غريب عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ «أحب الكلام إلى الله أربع لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله لا يضرك بأيهن بدأت» أخرجه مسلم. والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «الحمد لله رأس الشكر، ما شكر الله عبداً لا يحمده»، أخبرنا أبو الفضل بن زياد بن محمد الحنفي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد الأنصاري أنا أبو محمد يحيىٰ بن محمد بن صاعد ثنا يحيىٰ بن خالد بن أيوب المخزومي ثنا موسى بن إبراهيم بن كثير بن بشر الخزامي الأنصاري عن طلحة بن حراش عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «إن أفضل الدعاء الحمد لله، وأفضل الذكر لا إلَه إلاّ الله» أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ثنا علي بن الجعد ثنا زهير ثنا منصور عن هلال بْن بشار عن الربيع بن خثيم عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «أحبّ الكلام إلى الله تعالى أربع: لا إلَه إلاّ الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، لا يضرّك بأيهنّ بدأت».

تفسير سورة الكهف

وهي مكية وآياتها مائة وإحدى عشرة آية، وكلماتها ألف وخمسمائة وسبع وسبعون كلمة وحروفها ستة آلاف وثلاثمائة وستون حرفاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴿١﴾

قوله عز وجل: ﴿**الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب**﴾ أثنى الله سبحانه وتعالى على نفسه بإنعامه على خلقه وعلم عباده كيف يثنون عليه، ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم وهي الإسلام وما أنزل على عبده محمد ﷺ من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم وخص رسول الله ﷺ بالذكر لأن إنزال القرآن كان نعمة عليه على الخصوص وعلى سائر الناس على العموم ﴿**ولم يجعل له عوجاً**﴾ أي لم يجعل له شيئاً من العوج قط والعوج في المعاني، كالعوج في الأعيان والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وقيل معناه لم يجعله مخلوقاً روي عن ابن عباس في قوله تعالى: «قرآناً عربياً غير ذي عوج» قال غير مخلوق.

قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾

﴿**قيماً**﴾ أي مستقيماً وقال ابن عباس: عدلاً، وقيل قيماً على الكتب كلّها مصدقاً لها وناسخاً لشرائعها ﴿**لينذر**

سُوْرَة الكَهْـف

مكية وهي مائة وإحدى عشرة آية.

﴿ **الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب** ﴾، أثنى الله على نفسه بإنعامه على خلقه، وخصّ رسوله ﷺ بالذكر لأن إنزال القرآن عليه كان نعمة عليه على الخصوص وعلى سائر الناس على العموم. ﴿**ولم يجعل له عـوجاً**﴾.

﴿ **قيماً** ﴾، فيه تقديم وتأخير معناه أنزل على عبده الكتاب قيّماً ولم يجعل له عوجاً قيّماً أي مستقيماً. قال ابن

بأساً شديداً﴾ معناه لينذر الذين كفروا بأساً شديداً وهو قوله سبحانه وتعالى بعذاب بئيس ﴿من لدنه﴾ أي من عنده ﴿ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً﴾ يعني الجنة ﴿ماكثين فيه﴾ أي مقيمين فيه ﴿أبداً وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً ما لهم به من علم﴾ أي بالولد وباتخاذه يعني أن قولهم لم يصدر عن علم بل عن جهل مفرط. فإن قلت اتخاذ الله ولداً في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم. قلت انتفاء العلم يكون للجهل بالطريق الموصل إليه وقد يكون في نفسه محالاً لا يستقيم تعلق العلم به ﴿ولا لآبائهم﴾ أي ولا لأسلافهم من قبل ﴿كبرت﴾ أي عظمت ﴿كلمة تخرج من أفواههم﴾ أي هذا الذي يقولونه لا تحكم به عقولهم وفكرهم البتة لكونه في غاية الفساد والبطلان فكأنه يجري على لسانهم على سبيل التقليد ﴿إن يقولون إلا كذباً﴾ أي ما يقولون إلا كذباً قيل حقيقة الكذب أنه الخبر الذي لا يطابق المخبر قولهم عنه وزاد بعضهم مع علم قائله أنه غير مطابق وهذا القيل باطل لأن الله سبحانه وتعالى وصف قولهم بإثبات الولد بكونه كذباً مع أن الكثير منهم يقولون ذلك ولا يعلمون كونه باطلاً فعلمنا أن كل خبر لا تطابق الخبر عنه فهو كذب والكذب خلاف الصدق، وقيل: هو الانصراف عن الحق إلى الباطل ورجل كذاب وكذوب إذا كان كثير الكذب. قوله عز وجل ﴿فلعلك باخع نفسك﴾ أي قاتل نفسك ﴿على آثارهم﴾ أي من بعدهم ﴿إن لم يؤمنوا بهذا الحديث﴾ يعني القرآن ﴿أسفاً﴾ أي حزناً وقيل غيظاً ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها﴾ أي مما يصلح أن يكون زينة لها ولأهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها، وقيل يعني النبات والشجر والأنهار، وقيل أراد به الرجال

عباس: عدلاً. وقال الفرّاء: قيّماً على الكتب كلها أي: مصدّقاً لها ناسخاً لشرائعها. وقال قتادة: ليس على التقديم والتأخير بل معناه: أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، ولكن جعله قيّماً. قوله عزّ وجلّ: ﴿ ولم يجعل له عوجاً ﴾ أي: مختلفاً، على ما قال الله تعالى: ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ [النساء: ٨٢] وقيل: معناه لم يجعله مخلوقاً. ورُوِيَ عن ابن عباس في قوله: ﴿ قرآناً عربياً غير ذي عوج ﴾ [الزمر: ٢٨] أي: غير مخلوق. ﴿ لينذر بأساً شديداً ﴾، أي لينذر ببأسٍ شديد، ﴿ من لدنه ﴾، أي من عنده، ﴿ ويبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ﴾، أي: الجنة.

﴿ ماكثين فيه أبداً ﴾ أي: مقيمين فيه.

﴿ ويُنذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً ﴾.

﴿ ما لهم به من علم ولا لآبائهم ﴾، أي قالوه عن جهل لا عن علم، ﴿ كبرت ﴾، أي: عظمت، ﴿ كلمة ﴾، نصب على التمييز، يقال: تقديره كبرت الكلمة كلمة. وقيل: من كلمة، فحذف ﴿ من ﴾فانتصب، ﴿ تخرج من أفواههم ﴾ أي: تظهر من أفواههم، ﴿ إنْ يقولون ﴾، ما يقولون، ﴿ إلّا كذباً ﴾.

﴿ فلعلك باخع نفسك على آثارهم ﴾، من بعدهم، ﴿ إن لم يؤمنوا بهذا الحديث ﴾، أي: القرآن، ﴿ أسفاً ﴾، أي حزناً وقيل غضباً.

﴿ إنّا جعلنا ما على الأرض زينة لها ﴾، فإن قيل: أي: زينة في الحيّات والعقارب والشياطين؟ قيل: فيها زينة على معنى أنها تدل على وحدانية الله تعالى. وقال مجاهد: أراد به الرجال خاصة هم زينة الأرض. وقيل: أراد بهم العلماء والصلحاء. وقيل: الزينة بالنبات والأشجار والأنهار، كما قال: ﴿ حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازّينت ﴾ [يونس: ٢٤]، ﴿ لنبلوهم ﴾، لنختبرهم، ﴿ أيّهم أحسن عملاً ﴾، أي أصلح عملاً. وقيل: أيّهم أترك للدنيا.

﴿ وإنّا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً ﴾، فالصعيد وجه الأرض. وقيل: هو التراب، جرزاً يابساً أملس لا

خاصة فهم زينة الأرض، وقيل أراد به العلماء والصلحاء وقيل جميع ما في الأرض هو زينة لها. فإن قلت أي زينة في الحيات والعقارب والشياطين. قلت زينتها كونها تدل على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته، وقيل إن جميع ما في الأرض ثلاثة معدن ونبات وحيوان وأشرف أنواع الحيوان الإنسان، قيل الأولى أن لا يدخل في هذه الزينة المكلف، بدليل قوله تعالى: ﴿**لنبلوهم**﴾ فمن يبلو يجب أن لا يدخل في ذلك ومعنى لنبلوهم نختبرهم ﴿**أيهم أحسن عملاً**﴾ أي أصلح عملاً وقيل أيهم أترك للدنيا وأزهد فيها. ﴿**وإنا لجاعلون ما عليها**﴾ أي من الزينة، ﴿**صعيداً جرزاً**﴾ يعني مثل أرض لا نبات فيها بعد أن كانت خضراء معشبة والصعيد وجه الأرض وقيل هو التراب والجرز الأملس اليابس الذي لا ينبت فيه شيء، قوله سبحانه وتعالى ﴿**أم حسبت**﴾ أي أظننت يا محمد ﴿**أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً**﴾ أي هم عجب من آياتنا وقيل معناه أنهم ليسوا بأعجب آياتنا، فإن خلقنا من السموات والأرض وما فيهم من العجائب أعجب منهم والكهف الغار الواسع في الجبل، والرقيم هو لوح كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وقصتهم ثم وضع على باب الكهف وكان اللوح من رصاص وقيل من حجارة، وعن ابن عباس أن الرقيم اسم الوادي الذي فيه أصحاب الكهف وقال كعب الأحبار: هو اسم للقرية التي خرج منها أصحاب الكهف وقيل اسم للجبل الذي فيه أصحاب الكهف ثم ذكر الله عز وجل قصة أصحاب الكهف فقال عز وجل من قائل ﴿**إذ أوى الفتية إلى الكهف**﴾ أي صاروا إليه، وجعلوه مأواهم، والفتية جمع فتى وهو الطري من الشباب ﴿**فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة**﴾ أي رحمة

يبيت شيئاً. يقال: جرزت الأرض إذا أُكل نباتها.

قوله تعالى: ﴿ **أم حسبتَ أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً** ﴾، يعني أظننت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً أي هم عجب من آياتنا. وقيل: معناه إنهم ليسوا بأعجب من آياتنا فإن ما خلقت من السمٰوات والأرض وما فيهنّ من العجائب أعجب منهم، والكهف: هو الغار في الجبل، واختلفوا في الرقيم، قال سعيد بن جبير: هو لوح كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وقصصهم وهذا أظهر الأقاويل، ثم وضعوه على باب الكهف وكان اللوح من رصاص، وقيل: من حجار، فعلى هذا يكون الرقيم بمعنى المرقوم، أي: المكتوب، والرقم: الكتابة. وحُكِيَ عن ابن عباس أنه قال: هو اسم للوادي الذي فيه أصحاب الكهف، وعلى هذا هو من رقمة الوادي وهو جانبه، وقال كعب الأحبار هو اسم للقرية التي خرج منها أصحاب الكهف. وقيل: اسم للجبل الذي فيه الكهف، ثم ذكر الله قصة أصحاب الكهف.

فقال: ﴿ **إذ أوى الفتية إلى الكهف** ﴾، أي صاروا إليه، واختلفوا في سبب مصيرهم إلى الكهف، فقال محمد بن إسحاق ومحمد بن يسار: مرج أهل الإنجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت فيهم الملوك حتى عبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت، وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكين بعبادة الله وتوحيده، فكان ممّن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له دقيانوس عبد الأصنام وذبح للطواغيت، وقتل مَن خالفه، وكان ينزل قرى الروم ولا يترك في قرية نزلها أحداً إلّا فتنه حتى يعبد الأصنام ويذبح للطواغيت أو قتله حتى نزل مدينة أصحاب الكهف وهي أفسوس فلما نزلها كبر على أهل الإيمان فاستخفوا منه وهربوا في كل وجه، وكان دقيانوس حين قَدِمها أمر أن يتبع أهل الإيمان فيجمعوا له واتخذ شرطاً من الكفّار من أهلها يتبعون أهل الإيمان في أماكنهم فيخرجونهم إلى دقيانوس، فيخيّرهم بين القتل وبين عبادة الأوثان والذبح للطواغيت، منهم مَن يرغب في الحياة ومنهم مَن يأبى أن يعبد غير الله فيقتل، فلما رأى ذلك أهل الشدّة في الإيمان بالله جعلوا يسلّمون أنفسهم للعذاب والقتل، فيُقتلون ويُقطعون ثم يُربَط ما قُطِعَ من أجسامهم على سور المدينة من نواحيها وعلى كل باب من أبوابها حتى عظمت الفتنة

من خزائن رحمتك وجلائل فضلك وإحسانك وهب لنا الهداية والنصر والأمن من الأعداء ﴿وهيىء لنا﴾ أي أصلح لنا ﴿من أمرنا رشداً﴾ أي حتى نكون بسببه راشدين مهديين وقيل معناه واجعل أمرنا رشداً كله.

ذكر قصة الكهف وسبب خروجهم إليه

قال محمد بن إسحاق ومحمد بن يسار مرج أمر أهل الإنجيل، وعظمت فيهم الخطايا وطغت الملوك حتى عبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت، وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكون بعبادة الله وتوحيده وكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له دقيانوس عبد الأصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه وكان ينزل قرى الروم فلا يترك في قرية نزلها أحد إلا فتنه عن دينه حتى يعبد الأصنام أو يقتله. فلما نزل مدينة أصحاب الكهف واسمها أفسوس استخفى منه أهل الإيمان وهربوا في كل وجه فاتخذ شرطاً من الكفار وأمرهم أن يتبعوهم بين القتل وبين عبادة الأصنام، فمنهم من يرغب في الحياة ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله فيقتل، فلما رأى ذلك أهل الشدة في الإيمان جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب والقتل فيقتلون ويقطعون ويجعل ما قطع من أجسادهم على أسوار المدينة وأبوابها فلما عظمت الفتنة وكثرت ورأى ذلك الفتية حزنوا حزناً شديداً فقاموا واشتغلوا بالصلاة والصيام والصدقة والتسبيح والدعاء، وكانوا من أشراف الروم وهم ثمانية نفر وبكوا وتضرعوا إلى الله عز وجل وجعلوا يقولون: «ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً لقد قلنا إذاً شططاً» اكشف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة وارفع عنهم البلاء

فلما رأى ذلك الفتية حزنوا حزناً شديداً فقاموا واشتغلوا بالصلاة والصيام والصدقة والتسبيح والدعاء، وكانوا من أشراف الروم، وكانوا ثمانية نفر بكوا وتضرّعوا إلى الله وجعلوا يقولون ربّنا ربّ السمٰوات والأرض لن ندعو من دونه إلٰهاً لقد قلنا إذاً شططاً إن عبدنا غيره، اكشف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة، وارفع عنهم هذا البلاء حتى يعلنوا عبادتك فبينما هم على مثل ذلك، وقد دخلوا في مصلًّى لهم أدركهم الشرط فوجدوهم وهم سجود على وجوههم يبكون ويتضرّعون إلى الله، فقالوا لهم: ما خلفكم عن أمر الملك انطلقوا إليه ثم خرجوا فرفعوا أمرهم إلى دقيانوس، فقالوا تجمع الناس للذبح لآلهتك وهؤلاء الفتية من أهل بيتك يستهزؤون بك ويعصون أمرك، فلما سمع بذلك بعث إليهم فأتى بهم تفيض أعينهم من الدمع معفّرة وجوههم بالتراب، فقال لهم: ما منعكم أن تشهدوا الذبح لآلهتنا التي تُعبَد في الأرض وتجعلوا أنفسكم أُسوة لسادات من أهل مدينتكم؟ اختاروا إما أن تذبَحوا لآلهتنا وإما أن أقتلنّكم، فقال مكسلمينا وهو أكبرهم سنّاً: إن لنا إلٰهاً ملأ السمٰوات والأرض عظمة لن ندعو من دونه إلٰهاً أبداً له الحمد والتكبير والتسبيح من أنفسنا خالصاً أبداً، إيّاه نعبد وإيّاه نسأل النجاة والخير، فأما الطواغيت فلن نعبدها أبداً فاصنع بنا ما بدا لك، وقال أصحاب مكسلمينا لدقيانوس مثل ما قال مكسلمينا، فلما قالوا ذلك أمر فنزع عنهم لبوساً كان عليهم من لبوس عظمائهم، ثم قال: سأفرغ لكم فأنجز لكم ما أوعدتكم من العقوبة وما يمنعني أن أعجل ذلك لكم إلّا إني أراكم شبّاناً حديثة أسنانكم، فلا أُحبّ أن أُهلككم حتى أجعل لكم أجلاً تذكرون فيه وتراجعون عقولكم، ثم أمر بحلية كانت عليهم من ذهب وفضة فنزعت عنهم، ثم أمرهم فأُخرجوا من عنده وانطلق دقيانوس إلى مدينة سوى مدينتهم قريباً منهم لبعض أموره، فلما رأى الفتية خروجه بادروا قدومه وخافوا إذا قَدِمَ مدينتهم أن يذكر بهم فاتمروا بينهم أن يأخذ كل رجل منهم نفقة من بيت أبيه فيتصدّقوا منها ويتزوّدوا بما بقي ثم ينطلقوا إلى كهف قريب من المدينة في جبل يقال له مخلوس، فيَمكثون فيه ويعبدون الله حتى إذا جاء دقيانوس أتوه فقاموا بين يديه فيصنع بهم ما شاء، فلما قال ذلك بعضهم لبعض عمد كل فتى منهم إلى بيت أبيه فأخذ نفقة فتصدق منها، ثم انطلقوا بما بقي معهم واتبعهم كلب كان لهم حتى أتوا ذلك الكهف، فلبثوا فيه. قال كعب الأحبار: مرّوا بكلب فتبعهم فطردوه

حتى يعلنوا عبادتك؛ فبينما هم على ذلك وقد دخلوا مصلاهم أدركهم الشرط فوجدوهم سجوداً يبكون ويتضرعون إلى الله عز وجل فقال لهم الشرط ما خلفكم عن أمر الملك، ثم انطلقوا إلى الملك فأخبروه خبر الفتية فبعث إليهم فأتى بهم تفيض أعينهم من الدمع معفرة، وجوههم بالتراب فقال لهم ما منعكم أن تشهدوا الذبح لآلهتنا التي تعبد في الأرض وتجعلوا أنفسكم أسوة أهل مدينتكم اختاروا إما أن تذبحوا لآلهتنا وإما أن أقتلكم، فقال مكسلينا وهو أكبرهم: إن لنا إلهاً ملء السموات والأرض عظمته لن ندعوا من دونه إلهاً أبداً له الحمد والتكبير من أنفسنا خالصاً أبداً، إياه نعبد وإياه نسأل النجاة والخير فأما الطواغيت فلن نعبدها أبداً اصنع بنا ما بدا لك. وقال أصحابه مثل ذلك فلما سمع الملك كلامهم أمر بنزع ثيابهم وحلية كانت عليهم من الذهب والفضة وقال سأفرغ لكم وأنجز لكم ما أوعدتكم من العقوبة وما يمنعني أن أعجل ذلك لكم إلا أني أراكم شباناً حديثة أسنانكم فلا أحب أن أهلككم حتى أجعل لكم أجلاً تذكرون فيه فترجعون إلى عقولكم. ثم أمر بهم فأخرجوا من عنده، وانطلق دقيانوس إلى مدينة أخرى قريبة منه لبعض أموره فلما رأى الفتية خروجه بادروا وخافوا إذا قدم أن يذكرهم، فأتمروا بينهم واتفقوا على أن يأخذ كل واحد منهم نفقة من بيت أبيه فيتصدقوا منها ويتزودوا بما بقي ثم ينطلقوا إلى كهف قريب من المدينة في جبل يقال له ينجلوس(١)، فيمكثوا فيه ويعبدوا الله حتى إذا جاء دقيانوس أتوه فيصنع بهم ما يشاء فلما اتفقوا على ذلك عمد كل فتى منهم إلى بيت أبيه فأخذ نفقة فتصدق منها وانطلقوا بما بقي معهم، وأتبعهم كلب كان لهم حتى أتوا ذلك الكهف فمكثوا فيه. وقال كعب الأحبار: مروا بكلب فتبعهم فطردوه فعاد ففعلوا ذلك مراراً فقال لهم الكلب: ما

ففعل ذلك مراراً فقال لهم الكلب: يا قوم ما تريدون مني لا تخشون جانبي أنا أحبّ أحباب الله، فناموا حتى أحرسكم. وقال ابن عباس: هربوا ليلاً من دقيانوس، وكانوا سبعة فمرّوا براعٍ معه كلب فتبعهم على دينهم وتبعه كلبه فخرجوا من البلد إلى الكهف وهو قريب من البلد. قال ابن إسحاق: فلبثوا فيه ليس لهم عمل إلّا الصلاة والصيام والتسبيح والتكبير والتحميد ابتغاء وجه الله، وجعلوا نفقتهم إلى فتى منهم يقال له تمليخا فكان يبتاع لهم أرزاقهم من المدينة سرّاً وكان من أحلمهم وأجلدهم، وكان إذا دخل المدينة يضع ثياباً كانت عليه حساناً ويأخذ ثياباً كثياب المساكين الذين يستطعمون فيها ثم يأخذ ورقة فينطلق إلى المدينة فيشتري لهم طعاماً وشراباً ويتجسّس لهم الخبر هل ذكر هو وأصحابه بشيء، ثم يرجع إلى أصحابه فلبثوا بذلك ما لبثوا، ثم قَدِمَ داقيانوس المدينة فأمر عظماء أهلها فذبحوا للطواغيت ففزع من ذلك أهل الإيمان وكان تمليخا بالمدينة يشتري لأصحابه طعامهم فرجع إلى أصحابه وهو يبكي ومعه طعام قليل، وأخبرهم أن الجبار قد دخل المدينة وأنهم قد ذكروا والتمسوا مع عظماء المدينة ففزعوا ووقعوا سجوداً يدعون الله ويتضرعون إليه ويتعوّذون من الفتنة ثم إن تمليخاً قال لهم يا إخوتاه ارفعوا رؤوسكم واطعموا وتوكلوا على ربكم، فرفعوا رؤوسهم وأعينهم تفيض من الدمع، فطعموا وذلك غروب الشمس ثم جلسوا يتحدثون ويتدارسون ويذكر بعضهم بعضاً فبينما هم على ذلك إذ ضرب الله على آذانهم النوم في الكهف وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف، فأصابه ما أصابهم وهم مؤمنون موقنون ونفقتهم عند رؤوسهم، فلما كان من الغد فقدهم دقيانوس فالتمسهم فلم يجدهم، فقال لبعضهم: لقد ساءني شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا، لقد كانوا ظنوا أن بي غضباً عليهم لجهلهم ما جهلوا من أمري ما كنت لأحمل عليهم إن هم تابوا وعبدوا آلهتي، فقال عظماء المدينة: ما أنت بحقيق أن ترحم قوماً فجرة مردة عصاة قد كنت أجّلت لهم أجلاً ولو شاؤوا لرجعوا في ذلك الأجل، ولكنهم لم يتوبوا، فلما قالوا ذلك غضب غضباً شديداً ثم أرسل إلى آبائهم فأتى بهم فسألهم عنهم، فقال:

---

(١) قوله ينجلوس هكذا في بعض النسخ وفي بعضها مخلوس وفي حياة الحيوان منحلوس ا هـ.

تريدون مني لا تخشوا مني أنا أحب أحباب الله عز وجل فناموا حتى أحرسكم. وقال ابن عباس: هربوا من دقيانوس وكانوا سبعة فمروا براعٍ معه كلب فتبعهم على دينهم وتبعهم الكلب فخرجوا من البلد إلى الكهف. قال ابن عباس: فلبثوا فيه ليس لهم عملٌ إلا الصلاة والصيام والتسبيح والتحميد ابتغاء لوجه الله عز وجل وجعلوا نفقتهم إلى فتى منهم اسمه تمليخا فكان يبتاع لهم أرزاقهم من المدينة سراً وكان من أجملهم وأجلدهم وكان إذا دخل المدينة لبس ثياباً رثة كثياب المسلمين ثم يأخذ ورقة فينطلق إلى المدينة فيشتري لهم طعاماً وشراباً، ويتجسس لهم الخبر هل ذكر هو وأصحابه بشيء ثم يرجع إلى أصحابه فلبثوا بذلك ما شاء الله أن يلبثوا. ثم قدم دقيانوس المدينة وأمر عظماء أهلها أن يذبحوا للطواغيت ففزع من ذلك أهل الإيمان وكان تمليخا بالمدينة يشتري لأصحابه طعامهم، فرجع إلى أصحابه وهو يبكي ومعه طعام قليل فأخبرهم أن الجبار قد دخل المدينة وأنهم قد ذكروا والتمسوا مع عظماء المدينة ففزعوا ووقعوا سجوداً يدعون الله ويتضرعون إليه ويتعوذون من الفتنة فقال لهم تمليخا: يا إخوتاه ارفعوا رؤوسكم واطعموا وتوكلوا على ربكم فرفعوا رؤوسهم وأعينهم تفيض من الدمع وذلك عند غروب الشمس، ثم جلسوا يتحدثون ويذكر بعضهم بعضاً فبينما هم على ذلك إذ ضرب الله عز وجل على آذانهم في الكهف، وكلبهم باسط ذارعيه بباب الكهف فأصابه ما أصابهم وهم مؤمنون موقنون ونفقتهم عند رؤوسهم فلما كان من الغد تفقدهم دقيانوس والتمسهم فلم يجدهم فقال لبعض عظماء المدينة لقد ساءني شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا لقد ظنوا أن بي غضباً عليهم لجهلهم ما جهلوا من أمري ما كنت لأجهل عليهم إن هم تابوا وعبدوا آلهتي فقال عظماء المدينة ما أنت بحقيق أن ترحم قوماً فجرة مردة عصاة، قد كنت أجلت لهم أجلاً ولو شاؤوا لرجعوا في ذلك الأجل ولكنهم لم يتوبوا، فلما قالوا ذلك غضب غضباً شديداً ثم أرسل إلى آبائهم فأتى بهم فقال: أخبروني عن أبنائكم المردة الذين عصوني، فقالوا: أما نحن لم نعصك فلم تقتلنا بقوم مردة إنهم ذهبوا بأموالنا وأهلكوها في أسواق المدينة، ثم انطلقوا إلى جبل يدعى ينجلوس فلما قالوا له ذلك

أخبروني عن أبنائكم المردة الذين عصوني، فقالوا له: أما نحن فلم نعصك فلِمَ تقتلنا بقوم مردة قد ذهبوا بأموالنا، فأهلكوها في أسواق المدينة، ثم انطلقوا وارتقوا إلى جبل يدعى بمخلوس، فلما قالوا له ذلك خلّى سبيلهم وجعل لا يدري ما يصنع بالفتية، فألقى الله في نفسه أن يأمر بالكهف فيسدّ عليهم وأراد الله أن يكرّمهم ويجعلهم آية لأمة تستخلف من بعدهم وأن يبيّن لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث مَن في القبور، فأمر دقيانوس بالكهف أن يُسَدّ عليهم، وقال: دعوهم كما هم في الكهف يموتون جوعاً وعطشاً ويكون كهفهم الذي اختاروا قبراً لهم، وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم، وقد توفّى الله أرواحهم وفاة النوم، وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد غشيهم ما غشيهم يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال، ثم إن رجلين مؤمنين في بيت الملك دقيانوس يكتمان إيمانهما اسم أحدهما يندروس والآخر روناس، ائتمرا أن يكتبا شأن الفتية وأنسابهم وأسمائهم وخبرهم في لوحين من رصاص ويجعلاهما في تابوت من نحاس، ويجعلا التابوت في البنيان، وقالا لعل الله أن يظهر على هؤلاء الفتية قوماً مؤمنين قبل يوم القيامة، فيعلم مَن فتح عليهم حين يقرأ هذا الكتاب خبرهم، ففعلا وبنيا عليه فبقي دقيانوس ما بقي، ثم مات هو وقومه وقرون بعده كثيرة وخلفت الملوك بعد الملوك، وقال عبيد بن عمير: كان أصحاب الكهف فتياناً مطوّقين مسوّرين ذوي ذوائب وكان معهم كلب صيدهم فخرجوا في عيد لهم عظيم في زيّ وموكب وأخرجوا معهم آلهتهم التي كانوا يعبدونها، وقد قذف الله في قلوب الفتية الإيمان وكان أحدهم وزير الملك فآمنوا وأخفى كل واحد منهم إيمانه فقالوا في أنفسهم نخرج من بين أظهر هؤلاء القوم لا يصيبنا عقاب يحرمهم فخرج شاب منهم حتى انتهى إلى ظل شجرة فجلس فيه ثم خرج آخر فرآه جالساً وحده فرجا أن يكون على مثل أمره من غير أن يظهر ذلك، ثم خرج الآخر فاجتمعوا في مكان، فقال بعضهم لبعض: ما جمعكم وكل واحد يكتم صاحبه إيماناً مخافة على نفسه،

خلى سبيلهم، وجعل ما يدري ما يصنع بالفتية فألقى الله سبحانه وتعالى في نفسه أن يأمر بسد باب الكهف عليهم وأراد الله عز وجل أن يكرمهم بذلك ويجعلهم آية لأمة تستخلف من بعدهم، وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور. فأمر دقيانوس بالكهف فسد عليهم وقال دعوهم كما هم في كهفهم يموتون جوعاً وعطشاً ويكون كهفهم الذي اختاروه قبراً لهم، وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم وقد توفى الله عز وجل أرواحهم وفاة نوم وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد غشيه ما غشيهم يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال. ثم إن رجلين مؤمنين في بيت الملك دقيانوس يكتمان إيمانهما، اسم أحدهما بيدروس واسم الآخر روناس اهتما أن يكتبا شأن هؤلاء الفتية، وأسماءهم وأنسابهم وأخبارهم في لوحين من رصاص ويجعلاهما في تابوت من نحاس ويجعلا التابوت في البنيان، وقالا: لعل الله أن يظهر على هؤلاء الفتية قوماً مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من فتح عليهم خبرهم حين يقرأ الكتاب ففعلا ذلك وبنيا عليه وبقي دقيانوس ما بقي ثم مات هو وقومه، وقرون بعده كثيرة وخلفت الملوك بعد الملوك وقال عبيد بن عمير: كان أصحاب الكهف فتياناً مطوقين مسورين ذوي ذوائب فخرجوا في عيد لهم عظيم في زي وموكب وأخرجوا معهم آلهتهم التي كانوا يعبدونها وكان معهم كلب صيد لهم، وكان أحدهم وزير الملك فقذف الله سبحانه وتعالى الإيمان في قلوبهم فآمنوا وأخفى كل واحد إيمانه وقال في نفسه أخرج من بين أظهر هؤلاء القوم لئلا يصيبني عقاب بجرمهم، فخرج شاب منهم حتى انتهى إلى ظل شجرة فجلس فيه ثم خرج آخر فرآه جالساً وحده فرجا أن يكون على مثل أمره وجلس إليه من غير أن يظهره على أمره ثم خرج آخر فخرجوا جميعاً فاجتمعوا فقال بعضهم لبعض ما جمعكم وكل واحد يكتم إيمانه من صاحبه مخافة على نفسه، ثم قالوا ليخرج كل فتيين فيخلوا ويفشي كل واحد سره إلى صاحبه ففعلوا ذلك فإذا هم جميعاً على الإيمان وإذا الكهف في جبل عظيم قريب منهم فقال بعضهم لبعض فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته. فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيد فناموا ثلاثمائة سنين وازداد

ثم قالوا: ليخرج كل فتى فيخلوا بصاحبه ثم يفشي واحد منكم سرّه إلى صاحبه، ففعلوا فإذا هم جميعاً على الإيمان، وإذا كهف في الجبل قريب منهم فقال بعضهم لبعض: فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته، فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيدهم فناموا ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً، وفقدهم قومهم فطلبوهم فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم، فكتبوا أسماءهم وأنسابهم في لوح: فلان وفلان وفلان أبناء ملوكنا فقدناهم في شهر كذا في سنة كذا في مملكة فلان بن فلان ووضعوا اللوح في خزانة الملك، وقالوا: ليكوننّ لهذا شأن ومات ذلك الملك، وجاء قرن بعد. وقال وهب بن منبّه: جاء حواري عيسى عليه السلام إلى مدينة أصحاب الكهف فأراد أن يدخلها فقيل له: إن على بابها صنماً لا يدخلها أحد إلّا يسجد له فكره أن يدخلها فأتى حماماً قريباً من المدينة فكان يؤاجر نفسه من الحمامي، ويعمل فيه ورأى صاحب الحمّام في حمّامه البركة واجتمع عليه فتية من أهل المدينة فجعل يخبرهم خبر السماء والأرض وخبر الآخرة حتى آمنوا وصدقوه، وكان شرط صاحب الحمام أن الليل لي لايحول بيني وبينه ولا بين الصلاة أحد، وكان على ذلك حتى أتى ابن الملك بامرأة فدخل بها الحمام فعيّره الحواري، وقال: أنت ابن الملك وتدخل مع هذه فاستحيا وذهب فرجع مرة أخرى، فقال له مثل ذلك فسبّه وانتهره ولم يلتفت إلى مقالته حتى دخلا معاً فماتا في الحمام وأتى الملك فقيل له قتل صاحب الحمام ابنك فالتمس فلم يدر عليه وهرب، فقال: مَن كان يصحبه فسمّوا الفتية فالتمسوا فخرجوا من المدينة فمرّوا بصاحب لهم على مثل إيمانهم فانطلق معهم ومعه كلب حتى آواهم الليل إلى الكهف فدخلوه، وقالوا: نبيت هنا الليلة ثم نصبح إن شاء الله تعالى، فترون رأيكم فضرب الله على آذانهم فخرج الملك في أصحابه يبتغونهم حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف، فلما أراد رجل منهم دخوله أرعب فلم يطق أحد أن يدخله، فقال قائل منهم: أليس لو قدّر عليهم قتلتهم؟ قال: بلى، قال: فابنِ عليهم باب الكهف

تسعاً، وفقدهم قومهم وطلبوهم فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم فكتبوا أسماءهم وأنسابهم في لوح فلان وفلان أبناء ملوكنا فقدناهم في شهر كذا في سنة كذا في مملكة فلان ابن فلان الملك ووضعوا اللوح في خزانة الملك وقالوا ليكون لهؤلاء شأن ومات ذلك الملك، وجاء قرن بعد قرن. قال محمد بن إسحاق: ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له بيدروس فلما ملك بقي ملكه ثماني وستين سنة، فتحزب الناس في ملكه فكانوا أحزاباً منهم من يؤمن بالله ويعلم أن الساعة حق، ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح وتضرع إلى الله وحزن حزناً شديداً لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق ويقولون لا حياة إلا الحياة الدنيا وإنما تبعث الأرواح دون الأجساد. وجعل بيدروس الملك يرسل إلى من يظن فيهم خيراً وأنهم أئمة في الخلق فلم يقبلوا منه وجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا يخرجون الناس عن الحق وملة الحواريين، فلما رأى ذلك الملك الصالح دخل بيته وأغلق بابه عليه، ولبس مسحاً وجعل تحته رماداً فجلس عليه فدأب ليله ونهاره يتضرع إلى الله تعالى ويبكي ويقول رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم بطلان ما هم عليه. ثم إن الله سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم الذي يكره هلكة عباده أراد أن يظهر على الفتية أصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم ويجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا أن الساعة آتية فيها، ويستجيب لعبده الصالح بيدروس ويتم نعمته عليه وأن يجمع من كان تبدد من المؤمنين، فألقى الله سبحانه وتعالى في نفس رجل من أهل ذلك البلد الذي فيه ذلك الكهف وكان اسمه أولياس أن يهدم ذلك البنيان الذي على فم الكهف ويبني به حظيرة لغنمه، فاستأجر غلامين فجعلا ينزعان تلك الحجارة ويبنيان بها تلك الحظيرة حتى نزعا ما كان على باب الكهف، وفتحا باب الكهف وحجبهم الله تعالى عن الناس بالرعب فلما فتح باب الكهف أذن الله سبحانه وتعالى ذو القدرة والسلطان محيي الموتى للفتية أن يجلسوا بين ظهراني الكهف، فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة أنفسهم فسلم بعضهم على بعض كأنما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون منها إذا أصبحوا من ليلتهم. ثم

واتركهم فيه يموتون جوعاً، ففعل، قال وهب: فعبر بعدما سدّوا عليهم باب الكهف زمان بعد زمان، ثم إن راعياً أدركه المطر عند الكهف فقال: لو فتحت باب هذا الكهف وأدخلت غنمي فيه من المطر فأكنهم من المطر، فلم يزل يعالجه حتى فتح وردّ الله عليهم أرواحهم من الغد حين أصبحوا. وقال محمد بن إسحاق: ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له بيدروس، فلما ملك بقي في ملكه ثمانياً وستّين سنة فتحزّب الناس في ملكه فكانوا أحزاباً منهم مَن يؤمن بالله ويعلم أن الساعة حق ومنهم مَن يكذب بها، فكبر ذلك على الملك الصالح فبكى وتضرّع إلى الله وحزن حزناً شديداً لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق، ويقولون لا حياة إلا حياة الدنيا وإنما تُبعَث الأرواح ولا تُبعَث الأجساد، فجعل بيدروس يرسل مَن يظن أن فيهم خيراً وأنهم أئمة في الخلق، فجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا أن يحوّلوا الناس عن الحق وملّة الحواريين، فلما رأى ذلك الملك الصالح دخل بيته وأغلقه عليه، ولبس مسحاً وجعل تحته رماداً فجلس عليه فدأب ليله ونهاره زماناً يتضرّع إلى الله تعالى ويبكي كله، ويقول أي رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث إليهم آية تبيّن لهم بطلان ما هم عليه، ثم إن الرحمن الرحيم الذي يكره هلكة العباد أراد أن يظهر الفتية أصحاب الكهف ويبيّن للناس شأنهم ويجعلهم آية وحجّة عليهم ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها، ويستجيب لعبده الصالح بيدروس ويتم نعمته عليه، وأن يجمع مَن كان تبدّد من المؤمنين فألقى الله في نفس رجل من ذلك البلد الذي فيه الكهف، وكان اسم ذلك الرجل أولياس أن يهدم ذلك البنيان الذي على فم الكهف فيبني به حظيرة لغنمه فاستأجر غلامين فجعلا ينزعان تلك الحجارة ويبنيان تلك الحظيرة، حتى نزعا ما على فم الكهف وفتحا باب الكهف وحجبهم الله عن الناس بالرغب، فلما فتحا باب الكهف أذِنَ الله ذو القدرة والسلطان مُحيي الموتى للفتية أن يجلسوا بين ظهراني الكهف، فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة أنفسهم

قاموا إلى الصلاة فصلوا كما كانوا يفعلون لا يرى في وجوههم ولا ألوانهم شيء ينكرونه وأنهم كهيئتهم حين رقدوا وهم يرون أن دقيانوس في طلبهم فلما قضوا صلاتهم قالوا لتمليخا صاحب نفقتهم: أنبئنا بما قال الناس في شأننا عشية أمس عند هذا الجبار، وهم يظنون أنهم قد رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون وقد خيل إليهم أنهم كانوا ينامون حتى تساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبثتم نياماً قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم، قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكل ذلك في أنفسهم يسير فقال لهم تمليخا: قد التمستم في المدينة وهو يريد أن يؤتى بكم اليوم فتذبحوا للطواغيت أو يقتلكم، فما شاء الله بعد ذلك فعل فقال لهم مكسلمينا: يا إخوتاه اعلموا أنكم ملاقو الله فلا تكفروا بعد إيمانكم إذا دعاكم عدو الله، ثم قالوا لتمليخا انطلق إلى المدينة فتسمع ما يقال لنا بها وما الذي يذكر فينا عند دقيانوس وتلطف ولا تشعرن بك أحداً، وابتع لنا طعاماً فأتنا به وزدنا على الطعام الذي جئتنا به فقد أصبحنا جياعاً، ففعل تمليخا كما كان يفعل ووضع ثيابه وأخذ الثياب التي كان يتنكر فيها وأخذ ورقاً من نفقتهم التي كانت معهم التي ضربت بطابع دقيانوس وكانت كخفاف الربع، فانطلق تمليخا خارجاً فلما مر بباب الكهف رأى الحجارة منزوعة عن باب الكهف فعجب منها ثم مر ولم يبال بها حتى أتى باب المدينة مستخفياً يصد عن الطريق تخوفاً أن يراه أحد من أهلها فيعرفه، ولا يشعر أن دقيانوس وأهله هلكوا قبل ذلك بثلاثمائة سنة. فلما أتى تمليخا باب المدينة رفع بصره فرأى فوق ظهر الباب علامة كانت لأهل الإيمان. إذ كان أمر الإيمان ظاهراً فيهما فلما رآها عجب وجعل ينظر إليها يميناً وشمالاً ثم ترك ذلك الباب ومضى إلى باب آخر فرأى مثل ذلك فخيل إليه أن المدينة ليست بالتي كان يعرف ورأى أشخاصاً كثيرة محدثين لم يكن رآهم قبل ذلك، فجعل يمشي ويتعجب ويخيل إليه أنه حيران ثم رجع إلى الباب الذي أتى منه فجعل يتعجب بينه وبين نفسه ويقول يا ليت شعري ما هذا أما عشية أمس كان المسلمون يخفون هذه العلامة في هذه المدينة ويستخفون بها واليوم ظاهرة لعلي نائم حالم ثم يرى أنه ليس بنائم فأخذ كساءه فجعله على رأسه ثم دخل المدينة

فسلّم بعضهم على بعض، كأنما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون فيها إذا أصبحوا من ليلتهم، ثم قاموا إلى الصلاة فصلّوا كالذي كانوا يفعلون لا يُرى في وجوههم ولا ألوانهم شيء ينكرونه كهيئتهم حين رقدوا وهم يرون أن دقيانوس في طلبهم فلما قضوا صلاتهم قالوا لتمليخا صاحب نفقاتهم: أنبأنا ما الذي قال النــاس في شأننا عشية أمس عند هذا الجبار؟ وهم يظنون أنهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون، وقد تخيل إليهم أنهم قد ناموا أطول مما كانوا ينامون، حتى يتساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض: كم لبثتم نياماً؟ قالوا: لبثنا يوماً أو بعض يوم، ثم قالوا: ربّكم أعلم بما لبثتم، وكل ذلك في أنفسهم يسير، فقال لهم تمليخا: التمستم في المدينة فلم توجدوا وهو يريد أن يُؤتى بكم اليوم، فتُذبحون للطواغيت أو يقتلكم فما شاء الله بعد ذلك فعل، فقال لهم مكسلمينا: يا إخوتاه اعلموا أنكم مُلاقوا الله فلا تكفروا بعد إيمانكم إذا دعاكم عدوّ الله ثم قالوا لتمليخا: انطلق إلى المدينة فتسمع ما يقال لنا بها، وما الذي يذكر عند دقيانوس وتلطف ولا تُشعِرَنّ بك أحداً وابتع لنا طعاماً فائتنا به وزدنا على الطعام الذي جئتنـا به، فقد أصبحنا جياعاً، ففعل تمليخا كما كان يفعل ووضع ثيابه وأخذ الثياب التي يتنكّر فيها وأخذ ورقاً من نفقتهم التي كانت معهم والتي ضُرِبت بطابع دقيانوس، فكانت كخفاف الربع والربع أول ما ينتج من ولد الضأن في الربيع، فانطلق تمليخا خارجاً فلما مرّ بباب الكهف رأى الحجارة منزوعة عن باب الكهف فعجب منها ثم مرّ ولم يُبالِ بها حتى باب المدينة مستخفياً يصدّ عن الطريق تخوفاً أن يراه أحد من أهلها فيعرفه ولم يشعر أن دقيانوس وأهله قد هلكوا قبل ذلك بثلثمائة سنة، فلما أتى تمليخا باب المدينة رفع بصره فرأى فوق ظهر الباب علامة تكون لأهل الإيمان إذا كان الإيمان ظاهراً فيها فلما رآها عجب وجعل ينظر إليها مستخفياً وجعل ينظر يميناً وشمالاً، ثم ترك ذلك الباب فتحوّل إلى باب آخر من أبوابها فرأى مثل ذلك فجعل يُخَيّل إليه أن المدينة ليست بالتي كان يعرف ورأى

فجعل يمشي في أسواقها فسمع ناساً يحلفون باسم عيسى ابن مريم، فزاده ذلك تعجباً ورأى أنه حيران فقام مسنداً ظهره إلى جدار من جدران المدينة وهو يقول في نفسه والله ما أدري ما هذا أما عشية أمس فليس كان على الأرض من يذكر عيسى ابن مريم إلا قتل وأما اليوم فأسمع كل إنسان يذكر عيسى ابن مريم لا يخاف، ثم قال في نفسه: لعل هذه ليست بالمدينة التي أعرف والله ما أعلم مدينة بقرب مدينتنا فقام كالحيران ثم لقي فتى فقال له ما اسم هذه المدينة يا فتى فقال اسمها أفسوس، فقال في نفسه لعل بي مساً أوأمراً أذهب عقلي والله يحق لي أن أسرع الخروج قبل أن يصيبني فيها شر فأهلك. فمضى إلى الذين يبتاعون الطعام فأخرج لهم الورق التي كانت معه وأعطاها رجلاً منهم وقال له بعني بهذه الورق طعاماً، فأخذها الرجل ونظر إلى ضرب الورق ونقشها فعجب منها فناولها رجلاً آخر من أصحابه فنظر ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل إلى رجل ويتعجبون منها ويتشاورون بينهم، ويقول بعضهم لبعض: إن هذا أصاب كنزاً خبيئاً في الأرض منذ زمان طويل فلما رآهم تمليخا يتحدثون فيه فرق فرقاً شديداً وخاف وجعل يرعد ويظن أنهم قد فطنوا به وعرفوه وأنهم إنما يريدون أن يذهبوا به إلى ملكهم دقيانوس، وجعل أناس يأتونه ويتعرفونه فلا يعرفونه فقال لهم وهو شديد الخوف منهم: أفضلوا علي قد أخذتم ورقي فأمسكوها وأما طعامك فلا حاجة لي به، فقالوا له يا فتى من أنت وما شأنك والله لقد وجدت كنزاً من كنوز الأولين وأنت تريد أن تخفيه منا انطلق معنا وأرناه وشاركنا فيه نخفف عليك ما وجدت، وإنك إن لم تفعل نحملك إلى السلطان فنسلمك إليه فيقتلك فلما سمع قولهم قال والله قد وقعت في كل شيء كنت أحذر منه، فقالوا له يا فتى إنك والله لا تستطيع أن تكتم ما وجدت وجعل تمليخا ما يدري ما يقول لهم وخاف حتى لم يجر على لسانه إليهم شيء، فلما رأوه لا يتكلم أخذوا كساءه فطرحوه في عنقه

ناساً كثيراً محدّثين لم يكن يراهم قبل ذلك فجعل يمشي ويتعجب ويخيّل إليه أنه حيران، ثم رجع إلى الباب الذي أتى منه فجعل يتعجب بينه وبين نفسه ويقول يا ليت شعري ما هذا أما عشية أمس فكان المسلمون يخبئون هذه العلامة ويستخفون بها، وأما اليوم فإنها ظاهرة لعلّي نائم ثم يرى أنه ليس بنائم، فأخذ كساءه فجعله على رأسه ثم دخل المدينة فجعل يمشي بين ظهراني سوقها فيسمع ناساً يحلفون باسم عيسى ابن مريم فزاده فرقاً ورأى أنه حيران، فقام مسنداً ظهره إلى جدار من جدر المدينة، وقال في نفسه: والله ما أدري ما هذا أما عشية أمس فليس على ظهر الأرض إنسان يذكر عيسى ابن مريم إلا قُتل، وأما الغداة فأسمعهم وكل إنسان يذكر اسم عيسى ولا يخاف أحداً، ثم قال في نفسه: لعل هذه ليست بالمدينة التي أعرف، والله ما أعرف مدينة قرك مدينتنا، فقام كالحيران ثم لقي فتى فقال له: ما اسم هذه المدينة يا فتى قال: اسمها أفسوس، فقال في نفسه: لعلّ بي مسّاً أو أمراً أذهب عقلي والله يحق لي أن أسرع الخروج منها قبل أن أخزى فيها أو يصيبني شرٌّ فأهلك ثم إنه أفاق فقال: والله لو عجّلت الخروج من المدينة قبل أن يفطن بي لكان أكيس بي، فدنا من الذين يبيعون الطعام فأخرج الورق التي كانت معه فأعطاها رجلاً منهم فقال بعني بهذه الورق طعاماً فأخذها الرجل فنظر إلى ضرب الورق ونقشها فعجب منه ثم طرحها إلى رجل آخر من أصحابه فنظر إليها فجعلوا يتطارحونها بينهم من رجل إلى رجل يتعجبون منها، ثم جعلوا يتشاورون بينهم ويقول بعضهم لبعض إن هذا أصاب كنزاً خبيئاً في الأرض منذ زمان ودهر طويل فلما رآهم تمليخاً يتشاورون من أجله فرق فرقاً شديداً وجعل يرتعد ويظن أنهم قد فطنوا به وعرفوه وأنهم إنما يريدون أن يذهبوا به إلى ملكهم دقيانوس وجعل أُناس آخرون يأتونه فيتعرّفونه فلا يعرفونه، فقال لهم وهو شديد الفرق منهم: أفضلوا عليّ قد أخذتم ورقي، فأمسكوها وأما طعامكم فلا حاجة لي به، فقالوا له مَن أنت يا فتى وما شأنك والله لقد وجدت كنزاً من كنوز الأولين، وأنت تريد أن تخفيه منّا، فانطلقْ معنا وأرِنا وشاركنا فيه. نخفِ عليك ما وجدت، فإنك إن لم تفعل نأتِ بك إلى السلطان فنسلّمك إليه فيقتلك، فلما سمع قولهم قال في نفسه: قد وقعت في كل شيء كنت أحذر منه،

وجعلوا يسحبونه في سكك المدينة حتى سمع به من فيها، وقيل قد أخذ رجل معه كنز فاجتمع عليه أهل المدينة وجعلوا ينظرون إليه ويقولون والله ما هذا الفتى من أهل هذه المدينة وما رأيناه فيها قط وما نعرفه، وجعل تمليخا لا يدري ما يقول لهم، وكان متيقناً أن أباه وإخوته بالمدينة وأنه من عظماء أهلها وأنهم سيأتونه إذا سمعوا به فبينما هو قائم كالحيران ينتظر متى يأتيه بعض أهله فيخلصه من أيديهم إذ اختطفوه وانطلقوا به إلى رئيسي المدينة ومدبريها، اللذين يدبران أمرها وهما رجلان صالحان اسم أحدهما أريوس واسم الآخر طنطيوس، فلما انطلقوا به إليهما ظن تمليخا أنه إنما ينطلق به إلى دقيانوس الجبار فجعل يلتفت يميناً وشمالاً، وهو يبكي والناس يسخرون منه كما يسخرون من المجنون ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إله السماء وإله الأرض أفرغ علي اليوم صبراً وأولج معي روحاً منك تؤيدني به عند هذا الجبار، وجعل يقول في نفسه فرقوا بيني وبين إخوتي يا ليتهم يعلمون ما لقيت ويا ليتهم يأتونني فنقوم جميعاً بين يدي هذا الجبار فإنا قد كنا تواثقنا على الإيمان بالله وأن لا نشرك به أحداً أبداً ولا نفترق في حياة ولا موت فلما انتهى إلى الرجلين الصالحين أريوس وطنطيوس ورأى أنه لم يذهب إلى دقيانوس، أفاق وذهب عنه البكاء وأخذ أريوس وطنطيوس الورقة ونظرا إليها وعجبا منها وقال أين الكنز الذي وجدت يا فتى فقال تمليخا: ما وجدت كنزاً ولكن هذا ورق آبائي ونقش هذه المدينة وضربها، ولكن والله ما أدري ما شأني وما أقول لكم فقال له أحدهما: ممن أنت فقال تمليخا أما أنا فكنت أرى أني من أهل هذه المدينة فقيل له: ومن أبوك ومن يعرفك بها فأخبرهم باسم أبيه، فلم يوجد من يعرفه ولا أباه فقال له أنت رجل كذاب لا تنبئنا بالحق فلم يدر تمليخا ما يقول غير أنه نكث بصره إلى الأرض فقال بعض من حوله هذا رجل مجنون، وقال بعضهم ليس بمجنون ولكنه يحمق نفسه عمداً

فقالوا: يا فتى إنك والله لا تستطيع أن تكتم ما وجدت، فجعل تمليخا لا يدري ما يقول لهم وما يرجع إليهم، وفرق حتى ما يخبر إليهم شيئاً، فلما رأوه ولا يتكلم أخذوا كساءه فطرحوه في عنقه، ثم جعلوا يقودونه في سكك المدينة حتى سمع به مَن فيها، وقيل: قد أخذ رجل معه كنزاً فاجتمع إليه أهل المدينة صغيرهم وكبيرهم فجعلوا ينظرون إليه، ويقولون: والله ما هذا الفتى من أهل هذه المدينة وما رأيناه فينا قطّ وما نعرفه قطّ، فجعل تمليخا لا يدري ما يقول لهم فلما، اجتمع عليه أهل المدينة فرق فسكت فلم يتكلم، وكان مستيقناً أن أباه وإخوته بالمدينة وأن حسبه ونسبه من أهل المدينة من عظماء أهلها وأنهم سيأتونه إذا سمعوا به فبينا هو قائم كالحيران ينتظر متى يأتيه بعض أهله فيخلّصه من أيديهم إذا اختطفوه وانطلقوا به إلى رئيسي المدينة ومدبّريها اللذين يدبّران أمرها، وهما رجلان صالحان اسم أحدهما أريوس واسم الآخر طنطيوس. فلما انطلق به إليهما ظن تمليخا أنه ينطلق به إلى دقيانوس الجبّار، فجعل يلتفت يميناً وشمالاً وجعل الناس يسخرون منه كما يسخرون من المجنون، وجعل تمليخا يبكي ثم رفع رأسه إلى السماء فقال في نفسه: اللّهمّ إلّه السماء وإلّه الأرض أفرغ اليوم عليّ صبراً وأولج معي روحاً منك تؤيّدني به عند هذا الجبّار، وجعل يبكي ويقول في نفسه: فرّق بيني وبين إخوتي يا ليتهم يعلمون ما لقيت يا ليتهم يأتونني فنقوم جميعاً بين يدي هذا الجبار، فإنّا كنّا تواثقنا لنكوننّ معاً لا نكفر بالله ولا نشرك به شيئاً، فرّق بيني وبينهم فلن يروني ولن أراهم أبداً وكنّا تواثقنا أن لا نفترق في حياة ولا موت أبداً يحدّث به نفسه تمليخا، فما يخبر أصحابه حين يرجع إليهم، حتى انتهوا إلى الرجلين الصالحين أريوس وطنطيوس، فلما رأى تمليخا أنه لا يذهب به إلى دقيانوس أفاق وذهب عنه البكاء فأخذ أريوس وطنطيوس الورق فنظرا إليها وعجبا منها ثم قال له أحدهما: أين الكنز الذي وجدت يا فتى؟ فقال تمليخا: ما وجدت كنزاً ولكن هذا ورق آبائي ونقش هذه المدينة وضربها، ولكن والله ما أدري ما شأني وما أقول لكم، فقال أحدهما: فمَن أنت؟ فقال: تمليخا أما أنا فكنت أرى أني من أهل هذه المدينة، فقالوا: ومَن أبوك ومَن يعرفك فيها: فأنبأهم باسم أبيه فلم يجدوا أحداً يعرفه ولا أباه، فقال له أحدهما: أنت رجل

لكي ينفلت منكم، فقال له أحدهما ونظر إليه نظراً شديداً أتظن إنا نرسلك ونصدقك بأن هذا مال أبيك ونقش هذه المدينة وضربها ولهذه الورقة أكثر من ثلاثمائة سنة وأنت غلام شاب أتظن أنك تأفكنا وتسخر بنا ونحن شيوخ شمط وحولك سراة هذه المدينة وولاة أمرها وخزائن هذه المدينة بأيدينا وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار، وإنني لأظنني سآمر بك فتعذب عذاباً شديداً ثم أوثقك حتى تعترف بهذا الكنز الذي وجدته. فقال لهم تمليخا: أخبروني عما أسألكم عنه فإن أنتم فعلتم صدقتكم عما عندي، فقالوا له سل لا نكتمك شيئاً، قال: فما فعل الملك دقيانوس فقال: ما نعرف على وجه الأرض من اسمه دقيانوس ولم يكن إلا ملك هلك في الزمان الأول وله دهر طويل وهلك بعده قرون كثيرة، فقال تمليخا: إني إذاً لحيران وما يصدقني أحد من الناس فيما أقول لقد كنا فتية على دين الواحد وأن الملك أكرهنا على عبادة الأصنام والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية أمس، فأتينا إلى الكهف الذي في جبل بنجلوس فنمنا فيه فلما انتهينا خرجت لأشتري لأصحابي طعاماً وأتجسس الأخبار فإذا أنا معكم كما ترون فانطلقوا معي إلى الكهف أريكم أصحابي، فلما سمع أريوس قول تمليخا قال يا قوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله عز وجل لكم على يد هذا الفتى فانطلقوا بنا معه حتى يرينا أصحابه. فانطلق أريوس وطنطيوس ومعهما جميع أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا إليهم فلما رأى الفتية أصحاب الكهف تمليخا قد احتبس عنهم بطعامهم وشرابهم عن القدر الذي كان يأتي فيه ظنوا أنه أخذ وذهب به إلى ملكهم دقيانوس فبينما هم يظنون ذلك ويتخوفونه إذ سمعوا الأصوات وجلبة الخيل مصعدة فظنوا أنهم رسل الجبار دقيانوس بعث بهم إليهم ليؤتى بهم فقاموا إلى الصلاة وسلم بعضهم على بعض وأوصى بعضهم بعضاً وقالوا انطلقوا بنا نأت أخانا تمليخا فإنه الآن بين يدي الجبار وهو ينتظرنا حتى نأتيه. فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس على هذه الحالة إذ هم بأريوس وأصحابه وقوفاً على باب

كذّاب لا تنبئنا بالحق، فلم يدرِ تمليخا ما يقول لهم غير أنه نكس بصره إلى الأرض، فقال بعض مَن حوله: هذا رجل مجنون، وقال بعضهم: ليس بمجنون ولكنه يحمق نفسه عمداً لكي ينقلب منكم، فقال له أحدهما ونظر إليه نظراً شديداً: أتظن أنّا نرسلك ونصدقك بأن هذا مال أبيك ونقش هذا الورق وضربها أكثر من ثلثمائة سنة، وإنما أنت غلام شاب أتظن أنك تأفكنا وتسخر بنا ونحن شيوخ شمط كما ترى، وحولك سراة أهل المدينة وولاة أمرها وخزائن هذه البلدة بين أيدينا، وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار، وإني لأظنني سآمر بك فتعذّب عذاباً شديداً، ثم أوثقك حتى تعترف بهذا الكنز الذي وجدته، فلما قال ذلك قال لهم تمليخا: أنبئوني عن شيء أسألكم عنه فإن فعلتم صدقتكم عمّا عندي، قالوا: سَل لا نكتمك شيئاً، قال لهم: ما فعل الملك دقيانوس؟ قالوا: لا نعرف اليوم على وجه الأرض ملك يسمى دقيانوس، ولم يكن إلا ملك هلك منذ زمان ودهر طويل وهلكت بعده قرون كثيرة، فقال تمليخا: إني إذاً لحيران وما يصدقني أحد من الناس بما أقول، لقد كنا فتية على دين واحد وهو الإسلام وإن الملك أكرهنا على عبادة الأوثان والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية أمس فنمنا فلما انتبهنا خرجت لأشتري له طعاماً وأتجسّس الأخبار فإذا أنا كما ترون، فانطلقوا معي إلى الكهف أُريكم أصحابي، فلما سمع أريوس ما يقول تمليخا، قال: يا قوم لعلّ هذه آية من آيات الله جعلها الله لكم على يدي هذا الفتى، فانطلقوا بنا معه يُرِنا أصحابه، فانطلق معه أريوس وطنطيوس وانطلق معهم أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا إليهم، ولما رأى الفتية أصحاب الكهف تمليخا قد احتبس عنهم بطعامهم وشرابهم عن القدر الذي كان يأتي به ظنوا أنه قد أخذ فذهب به إلى ملكهم دقيانوس، فبينما هم يظنون ذلك ويتخفّونه إذ سمعوا الأصوات وجلب الخيل مصعدة نحوهم، فظنوا أنهم رُسُل الجبّار دقيانوس بعث إليهم ليؤتى بهم، فقاموا إلى الصلاة وسلّم بعضهم على بعض وأوصى بعضهم بعضاً قالوا انطلقوا بنا نأت أخانا تمليخا فإنه الآن بين يدي الجبار ينتظر متى نأتيه، فبينما هم يقولون ذلك

الكهف فسبقهم تمليخا ودخل وهو يبكي فلما رأوه يبكي بكوا معه ثم سألوه عن خبره فقص عليهم الخبر كله، فعرفوا أنهم كانوا نياماً بأمر الله ذلك الزمن الطويل وإنما أوقظوا ليكونوا آية للناس وتصديقاً للبعث وليعلموا أن الساعة لا ريب فيها. ثم دخل على أثر تمليخا أريوس فرأى تابوتاً من نحاس مختوماً بخاتم فضة فوقف على الباب ودعا جماعة من عظماء أهل المدينة وأمر بفتح التابوت بحضرتهم فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوباً فيهما مكسلمينا ومخشلمينا وتمليخا ومرطونس وكشطونس وبيرونس وديموس وبطيوس وقالوس والكلب اسمه قطمير. كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس مخافة أن يفتنهم عن دينهم فدخلوا هذا الكهف فلما أخبر بمكانهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وإنا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلمه من بعدهم إن عثر بهم فلما قرأوه عجبوا وحمدوا الله سبحانه وتعالى الذي أراهم آية تدلهم على البعث ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه، ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدوهم جلوساً مشرقة وجوههم لم تبل ثيابهم فخر أريوس وأصحابه سجداً لله وحمدوا الله سبحانه وتعالى الذي أراهم آية من آياته ثم كلم بعضهم بعضاً وأخبرهم الفتية عن الذي لقوا من ملكهم دقيانوس ثم أريوس وأصحابه بعثوا بريداً إلى ملكهم الصالح بيدروس أن عجل لعلك تنظر إلى آية من آيات الله جعلها الله على ملكك للناس آية لتكون لهم نوراً وضياء وتصديقاً للبعث، وذلك أن فتية بعثهم الله وقد كان توفاهم منذ ثلاثمائة سنة وأكثر، فلما أتى الملك الخبر رجع عقله إليه وذهب همه وقال: أحمدك اللهم رب السموات والأرض وأعبدك وأسبح لك تطولت علي ورحمتني ولم تطفىء النور الذي جعلته لآبائي وللعبد الصالح بيدروس الملك ثم أخبر بذلك أهل مدينته فركب وركبوا معه حتى أتوا مدينة أفسوس، فتلقاهم أهلها وساروا معه نحو الكهف فلما صعد الجبل ورأى الفتية بيدروس فرح بهم وخر ساجداً على وجهه وقام

وهم جلوس بين ظهراني الكهف لم يروا إلاّ أريوس وأصحابه وقوفاً على باب الكهف. وسبقهم تمليخا فدخل عليهم وهو يبكي فلما رأوه يبكي بكوا معه، ثم سألوه عن شأنه فأخبرهم، وقصّ عليهم القصة والنبأ كله، فعرفوا عند ذلك أنهم كانوا نياماً بأمر الله ذلك الزمان كله بأمر الله، وإنما أُوقظوا ليكونوا آية للناس وتصديقاً للبَعْث وليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها، ثم دخل على أثر تمليخا أريوس فرأى تابوتاً من نحاس مختوماً بخاتم من فضة فقام بباب الكهف ثم دعا رجالاً من عظماء أهل المدينة ففتح التابوت عندهم فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوباً فيهما أن مكسلمينا ومخشلمينا وتمليخا ومرطونس وكشطونس ويبرونس وديموس وبطيوس والكلب اسمه قطمير كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس الجبار مخافة أن يفتنهم عن دينهم فدخلوا هذا الكهف، فلما أُخبِرَ بمكانهم أمر بالكهف فسُدَّ عليهم بالحجارة وأنّا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلمه مَن بعدهم إن عُثِرَ عليهم فلما قرأوه وعجبوا، وحمدوا الله الذي أراهم آية البَعْث فيهم، ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه ثم دخلوا على الفتية إلى الكهف فوجدوهم جلوساً بين ظهرانيهم مشرقة وجوههم لم تبلُ ثيابهم فخرّ أريوس وأصحابه سجوداً وحمدوا الله الذي أراهم آية من آياته، ثم كلّم بعضهم بعضاً وأنبأهم الفتية عن الذي لقوا من ملكهم دقيانوس، ثم إن أريوس وأصحابه بعثوا بريداً إلى ملكهم الصالح بيدروس أن عجّل لعلك تنظر إلى آية من آيات الله جعلها الله في مُلْكك وجعلها آية للعالمين لتكون لهم نوراً وضياءً وتصديقاً للبعث فأعجل إلى فتية بعثهم الله عزّ وجلّ، وقد كان توفّاهم منذ أكثر من ثلثمائة سنة فلما أتى الملك الخبر رجع إليه عقله وذهب عنه غمّه فقال أحمدك الله ربّ السموات والأرض وأعبدك وأُسبّح لك تطوّلت عليّ ورحمتني فلم تطفىء النور الذي كنت جعلته لآبائي للعبد الصالح بيدروس الملك، فلما نبّأ به أهل المدينة ركبوا إليه وساروا معه حتى أتوا مدينة إكسوس فتلقّاهم أهل المدينة وساروا معه حتى صعدوا نحو الكهف، فلما رأى الفتية بيدروس فرحوا به وخرّوا سُجّداً على وجوههم، وقام بيدروس قدّامهم ثم اعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الأرض يسبّحون الله ويحمدونه، ثم قال الفتية لبيدروس: نستودعك الله والسلام عليك ورحمة

بيدروس الملك قدامهم ثم اعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الأرض يسبحون الله ويحمدونه. ثم قال الفتية لبيدروس الملك نستودعك الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته حفظك الله وحفظ ملكك ونعيذك بالله من شر الإنس والجن. فبينما الملك قائم إذا هم رجعوا إلى مضاجعهم فناموا وتوفى الله أنفسهم، فقام الملك إليهم وجعل ثيابهم عليهم وأمر أن يجعل كل رجل منهم في تابوت من ذهب فلما أمسى ونام أتوه في منامه فقالوا له إنا لم نخلق من ذهب ولا فضة ولكنا خلقنا من تراب وإلى التراب نصير فاتركنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله تعالى منه، فأمر الملك عند ذلك بتابوت من ساج فجعلوا فيه وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب، ولم يقدر أحد أن يدخل عليهم وأمر الملك أن يتخذوا على باب الكهف مسجداً يصلى فيه وجعل لهم عيداً عظيماً وأمر أن يؤتى كل سنة. وقيل إن تمليخا حمل إلى الملك الصالح فقال له الملك من أنت قال أنا رجل من أهل هذه المدينة، وذكر أنه خرج أمس أو منذ أيام وذكر منزله وأقواماً لم يعرفهم أحد وكان الملك قد سمع أن فتية قد فقدوا في الزمان الأول وإن أسماءهم مكتوبة على لوح في خزانته فدعا باللوح ونظر في أسمائهم فإذا اسمه مكتوب وذكر أسماء الآخرين فقال تمليخا: هم أصحابي فلما سمع الملك ركب ومن معه من القوم فلما أتوا باب الكهف قال تمليخا: دعوني حتى أدخل على أصحابي فأبشرهم فإنهم إن رأوكم معي أرعبتموهم فدخل تمليخا فبشرهم فقبض الله روحه وأرواحهم وأعمى على الملك وأصحابه أثرهم فلم يهتدوا إليهم فذلك قوله عز وجل ﴿**إذ أوى الفتية إلى الكهف**﴾ أي صاروا إلى الكهف واسمه خيرم ﴿**فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة**﴾ أي هداية في الدين ﴿**وهيىء لنا**﴾ أي يسر لنا﴿**من أمرنا رشداً**﴾ أي ما نلتمس منه رضاك وما فيه رشدنا، وقال ابن عباس: أي مخرجاً من الغار في سلامة. قوله سبحانه وتعالى:

﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ

الله وبركاته حفظك الله وحفظ مُلكك، ونعيذك بالله من شرّ الإنس والجن، فبينما الملك قائم إذ رجعوا إلى مضاجعهم فناموا وتوفى الله تعالى أنفسهم، وقام الملك إليهم فجعل ثيابهم عليهم وأمر أن يُجعل كل رجل منهم في تابوت من ذهب فلما أمسى ونام أتوه في المنام، فقالوا له إننا لم نُخلَق من ذهب ولا من فضة ولكنّا خُلقنا من تراب وإلى التراب نصير فاتركنا كما كنّا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله منه، فأمر الملك حينئذ بتابوت من ساج فجعلوا فيه وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب فلم يقدر أحد على أن يدخل عليهم فأمر الملك فجعل على باب الكهف مسجداً يصلّى فيه وجعل لهم عيداً عظيماً وأمر أن يؤتى كل سنة، وقيل: إن تمليخا لما حمل إلى الملك الصالح قال له الملك مَن أنت قال: أنا رجل من أهل هذه المدينة وذكر أنه خرج أمس أو منذ أيام وذكر منزله وأقواماً لم يعرفهم أحد وكان الملك قد سمع أن فتية فُقِدوا في الزمن الأول وأن أسماءهم مكتوبة على اللوح بالخزانة، فدعا باللوح وقد نظر في أسمائهم فإذا هو من أولئك القوم، وذكر أسماء الآخرين فقال تمليخا هم أصحابي، فلما سمع الملك ذلك ركب ومَن معه من القوم فلما أتوا باب الكهف قال تمليخا دعوني حتى أدخل على أصحابي فأُبشّرهم فإنهم إن رأوكم معي أرعبتموهم، فدخل فبشّرهم فقبض الله أرواحهم وأعمى عليهم أثرهم فلم يهتدوا إليهم مرة ثانية، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ **إذْ أوى الفتية إلى الكهف** ﴾ أي: صاروا إلى الكهف، يقال أوى فلان إلى موضع كذا أي: اتخذه منزلاً إلى الكهف، وهو غار في جبل مخلوس واسم الكهف خيرم. ﴿ **فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة** ﴾. ومعنى الرحمة الهداية في الدين. وقيل: الرزق، ﴿ **وهيّء لنا** ﴾، يسّر لنا، ﴿ **من أمرنا رشداً** ﴾، أي: ما نلتمس من خير رضاك وما فيه رشدنا، وقال ابن عباس: رشداً أي: مخرجاً من الغار في سلامة.

قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًاۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا
ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنِۭ بَيِّنٍۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ
ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم
مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ
فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾

﴿**فضربنا على آذانهم**﴾ أي ألقينا عليهم النوم، وقيل منعنا نفوذ الأصوات إلى مسامعهم فإن النائم إذا سمع الصوت ينتبه ﴿**في الكهف سنين عدداً**﴾ أي أنمناهم سنين كثيرة فإن العدد يدل على الكثرة ﴿**ثم بعثناهم**﴾ أي من نومهم ﴿**لنعلم**﴾ أي علم مشاهدة وذلك أن الله عز وجل لم يزل عالماً، وإنما أراد ما تعلق به العلم من ظهور الأمر لهم ليزدادوا إيماناً واعتباراً ﴿**أي الحزبين**﴾ أي الطائفتين ﴿**أحصى لما لبثوا أمداً**﴾ أي أحفظ لما مكثوا في كهفهم نياماً وذلك أن أهل المدينة تنازعوا في مدة لبثهم في الكهف. قوله تعالى ﴿**نحن نقص عليك نبأهم بالحق**﴾ أي نقرأ عليك خبر أصحاب الكهف بالحق أي بالصدق ﴿**إنهم فتية**﴾ أي شبان ﴿**آمنوا بربهم وزدناهم هدى**﴾ أي إيماناً وبصيرة ﴿**وربطنا على قلوبهم**﴾ أي شددنا على قلوبهم بالصبر والتثبيت وقويناهم بنور الإيمان حتى صبروا على هجران دار قومهم، ومفارقة ما كانوا عليه من خفض العيش وفروا بدينهم إلى الكهف ﴿**إذ قاموا**﴾ يعني بين يدي دقيانوس الجبار

﴿ **فضربنا على آذانهم** ﴾، أي: أنمناهم وألقينا عليهم النوم. وقيل: معناه منعنا نفوذ الأصوات إلى مسامعهم، فإن النائم إذا سمع الصوت ينتبه، ﴿ **في الكهف سنين عدداً** ﴾، أي: أنمناهم سنين معدودة وذكر العدد على سبيل التأكيد. وقيل: ذكره يدلّ على الكثرة فإن القليل لا يُعدّ في العادة.

﴿ **ثم بعثناهم** ﴾، يعني من نومهم، ﴿ **لنعلم** ﴾ أي: علم المشاهدة، ﴿ **أيّ الحزبين** ﴾، أي الطائفتين، ﴿ **أحصى لِما لبثوا أمداً** ﴾. وذلك أن أهل القرية تنازعوا في مدة لبثهم في الكهف واختلفوا في قوله: ﴿ **أحصى لِما لبثوا** ﴾ حفظ لما مكثوا في كهفهم نياماً أمداً أي: غاية. وقال مجاهد: عدداً ونصبه على التفسير.

﴿ **نحن نقصّ عليك** ﴾ نقرأ عليك ﴿ **نبأهم** ﴾، خبر أصحاب الكهف. ﴿ **بالحق** ﴾، بالصدق ﴿ **إنهم فتية** ﴾، شبان، ﴿ **آمنوا بربهم وزدناهم هدىً** ﴾، إيماناً وبصيرةً.

﴿ **وربطنا** ﴾، شددنا، ﴿ **على قلوبهم** ﴾، بالصبر والتثبيت وقوّيناهم بنور الإيمان حتى صبروا على هجران دار قومهم ومفارقة ما كانوا فيه من خفض العيش وفرّوا بدينهم إلى الكهف، ﴿ **إذْ قاموا** ﴾، بين يدي دقيانوس حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم، ﴿ **فقالوا ربُّنا ربُّ السمٰوات والأرض لن ندعوا من دونه إلٰهاً** ﴾، قالوا ذلك لأن قومهم كانوا يعبدون الأوثان، ﴿ **لقد قلنا إذاً شططاً** ﴾، يعني إن دعونا غير الله لقد قلنا إذاً شططاً، قال ابن عباس: جوراً. وقال قتادة: كذباً. وأصل الشطط والإشطاط مجاوزة القدر والإفراط.

﴿ **هؤلاء قومنا** ﴾، يعني أهل بلدهم، ﴿ **اتخذوا من دونه** ﴾، أي: من دون الله، ﴿ **آلهة** ﴾، يعني الأصنام يعبدونها، ﴿ **لولا** ﴾، أي: هلاّ، ﴿ **يأتون عليهم** ﴾، أي: على عبادتهم، ﴿ **بسلطان بيّن** ﴾، بحجة واضحة، ﴿ **فمَن أظلم ممّن افترى على الله كذباً** ﴾، وزعم أن له شريكاً أو ولداً.

ثم قال بعضهم لبعض: ﴿ **وإذا اعتزلتموهم** ﴾، يعني قومكم، ﴿ **وما يعبدون إلاّ الله** ﴾، قرأ ابن مسعود

حين عاتبهم على ترك عبادة الأصنام ﴿فقالوا﴾ أي الفتية ﴿ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً﴾ إنما قالوا ذلك لأن قومهم كانوا يعبدون الأصنام ﴿لقد قلنا إذاً شططاً﴾ قال ابن عباس: يعني جوراً وقيل كذباً يعني إن دعونا غير الله ﴿هؤلاء قومنا﴾ يعني أهل بلدهم ﴿اتخذوا من دونه﴾ أي من دون الله ﴿آلهة﴾ يعني أصناماً يعبدونها ﴿لولا﴾ أي هلا ﴿يأتون عليهم﴾ أي على عبادة الأصنام ﴿بسلطان بين﴾ أي بحجة واضحة وفيه تبكيت لأن الإتيان بحجة على عبادة الأصنام محال ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ أي وزعم أنه له شريكاً أو ولداً ثم قال بعضهم لبعض ﴿وإذ اعتزلتموهم﴾ يعني قومكم ﴿وما يعبدون إلا الله﴾ وذلك أنهم كانوا يعبدون الله، ويعبدون معه الأصنام والمعنى وإذا اعتزلتموهم وجميع ما يعبدون إلا الله فإنكم لم تعتزلوا عبادته ﴿فأووا إلى الكهف﴾ أي الجؤوا إليه ﴿ينشر لكم﴾ أي يبسط لكم ﴿ربكم من رحمته ويهيىء﴾ أي يسهل ﴿لكم من أمركم مرفقاً﴾ أي ما يعود إليه يسركم ورفقكم. قوله سبحانه وتعالى ﴿وترى الشمس إذا طلعت تزاور﴾ أي تميل وتعدل ﴿عن كهفهم ذات اليمين﴾ أي جانب اليمين ﴿وإذا غربت تقرضهم﴾ أي تتركهم وتعدل عنهم ﴿ذات الشمال وهم في فجوة منه﴾ أي متسع من الكهف ﴿ذلك من آيات الله﴾ أي من عجائب صنعه ودلالات قدرته وذلك أن ما كان في ذلك السمت تصيبهم الشمس ولا تصيبهم اختصاصاً لهم بالكرامة، وقيل إن باب الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش فهم في مقنأة أبداً لا تقع الشمس عليهم عند الطلوع ولا عند الغروب ولا عند الاستواء فتؤذيهم بحرها، ولكن اختار الله لهم مضجعاً في متسع ينالهم فيه برد الريح ونسيمها ويدفع عنهم كرب الغار وغمه، وعلى هذا القول يكون معنى قوله ذلك من آيات الله أي إن شأنهم وحديثهم من آيات الله ﴿من يهد الله فهو المهتد﴾ يعني مثل أصحاب الكهف وفيه ثناء عليهم ﴿ومن يضلل﴾ أي ومن يضلله الله ولم يرشده ﴿فلن تجد له ولياً﴾ أي معيناً ﴿مرشداً﴾ أي يرشده. قوله سبحانه وتعالى:

وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ لَوِ

«وما يعبدون من دون الله» ، وأما القراءة المعروفة فمعناها أنهم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه الأوثان، يقول: إذا اعتزلتموهم وجميع ما يعبدون إلّا الله فإنكم لم تعتزلوا، ﴿ فأووا إلى الكهف ﴾، فالجأوا إليه، ﴿ ينشرْ لكم ﴾، يبسط لكم، ﴿ ربكم من رحمته ويهيّىء لكم ﴾، يسهّل لكم، ﴿ من أمركم مرفقاً ﴾ أي: ما يعود إليه يسرّكم ورفقكم. قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر (مَرفِقًا) بفتح الميم وكسر الفاء، وقرأ الآخرون بكسر الميم وفتح الفاء، ومعناهما واحد، وهو ما يرتفق به الإنسان.

قوله تعالى: ﴿ وترى الشمس إذا طلعت تزاور ﴾، قرأ ابن عامر ويعقوب بسكون الزاي وتشديد الراء على وزن تحمر، وقرأ أهل الكوفة بفتح الزاي خفيفة وألف بعدها، وقرأ الآخرون بتشديد الزاي، وكلها بمعنى واحد، أي: تميل وتعدل، ﴿ عن كهفهم ذات اليمين ﴾ أي: جانب اليمين، ﴿ وإذا غربت تقرضهم ﴾، أي: تتركهم وتعدل عنهم، ﴿ ذات الشمال ﴾، أصل القرض القطع، ﴿ وهم في فجوة منه ﴾ أي: متّسع من الكهف وجمعها فجوات، قال ابن قتيبة: كان كهفهم مستقبل بنات نعش، لا تقع فيه الشمس عند الطلوع ولا عند الغروب وفيما بين ذلك، قال: اختار الله لهم مضطجعاً في مقناة لا تدخل عليهم الشمس فتؤذيهم بحرّها وتغيّر ألوانهم وهم في متّسع ينالهم برد الريح ونسيمها ويدفع عنهم كرب الغار وغمومه. وقال بعضهم: هذا القول خطأ وهو أن الكهف كان مستقبل بنات نعش فكانت الشمس لا تقع عليهم ولكن الله صرف الشمس عنهم بقدرته وحال بينها وبينهم، ألا ترى أنه قال: ﴿ ذلك من آيات الله ﴾، من عجائب صنع الله ودلالات قدرته التي يعتبر بها، ﴿ مَن يهدِ اللّهُ فهو المهتدِ ومَن يضلل ﴾، أي: مَن يضلله الله ولم يرشده، ﴿ فلن تجد له وليّاً ﴾، معيناً، ﴿ مرشداً ﴾.

اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ قَالَ قَآئِلٌ
مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ
هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ
أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾

﴿**وتحسبهم**﴾ خطاب لكل أحد ﴿**أيقاظاً**﴾ أي منتبهين لأن أعينهم مفتحة ﴿**وهم رقود**﴾ أي نيام ﴿**ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال**﴾ قال ابن عباس: كانوا يقلبون في السنة مرة من جانب إلى جانب لئلا تأكل الأرض لحومهم، قيل كانوا يقلبون في يوم عاشوراء وقيل كانوا لهم في السنة تقلبتان ﴿**وكلبهم باسط ذراعيه**﴾ قال ابن عباس: كان كلباً أغر وعنه أنه كان فوق القلطي ودون الكرزي. والقلطي كلب صيني وقيل كان أصفر وقيل كان شديد الصفرة يضرب إلى حمرة، وقال ابن عباس: كان اسمه قطمير وقيل ريان وقيل صهبان قيل ليس في الجنة دواب سوى كلب أصحاب الكهف وحمار بلعام ﴿**بالوصيد**﴾ أي فناء الكهف، وقيل عتبة الباب وكان الكلب قد بسط ذراعيه وجعل وجهه عليهم، قيل كان ينقلب مع أصحابه فإذا انقلبوا ذات اليمين كسر الكلب أذنه اليمنى ورقد عليها، وإذا انقلبوا ذات الشمال كسر أذنه اليسرى ورقد عليها ﴿**لو اطلعت عليهم**﴾ يا محمد ﴿**لوليت منهم فراراً**﴾ وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة حتى لا يصل إليهم أحد حتى يبلغ الكتاب أجله فيوقظهم الله من رقدتهم ﴿**ولملئت منهم رعباً**﴾ أي خوفاً من وحشة المكان. وقيل لأن أعينهم مفتحة كالمتيقظ الذي يريد أن يتكلم وهم نيام وقيل لكثرة شعورهم، وطول أظفارهم ولتقلبهم من غير حس ولا إشعار وقيل إن الله سبحانه وتعالى منعهم بالرعب لئلا يراهم أحد. قال ابن عباس: غزونا مع معاوية نحو

قوله تعالى: ﴿ **وتحسبهم أيقاظاً** ﴾ أي: منتبهين جمع يقظ ويقظ، ﴿ **وهم رقود** ﴾، نيام جمع راقد مثل قاعد وقعود وإنما اشتبه حالهم لأنهم كانوا مفتّحة أعينهم يتنفسون ولا يتكلمون، ﴿ **ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال** ﴾، مرة للجنب الأيمن ومرة للجنب الأيسر. قال ابن عباس: كانوا يقلبون في السنة مرة من جانب إلى جنب لئلا تأكل الأرض لحومهم. وقيل: كان يوم عاشوراء يوم تقلبهم. وقال أبو هريرة: كان لهم في كل سنة تقلّبان، ﴿ **وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد** ﴾، أكثر أهل التفسير على أنه كان من جنس الكلاب. ورُوِيَ عن ابن جريج: أنه كان أسد أو سُمّي الأسد كلباً فإن النبي ﷺ دعا على عتبة بن أبي لهب فقال: «اللهمّ سلّط عليه كلباً من كلابك، فافترسه أسد، والأول معروف» قال ابن عباس: كان كلباً أغرّ. ويُروى عنه: فوق القلطي ودون الكرزي، والقلط كلب صيني. وقال مقاتل: كان أصفر. وقال القرظي: كانت شدّة صفرته تضرب إلى الحمرة. وقال الكلبي: لونه كالخليج. وقيل: لون الحجر. قال ابن عباس: اسمه قطمير. وعن علي: اسمه ريّان. وقال الأوزاعي: يثور. وقال السدي: يور. وقال كعب: صهباً. قال خالد بن معدان ليس في الجنة شيء من الدواب سوى كلب أصحاب الكهف وحمار بلعام. قوله: ﴿ **بالوصيد** ﴾ قال مجاهد والضحاك: والوصيد فناء الكهف. وقال عطاء: عتبة الباب. وقال السدي: الوصيد الباب، وهو رواية عكرمة عن ابن عباس، فإن قيل: لم يكن للكهف باب ولا عتبة؟ قيل: معناه موضع الباب والعتبة كان الكلب قد بسط ذراعيه وجعل وجهه عليهم. قال السدي: كان أصحاب الكهف إذا انقلبوا انقلب الكلب معهم وإذا انقلبوا إلى اليمين كسر الكلب أُذنه اليمنى ورقد عليها، وإذا انقلبوا إلى الشمال كسر أُذنه اليسرى ورقد عليها. ﴿ **لو اطّلعت عليهم** ﴾، يا محمد، ﴿**لولّيت منهم فراراً**﴾، لما ألبسهم الله من الهيبة حتى لا يصل إليهم أحد حتى يبلغ الكتاب أجله فيوقظهم الله تعالى من رقدتهم، ﴿ **ولملئت منهم رعباً** ﴾، خوفاً قرأ أهل الحجاز بتشديد اللام والآخرون بتخفيفها واختلفوا في أن الرعب كان لماذا قيل من وحشة المكان. وقال

الروم فمررنا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف فقال معاوية: لو كشف الله عن هؤلاء لنظرنا إليهم، فقال ابن عباس قد منع ذلك من هو خير منك فقيل له لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً. فبعث معاوية ناساً فقال اذهبوا فانظروا، فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحاً فأحرقهم. قوله سبحانه وتعالى ﴿**وكذلك بعثناهم**﴾ يعني كما أنمناهم في الكهف وحفظنا أجسامهم من البلى على طول الزمان بعثناهم من النومة التي تشبه الموت ﴿**ليتساءلوا بينهم**﴾ أي ليسأل بعضهم بعضاً ﴿ **قال قائل منهم**﴾ وهو رئيسهم وكبيرهم مكسلمينا ﴿**كم لبثتم**﴾ أي في نومكم وذلك، أنهم استنكروا طول نومهم وقيل إنهم راعهم ما فاتهم من الصلاة فقالوا ذلك ﴿**قالوا لبثنا يوماً**﴾ ثم نظروا فوجدوا الشمس قد بقي منها بقية فقالوا ﴿**أو بعض يوم**﴾ فلما نظروا إلى طول شعورهم وأظفارهم علموا أنهم لبثوا أكثر من يوم ﴿**قالوا ربكم أعلم بما لبثتم**﴾ وقيل إن مكسلمينا لما سمع الاختلاف بينهم قال دعوا الاختلاف ربكم أعلم بما لبثتم ﴿**فابعثوا أحدكم**﴾ يعني تمليخا ﴿**بورقكم**﴾ هي الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة ﴿**هذه إلى المدينة**﴾ قيل هي ترسوس وكان اسمها في الزمن الأول قبل الإسلام أفسوس ﴿**فلينظر أيها أزكى طعاماً**﴾ أي أحل طعاماً وقيل أمروه أن يطلب ذبيحة مؤمن، ولا تكون من ذبح من يذبح لغير الله وكان فيهم مؤمنون يخفون إيمانهم، وقيل أطيب طعاماً وأجود وقيل أكثر طعاماً وأرخصه ﴿**فليأتكم برزق منه**﴾ أي قوت وطعام تأكلونه ﴿**وليتلطف**﴾ أي وليترفق في الطريق وفي المدينة وليكن في

الكلبي: لأن أعينهم كانت مفتحة كالمستيقظ الذي يريد أن يتكلم وهم نيام وقيل: لكثرة شعورهم وطول أظفارهم ولتقلبهم من غير حسٍّ ولا شعور. وقيل: إن الله تعالى منعهم بالرعب لئلا يراهم أحد، ورُوِيَ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: غزونا مع معاوية نحو الروم فمررنا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف، فقال معاوية: لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم، فقال ابن عباس رضي الله عنهم: لقد منع ذلك مَن هو خير منك، فقال: لو اطّلعت عليهم لولّيت منهم فراراً فبعث معاوية ناساً فقال: اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحاً فأحرقتهم.

قوله تعالى: ﴿ **وكذلك بعثناهم** ﴾، أي: كما أنمناهم في الكهف وحفظنا أجسادهم من البلى على طول الزمان فكذلك بعثناهم من النومة التي تشبه الموت، ﴿ **ليتساءلوا بينهم** ﴾، ليسأل بعضهم بعضاً واللام فيه لام العاقبة لأنهم لم يُبعثوا للسؤال، ﴿ **قال قائل منهم** ﴾، وهو رئيسهم مكسلمينا، ﴿ **كم لبثتم** ﴾، في نومكم وذلك أنهم استنكروا طول نومهم. ويقال: إنهم راعهم ما فاتهم من الصلاة فقالوا ذلك، ﴿ **قالوا لبثنا يوماً** ﴾، وذلك أنهم دخلوا الكهف غدوة فقالوا فانتبهوا حين انتبهوا عشية فقالوا لبثنا يوماً ثم نظروا وقد بقيت من الشمس بقية، فقالوا: ﴿ **أو بعض يوم** ﴾، فلما نظروا إلى شعورهم وأظفارهم علِموا أنهم لبثوا أكثر من يوم، ﴿ **قالوا ربّكم أعلم بما لبثتم** ﴾، وقيل: إن رئيسهم مكسلمينا لمّا سمع الاختلاف بينهم قال: دعوا الاختلاف ربكم أعلم بما لبثتم، ﴿ **فابعثوا أحدكم بورقكم هذه** ﴾، يعني تمليخا، قرأ أبو عمرو وحمزة وأبو بكر بورقكم ساكنة الراء والباقون بكسرهما ومعناهما واحد وهي الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة. ﴿ **إلى المدينة** ﴾، قيل: هي طرسوس وكان اسمها في الجاهلية أفسوس فسمّوها في الإسلام طرسوس، ﴿ **فلينظر أيها أزكى طعاماً** ﴾ أي: أحلّ طعاماً حتى لا يكون من غضب أو سبب حرام، وقيل: أمروه أن يطلب ذبيحة مؤمن ولا يكون من ذبيحة مَن يذبح لغير الله وكان فيهم مؤمنون يخفون إيمانهم. وقال الضحاك: أطيب طعاماً. وقال مقاتل بن حيان: أجود طعاماً. وقال عكرمة: أكثر، وأصل الزكاة الزيادة. وقيل: أرخص طعاماً ﴿ **فليأتكم برزق منه** ﴾، أي: قوت وطعام تأكلونه، ﴿ **وليتلطف** ﴾، وليترفق في الطريق وفي المدينة وليكن في ستر وكتمان، ﴿ **ولا يشعرنّ** ﴾، ولا يعلمنّ، ﴿ **بكم أحداً** ﴾، من الناس.

ستر وكتمان ﴿ولا يشعرن﴾ أي ولا يعلمن ﴿بكم أحداً﴾ أي من الناس ﴿إنهم إن يظهروا عليكم﴾ أي يعلموا بمكانكم ﴿يرجموكم﴾ قيل معناه يشتموكم ويؤذوكم بالقول وقيل يقتلوكم، وكان من عادتهم القتل بالحجارة وهو أخبث القتل وقيل يعذبوكم ﴿أو يعيدوكم في ملتهم﴾ أي الكفر ﴿ولن تفلحوا إذاً أبداً﴾ أي إن عدتم إليه. قوله عز وجل:

وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾

﴿وكذلك أعثرنا عليهم﴾ أي أطلعنا الناس عليهم ﴿ليعلموا أن وعد الله حق﴾ يعني قوم بيدروس الذين أنكروا البعث ﴿وأن الساعة لا ريب فيها﴾ أي لا شك فيها أنها آتية ﴿إذ يتنازعون بينهم أمرهم﴾. قال ابن عباس: في البنيان فقال المسلمون نبني عليهم مسجداً يصلي فيه الناس لأنهم على ديننا وقال المشركون نبني بنياناً لأنهم على ملتنا وقيل كان تنازعهم في البعث فقال المسلمون تبعث الأجساد والأرواح وقال قوم تبعث الأرواح فأراهم الله آية وأن البعث للأرواح والأجساد وقيل تنازعوا في مدة لبثهم وقيل في عددهم ﴿فقالوا ابنوا عليهم بنياناً ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم﴾ يعني بيدروس وأصحابه ﴿لنتخذن عليهم مسجداً﴾ قوله تعالى ﴿سيقولون ثلاثة رابعهم﴾ روي أن السيد والعاقب وأصحابهما من نصارى نجران كانوا عند النبي ﷺ فجرى ذكر أصحاب الكهف عندهم فقال السيد وكان يعقوبياً كانوا ثلاثة رابعهم ﴿كلبهم ويقولون﴾ أي وقال العاقب وكان نسطورياً ﴿خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ويقولون﴾ وقال المسلمون ﴿سبعة وثامنهم كلبهم﴾ فحقق الله قول المسلمين وإنما عرفوا ذلك بأخبار رسول الله ﷺ على لسان جبريل ﷺ بعدما حكى قول النصارى أولاً، ثم أتبعه بقوله سبحانه وتعالى رجماً بالغيب أي ظناً وحدساً من

﴿ إنهم إن يظهروا عليكم ﴾، أي: يعلموا بمكانكم، ﴿ يرجموكم ﴾ قال ابن جريج: يشتموكم ويؤذوكم بالقول. وقيل: يقتلوكم، وقيل: كان من عادتهم القتل بالحجارة وهو أخبث القتل. وقيل: يضربوكم، ﴿ أو يعيدوكم في ملّتهم ﴾ أي: إلى الكفر، ﴿ ولن تفلحوا إذاً أبداً ﴾، إن عدتم إليه.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ وكذلك أعثرنا ﴾ أي: أطلعنا، ﴿ عليهم ﴾، يقال: عثرت على الشيء إذا اطّلعت عليه وأعثرت غيري أي أطلعته، ﴿ ليعلموا أنّ وعد الله حق ﴾، يعني أصحاب بيدروس الذين أنكروا البعث، ﴿ وأنّ الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم ﴾، قال ابن عباس: يتنازعون في البنيان، فقال المسلمون: نبني عليهم مسجداً يصلّي فيه الناس لأنهم على ديننا، وقال المشركون: نبني عليهم بنياناً لأنهم من أهل ديننا. وقال عكرمة: تنازعوا في البعث، فقال المسلمون: البعث للأجساد والأرواح، وقال قوم للأرواح دون الأجساد، فبعثهم الله تعالى وأراهم أن البعث للأجساد والأرواح. وقيل: تنازعوا في مدة لبثهم. وقيل: في عددهم. ﴿ فقالوا ابنوا عليهم بنياناً ربهم أعلم بهم، قال الذين غلبوا على أمرهم ﴾، بيدروس الملك وأصحابه، ﴿ لنتخذنّ عليهم مسجداً ﴾.

غير يقين ولم يقل ذلك في السبعة وتخصيص الشيء بالوصف يدل على أن الحال في الباقي بخلافه، فوجب أن يكون المخصوص بالظن هو قول النصارى وأن يكون قول المسلمين مخالفاً لقول النصارى في كونه رجماً بالغيب وظناً، ثم أتبعه بقوله سبحانه وتعالى ﴿**قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل**﴾ هذا هو الحق لأن العلم بتفاصيل العوالم والكائنات فيه في الماضي والمستقبل لا يكون إلا لله تعالى أو من أخبره الله سبحانه وتعالى بذلك. قال ابن عباس رضي الله عنهما: أنا من أولئك القليل كانوا سبعة وهم مكسلمينا[1] وتمليخا ومرطونس وبينونس وسارينوس ودنوانس وكشفيططنونس وهو الراعي واسم كلبهم قطمير ﴿**فلا تمار فيهم**﴾.

أي لا تجادل ولا تقل في عددهم وشأنهم ﴿**إلا مراء ظاهراً**﴾ أي إلا بظاهر ما قصصنا عليك فقف عنده ولا تزد عليه ﴿**ولا تستفت فيهم**﴾ أي في أصحاب الكهف ﴿**منهم**﴾ أي من أهل الكتاب ﴿**أحداً**﴾ أي لا ترجع إلى قول أحد منهم بعد أن أخبرناك قصتهم. قوله سبحانه وتعالى ﴿**ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله**﴾ يعني إذا عزمت على فعل شيء غداً فقل إن شاء الله ولا تقله بغير استثناء، وذلك أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين فقال أخبركم غداً ولم يقل إن شاء الله فلبث الوحي أياماً ثم نزلت هذه الآية وقد تقدمت القصة في سورة بني إسرائيل ﴿**واذكر ربك إذا نسيت**﴾ قال ابن عباس: معناه إذا نسيت الاستثناء ثم ذكرت

﴿ **سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم** ﴾، رُوِيَ أن السيد والعاقب وأصحابهما من نصارى أهل نجران كانوا عند النبي ﷺ فجرى ذكر أصحاب الكهف، فقال السيد وكان يعقوبياً: كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم، وقال العاقب وكان نسطورياً: كانوا خمسة سادسهم كلبهم، وقال المسلمون: كانوا سبعة ثامنهم كلبهم، فحقّق الله قول المسلمين بعدما حكى قول النصارى، فقال: ﴿ **سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب** ﴾، أي: ظنّاً وحدساً من غير يقين، ولم يقل هذا في حق السبعة، فقال: ﴿ **ويقولون** ﴾ يعني: المسلمين، ﴿ **سبعة وثامنهم كلبهم** ﴾، اختلفوا في الواو في قوله: ﴿ **وثامنهم** ﴾ وقيل: تركها وذكرها سواء. وقيل: هي واو الحكم والتحقيق كأنه حكى اختلافهم، وتمّ الكلام عند قوله ويقولون سبعة ثم حقّق هذا القول بقوله: ﴿ **وثامنهم كلبهم** ﴾ والثامن لا يكون إلّا بعد السابع. وقيل: هذه واو الثمانية، وذلك أن العرب تعدّ فتقول واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة وثمانية، لأن العقد كان عندهم سبعة كما هو اليوم عندنا عشرة، نظيره قوله تعالى: ﴿ **التائبون العابدون الحامدون** ﴾ [التوبة: ١١٢] إلى قوله: ﴿ **والناهون عن المنكر** ﴾ [التوبة: ١١٢]، وقال في أزواج النبي ﷺ: ﴿ **عسى ربه إن طلقكنّ أن يبدله أزواجاً خيراً منكنّ مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيّبات وأبكاراً** ﴾ [التحريم: ٥]. ﴿ **قلْ ربّي أعلم بعدّتهم** ﴾، أي: بعددهم ﴿ **ما يعلمهم إلّا قليل** ﴾، أي: إلا قليل من الناس. قال ابن عباس: إنّا من القليل كانوا سبعة. وقال محمد بن إسحاق: كانوا ثمانية. قرأ: ﴿ **وثامنهم كلبهم** ﴾ أي: حافظهم، والصحيح هو الأول. ورُوِيَ عن ابن عباس أنه قال: هم مكسلمينا وتمليخا ومرطونس وبينونس وسارينونس وذو نوانس وكشفيططنونس، وهو الراعي والكلب قطمير. ﴿ **فلا تمارِ فيهم** ﴾، أي: لا تجادل ولا تقل في عددهم وشأنهم، ﴿ **إلّا مراءً ظاهراً** ﴾، إلا بظاهر ما قصصنا عليك، يقول يحسبك ما قصصت عليك فلا تزد عليه وقف عنده، ﴿ **ولا تستفتِ فيهم منهم** ﴾، من أهل الكتاب، ﴿ **أحداً** ﴾ أي: لا ترجع إلى قولهم بعد أن أخبرناك.

﴿ **ولا تقولنّ لشيء إني فاعل ذلك غداً** ﴾.

---

(١) قوله مكسلمينا وقع اختلاف كبير في أسمائهم وذكر في القاموس في ذلك ثلاثة أقوال فليراجع.

فاستثن وجوز ابن عباس الاستثناء المنقطع، وإن كان بعد سنة وجوزه الحسن ما دام في المجلس وجوزه بعضهم إذا قرب الزمان، فإن بعد لم يصح ولم يجوزه جماعة حتى يكون الكلام متصلاً بالاستثناء وقيل في معنى الآية واذكر ربك إذا غضبت قال وهب مكتوب في التوراة والإنجيل ابن آدم «اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب»، وقيل الآية في الصلاة يدل عليه ما روي عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ «من نسي صلاة فليصلها إذ ذكرها» قال تعالى ﴿**أقم الصلاة لذكري**﴾ متفق عليه زاد مسلم أو نام عنها فكفارتها أن يصليها إذا ذكرها ﴿**وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشداً**﴾ أي يثبتني على طريق هو أقرب إليه وأرشد، وقيل إن الله سبحانه وتعالى أمره أن يذكره إذا نسي شيئاً ويسأله أن يذكره أو يهديه لما هو خير له من أن يذكر ما نسي وقيل إن القوم لما سألوه عن قصة أصحاب الكهف على وجه العناد أمره الله سبحانه وتعالى أن يخبرهم أن الله سبحانه وتعالى سيؤتيه من الحجج على صحة نبوته ما هو أدل لهم من قصة أصحاب الكهف وقد فعل حيث آتاه من علم غيب المرسلين وقصصهم مما هو أوضح وأقرب إلى الرشد من خبر أصحاب الكهف. وقيل هذا شيء أمره الله أن يقوله مع قوله إن شاء الله إذا ذكر الاستثناء بعد النسيان وإذا نسي الإنسان

﴿ **إلا أن يشاء الله** ﴾، يعني: إذا عزمت على أن تفعل غداً شيئاً فلا تقل أفعل غداً حتى تقول إن شاء الله، وذلك أن أهل مكة سألوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين، فقال: أخبركم غداً ولم يقل إن شاء الله، فلبث الوحي أياماً ثم نزلت هذه الآيـة ﴿ **واذكر ربك إذا نسيت** ﴾، قال ابن عباس ومجاهد والحسن: معناه إذا نسيت الاستثناء ثم ذكرت فاستثنِ، وجوّز ابن عباس الاستثناء المنقـطع وإن كان إلى سنَـة وجوّزه الحسن مـا دام في المجلس، وجوّزه بعضهم إذا قرب الزمان، فإن بعد (فلا) يصح، ولم يجوّزه جماعة حتى يكون الكلام متصلاً بالكلام. وقال عكرمة: معنى الآية واذكر ربك إذا غضبت. وقال وهب: مكتوب في الإنجيل ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب. وقال الضحاك والسدي: هذا في الصلاة، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنـا الحسن بن أحمد المخلـدي ثنا عبد االواحد أبو العباس السراج ثنا قتيبة ثنا أبو عوانة عن قتادة عن أنس قال: قال النبي ﷺ: «مَن نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها». ﴿ **وقلْ عسى أن يهدينِ ربي لأقرب من هذا رشداً** ﴾، أي: يثبتني على طريق هو أقرب إليه وأرشد. وقيل: أمر الله نبيّه أنْ يذكره إذا نسي شيئاً ويسأله أن يهديه لما هو خير له من ذكر ما نسيه. ويقال: هو أن القوم لمّـا سألوه عن قصة أصحاب الكهف على وجه العناد أمره الله عزّ وجلّ أن يخبرهم أن الله سيؤتيه من الحجج على صحة نبوّته ما هو أدلّ لهم من قصة أصحاب الكهف وقد فعل حيث أتاه من علم الغيب حال المرسلين ما كان أوضح لهم في الحجة وأقرب إلى الرشد من خبر أصحاب الكهف، وقال بعضهم: هذا شيء أمر أن يقوله مع قوله إن شاء الله إذا ذكر الاستثناء بعد النسيان وإذا نسي الإنسانِ إن شاء الله فتوبته من ذلك أن يقول عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشداً.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **ولبثوا في كهفهم** ﴾، يعني أصحاب الكهف. قال بعضهم: هذا خبر عن أهل الكتاب أنهم قالوا ذلك، ولو كان خبراً من الله عزّ وجلّ عن قدر لبثهم لم يكن لقوله: ﴿ **قل الله أعلم بما لبثوا** ﴾ وجه، وهذا قول قتادة: ويدلّ عليه قراءة ابن مسعود: (وقالوا لبثوا في كهفهم) ثم ردّ الله تعالى عليهم فقال: ﴿ **قل الله أعلم بما لبثوا** ﴾ وقال الآخرون: هذا إخبار من الله تعالى عن قدر لبثهم في الكهف وهو الأصح، وأما قوله: ﴿ **قل الله أعلم بما لبثوا** ﴾ فمعناه أن الأمر من مدة لبثهم كما ذكرنا فإن نازعوك فيها فأجبهم، وقل الله أعلم بما لبثوا، أي: هو أعلم منكم، وقد أخبرنا بمدة لبثهم. وقيل: إن أهل الكتاب قالوا: إن هذه المدة من لدن دخلوا الكهف إلى يومنا هذا ثلثمائة وتسع سنين فردّ الله عليهم وقال: ﴿ **قل الله أعلم بما لبثوا** ﴾ يعني بعد قبض أرواحهم إلى يومنا هذا لا يعلمه إلاّ الله. قوله تعالى: ﴿ **ثلاث مائة سنين** ﴾ قرأ حمزة والكسائي: (ثلثمائة) بلا تنوين، وقرأ الآخرون بالتنوين، فإن

قوله إن شاء الله فتوبته من ذلك أن يقول مع قوله إن شاء الله عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشداً. قوله عز وجل ﴿ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً﴾ قيل هذا خبر عن قول أهل الكتاب ولو كان خبراً من الله عن قدر لبثهم لم يكن لقوله قل الله أعلم بما لبثوا وجه ولكن الله رد قولهم بقوله:

﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾

﴿قل الله أعلم بما لبثوا﴾ والأصح أنه إخبار من الله تعالى عن قدر لبثهم في الكهف ويكون معنى قوله قل الله أعلم بما لبثوا، يعني إن نازعوك في مدة لبثهم في الكهف فقل أنت الله أعلم بما لبثوا أي هو أعلم منكم وقد أخبر بمدة لبثهم وقيل إن أهل الكتاب قالوا إن المدة من حين دخلوا الكهف إلى يومنا هذا وهو اجتماعهم بالنبي ﷺ ثلاثمائة وتسع سنين فرد الله عليهم بذلك وقال قل الله أعلم بما لبثوا يعني بعد قبض أرواحهم إلى يومنا هذا لا يعلمه إلا الله. فإن قلت لم قال سنين ولم يقل سنة، قلت قيل لما نزل قوله سبحانه وتعالى ﴿ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة﴾ فقالوا أياماً أو شهوراً أو سنين فنزلت سنين على وفق قولهم وقيل هو تفسير لما أجمل في قوله فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً وازدادوا تسعاً وقيل قالت نصارى نجران أما ثلاثمائة فقد عرفنا وأما التسع فلا علم لنا بها. فنزلت قل الله أعلم بما لبثوا. وقيل إن عند أهل الكتاب لبثوا ثلاثمائة سنة شمسية والله سبحانه وتعالى ذكر ثلاثمائة سنة وتسع سنين قمرية

قيل: لِمَ قال ثلثمائة سنين ولم يقل سنة؟ قيل: نزل قوله: ﴿ ولبثوا في كهفهم ثلثمائة ﴾، فقالوا: أياماً أو شهوراً أو سنين؟ فنزلت ﴿ سنين ﴾، قال الفرّاء: ومن العرب مَن يضع سنين في موضع سنة. وقيل: معناه ولبثوا في كهفهم سنين ثلثمائة. ﴿ وازدادوا تِسْعاً ﴾، قال الكلبي قالت نصارى نجران أما ثلثمائة فقد عرفنا وأما التسع فلا علم لنا بها فنزلت.

﴿ قلِ الله أعلم بما لبثوا ﴾ رُوِيَ عن علي أنه قال عند أهل الكتاب أنهم لبثوا ثلثمائة شمسية والله تعالى ذكر ثلثمائة قمرية والتفاوت بين الشمسية والقمرية في كل مائة سنة ثلاث سنين، فيكون في ثلثمائة تسع سنين، فلذلك قال: ﴿ وازدادوا تسعاً ﴾. ﴿ له غيب السموات والأرض ﴾، فالغيب ما يغيب عن إدراكك والله عزّ وجلّ لا يغيب عن إدراكه شيء. ﴿ أبصرْ به وأسمعْ ﴾ أي: ما أبصر الله بكل موجود وأسمعه لكل مسموع، أي لا يغيب عن سمعه وبصره شيء، ﴿ ما لهم ﴾ أي: ما لأهل السموات والأرض، ﴿ من دونه ﴾ أي من دون الله، ﴿ من ولي ﴾ ناصر، ﴿ ولا يشرك في حكمه أحداً ﴾، قرأ ابن عامر ويعقوب: «ولا تشـرك» بالتاء على المخاطبة والنهي، وقرأ الآخرون بالياء أي لا يشرك الله في حكمه أحداً. وقيل: الحكم هنا علم الغيب أي لا يشرك في علم غيبه أحداً.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ واتلُ ﴾ أي: واقرأ يا محمد، ﴿ ما أُوحي إليك من كتاب ربك ﴾، يعني القرآن، واتّبع ما فيه، ﴿ لا مبدّل لكلماته ﴾، قال الكلبي: لا مغيّر للقرآن. وقيل: لا مغيّر لما أوعد بكلماته أهل معاصيه، ﴿ ولن

والتفاوت بين القمرية والشمسية في كل مائة سنة ثلاث سنين فتكون الثلاثمائة الشمسية ثلاث مائة وتسع سنين قمرية ﴿**له غيب السموات والأرض**﴾ يعني أنه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء من أحوال أهلها فإنه العالم وحده به فكيف يخفى عليه حال أصحاب الكهف ﴿**أبصر به وأسمع**﴾ معناه ما أبصر الله بكل موجود وأسمعه بكل مسموع لا يغيب عن سمعه وبصره شيء يدرك البواطن كما يدرك الظواهر والقريب والبعيد والمحجوب وغيره لا تخفى عليه خافية ﴿**ما لهم**﴾ أي ما لأهل السموات والأرض ﴿**من دونه**﴾ أي من دون الله ﴿**من ولي**﴾ أي ناصر ﴿**ولا يشرك في حكمه أحداً**﴾ قيل معناه لا يشرك الله في علم غيبه أحداً وقيل في قضائه. قوله تعالى ﴿**واتل**﴾ أي واقرأ يا محمد ﴿**ما أوحي إليك من كتاب ربك**﴾ يعني القرآن واتبع ما فيه واعمل به ﴿**لا مبدل لكلماته**﴾ أي لا مغير للقرآن ولا يقدر أحد على التطرق إليه بتغيير أو تبديل. فإن قلت موجب هذا أن لا يتطرق النسخ إليه. قلت النسخ في الحقيقة ليس بتبديل لأن المنسوخ ثابت في وقته إلى وقت طريان الناسخ فالناسخ كالمغاير فكيف يكون تبديلاً. وقيل معناه لا مغير لما أوعد الله بكلماته أهل معاصيه ﴿**ولن تجد من دونه**﴾ أي من دون الله إن لم تتبع القرآن ﴿**ملتحداً**﴾ أي ملجأ وحرزاً تعدل إليه. قوله عز وجل ﴿**واصبر نفسك**﴾ الآية نزلت في عيينة بن حصن الفزاري أتى النبي ﷺ قبل أن يسلم وعنده جماعة من الفقراء ومنهم سلمان وعليه صوف قد عرق فيها وبيده خوص يشقه وينسجه فقال عيينة للنبيّ ﷺ: أما يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات مضر وأشرافها إن أسلمنا أسلم الناس وما يمنعنا من اتباعك إلا هؤلاء فنحهم حتى نتبعك أو اجعل لنا مجلساً فأنزل الله عز وجل واصبر نفسك أي احبس يا محمد نفسك ﴿**مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي**﴾ يعني طرفي النهار ﴿**يريدون وجهه**﴾ أي يريدون وجه الله لا يريدون عرض الدنيا، وقيل نزلت في أصحاب الصفة وكانوا سبعمائة رجل فقراء في مسجد رسول الله ﷺ لا يرجعون إلى تجارة ولا زرع ولا ضرع يصلون صلاة وينتظرون أخرى فلما نزلت هذه الآية قال النبيّ ﷺ «الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم» ﴿**ولا تعد**﴾ أي لا

تجد﴾، أنت، ﴿ **من دونه** ﴾، إن لم تتبع القرآن، ﴿ **ملتحداً** ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: حرزاً. وقال الحسن: مدخلاً. وقال مجاهد: ملجأ. وقيل: مَعْدِلاً. وقيل: مهرباً. وأصله من الميل.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **واصبرْ نفسك** ﴾ الآية، نزلت في عيينة بن حصن الفزاري أتى النبي ﷺ قبل أن يسلم وعنده جماعة من الفقراء فيهم سلمان وعليه شملة قد عرق فيها وبيده خوصة يشقّها ثم ينسجها، فقال عيينة للنبي ﷺ: أمَا يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات مُضَر وأشرافها، فإن أسلمنا أسلم الناس وما يمنعنا من اتّباعك إلّا هؤلاء فنحِّهم حتى نتبعك أو اجعل لنا مجلساً ولهم مجلساً، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ **واصبر نفسك** ﴾، أي: احبس يا محمد نفسك، ﴿ **مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي** ﴾، طرفي النهار، ﴿ **يريدون وجهه** ﴾، أي: يريدون الله لا يريدون به عرضاً من الدنيا. قال قتادة: نزلت في أصحاب الصفة وكانوا سبعمائة رجل فقراء في مسجد رسول الله ﷺ، لا يرجعون إلى تجارة ولا إلى زرع ولا ضرع يصلّون صلاة وينتظرون أخرى، فلما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: «الحمد لله الذي جعل في أمتي مَن أُمرت أن أصبر نفسي معهم». ﴿ **ولا تعدُ** ﴾ أي: لا تصرف ولا تتجاوز، ﴿ **عيناك عنهم** ﴾، إلى غيرهم، ﴿ **تريد زينة الحياة الدنيا** ﴾، أي طلب مجالسة الأغنياء والأشراف وصحبة أهل الدنيا، ﴿ **ولا تُطِعْ مَن أغفلنا قلبه عن ذكرنا** ﴾، أي جعلنا قلبه غافلاً عن ذكرنا يعني عيينة بن حصن. وقيل: أمية بن خلف، ﴿ **واتبع هواه** ﴾، أي مراده في طلب الشهوات، ﴿ **وكان أمره فُرطاً** ﴾، قال قتادة ومجاهد: ضياعاً. وقيل: معناه ضيّع أمره وعطّل أيامه. وقيل: ندماء. وقال مقاتل بن حيان: سرفاً. وقال الفرّاء: متروكاً. وقيل باطلاً. وقيل: مخالفاً للحق. وقال الأخفش: مجاوز للحد. قيل: معنى التجاوز في الحد، هو قول عيينة إن أسلمنا أسلم الناس وهذا إفراط عظيم.

تصرف ولا تجاوز ﴿عيناك عنهم﴾ إلى غيرهم ﴿تريد زينة الحياة الدنيا﴾ أي تطلب مجالسة الأغنياء والأشراف وصحبة أهل الدنيا ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ أي جعلنا قلبه غافلاً عن ذكرنا يعني عيينة بن حصن وقيل أمية بن خلف ﴿واتبع هواه﴾ أي في طلب الشهوات ﴿وكان أمره فرطاً﴾ ضياعاً ضيع أمره وعطل أيامه، وقيل ندماً وقيل سرفاً وباطلاً وقيل مخالفاً للحق ﴿وقل الحق من ربكم﴾ أي قل يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا من ربكم الحق وإليه التوفيق والخذلان وبيده الهدى والضلال ليس إلي من ذلك شيء ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ هذا على طريق التهديد والوعيد كقوله «اعملوا ما شئتم» وقيل معنى الآية وقل الحق من ربكم أي لست بطارد المؤمنين لهواكم فإن شئتم فآمنوا وإن شئتم فاكفروا، فإن كفرتم فقد أعد لكم ربكم ناراً وإن آمنتم فلكم ما وصف الله لأهل طاعته، وعن ابن عباس في معنى الآية: من شاء الله له الإيمان آمن ومن شاء له الكفر كفر ﴿إنا أعتدنا﴾ أي هيأنا من العتاد وهو العدة ﴿للظالمين﴾ أي الكافرين ﴿ناراً أحاط بهم سرادقها﴾ السرادق الحجزة التي تطيف بالفساطيط عن أبي سعيد الخدري عن النبيّ ﷺ «قال سرادق النار أربعة جدر كثف كل جدار أربعون سنة» أخرجه الترمذي قال ابن عباس: هو حائط نار وقيل هو عنق يخرج من النار فيحيط بالكفار كالحظيرة وقيل هو دخان يحيط بالكفار ﴿وإن يستغيثوا﴾ أي من شدة العطش ﴿يغاثوا بماء كالمهل﴾ قال ابن عباس: هو ماء غليظ مثل دردي الزيت، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال في قوله سبحانه وتعالى بماء كالمهل قال: «كعكر الزيت فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه منه» أخرجه الترمذي. وقال رشدين أحد رواة الحديث قد تكلم بفيه من قبل حفظة الفروة جلدة الوجه وقيل المهل الدم والقيح وقيل هو الرصاص والصفر المذاب ﴿يشوي الوجوه﴾ أي ينضج الوجوه من حره ﴿بئس

﴿ وقلِ الحق من ربكم ﴾، أي ما ذكر من الإيمان والقرآن، معناه: قل يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا أيها الناس الحق من ربكم وإليه التوفيق والخذلان وبيده الهدى والضلال، ليس إليّ من ذلك شيء. ﴿ فمَن شاء فليؤمن ومَن شاء فليكفر ﴾، هذا على طريق التهديد والوعيد كقوله: ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ [فصّلت: ٤٠]، وقيل معنى الآية. وقل الحق من ربكم ولست بطارد المؤمنين لِهوَاكم، فإن شئتم فآمنوا وإن شئتم فاكفروا فإن كفرتم فقد أعدّ لكم ربكم ناراً أحاط بكم سرادقها، وإن آمنتم فلكم ما وصف الله عزّ وجلّ لأهل طاعته. ورُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنهما في معنى الآية: مَن شاء الله له الإيمان آمن ومَن شاء له الكفر، كفر وهو قوله: ﴿ وما تشاؤون إلّا أن يشاء الله ﴾ [الإنسان: ٣٠ والتكوير: ٢٩]. ﴿ إنّا أعتدنا ﴾، أعددنا وهيّأنا من العتاد وهو العدّة، ﴿ للظالمين ﴾ للكافرين، ﴿ ناراً أحاط بهم سُرادقها ﴾، السرادق الحجزة التي تطيف بالفساطيط، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنبأنا محمد بن أحمد بن الحارث أنبأنا محمد بن يعقوب الكسائي أنبأنا عبد الله بن محمود أنبأنا إبراهيم بن عبد الله الخلال أنبأنا عبد الله بن المبارك عن رشـدين بن سعد حدّثني عمرو بن الحارث عن دراج بن أبي السمح عن أبي الهيثم بن عبد الله عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «سرادق النار أربعة جدر كثف كل جدار مثل مسيرة أربعين سنة»، قال ابن عباس: هو حائط من نار. وقال الكلبي: هو عنق يخرج من النار فيحيط بالكفّار كالحظيرة. وقيل: هو دخان يحيط بالكفّار وهو الذي ذكره الله تعالى: ﴿ انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب ﴾ [المرسلات: ٣٠]. ﴿ وإن يستغيثوا ﴾، من شدّة العطش، ﴿ يغاثوا بماء كالمهل ﴾، أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنبأنا محمد بن أحمد بن الحارث أنبأنا محمد بن يعقوب الكسائي أنبأنا عبد الله بن محمد أنبأنا إبراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن رشـدين بن سعد ثنا عمرو بن الحارث عن دراج بن أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «﴿ بماء كالمهل ﴾ قال كعكر الزيت، فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه فيه». وقال ابن عباس: هو ماء غليظ مثل دردي

﴿الشراب﴾ أي ذلك الذي يغاثون به ﴿وساءت﴾ أي النار ﴿مرتفقاً﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: منزلاً وقيل مجتمعاً وأصل المرتفق المتكأ وإنما جاء كذلك لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقاً وإلا فلا ارتفاق لأهل النار ولا متكأ.
قوله عز وجل:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۚ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ۞ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾﴾

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾ أي لا نترك أعمالهم الصالحة وقيل إن قوله إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً كلام معترض وتقديره إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴿أولئك لهم جنات عدن﴾ أي دار إقامة سميت عدناً لخلود المؤمنين فيها ﴿تجري من تحتهم الأنهار﴾ وذلك لأن أفضل المساكن ما كان يجري فيه الماء ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب﴾ قيل يحلى كل إنسان منهم ثلاثة أساور سوار من ذهب لهذه الآية وسوار من فضة لقوله تعالى «وحلوا أساور من فضة» وسوار من لؤلؤ لقوله «ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير» ﴿ويلبسون ثياباً خضراً من سندس﴾ هو الديباج الرقيق ﴿وإستبرق﴾ هو الديباج الصفيق الغليظ وقيل السندس المنسوج بالذهب ﴿متكئين﴾ خص الاتكاء لأنه هيئة المتنعمين والملوك ﴿فيها﴾ أي في الجنة ﴿على الأرائك﴾ جمع أريكة وهي السرر

الزيت. وقال مجاهد: هو القيح والدم. وسُئِل ابن مسعود عن المهل فدعا بذهب وفضة فأوقد عليهما النار حتى ذابا، ثم قال: هذا أشبه شيء بالمهل، ﴿ يشوي الوجوه ﴾، ينضج الوجوه من حرّه، ﴿ بئس الشراب وساءت النار، ﴿ مرتفقاً ﴾، قال ابن عباس: منزلاً. وقال مجاهد: مجتمعاً. وقال عطاء مقرّاً. وقال القتيبي: مجلساً. وأصل المرتفق المتكأ.

قوله تعالى: ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنّا لا نضيع أجر مَن أحسن عملاً ﴾، فإن قيل: أين جواب قوله: ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾؟ قيل: جوابه قوله: ﴿ أولئك لهم جنات عدن تجري ﴾، وأما قوله: ﴿ إنّا لا نضيع ﴾ فكلام معترض. وقيل: فيه إضمار معناه: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات فإنّا لا نضيّع أجرهم بل نجازيهم، ثم ذكر الجزاء.

فقال: ﴿ أولئك لهم جنات عدن ﴾، أي: إقامة، يقال: عَدَنَ فلان بالمكان إذا أقام به، سُمّيت عدناً لخلود المؤمنين فيها، ﴿ تجري من تحتهم الأنهار يحلّون فيها من أساور من ذهب ﴾، قال سعيد بن جبير: يحلّى كل واحد منهم ثلاثة أساور، واحد من ذهب وواحد من فضّة وواحد من لؤلؤ ويواقيت، ﴿ ويلبسون ثياباً خضراً من سندس ﴾، وهو مارق من الديباج، ﴿ واستبرق ﴾، وهو ما غلظ منه، ومعنى الغلظ في ثياب الجنة إحكامه. وعن أبي عمران الجوني قال: السندس هو الديباج المنسوج بالذهب، ﴿ متكئين فيها ﴾، في الجنان، ﴿ على الأرائك ﴾، وهي السرر في الحجال واحدتها أريكة، ﴿ نِعْمَ الثوابُ ﴾، أي نِعْمَ الجزاء، ﴿ وحسنتْ ﴾، الجنان ﴿ مرتفقاً ﴾ أي: مجلساً ومقرّاً.

﴿ واضربْ لهم مثلاً رجلين ﴾ الآية، قيل: نزلت في أخوين من أهل مكة من بني مخزوم أحدهما مؤمن وهو أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن عبد ياليل، وكان زوج أُم سلمة قبل النبي ﷺ والآخر كافر وهو الأسود بن

في الحجال ولما وصف الله سبحانه وتعالى هذه الأشياء قال ﴿نعم الثواب﴾ أي نعم الجزاء ﴿وحسنت﴾ أي الجنات ﴿مرتفقاً﴾ أي مقراً ومجلساً، والمراد بقوله وحسنت مرتفقاً مقابلة ما تقدم ذكره من قوله سبحانه وتعالى وساءت مرتفقاً. قوله عز وجل ﴿واضرب لهم مثلاً رجلين﴾ قيل نزلت في أخوين من أهل مكة من بني مخزوم وهما أبو سلمة عبدالله بن عبد الأسد بن عبد ياليل وكان مؤمناً وأخوه الأسود بن عبد الأسود وكان كافراً وقيل هذا مثل لعيينة بن حصن وأصحابه وسلمان وأصحابه وشبههما برجلين من بني إسرائيل أخوين أحدهما مؤمن واسمه قطروس وهما اللذان وصفهما الله سبحانه وتعالى في سورة والصافات، وكانت قصتهما على ما ذكره عطاء الخراساني قال: كان رجلان شريكان لهما ثمانية آلاف دينار، وقيل كانا أخوين ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فاقتسماها فاشترى أحدهما أرضاً بألف دينار فقال صاحبه اللهم إن فلاناً قد اشترى أرضاً بألف وإني قد اشتريت منك أرضاً في الجنة بألف دينار فتصدق بها، ثم إن صاحبه بنى داراً بألف دينار فقال اللهم إن فلاناً بنى داراً بألف دينار وإني اشتريت منك داراً في الجنة بألف دينار فتصدق بها، ثم تزوج صاحبه امرأة فأنفق عليها ألف دينار فقال هذا اللهم إني أخطب إليك امرأة من نساء الجنة بألف دينار فتصدق بها، ثم اشترى خدماً ومتاعاً بألف دينار فقال هذا اللهم إني أشتري منك خدماً ومتاعاً بألف دينار في الجنة فتصدق بها، ثم أصابته حاجة شديدة فقال لو أتيت صاحبي لعل ينالني منه معروف فجلس على طريقه حتى مر به في خدمه وحشمه فقام إليه فنظر إليه صاحبه فعرفه فقال فلان، قال نعم قال ما شأنك قال أصابتني حاجة بعدك فأتيتك لتعينني بخير قال فما فعلت بمالك وقد قاسمتك مالاً وأخذت شطره، فنص عليه قصته فقال وإنك لمن المصدقين بهذا اذهب فلا أعطيك شيئاً فطرده، فقضي لهما فتوفيا فنزل فيهما قوله ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم إني كان لي قرين﴾ وروي أنه لما أتاه أخذ بيده وجعل يطوف به ويريه أمواله فنزل فيهما «واضرب لهم مثلاً رجلين» ﴿جعلنا لأحدهما جنتين﴾ أي وجعلنا بساتين ﴿من أعناب وحففناهما﴾ أي أطفناهما من

عبد الأسد بن عبد ياليل. وقيل: هذا مثل لعيينة بن حصن وأصحابه مع سلمان، وأصحابه شبههما برجلين من بني إسرائيل أخوين أحدهما مؤمن واسمه يهوذا في قول ابن عباس، وقال مقاتل: تمليخا والآخر كافر واسمه قطروس، وقال وهب: قطفير، وهما اللذان وصفهما الله تعالى في سورة الصَّافّات [٥٠ و٥١]، وكانت قصتهما على ما حكى عبد الله ابن المبارك عن معمر عن عطاء الخراساني قال: كان رجلان شريكين لهما ثمانية آلاف دينار، وقيل: كانا أخوين ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فاقتسماها، فعمل أحدهما فاشترى أرضاً بألف دينار، فقال صاحبه: اللّهمَّ إن فلاناً قد اشترى أرضاً بألف دينار، فإني أشتري منك أرضاً في الجنة بألف دينار، فتصدّق بألف دينار، ثم إن صاحبه بنى داراً بألف دينار، فقال هذا: اللّهمَّ إن فلاناً بنى داراً بألف دينار، فإني أشتري منك داراً في الجنة بألف دينار، فتصدّق بذلك ثم تزوج صاحبه امرأة فأنفق عليها ألف دينار، فقال هذا المؤمن: اللّهمَّ إني أخطب إليك امرأة من نساء الجنة بألف دينار، فتصدق بألف دينار، ثم اشترىٰ صاحبه خدماً ومتاعاً بألف دينار، فقال هذا: اللّهمَّ إني أشتري منك متاعاً وخدماً في الجنة بألف دينار، فتصدق بألف دينار، ثم أصابته حاجة شديدة، فقال: لو أتيتُ صاحبي لعلّه ينالني منه معروف، فجلس على طريقه حتى مرّ به في حشمه، فقام إليه فنظر إليه الآخر فعرفه، فقال: فلان؟ قال: نعم، فقال: ما شأنك؟ قال: أصابتني حاجة بعدك فأتيتك لتصيبني بخير، فقال: ما فعل مالـك وقد اقتسمنا مالاً وأخذت شطره؟ فقصّ عليه قصته، فقال: وإنك لمن المصدّقين بهذا؟ اذهب فلا أعطيك شيئاً، فطرده فقضي لهما أن توفيا، فنزل فيهما: ﴿ فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم إني كان لي قرين ﴾ [الصَّافّات: ٥٠ و٥١]، ورُوِيَ أنه لمّا أتاه أخذ بيده وجعل يطوف به ويُريه أموال نفسه، فنزل فيهما: ﴿ واضرب لهم مثلاً رجلين ﴾ اذكر لهم خبر رجلين، ﴿ جعلنا لأحدهما جنتين ﴾، بستانين، ﴿ من أعناب وحفّفناهما بنخل ﴾، أي: أطفناهما من جوانبهما بنخل، والحفاف الجانب، وجمعه أحفّة، يقال: حفّ به القوم أي طافوا بجوانبه، ﴿ وجعلنا بينهما

جوانبهما ﴿بنخل وجعلنا بينهما زرعاً﴾ أي بين النخل والأعناب الزرع وقيل بينهما أي بين الجنتين، يعني لم يكن بين الجنتين خراب بغير زرع ﴿كلتا الجنتين آتت﴾ أي أعطت كل واحدة من الجنتين ﴿أكلها﴾ أي ثمرها تماماً ﴿ولم تظلم منه شيئاً﴾ أي ولم تنقص منه شيئاً ﴿وفجرنا خلالهما﴾ شققنا وسطهما ﴿نهراً﴾.

وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾

﴿وكان له﴾ أي لصاحب البستان ﴿ثمر﴾ قرىء بالفتح جمع ثمرة وقرىء بالضم وهو الأموال الكثيرة المثمرة من كل صنف من الذهب والفضة وغيرهما ﴿فقال﴾ يعني صاحب البستان ﴿لصاحبه﴾ يعني المؤمن ﴿وهو يحاوره﴾ أي يخاطبه ﴿أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً﴾ أي عشيرة ورهطاً وقيل خدماً وحشماً ﴿ودخل جنته﴾ يعني الكافر آخذاً بيد أخيه المؤمن يطوف به فيها ويريه إياها ﴿وهو ظالم لنفسه﴾ أي بكفره فتوهم أنها لا تفنى أبداً وأنكر البعث فقال ﴿وما أظن الساعة قائمة﴾ أي كائنة ﴿ولئن رددت إلى ربي﴾ فإن قلت كيف قال ولئن رددت إلى ربي وهو منكر للبعث قلت

زرعاً﴾، أي: جعلنا حول الأعناب النخيل ووسط الأعناب الزرع. وقيل: بينهما أي بين الجنتين زرعاً يعني لم يكن بين الجنتين موضع خراب.

﴿ كلتا الجنّتين آتت ﴾، أي أعطت كل واحدة من الجنتين، ﴿ أكلها ﴾، ثمرها تامّاً، ﴿ ولم تظلم ﴾، لم تنقص، ﴿ منه شيئاً وفجّرنا ﴾، قرأ العامّة بالتشديد، وقرأ يعقوب بتخفيف الجيم، ﴿ خِلالهما نَهراً ﴾ يعني شققنا وأخرجنا وسطهما نهراً.

﴿ وكان له ﴾، لصاحب البستان، ﴿ ثمر ﴾ قرأ عاصم وأبو جعفر ويعقوب ﴿ ثمر ﴾ بفتح الثاء والميم، وكذلك بثمرة، وقرأ أبو عمرو بضم الثاء ساكنة الميم، وقرأ الآخرون بضمهما، فمَن قرأ بالفتح هو جمع ثمرة وهو ما تخرجه الشجرة من الثمار المأكولة، ومَن قرأ بالضم فهي الأموال الكثيرة المثمرة من كل صنف، جمع ثمار. وقال مجاهد: ذهب وفضة. وقيل: جميع الثمرات. قال الأزهري: الثمرة تجمع على ثمر، ويجمع الثمر على ثمار، ثم تجمع الثمار على ثمر. ﴿ فقال ﴾، يعني صاحب البستان، ﴿ لصاحبه ﴾، المؤمن، ﴿ وهو يُحاوره ﴾، يخاطبه ويجاوبه، ﴿ أنا أكثر منك مالاً وأعزّ نفراً ﴾ أي: عشيرة ورهطاً. وقال قتادة: خدماً وحشماً. وقال مقاتل: ولداً، تصديقه قوله تعالى: ﴿ وإن ترنِ أنا أقلّ منك مالاً وولداً ﴾ [الكهف: ٣٩].

﴿ ودخل جنته ﴾، يعني الكافر، أخذ بيد أخيه المسلم يطوف به فيها ويريه أثمارها، ﴿ وهو ظالم لنفسه ﴾،

معناه ولئن رددت إلى ربي على ما نزعم من أن الساعة آتية ﴿لأجدن خيراً منها منقلباً﴾ أي يعطيني هناك خيراً منها لأنه لم يعطني الجنة في الدنيا إلا ليعطيني في الآخرة أفضل منها ﴿قال له صاحبه﴾ يعني المؤمن ﴿وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب﴾ أي خلق أصلك من تراب لأن خلق أصله سبب في خلقه فكان خلقاً له ﴿ثم من نطفة ثم سواك رجلاً﴾ أي عداك بشراً سوياً وكملك إنساناً ذكراً بالغ مبلغ الرجال ﴿لكنا هو الله ربي﴾ مجازه لكن أنا هو الله ربي ﴿ولا أشرك بربي أحداً ولولا﴾ أي هلا ﴿إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله﴾ والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر إلى ما رزقك الله منها ما شاء الله اعترافاً بأنها وكل خير فيها إنما حصل بمشيئة الله تعالى وفضله وأن أمرها بيده وأنه إن شاء

بكفره، ﴿ قال ما أظن أن تبيد ﴾، تهلك، ﴿ هذه أبداً ﴾، قال أهل المعاني: راقَهُ حُسنها وغرّته زهرتُها فتوهّم أنها لا تفنى أبداً وأنكر البعث.

فقال: ﴿ وما أظن الساعة قائمة ﴾، كائنة، ﴿ ولئنْ رُددتُ إلى ربي لأجدنّ خيراً منها منقلباً ﴾، قرأ أهل الحجاز والشام هكذا على التثنية، يعني من الجنتين، وكذلك هو في مصاحفهم، وقرأ الآخرون ﴿ منها ﴾ أي: من الجنة التي دخلها، ﴿ منقلباً ﴾ أي: مرجعاً، إن قيل: كيف قال: ﴿ ولئن رددت إلى ربي ﴾، وهو منكر البعث؟ قيل: معناه ولئن رددت إلى ربي على ما تزعم أنت تعطيني هنالك خيراً منها فإنه لم يعطني هذه الجنة في الدنيا إلاّ ليعطيني في الآخرة أفضل منها.

﴿ قال له صاحبه ﴾، المسلم، ﴿ وهو يُحاوره أكفرتَ بالذي خلقك من تراب ﴾، أي خلق أصلك من تراب، ﴿ ثم ﴾، خلقك، ﴿ من نطفة ثم سوّاك رجلاً ﴾ أي: عدّلك بشراً سويّاً ذكر.

﴿ لكنّا هو الله ربّي ﴾، قرأ ابن عامر ويعقوب لكنّا بالألف في الوصل، وقرأ الباقون بلا ألف واتفقوا على إثبات الألف في الوقف، وأصله لكن أنا، فحذفت الهمزة طلباً للتخفيف لكثرة استعمالها ثم أُدغمت إحدى النونين في الأخرى، قال الكسائي: فيه تقديم وتأخير مجازه لكن الله هو ربي، ﴿ ولا أُشرك بربّي أحداً ﴾.

﴿ ولولا إذْ دخلتَ جنتك ﴾، أي: هلاّ إذ دخلت جنتك، ﴿ قلت ما شاء الله ﴾ أي: الأمر ما شاء الله. وقيل: جوابه مضمر أي ما شاء الله كان، وقوله: ﴿ لا قوة إلاّ بالله ﴾، أي لا أقدر على حفظ مالي أو دفع شيء عنه إلاّ بالله. ورُوِيَ عن هشام بن عروة عن أبيه أنه كان إذا رأى من ماله شيئاً يعجبه أو دخل حائطاً من حيطانه. قال: ما شاء الله لا قوة إلاّ بالله. ثم قال: ﴿ إن ترنِ أنا أقلّ منك مالاً وولداً ﴾، أنا عماد، ولذلك نصب أقل معناه: إن ترني أقلّ منك مالاً وولداً فتكبّرت وتعظّمت عليّ.

﴿ فعسى ربّي ﴾، فلعلّ ربي، ﴿ أن يؤتين ﴾، يعطيني في الآخرة، ﴿ خيراً من جنتك ويرسل عليها ﴾، أي على جنتك، ﴿ حسباناً ﴾، قال قتادة: عذاباً. وقال ابن عباس رضي الله عنه: ناراً. وقال القتيبي: مرامىً. ﴿ من السماء ﴾، وهي مثل صاعقة أو شيء يهلكها، واحدتها حسبانة، ﴿ فتصبح صعيداً زَلَقاً ﴾، أي أرضاً جرداء ملساء إلاّ الله والله أكبر». أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد الحنفي أنبأنا أبو بكر محمد بن الحسن الحيري أخبرنا أبو جعفر عبد الله بن إسماعيل الهاشمي أنبأنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر أحبّ إليّ مما طلعت عليه الشمس». أخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنبأنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار أنبأنا حميد بن زنجويه ثنا عثمان عن أبي صالح ثنا أبو لهيعة ثنا دراج عن

تركها عامرة وإن شاء تركها خراباً ﴿لا قوة إلا بالله﴾ أي وقلت لا قوة إلا بالله إقراراً بأن ما قويت به على عمارتها وتدبير أمرها بمعونة الله وتأييده ولا أقدر على حفظ مالي ودفع شيء عنه إلا بالله. روي عن عروة بن الزبير أنه كان إذا رأى من ماله شيئاً يعجبه أو دخل حائطاً من حيطانه قال ما شاء لا قوة إلا بالله الحائط البستان ﴿إن ترن أنا أقل منك مالاً وولداً﴾ أي لأجل ذلك تكبرت علي وتعظمت ﴿فعسى ربي﴾ أي فلعل ربي ﴿أن يؤتين﴾ أي يعطيني ﴿خيراً من جنتك﴾ يعني في الآخرة ﴿ويرسل عليها﴾ أي على جنتك ﴿حسباناً﴾ قال ابن عباس: ناراً، وقيل مرامي ﴿من السماء﴾ وهي الصواعق فتهلكها ﴿فتصبح صعيداً زلقاً﴾ أي أرضاً جرداء ملساء لا نبات فيها وقيل تزلق فيها الأقدام وقيل رملاً هائلاً

أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «استكثروا من الباقيات الصالحات»، قيل: وما هنّ يا رسول الله؟ قال: «الملّة» قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: «التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم». وقال سعيد بن جبير ومسروق وإبراهيم: الباقيات الصالحات هي الصلوات الخمس. ويُروى هذا عن ابن عباس، وعنه رواية أخرى أنها الأعمال الصالحة، وهو قول قتادة. قوله تعالى: ﴿ خيرٌ عند ربك ثواباً ﴾، أي جزاء، المراد ﴿ وخيرٌ أملاً ﴾، أي ما يأمله الإنسان.

﴿ ويوم نُسيّر الجبال ﴾. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: ﴿ تسير ﴾ بالتاء وفتح الياء الجبال رفع دليله قوله تعالى: ﴿ وإذا الجبال سُيِّرت ﴾ [التكوير: ٣]، وقرأ الآخرون بالنون وكسر الياء، ﴿ الجبال ﴾ نصب، سيَّر الجبار نقلها من مكان إلى مكان، ﴿ وترى الأرض بارزةً ﴾، أي ظاهرة ليس عليها شجر ولا جبل ولا نبات، كما قال: ﴿ فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ﴾ [طه: ١٠٦ و١٠٧]، قال عطاء: هو بُروز ما في باطنها من الموتى وغيرهم، فترى باطن الأرض ظاهراً، ﴿ وحشرناهم ﴾، جميعاً إلى الموقف والحساب، ﴿ فلم نُغادرْ منهم ﴾، أي نترك منهم، ﴿ أحداً ﴾.

﴿ وعُرضوا على ربِّك صفّاً ﴾، أي صفّاً صفّاً فوجاً فوجاً، لا أنهم صفٌّ واحد. وقيل: قياماً، ثم يقال لهم يعني الكفّار. ﴿لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرّة﴾، يعني أحياءً، وقيل: فُرادى كما ذكر في سورة الأنعام [٩٤]. وقيل: غرلاً. ﴿ بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً ﴾، يوم القيامة، يقوله لمنكري البعث أخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا معلى بن أسد ثنا وهب عن ابن طاوس عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يحشر الناس على ثلاث طرائق، راغبين وراهبين، واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير، وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا». أخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن كثير ثنا سفيان بن المغيرة بن النعمان حدّثني سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «إنكم محشورون حفاةً عراةً غرلاً»، ثم قرأ ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنّا كنّا فاعلين ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، وأول مَن يُكسى يوم القيامة إبراهيم، وإن ناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول أصحابي أصحابي، فيقول: إنهم لن يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿ وكنتُ عليهم شهيداً ما دمتُ فيهم ﴾ [المائدة: ١١٧] إلى قوله: ﴿ العزيز الحكيم ﴾ [المائدة: ١١٨]. أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد السرخسي أنا أبو القاسم جعفر بن محمد بن مغلس ببغداد ثنا هارون بن إسحاق الهمذاني أنبأنا أبو خالد الأحمر عن حاتم بن أبي صغير عن ابن أبي مليكة عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت: قلت يا رسول الله كيف يحشر الناس يوم القيامة؟

﴿أو يصبح ماؤها غوراً﴾ غائراً ذاهباً لا تناله الأيدي ولا الدلاء ﴿فلن تستطيع له طلباً﴾ يعني إن طلبته لم تجده ﴿وأحيط بثمره﴾ يعني أحاط العذاب بثمر جنته وذلك أن الله تعالى أرسل عليها من السماء ناراً فأهلكها وغار ماؤها ﴿فأصبح﴾ يعني صاحبها الكافر ﴿يقلب كفيه﴾ يصفق بكف على كف ويقلب كفيه ظهراً لبطن تأسفاً وتلهفاً ﴿على ما أنفق فيها﴾ المعنى فأصبح يندم على ما أنفق في عمارتها ﴿وهي خاوية على عروشها﴾ أي ساقطة سقوفها وقيل إن كرومها المعرشة سقطت عروشها في الأرض ﴿ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحداً﴾ يعني أنه تذكر موعظة أخيه المؤمن فعلم أنه أتى من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركاً ﴿ولم تكن له فئة﴾ أي جماعة ﴿ينصرونه من دون الله﴾ أي يمنعونه من عذاب الله ﴿وما كان منتصراً﴾ أي ممتنعاً لا يقدر على الانتصار لنفسه وقيل معناه لا يقدر على رد ما ذهب منه. قوله سبحانه وتعالى ﴿هنالك الولاية﴾ قرىء بكسر الواو يعني السلطان في القيامة ﴿لله الحق﴾ وقرىء بفتحها من الموالاة والنصرة، يعني أنهم يتولونه يومئذٍ ويتبرؤون مما كانوا يعبدون من دونه في الدنيا ﴿هو خير ثواباً﴾ أي أفضل جزاء لأهل طاعته لو كان غيره يثيب ﴿وخير عقباً﴾ يعني عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره فهو خير إثابة وعاقبة قوله عز وجل:

وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا

قال: «عُراةً حفاةً»، قالت: قلت: والنساء؟ قال: «والنساء» قالت: قلت: يا رسول الله نستحي، قال: «يا عائشة .لا نبات فيها. وقيل: تزلق فيها الأقدام. وقال مجاهد: رملاً هائلاً.

﴿ أو يُصبح ماؤها غوراً ﴾، أي: غائر منقطعاً ذاهباً لا تناله الأيدي، ولا الدِّلاء، والغور مصدرٌ وُضع موضع الاسم، مثل زور وعدل، ﴿ فلن تستطيع له طلباً ﴾، يعني: إن طلبته لم تجده.

﴿ وأُحيط بثمره ﴾، أي: أحاط العذاب بثمر جنته، وذلك أن الله تعالى أرسل عليها ناراً فأهلكتها وغار ماؤها، ﴿ فأصبح ﴾، صاحبها الكافر، ﴿ يقلب كفّيه ﴾، أي يصفّق بيده على الأخرى ويقلب كفّيه ظهراً لبطن تأسفاً وتلهفاً، ﴿ على ما أنفق فيها وهي خاوية ﴾، أي ساقطة، ﴿ على عروشها ﴾، سقوفها، ﴿ ويقول يا ليتني لم أُشرك بربي أحداً ﴾.

قال الله تعالى: ﴿ ولم تكن له فئة ﴾، جماعة، ﴿ ينصرونه من دون الله ﴾، يمنعونه من عذاب الله، ﴿ وما كان منتصراً ﴾، ممتنعاً منتقماً لا يقدر على الانتصار لنفسه. وقيل: لا يقدر على ردّ ما ذهب عنه.

﴿ هنالك الوَلاَيةُ لله الحق ﴾، يعني في القيامة، قرأ حمزة والكسائي ﴿ الولاية ﴾ بكسر الواو، يعني السلطان، وقرأ الآخرون بفتح الواو من الموالاة والنصر، كقوله تعالى: ﴿ الله وليّ الذين آمنوا ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، قال القتيبي: يريد أنهم يتلونه يومئذ ويتبرؤون مما كانوا يعبدون. وقيل: بالفتح الربوبية وبالكسر الإمارة، ﴿ الحق ﴾ برفع القاف أبو عمرو والكسائي على نعت الولاية، وتصديقه قراءة أُبيّ: ﴿ هنالك الولاية الحق لله ﴾، وقرأ الآخرون بالجرّ على صفة الله كقوله تعالى: ﴿ ثم رُدّوا إلى الله مولاهم الحق ﴾ [الأنعام: ٦٢] ﴿ هو خيرٌ ثواباً ﴾، أفضل جزاء لأهل طاعته لو كان غيره يثيب، ﴿ وخيرٌ عُقباً ﴾، أي عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره، فهو خير إثابة، وعاقبة: طاعة، قرأ حمزة وعاصم ﴿ عقباً ﴾ ساكنة القاف، وقرأ الآخرون بضمها.

وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾

﴿**واضرب لهم**﴾ أي اضرب يا محمد لقومك ﴿**مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء**﴾ يعني المطر ﴿**فاختلط به نبات الأرض**﴾ أي خرج منه كل لون وزهرة ﴿**فأصبح**﴾ أي عن قريب ﴿**هشيماً**﴾ قال ابن عباس: يابساً ﴿**تذروه الرياح**﴾ قال ابن عباس: تذريه تفرقه وتنسفه ﴿**وكان الله على كل شيء مقتدراً**﴾ أي قادراً قوله سبحانه وتعالى ﴿**المال والبنون**﴾ يعني التي يفتخر بها عيينة وأصحابه الأغنياء ﴿**زينة الحياة الدنيا**﴾ يعني ليست من زاد الآخرة، قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: المال والبنون حرث الدنيا والأعمال الصالحة حرث الآخرة وقد يجمعهما لأقوام ﴿**والباقيات الصالحات**﴾ قال ابن عباس: هي قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس». عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال «استكثروا من قول الباقيات الصالحات. قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله». عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مررتم برياض الجنة فارتفعوا. قلت: يا رسول الله وما رياض الجنة؟ قال: المساجد. قلت: وما الرتع؟ قال رسول الله ﷺ: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر» أخرجه الترمذي. وقال حديث غريب عن سعيد بن المسيب أن الباقيات الصالحات هي قول العبد الله أكبر وسبحان الله ولا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله أخرجه مالك في الموطأ موقوفاً عليه وعن ابن عباس أن الباقيات الصالحات الصلوات الخمس وعنه أنها الأعمال الصالحة ﴿**خير عند ربك ثواباً**﴾ أي جزاء ﴿**وخير أملاً**﴾ أي ما يؤمله الإنسان. قوله سبحانه وتعالى ﴿**ويوم نسير الجبال**﴾ أي نذهب بها وذلك أن تجعل هباء منثوراً كما يسير السحاب ﴿**وترى الأرض بارزة**﴾ أي ظاهرة ليس عليها شجر ولا جبل ولا بناء وقيل هو بروز ما في بطنها من الموتى وغيرهم فيصير باطن الأرض ظاهرها ﴿**وحشرناهم**﴾ يعني جميعاً إلى موقف الحساب ﴿**فلم نغادر منهم أحداً**﴾ أي لم نترك منهم أحداً ﴿**وعرضوا على ربك صفاً**﴾ أي صفاً صفاً وفوجاً فوجاً لأنهم صف واحد وقيل قياماً كل أمة وزمرة صف ثم يقال لهم ﴿**لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة**﴾ يعني أحياء وقيل حفاة عراة غرلاً ﴿**بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً**﴾ يعني القيامة يقول ذلك لمنكر البعث (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال: أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلاً كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين ألا إن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب أصحابي، فيقول إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم إلى قوله العزيز الحكيم قال: فيقال لي إنهم لن يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم. زاد في رواية فأقول سحقاً سحقاً» قوله غرلاً أي قلفاً والغرلة القلفة

قوله تعالى: ﴿ **واضربْ لهم** ﴾، يا محمد أي لقومك: ﴿ **مثل الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماء** ﴾، يعني المطر، ﴿ **فاختلط به نبات الأرض** ﴾، خرج منه كل لون وزهرة، ﴿ **فأصبح** ﴾، عن قريب، ﴿ **هشيماً** ﴾، يابساً. قال ابن عباس وقال الضحاك: كسيراً. والهشيم: ما يبس وتفتّت من النباتات، فأصبح هشيماً، ﴿ **تذروه الرياح** ﴾، قال ابن عباس: تفرقه الرياح. وقال أبو عبيدة مثله. وقال القتيبي: تنسفه، ﴿ **وكان الله على كل شيء مقتدراً** ﴾، قادراً.

﴿ **المال والبنون** ﴾، التي يفتخر بها عتبة وأصحابه الأغنياء، ﴿ **زينة الحياة الدنيا** ﴾، ليست من زاد الآخرة،

التي تقع من جلد الذكر وهو موضع الختان، وقوله سحقاً أي بعداً، قال بعض العلماء: إن المراد بهؤلاء أصحاب الردة الذين ارتدوا من العرب ومنعوا الزكاة بعده (ق) عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الناس حفاة عراة غرلاً». قالت عائشة: فقلت الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض قال: «الأمر أشد من أن يهمهم ذلك». زاد النسائي في رواية «لكل امرىء منهم يومئذٍ شأن يغنيه». قوله عز وجل:

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾

﴿ووضع الكتاب﴾ يعني صحائف أعمال العباد توضع في أيدي الناس في أيمانهم وشمائهلم، وقيل توضع بين يدي الله تعالى ﴿فترى المجرمين مشفقين﴾ أي خائفين ﴿مما فيه﴾ يعني من الأعمال السيئة ﴿ويقولون﴾ يعني إذا رأوها ﴿يا ويلتنا﴾ أي يا هلاكنا وكل من وقع في هلكة دعا بالويل ﴿مال هذا الكتاب لا يغادر﴾ أي لا يترك ﴿صغيرة ولا كبيرة﴾ أي من ذنوبنا الصغيرة ﴿إلا أحصاها﴾ أي عدها وكتبها وأثبتها فيه وحفظها، قال ابن عباس: الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة. وقال سعيد بن جبير: الصغيرة اللمم واللمس والقبلة والكبيرة الزنا عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم ومحقرات الذنوب فإنما مثل محقرات الذنوب مثل قوم نزلوا في بطن واد فجاء هذا بعود وجاء هذا بعود فانضجوا خبزهم وإن محقرات الذنوب لموبقات» الحقير الشيء الصغير التافه وقوله لموبقات أي مهلكات. ﴿ووجدوا ما عملوا حاضراً﴾ أي مكتوباً أي مثبتاً في كتابهم ﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾ أي لا ينقص ثواب أحد عمل خيراً ولا يؤاخذ أحداً بجرم لم يعمله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله» أخرجه الترمذي. وقال لا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: المال والبنون حرث الدنيا والأعمال الصالحة حرث الآخرة، وقد يجمعها الله لأقوام. ﴿ والباقيات الصالحات ﴾، اختلفوا فيها، فقال ابن عبّاس وعكرمة ومجاهد: هي قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر. وقد روينا أن النبي ﷺ قال: «أفضل الكلام أربع كلمات: سبحان الله والحمد لله ولا إله الأمر أشد من ذلك أن يهمهم أن ينظر بعضهم إلى بعض».

قوله تعالى: ﴿ ووُضع الكتاب ﴾، يعني كتاب أعمال العباد يوضع في أيدي الناس في أيمانهم وشمائلهم وقيل: معناه يوضع بين يدي الله تعالى. ﴿ فترى المجرمين مشفقين ﴾، خائفين، ﴿ مما فيه ﴾، من الأعمال السيئة، ﴿ ويقولون ﴾، إذا رأوها، ﴿ يا ويلتنا ﴾، يا هلاكنا، والويل والويلة الهلكة، وكل مَن وقع في هلكة دعا بالويل، ومعنى النداء تنبيه المخاطبين، ﴿ مالِ هذا الكتاب لا يُغادر صغيرةً ولا كبيرةً ﴾، من ذنوبنا. قال ابن عباس: الصغيرة التبسّم والكبيرة القهقهة. وقال سعيد بن جبير: الصغيرة اللمم واللمس والقبلة، والكبيرة الزنا. ﴿ إلّا أحصاها ﴾، عدّدها، قال السدي: كتبها أثبتها. قال مقاتل بن حيان: حفظها. أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنبأنا أبو العباس عبد الله بن محمد بن هارون الطيسفوني أنبأنا أبو الحسن محمد بن أحمد الترابي أنبأنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمرو بن بسطام أنبأنا الحسن أحمد بن يسار القرشي ثنا يوسف بن

أبي هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن أبي موسى. قوله سبحانه وتعالى ﴿وإذ قلنا﴾ أي واذكر يا محمد إذ قلنا ﴿للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن﴾ قال ابن عباس: كان من حي من الملائكة يقال لهم الجن، خلقوا من نار السموم وقال الحسن: كان من الجن ولم يكن من الملائكة فهو أصل الجن، كما أن آدم أصل الإنس وكونه من الملائكة لا ينافي كونه من الجن بدليل قوله سبحانه وتعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً، وذلك أن قريشاً قالت الملائكة بنات الله، فهذا يدل على أن الملك يسمى جناً ويعضده اللغة لأن الجن مأخوذ من الاجتنان، وهو الستر فعلى هذا تدخل الملائكة فيه فكل الملائكة جن لاستتارهم وليس كل جن ملائكة، ووجه كونه من الملائكة أن الله سبحانه وتعالى استثناه من الملائكة والاستثناء يفيد إخراج ما لولاه لدخل ويصح دخوله وذلك يوجب كونه من الملائكة ووجه من قال إنه كان من الجن ولم يكن من الملائكة قوله كان من الجن والجن جنس مخالف للملائكة قوله أفتتخذونه وذريته فأثبت له ذرية والملائكة لا ذرية لهم، وأجيب عن الاستثناء أنه استثناء منقطع وهو مشهور في كلام العرب قال الله سبحانه وتعالى ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني﴾ وقال تعالى: ﴿لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً﴾ قيل إنه كان من الملائكة فلما خالف الأمر مسخ وغير وطرد ولعن. وقوله تعالى ﴿ففسق عن أمر ربه﴾ أي خرج عن طاعة ربه ﴿أفتتخذونه﴾ يعني يا بني آدم أفتتخذون إبليس ﴿وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو﴾ يعني أعداء روى مجاهد عن الشعبي قال: إني لقاعد يوماً إذ أقبل رجل فقال أخبرني هل لإبليس زوجة قلت إن ذلك العرس ما شهدته ثم ذكرت قول الله عز وجل ﴿أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني﴾ فعلمت أنه لا تكون ذرية إلا من زوجة فقلت نعم، قيل يتوالدون كما يتوالد ابن آدم. وقيل إنه يدخل ذنبه في دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين. قال مجاهد: من ذرية إبليس لاقيس وولهان وهو صاحب الطهارة والصلاة والهفاف ومره وبه يكنى، وزلنبور وهو صاحب الأسواق يزين اللغو والحلف الكاذب ومدح السلع وبتر وهو صاحب المصائب يزين خمش

عدي المصري ثنا أبو ضمرة أنس بن عياض عن أبي حازم قال: لا أعلمه إلّا عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «إيّاكم ومحقّرات الذنوب، فإنما مثل محقّرات الذنوب مثل قوم نزلوا بطن وادٍ فجاء هذا بعود وجاء هذا بعود وجاء هذا بعود، فأنضجوا خبزتهم، وإن محقرات الذنوب لموبقات». قوله تعالى: ﴿ ووجدوا ما عملوا حاضراً ﴾، مكتوباً مثبتاً في كتابهم، ﴿ ولا يظلم ربك أحداً ﴾، أي لا ينقص ثواب أحد عمل خَيراً. وقال الضحاك: لا يؤاخذ أحداً بجرم لم يعمله. وقال عبد الله بن قيس: يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما العرضتان فجدال ومعاذير، وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي، فآخذ بيمينه وآخذ بشماله. ورفعه بعضهم عن أبي موسى.

قوله تعالى: ﴿ وإذْ قلنا للملائكة اسجدُوا لآدم ﴾، يقول واذكر يا محمد إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم، ﴿ فسجدوا إلّا إبليس كان من الجن ﴾، قال ابن عباس: كان من حيٍّ من الملائكة يقال لهم الجن، خُلقوا من نار السموم. وقال الحسن: كان من الجن ولم يكن من الملائكة، فهو أصل الجن كما أن آدم أصل الإنس، ﴿ ففسق ﴾، أي خرج، ﴿ عن أمر ربه ﴾، عن طاعة ربه، ﴿ أفتتخذونه ﴾، يعني يا بني آدم ﴿ وذريتُه أولياءَ من دوني وهم لكم عدو ﴾، أي أعداء. روى مجاهد عن الشعبي قال: إني لقاعد يوماً إذْ أقبل رجل فقال: أخبرني هل لإبليس زوجة؟ قلت: إن ذلك العرش ما شهدته، ثم ذكرت قوله تعالى: ﴿ أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني ﴾، فعلمت أنه لا تكون الذريّة إلا من الزوجة، فقلت: نعم. وقال قتادة: يتوالدون كما يتوالد بنو آدم. وقيل: إنه يدخل ذنبه في دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين. قال مجاهد: من ذريـة إبليس لاقيس ولهان، وهما صاحبا الطهارة والصلاة، والهفاف ومرّة وبه يكنى، وزلنبور وهو صاحب الأسواق، يزين اللغو والحلف الكاذبة ومدح

الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب، والأعور وهو صاحب الزنا ينفخ في إحليل الرجل وعجيزة المرأة، ومطموس وهو صاحب الأخبار الكاذبة يلقيها في أفواه الناس لا يجدون لها أصلاً، وداسم وهو الذي إذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر الله بصره من المتاع ما لم يرفع أو يحسن موضعه وإذا أكل ولم يسم أكل معه، قال الأعمش: ربما دخلت البيت ولم أذكر اسم الله ولم أسلم فرأيت مطهرة فقلت ارفعوا هذه وخاصمتهم ثم أذكر فأقول داسم داسم أعوذ بالله منه، روى أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال «إن للوضوء شيطاناً يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء» أخرجه الترمذي. (م) عن عثمان بن أبي العاص قال: قلت يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وبين قراءتي يلبسها علي فقال رسول الله ﷺ ذاك شيطان يقال له خنزب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثاً قال ففعلت ذلك فأذهبه الله عني (م) عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ «إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئاً ثم يجيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته قال فيدنيه منه ويقول نعم أنت» قال الأعمش أراه قال فيلتزمه. وقوله ﴿بئس للظالمين بدلاً﴾ يعني بئس ما استبدلوا طاعة إبليس وذريته بعبادة ربهم وطاعته. قوله سبحانه وتعالى ﴿ما أشهدتهم﴾ أي ما أحضرتهم يعني إبليس وذريته وقيل الكفار وقيل الملائكة ﴿خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم﴾ والمعنى

السلع، وبتر وهو صاحب المصائب يزيّن للناس خمش الوجوه ولطم الخدود وشقّ الجيوب، والأعور وهو صاحب الزنا ينفخ في إحليل الرجل وعجز المرأة، ومطوس وهو صاحب الأخبار الكاذبة يلقيها في أفواه الناس، لا يجدون لها أصلاً، وداسم وهو الذي إذا دخل الرجل بيته ولم يسلّم ولم يذكر اسم الله بصره من المتاع ما لم يرفع ولم يوضع في موضعه أو يحتبس موضعه، وإذا أكل ولم يذكر اسم الله أكل معه. قال الأعمش: ربما دخلت البيت ولم أذكر اسم الله ولم أسلّم، فرأيت مطهرة فقلت ارفعوا هذه وخاصمتهم، ثم أذكر اسم الله فأقول داسم داسم، ورُوِيَ عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ أنه قال: «إن للوضوء شيطاناً يقال له الولهان. فاتقوا وسواس الماء» أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنبأنا عبد الغافر بن محمد أنبأنا محمد بن عيسى الجلودي أنبأنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنبأنا مسلم بن الحجاج ثنا يحيىٰ بن خلف الباهلي أنبأنا مسلم بن الحجاج ثنا يحيىٰ بن خلف الباهلي أنبأنا عبد الأعلى عن سعيد الحريري عن أبي العلاء أن عثمان بن أبي العاص أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وبين قراءتي يلبسها عليّ، فقال رسول الله ﷺ: «ذاك شيطان يقال له خنزب، فإذا حسسته فتعوّذ بالله منه، واتفل عن يسارك ثلاثاً»، ففعلت ذلك فأذهبه الله عني. وأخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنبأنا عبد الغافر بن محمد عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنبأنا مسلم بن الحجّاج ثنا أبو كريب محمد بن علاء أنبأنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه يفتنون الناس، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئاً، قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركتُه حتى فرّقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منــه ويقول: نعم أنت». قال الأعمش أراه قال: فيلتزمه. قوله تعالى: ﴿ بئس للظالمين بدلاً ﴾، قال قتادة: بئس ما استبدلوا طاعة إبليس وذريته بعبادة ربهم.

﴿ ما أشهدتهم ﴾، ما أحضرتهم، وقرأ أبو جعفر «ما أشـهدناهم» بالنون والألف على التعظيم، أي أحضرناهم يعني إبليس وذريته. وقيل: الكفار. وقال الكلبي: يعني الملائكة، ﴿ خلق السمٰواتِ والأرض ولا خلق أنفسهم ﴾، يقول ما أُشهدتم خلقاً فأستعين بهم على خلقها وأُشاورهم فيها، ﴿ وما كنتُ متخذ المضلّين عضداً ﴾، أي الشياطين الذين يضلّون الناس عضداً أي: أنصاراً وأعواناً.

ما أشهدتهم خلقها فأستعين بهم على خلقها وأشاورهم فيها ﴿**وما كنت متخذ المضلين**﴾ يعني الشياطين الذين يضلون الناس ﴿**عضداً**﴾ يعني أنصاراً وأعواناً. قوله عز وجل:

وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا
ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن
كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ
إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ
عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن
يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن
يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ
مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾

﴿**ويوم يقول نادوا**﴾ يعني يقول الله تعالى يوم القيامة نادوا ﴿**شركائي**﴾ يعني الأصنام ﴿**الذين زعمتم**﴾ يعني أنهم شركائي ﴿**فدعوهم**﴾ أي فاستغاثوا بهم ﴿**فلم يستجيبوا لهم**﴾ أي فلم يجيبوهم ولم ينصروهم ﴿**وجعلنا بينهم**﴾ يعني بين الأصنام وعبدتها وقيل بين أهل الهدى وبين أهل الضلال ﴿**موبقاً**﴾ يعني مهلكاً قال ابن عباس: هو واد في النار وقيل نهر تسيل منه نار وعلى حافتيه حيات مثل البغال الدهم وقيل كل حاجز بين شيئين فهو موبق وأصله الهلاك ﴿**ورأى المجرمون**﴾ أي المشركون ﴿**النار فظنوا**﴾ أي أيقنوا ﴿**أنهم مواقعوها**﴾ أي داخلوها وواقعون فيها ﴿**ولم يجدوا عنها مصرفاً**﴾ أي معدلاً لأنها أحاطت بهم من كل جانب وقيل لأن الملائكة تسوقهم إليها. قوله سبحانه وتعالى ﴿**ولقد صرفنا**﴾ أي بينا ﴿**في هذا القرآن للناس من كل مثل**﴾ أي ليتذكروا ويتعظوا ﴿**وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً**﴾

قوله تعالى: ﴿ **ويوم يقول** ﴾ قرأ حمزة بالنون والآخرون بالياء أي: يقول الله لهم يوم القيامة، ﴿ **نادوا شركائي** ﴾، يعني الأوثان ﴿ **الذين زعمتم** ﴾، أنهم شركائي، ﴿ **فدعوهم** ﴾، فاستغاثوا بهم، ﴿ **فلم يستجيبوا لهم** ﴾، أي لم يجيبوهم ولم ينصروهم، ﴿ **وجعلنا بينهم** ﴾، يعني بين الأوثان وعبدتها وقيل: بين أهل الهدى والضلال، ﴿ **موبقاً** ﴾ مهلكاً قاله عطاء والضحاك. وقال ابن عباس: هو واد في النار. وقال مجاهد: واد في جهنم. وقال عكرمة: هو نهر في النار يسيل ناراً على حافته حيّات مثل البغال الدهم. قال ابن الأعرابي: وكل حاجز بين شيئين فهو موبق، وأصله الهلاك يقال: أوبقه أي أهلكه، قال الفراء: وجعلنا تواصلهم في الدنيا مهلكاً لهم في الآخرة، والبين على هذا القول التواصل كقوله تعالى: ﴿ لقد تقطع بينكم ﴾ [الأنعام: ٩٤] على قراءة مَن قرأ بالرفع.

﴿ **ورأى المجرمون النار** ﴾، أي المشركون، ﴿ **فظنوا** ﴾، أيقنوا، ﴿ **أنهم مواقعوها** ﴾، داخلوها وواقعون فيها، ﴿ **ولم يجدوا عنها مصرفاً** ﴾، معدلاً لأنها أحاطت بهم من كل جانب.

قوله تعالى: ﴿ **ولقد صرّفنا** ﴾، بيّنا، ﴿ **في هذا القرآن للناس من كل مثل** ﴾، أي ليتذكروا ويتعظوا،

أي خصومة في الباطل قال ابن عباس: أراد النضر بن الحارث وجداله في القرآن وقيل أراد به أبي بن خلف وقيل أراد به جميع الكفار وقيل الآية على العموم وهو الأصح (ق) عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة ليلاً فقال: «ألا تصليان». فقلت يا رسول الله أنفسنا بيد الله تعالى فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله ﷺ حين قلت ذلك ولم يرجع إلى شيئاً ثم سمعته يقول وهو مول يضرب فخذه بيده «وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً» قوله عز وجل ﴿**وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى**﴾ يعني القرآن وأحكام الإسلام والبيان من الله تعالى وقيل إنه رسول الله ﷺ ﴿**ويستغفروا ربهم**﴾ والمعنى أنه لا مانع لهم من الإيمان ولا من الاستغفار والتوبة والتخلية حاصلة والأعذار زائلة فلم لم يقدموا على الإيمان والاستغفار ﴿**إلا أن تأتيهم سنة الأولين**﴾ يعني سنتنا بإهلاك الأولين إن لم يؤمنوا وهو عذاب الاستئصال ﴿**أو يأتيهم العذاب قبلاً**﴾ قال ابن عباس: أي عياناً من المقابلة وقيل فجأة. قوله سبحانه وتعالى ﴿**وما نرسل المرسلين إلا مبشرين**﴾ أي بالثواب على الطاعة ﴿**ومنذرين**﴾ بالعقاب لمن عصى ﴿**ويجادل الذي كفروا بالباطل**﴾ هو قولهم «أبعث الله بشراً رسولاً» وقولهم للرسل «ما أنتم إلا بشر مثلنا» وشبه ذلك ﴿**ليدحضوا**﴾ أي ليبطلوا ﴿**به الحق**﴾ ويزيلوه ﴿**واتخذوا آياتي وما أنذروا هزواً**﴾ فيه إضمار يعني اتخذوا ما أنذروا به وهو القرآن استهزاء. قوله عز وجل ﴿**ومن أظلم من ذكر**﴾ أي وعظ ﴿**بآيات ربه فأعرض عنها**﴾ أي تولى عنها وتركها ولم يؤمن بها ﴿**ونسي ما قدمت يداه**﴾ أي ما عمل من المعاصي من قبل ﴿**إنا جعلنا على قلوبهم أكنة**﴾ أي أغطية ﴿**أن يفقهوه**﴾ يريد لئلا يفهموه ﴿**وفي آذانهم وقراً**﴾ أي ثقلاً وصماً ﴿**وإن تدعهم**﴾ يا محمد ﴿**إلى الهدى**﴾ أي الدين ﴿**فلن يهتدوا إذاً أبداً**﴾ وهذا في أقوام علم الله منهم أنهم لا يؤمنون ﴿**وربك الغفور**﴾ أي البليغ المغفرة ﴿**ذو**

﴿ **وكان الإنسان أكثرَ شيءٍ جدلاً** ﴾، خصومة في الباطل. قال ابن عباس: أراد النضر بن الحارث وجداله في القرآن. قال الكلبي: أراد به أُبيّ بن خلف الجمحي. وقيل: المراد من الآية الكفّار، لقوله تعالى: ﴿ ويجادل الذين كفروا بالباطل ﴾ [الكهف: ٥٦]، وقيل: هي على العموم، وهذا أصح، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف أنبأنا محمد بن إسماعيل أنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري أنبأنا علي بن الحسين أن الحسين بن علي أخبره أن علياً أخبره أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة بنت رسول الله ﷺ ليلةً فقال: «ألا تصليان»؟ فقلت: يا رسول الله إن أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف رسول الله ﷺ حين قلت له ذلك ولم يُرجعْ إليّ شيئاً، ثم سمعته وهو مولٍّ يضرب فخذه وهو يقول: ﴿ **وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً** ﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **وما منع الناس أن يؤمنوا إذْ جاءهُمُ الهدى** ﴾، القرآن والإسلام والبيان من الله عزّ وجلّ. وقيل: إن الرسول ﷺ قال: ﴿ **ويستغفروا ربَّهم إلاّ أن تأتيهم سُنّة الأوّلين** ﴾، يعني سنّتنا في إهلاكهم إن لم يؤمنوا. وقيل: إلا طلب أن تأتيهم سُنّة الأولين من معاينة العذاب، كما قالوا: اللّهمَّ إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، ﴿ **أو يأتيهم العذاب قُبُلاً** ﴾، قال ابن عباس: أي: عياناً من المقابلة. وقال مجاهد فجأة، وقرأ أبو جعفر وأهل الكوفة ﴿ **قبلاً** ﴾ بضم القاف والباء، جمع قبيل أي: أصناف العذاب نوعاً نوعاً.

﴿ **وما نُرسل المرسلين إلاّ مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل** ﴾، ومجادلتهم قولهم: ﴿ **أبعث الله بشراً رسولاً** ﴾ [الإسراء: ٩٤]. ﴿ ولولا نُزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ [الزخرف: ٣١]، وما أشبهه. ﴿ **لِيُدْحِضُوا** ﴾، ليبطلوا، ﴿ **به الحق** ﴾، وأصل الدحض الزلق يريد ليُزيلوا به الحق، ﴿ **واتخذوا آياتي وما أُنذرُوا هزُواً** ﴾، فيه إضمار يعني وما أنذروا به وهو القرآن، هزواً أي استهزاءً.

الرحمة﴾ أي الموصوف بالرحمة **﴿لو يؤآخذهم﴾** أي يعاقب الكفار **﴿بما كسبوا﴾** من الذنوب **﴿لعجل لهم العذاب﴾** أي في الدنيا **﴿بل لهم موعد﴾** يعني البعث والحساب **﴿لن يجدوا من دونه موئلاً﴾** أي ملجأ **﴿وتلك القرى﴾** قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم **﴿أهلكناهم لما ظلموا﴾** أي كفروا **﴿وجعلنا لمهلكهم موعداً﴾** أي أجلاً لإهلاكهم. قوله سبحانه وتعالى **﴿وإذ قال موسى لفتاه﴾** الآيات أكثر العلماء على أن موسى المذكور في هذه الآية هو موسى بن عمران من سبط لاوي بن يعقوب صاحب المعجزات الظاهرة وصاحب التوراة. وعن كعب الأحبار أنه موسى بن ميشا من أولاد يوسف بن يعقوب وكان قد تنبأ قبل موسى بن عمران. والقول الأول أصح بدليل أن الله سبحانه وتعالى في كتابه لم يذكر العزيز موسى إلا أراد به صاحب التوراة فإطلاق هذا الاسم يوجب الانصراف إليه ولو أراد شخصاً آخر لوجب تعريفه بصفة توجب الامتياز بينهما وتزيل الشبهة فلما لم يميزه بصفة علمنا أنه موسى بن عمران صاحب التوراة وأما فتاه فالأصح أنه يوشع ابن نون بن أفرأ ثم ابن يوسف وهو صاحب موسى وولي عهده بعد وفاته، وقيل إنه أخو يوشع وقيل فتاة يعني بده بدليل قوله ﷺ «لا يقل أحدكم عبده وأمتي وليقل فتاي وفتاتي». (ق) عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس أن نوفاً البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بني إسرائيل، فقال ابن عباس: كذب عدو الله حدثنا أبي بن كعب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن موسى عليه السلام قام خطيباً في بني إسرائيل فسأل أي الناس أعلم فقال أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه فأوحى الله سبحانه وتعالى إليه إن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى: يا رب فكيف لي به قال: فخذ معك حوتاً فاجعله في مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم فأخذ حوتاً فجعله في مكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى إذا أتيا الصخرة

﴿ومَن أظلم ممَّن ذُكِّر﴾، وعُظ، **﴿بآيات ربه فأعرض عنها﴾**. تولى عنها وتركها ولم يؤمن بها، **﴿ونسي ما قدّمت يداه﴾**، أي ما عمل من المعاصي من قبل، **﴿إنّا جعلنا على قلوبهم أكنة﴾**، أغطية، **﴿أن يفقهوه﴾**، أي: يفهموه يريد لئلا يفهموه، **﴿وفي آذانهم وَقْراً﴾**. أي صمماً وثقلاً، **﴿وإن تدعهم﴾**، يا محمد **﴿إلى الهدى﴾**، إلى الدين، **﴿فلن يهتدوا إذاً أبداً﴾**، وهذا في أقوام علم الله منهم أنهم لا يؤمنون.

﴿وربُّك الغفورُ ذُو الرحمة﴾، ذو النعمة **﴿لو يُؤاخذهم﴾**، يعاقب الكفّار، **﴿بما كسبوا﴾**، من الذنوب **﴿لعجّل لهم العذاب﴾**، في الدنيا، **﴿بل لهم موعد﴾**، يعني البعث والحساب، **﴿لن يجدوا من دونه موئلاً﴾**، ملجأ.

﴿وتلك القرى أهلكناهم﴾، يعني قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم، **﴿لمّا ظلموا﴾**. كفروا، **﴿وجعلنا لمهلكهم موعداً﴾**، أي أجلاً، قرأ أبو بكر **﴿لمهلكهم﴾** بفتح الميم واللام، وقرأ حفص بفتح الميم وكسر اللام، وكذلك في النمل [٤٩] **﴿مهلك﴾** أي لوقت هلاكهم، وقرأ الآخرون بضم الميم وفتح اللام أي: لإهلاكهم.

قوله تعالى: **﴿وإذ قال موسى لفتاه لا أبر حُ حتى أبلغ مجمع البحرين﴾**، عامّة أهل العلم قالوا: إنه موسى بن عمران. وقال بعضهم: هو موسى بن ميشا من أولاد يوسف. والأول أصح، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا الحميدي ثنا سفيان ثنا عمرو بن دينار أخبرني سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نوفاً البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بني إسرائيل، فقال ابن عباس: كذب عدو الله حدّثنا أُبيّ بن كعب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل، فسُئِلَ أيّ الناس أعلم؟ فقال: «أنا»، فعتب الله عليه إذ لم يردّ العلم إليه،

وضعا رأسيهما فناما، فاضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سرباً وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت وانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كانا من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به. فقال له فتاه ﴿أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً﴾ قال فكان للحوت سرباً ولموسى ولفتاه عجباً فقال موسى ﴿ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصاً﴾ قال رجعا فقصا آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مسجى بثوب أبيض فسلم عليه موسى فقال الخضر وأنى بأرضك السلام فقال أنا موسى قال موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم أتيتك لتعلمني ما علمت رشداً، قال: إنك لن تستطيع معي صبراً، يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه وأنت على علم من علم الله لا أعلمه فقال موسى: ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً فقال له الخضر: فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً. فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت بهم سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول، فلما ركبا السفينة لم يفجأ موسى إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدوم، فقال له موسى: قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها «لقد جئت شيئاً إمراً قال: ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً: قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً» قال رسول الله ﷺ

فأوحى الله إليه أن لي عبداً بمجمع البحرين، هو أعلم منك، قال موسى: يا رب فكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتاً فتجعله في مكتل فحيث ما فقدت الحوت فهو ثمة، فأخذ حوتاً فجعله في مكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون، حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما، واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر، فاتخذ سبيله في البحر سرباً وأمسك الله تعالى عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان من الغد، فلما جاوزا قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً، قال: ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به، وقال له فتاه: أرأيت إذْ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحُوت وما أنسانيه إلاّ الشيطان أن أذكره، واتخذ سبيله في البحر عجباً، قال: فكان للحوت سرباً ولموسى ولفتاه عجباً، وقال موسى: ذلك ما كنّا نبغِ نطلبه، فارتدّا على آثارهما قصصاً فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة مِن عندنا وعلّمناه من لدنّا علماً. قال له موسى: هل أتبعك على أن تعلمنِ مِما عُلّمتَ رشداً؟ قال: رجعا يقصّان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مسجى بثوب فسلّم عليه موسى، فقال الخضِر عليه السلام وأني بأرضك السلام، فقال له: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، قال: أتيتك لتعلّمني مما علمت رشداً، قال: إنك لن تستطيع معي صبراً، وكيف تصبر على ما لم تُحِط به خبراً يا موسى إني على علم من علمِ الله علّمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم علّمكه الله لا أعلمه، فقال موسى: ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً، فقال له الخضر: فإنِ اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أُحدث لك منه ذكراً، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرّت سفينة فكلموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول، حتى إذا ركبا في السفينة لم يفجأ إلاّ والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدّوم، فقال له موسى: قوم قد حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً، قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً؟ قال: لا تؤاخذني بما نسيتُ ولا تُرهقني من أمري عُسراً، فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله، قال: وقال النبي ﷺ: «فكانت الأولى من موسى نسياناً والوسطى شرطاً والثالثة عمداً»، قال: وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر: ما نقص علمي وعلمك من علم إلا مثل ما نقص هذا العصفور من

«كانت الأولى من موسى نسياناً قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه فاقتلعه بيده فقتله فقال له موسى: «أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً» قال وهذه أشد من الأولى قال «إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من ولدني عذراً. فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض» أي مائلاً فقال الخضر بيده هكذا فأقامه فقال موسى قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا «لو شئت لاتخذت عليه أجراً قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً قال رسول الله ﷺ: يرحم الله موسى، لوددت أنه صبر يقص علينا من أخبارهما» قال سعيد بن جبير فكان ابن عباس يقرأ: وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً، وكان يقرأ وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين. وفي رواية عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ قام موسى عليه السلام ذكر الناس يوماً حتى إذا ما فاضت العيون ورقت القلوب ولى فأدركه رجل فقال: أي رسول الله هل في الأرض أحد أعلم منك؟؟ قال: لا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إلى الله تعالى. فقال بلى قال أي رب وأين هو قال بمجمع البحرين قال خذ حوتاً ميتاً حيث ينفخ فيه الروح. وفي رواية تزود حوتاً مالحاً فإنه حيث يفقد الحوت زاد في رواية وفي أصل الصخرة عين يقال لها الحياة لا يصيب من مائها شيء إلا حي فأصاب الحوت من ماء تلك العين فتحرك وانسل من المكتل فدخل البحر ورجعنا إلى التفسير. قوله سبحانه وتعالى ﴿لا أبرح﴾ أي لا أزال أسير ﴿حتى أبلغ مجمع البحرين﴾ قيل أراد بحر فارس والروم ما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل إفريقية ﴿أو أمضي حقباً﴾ يعني أو أسير دهراً طويلاً. والحقب ثمانون سنة فحمل خبزاً وسمكة مالحة في المكتل وهو الزنبيل الذي يسع خمسة عشر صاعاً ومضيا حتى انتهيا إلى الصخرة التي عند مجمع

هذا البحر، ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه فاقتلعه بيده وقتله، فقال له موسى: أقتلت نفساً زكيةً بغير نفس، لقد جئت شيئاً نكراً، قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً؟ قال: وهذه أشدّ من الأولى، قال: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً، فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبَوْا أن يضيفوهما، فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض، قال: كان مائلاً، فقال الخضر بيده فأقامه، فقال موسى: قوم آتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شئتَ لاتّخذت عليه أجراً، قال: هذا فراق بيني وبينك، إلى قوله: ﴿ سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً ﴾ [الكهف:٧٨] فقال رسول الله ﷺ: «وَدِدْنا أن موسى كان صبر حتى يقصّ علينا من خبرهما» قال سعيد بن جبير: فكان ابن عباس يقرأ: وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً، وكان يقرأ وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين. وعن سعيد بن جبير في رواية أخرى عن ابن عباس عن أُبيّ بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «قام موسى رسول الله فذكر الناس يوماً حتى إذا فاضت العيون ورقّت القلوب ولّى فأدركه رجل فقال: أي رسول الله هل في الأرض أحداً أعلم منك؟ قال: لا، فعتب الله عليه، إذ لم يردّ العلم إلى الله، قيل: بلى عبدنا الخضر، قال: يا رب وأين؟ قال: بمجمع البحرين، قال خذ حوتاً ميتاً حيث ينفخ فيه الروح، وفي رواية قيل له: تزوّد حوتاً مالحاً فإنه حيث تفقد الحوت، فأخذ حوتاً فجعله في مكتل» رجعنا إلى التفسير قوله: ﴿ وإذْ قال موسى لفتاه ﴾، يوشع بن نون، ﴿ لا أبرح ﴾، أي أزال أسير ﴿ حتى أبلغ مجمع البحرين ﴾، قال قتادة: بحر فارس وبحر الروم، مما يلي المشرق. وقال محمد بن كعب: طنجة. وقال أُبيّ بن كعب: أفريقية. ﴿ أو أمضي حُقُباً ﴾، أي وإن كان حُقُباً أي دهراً طويلاً وزماناً، وجمعه أحقاب، والحُقب: جمع الحَقب. قال عبد الله بن عمر: والحقب ثمانون سنة، فحملا

البحرين وعندها عين تسمى عين الحياة لا تصيب شيئاً إلا حيي فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده اضطربت في المكتل وهاجت ودخلت في البحر.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾

﴿**فلما بلغا**﴾ يعني موسى وفتاه ﴿**مجمع بينهما**﴾ أي بين البحرين ﴿**نسيا**﴾ أي تركا ﴿**حوتهما**﴾.

وإنما كان الحوت مع يوشع بن نون، وهو الذي نسيه وإنما أضاف النسيان إليهما تزواده لسفرهما وقيل المراد من قوله نسيا حوتهما أي نسيا كيفية الاستدلال بهذه الحالة المخصوصة على الوصول للمطلوب. ﴿**فاتخذ**﴾ أي الحوت ﴿**سبيله في البحر سرباً**﴾ أي مسلكاً. وروى أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ أنه قال «انجاب الماء عن مسلك الحوت فصار كوة لم يلتئم فدخل موسى الكوة على أثر الحوت فإذا هو بالخضر». قال ابن عباس: جعل الحوت لا يمس شيئاً من البحر إلا يبس حتى صار صخرة، وقد روينا أنهما لما انتهيا إلى الصخرة وضعا رؤوسهما فناما واضطرب الحوت فخرج فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سرباً فأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ موسى نسي صاحبه أن يخبره فانطلقا حتى إذا كان من الضد وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿**فلما جاوزوا**﴾ يعني ذلك الموضع وهو مجمع البحرين ﴿**قال**﴾ يعني موسى ﴿**لفتاه آتنا غداءنا**﴾ أي طعامنا ﴿**لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً**﴾ أي تعباً وشدة وذلك أنه ألقي على موسى الجوع بعد ما جاوز الصخرة ليتذكر الحوت ويرجع في طلبه.

﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى

خبزاً وسمكة مالحة حتى انتهيا إلى الصخرة التي عند مجمع البحرين ليلاً وعندها عين تسمى ماء الحياة لا يصيب ذلك الماء شيئاً إلّا حيّ، فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده اضطربت في المكتل وعاشت ودخلت البحر.

فذلك قوله: ﴿ **فلما بلغا** ﴾، يعني موسى وفتاه، ﴿ **مجمع بينهما** ﴾ أي: بين الفريقين، ﴿ **نسيا** ﴾، تركا، ﴿ **حوتهما** ﴾، وإنما كان الحوت مع يوشع، وهو الذي نسيه وأضاف النسيان إليهما لأنهما جميعاً تزوّداه لسفرهما، كما يقال: خرج القوم إلى موضع كذا وحملوا من الزاد كذا وإنما حمله واحد منهم، ﴿ **فاتخذ** ﴾، أي الحوت، ﴿ **سبيله في البحر سرباً** ﴾، أي مسلكاً. ورُوِيَ عن ابن كعب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «انجاب الماء عن مسلك الحوت فصار كوّة لم يلتئم فدخل موسى الكوّة على إثر الحوت فإذا هو بالخضر»، قال ابن عباس: جعل الحوت لا يمسّ شيئاً من البحر إلّا يبس حتى صار صخرة، وقال الكلبي: توضأ يوشع بن نون من عين الحياة فانتضح على الحوت المالح في المكتل من ذلك الماء فعاش ثم وثب في ذلك الماء فجعل يضرب بذنبه فلا يضرب بذنبه شيئاً من الماء وهو ذاهب إلّا يبس، وقد روينا أنهما لمّا انتهيا إلى الصخرة، وضعا رؤوسهما فناما واضطرب الحوت فخرج وسقط في البحر، فاتخذ سبيله في البحر سرباً فأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره فانطلقا حتى إذا كان من الغد.

قوله تعالى: ﴿ **فلما جاوزا** ﴾، يعني ذلك الموضع وهو مجمع البحرين، ﴿ **قال** ﴾، موسى، ﴿ **لفتاه آتنا غداءنا** ﴾، أي طعامنا، والغداء ما يُعدّ للأكل غدوة، والعشاء ما يُعدّ للأكل عشية، ﴿ **لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً** ﴾، أي تعباً وشدّة وذلك أنه ألقي على موسى الجوع بعد مجاوزة الصخرة، ليتذكّر الحوت ويرجع إلى مطلبه.

ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ
عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن
تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ
أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ
خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾

﴿**قال**﴾ يعني يوشع ﴿**أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة**﴾ وهي صخرة كانت بالموضع الموعود ﴿**فإني نسيت الحوت**﴾ أي تركته وفقدته، وذلك أن يوشع حين رأى من الحوت ذلك قام ليدرك موسى فيخبره فنسي أن يخبره، فمكثا يومهما حتى صليا الظهر من الغد ثم قال ﴿**وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره**﴾ أي وما أنساني أن أذكر لك أمر الحوت إلا الشيطان، قيل المراد من النسيان شغل قلب الإنسان بوساوس الشيطان التي هي فعله دون النسيان الذي يضاد الفكر لأن ذلك لا يصح إلا من قبل الله تعالى ﴿**واتخذ سبيله في البحر عجباً**﴾ قيل هذا من قول يوشع بن نون يعني وقع الحوت في البحر فاتخذ سبيله فيه مسلكاً. وروي في الخبر كان للحوت سرباً ولموسى ولفتاه عجباً وقيل أي شيء أعجب من حوت يؤكل منه دهراً ثم صار حياً بعد ما أكل بعضه. قوله عز وجل ﴿**قال**﴾ يعني موسى ﴿**ذلك ما كنا نبغ**﴾ نطلب ﴿**فارتدا على آثارهما قصصاً**﴾ أي رجعا يقصان الذي جاءا منه ويتبعانه ﴿**فوجدا عبداً من عبادنا**﴾ قيل كان ملكاً من الملائكة والصحيح الذي ثبت عن رسول الله ﷺ وجاء في التواريخ أنه الخضر واسمه بليا بن ملكان وكنيته أبو العباس، قيل كان من بني إسرائيل وقيل كان من أبناء الملوك الذين تزهدوا وتركوا الدنيا والخضر لقب له، سمي به لأنه جلس على فروة بيضاء فاخضرت. (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «إنما سمي خضراً لأنه جلس على

﴿ **قال** ﴾ له فتاه يذكر ﴿ **أرأيتَ إذْ أوينا إلى الصخرة** ﴾، وهي صخرة كانت بالموضع الموعود، قال هقل بن زياد: هي الصخرة التي دون نهر الزيت، ﴿ **فإني نسيتُ الحوت** ﴾، أي تركته وفقدته، وذلك أن يوشع حين رأى ذلك من الحوت قام ليدرك موسى فيخبره، فنسي أن يخبره فمكثا يومهما حتى صلّيا الظهر من الغد. قيل في الآية إضمار معناه: نسيت أن أذكر لك أمر الحوت، ثم قال: ﴿ **وما أنسانيه إلاّ الشيطان أن أذكره** ﴾، أي وما أنساني أن أذكرلك أمر الحوت إلاّ الشيطان، وقرأ حفص: ﴿ **أنسانيه** ﴾، وفي الفتح [١٠]. (عليهُ الله) بضم الهاء. وقيل معناه أنسانيه لئلا أذكره، ﴿ **واتخذ سبيله في البحر عَجَباً** ﴾، قيل هذا من قول يوشع، ويقول طفر الحوت إلى البحر فاتخذ فيه مسلكاً فعجبت من ذلك عجباً. وروينا في الخبر: كان للحوت سرباً ولموسى وفتاه عجباً. وقيل: هذا من قول موسى لما قال له يوشع: واتخذ سبيله في البحر سرباً، قال له موسى: عجباً، كأنه قال: أعجب عجباً. قال ابن زيد أي شيء أعجب من حوت يؤكل منه دهراً ثم صار حيّاً بعدما أُكِلَ بعضُه.

﴿ **قال** ﴾. موسى ﴿ **ذلك ما كنا نبغِ** ﴾، أي نطلب، ﴿ **فارتدّا على آثارهما قصصاً** ﴾ أي: رجعا يقصّان الأثر الذي جاء أمنه أن يبتغيانه، فوجدا عبداً من عبادنا، قيل: كان مَلَكاً من الملائكة، والصحيح الذي جاء في التواريخ، وثبت عن النبي ﷺ أنه الخضر، واسمه بليا بن ملكان، قيل: كان من نسل بني إسرائيل. وقيل: كان من أبناء الملوك الذين تزهدوا في الدنيا، والخضر لقب له سُمّي بذلك لِما أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي أنبأنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان ثنا أحمد بن يوسف السلمي ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن همّام بن منبّه قال ثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما سُمي خضراً لأنه جلس على

فروة بيضاء فإذا هي تهتز تحته خضراء»، الفروة قطعة نبات مجتمعة يابسة وقيل سمي خضراً لأنه كان إذا صلّى اخضر ما حوله. وروينا أن موسى رأى الخضر مسجى بثوب فسلم عليه، فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام قال: أنا موسى أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً. ومعنى مسجى بثوب أي مغطى بثوب وقوله وأنى بأرضك السلام معناه من أين بأرضك التي أنت فيها الآن السلام. وروي أنه لقيه على طنفسة خضراء على جانب البحر فذلك قوله سبحانه وتعالى ﴿فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة﴾ أي نعمة ﴿من عندنا وعلمناه من لدنا علماً﴾ أي علم الباطن إلهاماً ولم يكن الخضر نبياً عند أكثر أهل العلم. فإن قلت ظاهر الآيات يدل على أن الخضر كان أعلى شأناً من موسى وكان موسى يظهر التواضع له والتأدب معه. قلت لا يخلو إما أن يكون الخضر من بني إسرائيل أو من غيرهم فإن كان من بني إسرائيل فهو من أمة موسى، ولا جائز أن يكون أحد الأمة أفضل من نبيها أو أعلى شأناً منه، وإن كان من غير بني إسرائيل فقد قال الله تعالى لبني إسرائيل «وإني فضلتكم على العالمين» أي على عالمي زمانكم ﴿قال له موسى هل أتبعك﴾ معناه جئت لأصحبك وأتبعك ﴿على أن تعلمن مما علمت رشداً﴾ أي صواباً وقيل علماً ترشدني به. وفي بعض الأخبار قال الخضر لموسى: كفى بالتوراة علماً وبني إسرائيل شغلاً، فقال له موسى: إن الله أمرني بهذا فحينئذٍ ﴿قال﴾ الخضر لموسى ﴿إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ وإنما قال ذلك لأنه علم أنه يرى أموراً منكرة ولا يجوز للأنبياء الصبر مع المنكرات ثم بين عذره في ترك الصبر فقال ﴿وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً﴾ أي علماً ﴿قال﴾ موسى

فروة بيضاء فإذا هي تهتز تحته خضرا». قال مجاهد: سُمّي خضراً لأنه إذا صلّى اخضرّ ما حوله: وروينا أن موسى رأى الخضر مسجى بثوب فسلّم عليه فقال الخضر وإني بأرضك السلام، قال: أنا موسى أتيتك لتعلّمني مما علمت رشداً. وفي رواية أخرى لقيه مسجى بثوب مستلقياً على قفاه بعض الثوب تحت رأسه وبعضه تحت رجليه. وفي رواية لقيه وهو يصلي. ويُروى لقيه على طنفسة خضراء على كبد البحر.

فذلك قوله تعالى: ﴿ فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة ﴾، أي نعمة، ﴿ من عندنا وعلّمناه من لدنا علماً ﴾، أي علم الباطن إلهاماً ولم يكن الخضر نبياً عند أكثر أهل العلم، يقول جئت لأتبعك.

﴿ قال له موسى هل أتبعك ﴾، وأصحبك، ﴿ على أن تعلمن مما علمت رشداً ﴾، قرأ أبو عمرو ويعقوب: ﴿ رشداً ﴾ بفتح الراء والشين، وقرأ الآخرون بضم الراء وسكون الشين، أي صواباً. وقيل: علماً ترشدني به. وفي بعض الأخبار أنه لما قال له موسى هذا قال له الخضر: كفى بالتوراة علماً وبني إسرائيل شغلاً، فقال له موسى: إن الله أمرني بهذا فحينئذ.

﴿ قال ﴾، له الخضر، ﴿ إنك لن تستطيع معي صبراً ﴾، وإنما قال ذلك لأنه علم أنه يرى أموراً منكرة، ولا يجوز للأنبياء أن يصبروا على المنكرات، ثم بيّن عذره في ترك الصبر.

فقال له: ﴿ وكيف تصبرُ على ما لم تُحطْ به خُبْراً ﴾، أي علماً.

﴿ قال ﴾، موسى، ﴿ ستجدني إن شاء الله صابراً ﴾، إنما استثنى لأنه لم يثق من نفسه بالصبر ﴿ ولا أعصي لك أمراً ﴾، أي لا أخالفك فيما تأمرني.

﴿ قال ﴾، الخضر، ﴿ فإن اتبعتني ﴾، فإن صحبتني ولم يقل اتبعني ولكن جعل الاختيار إليه إلا أنه شرط عليه شرطاً فقال، ﴿ فلا تسألني ﴾، قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر بفتح اللام وتشديد النون، والآخرون بسكون اللام وتخفيف النون، ﴿ عن شيء ﴾ أعمله فيما تنكره وتعترض عليه، ﴿ حتى أحدث لك منه ذكراً ﴾، حتى أبتدأ لك بذكره فأبيّن لك شأنه.

﴿ستجدني إن شاء الله صابراً﴾ إنما استثنى لأنه لم يثق من نفسه بالصبر ﴿ولا أعصي لك أمراً﴾ أي أخالفك فيما تأمرني به قال ﴿فإن اتبعتني﴾ أي فإن صحبتني ولم يقل اتبعني ولكن جعل الاختيار إليه شرط عليه ثم شرطاً فقال ﴿فلا تسألني عن شيء﴾ أي مما أعمله مما تنكره ولا تعترض عليه ﴿حتى أحدث لك منه ذكراً﴾ معناه حتى أبتدأ بذكره فأبين لك شأنه. قوله سبحانه وتعالى ﴿فانطلقا﴾ أي يمشيان على الساحل يطلبان سفينة يركبانها، فوجدا سفينة فركباها فقال أهل السفينة هؤلاء لصوص، وأمروهما بالخروج فقال صاحب السفينة ما هم بلصوص ولكن أرى وجوه الأنبياء. وروينا عن أبي بن كعب عن النبيّ ﷺ «مرت بهم سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول، أي بغير عوض ولا عطاء، فلما لججوا في البحر أخذ الخضر فأسا فخرق لوحاً من ألواح السفينة فذلك» قوله تعالى ﴿حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال﴾ يعني موسى له ﴿أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً﴾ أي أتيت شيئاً عظيماً منكراً. روي أن الخضر لما خرق السفينة لم يدخلها الماء وروي أن موسى لما رأى ذلك أخذ ثوبه فحشا به الخرق.

قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾

﴿قال﴾ العالم وهو الخضر ﴿ألم أقل أنك لن تستطيع معي صبراً قال﴾ يعني موسى ﴿لا تؤاخذني بما نسيت﴾. قال ابن عباس: لم ينس ولكنه من معاريض الكلام فكأنه نسي شيئاً آخر. وقيل معناه بما تركت من عهدك والنسيان

﴿ فانطلقا ﴾، يمشيان على الساحل يطلبان سفينة يركبانها فوجدا سفينة فركباها، فقال أهل السفينة هؤلاء لصوص وأمرهما بالخروج، فقال صاحب السفينة: ما هم بلصوص ولكني أرى وجوه الأنبياء. وروينا عن أُبيّ بن كعب عن النبي ﷺ قال: «مرّت بهم سفينة فكلّموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول، فلما لججوا البحر أخذ الخضر فأساً فخرق لوحاً من السفينة» فذلك قوله: ﴿ حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال ﴾، له موسى، ﴿ أخرقتها لتغرق أهلها ﴾، قرأ حمزة والكسائي: «ليغـرق» بالياء وفتحها وفتح الراء، ﴿ أهلها ﴾ بالرفع على اللزوم، وقرأ الآخرون بالتاء ورفعها وكسر الراء ﴿ أهلها ﴾ بالنصب على أن الفعل للخضر، ﴿ لقد جئتَ شيئاً إمْراً ﴾ أي منكراً، والإمر في كلام العرب الداهية، وأصله كل شيء شديد كثير، يقال: إمر القوم إذا كثروا واشتد أمرهم. وقال القتيبي: ﴿ إمراً ﴾ أي عجباً. ورُوِيَ أن الخضر لما خرق السفينة لم يدخلها الماء. ورُوِيَ أن موسى لمّا رأى ذلك أخذ ثوبه فحشى به الخرق. ورُوِيَ أن الخضر أخذ قدحاً من الزجاج ورقع به خرق السفينة.

﴿ قال ﴾، العالم وهو الخضر، ﴿ ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً ﴾.

﴿ قال ﴾، موسى، ﴿ لا تؤاخذني بما نسيت ﴾، قال ابن عباس: إنه لم ينسَ ولكنه من معاريض الكلام، فكأنه نسي شيئاً آخر. وقيل: معناه بما تركت من عهدك والنسيان الترك. وقال أُبيّ بن كعب عن النبي ﷺ: «كانت الأولى من موسى نسياناً والوسطى شرطاً والثالثة عمداً». ﴿ ولا ترهقني ﴾، ولا تغشني، ﴿ من أمري عسراً ﴾، وقيل: لا تكلفني مشقّة، يقال أرهقته عسراً أي كلّفته ذلك، يقول لا تضيق على أمري وعاملني باليسر ولا تعاملني بالعسر.

الترك وقال أبي بن كعب عن النبي ﷺ «كانت الأولى من موسى نسياناً والثانية شرطاً والثالثة عمداً» ﴿ولا ترهقني﴾ أي لا تغشني ﴿من أمري عسراً﴾ والمعنى لا تعسر علي متابعتك وسيرها بالأغضاء وترك المناقشة وقيل لا تكلفني مشقة ولا تضيق علي أمري. ﴿فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله﴾ في القصة أنهما خرجا من البحر يمشيان فمرا بغلمان، يلعبون فأخذ الخضر غلاماً ظريفاً وضيء الوجه كان وجهه يتوقد حسناً فأضجعه ثم ذبحه بالسكين، وروينا أنه أخذ برأسه فاقتلعه. وروى عبدالرزاق هذا الخبر وفيه أشار بأصابعه الثلاث الإبهام والسبابة والوسطى وقلع رأسه. وروي أنه رضخ رأسه بحجر وقيل ضرب رأسه بالجدار فقتله. قال ابن عباس: كان غلاماً لم يبلغ الحنث ولم يكن نبي الله موسى يقول أقتلت نفساً زاكية، إلا وهو صبي لم يبلغ الحنث، وقيل كان رجلاً وقيل كان اسمه حيسور وقيل كان فتى يقطع الطريق ويأخذ المتاع ويلجأ إلى أبويه. وقيل كان غلاماً يعمل بالفساد ويتأذى منه أبواه. (ق) عن أبي بن كعب قال: قال رسول رسول الله ﷺ «إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً ولو عاش لأرهق أبويه طغياناً وكفراً» لفظ مسلم ﴿قال﴾ يعني موسى ﴿أقتلت نفساً زكية﴾ أي لم تذنب قط وقرىء زكية وهي التي أذنبت ثم تابت ﴿بغير نفس﴾ أي لم تقتل نفساً حتى يجب عليها القتل ﴿لقد جئت شيئاً نكراً﴾ أي منكراً عظيماً، وقيل النكر أعظم من الأمر لأنه حقيقة

﴿ فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله ﴾، في القصة أنهما خرجا من البحر يمشيان فمرّا بغلمان يلعبون فأخذ الخضر غلاماً ظريفاً وضيء الوجه فأضجعه ثم ذبحه بالسكين. قال السدي: كان أحسنهم وجهاً وكان وجهه يتوقّد حُسْناً. وروينا أنه أخذ برأسه فاقتلعه بيده. وروى عبد الرزاق هذا الخبر، وأشار بأصابعه الثلاث الإبهام والسبابة والوسطى، وقلع برأسه. ورُوِيَ أنه رضخ رأسه بالحجارة. وقيل: ضرب رأسه بالجدار فقتله. قال ابن عباس: كان غلاماً لم يبلغ الحنث، وهو قول الأكثرين، قال ابن عباس: لم يكن نبي الله يقول: أقتلت نفساً زكية إلّا وهو صبي لم يبلغ، وقال الحسن: كان رجلاً. وقال شعيب الجبائي: كان اسمه حيسور. قال الكلبي: كان فتى يقطع الطريق ويأخذ المتاع ويلجأ إلى أبويه. وقال الضحاك: كان غلاماً يعمل بالفساد وتأذّى منه أبواه، أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي أنبأنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج أنبأنا عبد الله بن مسلمة بن مغيث ثنا معمر بن سليمان عن أبيه عن رقبة بن مصقلة عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أُبيّ بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ: «إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً ولو عاش لأرهق أبويه طغياناً وكفراً». ﴿ قال ﴾. موسى، ﴿ أقتلتَ نفساً زكيةً ﴾، قرأ ابن كثير ونافع وأبو جعفر وأبو عمرو: «زاكيـة» بالألف، وقرأ الآخرون زكية، قال الكسائي والفراء: معناهما واحد، مثل: القاسية والقسية، وقال أبو عمر بن العلاء: الزاكية التي لم تذنب قطّ، والزكية التي أذنبت ثم تابت، ﴿ بغير نفس ﴾، أي لم تقتل نفساً بشيء وجب به عليها القتل، ﴿ لقد جئتَ شيئاً نكراً ﴾، أي: منكراً. قال قتادة: النكر أعظم من الأمر لأنه حقيقة الهلاك، وفي خرق السفينة كان خوف الهلاك، وقيل: الأمر أعظم لأنه كان فيه تغريق جمع كثير. قرأ نافع وابن عامر ويعقوب وأبو بكر ههنا ﴿ نكراً ﴾ وفي سورة الطلاق [٨] بضم الكاف، والآخرون بسكونها.

﴿ قال ﴾، يعني الخضر: ﴿ ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً ﴾، قيل: زاد هنالك لأنه نقض العهد مرتين، وفي القصة أن يوشع كان يقول لموسى يا نبي الله اذكر العهد الذي أنت عليه.

﴿ قال ﴾، موسى، ﴿ إن سألتك عن شيء بعدها ﴾، بعد هذا المرة، ﴿ فلا تصاحبني ﴾، وفارقني، وقرأ يعقوب: ﴿ فلا تصاحبني ﴾ بغير ألف من الصحبة. ﴿ قد بلغتَ من لدنّي عُذراً ﴾، قرأ أبو جعفر ونافع وأبو بكر ﴿ من لدني ﴾ خفيفة النون، وقرأ الآخرون، بتشديدها، قال ابن عباس: أي قد أعذرتَ فيما بيني وبينك. وقيل:

الهلاك، وفي خرق السفينة خوف الهلاك، وقيل الأمر أعظم لأن فيه تغريق جمع كثير، وقيل معناه لقد جئت شيئاً أنكر من الأول لأن ذاك كان خرقاً يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل إلى تداركه ﴿قال﴾ يعني الخضر ﴿ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ قيل زاد في هذه الآية قوله لك لأنه نقض العهد مرتين، وقيل إن هذه اللفظة توكيد للتوبيخ فعند هذا ﴿قال﴾ موسى ﴿إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني﴾ قيل إن يوشع كان يقول لموسى يا نبي الله اذكر العهد الذي أنت عليه، قال موسى إن سألتك عن شيء بعد هذه المرة فلا تصاحبني، أي فارقني لا تصاحبني ﴿قد بلغت من لدني عذراً﴾ قال ابن عباس: أي قد أعذرت فيما بيني وبينك، وقيل معناه اتضح لك العذر في مفارقتي والمعنى أنه مدحه بهذه الطريقة من حيث أنه احتمله مرتين أولاً وثانياً مع قرب المدة (ق) عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ «رحمة الله علينا وعلى موسى وكان إذا ذكر أحداً من الأنبياء بدأ بنفسه لولا أنه عجل لرأى العجب، ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة فقال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً فلو صبر لرأى العجب» قوله ذمامة هو بذال معجمة أي حياء وإشفاق من الذم واللوم، يقال ذممته ذمامة يعني لمته ملامة ويشهد له قول الخضر هذا فراق بيني وبينك.

قوله سبحانه وتعالى ﴿فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية﴾ قال ابن عباس: يعني أنطاكية وقيل الأيلة وهي أبعد الأرض من السماء وقيل هي بلدة بالأندلس ﴿استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما﴾ قال أبي بن كعب عن النبيّ ﷺ «أتيا أهل قرية لئاماً فطافا في المجلس فاستطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما». وروي أنهما طافا في القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم فلم يضيفوهما. وعن أبي هريرة قال: أطعمتهما امرأة من أهل بربر بعد أن طلبا من الرجال فلم يطعموهما فدعا لنسائهم ولعن رجالهم. وعن قتادة قال: شر القرى التي لا تضيف الضيف ﴿فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض﴾ أي يسقط وهذا من مجاز الكلام لأن الجدار لا إرادة له، وإنما معناه قرب ودنا من السقوط كما تقول

قد حذّرتني أني لا أستطيع معك صبراً. وقيل: اتضح لك العذر في مفارقتي. أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنبأنا عبد الغافر بن محمد أنبأنا محمد بن عيسى ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجّاج ثنا محمد بن عبد علي القيسي ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن رقبة عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أُبيّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «رحمة الله علينا وعلى موسى»، وكان إذا ذكر أحداً من الأنبياء بدأ بنفسه، «لولا أنه عجّل لرأى العجب، ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة، قال: ﴿ إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغتَ من لدني عذراً ﴾ فلو صبر لرأى العجب».

قوله تعالى: ﴿ فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية ﴾، قال ابن عباس: يعني أنطاكيه. وقال ابن سيرين: هي الأيلة وهي أبعد الأرض من السماء. وقيل: برقة. وعن أبي هريرة: بلدة بالأندلس. ﴿ استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما ﴾، قال أُبيّ بن كعب عن النبي ﷺ: حتى إذا أتيا أهل قرية لئاماً فطافا في المجالس فاستطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما. ورُوِيَ أنهما طافا في القرية فاستطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما. ورُوِيَ أنهما طافا في القوم فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافوهم فلم يضيفوهما. قال قتادة: شرّ القرى التي لا تضيف الضيف. ورُوِي عن أبي هريرة قال: أطعمتهما امرأة من أهل بربر بعد أن طلبا من الرجال فلم يطعموهما. فدعوا لنسائهم ولعن رجالهم. قوله تعالى: ﴿ فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض ﴾، أي يسقط، وهذا من مجاز كلام العرب، لأن الجدار لا إرادة له وإنما معناه قَرُبَ ودنا من السقوط، كما تقول العرب: داري تنظر إلى دار فلان إذا كانت تقابلها. ﴿فأقامه﴾، أي سواه. ورُوِيَ عن أُبيّ بن كعب عن النبي ﷺ فقال الخضر بيده فأقامه. وقال سعيد بن جبير: مسح الجدار بيده فاستقام. ورُوِيَ عن ابن عباس: هدمه ثم قعد يبنيه. وقال السدي: بلَّ طيناً وجعل يبني الحائط. ﴿ قال ﴾ موسى

داري تنظر إلى دار فلان إذا كانت تقابلها، فاستعير لها النظر كما أستعير للجدار الإرادة. ﴿فأقامه﴾ أي سواه، وفي حديث أبي بن كعب عن النبيّ ﷺ فقال الخضر بيده هكذا فأقامه وقال ابن عباس: هدمه وقعد يبنيه. ﴿قال﴾ يعني موسى ﴿لو شئت لاتخذت عليه أجراً﴾ يعني على إصلاح الجدار جعلاً والمعنى أنك قد علمت أنا جياع، وأن أهل القرية لم يطعمونا فلو اتخذت على عملك أجراً.

قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾

﴿قال﴾ يعني الخضر ﴿هذا فراق بيني وبينك﴾ يعني هذا وقت فراق بيني وبينك وقيل إن هذا الإنكار على ترك أخذ الأجر هو المفرق بيننا ﴿سأنبئك﴾ أي سوف أخبرك ﴿بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً﴾ وقيل إن موسى أخذ بثوب الخضر وقال أخبرني بمعنى ما عملت قبل أن تفارقني فقال الخضر ﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر﴾ قيل كانت لعشرة إخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر، أي يؤجرونها ويكتسبون بها، وفيه دليل على أن المسكين وإن كان يملك شيئاً لا يزول عنه اسم المسكنة إذا لم يقم ما يملكه بكفايته، وإن حال الفقير في الضر والحاجة أشد من حال المسكين، لأن الله تعالى سماهم مساكين مع أنهم كانوا يملكون تلك السفينة ﴿فأردت أن أعيبها﴾ أي أجعلها ذات عيب ﴿وكان وراءهم ملك﴾ أي أمامهم وقيل خلفهم وكان رجوعهم في طريقهم عليه والأول أصح. ﴿يأخذ كل سفينة غصباً﴾ أي كل سفينة صالحة فخرقتها وعبتها حتى لا يأخذها الملك الغاصب وكان اسمه الجلندي والأزدي وكان كافراً وقيل اسمه هدد بن بدد، روي أن الخضر اعتذر إلى القوم وذكر لهم شأن الملك الغاصب ولم يكونوا يعلمون بخبره وقال أردت إذا هي تمر به أن يدعها لعيبها فإذا جاوزوا أصلحوها وانتفعوا بها. قوله عز وجل ﴿وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا﴾ أي خفنا والخشية خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون عن علم بما يخشى منه، وقيل معناه فعلمنا ﴿أن يرهقهما﴾ أي يغشيهما وقيل يكلفهما ﴿طغياناً وكفراً﴾ قيل معناه فخشينا أن يحملهما حبه على أن يتبعاه على دينه ﴿فأردنا أن يبدلهما ربهما﴾ الإبدال رفع الشيء ووضع آخر مكانه ﴿خيراً منه

﴿ لو شئتَ لاتّخذت عليه أجراً ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب «لتخـذت» بتخفيف التاء وكسر الخاء، وقرأ الآخرون «لتخـذت» بتشديد التاء وفتح الخاء، وهما لغتان مثل اتبع وتبع عليه يعني على إصلاح الجدار، ﴿ أجراً ﴾ يعني جعلاً، معناه: إنك قد علمت وإننا جياع وإن أهل القرية لم يطعمونا فلو أخذت على عملك أجراً.

﴿ قال ﴾ الخضر، ﴿ هذا فراق بيني وبينك ﴾، يعني هذا وقت فراق بيني وبينك. وقيل: هذا الإنكار على ترك الأجْر هو المفرّق بيننا. وقال الزجّاج: معناه هذا فراق بيننا أي فـراق اتصالنـا وكرّر (بيـن) تـأكيداً. ﴿ سأنبئك ﴾، أي سوف أخبرك ﴿ بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً ﴾، وفي بعض التفاسـير أن موسى أخذ بثوبه، فقال: أخبرني بمعنى ما عملت قبل أن تفارقني.

فقال: ﴿ أمّا السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر ﴾، قال كعب: كانت لعشرة إخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر. وفيه دليل على أن المسكين وإن كان يملك شيئاً فلا يزول عنه اسم المسكنة إذ لم يقم

زكاة﴾ أي صلاحاً وتقوى، وقيل هو في مقابلة قوله تعالى «أقتلت نفساً زاكية» فقال الخضر أردنا أن يرزقهما الله خيراً منه زكاة ﴿وأقرب رحماً﴾ أي ويكون المبدل منه أقرب عطفاً ورحمة لأبويه، بأن يبرهما ويشفق عليهما قيل أبدلهما جارية فتزوجها نبي من الأنبياء فولدت له نبياً فهدى الله على يديه أمة من الأمم وقيل ولدت سبعين نبياً، وقيل أبدلهما بغلام مسلم وقيل إن الغلام الذي قتل فرح به أبواه حين ولد وحزن عليه حين قتل ولو بقي لكان فيه هلاكهما، فليرض العبد بقضاء الله تعالى فإن قضاء الله سبحانه وتعالى للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب.

قوله سبحانه وتعالى ﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة﴾ قيل كان اسمهما أصرم وصريم ﴿وكان تحته كنز لهما﴾ روى أبو الدرداء عن النبي ﷺ قال «كان الكنز ذهباً وفضة» أخرجه الترمذي. وقيل كان الكنز صحفاً فيها علم. وقال ابن عباس: كان لوحاً من ذهب مكتوباً فيه عجباً لمن أيقن بالموت كيف يفرح عجباً لمن أيقن بالقدر كيف يغضب، عجباً لمن أيقن بالرزق كيف يتعب عجباً لمن أيقن بالحساب كيف يغفل عجباً لمن أيقن بزوال الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا إله إلا الله محمد رسول الله وفي الجانب الآخر مكتوب أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي خلقت الخير والشر، فطوبى لمن خلقته للخير وأجريته على يديه، والويل لمن خلقته للشر وأجريته على يديه. وقيل الكنز إذا أطلق يراد به المال ومع التقييد يراد به غيره، يقال عند فلان كنز علم وكان هذا اللوح جامعاً لهما ﴿وكان أبوهما صالحاً﴾ قيل إن اسمه كاشح وكان من الأتقياء، قال ابن عباس: حفظا بصلاح أبيهما، وقيل كان بينهما وبين الأب الصالح سبعة آباء، قال محمد بن المنكدر: إن الله سبحانه وتعالى يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده وعشيرته وأهل دويرات حوله، فلا يزالون في حفظ الله ما دام فيهم وقال سعيد بن المسيب: إني لأصلي فأذكر ولدي

ما يملك بكفايته، يعملون في البحر أي يؤاجرون ويكتسبون بها، ﴿ فأردتُ أن أعيبها ﴾، أجعلها ذات عيب، ﴿ وكان وراءهم ﴾، أي أمامهم، ﴿ ملِكٌ ﴾ كقوله: ﴿ من ورائه جهنم ﴾ [إبراهيم: ١٦]، وقيل: وراءهم خلفهم، وكان رجوعهم في طريقهم عليه، والأول أصحّ يدلّ عليه قراءة ابن عباس وكان أمامهم ملك، ﴿ يأخذ كلَّ سفينة غصباً ﴾، أي كل سفينة صالحة غصباً وكان ابن عباس يقرأ كذلك فخرقها وعيّبها الخضر حتى لا يأخذها الملك الغاصب، وكان اسمه الجلندي وكان كافراً. قال محمد بن إسحاق اسمه متوله بن جلندي الأزدي. وقال شعيب الجبائي اسمه هدد بن بدد. ورُوِيَ أن الخضر اعتذر إلى القوم وذكر لهم شأن الغاصب، ولم يكونوا يعلمون بخبره، وقال: أردت إذا هي مرّت به أن يدعها لعيبها فإذا جاوزه أصلحوها فانتفعوا بها قيل: سدّوها بقارورة. وقيل: بالقار.

قوله تعالى: ﴿ وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا ﴾، أي فعلمنا، وفي قراءة ابن عباس وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين فخشينا، أي فعلمنا، ﴿ أنْ يرهقهما ﴾، يغشيهما، وقال الكلبي: يكلّفهما، ﴿ طغياناً وكفراً ﴾، قال سعيد بن جبير: فخشينا أن يحملهما حبه على أن يتابعاه على دينه.

﴿فأردنا أن يُبدلهما﴾، قرأ أبو جعفر ونافع وأبو عمر بالتشديد ههنا وفي سورة التحريم [٥] والقلم [٣٢]، وقرأ الآخرون بالتخفيف، وهما لغتان، وفرّق بعضهم فقال: التبديل تغيير الشيء أو تغيير حاله وعين الشيء قائم والإبدال رفع الشيء ووضع شيء آخر مكانه، ﴿ربّهما خيراً منه زكاة﴾، أي صلاحاً وتقوىً، ﴿وأقرب رُحْماً﴾، قرأ ابن عامر وأبو جعفر ويعقوب بضم الحاء والباقون بجزمهما أي: عطفاً من الرحمة. وقيل: هو من الرحم والقرابة قال قتادة أي أوصل للرحم وأبرّ بوالديه. قال الكلبي: أبدلهما الله جارية فتزوجها نبي من الأنبياء فولدت له نبياً فهدى الله على يديه أمة من الأمم. وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال: أبدلهما الله جارية ولدت سبعين نبيّاً. وقال ابن جريج:

فأزيد في صلاتي. ﴿فأراد ربك أن يبلغا أشدهما﴾ أي يدركا ويعقلا قوتهما، وهو البلوغ وقيل ثمان عشرة سنة. فإن قلت كيف قال في الأولى فأردت وفي الثانية فأردنا وفي الثالثة فأراد ربك وما وجه كل واحدة في هذه الألفاظ. قلت إنه لما ذكر العيب أضافه إلى نفسه على سبيل الأدب مع الله تعالى، فقال فأردت أن أعيبها ولما ذكر القتل عبر عن نفسه بلفظ الجمع تنبيهاً على أنه من العلماء العظماء في علم الباطن وعلوم الحكمة، وأنه لم يقدم على مثل هذا القتل إلا بحكمة عالية، ولما ذكر رعاية المصالح في مال اليتيمين لأجل صلاح أبيهما أضافه إلى الله سبحانه وتعالى لأن حفظ الأبناء وصلاح أحوالهم لرعاية حق الآباء ليس إلا لله سبحانه وتعالى، فلأجل ذلك أضافه إلى الله تعالى ﴿ويستخرجا كنزهما﴾ يعني إذا بلغا وعقلا وقويا ﴿رحمة من ربك﴾ أي نعمة من ربك ﴿وما فعلته عن أمري﴾ أي باختياري ورأيي بل فعلته بأمر الله وإلهامه إياي لأن تنقيص أموال الناس وإراقة دمائهم وتغيير أصولهم، لا يكون إلا بالنص وأمر الله تعالى. واستدل بعضهم بقوله سبحانه وتعالى وما فعلته عن أمري على أنه الخضر كان نبياً لأن هذا يدل على الوحي وذلك للأنبياء، والصحيح أنه ولي لله وليس بنبي. وأجيب عن قوله سبحانه وتعالى وما فعلته عن أمري إنه إلهام من الله سبحانه وتعالى له بذلك، وهذه درجة الأولياء. وقيل معناه إنما فعلت هذه الأفعال لغرض أن تظهر رحمة الله لأنها بأسرها ترجع إلى معنى واحد وهو تحمل الضرر الأدنى لدفع الضرر الأعلى.

﴿ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً﴾ أي لم تطق أن تصبر عليه. روي أن موسى عليه السلام لما أراد أن يفارق الخضر قال: أوصني قال: لا تطلب العلم لتحدث به واطلب العلم لتعمل به. واختلف العلماء في أن الخضر حي أم ميت فقيل إنه حي وهو قول الأكثرين من العلماء وهو متفق عليه عند مشايخ الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة

أبدلهما بغلام مسلم. قال مطرف: فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل. ولو بقي لكان فيه هلاكهما، فليرضَ أمرؤٌ بقضاء الله تعالى، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب.

قوله تعالى: ﴿ وأمّا الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة ﴾، وكان اسمهما أصرم وصريم، ﴿ وكان تحته كنز لهما ﴾، اختلفوا في ذلك الكنز، رُوِيَ عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: «كان ذهباً وفضة». وقال عكرمة: كان مالاً. وعن سعيد بن جبير: كان الكنز صحفاً فيها علم. وعن ابن عباس: أنه قال كان لوحاً من ذهب مكتوباً فيه عجباً لمَن أيقن بالموت كيف يفرح، عجباً لمَن أيقن بالحساب كيف يغفل، عجباً لمَن أيقن بالرزق كيف يتعب، عجباً لمَن أيقن بالقدر كيف ينصب، عجباً لمَن أيقن بزوال الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها، لا إلّه إلاّ الله محمد رسول الله. وفي الجانب الآخر مكتوب أنا الله لا إلّه إلاّ أنا وحدي لا شريك لي خلقت الخير والشر، فطوبى لمَن خلقته للخير وأجريته على يديه، وهذا قول أكثر المفسرين. ورُوِيَ ذلك مرفوعاً. قال الزجّاج: الكنز إذا أطلق ينصرف إلى كنز المال ويجوز عند التقييد أن يقال عنده كنـز علم، وهذا اللوح كان جامعاً لهما. ﴿ وكان أبوهما صالحاً ﴾، قيل: كان اسمه كاشح وكان من الأتقياء. قال ابن عباس: حُفظاً بصلاح أبيهما، وقيل: كان بينهما وبين الأب الصالح سبعة آباء، قال محمد بن المنكدر: إن الله يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده، وعترته وعشيرته وأهل دويرات حوله، فما يزالون في حفظ الله ما دام فيهم. قال سعيد بن المسيب: إني لأصلّي فأذكر ولدي فأزيد في صلاتي. قوله عزّ وجلّ: ﴿ فأراد ربك أن يبلغا أشدّهما ﴾، أي يبلغا ويعقلا. وقيل: أن يدركا شدّتهما وقوتهما. وقيل: ثمان عشرة سنة، ﴿ ويستخرجا ﴾ حينئذ ﴿ كنزهما رحمةً ﴾، نعمة، ﴿ من ربك وما فعلته عن أمري ﴾، أي باختياري ورأيي، بل فعلته بأمر الله وإلهامه، ﴿ وذلك تأويل ما لم تسطعْ عليه صبراً ﴾، أي لم تطق عليه صبراً، واستطاع واسطاع بمعنى واحد، رُوِيَ أن موسى لمّا أراد أن يفارقه قال له: أوصني، قال: لا تطلب العلم لتحدّث به واطلبه لتعمل به. واختلفوا في أن الخضر حيّ أم ميت؟ قيل: إن الخضر وإلياس حيّان يلتقيان كل سنة

والحكايات في رؤيته والاجتماع به، ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن تحصر، قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح في فتاواه: هو حي عند جماهير العلماء والصالحين والعامة. هذا آخر كلامه، وقيل إن الخضر وإلياس حيان يلتقيان كل سنة بالموسم وكان السبب في حياة الخضر فيما حكي أنه شرب من عين الحياة وذلك أن ذو القرنين دخل الظلمة لطلب عين الحياة، وكان الخضر على مقدمته فوقع الخضر على العين فاغتسل وشرب منها وصلى شكراً لله تعالى وأخطأ ذو القرنين الطريق، فرجع وذهب آخرون إلى أنه ميت لقوله سبحانه وتعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد وقال النبيّ ﷺ بعدما صلى العشاء ليلة «أرأيتكم ليلتكم هذه فإن على رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد ولو كان الخضر حياً لكان لا يعيش بعده».

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾

وقوله عز وجل ﴿ويسألونك عن ذي القرنين﴾ قيل اسمه مرزبان بن مرزبة اليوناني من ولد يونان بن يافث بن نوح وقيل اسمه الاسكندر بن فيلفوس كذا صح الرومي، وكان ولد عجوز ليس لها ولد غيره ونقل الإمام فخرالدين في تفسيره عن أبي الريحان السروري المنجم في كتابه المسمى بالآثار الباقية عن القرون الخالية أنه من حمير واسمه أبو كرب سمي ابن عير بن أبي أفريقيس الحميري وهو الذي افتخر به أحد شعراء حمير حيث يقول:

قد كان ذو القرنين جدي مسلماً ملكاً علا في الأرض غير مفند
بلغ المشارق والمغارب يبتغي أسباب ملك من كريم مرشد
فرأى مآب الشمس عند غروبها في عين ذي خلب وثأطة حرمد

قوله فرأى مآب الشمس، أي ذهاب الشمس وقوله في عين ذي خلب أي حمأة، والثأطة الحمأة أيضاً والجمع

بالموسم. وقيل: ميت وكان سبب حياته فيما يحكى أنه شرب من عين الحياة، وذلك أن ذا القرنين دخل الظلمات لطلب عين الحياة. وكان الخضر على مقدمته، فوقع الخضر على العين فنزل واغتسل وشرب وصلّى شكراً لله عزّ وجلّ، وأخطأ ذو القرنين الطريق فعاد. وذهب آخرون إلى أنه ميت لقوله تعالى: ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، وقال النبي ﷺ بعدما صلّى العشاء ليلة: «أرأيتكم ليلتكم هذه فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممّن هو اليوم حيّ على ظهر الأرض أحد، ولو كان الخضر حيّاً لكان لا يعيش بعده».

قوله تعالى: ﴿ ويسألونك عن ذي القرنين قلْ سأتلوا عليكم منه ذكراً ﴾، خبراً، واختلفوا في نبوّته فقال بعضهم: كان نبيّاً، وقال أبو الطفيل سُئِلَ عليّ رضي الله عنه عن ذي القرنين أكان نبيّاً أم ملكاً، قال: لم يكن نبيّاً ولا ملكاً ولكن كان عبداً أحبّ الله وأحبّه الله ناصح الله فناصحه الله. ورُوِيَ أن عمر رضي الله عنه سمع رجلاً يقول لآخر: يا ذا القرنين فقال سمّيتم بأسماء النبيّين فلم ترضوا حتى تسمّيتم بأسماء الملائكة. والأكثرون على أنه كان ملكاً عادلاً صالحاً. واختلفوا في سبب تسميته بذي القرنين، قال الزهري: لأنه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها. وقيل: لأنه كان ملك الروم وفارس. وقيل: لأنه دخل النور والظلمة. وقيل لأنه رأى في المنام كأنه أخذ بقرني

ثأط والحرمد الطين الأسود. وقيل سمي ذا القرنين لأنه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها، وقيل لأنه ملك فارس والروم وقيل لأنه دخل النور والظلمة، وقيل لأنه رأى في المنام كأنه أخذ بقرني الشمس وقيل لأنه كان له ذؤابتان حسنتان، وقيل كان له قرنان تورايهما العمامة، وروي عن علي أنه أمر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه الأيمن فمات فأحياه الله ثم بعثه فأمرهم بتقوى الله فضربوه على قرنه الأيسر فمات فأحياه الله. واختلفوا في نبوته فقيل كان نبياً ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى قلنا يا ذا القرنين وخطاب الله لا يكون إلا مع الأنبياء وقيل لم يكن نبياً. قال أبو الطفيل: سئل علي عن ذي القرنين أكان نبياً فقال: لم يكن نبياً ولا ملكاً ولكن كان عبداً أحب الله فأحبه الله وناصح الله، فناصحه الله. وروي أن عمر سمع رجلاً يقول لآخر يا ذا القرنين فقال تسميتم بأسماء الأنبياء، فلم ترضوا حتى تسميتم بأسماء الملائكة والأصح الذي عليه الأكثرون أنه كان ملكاً صالحاً عادلاً وأنه بلغ أقصى المغرب والمشرق والشمال والجنوب وهذا هو القدر المعمور من الأرض، وذلك أنه لما مات أبوه جمع ملك الروم بعد أن دان له طوائف ثم مضى إلى ملوك العرب وقهرهم، ومضى حتى انتهى إلى البحر الأخضر، ثم رجع إلى مصر وبنى الإسكندرية، وسماها باسمه ثم دخل الشام وقصد بيت المقدس وقرب فيه القربان، ثم انعطف إلى أرمينية وبوب الأبواب وبنى السد ودانت له ملوك العراق والنبط والبربر. واستولى على ممالك الفرس ثم مضى إلى الهند والصين وغزا الأمم البعيدة ثم رجع إلى العراق ومرض بشهرزور ومات بها وحمل إلى حيث هو مدفون وقيل إن عمره كان ألفاً وثلاثين سنة ومثل هذا الملك البسيط الذي هو على خلاف العادات وجب أن يبقى ذكره مخلداً على وجه الأرض فذلك قوله سبحانه وتعالى **﴿ويسألونك**

الشمس. وقيل: لأنه كانت له ذؤابتان حسنتان. وقيل: لأنه كان له قرنان تواريهما العمامة. وروى أبو الطفيل عن عليّ أنه قال: سُمّي ذا القرنين لأنه أمر قومه بتقوى الله، فضربوه على قرنه الأيمن فمات فبعثه الله، ثم أمرهم بتقوى الله فضربوه على قرنه الأيسر فمات، فأحياه الله، واختلفوا في اسمه قيل: اسمه مرزبان بن مرزبة اليوناني من ولد يونان بن يافث بن نوح. وقيل: اسمه الإسكندر بن فيلفوس بن ياملوس الرومي.

قوله عزّ وجلّ: **﴿إنّا مكنّا له في الأرض﴾**، أوطأنا، والتمكين: تمهيد الأسباب. وقال علي: سخّر له السحاب فحمله عليها، ومدّ له في الأسباب وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء، فهذا معنى تمكّنه في الأرض، وهو أنه سهّل عليه السير فيها وذلّل له طُرقَها. **﴿وآتيناه من كل شيء﴾** أي: من كل شيء يحتاج إليه الخلق. وقيل: من كل ما يستعين به الملوك على فتح المدن ومحاربة الأعداء، **﴿سبباً﴾**، أي: علماً يتسبب به إلى كل ما يريد، ويسير به في أقطار الأرض، والسبب: ما يوصل به إلى الشيء. وقال الحسن: بلاغاً إلى حيث أراد. وقيل: قربنا إليه أقطار الأرض.

﴿فأتبع سبباً﴾، أي: سلك وسار طريقاً، قرأ أهل الحجاز والبصرة فاتبع ثم اتبع موصولاً مشدداً، وقرأ الآخرون بقطع الألف وجزم التاء: وقيل: معناهما واحد، والصحيح الفرق بينهما فمَن قطع الألف فمعناه أدرك ولحق، مَن قرأ بالتشديد فمعناه سار، يقال: ما زلت أتبعه حتى اتّبعته أي: ما زلت أسير خلفه حتى لحقته. وقوله: سبباً أي طريقاً. وقال ابن عباس: منزلاً.

﴿حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة﴾، قرأ أبو جعفر وأبو عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر «حـامية» بالألف غير مهموزة، أي حارّة، وقرأ الآخرون «حمئـة» مهموزاً بغير الألف أي ذات حماة، وهي الطينة السوداء، وسأل معاوية كعباً كيف تجد في التوراة أن تغرب الشمس؟ قال: نجد في التوراة أنها تغرب في ماء وطين. قال القتيبي: يجوز أن يكون معنى قوله: **﴿في عين حمئة﴾** أي عندها عين حمئة أو في رأي العين.

عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكراً﴾ أي خبراً يتضمن حاله. قوله سبحانه وتعالى ﴿إنا مكنا له في الأرض﴾ أي وطأنا له والتمكين تمهيد الأسباب، قال علي سخر الله له السحاب فحمل عليه ومد له في الأسباب، وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه السير في الأرض وذلل له طريقها. ﴿وآتيناه من كل شيء﴾ ما يحتاج إليه الخلق وكل ما يستعين به الملوك على فتح المدن ومحاربة الأعداء ﴿سبباً﴾ أي علماً يتسبب به إلى كل ما يريده ويسير به في أقطار الأرض وقيل بلاغاً إلى حيث أراد، وقيل قربنا له أقطار الأرض ﴿فأتبع سبباً﴾ أي سلك طريقاً ﴿حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة﴾ أي ذات حماة وهي الطينة السوداء، وقرىء حامية أي حارة، وسأل معاوية كعباً: كيف تجد في التوراة تغرب الشمس وأين تغرب؟ قال: نجد في التوراة أنها تغرب في ماء وطين. وقيل يجوز أن يكون معنى في عين حمئة أي عندها عين حمئة، أو في رأي العين، وذلك أنه بلغ موضعاً من المغرب لم يبق بعده شيء من العمران فوجد الشمس كأنها تغرب في وهدة مظلمة. كما أن راكب البحر يرى أن الشمس كأنها تغيب في البحر ﴿ووجد عندها قوماً﴾ أي عند العين أمة، قال ابن جريج: مدينة لها اثنا عشر ألف باب يقال إنها الجاسوس واسمها بالسريانية حريحسا سكنها قوم من نسل ثمود الذين آمنوا بصالح لولا ضجيج أهلها، لسمع الناس وجبة الشمس حين تجب أي تغيب ﴿قلنا يا ذا القرنين﴾ يستدل بهذا من يزعم أنه كان نبياً فإن الله خاطبه ومن قال إنه لم يكن نبياً قال المراد منه الإلهام وقيل يحتمل أن يكون الخطاب على لسان غيره ﴿إما أن تعذب﴾ يعني تقتل من لم يدخل في الإسلام.

﴿وإما أن تتخذ فيهم حسناً﴾ يعني تعفو وتصفح وقيل تأسرهم فتعلمهم الهدى، خيره الله سبحانه وتعالى بين الأمرين ﴿قال أما من ظلم﴾ أي كفر ﴿فسوف نعذبه﴾ أي نقتله ﴿ثم يرد إلى ربه﴾ أي في الآخرة ﴿فيعذبه عذاباً نكراً﴾ أي منكراً يعني بالنار لأنها أنكر من القتل ﴿وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى﴾ أي جزاء أعماله الصالحة ﴿وسنقول له من أمرنا يسراً﴾ أي نلين له القول ونعامله باليسر من أمرنا ﴿ثم أتبع سبباً﴾ أي سلك طريقاً ومنازل ﴿حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً﴾ قيل إنهم كانوا في مكان ليس بينهم وبين

﴿ ووجد عندها قوماً ﴾، أي عند العين أمة قال ابن جريج مدينة لها اثنا عشر ألف باب، لولا ضجيج أهلها لسمعت وجبة الشمس حين تجب. ﴿ قلنا يا ذا القرنين ﴾، يستدلّ بهذا مَن زعم أنه كان نبيًّا فإن الله تعالى خاطبه، والأصح أنه لم يكن نبياً والمراد منه الإلهام، ﴿أمّا أن تعذب﴾، يعني إمّا أن تقتلهم إن لم يدخلوا في الإسلام، ﴿ وإمّا أن تتخذ فيهم حسناً ﴾، يعني تعفو وتصفح. وقيل: تأسرهم فتعلّمهم الهدى، خيّره اللّهُ بين الأمرين.

﴿ قال أمّا مَن ظلم ﴾، كفر، ﴿ فسوف نعذبه ﴾، أي: نقتله، ﴿ ثم يردّ إلى ربه ﴾، في الآخرة ﴿ فيعذبه عذاباً نكراً ﴾ أي: منكراً يعني بالنار، والنار أنكر من القتل.

﴿ وأما مَن آمن وعمل صالحاً فله جزاءً الحسنى ﴾، قرأ حمزة والكسائي وأبو جعفر ويعقوب ﴿ جزاء ﴾ منصوباً منوّناً أي: فله الحسنى ﴿ جزاء ﴾ نصب على المصدر، وقرأ الآخرون بالرفع على الإضافة، والحسنى الجنة وإضافة الحُسن إليها كما قال: ﴿ ولدار الآخرة خيرٌ ﴾ [يوسف: ١٠٩، والنحل: ٣٠]، والدار هي الآخرة. وقيل: المراد بالحسنى على هذه القراءة الأعمال الصالحة. أي له جزاءُ الأعمال الصالحة. ﴿ وسنقول له من أمرنا يُسراً ﴾، أي نلين له القول ونعامله باليسر من أمرنا. وقال مجاهد: يسراً أي معروفاً.

﴿ ثم أتبع سبباً ﴾، أي سلك طرقاً ومنازل.

﴿ حتى إذا بلغَ مَطْلعَ الشمس ﴾، أي موضع طلوعها، ﴿ وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها

الشمس ستر من جبل ولا شجر ولا يستقر عليهم بناء، فإذا طلعت الشمس دخلوا في أسراب لهم تحت الأرض، فإذا زالت الشمس عنهم خرجوا إلى معايشهم وحروثهم. وقيل إنهم كانوا إذا طلعت الشمس نزلوا في الماء فإذا ارتفعت عنهم خرجوا فرعوا كالبهائم، وقيل هم قوم عراة يفترش أحدهم إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى، وقيل إنهم قوم من نسل مؤمني قوم هود واسم مدينتهم جابلق واسمها بالسريانية مرقيسيا وهم مجاورون يأجوج ومأجوج. قوله سبحانه وتعالى ﴿كذلك﴾ أي كما بلغ مغرب الشمس كذلك بلغ مطلعها، وقيل معناه أنه حكم في القوم الذين هم عند مطلع الشمس كما حكم في القوم الذين عند مغربها وهو الأصح.

﴿وقد أحطنا بما لديه خبراً﴾ أي علماً بما عنده ومن معه من الجند والعدة وآلات الحرب، وقيل معناه وقد علمنا حين ملكناه ما عنده من الصلاحية بذلك الملك والاستقلال به والقيام بأمره. قوله عز وجل:

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾

﴿ثم أتبع سبباً حتى إذا بلغ بين السدين﴾ هما هنا جبلان في ناحية الشمال في منقطع أرض الترك حكي أن الواثق بعث بعض من يثق به من أتباعه إليه ليعاينوه، فخرجوا من باب من الأبواب حتى وصلوا إليه وشاهدوه فوصفوا أنه بناء من لبن حديد مشدود بالنحاس المذاب وعليه باب مقفل ﴿وجد من دونهما قوماً﴾ أي أمام السدين قيل هم الترك ﴿لا يكادون يفقهون قولاً﴾ قال ابن عباس: لا يفهمون كلام أحد ولا يفهم الناس كلامهم ﴿قالوا يا ذا القرنين﴾ فإن قلت كيف أثبت لهم القول وهم لا يفهمون. قلت تكلم عنهم مترجم ممن هو مجاورهم ويفهم كلامهم، وقيل معناه لا

ستراً﴾، قال قتادة والحسن: لم يكن بينهم وبين الشمس ستر، وذلك أنهم كانوا في مكان لا يستقر عليه بناء، فكانوا يكونون في أسراب لهم حتى إذا زالت الشمس عنهم خرجوا إلى معايشهم وحروثهم. وقال الحسن: كانوا إذا طلعت الشمس يدخلون الماء، فإذا ارتفعت عنهم خرجوا فرعوا كالبهائم. وقال الكلبي: هم قوم عراة يفترش أحدهم إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ كذلك ﴾، قيل: معناه كما بلغ مغرب الشمس كذلك بلغ مطلعها، والصحيح أن معناه كما حكم في القوم الذين هم عند غروب الشمس كذلك حكم في الذين هم عند طلوع الشمس، ﴿ وقد أحطنا بما لديه خُبراً ﴾، يعني بما عنده ومعه من الجند والعدّة والآلات خبراً أي علماً.

﴿ ثم أتبعَ سبباً ﴾.

﴿ حتى إذا بلغ بين السدين ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص ﴿ السدّين ﴾ و«سـدّاً» ههنا بفتح السين وافق حمزة والكسائي في «سـدّاً» وقرأ الآخرون بضم السين وفي يّس [٩] ﴿ سدّاً ﴾ بالفتح حمزة وحفص، وقرأ الباقون بالضم، منهم مَن قال هما لغتان معناهما واحد. وقال عكرمة: ما كان من صنعة بني آدم فهو السدّ بالفتح، وما كان من صنع الله فهو سدّ بالضم. وقاله أبو عمرو. وقيل: السدّ بالفتح مصدر وبالضم اسم، وهما هنا جبلان سدد، والقرنين ما بينهما حاجزاً بين يأجوج ومأجوج ومن ورائهم. ﴿ وجد من دونهما قوماً ﴾ يعني: أمام السدّين. ﴿ لا يكادون يفقهون قولاً ﴾، قرأ حمزة والكسائي يفقهون بضم الياء وكسر القاف على معنى لا يفهمون غيرهم قولاً، وقرأ الآخرون بفتح الياء والقاف، أي لا يفهمون كلام غيرهم، قال ابن عباس: لا يفهمون كلام أحد ولا يفهم الناس كلامهم.

يكادون يفقهون قولاً إلا بجهد ومشقة من إشارة ونحوها كما يفهم الخرس ﴿إن يأجوج ومأجوج﴾ أصلهما من أجيج النار وهو ضوؤها وشررها شبهوا به لكثرتهم وشدتهم، وهم من أولاد يافت بن نوح والترك منهم قيل إن طائفة منهم خرجت تغير فضرب ذو القرنين السد فبقوا خارجه فسموا الترك لذلك لأنهم تركوا خارجين. قال أهل التواريخ: أولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافت فسام أبو العرب والعجم والروم وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة ويافث أبو الترك والخزر والصقالبة ويأجوج ومأجوج قال ابن عباس «هم عشرة أجزاء وولد آدم كلهم جزء» وروى حذيفة مرفوعاً «أن يأجوج ومأجوج أمة، وكل أمة أربعة آلاف أمة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر ألف ذكر من صلبه قد حمل السلاح، وهم من ولد آدم يسيرون إلى خراب الدنيا، وقال هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الأرز شجر بالشام طوله عشرون ومائة ذراع في السماء، وصنف منهم عرضه وطوله سواء عشرون ومائة ذراع وهؤلاء لا يقوم لهم جبل ولا حديد، وصنف منهم يفترش أحدهم أذنه ويلتحف بالأخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير إلا أكلوه ومن مات منهم أكلوه، مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية.

وعن علي: منهم من طوله شبر، ومنهم من هو مفرط في الطول. وقال كعب: هم نادرة في ولد آدم وذلك أن آدم احتلم[1] ذات يوم، وامتزجت نطفته بالتراب، فخلق الله من ذلك الماء يأجوج ومأجوج فهم متصلون بنا من جهة

﴿ قالوا يا ذا القرنين ﴾ فإن قيل: كيف قالوا ذلك وهم لا يفهمون؟ قيل: كلم عنهم مترجم، دليله قراءة ابن مسعود: لا يكادون يفقهون قولاً قال الذيـن من دونهم يا ذا القرنين. ﴿ إن يأجوج ومأجوج ﴾، قرأهما عاصم مهموزين، والآخرون بغير همز، وهما لغتان أصلهما من أجيج النار، وهو ضوؤها وشررها، شبّهوا به لكثرتهم وشدّتهم، وقيل: بالهمزة من أجيج النار ويترك الهمز اثنان أعجميان، مثل هاروت وماروت، وهم من أولاد يافث بن نوح. قال الضحاك: هم جيل من الترك. قال السدي: الترك سريّة من يأجوج ومأجوج، خرجت فضرب ذو القرنين السدّ، فبقيت خارجه، فجميع الترك منهم. وعن قتادة: أنهم اثنان وعشرون قبيلة، بنى ذو القرنين السدّ على إحدى وعشرين قبيلة فبقيت قبيلة واحدة فهم الترك، سمّوا الترك لأنهم تُركوا خارجين. قال أهل التواريخ: أولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافث، فسام أبو العرب والعجم والروم، وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة، ويافث أبو الترك والخزر والصقالبة، ويأجوج ومأجوج قال ابن عباس في رواية عطاء: هم عشرة أجزاء وولد آدم كلهم جزء. رُوِيَ عن حذيفة مرفوعاً: إن يأجوج ومأجوج أمة، كل أمة أربعة آلاف أمة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه، كلهم قد حمل السلاح وهم من ولد آدم، يسيرون إلى خراب الدنيا. وقيل: هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الأرز شجر بالشام طوله عشرون ومائة ذراع في السماء وصنف منهم عرضه وطوله سواء عشرون ومائة ذراع في السماء، وهؤلاء لا يقوم لهم جبل ولا حديد، وصنف منهم يفترش أحدهم أذنه ويلتحف الأخرى لا يمرّون بفيل ولا وحش ولا خنزير ولا كلب إلاّ أكلوه، ومَن مات منهم أكلوه، مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان، يشربون أنهار المشارق وبحيرة طبرية. وعن علي أنه قال: منهم مَن طوله شبر، ومنهم مَن هو مفرط في الطول. وقال كعب: هم نادرة ولد آدم وذلك أن آدم احتلم ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب، فخلق الله من ذلك الماء يأجوج ومأجوج فهم يتصلون بنا من جهة الأب دون الأم. وذكر وهب بن منبّه: أن ذا القرنين كان رجلاً من الروم ابن عجوز، فلما بلغ كان عبداً صالحاً. قال الله له: إني باعثك إلى أُمم مختلفة ألسنتهم، منهم أُمتان بينهما طول الأرض إحداهما عند مغرب الشمس، يقال لها ناسك، والأخرى عند مطلعها، يقال لها منسك، وأُمتان بينهما عرض الأرض إحداهما في القطر الأيمن يقال لها هويل، والأخرى في قطر الأرض الأيسر يقال لها تاويل، وأُمم في وسط الأرض منهم الجن والإنس

---

(١) قوله احتلم، هذا مردود فإن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من الشيطان، والاحتلام من الشيطان اهـ من هامش.

الأب دون الأم، وذكر وهب بن منبه أن ذا القرنين كان رجلاً من الروم ابن عجوز. فلما بلغ كان عبداً صالحاً قال الله سبحانه وتعالى إني باعثك إلى أمم مختلفة ألسنتهم منهم أمتان بينهما طول الأرض إحداهما عند مغرب الشمس. يقال له ناسك، والأخرى عند مطلعها يقال لها منسك وأمتان بينهما عرض الأرض احداهما في القطر الأيمن يقال لها هاويل، والأخرى في قطر الأرض الأيسر يقال لها تأويل، وأمم في وسط الأرض منهم الجن والإنس ويأجوج ومأجوج. فقال ذو القرنين بأي قوة أكابدهم وبأي جمع أكاثرهم وبأي لسان أناطقهم؟ فقال الله تعالى إني سأقويك وأبسط لسانك وأشد عضدك فلا يهولنك شيء، وألبسك الهيبة فلا يروعك شيء، وأسخر لك النور والظلمة وأجعلهما من جنودك، فالنور يهديك من أمامك والظلمة تحوطك من ورائك. فانطلق حتى أتى مغرب الشمس، فوجد جمعاً وعدداً لا يحصيهم إلا الله تعالى فكاثرهم بالظلمة حتى جمعهم في مكان واحد، فدعاهم إلى الله تعالى وعبادته فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه، فعمد إلى الذين تولوا عنه فأدخل عليهم الظلمة فدخلت أجوافهم وبيوتهم فدخلوا في دعوته، فجند من أهل المغرب جنداً عظيماً وانطلق يقودهم والظلمة تسوقهم، حتى أتى هاويل ففعل فيهم كفعله في ناسك ثم مضى حتى أتى منسك ففعل فيهم كفعله في الأمتين، وجند منهم جنداً عظيماً ثم أخذ ناحية اليسرى فأتى تأويل ففعل بهم كفعله فيما قبلها ثم عمد إلى الأمم التي في وسط الأرض. فلما كان فيما يلي منقطع الترك مما يلي المشرق قالت له أمة صالحة من الإنس: يا ذا القرنين إن بين هذين الجبلين خلقاً أشباه البهائم يفترسون الدواب والوحوش والسباع ويأكلون الحيات والعقارب وكل ذي روح خلق في الأرض، وليس يزداد خلق كزيادتهم فلا شك أنهم يتملكون الأرض ويظهرون عليها ويفسدون فيها فهل نجعل لك خرجاً، على أن تجعل بيننا وبينهم سداً؟ قال: «ما مكّنيّ فيه ربي خير» وقال أعدو إلى الصخور والحديد والنحاس حتى أعلم علمهم.

ويأجوج ومأجوج، فقال ذو القرنين: يا رب بأيّ قوة أُكابرهم وبأي جمع أُكاثرهم وبأيّ لسان أُناطقهم؟ قال الله عزّ وجلّ: إني سأقوّيك وأبسط لك لسانك وأشدّ عضدك فلا يهولنّك شيء، وألبسك الهيبة فلا يروعك شيء، وأسخر لك النور والظلمة وأجعلهما من جنودك، يهديك النور من أمامك وتحوطك الظلمة من ورائك، فانطلق، حتى أتى مغرب الشمس فوجد جمعاً وعدداً لا يحصيه إلّا الله، فكابرهم بالظلمة حتى جمعهم في مكان واحد، فدعاهم إلى الله وإلى عبادته، فمنهم مَن آمن به ومنهم مَن صدّ عنه، فعمد إلى الذين تولّوا عنه فأدخل عليهم الظلم فدخلت في أجوافهم وبيوتهم فدخلوا في دعوته، فجنّد من أهل المغرب جنداً عظيماً فانطلق يقودهم والظلمة تسوقهم حتى أتى هويل فعمل فيهم كعمله في ناسك، ثم مضى حتى انتهى إلى منسك عند مطلع الشمس، فعمل فيها وجنّد فيها جنوداً كفعله في الأمتين، ثم أخذ ناحية الأرض اليسرى فأتى تاويل فعمل فيها كعمله، ثم عمد إلى الأمم التي في وسط الأرض، فلما دنا مما يلي منقطع الترك نحو المشرق قالت له أمة صالحة من الإنس: يا ذا القرنين إن بين هذين الجبلين خلقاً أشباه البهائم يفترسون الدواب والوحوش، لهم أنياب وأضراس كالسِّباع، يأكلون الحيّات والعقارب، وكل ذي روح، خلق في الأرض وليس يزداد خلق كزيادتهم، ولا شك أنهم سيملؤون الأرض ويظهرون علينا ويفسدون فيها، فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سدّاً، قال ما مكّنّي فيه ربي خير، قال: أعدّوا إلي الصخرة والحديد والنحاس حتى أعلم علمهم، فانطلق حتى توسط بلادهم فوجدهم على مقدار واحد يبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منّا، لهم مخاليب كالأظفار في أيدينا وأنياب وأضراس كالسِّباع، ولهم هدب من الشعر في أجسادهم يواريهم ويتّقون به من الحرّ والبرد، ولكل واحد منهم أُذنان عظيمتان يفترش أحداهما ويلتحف بالأخرى يصيّف في إحداهما ويشتو في الأخرى، يتسافدون تسافد البهائم حيث التقوا، فلما عاين ذلك ذو القرنين انصرف إلى ما بين الصدفين فقاس ما بينهما فحفر له الأساس حتى بلغ الماء، وجعل حشوه

فانطلق حتى توسط بلادهم، فوجدهم على مقدار واحد يبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منا، لهم مخالب وأضراس كالسباع، ولهم هدب شعر يواري أجسادهم، ويتقون به من الحر والبرد، ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان يفترش إحداهما ويلتحف بالأخرى، يصيف في واحدة ويشتي في واحدة، يتسافدون تسافد البهائم حيث التقوا فلما عاين ذو القرنين ذلك انصرف إلى ما بين الصدفين فقاس ما بينهما وحفر له الأساس حتى بلغ الماء فذلك قوله تعالى ﴿**قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض**﴾ قيل فسادهم أنهم كانوا يخرجون أيام الربيع إلى أرضهم فلا يدعون فيها شيئاً أخضر إلا أكلوه ولا يابساً إلا حملوه وأدخلوه أرضهم، فلقوا منهم أذىً شديداً وقيل فسادهم أنهم كانوا يأكلون الناس، وقيل معناه أنهم سيفسدون عند خروجهم ﴿**فهل نجعل لك خرجاً**﴾ أي جعلاً وأجراً من الأموال ﴿**على أن تجعل بيننا وبينهم سداً**﴾ أي حاجزاً فلا يصلون إلينا.

قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ
ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ
نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾

﴿**قال**﴾ لهم ذو القرنين ﴿**ما مكني فيه ربي خير**﴾ أي ما قواني به ربي خير من جعلكم ﴿**فأعينوني**﴾ يعني لا أريد منكم المال بل أعينوني بأبدانكم وقوتكم ﴿**أجعل بينكم وبينهم ردماً**﴾ أي سداً قالوا وما تلك القوة؟ قال فعلة وصناع يحسنون البناء والآلة. قالوا وما تلك الآلة؟ قال: ﴿**آتوني**﴾ أي أعطوني وقيل جيئوني[1] ﴿**زبر الحديد**﴾ أي قطع

الصخر وطينه النحاس، يُذاب فيُصبّ عليه فصار كأنه عرق من جبل تحت الأرض قوله تعالى: ﴿ **مفسدون في الأرض** ﴾، قال الكلبي: فسادهم أنهم كانوا يخرجون أيام الربيع إلى أرضهم فلا يدعون فيها شيئاً أخضر إلّا أكلوه ولا يابساً إلّا احتملوه، وأدخلوه أرضهم، وقد لقوا منهم أذىً شديداً وقتلاً. وقيل: فسادهم أنهم كانوا يأكلون الناس. وقيل: معناه أنهم سيفسدون في الأرض عند خروجهم. ﴿ **فهل نجعلُ لكَ خَرْجاً** ﴾، قرأ حمزة والكسائي (خراجاً) بالألف، وقرأ الآخرون ﴿ **خرجاً** ﴾ بغير ألف وهما لغتان بمعنى واحد، أي جعلاً وأجراً من أموالنا. وقال أبو عمرو: الخرج ما تبرعت به، والخراج ما لزمك أداؤه. وقيل: الخراج على الأرض والخرج على الرقاب. يقال: أدِ خَرْجَ رأسك وخراج مدينتك. ﴿ **على أن تجعل بيننا وبينهم سدّاً** ﴾، أي حاجزاً فلا يصلون إلينا.

﴿ **قال** ﴾، لهم ذو القرنين، ﴿ **ما مكنّي فيه** ﴾، قرأ ابن كثير (مكنني) بنونين ظاهرين. وقرأ الآخرون بنون واحدة مشددة على الإدغام، أي ما قوّاني عليه، ﴿ **ربّي خير** ﴾، مَن جعلكم، ﴿ **فأعينوني بقوة** ﴾، معناه إني لا أريد المال بل أعينوني بأبدانكم وقوّتكم، ﴿ **أجعلْ بينكم وبينهم رَدْماً** ﴾، أي سدّاً، قالوا: وما تلك القوة؟ قال: فعلة وصنّاع يُحسِنون البناء والعمل، والآلة. قالوا: وما تلك الآلة؟ قال:

﴿ **آتوني** ﴾، أعطوني وقرأ أبو بكر (ائتوني) أي جيئوني، ﴿ **زبر الحديد** ﴾، أي قطع الحديد، واحدتهما زبرة، فأتوه بها وبالحطب وجعل بعضها على بعض فلم يزل يجعل الحديد على الحطب والحطب على الحديد، ﴿ **حتى إذا ساوى بين الصدفين** ﴾، قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب بضم الصاد والدال، وجزم أبو بكر الدال، وقرأ الآخرون بفتحها، وهما الجبلان، ساوى أي: سوّى بين طرفي الجبلين. ﴿ **قال انفخوا** ﴾، وفي القصة أنه جعل الفحم والحطب في خلال زبر الحديد ثم قال انفخوا يعني في النار، ﴿ **حتى إذا جعله ناراً** ﴾، أي صار

---

(١) قوله وقيل جيئوني ظاهره أنه تفسير لآتوني مقطوع الهمزة ولا يصح إنما يصح إذا كان تفسيراً لآتوني موصولها فليتأمل ا هـ.

الحديد فأتوه بها، وبالحطب فجعل الحطب على الحديد والحديد على الحطب ﴿حتى إذا ساوى بين الصدفين﴾ أي بين طرفي الجبلين ﴿قال انفخوا﴾ يعني في النار ﴿حتى إذا جعله ناراً﴾ أي صار ناراً ﴿قال آتوني أفرغ عليه﴾ أي أصيب عليه ﴿قطراً﴾ أي نحاساً مذاباً فجعلت النار تأكل الحطب وجعل النحاس يسيل مكانه حتى لزم الحديد النحاس قيل إن السد كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء، وقيل إن عرضه خمسون ذراعاً وارتفاعه مائة ذراع وطوله فرسخ، واعلم أن هذا السد معجزة عظيمة ظاهرة لأن الزبرة الكبيرة إذا نفخ عليها حتى صارت كالنار لم يقدر أحد على القرب منها، والنفخ عليها لا يمكن إلا بالقرب منها. فكأنه تعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن أبدان أولئك النافخين

الحديد ناراً، ﴿ قال آتوني ﴾، قرأ حمزة وأبو بكر وصلاً، وقرأ الآخرون بقطع الألف. ﴿ أُفرغ عليه قِطْراً ﴾، أي آتوني قطراً أفرغ عليه، والإفراغ الصبّ والقطر هو النحاس المُذاب، فجعلت النار تأكل الحطب ويصير النحاس مكان الحطب حتى لزم الحديد النحاس. قال قتادة: هو كالبرّ والبحر طريقة سوداء وطريقة حمراء، وفي القصة أن عرضه كان خمسين ذراعاً وارتفاعه مائتي ذراع وطوله فرسخ.

﴿ فما اسطاعوا أن يُظهِروه ﴾، أن يعلوه من فوقه لطوله وملاسته، ﴿ وما استطاعوا له نقباً ﴾، من أسفله لشدّته ولصلابته. وقرأ حمزة «فما استطاعوا» بتشديد الطاء أدغم تاء الافتعال في الطاء.

﴿ قال ﴾، يعني ذا القرنين، ﴿ هذا ﴾، أي السدّ، ﴿ رحمة ﴾، نعمة، ﴿ من ربي فإذا جاء وعد ربّي ﴾، قيل: القيامة. وقيل: وقت خروجهم. ﴿ جعله دكاء ﴾، قرأ أهل الكوفة ﴿ دكاء ﴾ بالمدّ والهمز، أي أرضاً ملساء، وقرأ الآخرون بلا مدّ أي: جعله مدكوكاً مستوياً مع وجه الأرض، ﴿ وكان وعد ربي حقاً ﴾، وروى قتادة عن أبي رافع عن أبي هريرة يرفعه أن يأجوج ومأجوج يحفرونه كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً فيعيده الله كما كان، حتى إذا بلغت مدتهم حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله، واستثنى فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه فيخرجون على الناس، فيتبعون المياه ويتحصّن الناس في حصونهم منهم فيرمون بسهامهم إلى السماء فيرجع فيها كهيئة الدم فيقولون قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء فيبعث الله عليها نغفاً في أقفائهم فيهلكون، وإن دواب الأرض لتسمن وتشكر من لحومهم شكراً. أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنبأنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنبأنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن مهران الرازي ثنا الوليد بن مسلم ثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن يحيى بن جابر الطائي عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه جبير بن نفير عن النواس بن سمعان قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا، فقال: «ما شأنكم؟» قلنا: يا رسول الله ذكرتَ الدجال ذات غداة فخفضت فيه ورفعت، حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: «غير الدجال أخوفني عليكم؟ إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فكل امرىء حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط عينه اليمنى طافية كأني أشبهه بعبد العزّى بن قطن، فمَن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف إنه خارج خلّة بين الشام والعراق، فعاث يميناً وعاث شمالاً، يا عباد الله فاثبتوا» قلنا: يا رسول الله فما لبثه في الأرض؟ قال: «أربعون يوماً أول يوم كسنة ويوماً كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم» قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أيكفينا فيه صلاة يوم قال: «لا أقدروا له قدره»، قلنا: يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال: «كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنوا به ويستجيبوا له، فيأمر السماء فتمطر الأرض، فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى وأسبغه ضروعاً وأمدّه خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردّون عليه قوله، قال:

حتى تمكنوا من العمل فيه ﴿**فما استطاعوا أن يظهروه**﴾ أي يعلو عليه لعلوه وملاسته ﴿**وما استطاعوا له نقباً**﴾ أي من أسفله لشدته وصلابته ﴿**قال**﴾ يعني ذو القرنين ﴿**هذا**﴾ أي السد ﴿**رحمة من ربي**﴾ أي نعمة من ربي ﴿**فإذا جاء وعد ربي**﴾ قيل يعني القيامة وقيل وقت خروجهم ﴿**جعله دكاء**﴾ أي أرضاً ملساء وقيل مدكوكاً مستوياً مع الأرض ﴿**وكان وعد ربي حقاً**﴾. (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وعقد بيده تسعين» قوله وعقد بيده تسعين هو من موضوعات الحساب، وهو أن تجعل رأس أصبعك السبابة في وسط الإبهام من باطنها شبه الحلقة، لكن لا يتبين لها إلا خلل يسير وعنه أن رسول الله ﷺ قال «في السد يحفرونه كل يوم حتى إذا كادوا يخرقونه قال بعضهم ارجعوا فستحفرونه غداً قال فيعيده الله كأشد ما كان حتى إذا بلغوا مدتهم وأراد الله تعالى أن يبعثهم على الناس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غداً، إن شاء الله تعالى، واستثنى قال فيرجعون فيجدونه على هيئته حين تركوه فيخرقونه فيخرجون على الناس فيستقون المياه وتفر منهم الناس» وفي رواية «تتحصن الناس في حصونهم منهم فيرمون بسهام إلى السماء فترجع مخضبة بالدماء فيقولون قهرنا من في الأرض وعلونا من في السماء فيزدادون قسوة وعتواً، فيبعث الله عليهم نغفاً في رقابهم فيهلكون، فوالذي نفس محمد بيده إن دواب

فينصرف عنهم فيصبحون مملحين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمرّ بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فيتبعه كنوزها كيعاسيب النخل، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه فيقبل ويتهلّل وجهه ويضحك، فبينما هو كذلك إذْ بعث الله المسيح عيسى ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي باب دمشق بين مهرب ودستين واضعاً كفّتيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدّر منه مثل جمان اللؤلؤ، فلا يحلّ لكافر يجد من ريح نفسه إلاّ مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله، ثم يأتي عيسى قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدّثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك إذْ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجت عباداً لي لا بدّ لأحد بقتالهم فحرزْ عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلّون، فيمرّ أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمرّ آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، ويحصر نبي الله وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدِكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلاّ ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيراً كأعناق البخت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض، حتى يتركها كالزلفة. ثم يقال للأرض أنبتي ثمرتك، وردّي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلّون بقحفها ويبارك في الرسل حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي ألفاً من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة». وبهذا الإسناد حدّثنا مسلم بن الحجّاج ثنا علي بن حجر السعدي ثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر والوليد بن مسلم بن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر بهذا الإسناد نحو ما ذكرنا وزاد بعد قوله: لقد كان بهذه مرة ماء ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس، فيقولون لقد قلنا لمَن في الأرض هلمّ فلنقتل مَن في السماء، فيرمون بنشابهم إلى السماء فيردّ الله عليهم نشابهم مخضوبة دماً. وقال وهب: إنهم كانوا يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابّه، ثم يأكلون الخشب والشجر، ومَن ظفروا به من الناس، ولا يقدرون أن يأتوا مكة ولا المدينة ولا بيت المقدس. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنا أحمد بن

الأرض لتسمن وتشكر من لحومهم شكراً» أخرج الترمذي. وقوله قسوة وعتواً أي غلظة وفظاظة وتكبراً، والنغف دود يكون في أنوف الإبل والغنم وقوله وتشكر يقال شكرت الشاة تشكر شكراً، إذا امتلأ ضرعها لبناً، والمعنى أنها تمتلي أجسامها لحماً وتسمن. (خ) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج». قوله عز وجل:

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ۝٩٩ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ۝١٠٠ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ۝١٠١ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ۝١٠٢ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝١٠٣ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ۝١٠٥﴾

﴿**وتركنا بعضهم يومئذٍ يموج في بعض**﴾ قيل هذا عند فتح السد، يقول تركنا يأجوج ومأجوج يموج أي يدخل بعضهم في بعض كموج الماء، ويختلط بعضهم في بعض لكثرتهم، وقيل هذا عند قيام الساعة يدخل الخلق بعضهم في بعض لكثرتهم ويختلط إنسهم بجنهم حيارى ﴿**ونفخ في الصور**﴾ فيه دليل على أن خروج يأجوج ومأجوج من علامات قرب الساعة ﴿**فجمعناهم جمعاً**﴾ أي في صعيد واحد ﴿**وعرضنا**﴾ أي أبرزنا ﴿**جهنم يومئذ للكافرين عرضاً**﴾ ليشاهدوها عياناً ﴿**الذين كانت أعينهم في غطاء**﴾ أي غشاء وستر ﴿**عن ذكري**﴾ أي عن الإيمان والقرآن والهدى والبيان وقيل عن رؤية الدلائل وتبصرها ﴿**وكانوا لا يستطيعون سمعاً**﴾ أي سمع قبول للإيمان والقرآن لغلبة الشقاء عليهم، وقيل معناه لا يستطيعون أن يسمعوا من رسول الله ﷺ لشدة عداوتهم له. قوله تعالى ﴿**أفحسب**﴾ أي أفظن ﴿**الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء**﴾ يعني أرباباً يريد عيسى والملائكة، بل هم لهم أعداء يتبرؤون منهم.

عبد الله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل أنبأنا أحمد أنبأنا أبي أنبأنا إبراهيم عن الحجّاج بن حجّاج عن قتادة عن عبد الله بن أبي عتبة عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «ليحجنّ البيت وليعتمرنّ بعد خروج يأجوج ومأجوج». وفي القصة: أن ذا القرنين دخل الظلمة فلما رجع توفي بشهر زور، وذكر بعضهم: أن عمره كان نيفاً وثلاثين سنة.

قوله تعالى: ﴿ **وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض** ﴾، قيل: هذا عند فتح السدّ، يقول تركنا يأجوج ومأجوج يموج أي يدخل بعضهم على بعض، كموج الماء ويختلط بعضهم ببعض لكثرتهم، وقيل: هذا عند قيام الساعة يدخل الخلق بعضهم في بعض، ويختلط أنسيهم بجنّيهم حيارى، ﴿ **ونفخ في الصور** ﴾، لأن خروج يأجوج ومأجوج من علامات قرب الساعة، ﴿ **فجمعناهم جمعاً** ﴾، في صعيد واحد.

﴿ **وعرضنا** ﴾، أبرزنا، ﴿ **جهنّم يومئذ للكافرين عرضاً** ﴾. حتى يشاهدوها عياناً.

﴿ **الذين كانت أعينهم في غطاء** ﴾، أي غشاء والغطاء ما يُغطّى به الشيء ويستره، ﴿ **عن ذكري** ﴾، يعني عن الإيمان والقرآن. وعن الهدى والبيان. وقيل: عن رؤية الدلائل. ﴿ **وكانوا لا يستطيعون سمعاً** ﴾، أي سمع القبول، والإيمان لغلبة الشقاوة عليهم. وقيل: لا يعقلون وقيل: كانوا لا يستطيعون أي لا يقدرون أن يسمعوا من رسول الله ﷺ ما يتلوه عليهم لشدّة عداوتهم، كقول الرجل لا أستطيع أن أسمع من فلان شيئاً لعداوته.

﴿ **أفحسب** ﴾، أفظن، ﴿ **الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء** ﴾، أرباباً يريد بالعباد عيسى

وقال ابن عباس: يعني الشياطين أطاعوهم من دون الله، والمعنى أفظن الذين كفروا أن يتخذوا غيري أولياء وإني لا أغضب لنفسي فلا أعاقبهم وقيل معناه أفظنوا أنه ينفعهم أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء ﴿إنا أعتدنا﴾ أي هيأنا ﴿جهنم للكافرين نزلاً﴾ أي منزلاً.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي مثواهم وقيل معدة لهم عندنا كالنزل للضيف. قوله تعالى ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً﴾ يعني الذين أتعبوا أنفسهم في عمل يرجون به فضلاً ونوالاً فنالوا هلاكاً وبواراً، قال ابن عباس: هم اليهود والنصارى، وقيل هم الرهبان الذي حبسوا أنفسهم في الصوامع، وقال علي بن أبي طالب: هم أهل حوراء يعني الخوارج ﴿الذين ضل سعيهم﴾ أي بطل عملهم واجتهادهم ﴿في الحياة الدنيا وهم يحسبون﴾ أي يظنون ﴿أنهم يحسنون صنعاً﴾ أي عملاً ثم وصفهم فقال تعالى ﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه﴾ يعني أنهم جحدوا دلائل توحيده وقدرته، وكفروا بالبعث والثواب والعقاب، وذلك لأنهم كفروا بالنبي ﷺ وبالقرآن فصاروا كافرين بهذه الأشياء ﴿فحبطت أعمالهم﴾ أي بطلت ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾. قيل لا تقيم لهم ميزاناً، لأن الميزان إنما توضع لأهل الحسنات والسيئات من الموحدين ليتميزوا مقدار الطاعات ومقدار السيئات. قال أبو سعيد الخدري «يأتي أناس بأعمال يوم القيامة هي عندهم من العظم كجبال تهامة فإذا وزنوها لم تزن شيئاً فذلك قوله تعالى «فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً» وقيل معناه نزدري بهم فليس لهم عندنا شيئاً فذلك قوله تعالى «فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً» وقيل معناه نزدري بهم فليس لهم عندنا حظ ولا قدر ولا وزن (ق) عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال اقرؤوا إن شئتم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً».

والملائكة، كلا بل هم لهم أعداء ويتبرؤون منهم. قال ابن عباس: يعني الشياطين أطاعوهم من دون الله. وقال مقاتل: الأصنام سمّاها عباداً، كما قال: ﴿ إن الذين تدعون من دون الله عباداً أمثالكم ﴾ [الأعراف: ١٩٤]، وجواب هذا الاستفهام محذوف. قال ابن عباس: يريد إني لأغضب لنفسي، يقول أفظن الذين كفروا أن يتخذوا غيري أولياء وإني لا أغضب لنفسي ولا أعاقبهم. وقيل: أفظنوا أنهم ينفعهم أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء.
﴿ إنّا أعتدنا جهنم للكافرين نزلاً ﴾، أي: منزلاً، قال ابن عباس: هي مثواهم. وقيل: النزل ما يُهيّأ للضيف، يريد هي معدة لهم عندنا كالنزل للضيف.

﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً ﴾، يعني الذين أتبعوا أنفسهم في عمل يرجون به فضلاً ونوالاً فنالوا هلاكاً وبواراً، كمَن يشتري سلعة يرجو عليها ربحاً فخسر وخاب سعيه. واختلفوا فيهم، قال ابن عباس وسعد بن أبي وقاص، وقال: هم اليهود والنصارى. وقيل: هم الرهبان.

﴿ الذين ﴾ حبسوا أنفسهم في الصوامع. وقال علي بن أبي طالب: هم أهل حروراء. ﴿ ضلّ سعيهم ﴾، بطل عملهم واجتهادهم، ﴿ في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ﴾، أي عملاً.

﴿ أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطتْ ﴾، بطلت، ﴿ أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ﴾، أي لا تجعل لهم خطراً وقدراً، تقول العرب: ما لفلان عندي وزن أي قدر لخسته، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا أحمد عن محمد بن يوسف عن محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن عبد الله ثنا سعيد بن مريم أنبأنا المغيرة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة»، وقال: ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ﴾، قال أبو سعيد الخدري: يأتي أُناس بأعمال يوم القيامة هي عندهم في العظم كجبال تهامة، فإذا وزنوها لم تزن شيئاً، فذلك قوله تعالى: ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ﴾.

ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ
جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن
تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ
رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾

﴿**ذلك**﴾ إشارة إلى ما ذكر من حبوط أعمالهم وخسة قدرهم، ثم ابتدأ فقال تعالى ﴿**جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزواً**﴾ يعني سخرية واستهزاء. قوله تعالى ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً**﴾. عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال «إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة». قال كعب: ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس، فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر. وقال قتادة: الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها وأرفعها. وقيل: الفردوس هو البستان الذي فيه الأعناب. وقيل: هي الجنة الملتفة بالأشجار التي تنبت ضروباً من النبات. وقيل: الفردوس البستان بالرومية. وقيل: بلسان الحبش منقولاً إلى العربية نزولاً هو ما يهيأ للنازل على معنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس ونعيمها نزلاً. وقيل في معنى كانت لهم أي في علم الله تعالى قبل أن يخلقوا ﴿**خالدين فيها لا يبغون**﴾ أي لا يطلبون ﴿**عنها حولاً**﴾ أي تحولاً إلى غيرها، قال ابن عباس: لا يريدون أن يتحولوا عنها، كما ينتقل الرجل من دار إذا لم توافقه إلى دار أخرى.

قوله تعالى ﴿**قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي**﴾ قال ابن عباس: قالت اليهود يا محمد تزعم أننا قد أوتينا الحكمة وفي كتابك «ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً» ثم تقول وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً، فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل لما نزل «وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً» قالت اليهود أوتينا علم التوراة وفيها علم كل شيء.

﴿ **ذلك** ﴾ الذي ذكرت من حبوط أعمالهم، وخسّة أقدارهم، ثم ابتدأ فقال: ﴿ **جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي** ﴾، يعني القرآن، ﴿ **ورسلي هُزُواً** ﴾، أي سخرية ومهزوأً بهم.

قوله تعالى: ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس** ﴾، روينا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجّر أنهار الجنة». قال كعب: ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر. وقال قتادة: الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأقصاها وأرفعها، قال كعب: الفردوس هو البستان الذي فيه الأعناب. وقال مجاهد: هو البستان بالرومية. وقال عكرمة: هي الجنة بلسان الحبش. قال الزجّاج: هو بالرومية منقول إلى لفظ العربية وقال الضحاك: هي الجنة الملتفّة الأشجار. وقيل: هي الروضة المستحسنة. وقيل: هي التي تنبت ضروباً من النبات، وجمعه فراديس، ﴿ **نزلاً** ﴾، قيل: أي منزلاً. وقيل: ما يُهيّأ للنازل على معنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس ونعيمها نزلاً، ومعنى كانت لهم أي في علم الله قبل أن يُخلقوا.

﴿ **خالدين فيها لا يبغون** ﴾، لا يطلبون، ﴿ **عنها حولاً** ﴾، أي تحوّلاً إلى غيرها. قال ابن عباس: لا يريدون أن يتحوّلوا عنها كما ينتقل الرجل من دار إلى دار إذا توافقه إلى دار أخرى.

﴿ **قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي** ﴾، قال ابن عباس: قالت اليهود يا محمد تزعم أنّا قد أُوتينا الحكمة،

فأنزل الله تعالى ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي﴾ ما يستمده الكاتب ويكتب به، وأصله من الزيادة قال مجاهد: لو كان البحر مداداً للقلم والقلم يكتب قيل والخلائق يكتبون ﴿لنفد البحر﴾ أي لنفد ماؤه ﴿قبل أن تنفد كلمات ربي﴾ أي علمه وحكمه ﴿ولو جئنا بمثله مداداً﴾ والمعنى ولو كان الخلائق يكتبون والبحر يمدهم لفني ماء البحر ولم تفن كلمات ربي، ولو جئنا بمثل ماء البحر في كثرته مدداً وزيادة. قوله تعالى ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم﴾ قال ابن عباس: علم الله تعالى رسوله ﷺ التواضع لئلا يزهى على خلقه، فأمره أن يقر فيقول أنا آدمي مثلكم إلا أني خصصت بالوحي وأكرمني الله به وهو قوله تعالى ﴿يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد﴾ لا شريك له في ملكه ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه﴾ أي يخاف المصير إليه وقيل يؤمل رؤية ربه ﴿فليعمل عملاً صالحاً﴾ أي من حصل له رجاء لقاء الله تعالى والمصير إليه فليستعمل نفسه في العمل الصالح ﴿ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ أي لا يرائي بعمله ولما كان العمل الصالح قد يراد به وجه الله سبحانه وتعالى وقد يراد به الرياء والسمعة اعتبر فيه قيدان، أحدهما: يراد به سبحانه وتعالى والثاني: أن يكون مبرأ من جهات الشرك جميعها (ق) عن جندب بن عبدالله البجلي قال: قال رسول الله ﷺ «من سمع سمع الله به ومن يرائي يرائي الله به» قوله من سمع سمع الله به أي من عمل عملاً مراآة للناس يشتهر بذلك شهرة الله يوم القيامة، وقيل سمع الله به أي أسمعه المكروه (م) عن أبي هريرة قال «سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الله

وفي كتابك ومن يؤت الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً، ثم تقول: وما أُوتيتم من العلم إلاّ قليلاً؟ فأنزل الله هذه الآية. وقيل: لمّا نزلت: ﴿ وما أُوتيتم من العلم إلاّ قليلاً ﴾ [الإسراء: ٨٥]، قالت اليهود: أُوتينا التوراة وفيها علم كل شيء، فأنزل الله: ﴿ قل لو كان البحر مداداً ﴾ سُمّي المداد مداداً لإمداد الكاتب، وأصله من الزيادة ومجيء الشيء بعد الشيء. قال مجاهد: لو كان البحر مداداً للقلم والقلم يكتب، ﴿ لنفد البحر ﴾، أي ماؤه، ﴿ قبل أن تنفد ﴾، قرأ حمزة والكسائي «ينفـد» بالياء لتقدّم الفعل، والباقون بالتاء، ﴿ كلمات ربي ﴾، أي علمه وحكمه، ﴿ ولو جئنا بمثله مدداً ﴾، معناه لو كان الخلائق يكتبون والبحر يمدّهم لنفد البحر ولم تنفد كلمات الله، ولو جئنا بمثله مدداً بمثل ماء البحر في كثرته مداداً وزيادة، نظيره قوله تعالى: ﴿ لو أن ما في الأرض من شجرة أقلامٌ والبحرُ يمدُّه من بعده سبعة أبحر ما نفدتْ كلماتُ الله ﴾ [لقمان: ٢٧].

﴿ قل إنّما أنا بشرٌ مثلكم يوحى إليّ أنّما إلٰهكم إلٰه واحد ﴾، قال ابن عباس علّم الله رسوله التواضع لئلا يزهو على خلقه، فأمره الله أن يقرّ فيقول أنا آدمي مثلكم إلاّ أني خُصِّصت بالوحي وأكرمني الله به، يوحى إليّ أنّما إلٰهكم إلٰه واحد لا شريك له، ﴿ فمَن كان يرجوا لقاء ربه ﴾، أي يخاف المصير إليه. وقيل: يأمل رؤية ربّه، فالرجاء يكون بمعنى الخوف والأمل جميعاً، قال الشاعر:

فلا كل ما ترجو من الخير كـائنٌ ولا كـل ما تـرجو من الشرّ واقعُ

فجمع بـه المعنيين، ﴿ فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾، أي لا يُرائي بعمله، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنبأنا أبو نعيم أنا سفيان عن سلمة هو ابن كهيل قال: سمعت جندباً يقول: قال النبي ﷺ: «مَن سمَّعَ سمَّعَ الله به، ومَن يُرائي يُرائي الله به». وروينا عن النبي ﷺ أنه قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغـر»، قالـوا: يا رسـول الله وما الشـرك الأصغر؟ قـال: «الرياء». أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنبأنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم ثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ثنا أبي ثنا شعيب قال: ثنا الليث عن أبي الهاد عن عمرو عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تبارك وتعالى يقول: أنا أغنى الشركاء

تبارك وتعالى يقول «أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته وشركه ولغير مسلم فأنا منه بريء هو والذي عمله». عن سعيد بن أبي فضالة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «إذا جمع الناس ليوم لا ريب فيه نادى منادٍ من كان يشرك في عمل عمله لله أحداً فليطلب ثوابه منه فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك» أخرجه الترمذي. وقال حديث غريب وعن النبي ﷺ قال «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر؟ قالوا وما الشرك الأصغر قال الرياء». (م) عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال» وفي رواية من آخرها والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

عن الشرك، مَن عمل عملاً أشرك فيه معي غيري فأنا منه بريء، هو للذي عمله». أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنبأنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان ثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا حفص بن عمر ثنا همّام عن قتادة عن سالم بن الجعد الغطفاني عن معدان بن أبي طلحة عن أبي الدرداء يرويه عن النبي ﷺ: قال: «مَن حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصم من فتنة الدجال», وأخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنا أبو منصور السمعاني ثنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا أبو الأسود ثنا ابن لهيعة عن زياد عن سهل هو ابن معاذ عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «مَن قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له نوراً من قدميه إلى رأسه، ومَن قرأها كلها كانت له نوراً من الأرض إلى السماء».

تفسير سورة مريم عليها السلام

مكية وهي ثمان وتسعون آية وثمانون وسبعمائة كلمة وثلاثة آلاف وسبعمائة حرف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل:

كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى
وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى
وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾
يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ
وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ
خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ
لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾

﴿كٓهيعٓصٓ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما؛ هو اسم من أسماء الله تعالى، وقيل اسم للقرآن، وقيل للسورة وقيل هو قسم أقسم الله تعالى به. وعن ابن عباس قال؛ الكاف من كريم وكبير، والهاء من هاد، والياء من رحيم، والعين من عليم، والصاد من صادق، وقيل معناه كاف لخلقه هاد لعباده يده فوق أيديهم عالم ببريته صادق في وعده.

سُورَة مَــرْيَم

مكية وهي ثمان وتسعون آية.

قوله عزّ وجلّ: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾، قرأ أبو عمرو بكسر الهاء وفتح الياء وضدّه ابن عامر وحمزة وبكسرهما الكسائي وأبو بكر والباقون بفتحهما، ويظهر ال"، عند الدال من صاد، ذكر ابن كثير ونافع وعاصم ويعقوب والباقون بالإدغام. قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو اسم من أسماء الله تعالى. وقال قتادة: هو اسم من أسماء القرآن. وقيل: اسم للسورة. وقيل: هو قَسَم أقسم الله به. ورُوِيَ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله: ﴿ كهيعص ﴾ قال: الكاف من كريم وكبير، والهاء من هاد، والياء من رحيم، والعين من عليم، وعظيم، والصاد من صادق. وقال الكلبي: معناه كافٍ لخلقه، هادٍ لعباده، يده فوق أيديهم، عالم ببريّته، صادق في وعده.

﴿ ذكرُ ﴾، رفع بالمضمر أي هذا الذي نتلوه عليك ذكر ﴿ رحمةِ ربِّك ﴾، وفيه تقديم وتأخير معناه: ذكر

﴿ذكر﴾ أي هذا الذي نتلو عليك ذكر ﴿رحمة ربك عبده زكريا﴾ قيل معناه ذكر ربك عبده زكريا برحمته ﴿إذ نادى﴾ أي دعا ﴿ربه﴾ في المحراب ﴿نداء خفياً﴾ أي دعاء سراً من قيامه في جوف الليل، وقيل راعى سنة الله في إخفاء دعائه لأن الجهر والإسرار عند الله تعالى سيان، ولكن الإخفاء أولى، وقيل خفت صوته لضعفه وهرمه يدل عليه قوله تعالى ﴿قال رب إني وهن﴾ أي رق وضعف ﴿العظم مني﴾ أي من الكبر وقيل اشتكى سقوط الأضراس ﴿واشتعل الرأس﴾ أي ابيض الشعر ﴿شيباً﴾ أي شمطاً ﴿ولم أكن بدعائك رب شقياً﴾ أي عودتني الإجابة فيما مضى ولم تخيبني، وقيل معناه لما دعوتني إلى الإيمان آمنت ولم أشق بترك الإيمان ﴿وإني خفت الموالي من ورائي﴾ أي من بعد موتي والموالي هم بنو العم وقيل العصبة وقيل الكلالة وقيل جميع الورثة ﴿وكانت امرأتي عاقراً﴾ أي لا تلد ﴿فهب لي من لدنك ولياً﴾ أي أعطني من عندك ولداً مرضياً ﴿يرثني ويرث من آل يعقوب﴾ أي ولياً ذا رشاد، وقيل أراد به يرث مالي ويرث من آل يعقوب النبوة والعلم، وقيل أراد به الحبورة، لأن زكريا كان رأس الأحبار، والأولى أن يحمل على ميراث غير المال لأن الأنبياء لم يورثوا المال وإنما يورثون العلم، ويبعد عن زكريا وهو نبي من الأنبياء أن يشفق على ماله أن يرثه بنو عمه، وإنما خاف أن يضيع بنو عمه دين الله ويغيروا أحكامه، وذلك لما أن شاهد من بني إسرائيل تبديل الدين وقتل الأنبياء. فسأل ربه ولداً صالحاً يأمنه على أمته ويرث نبوته وعلمه لئلا يضيع وهذا قول ابن عباس ﴿واجعله رب رضياً﴾ أي براً تقياً مرضياً.

ربك، ﴿ عبده زكريا ﴾، برحمته.

﴿ إذْ نادى ﴾، دعا، ﴿ ربَّه ﴾، في محرابه، ﴿ نداءً خفيّاً ﴾، دعا سرّاً من قومه في جوف الليل.

﴿ قال ربِّ إنّي وهنَ ﴾، ضعف ورق، ﴿ العظم منّي ﴾، من الكبر. قال قتادة: اشتكى سقوط الأضراس، ﴿ واشتعل الرأسُ ﴾، أي ابيضّ شعر الرأس، ﴿ شيباً ﴾، شمطاً، ﴿ ولم أكن بدعائك ربِّ شقيّاً ﴾، يقول عوّدتني الإجابة فيما مضى ولم تخيّبني. وقيل: معناه لمّا دعوتني إلى الإيمان آمنت ولم أشقَ بتركِ الإيمان.

﴿ وإنّي خفت الموالي ﴾، والموالي بنو العم. قال مجاهد: العصبة. وقال أبو صالح: الكلالة. وقال الكلبي: الورثة. ﴿ من ورائي ﴾، من بعد موتي، قرأ ابن كثير ﴿ من ورائيَ ﴾ بفتح الياء، والآخرون بإسكانها. ﴿ وكانت امرأتي عاقراً ﴾، لا تلد، ﴿ فهبْ لي من لدنك ﴾، أعطني من عندك، ﴿ وليّاً ﴾.

﴿ يرثني ويرثُ من آل يعقوب ﴾، قرأ أبو عمرو والكسائي بجزم الثاء فيهما على جواب الدعاء، وقرأ الآخرون بالرفع على الحال والصفة، يعني وليّاً وارثاً، واختلفوا في هذا الإرث، قال الحسن: معناه يرث مالي ويرث من آل يعقوب النبوّة والحبورة. وقيل: أراد ميراث النبوّة والعلم. وقيل: أراد إرث الحبورة، لأن زكريا كان رأس الأحبار. وقال الزجّاج: والأولى أن يحمل على ميراث غير المال لأنه يبعد أن يشفق زكريا وهو نبي من الأنبياء أن يرثه بنو عمّه ماله، والمعنى: أنه خاف تضييع بني عمّه دين الله وتغيير أحكامه على ما كان شاهده من بني إسرائيل من تبديل الدين وقتل الأنبياء، فسأل ربه ولداً صالحاً يأمنه على أُمّتِهِ، ويرث نبوّته وعمله لئلا يضيع الدين. وهذا معنى قول عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما. ﴿ واجعله ربِّ رضيّاً ﴾، أي بَرّاً تقيّاً مرضياً.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ يا زكريا إنّا نبشّرك ﴾، وفيه اختصار، معناه فاستجاب الله دعاءه، فقال: يا زكريا إنّا نبشّرك، ﴿ بغلام ﴾، بولد ذكر، ﴿ اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميّاً ﴾، قال قتادة والكلبي: لم يُسمَّ أحد قبله يحيىٰ. وقال سعيد بن جبير وعطاء: لم نجعل له شبهاً ومثلاً، كما قال الله تعالى: ﴿ هل تعلم له سميّاً ﴾ [مريم: ٦٥]، أي مثلاً، والمعنى: أنه لم يكن له مثل لأنه لم يعص ولم يهمّ بمعصية قطّ. وقيل: لم يكن له ميل

قوله تعالى ﴿يا زكريا﴾ المعنى فاستجاب الله له دعائه فقال يا زكريا ﴿إنا نبشرك بغلام﴾ أي بولد ذكر ﴿اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً﴾ أي لم يسم أحد قبله يحيى وقيل معناه لم نجعل له شبهاً ومثلاً، وذلك لأنه لم يعص الله ولم يهم بمعصية قط وقال ابن عباس: لم تلد العواقر مثله ولداً، قيل لم يرد الله تعالى بذلك اجتماع الفضائل كلها ليحيى، وإنما أراد بعضها لأن الخليل والكليم كانا قبله وهما أفضل منه ﴿قال رب أنى يكون لي﴾ أي من أين يكون لي ﴿غلام وكانت امرأتي عاقراً﴾ أي وامرأتي عاقر ﴿وقد بلغت من الكبر عتياً﴾ أي يأساً يريد بذلك نحول الجسم ودقة العظم ونحول الجلد ﴿قال كذلك قال ربك هو علي هين﴾ أي يسير ﴿وقد خلقتك من قبل﴾ أي من قبل يحيى ﴿ولم تك شيئاً قال رب اجعل لي آية﴾ أي دلالة على حمل امرأتي ﴿قال آيتك﴾ أي علامتك ﴿أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً﴾ أي صحيحاً سليماً من غير بأس ولا خرس، وقيل ثلاث ليال متتابعات والأول أصح قيل إنه لم يقدر فيها أن يتكلم مع الناس فإذا أراد ذكر الله انطلق لسانه. قوله عز وجل:

فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَـٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍۢ
وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾
وَسَلَـٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا
شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ
مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَلَمْ
يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا
وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾

﴿فخرج على قومه من المحراب﴾ أي من الموضع الذي كان يصلي فيه وكان الناس من وراء المحراب ينتظرونه

في أمر النساء، لأنه كان سيداً وحصوراً. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: أي لم تلد العواقر مثله ولداً. وقيل: لم يرد الله به اجتماع الفضائل كلها ليحيى إنما أراد بعضها لأن الخليل والكليم كانا قبله وهما أفضل منه.

﴿ قال ربِّ أنّى ﴾، من أين، ﴿ يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقراً وقد بلغتُ من الكبر عتيّاً ﴾، أي يبساً، وقال قتادة: يريد تحوّل العظم، يقال عتا الشيخ يعتو عتياً وعسياً، إذا انتهى سنّه وكبر، وشيخ عاتٍ وعاسٍ إذا صار إلى حالة اليبس والجفاف. وقرأ حمزة والكسائي: عتياً وبكياً وصلياً وجثياً بكسر أوائلهنّ، والباقون برفعها، وهما لغتان.

﴿ قال كذلك قال ربُّك هو عليّ هيّن ﴾، يسير، ﴿ وقد خلقتُك ﴾، قرأ حمزة والكسائي (خلقناك) بالنون والألف على التعظيم، ﴿ من قبل ﴾، أي من قبل يحيى، ﴿ ولم تكُ شيئاً ﴾.

﴿ قال ربِّ اجعلْ لي آية ﴾، دلالة على حمل امرأتي، ﴿ قال آيتك ألّا تكلّم الناس ثلاث ليالٍ سويّاً ﴾، أي صحيحاً سليماً من غير بأس ولا خرس. قال مجاهد: أي لا يمنعك من الكلام مرض. وقيل: ثلاث ليالٍ سويّاً أي متتابعاً، والأول أصحّ. وفي القصة: أنه لم يقدر فيها أن يتكلم مع الناس فإذا أراد ذكر الله تعالى انطلق لسانه.

قوله تعالى: ﴿ فخرج على قومه من المحراب ﴾، وكان الناس من وراء المحراب ينتظرونه أن يفتح لهم

حتى يفتح لهم الباب فيدخلون ويصلون، إذ خرج إليهم زكريا متغيراً لونه فأنكروا ذلك عليه، وقالوا له ما لك ﴿فأوحى﴾ أي فأومأ وأشار ﴿إليهم﴾ وقيل كتب لهم في الأرض ﴿أن سبحوا﴾ أي صلوا لله ﴿بكرة وعشياً﴾ المعنى أنه كان يخرج على قومه بكرة وعشياً فيأمرهم بالصلاة، فلما كان وقت حمل امرأته ومنع من الكلام خرج إليهم فأمرهم بالصلاة إشارة. قوله عز وجل ﴿يا يحيى﴾ فيه إضمار ومعناه وهبنا له يحيى وقلنا له يا يحيى ﴿خذ الكتاب﴾ أي التوراة ﴿بقوة﴾ أي بجد واجتهاد ﴿وآتيناه الحكم﴾ قال ابن عباس: يعني النبوة ﴿صبياً﴾ وهو ابن ثلاث سنين وذلك أن الله تعالى أحكم عقله وأوحى إليه، فإن قلت كيف يصح حصول العقل والفطنة والنبوة حال الصبا. قلت لأن أصل النبوة مبني على خرق العادات، إذا ثبت هذا فلا تمنع صيرورة الصبي نبياً، وقيل أراد بالحكم فهم الكتاب فقرأ التوراة وهو صغير وعن بعض السلف قال من قرأ القرآن قبل أن يبلغ فهو من أوتي الحكم صبياً ﴿وحناناً من لدنا﴾ أي رحمة من عندنا قال الحطيئة يخاطب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه:

تحننِ علـي هـداك المليـك فـإن لكـل مقـام مقـالا

أي ترحم علي ﴿وزكاة﴾ قال ابن عباس: يعني بالزكاة الطاعة والإخلاص، وقيل هي العمل الصالح، ومعنى الآية وآتيناه رحمة من عندنا وتحننا على العباد ليدعوهم إلى طاعة ربهم وعملاً صالحاً في إخلاصه ﴿وكان تقياً﴾ أي مسلماً مخلصاً مطيعاً، وكان من تقواه إنه لم يعمل خطيئة ولم يهم بها قط ﴿وبراً بوالديه﴾ أي باراً لطيفاً بهما محسناً إليهما لأنه لا عبادة بعد تعظيم الله تعالى أعظم من بر الوالدين يدل عليه قوله تعالى ﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً﴾ الآية ﴿ولم يكن جباراً﴾ الجبار المتكبر وقيل الذي يقتل ويضرب على الغضب، وقيل الجبار الذي لا يرى لأحد على نفسه حقاً وهو التعظيم بنفسه يرى أن لا يلزمه قضاء لأحد ﴿عصياً﴾ قيل هو أبلغ من المعاصي والمراد وصف يحيى بالتواضع ولين الجانب وهو من صفات المؤمنين ﴿وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً﴾ معناه وأمان له من الله يوم ولد من أن يناله الشيطان كما ينال سائر بني آدم وأمان له يوم يموت من عذاب القبر

الباب فيدخلون ويصلّون إذْ خرج عليهم زكريا متغيّراً لونه فأنكروه، فقالوا: ما لك يا زكريا ﴿ فأوحى إليهم ﴾، قال مجاهد: كتب لهم الأرض، ﴿ أن سبّحوا ﴾، أي صلّوا لله، ﴿ بكرةً ﴾، غدوة، ﴿ وعَشِيّاً ﴾، معناه أنه كان يخرج على قومه بكرةً وعشيّاً فيأمرهم بالصلاة، فلما كان وقت حمل امرأته ومنع الكلام خرج إليهم فأمرهم بالصلاة إشارة.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ يا يحيىٰ ﴾، قيل: فيه حذف معناه: وهبنا له يحيىٰ وقلنا له يا يحيىٰ، ﴿ خذِ الكتاب ﴾، يعني التوراة، ﴿ بقوّة ﴾، بجد، ﴿ وآتيناه الحكم ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: النبوّة: ﴿ صبياً ﴾، وهو ابن ثلاث سنين. وقيل: أراد بالحكم فهم الكتاب، فقرأ التوراة وهو صغير. وعن بعض السلف قال: مَن قرأ القرآن قبل أن يبلغ فهو ممّن أُوتي الحكم صبياً.

﴿ وحناناً من لدنّا ﴾، رحمة من عندنا، قال الحطيئة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، شعر:

تَحنّنْ عليَّ هـداك المليك فـإن لـكـل مقام مقـالاً

أي: ترحّم، ﴿ وزكاة ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني بالزكاة الطاعة والإخلاص. وقال قتادة رضي الله عنه: هي العمل الصالح، وهو قول الضحاك ومعنى الآية وآتيناه رحمة من عندنا وتحنناً على العباد، ليدعوهم إلى طاعة ربهم ويعمل عملاً صالحاً في إخلاص. وقال الكلبي: يعني صدقة تصدّق الله بها على أبويه، ﴿ وكان تقياً ﴾، مسلماً ومخلصاً مطيعاً، وكان من تقواه أنه لم يعمل خطيئة ولا همّ بها.

﴿ وبرّاً بوالديه ﴾، أي بارّاً لطيفاً بهما محسناً إليهما. ﴿ ولم يكن جبّاراً عصيّاً ﴾، الجبار المتكبّر، وقيل:

ويوم يبعث حياً من عذاب يوم القيامة، وقيل أوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن يوم يولد لأنه يرى نفسه خارجاً من مكان قد كان فيه، ويوم يموت لأنه يرى قوماً ما شاهدهم قط، ويوم يبعث لأنه يرى مشهداً عظيماً فأكرم الله تعالى يحيى في هذه المواطن كلها فخصه بالسلامة فيها.

قوله عز وجل ﴿**واذكر في الكتاب**﴾ أي في القرآن ﴿**مريم إذ انتبذت**﴾ أي تنحت واعتزلت ﴿**من أهلها**﴾ أي من قومها ﴿**مكاناً شرقياً**﴾ أي مكاناً في الدار ما يلي المشرق، وكان ذلك اليوم شاتياً شديد البرد فجلست في مشرقه تفلي رأسها وقيل إن مريم كانت قد طهرت من الحيض فذهبت تغتسل، قيل ولهذا المعنى اتخذت النصارى المشرق قبلة ﴿**فاتخذت**﴾ أي فضربت ﴿**من دونهم حجاباً**﴾ قال ابن عباس أي ستراً وقيل جلست وراء جدار، وقيل إن مريم كانت تكون في المسجد فإذا حاضت تحولت إلى بيت خالتها، حتى إذا طهرت عادت إلى المسجد، فبينما هي تغتسل من الحيض قد تجردت، إذ عرض لها جبريل في صورة شاب أمرد وضيء الوجه بسوي الخلق فذلك.

قوله تعالى ﴿**فأرسلنا إليها روحنا**﴾ يعني جبريل ﴿**فتمثل لها بشراً سوياً**﴾ أي سوي الخلق لم ينقص من الصورة الآدمية شيئاً، وإنما مثل لها في صورة الإنسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه، ولو بدا لها في صورة الملائكة لنفرت عنه ولم تقدر على استماع كلامه، وقيل المراد من الروح روح عيسى جاءت في صورة بشر فحملت به والقول الأول أصح، فلما رأت مريم جبريل عليه السلام يقصد نحوها بادرته من بعيد ﴿**قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً**﴾ أي مؤمناً مطيعاً لله تعالى، دل تعوذها من تلك الصورة الحسنة على عفتها وورعها. فإن قلت إنما يستعاذ من الفاجر فكيف قالت إن كنت تقياً. قلت هذا كقول القائل إن كنت مؤمناً فلا تظلمني أي ينبغي أن يكون إيمانك مانعاً من الظلم، كذلك ها هنا معناه ينبغي أن تكون تقواك مانعة لك من الفجور ﴿**قال**﴾ لها جبريل عليه السلام ﴿**إنما أنا رسول**

الجبار الذي يضرب، ويقتل على الغضب، والعصي العاصي.

﴿ **وسلامٌ عليه** ﴾، أي: سلام له، ﴿ **يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيّاً** ﴾، قال سفيان بن عيينة: أوحش ما يكون الإنسان في هذه الأحوال يوم ولد فيخرج مما كان فيه، ويوم يموت فيرى قوماً لم يكن عاينهم، ويوم يُبعث حيّاً فيرى نفسه في محشر لم يرَ مثله، فخصّ يحيىٰ بالسلامة في هذه المواطن.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **واذكر في الكتاب** ﴾، في القرآن، ﴿ **مريم إذ انتبذت** ﴾، تنحّت واعتزلت، ﴿ **من أهلها** ﴾، من قومها، ﴿ **مكاناً شرقياً** ﴾، أي مكاناً في الدار مما يلي المشرق، وكان يوماً شاتياً شديد البرد فجلست في مشرقة تفلّي رأسها. وقيل: كانت طهرت من الحيض، فذهبت لتغتسل. قال الحسن: ومن ثم اتخذت النصارى المشرق قبلة.

﴿ **فاتخذت** ﴾، فضربتْ، ﴿ **من دونهم حجاباً** ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ستراً. وقيل: جلست وراء جدار، وقال مقاتل: وراء جبل. وقال عكرمة: إن مريم كانت تكون في المسجد فإذا حاضت تحوّلت إلى بيت خالتها حتى إذا طهرت عادت إلى المسجد، فبينما هي تغتسل من الحيض قد تجردت إذ عرض لها جبريل في صورة شاب أمرد وضيء الوجه جعد الشعر سوي الخلق، فذلك قوله ﴿ **فأرسلنا إليها روحنا** ﴾، يعني جبريل عليه السلام، ﴿ **فتمثّل لها بشراً سويّاً** ﴾، وقيل: المراد بالروح عيسى عليه السلام، جاء في صورة بشر فحملت به. والأول أصحّ فلما رأت مريم جبريل يقصد نحوها نادته من بعيد.

﴿ **وقالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيّاً** ﴾،مؤمناً مطيعاً، فإن قيل: إنما يُستعاذ من الفاجر، فكيف قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيّاً؟ قيل: هذا كقول القائل: إن كنت مؤمناً فلا تظلمني أي ينبغي أن يكون

ربك لأهب﴾ أسند الفعل إليه وإن كانت الهبة من الله تعالى لأنه أرسل به ﴿لك غلاماً زكياً﴾ قال ابن عباس ولداً صالحاً طاهراً من الذنوب ﴿قالت﴾ مريم ﴿أنى يكون لي﴾ أي من أين يكون لي ﴿غلام ولم يمسسني بشر﴾ أي ولم يقربني زوج ﴿ولم أك بغياً﴾ أي فاجرة تريد أن الولد إنما يكون من نكاح أو سفاح ولم يكن ها هنا واحد منهما ﴿قال﴾ جبريل ﴿كذلك قال ربك﴾ أي هكذا قال ربك ﴿هو علي هين﴾ أي خلق ولدك بلا أب ﴿ولنجعله آية للناس﴾ أي علامة لهم ودلالة على قدرتنا ﴿ورحمة منا﴾ أي ونعمة لمن تبعه على دينه إلى بعثة محمد ﷺ ﴿وكان أمراً مقضياً﴾ أي محكوماً مفروغاً من لا يرد ولا يبدل. قوله عز وجل ﴿فحملته﴾ قيل إن جبريل رفع درعها فنفخ في جيبه فحملت حين لبست الدرع، وقيل مد جيب درعها بأصبعه ثم نفخ في الجيب، وقيل نفخ في كمها وقيل في ذيلها، وقيل في فيها، وقيل نفخ من بعيد فوصل النفخ إليها فحملت بعيسى عليه السلام في الحال ﴿فانتبذت به﴾ أي فلما حملته تنحت بالحمل وانفردت ﴿مكاناً قصياً﴾ أي بعيداً من أهلها.

قال ابن عباس: أقصى الوادي، وهو بيت لحم فراراً من أهلها وقومها أن يعيروها بولادتها من غير زوج. قال ابن عباس: كان الحمل والولادة في ساعة واحدة وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها، وقيل كانت مدته تسعة أشهر كحمل سائر الحوامل من النساء، وقيل كانت مدة حملها ثمانية أشهر، وذلك آية أخرى له لأنه لا يعيش من ولد لثمانية أشهر وولد عيسى لهذه المدة وعاش، وقيل ولد لستة أشهر وهي بنت عشر سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل ست عشرة سنة وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل بعيسى، وقال وهب: إن مريم لما حملت بعيسى كان معها ابن عم لها يقال له يوسف النجار، وكانا منطلقين إلى المسجد الذي يمنة جبل صهيون، وكانا يخدمان ذلك المسجد ولا يعلم من أهل زمانها أحد أشد عبادة واجتهاداً منها وأول من علم بحمل مريم يوسف، فبقي متحيراً في أمرها كلما أراد أن يتهمها ذكر عبادتها وصلاحها وأنها لم تغب عنه، وإذا أراد أن يبرئها رأى ما ظهر منها من الحمل فأول ما تكلم به أن قال إنه وقع في نفسي من أمرك شيء وقد حرصت على كتمانه

إيمانك مانعاً من الظلم، وكذلك ههنا معناه: وينبغي أن يكون تقواك مانعاً لك من الفجور.

﴿ قال ﴾، لها جبريل، ﴿ إنما أنا رسول ربِّك لأهبَ لكِ ﴾، قرأ نافع وأهل البصرة: (ليهب لك) أي ليهب لك ربك، وقرأ الآخرون: ﴿ لأهب لك ﴾ أسند الفعل إلى الرسول، وإن كانت الهبة من الله تعالى، لأنه أرسل به، ﴿ غلاماً زكياً ﴾، ولداً صالحاً طاهراً من الذنوب.

﴿ قالت ﴾، مريم، ﴿ أنّى ﴾، من أين، ﴿ يكون لي غلامٌ ولم يمسسني بشر ﴾، لم يقربني زوج، ﴿ ولم أكُ بغياً ﴾، فاجرةً، تريد أن الولد إنما يكون من نكاح أو سفاح، ولم يكن هنا واحد منهما.

﴿ قال ﴾، جبريل، ﴿ كذلكِ ﴾، قيل معناه كما قلت يا مريم ولكن، ﴿ قال ربُّكِ ﴾، وقيل هكذا قال ربك، ﴿ هو عَليَّ هيِّن ﴾، أي: خلق ولد بلا أب، ﴿ ولنجعله آيةً ﴾، علامة، ﴿ للناس ﴾، دلالة على قدرتنا، ﴿ ورحمةً منّا ﴾، ونعمة لمَن تبعه على دينه، ﴿ وكان ﴾ ذلك، ﴿ أمراً مقضياً ﴾، محكوماً مفروغاً عنه لا يردّ ولا يبدل.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ فحملتهُ ﴾، قيل: إن جبريل رفع عنها درعها فنفخ في جيبها فحملت حين لبست. وقيل: مدّ جيب درعها بأصبعه ثم نفخ في الجيب. وقيل: نفخ في كمّ قميصها. وقيل: في فيها. وقيل: نفخ جبريل عليه السلام نفخاً من بعيد فوصل الريح إليها فحملت بعيسى في الحال، ﴿ فانتبذتْ به ﴾، أي تنحّت بالحمل فلما حملته أنبذت به أي وانفردت، ﴿ مكاناً قصيّاً ﴾، أي بعيداً من أهلها. قال ابن عباس رضي الله عنهما: أقصى

فغلبني ذلك فرأيت أن أتكلم به أشفي صدري، فقالت: قل قولاً جميلاً، قال أخبريني يا مريم هل ينبت زرع بغير بذر وهل ينبت شجر بغير غيث وهل يكون ولد من غير ذكر؟ قالت نعم ألم تعلم أن الله أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر ألم تر أن الله أنبت الشجرة بالقدرة من غير غيث أو تقول إن الله تعالى لا يقدر على أن ينبت الشجرة حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على إنباتها قال يوسف: لا أقول هذا ولكني أقول إن الله تعالى يقدر على كل شيء يقول له كن فيكون، قالت له مريم: ألم تعلم أن الله خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا أنثى. فعند ذلك زال ما عنده من التهمة وكان ينوب عنها في خدمة المسجد لاستيلاء الضعف عليها بسبب الحمل. فلما دنت ولادتها أوحى الله إليها أن اخرجي من أرض قومك فذلك قوله تعالى ﴿فانتبذت به مكاناً قصياً﴾ قوله عز وجل:

﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾

﴿فأجاءها المخاض﴾ أي ألجأها وجاء بها والمخاض وجع الولادة ﴿إلى جذع النخلة﴾ وكانت نخلة يبست في الصحراء في شدة البرد ولم يكن لها سعف، وقيل التجأت إليها تستند إليها وتستمسك بها من شدة الطلق، ووجع الولادة ﴿قالت يا ليتني مت قبل هذا﴾ تمنت الموت استحياء من الناس وخوفاً من الفضيحة ﴿وكنت نسياً منسياً﴾ يعني شيئاً حقيراً متروكاً لم يذكر، ولم يعرف لحقارته وقيل جيفة ملقاة، وقيل معناه أنها تمنت أنها لم تخلق ﴿فناداها من تحتها﴾ قيل إن مريم كانت على أكمة وجبريل وراء الأكمة تحتها، وقيل ناداها من سفح الجبل وقيل هو عيسى وذلك

الوادي، وهو وادي بيت لحم، فراراً من قومها أن يعيّروها بولادتها من غير زوجٍ، واختلفوا في مدة حملها ووقت وضعها، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان الحمل والولادة في ساعة واحدة. وقيل: كان مدة حملها تسعة أشهر كحمل سائر النساء. وقيل: كان مدة ثمانية أشهر، وكان ذلك آية أخرى لأنه لا يعيش ولد يولد لثمانية أشهر، وولد عيسى لهذه المدة وعاش. وقيل: ولدت لستة أشهر. وقال مقاتل بن سليمان: حملته مريم في ساعة وصُوِّر في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها، وهي بنت عشر سنين، وكانت قد حاضت حيضتين قبل أن تحمل بعيسى.

﴿ فأجاءها ﴾. أي ألجأها وجاء بها، ﴿ المخاض ﴾، وهو وجع الولادة، ﴿ إلى جذع النخلة ﴾، وكانت نخلة يابسة في الصحراء، في شدة الشتاء، لم يكن لها سعف، وقيل: التجأت إليها لتستند إليها وتتمسك بهاعلى وجع الولادة، ﴿ قالت يا ليتني مِتّ قبل هذا ﴾، تمنّت الموت استحياءً من الناس وخوف الفضيحة، ﴿ وكنتُ نسياً ﴾، قرأ حمزة وحفص ﴿ نسياً ﴾ بفتح النون، والباقون بسكرها، وهما لغتان، مثل الوتر والوتر والجسر والجسر، وهو الشيء المنسي، والنسي في اللغة كل ما أُلقي ونُسي ولم يُذكَر لحقارته، ﴿ منسيّاً ﴾، أي: متروكاً قال قتادة: شيء لا يُعرَف ولا يُذكَر. قال عكرمة والضحاك ومجاهد: جيفة ملقاة. وقيل: تعني لم أُخلَق.

﴿ فناداها مِنْ تحتِها ﴾، قرأ أبو جعفر ونافع وحمزة والكسائي وحفص ﴿ من تحتها ﴾ بكسر الميم والتاء يعني جبريل عليه السلام، وكانت مريم على أكمة وجبريل وراء الأكمة تحتها فناداها، وقرأ الآخرون بفتح الميم والتاء

أنه لما خرج من بطن أمه ناداها ﴿أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً﴾ أي نهراً.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ضرب جبريل عليه السلام، وقيل عيسى عليه السلام برجله في الأرض فظهرت عين ماء عذبة، وجرت وقيل كان هناك نهر يابس فجرى فيه الماء بقدرة الله سبحانه وتعالى وجنت النخلة اليابسة، فأورقت وأثمرت وأرطبت وقيل معنى تحتك تحت أمرك إن أمرته أن يجري جرى، وإن أمرته بالإمساك أمسك وقيل معنى سرياً أي عيسى وكان عبداً سرياً رفيعاً ﴿وهزي إليك﴾ أي حركي إليك ﴿بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً﴾ قيل الجنى الذي بلغ الغاية وجاء أوان اجتنائه. قال الربيع بن خيثم: ما للنفساء عندي خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل ﴿فكلي واشربي﴾ أي مريم كلي من الرطب واشربي من النهر ﴿وقري عيناً﴾ أي طيبي نفساً، وقيل قري عيناً بولدك عيسى، يقال أقر الله عينك أي صادف فؤادك ما يرضيك فتقر عينيك عن النظر إلى غيره ﴿فإما ترين من البشر أحداً﴾ معناه يسألك عن ولدك ﴿فقولي إني نذرت للرحمن صوماً﴾ أي صمتاً، قيل كان في بني إسرائيل من أراد أن يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم حتى يمسي، وقيل إن الله أمرها أن تقول هذا إشارة وقيل أمرها أن تقول هذا القول نطقاً ثم تمسك عن الكلام بعده وإنما منعت من الكلام لأمرين أحدهما: أن يكون عيسى عليه السلام هو المتكلم عنها ليكون أقوى لحجتها في إزالة التهمة عنها وفيه دلالة على أن تفويض الكلام إلى الأفضل

وأراد جبريل عليه السلام أيضاً ناداها من سفح الجبل. وقيل: هو عيسى لمّا خرج من بطن أُمه ناداها، ﴿ ألاّ تحزني ﴾، وهو قول مجاهد والحسن، والأول قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، والسدي وقتادة والضحاك وجماعة أن المنادي كان جبريل لما سمع كلامها وعرف جزعها ناداها ألاّ تحزني، ﴿ قد جعل ربك تحتكِ سريّاً ﴾، والسري: النهر الصغير. وقيل، تحتك أي جعله الله تحت أمرك إن أمرتيه أن يجري جرى وإن أمرتيه بالإمساك أمسك. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ضرب جبريل عليه السلام. ويقال: ضرب عيسى عليه الصلاة والسلام برجله الأرض فظهرت عين ماء عذب وجرى. وقيل: كان هناك نهر يابس أجرى الله سبحانه وتعالى فيه الماء وحييت النخلة اليابسة، فأورقت وأثمرت وأرطبت. وقال الحسن: تحتك سريّاً يعني عيسى وكان والله عبداً سرياً يعني رفيعاً.

﴿ وهزّي إليك ﴾، يعني قيل لمريم حرّكي ﴿بجذع النخلة﴾، تقول العرب هزّه وهزّ به. كما يقول حزّ رأسه وحزّ برأسه، وأمدد الجبل وأمدَدَ به، ﴿ تساقطْ عليك ﴾، القراءة المعروفة بفتح التاء والقاف وتشديد السين، يعني تتساقط، فأُدغمتْ إحدى التاءين في السين يعني تسقط عليك النخلة رطباً، وخفّف حمزة السين وحذف التاء التي أدغمها غيره، وقرأ حفص بضم التاء وكسر القاف خفيف على وزن تفاعل وتساقط بمعنى أسقط، والتأنيث لأجل النخلة، وقرأ يعقوب (يسـاقط) بالياء مشدّدة ردّه إلى الجذع، ﴿ رُطباً جنياً ﴾، مجنياً. وقيل: الجني هو الذي بلغ الغاية، وجاء أوان اجتنائه. قال الربيع بن خيثم: مـا للنفساء عنـدي خير من الـرطب، ولا للمريض خيـر من العسل.

قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فكلي واشربي ﴾، يعني فكلي يا مريم من الرطب واشربي من ماء النهر، ﴿ وقرّي عيناً ﴾، يعني طيبي نفساً وقيل: قرّي عينك بولدك عيسى، يقال: أقرّ الله عينك يعني صادف فؤادك ما يرضيك، فتقرّ عينك من النظر إليه. وقيل: أقرّ الله عينه يعني أنامها، يقال: قرّ يقرّ إذا سكن. وقيل: إن العين إذا بكت من السرور فالدمع بارد وإذا بكت من الحزن فالدمع يكون حاراً، فمن هذا قيل: أقرّ الله عينه وأسخن الله عينه. ﴿ فإما ترينّ من البشر أحداً ﴾، يعني ترينّ، فدخل عليه نون التأكيد فكسرت الياء لالتقاء الساكنين، معناه: فإما ترينّ من البشر أحداً فيسألك عن وعدك ﴿ فقولي إني نذرتُ للرحمن صوماً ﴾، يعني: صمتاً، وكذلك كان يقرأ ابن مسعود رضي الله عنه، والصوم في اللغة الإمساك عن الطعام والشراب والكلام. قال السدي: كان في بني إسرائيل مَن إذا

أولى. الثاني: كراهة مجادلة السفهاء وفيه أن السكوت عن السفيه واجب ﴿فلن أكلم اليوم إنسياً﴾ يقال إنها كانت تكلم الملائكة ولا تكلم الإنس.

قوله تعالى ﴿فأتت به قومها تحمله﴾ قيل إنها لما ولدت عيسى عليه السلام حملته في الحال إلى قومها وقيل إن يوسف النجار احتمل مريم وابنها عيسى إلى غار فمكث فيه أربعين يوماً حتى طهرت من نفاسها، ثم حملته إلى قومها فكلمها عيسى في الطريق فقال: يا أماه أبشري فإني عبدالله ومسيحه، فلما دخلت على أهلها ومعها الصبي بكوا وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين ﴿قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً﴾ أي عظيماً منكراً وقيل معناه جئت بأمر عجيب بديع ﴿يا أخت هارون﴾ أي شبيهة هارون قيل كان رجلاً صالحاً في بني إسرائيل شبهت به في عفتها وصلاحها وليس المراد الأخوة في النسب، قيل إنه تبع جنازته يوم مات أربعون ألفاً من بني إسرائيل كلهم يسمى هارون سوى سائر الناس (م) عن المغيرة بن شعبة قال: لما قدمت خراسان سألوني فقالوا إنكم تقرؤون يا أخت هارون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك فقال: «إنهم كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم والصالحين قبلهم».

وقيل كان هارون أخا مريم لأبيها، وقيل كان من أمثل رجل في بني إسرائيل وقيل إنما عنوا هارون أخا موسى لأنها كانت من نسله كما يقال للتميمي يا أخا تميم، وقيل كان هارون في بني إسرائيل فاسقاً أعظم الفسق فشبهوها به

أراد أن يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم حتى يمسي. وقيل: إن الله تعالى أمرها أن تقول هذا إشارة. وقيل: أمرها أن تقول هذا القدر نطقاً ثم تمسك عن الكلام بعده، ﴿ فلن أُكلّمَ اليوم إنسياً ﴾، يقال كانت تكلّم الملائكة ولا تكلم الإنس.

﴿ فأتتْ به قومها تحمله ﴾، وقيل: إنه ولدته ثم حملته في الحال إلى قومها. وقال الكلبي حمل يوسف النجار مريم عليها السلام وابنها عيسى صلوات الله على نبيّنا وعليه إلى غار ومكث أربعين يوماً حتى طهرت من نفاسها، ثم حملته مريم عليها السلام إلى قومها. فكلمها عيسى عليه السلام في الطريق فقال: يا أماه أبشري فإني عبد الله ومسيحه، فلما دخلت على أهلها ومعها الصبي بكوا وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين، ﴿ قالوا يا مريمُ لقد جئت شيئاً فرياً ﴾، عظيماً منكراً، قال أبو عبيدة: كل أمر فائق من عجب أو عمل فهو فري، قال النبي ﷺ في عمر: «فلم أرَ عبقرياً يفري فريه»، يعني عملـه.

﴿ يا أُختَ هارون ﴾، يريد يا شبيهة هارون، قال قتادة وغيره: كان هارون رجلاً صالحاً عابداً في بني إسرائيل. ورُوِيَ أنه اتّبع جنازته يوم مات أربعون ألفاً كلهم يسمى هارون من بني إسرائيل سوى سائر الناس، شبّهوها على معنى إنّا ظننا أنك مثله في الصلاح، وليس المراد منه الأخوّة في النسب كما قال الله تعالى: ﴿ إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ﴾ [الإسراء: ٢٧] أي أشباههم، أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغفار بن محمد أنا محمد بن عيسى أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجّاج ثنا محمد بن عبد الله بن نمير ثنا ابن إدريس عن أبيه عن سماك بن حرب عن علقمة بن وائل عن المغيرة بن شعبة قال: لمّا قَدِمتُ خراسان سألوني فقالوا إنكم تقرؤون: ﴿ يا أُخت هارون ﴾ وموسى قبل عيسى بكذا وكذا سنة، فلمّا قَدِمتُ على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك فقال: «إنهم كانوا يسمّون بأنبيائهم والصالحين قبلهم». وقال الكلبي: كان هارون أخا مريم من أبيها، وكان أمثل رجل في بني إسرائيل. وقال السدي: إنما عنوا به هارون أخا موسى لأنها كانت من نسله كما يقال للتميمي يا أخا تميم. وقيل: كان هارون رجلاً فاسقاً في بني إسرائيل عظيم الفسق فشبّهوها به. ﴿ ما كان

﴿ما كان أبوك﴾ يعني عمران ﴿امرأ سوء﴾ قال ابن عباس: زانياً ﴿وما كانت أمك﴾ يعني حنة ﴿بغياً﴾ أي زانية فمن أين لك هذا الولد.

فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَـٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾

﴿فأشارت إليه﴾ أي أشارت مريم إلى عيسى أن كلمهم، قال ابن مسعود: لما لم يكن لها حجة أشارت إليه ليكون كلامه حجة لها، وقيل لما أشارت إليه غضب القوم وقالوا مع ما فعلت أتسخرين بنا ﴿قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً﴾ قيل أراد بالمهد الحجر وهو حجرها، وقيل هو المهد بعينه قيل لما سمع عيسى كلامهم ترك الرضاع وأقبل عليهم، وقيل لما أشارت إليه ترك الرضاع واتكأ على يساره وأقبل عليهم وجعل يشير بيمينه ﴿قال إني عبد الله﴾ قال وهب: أتاها زكرياء عند مناظرتها اليهود، فقال لعيسى: انطق بحجتك إن كنت أمرت بها، فقال عند ذلك عيسى وهو ابن أربعين يوماً، وقيل: بل يوم ولد إني عبد الله أقر على نفسه بالعبودية لله تعالى أول ما تكلم لئلا يتخذ إلهاً. فإن قلت إن الذي اشتدت إليه الحاجة في ذلك الوقت نفي التهمة عن أمه وأن عيسى لم ينص على ذلك، وإنما نص على إثبات عبوديته لله تعالى.

أبوك﴾، عمران، ﴿ امرأ سوءٍ ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: زانياً، ﴿ وما كانت أمّك ﴾، حنة، ﴿ بغياً ﴾، أي زانية فمن أين لك هذا الولد؟ .

﴿ فأشارت ﴾، مريم، ﴿ إليه ﴾، أي إلى عيسى عليه السلام أن كلِّموه. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لمّا لم تكن لها حجة أشارت إليه ليكون كلامه حجة لها، وفي القصة: لمّا أشارت إليه غضب القوم، وقالوا مع ما فعلت أتسخرين بنا؟ ثم، ﴿ قالوا كيف نُكلّم مَن كان في المهد صبياً ﴾ أي: مَن هو في المهد، وهو حجرها. وقيل: هو المهد بعينه، ﴿ كان ﴾ بمعنى هو، وقال أبو عبيدة: كان صلة أي كيف نكلم صبياً في المهد، وقد يجيء كان حشواً في الكلام لا معنى له كقوله: ﴿ هل كنت إلّا بشراً رسولاً ﴾ [الإسراء: ٩٣] أي: هل أنا؟ قال السدي: فلما سمع عيسى كلامهم ترك الرضاع وأقبل عليهم. وقيل: لمّا أشارت إليه ترك الثدي واتكأ على يساره، وأقبل عليهم وجعل يشير بيمينه.

﴿ قال إني عبد الله ﴾، وقال وهب: أتاها زكريا عند مناظرتها اليهود فقال لعيسى انطق بحجتك إن كنت أمرت بها، فقال عند ذلك عيسى عليه السلام وهو ابن أربعين يوماً. وقال مقاتل: بل هو يوم ولد: إني عبد الله، أقرّ على نفسه بالعبودية لله عزّ وجلّ أول ما تكلم لئلا يتخذ إلّهاً، ﴿ آتاني الكتاب وجعلني نبياً ﴾، قيل: معناه سيؤتيني الكتاب ويجعلني نبيّاً. وقيل: هذا إخبار عمّا كتب في اللوح المحفوظ، كما قيل للنبي ﷺ: متى كنت نبيّاً؟ قال: «كنتُ نبيّاً وآدم بين الروح والجسد». وقال الأكثرون أُوتيَ الإنجيل وهو صغير طفل، وكان يعقل عقل الرجال. وعن الحسن: أنه قال أُلهم التوراة وهو في بطن أمه.

قلت كأنه جعل إزالة التهمة عن الله تعالى أولى من إزالة التهمة عن أمه، فلهذا أول ما تكلم باعترافه على نفسه بالعبودية لتحصل إزالة التهمة عن الأم، لأن الله تعالى لم يختص بهذه المرتبة العظيمة من ولد في زنا، والتكلم بإزالة التهمة عن أمه لا يفيد إزالة التهمة عن الله سبحانه وتعالى فكان الاشتغال بذلك أو ﴿آتاني الكتاب وجعلني نبياً﴾ قيل معناه سيجعلني نبياً ويؤتيني الكتاب وهو الإنجيل وهذا إخبار عما كتب له في اللوح المحفوظ كما قيل للنبي ﷺ متى كنت نبياً قال: «كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد» وقال الأكثرون إنه أوتي الإنجيل، وهو صغير وكان يعقل عقل الرجال الكمل وعن الحسن أنه ألهم التوراة وهو في بطن أمه ﴿وجعلني مباركاً أينما كنت﴾ معناه أني نفاع أينما توجهت، وقيل معلماً للخير أدعوا إلى الله وإلى توحيده وعبادته وقيل مباركاً على من يتبعني ﴿وأوصاني بالصلاة والزكاة﴾ أي أمرني بهما وكلفني فعلهما. فإن قلت كيف يؤمر بالصلاة والزكاة، في حال طفوليته وقد قال ﷺ «رفع القلم عن ثلاث الصبي حتى يبلغ» الحديث. . . قلت إن قوله وأوصاني بالصلاة والزكاة لا يدل على أنه تعالى أوصاه بأدائهما في الحال بل المراد أوصاه بأدائهما في الوقت المعين لهما وهو البلوغ، وقيل إن الله تعالى صيره حين انفصل عن أمه بالغاً عاقلاً وهذا القول أظهر في سياق قوله ﴿ما دمت حياً﴾ فإنه يفيد أن هذا التكليف متوجه إليه في زمان جميع حياته حين كان في الأرض، وحين رفع إلى السماء وحين ينزل الأرض بعد رفعه ﴿وبراً بوالدتي﴾ أي جعلني براً بوالدتي ﴿ولم يجعلني جباراً شقياً﴾ أي عاصياً لربي متكبراً على الحق بل، وأنا خاضع متواضع وروي أنه قال: قلبي لين وأنا صغير في نفسي، قال بعض العلماء لا تجد العاق إلا جباراً شقياً وتلا هذه الآية، وقيل الشقي الذي يذنب ولا يتوب.

﴿والسلام علي يوم ولدت﴾ أي السلامة عند الولادة من طعن الشيطان ﴿ويوم أموت﴾ أي عند الموت من الشرك ﴿ويوم أبعث حياً﴾ أي من أهوال يوم القيامة فلما كلمهم عيسى بذلك علموا براءة مريم ثم سكت عيسى فلم يتكلم حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الأطفال ﴿ذلك عيسى ابن مريم﴾ أي ذلك الذي قال إني عبدالله هو عيسى بن مريم

﴿ وجعلني مباركاً أينما كنتُ ﴾، أي نفّاعاً حيث ما توجهت. وقال مجاهد: معلماً للخير. وقال عطاء: أدعو إلى الله وإلى توحيده وعبادته. وقيل: مباركاً على مَن تبعني: ﴿ وأوصاني بالصلاة والزكاة ﴾، أي أمرني بهما، فإن قيل: لمْ يكن لعيسى مال فكيف يؤمر بالزكاة؟ قيل: معناه بالزكاة لو كان لي مال. وقيل: أوصاني بالزكاة أي أمرني أن أوصيكم بالزكاة. وقيل: بالاستكثار من الخير. ﴿ ما دمتُ حيّاً ﴾.

﴿ وبرّاً بوالدتي ﴾ أي وجعلني برّاً بوالدتي، ﴿ ولم يجعلني جبّاراً شقياً ﴾، أي عاصياً لربه. وقيل: الشقي الذي يذنب ولا يتوب.

﴿ والسلام عليَّ يوم ولدت ﴾، أي السلام عند الولادة من طعن الشيطان. ﴿ ويوم أموت ﴾، أي عند الموت من الشرك، ﴿ ويوم أبعث حيّاً ﴾، من الأهوال، فلما كلّمهم عيسى بهذا علموا براءة مريم ثم سكت عيسى عليه السلام فلم يتكلم بعد ذلك حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الصبيان.

﴿ ذلك عيسى ابن مريم ﴾، قال الزجّاج: أي ذلك الذي قال إني عبد الله عيسى ابن مريم، ﴿ قول الحق ﴾، قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب: ﴿ قول الحق ﴾ بنصب اللام وهو نصب على المصدر أي: قال: قول الحق، ﴿ الذي فيه يمترون ﴾، يختلفون فقائل يقول هو ابن الله، وقائل يقول هو الله، وقائل يقول هو ساحر كذاب. وقرأ الآخرون برفع اللام يعني هو قول الحق، أي هذا الكلام هو قول الحق، أضاف القول إلى الحق، كما قال: حقّ اليقين، ووعد الصدق، وقيل: هو نعت لعيسى ابن مريم، يعني ذلك عيسى ابن مريم كلمة الله الحق هو

﴿قول الحق﴾ أي هذا الكلام هو القول الحق أضاف القول إلى الحق، وقيل هو نعت لعيسى يعني بذلك عيسى بن مريم كلمة الله الحق والحق هو الله ﴿الذي فيه يمترون﴾ أي يشكون ويختلفون فقائل يقول هو ابن الله وقائل يقول ثالث ثلاثة تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ثم نزه نفسه عن اتخاذ الولد ونفاه عنه فقال تعالى ﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد﴾ أي ما كان من صفاته اتخاذ الولد ولا ينبغي له ذلك ﴿سبحانه إذا قضى أمراً﴾ أي إذا أراد أن يحدث أمراً ﴿فإنما يقول له كن فيكون﴾ أي لا يتعذر عليه اتخاذه على الوجه الذي أراده ﴿وإن الله ربي وربكم فاعبدوه﴾ هذا إخبار عن عيسى أنه قال ذلك يعني لأن الله ربي وربكم لا رب للمخلوقات سواه ﴿هذا صراط مستقيم﴾ أي هذا الذي أخبرتكم به أن الله أمرني به هو الصراط المستقيم الذي يؤدي إلى الجنة ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم﴾ يعني النصارى سموا أحزاباً لأنهم تحزبوا ثلاث فرق في أمر عيسى النسطورية والملكانية واليعقوبية ﴿فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم﴾ يعني يوم القيامة حين.

أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ
فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ
صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ
ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾
يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ
لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾

﴿أسمع بهم وأبصر﴾ أي ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة حين لا ينفعهم السمع والبصر أخبر أنهم يسمعون ويبصرون في الآخرة ما لم يسمعوا ويبصروا في الدنيا، وقيل معناه التهديد بما يسمعون ويبصرون مما يسوءهم ويصدع قلوبهم ﴿يوم يأتوننا﴾ أي يوم القيامة ﴿لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين﴾ قيل أراد باليوم الدنيا، يعني أنهم في الدنيا في خطأ بين وفي الآخرة يعرفون الحق، وقيل: معناه لكن الظالمون في الآخرة في ضلال عن طريق الجنة بخلاف المؤمنين.

الله الذي فيه يمترون ويشكون ويختلفون ويقولون غير الحق، ثم نفى عن نفسه الولد، ثم عظّم نفسه فقال:

﴿ ما كان لله أن يتخذ من ولد ﴾، أي ما كان من صفته اتخاذ الولد. وقيل: اللام منقولة أي ما كان الله أن يتخذ من ولد، ﴿ سبحانه إذا قضى أمراً ﴾، إذا أراد أن يحدث أمراً، ﴿ فإنّما يقول له كن فيكون ﴾.

﴿ وإنّ الله ربّي وربّكم ﴾، قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو (أن الله) بفتح الألف يرجع إلى قوله: ﴿ وأوصاني بالصلاة والزكاة ﴾ وبأن الله ربّي وربكم، وقرأ أهل الشام والكوفة ويعقوب بكسر الألف على الاستئناف، ﴿ فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴾.

قوله تعالى: ﴿ فاختلف الأحزاب من بينهم ﴾، يعني النصارى سُمّوا أحزاباً لأنهم تحزبوا ثلاث فِرَق في أمر عيسى، النسطورية والملكانية واليعقوبية. ﴿ فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ﴾، يعني يوم القيامة.

﴿ أسمعْ بهم وأبصرْ ﴾، أي ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة حين لا ينفعهم السمع والبصر، أخبر أنهم يسمعون ويبصرون في الآخرة ما لم يسمعوا ولم يبصروا في الدنيا. قال الكلبي: لا أحد يوم القيامة أسمع منهم ولا أبصر حين يقول الله تعالى لعيسى: ﴿ أأنت قلتَ للناس ﴾ [المائدة: ١١٦] الآية. ﴿ يوم يأتوننا لكن الظالمون اليومَ في ضلال مبين ﴾، أي: في خطأ بيّن.

قوله تعالى ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾ يعني خوف يا محمد كفار مكة يوم الحسرة، سمي بذلك لأن المسيء يتحسر هلا أحسن العمل والمحسن هلا زاد في الإحسان، يدل عليه ما روى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال «ما من أحد يموت إلا ندم قالوا ما ندمه يا رسول الله قال: إن كان محسناً ندم أن لا يكون ازداد وإن كان مسيئاً ندم أن لا يكون نزع» أخرجه الترمذي. قوله أن لا يكون نزع النزع عن الشيء: الكف عنه، وقال أكثر المفسرين يعني بيوم الحسرة حين يذبح الموت. (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال: رسول الله ﷺ «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناد يا أهل الجنة فيشرفون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه، ثم ينادي مناد آخر يا أهل النار فيشرفون وينظرون، فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه فيذبح بين الجنة والنار، ثم يقول يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت ثم قرأ.

﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون﴾ وأشار بيده إلى الدنيا وزاد الترمذي فيه «فلو أن أحداً مات فرحاً لمات أهل الجنة ولو أن أحداً مات حزناً لمات أهل النار» قوله كهيئة كبش أملح الأملح: المختلط بالبياض والسواد، قوله فيشرفون يقال أشرف إلى الشيء إذا تطلع ينظر إليه ومالت نحوه نفسه. قوله فيذبح بين الجنة والنار اعلم أن الموت عرض ليس بجسم في صورة كبش أو غيره فعلى هذا يتأول الحديث، على أن الله تعالى يخلق هذا الجسم وهو حيوان فيذبح فيموت فلا يبقى يرجى له حياة ولا وجود، وكذلك حال أهل الجنة والنار بعد الاستقرار فيهما لا زوال لهما ولا انتقال (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار فيذبح ثم ينادي مناد يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم». عن أبي هريرة

﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذْ قضي الأمر ﴾، فرغ من الحساب وأدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، وذبح الموت. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عمر بن حفص بن غياث أنا أبي أنا الأعمش أبو صالح عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي منادٍ: يا أهل الجنة فيشرفون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار فيشرفون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه فيذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت» ثم قرأ: ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذْ قُضِي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون ﴾. ورواه أبو عيسى عن أحمد بن منيع عن النضر بن إسماعيل عن الأعمش بهذا الإسناد، وزاد: «فلولا أن الله تعالى قضى لأهل الجنة الحياة والبقاء لماتوا فرحاً، ولولا أن الله تعالى قضى لأهل النار الحياة والبقاء لماتوا ترحاً». أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا معاذ بن أسد أنا عبد الله أنا عمر بن محمد بن زيد عن أبيه أنه حدّثه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صار أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار. ثم يذبح ثم ينادي منادٍ: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم». أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو اليمان أنا شعيب أنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل أحدٌ الجنة إلاّ رأى مقعدَه من النار لو أساء ليزداد شكراً، ولا يدخل النار أحدٌ إلاّ رأى مقعدَه من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة». أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا الحسين بن

قال: قال رسول الله ﷺ «لا يدخل الجنة أحد إلا رأى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكراً ولا يدخل النار أحد إلا رأى مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة» أخرجه البخاري.

وقوله تعالى ﴿إذ قضي الأمر﴾ أي فرغ من الحساب وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وذبح الموت ﴿وهم في غفلة﴾ أي عما يراد بهم في الآخرة ﴿وهم لا يؤمنون﴾ أي لا يصدقون ﴿إنا نحن نرث الأرض ومن عليها﴾ أي نميت سكان الأرض جميعاً ويبقى الله سبحانه وتعالى وحده فيرثهم ﴿وإلينا يرجعون﴾ فنجزيهم بأعمالهم. قوله عز وجل ويبقى ﴿واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً﴾ أي كثير الصدق وهو مبالغة في كونه صديقاً، وقيل الصدِّيق الكثير التصديق قيل من صدق الله في وحدانيته وصدق أنبياءه ورسله وصدق بالبعث بعد الموت وقام بالأوامر فعمل بها فهو صديق، ولما قربت رتبة الصديق من رتبة النبي انتقل من ذكر كونه صديقاً إلى ذكر كونه نبياً، والنبي العالي في الرتبة بإرسال الله إياه وأي رتبة أعلى من رتبة من جعله الله تعالى واسطة بينه وبين عباده ﴿إذ قال لأبيه﴾ يعني آزر وهو يعبد الأصنام ﴿يا أبت لم تعبد ما لا يسمع﴾ يعني صوتاً ﴿ولا يبصر﴾ لا ينظر شيئاً ﴿ولا يغني عنك﴾ أي يكفيك ﴿شيئاً﴾ وصف الأصنام بثلاثة أشياء كل واحد منها قادح في الإلهية، وذلك أن العبادة هي غاية التعظيم للمعبود فلا يستحقها إلا من له ولاية الإنعام وله أوصاف الكمال وهو الله تعالى فلا يستحق العبادة إلا هو ﴿يا أبت إني قد جاءني من العلم﴾ يعني بالله والمعرفة ﴿ما لم يأتك فاتبعني﴾ أي على ديني ﴿أهدك صراطاً سوياً﴾ أي مستقيماً ﴿يا أبت لا تعبد الشيطان﴾ أي لا تطعه فيما يزين لك من الكفر والشرك.

﴿إن الشيطان كان للرحمن عصياً﴾ أي عاصياً ﴿يا أبت إني أخاف﴾ أي أعلم، وقيل هو على ظاهره لأنه يمكن أن يؤمن فيكون من أهل الجنة، أو يصر على الكفر فيكون من أهل النار فحمل الخوف على ظاهره أولى. واعلم أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام رتب هذا الكلام في غاية الحسن مقروناً بالتلطف والرفق، فإن قوله في مقدمة كلامه يا أبت دليل على شدة الحب والرغبة في صرفه عن العقاب وإرشاده إلى الصواب، لأنه نبه أولاً على ما يدل على المنع من عبادة الأصنام ثم أمره باتباعه في الإيمان، ثم نبه على أن طاعة الشيطان غير جائزة في العقول ثم ختم الكلام

الحسن أنا ابن المبارك أنا يحيى بن عبد الله قال: سمعت أبي قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «ما من أحد يموت إلّا ندم»، قالوا: فما ندمه يا رسول الله؟ قال: «إن كان محسناً ندم أن لا يكون ازداد، وإن كان مسيئاً ندم أن لا يكون نزع». ﴿وهم في غفلة﴾، أي عمّا يُفعل بهم في الآخرة، ﴿وهم لا يؤمنون﴾، لا يصدقون.

قوله عزّ وجلّ: ﴿إنّا نحنُ نرثُ الأرضَ ومَن عليها﴾، أي نُميت سكان الأرض ونهلكهم جميعاً، ويبقى الرب وحده فيرثهم، ﴿وإلينا يُرجعون﴾، فنجزيهم بأعمالهم.

﴿واذكرْ في الكتاب إبراهيم إنه كان صدّيقاً نبياً﴾، الصديق الكثير الصدق القائم عليه. وقيل: مَن صدق الله في وحدانيته، وصدّق أنبياءه ورسله، وصدق بالبعث، وقام بالأوامر فعمل بها، فهو الصديق. والنبي العالي في الرتبة بإرسال الله تعالى إيّاه.

قوله تعالى: ﴿إذْ قال﴾، إبراهيم، ﴿لأبيه﴾، آزر وهو يعبد الأصنام، ﴿يا أبتِ لِمَ تعبدُوا ما لا يسمع﴾، صوتاً، ﴿ولا يبصر﴾، شيئاً، ﴿ولا يُغني عنك﴾، أي لا يكفيك، ﴿شيئاً﴾.

﴿يا أبتِ إنّي قد جاءني من العلم﴾، بالله والمعرفة، ﴿ما لم يأتِكَ فاتّبعني﴾، على ديني، ﴿أهدِكَ صراطاً سويّاً﴾، مستقيماً.

بالوعيد الزاجر عن الإقدام على ما لا ينبغي بقوله إني أخاف ﴿أن يَمَسَّك﴾ أي يصيبك ﴿عذاب من الرحمن﴾ أي إن أقمت على الكفر ﴿فتكون للشيطان ولياً﴾ أي قريناً في النار، وقيل صديقاً له في النار، وإنما فعل إبراهيم عليه الصلاة والسلام هذا مع أبيه لأمور أحدها: لشدة تعلق قلبه بصلاحية أبيه وأداء حق الأبوة والرفق به، وثانيها: أن النبيّ الهادي إلى الحق لا بد أن يكون رفيقاً لطيفاً حتى يقبل منه كلامه، وثالثها: النصح لكل أحد فالأب أولى ﴿قال﴾ يعني أباه مجيباً له ﴿أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم﴾ أي أتاركها أنت وتارك عبادتها ﴿لئن لم تنته﴾ أي ترجع وتسكت عن عيبك آلهتنا وشتمك إياها ﴿لأرجمنك﴾ قال ابن عباس: معناه لأضربنك، وقيل لأقتلنك بالحجارة، وقيل لأشتمنك، وقيل لأبعدنك عني بالقول القبيح والقول الأول هو الصحيح ﴿واهجرني﴾ أي اجتنبني قال ابن عباس: اعتزلني سالماً لا يصيبنك مني معرة ﴿ملياً﴾ أي دهراً طويلاً.

قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾

﴿قال﴾ يعني إبراهيم ﴿سلام عليك﴾ أي سلمت مني لا أصيبك بمكروه وذلك لأنه لم يؤمن بقتاله على كفره، وقيل هذا سلام هجران ومفارقة، وقيل هو سلام بر ولطف وهو جواب الحليم للسفيه ﴿سأستغفر لك ربي﴾، قيل إنه لما أعياه أمره وعده أن يراجع الله فيه فيسأله أن يرزقه التوحيد ويغفر له، وقيل معناه سأسأل لك ربي توبة تنال بها

﴿ يا أبتِ لا تعبدِ الشيطان ﴾، لا تطعه فيما يزيّن لك من الكفر والشرك، ﴿ إن الشيطان كان للرحمن عَصِيّاً ﴾، عاصياً، كان بمعنى الحال، أي هو كذلك.

﴿ يا أبت إنّي أخاف ﴾، أي أعلم، ﴿ أن يمسك ﴾، يصيبك، ﴿ عذابٌ من الرحمن ﴾، إن أقمتَ على الكفر، ﴿ فتكونَ للشيطان وليّاً ﴾، قريناً في النار.

﴿ قال ﴾ أبوه مجيباً له، ﴿ أراغبٌ أنتَ عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته ﴾، لئن لم تسكت وترجع عن عيبك آلهتنا وشتمك إيّاها، ﴿ لأرجمنّك ﴾، قال الكلبي ومقاتل والضحاك: لأشتمنّك ولأبعدنّك عني بالقول القبيح. قال ابن عباس: لأضربنّك. وقال الحسن: لأقتلنّك بالحجارة. ﴿ واهجرني مليّاً ﴾، قال الكلبي: اجتنبني طويلاً. وقال مجاهد وعكرمة: حيناً. وقال سعيد بن جبير: دهراً. أصله المكث، ومنه يقال: تملّيت حيناً، والملوان: الليل والنهار. وقال قتادة وعطاء: سالماً. وقال ابن عباس: اعتزلني سالماً لا تصيبك منّي معرّة، يقال: فلان ملي بأمر كذا إذا كان كافياً.

﴿ قال ﴾ إبراهيم ﴿ سلامٌ عليك ﴾، أي سلمت مني لا أصيبك بمكروه، وذلك أنه لم يؤمر بقتاله على كفره. وقيل: هذا سلام هجران ومفارقة. وقيل: سلام برٍّ ولطفٍ، وهو جواب الحليم للسفيه. قال الله تعالى: ﴿ وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ﴾ [الفرقان: ٦٣]. ﴿ سأستغفرُ لكَ ربّي ﴾، قيل: إنه لمّا أعياه أمره ووعده أن

المغفرة ﴿إنه كان بي حفياً﴾ أي براً لطيفاً والمراد أنه يستجيب لي إذا دعوته لأنه عودني الإجابة لدعائي ﴿وأعتزلكم وما تدعون من دون الله﴾ أي أفارقكم وأفارق ما تعبدون من دون الله وذلك أنه فارقهم وهاجر إلى الأرض المقدسة ﴿وأدعو ربي﴾ أي أعبد ربي الذي خلقني وأنعم علي ﴿عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقياً﴾ أي أرجو أن لا أشقى بدعاء ربي وعبادته كما تشقون أنتم بعبادة الأصنام، ففيه التواضع له مع التعريض بشقاوتهم. قوله عز وجل ﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله﴾ أي ذهب مهاجراً ﴿وهبنا له﴾ أي بعد الهجرة ﴿إسحاق ويعقوب﴾ أي آنسنا وحشته من فراقهم بأولاد أكرم على الله من أبيه ﴿وكلاً جعلنا نبياً﴾ أي أنعمنا عليهما بالنبوة ﴿ووهبنا لهم من رحمتنا﴾ أي مع ما وهبنا لهم من النبوة وهبنا لهم المال والولد وذلك أنه بسط لهم في الدنيا من سعة الرزق وكثرة الأولاد ﴿وجعلنا لهم لسان صدق علياً﴾ يعني ثناء حسناً رفيعاً في أهل كل دين حتى دعا لهم أهل الأديان كلهم فهم يتولونهم ويثنون عليهم.

قوله عز وجل ﴿واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً﴾ قرىء بكسر اللام أي أخلص العبادة، والطاعة لله تعالى ولم يراء وقرىء بالفتح أي مختاراً اختاره الله تعالى ثم استخلصه واصطفاه ﴿وكان رسولاً نبياً﴾ فهذان وصفان مختلفان فكل رسول نبي ولا عكس ﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن﴾ أي من ناحية يمين موسى، والطور جبل معروف بين مصر ومدين ويقال إن اسمه الزبير، وذلك حين أقبل من مدين ورأى النار فنودي يا موسى إني أنا رب العالمين ﴿وقربناه﴾ قال ابن عباس: قربه وكلمه ومعنى التقريب إسماعه كلامه وقيل رفعه على الحجب حتى سمع صرير الأقلام، وقيل معناه رفع قدره ومنزلته أي وشرفناه بالمناجاة وهو قوله تعالى ﴿نجياً﴾ أي مناجياً ﴿ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً﴾ وذلك أن موسى دعا ربه فقال واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي فأجاب الله دعوته، وأرسل إلى هارون ولذلك سماه هبة له وكان هارون أكبر من موسى.

قوله عز وجل ﴿واذكر في الكتاب إسماعيل﴾ هو إسماعيل بن إبراهيم وهو جد النبي ﷺ ﴿إنه كان صادق

يراجع الله فيه، فيسأله أن يرزقه التوحيد ويغفر له، معناه سأسأل الله تعالى لك توبة تنال بها المغفرة. ﴿ إنّه كان بي حفيّاً ﴾، برّاً لطيفاً. قال الكلبي: عالماً يستجيب لي إذا دعوته. قال مجاهد: عوّدني الإجابة لدعائي.

﴿ وأعتزلكم وما تدعون من دون الله ﴾، أي أعتزل ما تعبدون من دون الله. قال مقاتل: كان اعتزاله إيّاهم أنه فارقهم من كوثى، فهاجر منها إلى الأرض المقدسة، ﴿ وأدعو ربّي ﴾، أي أعبدُ ربي، ﴿ عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيّاً ﴾، أي عسى أن لا أشقى بدعائه وعبادته، كما أنتم تشقون بعبادة الأصنام. وقيل: عسى أن يجيبني إذا دعوته ولا يجيبني.

﴿ فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله ﴾، فذهب مهاجراً.

﴿ ووهبنا لهم من رحمتنا ﴾ أي: نعمتنا. قال الكلبي: المال والولد، وهو قول الأكثرين، قالوا معناه: ما بسط لهم في الدنيا من سعة الرزق. وقيل: الكتاب والنبوّة، ﴿ وجعلنا لهم لسانَ صدق عليّاً ﴾، يعني ثناءً حسناً رفيعاً في كل أهل الأديان، فكلهم يتولّونهم ويثنون عليهم.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ واذكرْ في الكتاب موسى إنه كان مُخْلَصاً ﴾، غير مراء أخلص العبادة والطاعة لله عزّ وجلّ. وقرأ أهل الكوفة ﴿ مخلصاً ﴾ بفتح اللام أي مختاراً اختاره الله عزّ وجلّ. وقيل: أخلصه الله من الدنس. ﴿ وكان رسولاً نبيّاً ﴾.

﴿ وناديناه من جانب الطور الأيمن ﴾، يعني يمين موسى، والطور: جبل بين مصر ومدين. ويقال اسمه الزبير، وذلك حين أقبل من مدين ورأى النار فنوديَ ﴿ يا موسى إني أنا اللّهُ ربُّ العالمين ﴾ [القصص: ٣٠].

الوعد﴾ قيل إنه لم يعد شيئاً إلا وفى به وقيل إنه وعد رجلاً أن يقوم مكانه حتى يرجع الرجل فوقف إسماعيل مكانه ثلاثة أيام للميعاد، حتى رجع إليه الرجل وقيل إنه وعد نفسه الصبر على الذبح فوفى به، فوصفه الله بهذا الخلق الحسن الشريف، سئل الشعبي عن الرجل يعد ميعاداً إلى أي وقت ينتظر فقال إن وعده نهاراً فكل النهار وإن وعده ليلاً فكل الليل، وسئل بعضهم عن مثل ذلك فقال إن وعده في وقت صلاة ينتظر إلى وقت صلاة أخرى ﴿وكان رسولاً﴾ إلى جرهم، وهم قبيلة من عرب اليمن نزلوا على هاجر أم إسماعيل بوادي مكة حين خلفهم إبراهيم، وجرهم هو جرهم بن قحطان بن عابر بن شالخ وقحطان أبو قبائل اليمن ﴿نبياً﴾ أي مخبراً عن الله تعالى ﴿وكان يأمر أهله﴾ أي قومه وجميع أمته ﴿بالصلاة والزكاة﴾ قال ابن عباس: يريد الصلاة المفروضة عليهم وهي الحنيفية التي افترضت علينا، وقيل كان يبدأ بأهله في الأمر بالصلاة والعبادة ليجعلهم قدوة لمن سواهم ﴿وكان عند ربه مرضياً﴾ أي قائماً لله بطاعته وقيل رضيه لنبوته ورسالته وهذا نهاية في المدح لأن المرضي عند الله هو الفائز في كل طاعة بأعلى الدرجات. قوله عز وجل ﴿واذكر في الكتاب إدريس﴾ هو جد أبي نوح واسمه أخنوخ، سمي إدريس لكثرة دراسة الكتب وكان خياطاً وهو أول من خط بالقلم، وأول من خاط الثياب ولبس المخيط وكانوا من قبل يلبسون الجلود وهو أول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار، وأول من نظر في علم الحساب.

﴿إنه كان صديقاً نبياً﴾ وذلك أن الله تعالى شرفه بالنبوة وأنزل عليه ثلاثين صحيفة ﴿ورفعناه مكاناً علياً﴾ قيل هي الرفعة بعلو المرتبة في الدنيا، وقيل إنه رفع إلى السماء. وهو الأصح يدل عليه ما روى أنس بن مالك بن صعصعة «عن النبيّ ﷺ أنه رأى إدريس في السماء الرابعة ليلة المعراج» متفق عليه وكان سبب رفع إدريس إلى السماء الرابعة على ما

﴿ وقرّبناه نجيّاً ﴾، أي: مناجياً، فالنجي المناجي، كما يقال: جليس ونديم. قال ابن عباس: معناه قربه فكلمه، ومعنى التقريب إسماعه كلامه. وقيل: رفعه على الحجب حتى سمع صرير القلم.

﴿ ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارونَ نبيّاً ﴾، وذلك حين دعا موسى فقال: ﴿ واجعلْ لي وزيراً من أهلي هارون أخي ﴾ [طه: ٢٩]، فأجاب الله دعاءه وأرسل إلى هارون، ولذلك سمّاه هبة له.

﴿ واذكر في الكتاب إسماعيل ﴾، وهو إسماعيل بن إبراهيم جدّ النبي ﷺ ﴿ إنّه كان صادق الوعد ﴾، قال مجاهد: لم يعد شيئاً إلاّ وفّى به. وقال مقاتل: وعد رجلاً أن يقيم مكانه حتى يرجع إليه الرجل، فأقام إسماعيل مكانه ثلاثة أيام للميعاد حتى رجع إليه الرجل، وقال الكلبي: انتظره حتى حَالَ عليه الحَوْل. ﴿ وكان رسولاً ﴾، إلى جرهم، ﴿ نبيّاً ﴾، مخبراً عن الله عزّ وجلّ.

﴿ وكان يأمر أهله ﴾، أي: قومه. وقيل: أهله وجميع أمته، ﴿ بالصلاة والزكاة ﴾، قال ابن عباس: يريد التي افترضها الله تعالى عليهم، وهي الحنيفية التي افترضت علينا، ﴿ وكان عند ربه مرضياً ﴾، قائماً لله بطاعته. قيل: رضيه الله عزّ وجلّ لنبوّته ورسالته.

قوله: ﴿ واذكر في الكتاب إدريس ﴾، وهو جَدّ أبي نوح، واسمه أخنوخ، سُمّي إدريس لكثرة درسه الكتب. وكان خيّاطاً وهو أول مَن خطّ بالقلم، وأول مَن خاط الثياب، ولبس الثياب المَخيطة، وكانوا من قبله يلبسون الجلود، وأول مَن اتخذ السلاح، وقاتل الكفّار، وأول مَن نظر في علم النجوم والحساب، ﴿ إنه كان صديقاً نبيّاً ﴾.

﴿ ورفعناه مكاناً عليّاً ﴾، قيل: هي الجنة. وقيل: هي الرفعة بعلو الرتبة في الدنيا. وقيل: إنه رفع إلى السماء الرابعة. روى أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن النبي ﷺ أنه رأى إدريس في السماء الرابعة ليلة

قاله كعب الأحبار وغيره: أنه سار يوم في حاجة فأصابه وهج الشمس فقال: يا رب إني مشيت يوماً فكيف بمن يحملها مسيرة خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها، فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يا رب خلقتني لحر الشمس فما الذي قضيت فيه؟ قال إن عبدي إدريس سألني أن أخفف عنك حملها وحرها، فأجبته قال يا رب فاجمع بيني وبينه واجعل بيني وبينه خلة فأذن له حتى أتى إدريس، فكان إدريس يسأله فكان ما سأله أن قال إني أخبرت أنك أكرم الملائكة وأمكنهم عند ملك الموت فاشفع لي إليه ليؤخر أجلي لعلي ازداد شكراً وعبادة فقال الملك ﴿لا يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها﴾ وأنا مكلمه فرفعه إلى السماء ووضعه عند مطلع الشمس، ثم أتى ملك الموت فقال له إليك حاجة صديق لي من بني آدم تشفع بي إليك لتؤخر أجله، فقال ملك الموت ليس لي ذلك ولكن إن أحببت أعلمته أجله فيقدم لنفسه قال نعم فنظر في ديوانه فقال: إنك كلمتني في إنسان ما أراه يموت أبداً.

قال وكيف ذلك فقال لا أجده يموت إلا عند مطلع الشمس. قال إني أتيتك وتركته هناك قال انطلق فلا أراك تجده إلا وقد مات فوالله ما بقي من عمر إدريس شيء فرجع الملك فوجده ميتاً وقال وهب: كان يرفع لإدريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لجميع أهل الأرض في زمانه، فعجب منه الملائكة واشتاق إليه ملك الموت فاستأذن ربه في زيارته فأذن له فأتاه في صورة بني آدم وكان إدريس يصوم الدهر، فلما كان وقت إفطاره دعاه إلى الطعام فأبى أن يأكل معه ففعل ذلك ثلاث ليال، فأنكره إدريس وقال له في الليلة الثالثة: إني أريد أن أعلم من أنت قال: أنا ملك الموت، استأذنت ربي أن أصحبك فقال لي إليك حاجة قال وما هي قال تقبض روحي. فأوحى الله إليه أن اقبض روحه وردها الله إليه بعد ساعة فقال له ملك الموت ما الفائدة في سؤالك قبض الروح؟ قال لأذوق كرب الموت وغمه فأكون أشد

المعراج، وكان سبب رفع إدريس على ما قاله كعب وغيره، أنه سارَ ذاتَ يومٍ في حاجة فأصابه وهج الشمس، فقال: يا رب إني مشيت فيها يوماً واحداً فأصابني المشقّة الشديدة من وهج الشمس وأضرّني حرُّها ضرراً بليغاً، فكيف بمَن يحملها مسيرة خمسمائة عام في يوم واحد، اللّهمَّ خفِّفْ عنه من ثقلها وحرّها، فلما أصبح الملك وجد من خفّة الشمس وحرّها ما لم يعرف. فقال: يا ربّ ما الذي قضيت فيه حتى خفّفت عنّي ما أنا فيه؟ قال: إن عبدي إدريس سألني أن أُخفف عنك حملها وحرّها فأجبته، فقال: يا رب اجعل بيني وبينه خِلّة، فأذن له حتى أتى إدريس، فكان يسأله إدريس، فقال له: إن أُخبرت أنك أكرم الملائكة وأمكنهم عند ملك الموت، فاشفع لي إليه ليؤخّر أجلي، فأزداد شكراً وعبادةً، فقال الملك: لا يؤخّر الله نفساً إذا جاء أجلها، وأنا مكلّمه فرفعه إلى السماء ووضعه عند مطلع الشمس، ثم أتى ملك الموت فقال: لي حاجة إليك، فقال: وما هي؟ فقال: صديق لي من بني آدم تشفّع بي إليك لتؤخّر أجله، قال: ليس ذلك إليّ ولكن إن أحببت أعلمته أجله متى يموت، فيقدّم لنفسه، قال: نعم، فنظر في ديوانه فقال: إنك كلمتني في إنسان ما أراه يموت أبداً، قال: وكيف ذلك؟ قال: لا أجده يموت إلّا عند مطلع الشمس، قال: فإني أتيتك وتركته هناك، قال: فانطلق فلا أراك تجده إلّا وقد مات، فوالله ما بقي من أجل إدريس شيء، فرجع الملك فوجده ميتاً. واختلفوا في أنه حيّ في السماء أم ميت؟ فقال قوم: هو ميت، وقال قوم: هو حيّ، وقالوا: أربعة من الأنبياء في الأحياء اثنان في الأرض: الخضر وإلياس، واثنان في السماء: إدريس وعيسى، وقال وهب: كان يرفع لإدريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لجميع أهل الأرض في زمانه فعجب منه الملائكة واشتاق إليه ملك الموت، فاستأذن ربَّه عزّ وجلّ في زيارته، فأذن له فأتاه في صورة بني آدم، وكان إدريس يصوم الدهر، فلما كان وقت إفطاره دعاه إلى طعامه فأبى أن يأكل معه، ففعل ذلك ثلاث ليالٍ فأنكره إدريس، فقال له في الليلة الثالثة: إني أُريد أن أعلم مَن أنت؟ فقال: أنا ملك الموت استأذنت ربّي أن أصحبك، قال: فلي إليك

استعداداً له. ثم قال له إدريس لي إليك حاجة أخرى. قال وما هي قال ترفعني إلى السماء لأنظر إليها وإلى الجنة والنار فأذن الله له فرفعه فلما قرب من النار قال لي إليك حاجة قال وما هي قال أريد أن أسأل مالكاً أن يرفع أبوابها فأراها.

ففعل قال فكما أريتني النار فأرني الجنة. فذهب به إلى الجنة فاستفتح ففتحت أبوابها فأدخله الجنة ثم قال له ملك الموت اخرج لتعود إلى مقرك فتعلق بشجرة، وقال ما أخرج منها فبعث الله إليه ملكاً حكماً بينهما قال له الملك ما لك لا تخرج؟ قال لأن الله تعالى قال ﴿**كل نفس ذائقة الموت**﴾ وقد ذقته ثم قال ﴿**وإن منكم إلا واردها**﴾ فأنا وردتها وقال ﴿**وما هم منها بمخرجين**﴾ فلست أخرج فأوحى الله تعالى إلى ملك الموت بإذني دخل الجنة وبأمري لا يخرج فهو حي هناك فذلك قوله تعالى ﴿**ورفعناه مكاناً علياً**﴾ واختلفوا في أنه حي في السماء أم ميت. فقال قوم هو ميت واستدل بالأول. وقال قوم هو حي واستدل بهذا. وقالوا أربعة من الأنبياء أحياء اثنان في الأرض وهما الخضر وإلياس. واثنان في السماء وهما إدريس وعيسى. قوله عز وجل:

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًاۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾

﴿**أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين**﴾ أولئك إشارة إلى المذكورين في هذه السورة أنعم الله عليهم بالنبوة وغيرها ما تقدم وصفه ﴿**من ذرية آدم**﴾ يعني إدريس ونوحاً ﴿**وممن حملنا مع نوح**﴾ أي ومن ذرية من حملنا مع نوح في السفينة يريد إبراهيم لأنه ولد سام بن نوح ﴿**ومن ذرية إبراهيم**﴾ يعني إسحاق وإسماعيل ويعقوب ﴿**وإسرائيل**﴾ أي ومن ذرية إسرائيل وهو يعقوب وهم موسى ويحيى وهارون وزكريا وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم فرتب الله

حاجة، قال: وما هي؟ قال: تقبض روحي، فأوحى الله إليه أن اقبض روحه، فقبض روحه وردّها الله إليه بعد ساعة، قال له ملك الموت: ما الفائدة في سؤالك قبض الروح؟ قال: لأذوق كرب الموت وغمّه لأكون أشدّ استعداداً له، ثم قال إدريس له: إن لي إليك حاجة أخرى، قال: وما هي؟ قال: ترفعني إلى السماء لأنظر إليها وإلى الجنة والنار، فأذن الله في رفعه، فلما قرب من النار قال: لي حاجة أخرى، قال: وما تريد؟ قال: تسأل مالكاً حتى يفتح لي أبوابها فأردُها ففعل ثم قال: فكما أريتني النار فأرني الجنة، فذهب به إلى الجنة فاستفتح ففتحت أبوابها، فأدخله الجنة، ثم قال له ملك الموت: اخرج لتعود إلى مقرك، فتعلّق بشجرة وقال: لا أخرج منها، فبعث الله ملكاً حكماً بينهما، فقال له الملك: ما لك لا تخرج؟ قال: لأن الله تعالى قال: ﴿ كلّ نفس ذائقة الموت ﴾ [آل عمران: ١٨٥، الأنبياء: ٣٥، العنكبوت: ٥٧]، وقد ذقته، وقال: ﴿ وإنْ منكم إلاّ واردها ﴾ [مريم: ٧١]، وقد وردتُها، وقال: ﴿ وما هم منها بمخرجين ﴾ [الحجر: ٤٨]، فلست أخرج فأوحى الله ملك الموت بإذني دخل الجنة وبأمري لا يخرج، فهو حيّ هناك، فذلك قوله تعالى: ﴿ ورفعناه مكاناً عليّاً ﴾.

﴿ أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذريّة آدم ﴾، أي إدريس ونوحاً، ﴿ وممّن حملنا مع نوح ﴾، أي ومن ذرية مَن حملنا مع نوح في السفينة، يريد إبراهيم لأنه ولد سام بن نوح، ﴿ ومن ذريّة إبراهيم ﴾، يريد إسماعيل وإسحاق ويعقوب، قوله: ﴿ وإسرائيل ﴾، أي ومن ذريّة إسرائيل وهم موسى وهارون وزكريا ويحيى،

تعالى أحوال الأنبياء الذين ذكرهم على هذا الترتيب منها بذلك على أنهم كما شرفوا بالنسب ثم قال تعالى ﴿ومن هدينا واجتبينا﴾ أي هؤلاء من أرشدنا واصطفينا وقيل من هدينا إلى الإسلام واجتبينا على الأنام ﴿إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً﴾ جمع ساجد ﴿وبكياً﴾ جمع باك، أخبر الله تعالى أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا إذا سمعوا آيات الله سجدوا وبكوا خضوعاً وخشوعاً وخوفاً وحذراً. والمراد من الآيات ما خصهم به من الكتب المنزلة عليهم، وقيل المراد من الآيات ذكر الجنة والنار والوعد والوعيد ففيه استحباب البكاء وخشوع القلب عند سماع القرآن.

فصل

وسجدة سورة مريم من عزائم سجود القرآن، فيسن للقارىء والمستمع أن يسجد عند تلاوة هذه السجدة، وقيل يستحب لمن قرأ آية سجدة فسجد أن يدعوا بما يناسب تلك السجدة، فإن قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين إليك والخاشعين لك. وإن قرأ سجدة مريم قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك. وإن سجد سجدة ألم السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك.

قوله تعالى ﴿فخلف من بعدهم﴾ أي من بعد النبيين المذكورين ﴿خلف﴾ أي قوم سواء أراد بهم اليهود ومن

﴿ وممّن هدينا واجتبينا ﴾، هؤلاء كانوا ممّن أرشدنا واصطفينا، ﴿ إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خرّوا سجداً وبُكياً ﴾، سجداً جمع ساجد وبكياً جمع باكٍ، أخبر الله أن الأنبياء كانوا إذا سمعوا بآيات الله سجدوا وبكوا.

قوله تعالى: ﴿ فخلف من بعدهم خلف ﴾، أي من بعد النبيين المذكورين خلف وهم قوم سوء والخلف بالفتح الصالح وبالجزم الطالح قال السدي: أراد بهم اليهود ومَن لحق بهم. وقال مجاهد وقتادة: هم قوم في هذه الأمة، ﴿ أضاعوا الصلاة ﴾، تركوا الصلاة المفروضة. وقال ابن مسعود وإبراهيم: أخّروها عن وقتها وقال سعيد بن المسيب: هو أن لا يصلّي الظهر حتى يأتي العصر ولا العصر حتى تغرب الشمس، ﴿ واتبعوا الشهوات ﴾، أي المعاصي وشرب الخمر، أي آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله. وقال مجاهد: هؤلاء قوم يظهرون في آخر الزمان ينزوا بعضهم على بعض في الأسواق والأزقّة. ﴿ فسوف يلقون غياً ﴾، قال ابن وهب: الغي نهر في جهنم بعيد قعره خبيث طعمه. وقال ابن عباس: الغيّ وادٍ في جهنم، وإن أودية جهنم لتستعيذ من حرّه أُعدّ للزاني المصرّ عليه، ولشارب الخمر المدمن عليها، ولآكل الربا الذي لا ينزع عنه، ولأهل العقوق ولشاهد الزور، ولامرأة أدخلت على زوجها ولداً، وقال عطاء: الغيّ وادٍ في جهنم يسيل قيحاً ودماً. وقال كعب: هو وادٍ في جهنم أبعدها قعراً، وأشدّها حرّاً فيه بئر تسمى الهيم، كلما خبت جهنم فتح الله تلك البئر فيسعر بها جهنم، أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا محمد بن أحمد الحارثي أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال وأنا عبد الله بن المبارك عن هشيم بن بشير أنا زكريا بن أبي مريم الخزاعي قال: سمعت أبي أمامة الباهلي يقول: إن ما بين شفير جهنم إلى قعرها مسيرة سبعين خريفاً من حجر يهوي أو قال صخرة تهوي عظمها كعشر عشرت وأسمان، فقال له مولى لعبد الرحمن بن خالد بن الوليد: هل تحت ذلك شيء يا أبا أمامة؟ قال: نعم غيّ وآثام. وقال الضحاك: غيّاً وخسراناً. وقيل: هلاكاً. وقيل: عذاباً. وقوله ﴿ فسوف يلقون غيّاً ﴾ ليس مراده يرون فقط بل معناه الاجتماع والملابسة مع الرؤية.

﴿ إلاّ مَن تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً ﴾.

لحق بهم وتابعهم وقيل هم في هذه الأمة ﴿**أضاعوا الصلاة**﴾ أي تركوا الصلاة المفروضة. وقيل أخروها عن وقتها وهو أن لا يصلي الظهر حتى يأتي العصر ولا العصر حتى تأتي المغرب ﴿**واتبعوا الشهوات**﴾ أي آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله وقيل اتبعوا المعاصي وشرب الخمور، وقيل هؤلاء قوم يظهرون في آخر الزمان ينزو بعضهم على بعض في الأسواق والأزقة ﴿**فسوف يلقون غياً**﴾ قال ابن عباس: الغي واد في جهنم، وإن أودية جهنم لتستعيذ من حره أعد للزاني المصر عليه، ولشارب الخمر المدمن له ولآكل الربا الذي لا ينزع عنه ولأهل العقوق، ولشاهد الزور وقيل هو وادٍ في جهنم بعيد قعره خبيث طعمه يسيل قيحاً ودماً، وقيل: واد في جهنم أبعدها قعراً وأشدها حراً فيه بئر تسمى الهيم كلما خبت جهنم فتح الله تلك البئر فتستعر بها جهنم وقيل معنى غياً خسراناً وقيل هلاكاً وعذاباً، وليس معنى يلقون يرون فقط بل معناه الاجتماع والملابسة مع الرؤية.

قوله تعالى ﴿**إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً**﴾ يعني إلا من تاب من التقصير في الصلوات والمعاصي وآمن من الكفر وعمل صالحاً بطاعة الله تعالى ﴿**فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً**﴾ أي لا ينقصون شيئاً ثم وصف الجنة فقال تعالى ﴿**جنات عدن**﴾ أي بساتين إقامة وصفها بالدوام بخلاف جنات الدنيا فإنها لا تدوم ﴿**التي وعد الرحمن عباده بالغيب**﴾ أي إنهم لا يرونها فهي غائبة عنهم وهم غائبون عنها ﴿**إنه كان وعده مأتياً**﴾ أي آتياً وقيل معنى وعده موعود وهو الجنة مأتياً أي يأتيه أولياء الله وأهل طاعته ﴿**لا يسمعون فيها لغواً**﴾ أي باطلاً وفحشاً وهو فضول الكلام ﴿**إلا سلاماً**﴾ يعني بل يسمعون فيها سلاماً والسلام اسم جامع للخير لأنه يتضمن معنى السلامة، وذلك أن أهل الجنة لا يسمعون فيها ما يؤلمهم، إنما يسمعون تسليمهم، وقيل هو تسليم بعضهم على بعض وتسليم الملائكة عليهم، وقيل هو تسليم الله عليهم ﴿**ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً**﴾ قال أهل التفسير: يؤتون بأرزاقهم على مقدار طرفي النهار كعادتهم في الدنيا، وقيل إنهم يعرفون وقت النهار برفع الحجب، ووقت الليل بإرخاء الحجب، وقيل المراد منه رفاهية العيش وسعة الرزق من غير تضييق ولا تقتير، وقيل: كانت العرب لا تعرف أفضل من الرزق الذي يؤتى به البكرة والعشي، فوصف الله تعالى الجنة بذلك. وقوله تعالى:

تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا

﴿ **جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب** ﴾، ولم يروها، ﴿ **إنّه كان وعده مأتياً** ﴾، يعني أتياً مفعول بمعنى فاعل. وقيل: لم يقل أتياً لأن كل مَن أتاك فقد أتته، والعرب لا تفرّق بين قول القائل أتت عليّ خمسون سنة وبين قوله أتيت على خمسين سنة، ويقول: وصل إليّ الخير ووصلت إلى الخير. قال ابن جرير: وعده أي موعوده، وهو الجنة مأتياً يأتيه أولياؤه وأهل طاعته.

﴿ **لا يسمعون فيها** ﴾، في الجنة ﴿ **لغواً** ﴾، باطلاً وفحشاً وفضولاً من الكلام. وقال مقاتل: هو اليمين الكاذبة، ﴿ **إلّا سلاماً** ﴾، استثناء من غير جنسه يعني بل يسمعون فيها سلاماً أي قولاً يسلمون منه، والسلام اسم جامع للخير لأنه يتضمن السلامة، معناه إن أهل الجنة لا يسمعون ما يؤثمهم، إنما يسمعون ما يسلمهم. وقيل: هو تسليم بعضهم على بعض وتسليم الملائكة عليهم. وقيل: هو تسليم الله عليهم، ﴿ **ولهم رزقهم فيها بكرةً وعَشِياً** ﴾، قال أهل التفسير: ليس في الجنة ليل يُعرف به البكرة والعشي، بل هم في نور أبداً ولكنهم يؤتون بأرزاقهم على مقدار طرفي النهار. وقيل: إنهم يعرفون وقت النهار برفع الحجب، ووقت الليل بإرخاء الحجب. وقيل: المراد منه رفاهية العيش وسعة الرزق من غير تضييق، وكان الحسن البصري يقول: كانت العرب لا تعرف من العيش أفضل من الرزق بالبكرة والعشي، فوصف الله عزّ وجلّ أهل جنته بذلك.

بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾
وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾
فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى
ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾

﴿**تلك الجنة التي نورث من عبادنا**﴾ أي نعطي وننزل وقيل يورث عباده المؤمنين المساكن التي كانت لأهل النار لو آمنوا ﴿**من كان تقياً**﴾ أي المتقين من عباده عز وجل ﴿**وما نتنزل إلا بأمر ربك**﴾ (خ) عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر ما تزورنا فنزلت وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا» الآية قال فكان هذا جواب جبريل لمحمد ﷺ «وقيل احتبس جبريل عن النبيّ ﷺ حين سأله اليهود عن أمر الروح وأصحاب الكهف، ثم نزل بعد أيام فقال له رسول الله ﷺ «أبطأت علي حتى ساء ظني واشتقت إليك، فقال له جبريل وإني كنت أشوق إليك، ولكني عبد مأمور إذا بعثت نزلت وإذا احبست احتبست» فأنزل الله تعالى وما نتنزل إلا بأمر ربك وأنزل الله تعالى ﴿والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى﴾ وقوله ﴿**له ما بين أيدينا وما خلفنا**﴾ أي له علم ما بين أيدينا وما خلفنا، وقيل أكد ذلك بقوله ما بين أيدينا وما خلفنا أي هو المدبر لنا في كل الأوقات الماضي والمستقبل، وقيل معناه له ما بين أيدينا من أمر الآخرة والثواب والعقاب وما خلفنا أي ما مضى من الدنيا ﴿**وما بين ذلك**﴾ أي من هذا الوقت إلى أن تقوم الساعة، وقيل ما بين ذلك أي ما بين النفختين وهو مقدار أربعين سنة، وقيل ما بين أيدينا ما بقي من الدنيا وما خلفنا ما بقي منها وما بين ذلك أي مدة حياتنا ﴿**وما كان ربك نسياً**﴾ أي ناسياً أي ما نسيك ربك وما تركك ﴿**رب السموات والأرض وما بينهما**﴾ أي من يكون كذلك لا يجوز عليه النسيان لأنه لا بد أن يدبر أحوالها كلها، وفيه دليل على أن فعل العبد خلق لله لأنه حاصل بين السموات والأرض فكان لله تعالى ﴿**فاعبده**

﴿ **تلك الجنة التي نورث من عبادنا** ﴾ أي نعطي وننزل. وقيل: يورث عباده المؤمنين المساكن التي كانت لأهل النار لو آمنوا، ﴿ **مَن كان تقياً** ﴾، أي المتّقين من عباده.

﴿ **وما نتنزل إلاّ بأمرِ ربّك** ﴾، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا خلاد بن يحيىٰ أنا عمر بن ذر قال: سمعت أبي يحدّث عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا» فنزلت: ﴿ **وما نتنزل إلاّ بأمر ربّك له ما بين أيدينا وما خلفنا** ﴾ الآية: قال: كان هذا الجواب لمحمد ﷺ. وقال عكرمة والضحاك وقتادة ومقاتل والكلبي: احتبس جبريل عن النبي ﷺ حين سأله قومه عن أصحاب الكهف وذي القرنين والروح، فقال: أُخبركم غداً ولم يقل إن شاء الله، حتى شقّ ذلك على النبي ﷺ، ثم نزل بعد أيام فقال له رسول الله ﷺ: «أبطأت عليّ حتى ساء ظني واشتقت إليك»، فقال له جبريل: إني كنت أشوق، ولكني عبد مأمور إذا بُعثت نزلت وإذا حبست احتبست، فأنزل الله ﴿ **وما نتنزل إلاّ بأمر ربك** ﴾ وأنزل: ﴿ والضحى والليل إذا سجى ما ودّعك ربّك وما قلى ﴾ [الضحى: ٣]. ﴿ **له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك** ﴾، أي له علم ما بين أيدينا، واختلفوا فيه فقال سعيد بن جبير وقتادة ومقاتل: ما بين أيدينا من أمر الآخرة والثواب والعقاب، وما خلفنا ما مضى من الدنيا وما بين ذلك ما يكون هذا من الوقت إلى قيام الساعة، وقيل: ما بين أيدينا من أمر الآخرة وما خلفنا من أمر الدنيا وما بين ذلك أي ما بين النفختين وبينهما أربعون سنة. وقيل: ما بين أيدينا ما بقي من الدنيا وما خلفنا ما مضى منها، وما بين ذلك مدة

واصطبر لعبادته﴾ أي اصبر على أمره ونهيه **﴿هل تعلم له سمياً﴾** قال ابن عباس: مثلاً وقيل هل تعلم أحداً يسمى الله غير الله.

قوله تعالى **﴿ويقول الإنسان﴾** أي جنس الإنسان والمراد به الكفار الذين أنكروا البعث، وقيل هو أبي بن خلف الجمحي وكان منكراً للبعث **﴿أئذا ما مت لسوف أخرج حياً﴾** قاله استهزاءً وتكذيباً للبعث قال الله تعالى **﴿أولا يذكر الإنسان﴾** أي يتذكر ويتفكر يعني منكر البعث **﴿أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً﴾** والمعنى أولاً يتفكر هذا الجاحد في بدء خلقه فيستدل به على الإعادة. قال بعض العلماء: لو اجتمع كل الخلائق على إيراد حجة في البعث على هذا الاختصار ما قدروا عليه، إذ لا شك أن الإعادة ثانياً أهون من الإيجاد أولاً ثم أقسم بنفسه فقال تعالى **﴿فو ربك﴾** وفيه تشريف للنبيّ ﷺ **﴿لنحشرنهم﴾** أي لنجمعنهم في المعاد يعني المشركين المنكرين للبعث **﴿والشياطين﴾** أي مع الشياطين، وذلك أنه يحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة **﴿ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً﴾** قال ابن عباس: جماعات وقيل جاثين على الركب لضيق المكان، وقيل إن البارك على ركبتيه صورته كصورة الذليل. فإن قلت هذا المعنى حاصل للكل بدليل قوله تعالى **﴿وترى كل أمة جاثية﴾**.

قلت وصفوا بالجثو على العادة المعهودة في مواقف المقالات والمناقلات، وذلك لما فيه من القلق مما يدهمهم من شدة الأمور التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم فيجثون على ركبهم جثواً **﴿ثم لننزعن﴾** أي لنخرجن **﴿من كل شيعة﴾** أي من كل أمة وأهل دين من الكفار **﴿أيهم أشد على الرحمن عتياً﴾** قال ابن عباس: يعني جرأة وقيل

حياتنا. وقيل: ما بين أيدينا بعد أن نموت وما خلفنا قبل أن نخلق وما بين ذلك مدة الحياة. وقيل: ما بين أيدينا من الأرض إذا أردنا النزول إليها وما خلفنا السماء إذا نزلنا منها، وما بين ذلك الهواء يريد أن ذلك كله لله عزّ وجلّ فلا نقدر على شيء إلاّ بأمره. **﴿ وما كان ربك نسياً ﴾**، أي ناسياً، يقول: ما نسيك ربك أي ما تركك، والناسي التارك.

﴿ ربُّ السمٰوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته ﴾، أي اصبر على أمره ونهيه، **﴿ هل تعلم له سمياً ﴾**، قال ابن عباس رضي الله عنهما: مثلاً. وقال سعيد بن جبير: عَدَلاً. وقال الكلبي: هل تعلم أحداً يُسمى اللَّهُ غيره.

﴿ ويقول الإنسان ﴾، يعني أُبيّ بن خلف الجمحي كان منكراً للبعث، قال: **﴿ أئذا ما متُّ لسوف أُخرج حيّاً ﴾**، من القبر، قاله استهزاءً وتكذيباً للبعث.

قال الله عزّ وجلّ: **﴿ أو لا يذكر ﴾**، أي يتذكر ويتفكّر، وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب يذكر خفيف، **﴿ الإنسان ﴾**، يعني أُبيّ بن خلف **﴿ أنا خلقناه من قبل ولم يكُ شيئاً ﴾**، أي لا يتفكّر هذا الجاحد في بدء خلقه فيستدلّ به على الإعادة، ثم أقسم بنفسه، فقال:

﴿ فوربِّك لنحشرنّهم ﴾ أي لنجمعنّهم في المعاد يعني المشركين المنكرين للبعث، **﴿ والشياطين ﴾**، مع الشياطين، وذلك أنه يحشر كل كافر مع شيطانه في سلسلة، **﴿ ثم لنحضرنّهم حول جهنم ﴾**، قيل في جهنم، **﴿ جِثِيّاً ﴾**، قال ابن عباس رضي الله عنه: جماعات، جمع جثوة، وقال الحسن والضحاك: جمع جاثٍ أي جاثين على الرُّكَب. قال السدي: قائمين عل الركب لضيق المكان.

﴿ ثم لننزعنّ ﴾، لنخرجنّ، **﴿ من كل شيعة ﴾**، أي من كل أمة وأهل دين من الكفّار. **﴿ أيهم أشدّ على الرحمن عِتِيّاً ﴾**، عتوّاً قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني جرأة. وقال مجاهد: فجوراً يريد الأعتى فالأعتى.

فجوراً وتمرداً، وقيل قائدهم رئيسهم في الشرك، والمعنى أنه يقدم في إدخال النار الأعتى ممن هو أكبر جرماً وأشد كفراً. وفي بعض الأخبار أنهم يحضرون جميعاً حول جهنم مسلسلين مغلولين، ثم يقدم الأكفر فالأكفر فمن كان أشد منهم تمرداً في كفره خص بعذاب أعظم وأشد لأن عذاب الضال المضل واجب أن يكون فوق عذاب الضال التابع لغيره في الضلال. وفائدة هذا التمييز التخصيص بشدة العذاب لا التخصيص بأصل العذاب فلذلك قال في جميعهم ﴿**ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صلياً**﴾ ولا يقال أولى إلا مع اشتراك القوم في العذاب وقيل معنى الآية أنهم أحق بدخول النار.

قوله عز وجل ﴿**وإن منكم إلا واردها**﴾ أي وما منكم إلا واردها وقيل القسم فيه مضمر أي والله ما منكم من أحد إلا واردها والورود هو موافاة المكان، واختلفوا في معنى الورود ها هنا وفيما تنصرف إليه الكناية في قوله واردها فقال ابن عباس والأكثرون: معنى الورود هنا الدخول، والكناية راجعة إلى النار، فيدخلها البر والفاجر ثم ينجي الله الذين اتقوا منها، يدل عليه ما روي أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس في الورود فقال ابن عباس: هو الدخول فقال نافع: ليس الورود الدخول فقرأ ابن عباس ﴿**إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون**﴾ أدخلها هؤلاء أم لا ثم قال يا نافع والله أنا وأنت سنردها وأنا أرجو أن يخرجني الله منها وما أرى الله أن يخرجك منها بتكذيبك فمن قال بدخول المؤمنين النار يقول من غير خوف ولا ضرر ولا عذاب البتة بل مع الغبطة والسرور لأن الله تعالى أخبر عنهم لا يحزنهم الفزع الأكبر. فإن قلت كيف يدفع عن المؤمنين حر النار وعذابها، قلت يحتمل أن الله تعالى يخمد

وقال الكلبي: قائدهم ورأسهم في الشرّ يريد أنه يقدم في إدخال النار مَن هو أكبر جرماً وأشدّ كفراً. وفي بعض الآثار أنهم يحضرون جميعاً حول جهنم مسلمين مغلولين، ثم يقدّم الأكفر فالأكفر، ورفع ﴿ أيهم ﴾ على معنى الذي، يقال لهم: أيّهم أشدّ على الرحمن عتيّاً. وقيل: على الاستئناف، ثم لننزعنّ يعمل في موضع من كل شيعة.

﴿ ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صلياً ﴾، أي أحقّ بدخول النار، يقال: صلي يصلى صلياً مثل لقي يلقى لقياً، وصلى يصلي صلياً مثل مضى يمضي مضياً، إذا دخل النار وقاسى حرّها.

﴿ وإنْ منكم إلّا وارِدُها ﴾، أي وما منكم إلّا واردها، وقيل: القسم في مضمر أي والله ما منكم من أحد إلّا واردها، والورود هو موافاة المكان. واختلفوا في معنى الورود ههنا وفيما تنصرف إليه الكناية في قوله: ﴿ واردها ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه وهو قول الأكثرين معنى الورود ههنا هو الدخول، والكناية راجعة إلى النار، وقالوا: النار يدخلها البرّ والفاجر، ثم ينجي الله المتّقين، فيخرجهم منها، والدليل على أن الورود هو الدخول قول الله عزّ وجلّ حكاية عن فرعون ﴿ يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار ﴾ [هود: ٩٨]، وروى ابن عيينة عن عمرو بن دينار أن نافع بن الأزرق ما روى ابن عباس رضي الله عنهما في الورود، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الدخول. وقال نافع: ليس الورود الدخول، فتلا عبد الله بن عباس رضي الله عنه قوله تعالى: ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ﴾ [الأنبياء: ٩٨] أدخلها هؤلاء أم لا؟ ثم قال: يا نافع أما والله أنت وأنا سنردها، وأنا أرجو أن يخرجني الله منها، وما أرى الله عزّ وجلّ أن يخرجك منها بتكذيبك. وقال قوم: ليس المراد من الورود الدخول، وقالوا: النار لا يدخلها مؤمن أبداً، لقوله تعالى: ﴿ إن الذين سبقت لهم منّا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها ﴾ [الأنبياء: ١٠١ و١٠٢]، وقالوا: كلّ مَن دخلها لا يخرج منها، والمراد من قوله: ﴿ وإن منكم إلّا واردها ﴾، الحضور والرؤية، لا الدخول، كما قال تعالى: ﴿ ولما وَرَدَ ماءَ مَدين ﴾ [القصص: ٢٣] أراد به الحضور، وقال عكرمة. . . الآية فإنهم يدخلونها ولا يخرجون منها. وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه، أنه قال: وإن منكم إلّا واردها يعني القيامة والكناية راجعة إليها، والأول أصحّ، وعليه أهل السُّنّة أنهم جميعاً

النار فتعبرها المؤمنون، ويحتمل أن الله تعالى يجعل الأجزاء الملاصقة لأبدان الكفار من النار محرقة والأجزاء الملاصقة لأبدان المؤمنين تكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت في حق إبراهيم عليه السلام، وكما أن الملائكة الموكلين بها لا يجدون ألمها فإن قلت إذا لم يكن على المؤمنين عذاب فما فائدة دخولهم النار.

قلت فيه وجوه، أحدها: أن ذلك مما يزيدهم سروراً إذا علموا الخلاص منه، وثانيها: أن فيه مزيد غم على أهل النار، حيث يرون المؤمنين يتخلصون منها وهم باقون فيها، وثالثها: أنهم إذا شاهدوا ذلك العذاب الذي على الكفار صار ذلك سبباً لمزيد التذاذهم بنعيم الجنة. وقال قوم ليس المراد من الورود الدخول، وقالوا لا يدخل النار مؤمن أبداً لقوله تعالى ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها﴾ فعلى هذا يكون المراد من الورود الحضور والرؤية، لا الدخول كما قال تعالى ﴿ولما ورد ماء مدين﴾ أراد به الحضور، وقال عكرمة الآية في الكفار فإنهم يدخلونها ولا يخرجون منها وروي عن ابن مسعود أنه قال وإن منكم إلا واردها، يعني القيامة والكناية راجعة إليها، والقول الأول أصح وعليه أهل السنة فإنهم جميعاً يدخلون النار ثم يخرج الله منها أهل الإيمان بدليل قوله تعالى ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ أي الشرك وهم المؤمنون والنجاة إنما تكون مما دخلت فيه، يدل ما روي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «لا يموت لأحد من المؤمنين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم» وفي رواية «فيلج النار إلا تحلة القسم» أخرجاه في الصحيحين، أراد بالقسم قوله تعالى ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ (م) عن أم مبشر الأنصارية أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول عند حفصة «لا يدخل النار إن شاء الله تعالى من أصحاب الشجرة أحد

يدخلون النار ثم يخرج الله عزّ وجلّ منها أهل الإيمان، بدليل قوله تعالى: ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ﴾، أي اتقوا الشرك، وهم المؤمنون. والنجاة إنّما تكون مما دخلت فيه لا ما وردت، وقرأ الكسائي ويعقوب ننجي بالتخفيف والآخرون بالتشديد، والدليل على هذا ما أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا عبد الرحيم بن منيب أنا سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلّة القسم»، وأراد بالقسم قوله: ﴿ وإنْ منكم إلّا واردها ﴾، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا مسلم بن إبراهيم أنا هشام أنا قتادة عن أنس عن النبي ﷺ قال: «يخرج من النار مَن قال لا إله إلّا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار مَن قال لا إله إلّا الله وفي قلبه وزن برّة من خير. ويخرج من النار مَن قال لا إله إلّا الله وفي قلبه وزن ذرّة من خير»، وقال إبّان عن قتادة: «منْ إيمان» مكان «خير»، أخبرنا أبو المظفر محمد بن إسماعيل بن علي الشجاعي أنا أبو نصر النعمان بن محمد بن محمود الجرجاني أنا أبو عثمان عمر بن عبد الله البصري أنا محمد بن عبد الوهاب أنا محمد بن الفضل أبو النعمان أنا سلام بن مسكين أنا أبو الظلال عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ: «أن رجلاً في النار ينادي ألف سنة يا حنّان يا منّان فيقول الله عزّ وجلّ لجبريل اذهب فائتني بعبدي هذا، قال: فذهب جبريل فوجد أهل النار منكبّين يبكون، قال: فرجع فأخبر ربّه عزّ وجلّ، قال: اذهب فإنه في موضع كذا وكذا، قال: فجاء به، قال يا عبدي كيف وجدت مكانك ومقيلك؟ قال: يا رب شرّ مكان وشرّ مقيل، قال: ردّوا عبدي، قال: ما كنت أرجو أن تعيدني إليها إذا أخرجتني منها، قال الله تعالى لملائكته دعوا عبدي» وأما قوله عزّ وجلّ: ﴿ لا يسمعون حسيسها ﴾ [الأنبياء: ١٠٢] قيل: إن الله عزّ وجلّ أخبر عن وقت كونهم في الجنة أنهم لا يسمعون حسيسها فيجوز أن يكون قد سمعوا ذلك قبل دخولهم الجنة، لأنه لم يقل لم يسمعوا حسيسها ويجوز أن لا يسمعوا حسيسها عند دخولهم إيّاها، لأن الله عزّ وجلّ يجعلها عليهم برداً وسلاماً. وقال خالد بن معدان: يقول أهل الجنة ألم يعدنا ربنا أن نرد النار، فيقال: بلى ولكنكم مررتم بها، وهي خامدة. وفي

من الذين بايعوا تحتها قالت بلى يا رسول الله فانتهزها فقالت حفصة وإن منكم إلا واردها فقال النبي ﷺ قد قال الله تعالى ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً﴾.

وقال خالد بن معدان يقول أهل الجنة ألم يعدنا ربنا أن نرد النار، فيقال بلى ولكنكم مررتم بها وهي خامدة وفي الحديث «تقول النار للمؤمنين جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي». وروي عن مجاهد في قوله تعالى ﴿**وإن منكم إلا واردها**﴾ قال من حم من المسلمين فقد وردها» وفي الخبر «الحمى كير من جهنم وهي حظ المؤمن من النار» (ق) عن عائشة أن النبيّ ﷺ قال «الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء» قوله فيح جهنم وهجها وحرها. وقوله تعالى ﴿**كان على ربك حتماً مقضياً**﴾ أي كان ورود جهنم قضاء لازماً قضاه الله تعالى عليكم وأوجبه.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ (٧٢)

﴿**ثم ننجي الذين اتقوا**﴾ أي الشرك ﴿**ونذر الظالمين فيها جثياً**﴾ أي جميعاً، وقيل جاثين على الركب قالت المعتزله في الآية دليل على صحة مذهبهم، في أن صاحب الكبيرة والفاسق يخلد في النار بدليل أن الله بين أن الكل يردونها ثم بين صفة من ينجو منها، وهم المتقون والفاسق لا يكون متقياً فبقي في النار أبداً. وأجيب عنه بأن المتقي هو الذي يتقي الشرك بقول لا إله إلا الله ويشهد لصحة ذلك أن من آمن بالله ورسوله، صح أن يقول إنه متق من الشرك ومن صدق عليه أنه متق من الشرك صح أنه متق، لأن المتقي جزء من المتقي من الشرك ومن صدق عليه المركب صدق عليه المفرد، فثبت أن صاحب الكبيرة متق وإذا ثبت ذلك وجب أن يخرج من النار بعموم قوله تعالى ﴿**ثم ننجي الذين اتقوا**﴾ فصارت الآية التي توهموها دليلاً لهم من أقوى الدلائل على فساد قولهم، وهذا من حيث البحث وأما من حيث النص فقد وردت أحاديث تدل على إخراج المؤمن الموحد من النار (خ) عن أنس بن مالك عن النبيّ ﷺ قال «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير وفي رواية من إيمان». (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟ قالوا لا. يا رسول الله. قال هل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا لا يا رسول الله.

الحديث تقول النار للمؤمنين «جزْ يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي» ورُوِيَ عن مجاهد قوله عزّ وجلّ: ﴿ **وإن منكم إلاّ واردها** ﴾ قال: من حم من المسلمين فقد وردها. وفي الخبر الحمى كير من جهنم وهي حظ المؤمن من النار. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن المثنى أنا يحيىٰ عن هشام أخبرني أبي عن عائشة عن النبي ﷺ قال: «الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء». ﴿ **كان على ربِّك حتماً مقضياً** ﴾، أي كان ورودكم جهنم حتماً لازماً مقضياً قضاه الله عليكم.

﴿ **ثم ننجي الذين اتقوا** ﴾، أي اتقُوا الشرك، وقرأ الكسائي «تنجـي» بالتخفيف، والباقون بالتشديد، ﴿ **ونذرِ الظالمين فيها جثياً** ﴾، جميعاً. وقيل: جاثين على الركب، وفيه دليل على أن الكل دخلوها ثم أخرج الله منها المتّقين، وترك فيها الظالمين. وهم المشركون، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري قال أخبرني سعيد بن المسيب وعطاء بن يزيد الليثي أن أبا هريرة أخبرهما أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تضارّون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب»، فقالوا: لا يا رسول الله، قال: «فهل تُمارون في الشمس ليس دونها سحاب»، قالوا: لا، قال: فإنكم ترونه كذلك يحشر الناس يوم القيامة فيقول مَن كان يعبد شيئاً فليتبعه، فمنهم مَن يتبع الشمس،

قال فإنكم ترونه كذلك يحشر الناس يوم القيامة، فيقول الله من كان يعبد شيئاً فليتبعه فمنهم من يتبع الشمس، ومنهم من يتبع القمر ومنهم من يتبع الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله فيقول أنا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا. فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا، فيدعوهم فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذٍ إلا الرسل وكلام الرسل يومئذٍ اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان؟ قالوا نعم. قال فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تعالى تخطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوبق بعمله، ومنهم من ينجدل ثم ينجو، حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجوهم ويعرفونهم بآثار السجود وحرم الله على النار أن تأكل أعضاء السجود، فيخرجون من النار وقد امتحشوا، فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، ثم يفرغ من القضاء بين العباد ويبقى رجل بين الجنة والنار، وهو آخر أهل النار دخولاً الجنة مقبل بوجهه قبل النار فيقول يا رب اصرف وجهي عن النار فقد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها، فيقول هل عسيت إن فعل ذلك بك أن تسأل غير ذلك فيقول لا وعزتك فيعطي الله ما شاء من عهد وميثاق.

فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل به على الجنة رأى نكهتها وبهجتها سكت ما شاء الله تعالى أن يسكت، ثم يقول يا رب قدمني عند باب الجنة فيقول الله أليس قد أعطيت المواثيق والعهود أن لا تسأل غير الذي كنت سألت فيقول يا رب لا أكون أشقى خلقك فيقول فما عسيت أن أعطيت ذلك أن لا تسأل غيره فيقول وعزتك لا أسأل غير ذلك فيعطي ربه ما شاء من عهد وميثاق فيقدمه إلى باب الجنة فإذا بلغ بابها رأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور،

ومنهم مَن يتبع القمر، ومنهم مَن يتبع الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله عزّ وجلّ فيقول: أنا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، ويُضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أول مَن يجوز من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذ إلاّ الرسل، وكلام الرسل يومئذ: اللّهمّ سلّمْ سلّمْ، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: نعم، قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلاّ الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم مَن يوبق بعمله، ومنهم مَن يخردل ثم ينجو، حتى إذا فرغ الله من القضاء بين عباده وأراد أن يخرج من النار مَن أراد أن يخرجه ممّن كان يشهد أن لا إله إلاّ الله أمر الملائكة أن يُخرجوا مَن كان يعبد الله، فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود، وحرّم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فكل ابن آدم تأكله النار إلاّ أثر السجود، فيُخرجون من النار قد امتحشوا، فيصبّ عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر أهل النار دخولاً إلى الجنة مقبل بوجهه قبل النار، فيقول: يا ربِّ اصرف وجهي عن النار، قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها، فيقول: هل عسيت أن أفعل ذلك بك أن تسأل غير ذلك؟ فيقول: لا وعزّتِك فيعطي الله ما شاء الله من عهد وميثاق فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل به على الجنة ورأى بهجتها سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم قال: يا رب قدّمني عند باب الجنة، فيقول الله تبارك وتعالى: أليس قد أعطيتَ العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذي كنت سألت، فيقول: يا رب لا أكون أشقى خلقك، فيقول: فما عسيتَ إن أُعطيت ذلك أن تسأل غيره؟ فيقول: لا وعزّتِك لا أسألك غير ذلك، فيعطي ربه ما شاء من عهد وميثاق، فيقدّمه إلى باب الجنة فإذا بلغ بابها فرأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور، فسكت ما شاء الله أن يسكت، فيقول: يا ربِّ أدخلني الجنة فيقول الله تعالى: ويلك يا ابن آدم ما أعذرك، أليس قد أعطيتَ العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذي أُعطيتَ؟ فيقول: يا ربِّ لا تجعلني أشقى خلقك، فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه، فإذا ضحك أذن له في دخول الجنة، فيقول: تمنَّ فيتمنى حتى

فيسكت ما شاء الله أن يسكت، فيقول يا رب أدخلني الجنة. فيقول الله تبارك وتعالى ويحك يا ابن آدم ما أغدرك أليس قد أعطيت العهد والميثاق أن لا تسأل غير الذي أعطيت؟ فيقول يا رب لا تجعلني أشقى خلقك فيضحك الله عز وجل منه ثم يؤذن له في دخول الجنة فيقول له تمن فيتمنى. حتى إذا انقطعت أمنيته قال الله تمن كذا وكذا أقبل يذكره ربه حتى إذا انتهت به الأماني قال الله لك ذلك ومثله معه». قال أبو سعيد الخدري لأبي هريرة «وعشرة أمثاله» قال أبو هريرة لم أحفظ من رسول الله ﷺ إلا قوله لك ذلك ومثله معه. قال أبو سعيد رضي الله عنه: سمعته يقول «لك ذلك وعشرة أمثاله». وفي رواية للبخاري قال فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفونها فيقول أنا ربكم، فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا أتانا عرفناه. فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفونها فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه». قلت أما ما يتعلق بمعاني الحديث والكلام على الرؤية فسيأتي في تفسير سورة نۤ والقيامة ونتكلم ها هنا على شرح غريب ألفاظه، قوله مثل شوك السعدان هو نبت ذو شوك معقف وهو من أجود مراعي الإبل.

وقوله فمنهم من يوبق بعمله يقال أوبقته الذنوب أي أهلكته. والمنجدل المرمى المصروع وقيل هو المقطع. والمعنى أنه تقطعه كلاليب الصراط حتى يقع في النار. قوله وقد امتحشوا أي احترقوا، وقيل هو أن تذهب النار الجلد وتبدي العظم. قوله كما تنبت الحبة في حميل السيل، الحبة بكسر الحاء وهي البذورات جميعاً وحميل السيل هو الزبد وما يلقيه الماء على شاطئه، قوله قشبني ريحها أي آذاني والقشب السم فكأنه قال قد سمني ريحها. قوله وأحرقني ذكاؤها أي اشتعالها ولهبها قوله رأى زهرتها الزهرة الحسن والنضارة والبهجة. (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ «إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة رجل يخرج من النار حبواً، فيقول الله له اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملأى. فيقول الله تعالى له اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو أن لك مثل عشرة أمثال الدنيا، فيقول أتسخر بي وأنت

إذا انقطعت أمنيتُه، قال الله تعالى: تمنّ كذا وكذا أقبل يُذكّره ربّه حتى إذا انتهت به الأماني، قال الله تعالى لك ذلك ومثله معه قال أبو سعيد لأبي هريرة إن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تعالى لك ذلك وعشرة أمثاله» قال أبو هريرة لم أحفظ من رسول الله ﷺ إلا قوله لك ذلك: «ومثله معه»، قال أبو سعيد إني سمعته يقول ذلك: «لك وعشرة أمثاله». ورواه محمد بن إسماعيل عن محمود بن غيلان أنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن عطاء بن يزيد عن أبي هريرة بمعناه، فقال: فيأتيهم الله عزّ وجلّ في غير الصورة التي يعرفون فيقول: أنا ربكم، فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا أتانا ربنا عرفناه فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه. أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا محمد بن حماد أنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «يعذب أُناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا حمماً ثم تدركهم الرحمة، قال: فيُخرجون فيُطرحون على أبواب الجنة، قال: فيرشّ عليهم أهل الجنة الماء فينبتون كما تنبت القثاء في حميل السيل، ثم يدخلون الجنة». أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب أنا أبو عيسى الترمذي أنا هنّاد بن السري أنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة السلماني عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف آخر أهل النار رجل يخرج منها زحفاً فيقال له: انطلق فادخل الجنة، قال فيذهب ليدخل الجنة فيجد الناس قد أخذوا المنازل، فيرجع فيقول: يا رب قد أخذ الناس المنازل، فيقال له: أتذكر الزمان الذي كنت فيه؟ فيقول: نعم فيقال له: تمنّ، فيتمنى، فيقال له: إن لك الذي تمنيته وعشرة أضعاف الدنيا، قال فيقول: أتسخر بي وأنت الملك الجبار؟ قال: فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك

الملك فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه» فكان يقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلة قوله حتى بدت نواجذه أي أضراسه وأنيابه، وقيل هي آخر الأسنان.

عن جابر قال قال رسول الله ﷺ «يعذب ناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا حمماً ثم تدركهم الرحمة، قال فيخرجون فيطرحون على أبواب الجنة، قال فيرش عليهم أهل الجنة من الماء فينبتون كما تنبت الحبة في حمالة السيل» أخرجه الترمذي الحمم الفحم والحمالة كل ما جاء به السيل، فدلت الآية الأولى على أن الكل دخلوا النار ودلت الآية الثانية والأحاديث أن الله تعالى أخرج منها المتقين وجميع الموحدين وترك فيها الظالمين وهم المشركون.

قوله تعالى:

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾﴾

﴿**وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات**﴾ أي دلائل واضحات ﴿**قال الذين كفروا**﴾ يعني النضر بن الحارث ومن دونه من كفار قريش ﴿**للذين آمنوا**﴾ يعني فقراء أصحاب رسول الله ﷺ وكانت فيهم قشافة وفي عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثاثة، وكان المشركون يرجلون شعورهم ويدهنون رؤوسهم ويلبسون أفخر ثيابهم ﴿**أي الفريقين خير مقاماً**﴾ أي منزلاً ومسكناً وهو موضع الإقامة ﴿**وأحسن ندياً**﴾ أي مجلساً فأجابهم الله تعالى بقوله ﴿**وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً**﴾ أي متاعاً وأموالاً وقيل أحسن ثياباً ولباساً ﴿**ورئياً**﴾ أي منظراً من الرؤية ﴿**قل من كان في الضلالة فليمدد**

حتى بدت نواجذه». أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو بكر أحمد بن حسين الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا محمد بن حماد أنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم مبشر عن حفصة أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إني لأرجو أن لا يدخل النار إن شاء الله أحد شهد بدراً والحديبية»، قالت: قلت يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى: ﴿ وإن منكم إلّا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ﴾ [مريم: ٧١]؟ قال: أفلم تسمعيه يقول: ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً ﴾ [مريم: ٧٢].

﴿ **وإذا تتلى عليهم آياتنا بيّنات** ﴾، واضحات، ﴿ **قال الذين كفروا** ﴾، يعني النضر بن الحارث وذويه من قريش، ﴿ **للذين آمنوا** ﴾، يعني فقراء أصحاب النبي ﷺ وكانت فيهم قشافة وفي عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثاثة، وكان المشركون يرجلون شعارهم ويدهنون رؤوسهم ويلبسون ثيابهم، فقالوا للمؤمنين ﴿ **أيّ الفريقين خير مقاماً** ﴾، منزلاً ومسكناً، وهو موضع الإقامة، وقرأ ابن كثير: ﴿ **مقاماً** ﴾ بضم الميم أي إقامة، ﴿ **وأحسن ندياً** ﴾، أي مجلساً، ومثله النادي، فأجابهم الله تعالى فقال:

﴿ **وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً** ﴾، أي متاعاً وأموالاً. وقال مقاتل: لباساً وثياباً، ﴿ **ورءياً** ﴾، قرأ أكثر القرّاء بالهمز أي منظراً من الرؤية، وقرأ ابن عامر وأبو جعفر ونافع غير ورش ريا مشدّداً بغير همز، وله تفسيران أحدهما هو الأول بطرح الهمز والثاني من الريّ الذي هو ضدّ العطش، ومعناه الارتواء من النعمة، فإن المتنعّم يظهر فيه ارتواء النعمة، والفقير يظهر عليه ذبول الفقر.

له الرحمن مداً﴾ هذا أمر بمعنى الخبر معناه يدعه في طغيانه ويمهله في كفره ﴿حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب﴾ أي الأسر والقتل في الدنيا ﴿وإما الساعة﴾ يعني القيامة فيدخلون النار ﴿فسيعلمون﴾ أي عند ذلك ﴿من هو شر مكاناً﴾ أي منزلاً ﴿وأضعف جنداً﴾ أي أقل ناصراً والمعنى فسيعلمون أهم خير وهم في النار أم المؤمنون وهم في الجنة وهذا رد عليهم في قولهم أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً، قوله تعالى ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾ أي إيماناً وإيقاناً على يقينهم ﴿والباقيات الصالحات﴾ أي الأذكار والأعمال الصالحة التي تبقى لصاحبها ﴿خير عند ربك ثواباً وخير مرداً﴾ أي عاقبة ومرجعاً. قوله تعالى ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا﴾ الآية، (ق) عن خباب بن الأرت قال كنت رجلاً قيناً في الجاهلية، وكان لي على العاص بن وائل السهمي دين فأتيته أتقاضاه، وفي رواية فعملت للعاص بن وائل السهمي سيفاً فجئته أتقاضاه، فقال لا أعطيك حتى تكفر بمحمد. فقلت لا أكفر حتى يميتك الله ثم تبعث. قال وإني لميت ثم مبعوث. قلت بلى قال دعني حتى أموت وأبعث فسأوتي مالاً وولداً فأقضيك. فنزلت ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا﴾.

أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾

﴿أم اتخذ عند الرحمن عهداً﴾ يعني قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وقيل يعني عمل عملاً صالحاً قدمه،

﴿ قلْ مَن كان في الضلالة فَلْيَمْدُدْ له الرحمنُ مدّاً ﴾، هذا أمر بمعنى الخبر، معناه يدعه في طغيانه ويمهله في كفره، ﴿ حتى إذا رَأَوْا ما يُوعدون إمّا العذاب ﴾، وهو الأسر والقتل في الدنيا، ﴿ وإمّا الساعة ﴾، يعني القيامة فيدخلون النار، ﴿ فسيعلمون ﴾، عند ذلك ﴿ مَن هو شرٌّ مكاناً ﴾، منزلاً، ﴿ وأضعف جنداً ﴾، أقلّ ناصراً أهم أم المؤمنون؟ لأنهم في النار والمؤمنون في الجنة. وهذا ردٌّ عليهم في قوله: ﴿ أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً ﴾.

﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الذينَ اهتدوا هُدىً ﴾، أي إيماناً وإيقاناً على يقينهم، ﴿ والباقيات الصالحات ﴾، الأذكار والأعمال الصالحة التي تبقى لصاحبها، ﴿ خير عند ربك ثواباً وخير مرداً ﴾ عاقبةً ومرجعاً.

قوله: ﴿ أفرأيتَ الذي كفر بآياتنا وقال لأوتينّ مالاً وولداً ﴾، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عمر بن حفص أنا أبي أنا الأعمش بن مسلم عن مسروق حدّثنا خبّاب قال: كنت قيناً فعملت للعاص بن وائل فاجتمع مالي عنده فأتيته أتقاضاه، فقال: لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: أما والله حتى تموت ثم تبعث، قال: وإني لميت ثم مبعوث؟ قلت: نعم، قال: إنه سيكون لي ثم مال وولد فأقضيك، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتينّ مالاً وولداً ﴾.

﴿ أطّلع الغيبَ ﴾ قال ابن عباس: أنظرَ في اللوح المحفوظ. وقال مجاهد: أعلم الغيب حتى يعلم في الجنة هو أم لا؟ ﴿ أم اتخذ عند الرحمن عهداً ﴾، يعني قال لا إله إلّا الله. وقال قتادة: يعني أعمل عملاً صالحاً قدّمه. وقال الكلبي: أعهد إليه أن يدخل الجنة.

وقيل عهد إليه أنه يدخله الجنة ﴿كلا﴾ رد عليه يعني لم يفعل ذلك ﴿سنكتب﴾ سنحفظ عليه ما يقول فنجازيه به في الآخرة، وقيل يأمر الملائكة حتى يكتبوا ﴿ما يقول ونمد له من العذاب مداً﴾ أي نزيده عذاباً فوق العذاب، وقيل نطيل مدة عذابه ﴿ونرثه ما يقول﴾ معناه أي ما عنده من المال والولد بإهلاكنا إياه وإبطال ملكه، وقيل يزول عنه ما عنده من مال وولد فيعود الإرث إلى من خلفه وإذا سلب ذلك بقي فرداً فذلك قوله ﴿ويأتينا﴾ يعني يوم القيامة ﴿فرداً﴾ بلا مال ولا ولد فلا يصح أن يبعث في الآخرة بمال وولد. قوله تعالى ﴿واتخذوا من دون الله آلهة﴾ يعني مشركي قريش اتخذوا الأصنام آلهة يعبدونها ﴿ليكونوا لهم عزاً﴾ أي منعة يعني يكونوا شفعاء يمنعوهم من العذاب ﴿كلا﴾ أي ليس الأمر كما زعموا ﴿سيكفرون بعبادتهم﴾ يعني تجحد الأصنام والآلهة التي كانوا يعبدونها عبادة المشركين ويتبرؤون منهم ﴿ويكونون عليهم ضداً﴾ أي أعواناً عليهم يكذبونهم ويلعنونهم وقيل أعداء لهم وكانوا أولياءهم في الدنيا. قوله عز وجل ﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين﴾ أي سلطناهم عليهم ﴿تؤزهم أزاً﴾ أي تزعجهم إزعاجاً من الطاعة إلى المعصية والمعنى تحثهم وتحرضهم على المعاصي تحريضاً شديداً وفي الآية دليل على أن الله تعالى مدبر لجميع الكائنات ﴿فلا تعجل عليهم﴾ أي لا تعجل بطلب عقوبتهم ﴿إنا نعد لهم عداً﴾ يعني الليالي والأيام والشهور والأعوام، وقيل الأنفاس التي يتنفسونها في الدنيا إلى الأجل الذي أجل لعذابهم. قوله تعالى ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً﴾ أي اذكر لهم يا محمد اليوم الذي يجتمع فيه من اتقى الله في الدنيا بطاعته إلى جنته وفداً أي جماعات.

﴿ كلا ﴾، ردٌّ عليه يعني لم يفعل ذلك، ﴿ سنكتبُ ﴾، سنحفظ عليه، ﴿ ما يقول ﴾، فنجازيه به في الآخرة. وقيل: نأمر الملائكة حتى يكتبوا ما يقول. ﴿ ونَمُدّ له من العذاب مدّاً ﴾، أي نزيده عذاباً فوق العذاب. وقيل: نطيل مدة عذابه.

﴿ ونرثه ما يقول ﴾، أي ما عنده من المال والولد بإهلاكنا إيّاه وإبطال ملكه وقوله ما يقول لأنه زعم أن له مالاً وولداً في الآخرة، أي لا نعطيه ونعطي غيره فيكون الإرث راجعاً إلى ما تحت القول لا إلى نفس القول. وقيل: معنى قوله: ﴿ ونرثه ما يقول ﴾ أي: نحفظ ما يقول حتى نجازيه به، ﴿ ويأتينا فرداً ﴾، يوم القيامة بلا مال ولا ولد.

﴿ واتخذوا من دون الله آلهة ﴾ يعني مشركي قريش اتخذوا الأصنام آلهة يعبدونها، ﴿ ليكونُوا لهم عزّاً ﴾، أي منعة، يعني يكونون لهم شفعاء يمنعونهم من العذاب.

﴿ كلا ﴾، أي ليس الأمر كما زعموا، ﴿ سيكفرون بعبادتهم ﴾، أي يجحد الأصنام والآلهة التي كانوا يعبدونها عبادة المشركين ويتبرؤون منهم، كما أخبر الله تعالى ﴿ تبرأنا إليك ما كانوا إيّانا يعبدون ﴾ [القصص: ٦٣]، ﴿ ويكونون عليهم ضِدّاً ﴾، أي أعداءً لهم، وكانوا أولياءهم في الدنيا. وقيل: أعواناً عليهم يكذبونهم ويلعنونهم.

﴿ ألم ترَ أنّا أرسلنا الشياطين على الكافرين ﴾، أي سلّطناهم عليهم وذلك حين قال لإبليس: ﴿ واستفزز مَن استطعت منهم بصوتك ﴾ [الإسراء: ٦٤]، الآية، ﴿ تؤزهم أزّاً ﴾، تزعجهم إزعاجاً من الطاعة إلى المعصية، والأزّ والهزّ التحريك أي تحرّكهم وتحثّهم على المعاصي.

﴿ فلا تعجلْ عليهم ﴾، أي لا تطلب عقوبتهم، ﴿ إنما نعدّ لهم عدّاً ﴾، قال الكلبي: يعني الليالي والأيام والشهور والأعوام. وقيل: الأنفاس التي يتنفسون بها في الدنيا إلى الأجل الذي أُجّل لعذابهم.

قوله: ﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً ﴾ أي اذكر لهم يا محمد اليوم الذي يجتمع فيه مَن اتقى الله في الدنيا بطاعته إلى الرحمن، أي إلى جنته وفداً أي جماعات جمع وافد، مثل راكب وركب، وصاحب وصحب. وقال

قال ابن عباس: ركباناً قال أبو هريرة: على الإبل. وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: ما يحشرون والله على أرجلهم ولكن على نوق رحالها من الذهب ونجائب سروجها يواقيت إن هموا بها سارت وإن هموا بها طارت. ﴿ونسوق المجرمين﴾ أي الكافرين ﴿إلى جهنم ورداً﴾ أي مشاة عطاشاً قد تقطعت أعناقهم من العطش، والورد جماعة يردون الماء ولا يرد أحد إلا بعد العطش وقيل يساقون إلى النار بإهانة واستخفاف كأنهم نعم عطاش تساق إلى الماء(ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ «يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر معهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمضي معهم حيث أمسوا». قول تقيل معهم حيث قالوا من القيلولة وعنه قال: قال رسول الله ﷺ «يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفاً مشاة وصنفاً ركباناً وصنفاً على وجوههم. قيل يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم قال إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم أما أنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك» أخرجه الترمذي.

قوله عز وجل ﴿لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً﴾ يعني لا إله إلا الله وقيل لا يشفع الشافعون إلا للمؤمنين، وقيل لا يشفع إلا لمن قال لا إله إلا الله، أي لا يشفع إلا للمؤمنين ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً﴾ يعني اليهود والنصارى، ومن زعم أن الملائكة بنات الله من العرب ﴿لقد جئتم شيئاً إداً﴾ قال ابن عباس منكراً، وقيل معناه لقد قلتم قولاً عظيماً ﴿تكاد السموات يتفطرن منه﴾ من الانفطار وهو الشق ﴿وتنشق الأرض﴾ أي تخسف بهم ﴿وتخر الجبال هداً﴾ أي تسقط وتنطبق عليهم ﴿أن دعوا﴾ أي من أجل أن جعلوا ﴿للرحمن ولداً﴾ فإن قلت ما معنى انفطار السموات وانشقاق الأرض وخرور الجبال ومن أين تؤثر هذه الكلمة في هذه الجمادات. قلت فيه وجهان أحدهما: أن

ابن عباس: ركباناً. وقال أبو هريرة: على الإبل. وقال علي بن أبي طالب: ما يحشرون والله على أرجلهم ولكن على نوقٍ رِحالها الذهب ونجائب سرجها يواقيت إن همّوا بها سارت وإن همّوا بها طارت.

﴿ ونسوق المجرمين ﴾، الكافرين الكاذبين، ﴿ إلى جهنم وِرْدَاً ﴾، أي: مشاة. وقيل: عطاشاً قد تقطعت أعناقهم من العطش. والوِردُ جماعة يردون الماء ولا يرد أحد الماء إلّا بعد عطش.

﴿ لا يملكون الشفاعة إلّا مَن اتخذ عند الرحمن عهداً ﴾، يعني: لا إله إلّا الله. وقيل: معناه لا يشفع الشافعون لمَن اتخذ عند الرحمن عهداً يعني المؤمنين، كقوله: ﴿ لا يشفعون إلّا لمَن ارتضى من رسول ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وقيل: لا يشفع إلّا مَن شهد أن لا إله إلّا الله أي لا يشفع إلّا المؤمن.

﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولداً ﴾، يعني اليهود والنصارى، ومَن زعم أن الملائكة بنات الله، وقرأ حمزة والكسائي ﴿ ولداً ﴾ بضم الواو وسكون اللام ههنا وفي الزخرف [٨١] وسورة نوح [٢٧]، ووافق ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب في سورة نوح، والباقون بفتح الواو ههنا، وهما لغتان مثل العرب والعرب والعجم والعجم.

﴿ لقدْ جئتُم شيئاً إدّاً ﴾، قال ابن عباس منكراً. وقال قتادة ومجاهد: عظيماً. وقال مقاتل: لقد قلتم قولاً عظيماً. والإدّ في كلام العرب أعظم الدواهي.

﴿تكاد السموات﴾، قرأ نافع والكسائي «يكاد» بالياء ههنا وفي حمٓعسٓقٓ [الشورى: ٥] لتقدّم الفعل، وقرأ الباقون بالتاء لتأنيث السموات، ﴿يتفطّرنَ منه﴾، هاهنا وفي حمعسق بالنون من الانفطار، أبو عمرو وأبو بكر ويعقوب وافق ابن عامر وحمزة ههنا لقوله تعالى: ﴿إذا السماء انفطرت﴾ [الإنفطار: ١] و﴿السماء منفطر﴾ [المزّمّل: ١٨]، وقرأ الباقون بالتاء من التفطّر ومعناهما واحد، يقال: انفطر الشيء وتفطّر أي تشقّق. ﴿ وتنشق

الله تعالى يقول كدت أن أفعل هذا بالسموات والأرض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضباً مني على من تفوه بها لولا حلمي وإني لا أعجل بالعقوبة. الثاني: أن يكون استعظاماً للكلمة وتهويلاً من فظاعتها وتصويراً لأثرها في الدين وهدمها لأركانه وقواعده. قال ابن عباس فزعت السموات والأرض والجبال وجميع الخلائق إلا الثقلين وكادت أن تزول وغضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا اتخذ الله ولداً ثم نزه الله نفسه عن اتخاذ الولد ونفاه عنه فقال تعالى:

﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝٩٣ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٤ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ۝٩٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ۝٩٦ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ۝٩٧ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ۝٩٨﴾

﴿**وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً**﴾ أي ما يليق به اتخاذ الولد ولا يوصف به لأن الولد لا بد أن يكون شبيهاً بالوالد، ولا شبيه لله تعالى ولأن اتخاذ الولد إنما يكون لأغراض لا تصح في الله تعالى من سرور به واستعانة وذكر جميل بعده وكل ذلك لا يليق بالله تعالى ﴿**إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً**﴾ أي آتية يوم القيامة عبداً ذليلاً خاضعاً، والمعنى أن الخلائق كلهم عبيده ﴿**لقد أحصاهم وعدهم عداً**﴾ أي عد أنفاسهم وأيامهم وآثارهم فلا يخفى عليه شيء من أمورهم وكلهم تحت تدبيره وقهره وقدرته ﴿**وكلهم آتية يوم القيامة فرداً**﴾ أي وحيداً ليس معه من أحوال الدنيا شيء.

قوله عز وجل ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً**﴾ أي محبة قيل يحبهم الله تعالى ويحببهم إلى عباده المؤمنين (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبيّ ﷺ أنه قال «إذا أحب الله سبحانه وتعالى

الأرض وتخرّ الجبال هدّاً ﴾، أي: تنكسر كسراً. وقيل تنشقّ الأرض أي تنخسف بهم، والانفطار في السماء أن تسقط عليهم وتخرّ الجبال هدّاً أي تنطبق عليهم.

﴿ **أن دعوا** ﴾، أي من أجل أن جعلوا ﴿ **للرحمن ولداً** ﴾، قال ابن عباس وكعب: فزعت السمٰوات والأرض والجبال وجميع الخلائق إلاّ الثقلين، وكادت أن تزول وغضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا: اتخذ الله ولداً، ثم نفى الله عن نفسه الولد فقال:

﴿ **وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً** ﴾، أي ما يليق به اتخاذ الولد ولا يوصف به.

﴿ **إنْ كلُّ مَن في السمٰوات والأرض إلاّ آتي الرحمن** ﴾، أي إلاّ آتيه يوم القيامة، ﴿ **عبداً** ﴾ ذليلاً خاضعاً يعني الخلق كلهم عبيده.

﴿ **لقد أحصاهم وعدّهم عدّاً** ﴾ أي عدّ أنفاسهم وأيامهم وآثارهم، فلا يخفى عليه شيء.

﴿ **وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً** ﴾، وحيداً ليس معه من الدنيا شيء.

﴿ **إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وُدّاً** ﴾ أي: محبة. قال مجاهد: يحبّهم الله ويحببهم إلى عباده المؤمنين. أنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن سهيل بن

عبداً دعا جبريل عليه السلام إن الله تعالى يحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض» وفي رواية لمسلم قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله سبحانه وتعالى إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال إني أحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض وإذا أبغض الله عبداً دعا جبريل عليه السلام فيقول إني أبغض فلاناً فأبغضه فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه، ثم يوضع له البغضاء في الأرض» قال هرم بن حيان: ما أقبل عبد بقلبه إلى الله عز وجل إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه حتى يرزقه مودتهم. وقال: كعب مكتوب في التوراة لا محبة لأحد في الأرض حتى يكون ابتداؤها من الله عز وجل ينزلها على أهل السماء ثم على أهل الأرض وتصديق ذلك في القرآن «سيجعل لهم الرحمن وداً».

قوله تعالى ﴿**فإنما يسرناه**﴾ أي سهلنا القرآن ﴿**بلسانك**﴾ يا محمد ﴿**لتبشر به المتقين**﴾ يعني المؤمنين ﴿**وتنذر به**﴾ أي القرآن ﴿**قوماً لداً**﴾ أي شداداً في الخصومة. وقيل صماً عن الحق، وقيل الألد الظالم الذي لا يستقيم ولا يقبل الحق ويدعي الباطل ﴿**وكم أهلكنا قبلهم من قرن**﴾ ختم الله تعالى هذه السورة بموعظة بليغة لأنهم إذا علموا وأيقنوا أنه لا بد من زوال الدنيا بالموت خافوا ذلك وخافوا سوء العاقبة في الآية فكانوا إلى الحذر من المعاصي أقرب. ثم أكد ذلك فقال تعالى ﴿**هل تحس منهم**﴾ أي هل ترى، تجد منهم أي من القرون ﴿**من أحد أو تسمع لهم ركزاً**﴾ أي صوتاً خفياً قال الحسن: بادوا جميعاً لم يبق منهم عين ولا أثر والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا أحبّ الله العبد قال لجبرائيل: قد أحببت فلاناً فأحبّه، فيحبّه جبرائيل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله عزّ وجلّ قد أحبّ فلاناً فأحبّوه، فيحبّه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض العبد» قال مالك لا أحسبه إلّا قال في البغض مثل ذلك قال هرم بن حيان: ما أقبل عبد بقلبه إلى الله عزّ وجلّ إلّا أقبل الله بقلوب أهل الإيمان إليه حتى يرزقه مودّتهم.

﴿ **فإنما يسّرناه بلسانك** ﴾، أي سهّلنا القرآن بلسانك يا محمد، ﴿ **لتبشّر به المتّقين** ﴾، يعني المؤمنين، ﴿ **وتنذر به قوماً لدّاً** ﴾ شداداً في الخصومة، جمع الألد. وقال الحسن: صمّاً عن الحق. قال مجاهد: الألدّ الظالم الذي لا يستقيم. قال أبو عبيدة الألدّ الذي لا يقبل الحق ويدّعي الباطل.

﴿ **وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحسّ** ﴾، هل ترى، وقيل: هل تجد، ﴿ **منهم من أحد أو تسمع لهم رِكْزاً** ﴾، أي صوتاً والركز الصوت الخفي قال الحسن أي بادوا جميعاً فلم يبقَ منهم عين ولا أثر.

تفسير سورة طه

وهي مكية وهي مائة وأربعة، وقيل خمس وثلاثون آية وألف وستمائة وإحدى وأربعون كلمة وخمسة آلاف ومائتان واثنان وأربعون حرفاً. عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال «أعطيت السورة التي فيها البقرة من الذكر الأول وأعطيت طه والطواسين من ألواح موسى وأعطيت فواتح القرآن وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش وأعطيت المفصل نافلة» النافلة: الزيادة وفقنا الله لفهم ذلك.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾

قوله عز وجل ﴿طه﴾ قيل هو قسم أقسم الله بطوله وهدايته، وقيل هو من أسماء الله فالطاء افتتاح اسمه طاهر والهاء افتتاح اسمه هاد. وقيل معناه يا رجل والمراد به النبيّ ﷺ وكذلك يا إنسان، وقيل هو بالسريانية، وقيل بالقبطية، فعلى هذا يكون قد وافقت لغة العرب هذه اللغات في هذه الكلمة، وقيل هو يا إنسان بلغة عك وعك قبيلة من قبائل العرب، وقيل معناه طا الأرض بقدميك يريد به في التهجد وذلك لما نزل الوحي على رسول الله ﷺ بمكة اجتهد في العبادة حتى كان يراوح بين قدميه في الصلاة لطول قيامه، وكان يصلي الليل كله فأنزل الله تعالى هذه الآية

سُوْرَة طــه

مكية وهي مائة وأربعة وقيل خمس وثلاثون آية.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا ابن أبي أُويس حدّثني أبي عن أبي بكر الهزلي عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «أعطيت السورة التي ذكرت فيها البقرة من الذكر الأول، وأعطيتُ طه والطواسين من ألواح موسى، وأعطيت فواتح القرآن وخواتيم السورة التي ذكرت فيها، والبقرة من كنز تحت العرش، وأُعطيت المفصل نافلة».

﴿ طه ﴾، قرأ أبو عمرو بفتح الطاء وكسر الهاء، وبكسرهما حمزة والكسائي وأبو بكر، والباقون بفتحهما، قيل: هو قسم. وقيل: اسم من أسماء الله تعالى. وقال مجاهد والحسن وعطاء والضحاك: معناه يا رجل. وقال قتادة: هو يا رجل بالسريانية. وقال الكلبي: هو يا إنسان بلغة عك. وقال مقاتل: معناه طأ الأرض بقدميك يريد في التهجّد. وقال محمد بن كعب القرظي: هو قسم أقسم الله عزّ وجلّ بطَوْله وهدايته. قال سعيد بن جبير: الطاء افتتاح اسمه طاهر والهاء افتتاح اسمه هادٍ، قال الكلبي: لمّا نزل على رسول الله ﷺ الوحي بمكة اجتهد في العبادة

وأمره أن يخفف على نفسه فقال تعالى ﴿طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾.

وقيل لما رأى المشركون اجتهاده في العبادة قالوا ما أنزل عليك القرآن يا محمد إلا لشقائك فنزلت ﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ أي لتتعنى وتتعب ﴿إلا تذكرة لمن يخشى﴾ أي لكن أنزلناه عظة لمن يخشى وإنما خص من يخشى بالتذكرة لأنهم هم المنتفعون بها ﴿تنزيلاً ممن خلق الأرض والسموات العلى﴾ أي من الله الذي خلق الأرض والسموات العلية الرفيعة التي لا يقدر على خلقها في عظمتها وعلوها إلا الله تعالى ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ تقدم الكلام عليه في سورة الأعراف مستوفى ﴿له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما﴾ يعني الهواء ﴿وما تحت الثرى﴾ أي إنه مالك لجميع ما في الأربعة الأقسام، والثرى هو التراب الندي وقيل معناه ما وراء الثرى من شيء. وقال ابن عباس: إن الأرضين على ظهور النون والنون على بحر ورأسه وذنبه يلتقيان تحت العرش، والبحر على صخرة خضراء خضرة السماء منها وهي الصخرة التي ذكرها الله تعالى في قصة لقمان، والصخرة على قرن ثور والثور على الثرى ولا يعلم ما تحت ذلك الثرى إلا الله تعالى، وذلك الثور فاتح فاه فإذا جعل الله البحار بحراً واحداً سالت في جوف ذلك الثور فإذا وقعت في جوفه يبست. قوله تعالى:

وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَىٰكَ
حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ
هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ

حتى كان يراوح بين قدميه في الصلاة لطول قيامه وكان يصلّي الليل كله فأنزل الله هذه الآية، وأمره أن يخفّف على نفسه فقال:

﴿ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾، وقيل: لمّا رأى المشركون اجتهاده في العبادة قالوا ما أنزل عليك القرآن يا محمد إلّا لشقائك، فنزلت: ﴿ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾ أي لتتعنى وتتعب، وأصل الشقاء في اللغة العنـــاء.

﴿ إلّا تذكرةً لمَن يخشى ﴾، أي لكن أنزلناه عظة لمَن يخشى. وقيل: تقديره ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ما أنزلناه إلّا تذكرة لمَن يخشى.

﴿ تنزيلاً ﴾، بدل من قوله تذكرة، ﴿ ممّن خلق الأرض ﴾ أي من الله الذي خلق الأرض، ﴿ والسمٰواتِ العُلى ﴾، يعني العالية الرفيعة وهي جمع العليا كقولهم كبرى وكبر وصغرى وصغر.

﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾.

﴿ له ما في السمٰوات وما في الأرض وما بينهما ﴾، يعني الهواء، ﴿ وما تحت الثرى ﴾، والثرى هو التراب الندي. قال الضحاك: يعني ما وارى الثرى من شيء، وقال ابن عباس: إن الأرضين على ظهر النون والنون على بحر ورأسه وذنبه يلتقيان تحت العرش، والبحر على صخرة خضراء خضرة السماء منها، وهي الصخرة التي ذكر الله في قصة لقمان فتكن في صخرة، والصخرة على قرن ثور والثور على الثرى، وما تحت الثرى لا يعلمه إلّا الله، وذلك الثور فاتح فاه فإذا جعل الله عزّ وجلّ البحار بحراً واحداً سالت في جوف ذلك الثور، فإذا وقعت في جوفه يبست.

﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾

﴿وإن تجهر بالقول﴾ أي تعلن به ﴿فإنه يعلم السر وأخفى﴾ قال ابن عباس: السر ما تسر في نفسك وأخفى من السر ما يلقيه الله في قلبك من بعد ولا تعلم أنك ستحدث به نفسك لأنك لا تعلم ما تسر اليوم ولا تعلم ما تسر غداً والله يعلم ما أسررت به اليوم وما تسر به غداً، وعنه أن السر ما أسر به ابن آدم في نفسه وأخفى ما هو فاعله قبل أن يعلمه، وقيل السر ما أسره الرجل إلى غيره وأخفى من ذلك ما أسره في نفسه، وقيل السر هو العمل الذي يسر من الناس وأخفى هو الوسوسة، وقيل السر أن يعلم الله تعالى أسرار العباد وأخفى هو سره من عباده فلا يعلم أحد سره، وقيل: مقصود الآية زجر المكلف عن القبائح ظاهرة كانت أو باطنة والترغيب في الطاعات ظاهرة كانت أو باطنة، فعلى هذا الوجه ينبغي أن يحمل السر والإخفاء على ما فيه ثواب أو عقاب، فالسر هوالذي يسره المرء في نفسه من الأمور التي عزم عليها والإخفاء هو الذي لم يبلغ حد العزيمة ثم وحد نفسه فقال تعالى ﴿الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى﴾ تأنيث الأحسن والذي فضلت به أسماؤه في الحسن دون سائر الأسماء، دلالتها على معنى التقديس والتحميد والتعظيم والربوبية، والأفعال التي هي النهاية في الحسن.

قوله عز وجل: ﴿وهل أتاك حديث موسى﴾ أي وقد أتاك لما قدم ذكر رسول الله ﷺ قفاه بقصة موسى عليه الصلاة والسلام ليتأسى به في تحمل أعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد، حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود ﴿إذ رأى ناراً﴾ وذلك أن موسى استأذن شعيباً في الرجوع من مدين إلى مصر ليزور والدته

﴿ وإن تجهر بالقول ﴾، أي تعلن به، ﴿ فإنه يعلم السرّ وأخفى ﴾، قال الحسن: السرّ ما أسرّه الرجل إلى غيره، وأخفى من ذلك ما أسرّ من نفسه. وعن ابن عباس وسعيد بن جبير: السرّ ما تسرّ في نفسك وأخفى من السر ما يلقيه الله عزّ وجلّ في قلبك من بُعد ولا تعلم أنك ستحدّث به نفسك لأنك تعلم ما تسرّ به اليوم وما تعلم ما تسرّ به غداً، والله يعلم ما أسررت اليوم وما تسرّ به غداً. قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس السرّ ما أسرّ ابن آدم في نفسه، والخفي ما خفي عليه مما هو فاعله قبل أن يعمله. وقال مجاهد السرّ: العمل الذي تسرّه من الناس، وأخفى الوسوسة. وقيل: السرّ هو العزيمة وأخفى ما يخطر على القلب ولم يعزم عليه. وقال زيد بن أسلم: يعلم السرّ وأخفى أي يعلم أسرار العباد، وأخفى سرّه من عباده فلا يعلمه أحد، ثم وحّد نفسه، فقال:

﴿ الله لا إله إلاّ هو له الأسماء الحسنى ﴾.

﴿ وهل أتاك حديث موسى ﴾، أي قد أتاك استفهام بمعنى التقرير.

﴿ إذ رأى ناراً ﴾، وذلك أن موسى استأذن شعيباً في الرجوع من مدين إلى مصر لزيارة والدته وأُخته، فأذن له فخرج بأهله وماله، وكانت أيام الشتاء، وأخذ على غير الطريق مخافة من ملوك الشام وامرأته في سقمها لا تدري أليلاً تضع أم نهاراً، فسار في البرية غير عارف بطرقها، فألجأه المسير إلى جانب الطور الغربي الأيمن في ليلة مظلمة مثلجة شديدة البرد، وأخذ امرأته الطلق فقدح زنده فلم يور. وقيل: إن موسى كان رجلاً غيوراً وكان يصحب الرفقة بالليل ويفارقهم بالنهار لئلا ترى امرأته فأخطأ مرة الطريق في ليلة مظلمة شاتية لما أراد الله عزّ وجلّ من كرامته، فجعل يقدح الزند فلا يورى، فأبصر ناراً من بعيد عن يسار الطريق من جانب الطور، ﴿ فقال لأهله امكثوا﴾ أقيموا، قرأ حمزة بضم الهاء ههنا وفي القصص [٢٩]، ﴿إني آنستُ﴾، أي أبصرت، ﴿ناراً لعلّي آتيكم منها بقبس ﴾، قطعة من نار، والقبس قطعة من نار يأخذها في طرف عمود من معظم النار، ﴿ أو أجد على النار هدىً ﴾، أي أجد عند النار مَن يدلّني على الطريق.

وأخاه فأذن له، فخرج بأهله وماله وكانت أيام الشتاء فأخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام، وامرأته حامل في شهرها لا يدري أليلاً تضع أم نهاراً، فسار في البرية غير عارف بطرقها فألجأه المسير إلى جانب الطور الغربي الأيمن، وذلك في ليلة مظلمة مثلجة شاتية شديدة البرد لما أراد الله من كرامته فأخذ امرأته الطلق فأخذ زنده فجعل يقدح فلا يورى فأبصر ناراً من بعيد عن يسار الطريق من جانب الطور ﴿فقال لأهله امكثوا﴾ أي أقيموا ﴿إني أنست ناراً﴾ أي أبصرت ناراً ﴿لعلي أتيكم منها بقبس﴾ أي شعلة من نار في طرف عود ﴿أو أجد على النار هدى﴾ أي أجد عند النار من يدلني على الطريق ﴿فلما أتاها﴾ أي أتى النار ورأى شجرة خضراء من أعلاها إلى أسفلها أطافت بها ناراً بيضاء تتقد كأضوء ما يكون، فلا ضوء النار يغير خضرة الشجرة ولا خضرة الشجرة تغير ضوء النار، قيل كانت الشجرة ثمرة خضراء وقيل كانت من العوسج، وقيل كانت من العليق وقيل كانت شجرة من العناب، روي ذلك عن ابن عباس وقال أهل التفسير لم يكن الذي رآه موسى ناراً بل كان نوراً ذكر بلفظ النار لأن موسى عليه الصلاة والسلام حسبه ناراً.

قال ابن عباس: هو من نور الرب سبحانه وتعالى، وقيل هي النار بعينها وهي إحدى حجب الرب تبارك وتعالى، يدل عليه ما روي عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: «حجابه النار لو كشفها لأهلكت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه» أخرجه مسلم قيل إن موسى أخذ شيئاً من الحشيش اليابس وقصد الشجرة فكان كلما دنا نأت عنه، وإذا نأى دنت منه، فوقف متحيراً وسمع تسبيح الملائكة وألقيت عليه السكينة فعند ذلك ﴿نودي يا موسى إني أنا ربك﴾ قال وهب: نودي من الشجرة فقيل يا موسى فأجاب سريعاً وما يدري من دعاه فقال إني أسمع صوتك ولا أرى مكانك فأين أنت؟ فقال أنا فوقك ومعك وأمامك وخلفك وأقرب إليك منك فعلم أن ذلك لا ينبغي إلا لله تعالى فأيقن به، وقيل إنه سمعه بكل أجزائه حتى إن كل جارحة منه كانت أذناً وقوله ﴿فاخلع نعليك﴾ كان السبب فيه ما روي عن ابن مسعود مرفوعاً في قوله فاخلع نعليك قال كانتا من جلد حمار ميت.

ويروى غير مدبوغ وإنما أمر بخلعها صيانة للوادي المقدس، وقيل أمر بخلعهما ليباشر بقدميه تراب الأرض

﴿ فلما أتاها ﴾، رأى شجرة خضراء من أسفلها إلى أعلاها أطافت بها نار بيضاء تتّقد كأضواء ما يكون، فلا ضوء النار يغيّر خُضرة الشجرة ولا خُضرة الشجرة تغيّر ضوء النار. قال ابن مسعود: كانت الشجرة سمرة خضراء، وقال قتادة ومقاتل والكلبي: كانت من العوسج. وقال وهب: كانت من العلّيق. وقيل: كانت شجرة العنّاب، ورُوِي ذلك عن ابن عباس عنهما، وقال أهل التفسير: لم يكن الذي رآه موسى ناراً بل كان نوراً ذكر بلفظ النار لأن موسى حسبه ناراً. قال أكثر المفسّرين: إنه نور الرب عزّ وجلّ، وهو قول ابن عباس وعكرمة وغيرهما. وقال سعيد بن جبير: هي النار بعينها وهي إحدى حجب الله تعالى، يدلّ عليه ما روينا عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ أنه قال: «حجابه النار لو كشفها الله لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصرهُ من خلقه» وفي القصة أن موسى أخذ شيئاً من الحشيش اليابس وقصد الشجرة فكان كلما دنَا نَأتْ منه النار، وإذا نأى دنتْ، فوقف متحيّراً وسمع تسبيح الملائكة، وأُلقيت عليه السكينة، ﴿ نُودِي يا موسى ﴾.

﴿إني أنا ربُّك﴾،قرأ أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو، وإني بفتح الألف على معنى نودي بأني، وقرأ الآخرون بكسر الألف أي نودي، فقيل: إني أنا ربُّك، قال وهب نودي من الشجرة، فقيل يا موسى فأجاب سريعاً لا يدري مَن دعاه، فقال: إني أسمع صوتك ولا أرى مكانك فأين أنت؟ قال: أنا فوقك ومعك، وأمامك وخلفك وأقرب إليك من نفسك فعلم أن ذلك لا ينبغي إلا لله فأيقن به، قوله عزّ وجلّ: ﴿ فاخلعْ نعليك ﴾، وكان السبب فيه ما رُوِيَ عن ابن مسعود مرفوعاً في قوله: ﴿ فاخلع نعليك ﴾، قال: كانتا من جلد حمار ميت ويُروَى غير مدبوغ. وقال عكرمة ومجاهد: أُمر بخلع النعلين ليباشر بقدمه تراب الأرض المقدسة، فتناله بركتها لأنها قدّست مرتين، فخلعهما موسى

المقدسة لتناله بركتها فإنها قدست مرتين فخلعها موسى فألقاهما من وراء الوادي ﴿إنك بالواد المقدس﴾ أي المطهر ﴿طوى﴾ اسم للوادي الذي حصل فيه وقيل طوى واد مستدير عميق مثل المطوي في استدارته ﴿وأنا اخترتك﴾ اصطفيتك برسالاتي وبكلامي ﴿فاستمع لما يوحى﴾ فيه نهاية الهيبة والجلال له فكأنه قال له لقد جاءك أمر عظيم فتأهب له ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني﴾ ولا تعبد غيري ﴿وأقم الصلاة لذكري﴾ أي لتذكرني فيها وقيل لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري، وقيل لإخلاص ذكري وطلب وجهي ولا ترائي فيها ولا تقصد بها غرضاً آخر، وقيل معناه إذا تركت صلاة ثم ذكرتها فأقمها، (ق) عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك» وتلا قتادة ﴿وأقم الصلاة لذكري﴾ وفي رواية: «إذا رقد أحدكم في الصلاة أو غفل عنها فليصلها إذا ذكرها فإن الله عز وجل يقول ﴿وأقم الصلاة لذكري﴾.

إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾

﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها﴾ قال أكثر المفسرين: معناه أكاد أخفيها من نفسي فكيف يعلمها مخلوق وكيف أظهرها لكم، ذكر ذلك على عادة العرب إذا بالغوا في الكتمان للشيء يقولون كتمت سرك في نفسي، أي أخفيته غاية الإخفاء، والله تعالى لا يخفى عليه شيء. والمعنى في إخفائها التهويل والتخويف لأنهم إذا لم يعلموا متى تقوم الساعة

وألقاهما من وراء الوادي ﴿ إنك بالوادِ المقدس ﴾، أي المطهّر، ﴿ طوى ﴾، وطوى اسم الوادي، وقرأ أهل الكوفة والشام: ﴿ طوى ﴾ بالتنوين ههنا وفي سورة النازعات [١٦]، وقرأ الآخرون بلا تنوين لأنه معدول به عن طاو فلما كان معدولاً عن وجهه كان مصروفاً عن إعرابه، مثل عمر وزفر، وقال الضحاك: طوى وادٍ مستدير عميق مثل الطوى في استدارته.

﴿ وأنا اخترتُك ﴾، اصطفيتك برسالاتي، قرأ حمزة وأنا مشددة النون، اخترناك على التعظيم. ﴿ فاستَمِعْ لما يُوحى ﴾، إليك.

﴿ إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني ﴾، ولا تعبد غيري، ﴿ وأقِم الصلاة لذكري ﴾، قال مجاهد: أقم الصلاة لتذكرني بها، وقال مقاتل: إذا تركت صلاة ثم ذكرتها، فأقمها. أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو عمر بكر بن محمد المزني أنا أبو بكر بن محمد بن عبد الله الحفيد أنا الحسين بن الفضل البجلي أنا عفّان أنا همّام أنا قتادة عن أنس قال: قال النبي ﷺ: «مَن نسي صلاة فليصلّها إذا ذكرها لا كفّارة لها إلاّ ذلك»، ثم قال: سمعته يقول بعد ذلك: ﴿ أقم الصلاة لذكري ﴾.

﴿ إنّ الساعة آتية أكاد أخفيها ﴾، قيل: معناه إن الساعة آتية أُخفيها وأكاد صلة وأكثر المفسّرين قالوا: معناه أكاد أخفيها من نفسي، وكذلك هو في مصحف أُبيّ بن كعب، وعبد الله بن مسعود: أكاد أُخفيها من نفسي فكيف يعلمها مخلوق. وفي بعض القراءة فكيف أظهرها لكم، وذكر ذلك على عادة العرب إذا بالغوا في كتمان الشيء يقولون كتمت سرّك من نفسي أي أخفيته غاية الإخفاء والله تعالى لا يخفى عليه شيء وقال أكاد أي أريد ومعنى الآية

كانوا على حذر منها كل وقت وكذلك المعنى في إخفاء وقت الموت على الإنسان لأنه إذا عرف وقت موته وانقضاء أجله اشتغل بالمعاصي إلى أن يقرب من ذلك الوقت فيتوب ويصلح العمل فيتخلص من عقاب المعاصي بتعريف وقت الموت، وأنه إذا لم يعرف وقت موته لا يزال على قدم الخوف والوجل فيترك المعاصي أو يتوب منها في كل وقت مخافة معاجلة الأجل.

قوله تعالى ﴿لتجزى كل نفس بما تسعى﴾ أي بما تعمل من خير وشر ﴿فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها﴾ أي فلا يصرفك عن الإيمان بالساعة ومجيئها من لا يؤمن بها ﴿واتبع هواه﴾ أي مراده وخالف أمر الله ﴿فتردى﴾ أي فتهلك. قوله عز وجل ﴿وما تلك بيمينك يا موسى﴾ سؤال تقرير والحكمة فيه تنبيهه على أنها عصا حتى إذا قلبها حية علم أنها معجزة عظيمة ﴿قال هي عصاي﴾ قيل كان لها شعبتان وفي أسفلها سنان ولها محجن واسمها نبعة ﴿أتوكأ عليها﴾ أي أعتمد عليها إذا مشيت وإذا عييت وعند الوثبة ﴿وأهش بها على غنمي﴾ أي أضرب بها الشجرة اليابسة ليسقط ورقها فترعاه الغنم ﴿ولي فيها مآرب أخر﴾ أي حاجة ومنافع أخرى، وأراد بالمآرب ما كان يستعمل فيه العصا في السفر فكان يحمل بها الزاد ويشد بها الحبل ويستقي بها الماء من البئر ويقتل بها الحيات ويحارب بها السباع ويستظل بها إذا قعد، وروي عن ابن عباس أن موسى كان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه وتحدثه، وكان

أن الساعة آتية أُريد أُخفيها، والمعنى في إخفائها التهويل والتخويف لأنهم إذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل وقت، وقرأ الحسن بفتح الألف أي أظهرها، يقال: خفيت الشيء إذا أظهرته وأخفيته إذا سترته، قوله تعالى: ﴿ لتُجزى كل نفس بما تسعى ﴾، أي بما تعمل من خير وشر.

﴿ فلا يصدنّك عنها ﴾، فلا يصرفنْك عن الإيمان بالساعة، ﴿ مَن لا يُؤمن بها واتبع هواه ﴾، مراده خالف أمر الله ﴿ فتردى ﴾، أي فتهلك.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ وما تلك بيمينك يا موسى ﴾، سؤال تقرير والحكمة في هذا السؤال تنبيهه وتوقيفه على أنها عصاً حتى إذا قلبها حيّة علم أنه معجزة عظيمة، وهذا على عادة العرب يقول الرجل لغيره هل تعرف هذا وهو لا يشكّ أنه يعرفه، ويريد أن ينضمّ إقراره بلسانه إلى معرفته بقلبه.

﴿ قال هي عصاي ﴾، قيل: وكانت لها شعبتان وفي أسفلها سنان ولها محجن، قال مقاتل: اسمها نبعة، ﴿ أتوكأ عليها ﴾، اعتمد عليها إذا مشيت وإذا عييت وعند الوثبة، ﴿ وأهشُّ بها على غنمي ﴾، أضرب بها الشجرة اليابسة ليسقط ورقها فترعاه الغنم، وقرأ عكرمة (وأهس) بالسين غير المعجمة، أي أزجرُ بها الغنم، والهس زجر الغنم، ﴿ ولي فيها مآرب أخرى ﴾، حاجات ومنافع أخرى، جمع مأربة بفتح الراء، ولم يقل (أُخر) لرؤوس الآي، وأراد بالمآرب ما يستعمل فيه العصا في السفر، فكان يحمل بها الزاد ويشدّ بها الحبل فيستقي الماء من البئر، ويقتل بها الحيّات ويحارب بها السِّباع، ويستظلّ بها إذا قعد وغير ذلك. ورُوِيَ عن ابن عباس: أن موسى كان يحمل عليها زاده وسِقاءه، فجعلت تماشيه وتحادثه وكان يضرب بها الأرض فيخرج ما يأكل يومه، ويركّزها فيخرج الماء فإذا رفعها ذهب الماء وإذا اشتهى ثمرة ركّزها فجعلت تُماشيه غصناً كالشجرة وأورقت وأثمرت، وإذا أراد الاستقاء من البئر أدلاها فطالت على طول البئر وصارت شعبتاها كالدلو حتى يستقي، وكانت تضيء بالليل بمنزلة السراج، وإذا ظهر له عدو كانت تحارب وتناضل عنه.

﴿ قال ﴾، الله تعالى، ﴿ ألقها يا موسى ﴾، انبذها، قال وهب: ظن موسى أنه يقول ارفضها.

يضرب بها الأرض فيخرج له ما يأكل يومه، ويركزها فيخرج الماء فإذا رفعها ذهب الماء وكان إذا اشتهى ثمرة ركزها فتصير غصن تلك الشجرة وتورق وتثمر، وإذا أراد الاستقاء من البئر أدلاها فطالت على طول البئر وصارت شعبتاها كدلو حتى يستقي، وكانت تضيء بالليل كالسراج وإذا ظهر له عدو كانت تحارب وتناضل عنه ﴿قال﴾ الله تعالى ﴿ألقها يا موسى﴾ أي انبذها واطرحها.

قال وهب: ظن موسى أنه يقول ارفضها ﴿فألقاها﴾ أي فطرحها على وجه الرفض ثم حانت منه نظرة ﴿فإذا هي حية﴾ صفراء من أعظم ما يكون من الحيات ﴿تسعى﴾ أي تمشي بسرعة على بطنها وقال في موضع آخر كأنها جان، وهي الحية الصغيرة الجسم الخفيفة وقال في موضع آخر ثعبان وهو أكبر ما يكون من الحيات ووجه الجمع أن الحية اسم جامع للكبير والصغير والذكر والأنثى فالجان عبارة عن ابتداء حالها فإنها كانت حية على قدر العصا، ثم كانت تتورم وتنتفخ حتى صارت ثعباناً وهو انتهاء حالها، وقيل إنها كانت في عظم الثعبان وسرعة الجان، قال محمد بن إسحاق: نظر موسى فإذا العصا حية من أعظم ما يكون من الحيات، وصارت شعبتاها شدقين لها، والمحجن عنقاً وعرفاً يهتز كالنيازك، وعيناها تتقدان كالنار تمر بالصخرة العظيمة مثل الخـفة من الإبل، فتلقمها وتقصف الشجرة العظيمة بأنيابها ويسمع لأنيابها صريفاً عظيماً، فلما عاين ذلك موسى ولّى مدبراً وهرب، ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه ثم نودي يا موسى أقبل وارجع حيث كنت، فرجع وهو شديد الخوف ﴿قال خذها﴾ يعني بيمينك ﴿ولا تخف﴾ قيل كان خوفه لما عرف ما لقي آدم من الحية، وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من طمأنينة نفسه وذهاب الخوف عنه أن أدخل يده في فمها وأخذ بلحييها ﴿سنعيدها سيرتها الأولى﴾ أي إلى هيئتها فنردها عصاً كما كانت، وقيل كان على موسى مدرعة صوف قد خللها بعود فلما قال الله تعالى خذها لف طرف المدرعة على يده فأمره الله تعالى أن يكشف

﴿ فألقاها ﴾، على وجه الرفض ثم حانت منه نظرة، ﴿ فإذا هي حيّة ﴾، صفراء من أعظم ما يكون من الحيّات، ﴿ تسعى ﴾، تمشي بسرعة على بطنها وقال في موضع آخر: ﴿ كأنها جان ﴾ [القصص: ٣١، النمل: ١٠] وهي الحيّة الصغيرة الخفيفة الجسم، وقال في موضع: ﴿ ثعبان ﴾ [الأعراف: ١٠٧، الشعراء: ٣٢]، وهو أكبر ما يكون من الحيات، فأما الحيّة فإنها تجمع الصغير والكبير والذكر والأنثى، وقيل: الجان عبارة عن ابتداء حالها فإنها كانت حيّة على قدر العصا ثم كانت تتورّم وتنتفخ حتى صارت ثعبان، والثعبان عبارة عن انتهاء حالها، وقيل: إنها كانت في عظم الثعبان وسرعة الجان. قال محمد بن إسحاق: نظر موسى فإذا العصَا حيّة من أعظم ما يكون من الحيات صارت شعبتاها شدقين لها، والمحجن عنقاً لها وعرفاً تهتزّ كالنيازك، وعيناها تتّقدان كالنّار تمرّ بالصخرة العظيمة مثل الحلقة من الإبل، فتلقمها وتقصف الشجرة العظيمة بأنيابها، ويُسمَع لأسنانها صريف عظيم، فلما عاين ذلك موسى ولّى مدبراً وهرب، ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه، ثم نُودي أنْ يا موسى أقبل وارجع حيث كنت، فرجع وهو شديد الخوف.

﴿ قال خذها ﴾، بيمينك، ﴿ ولا تخف سنُعيدها سيرتها الأولى ﴾، هيئتها الأولى أي نردّها عصاً كما كانت، وكان على موسى مدرعة من صوف قد خلّلها بعيدان من الخلال فلما قال الله تعالى خذها لَفَّ طرف المدرعة على يده، قال فأمر الله تعالى أن يكشف يده فكشفها، وذكر بعضهم: أنه لمّا لفّ كمّ المدرعة على يده قال له ملك: أرأيت لو أذن الله بما تحاذره أكانت المدرعة تُغني عنك شيئاً؟ قال: لا ولكني ضعيف ومن ضعف خلقت، فكشف عن يده ثم وضعها فإذا هي عصاً كما كانت ويده في شعبتها في الموضع الذي كان يضعها إذا توكأ. قال المفسّرون: أراد الله عزّ وجلّ أن يُري موسى ما أعطاه من الآية التي لا يقدر عليها مخلوق لئلا يفزع منها إذا ألقاها عند فرعون. وقوله: ﴿ سيرتها ﴾ نصب بحذف إلى يريد إلى سيرتها.

يده فكشفها. وذكر بعضهم أنه لما لف كم المدرعة على يده قال له ملك أرأيت لو أمر الله بما تحاذره أكانت المدرعة تغني عنك شيئاً؟؟ قال: لا ولكني ضعيف من ضعف خلقت. قال فكشف عن يده ثم وضعها في فم الحية فإذا هي عصا كما كانت ويده في شعبتيها في الموضع الذي كان يضعها إذا توكأ. قال المفسرون:

أراد الله تعالى أن يري موسى ما أعطاه من الآية التي لا يقدر عليها مخلوق ولئلا يفزع منها إذا ألقاها عند فرعون قوله تعالى ﴿واضمم يدك إلى جناحك﴾ يعني إلى إبطك وقيل تحت عضدك ﴿تخرج بيضاء﴾ يعني نيرة مشرقة ﴿من غير سوء﴾ يعني من غير عيب والسوء ها هنا بمعنى البرص قال ابن عباس: كان ليده نور ساطع يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر ﴿آية أخرى﴾ أي دلالة أخر على صدقك سوى العصا ﴿لنريك من آياتنا الكبرى﴾ قال ابن عباس: كانت يد موسى أكبر آياته. قوله عز وجل:

﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾
يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ
كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً
أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي
وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ
فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ
ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ يعني جاوز الحد في العصيان والتمرد وإنما خص فرعون بالذكر مع أن موسى كان مبعوثاً إلى الكل لأنه ادعى الإلهية وتكبر متبوعاً فكان ذكره الأولى قال وهب: قال الله تعالى لموسى اسمع كلامي

قوله تعالى: ﴿ واضممْ يدكَ إلى جناحك ﴾، يعني إبطك، قال مجاهد: تحت عضدك، وجناح الإنسان عضده إلى أصل إبطه، ﴿ تخرج بيضاء ﴾، نيِّرة مشرقة، ﴿ من غير سوء ﴾، من غير عيب والسوء ههنا بمعنى البرص. قال ابن عباس: كان ليده نور ساطع يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر، ﴿ آية أخرى ﴾، يعني دلالة أخرى على صدقك سوى العصا.

﴿ لنُريك من آياتنا الكبرى ﴾، ولم يقل الكبر لرؤوس الآي. وقيل: فيه إضمار معناه لنُريك من آياتنا الكبرى، دليله قول ابن عباس: كانت يد موسى أكبر آياته.

قوله تعالى: ﴿ اذهبْ إلى فرعون إنّه طغى ﴾، يعني جاوز الحدّ في العصيان والتمرّد، فادعه إلى عبادتي.

﴿ قال ﴾، موسى، ﴿ ربِّ اشرحْ لي صدري ﴾، وسعه للحق، قال ابن عباس: يريد حتى لا أخاف غيرك، وذلك أن موسى كان يخاف فرعون خوفاً شديداً لشدة شوكته وكثرة جنوده، وكان يضيق صدراً بما كُلّف من مقاومة فرعون وجنده، فسأل الله أن يوسع قلبه للحق حتى يعلم أن أحداً لا يقدر على مضرّته إلّا بإذن الله، وإذا علم ذلك لم يخف عن فرعون وشدة شوكته وكثرة جنوده.

﴿ ويسّر لي أمري ﴾، يعني سهِّلْ عليّ ما أمرتني به من تبليغ الرسالة إلى فرعون.

واحفظ وصيتي وانطلق برسالتي وإنك بعيني وسمعي وإن معك يدي وبصري وإني ألبسك حلة من سلطاني تستكمل بها القوة في أمري بعثتك بعزتي لولا الحجة التي وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار ولكن هان علي وسقط من عيني فبلغه رسالتي وادعه إلى عبادتي وحذره نقمتي ﴿وقولا له قولاً ليناً﴾ لا يغتر بلباس الدنيا فإن ناصيته بيدي ولا يتنفس إلا بعلمي قال فسكت موسى فجاء ملك وقال له أجب ربك ﴿قال﴾. يعني موسى ﴿رب اشرح لي صدري﴾ يعني وسعه للحق، قال ابن عباس: يريد حتى لا أخاف غيرك، وذلك أن موسى كان يخاف فرعون خوفاً شديداً لشدة شوكته وكثرة جنوده، فكان يضيق بما كلف من مقاومة فرعون وحده، فسأل الله تعالى أن يوسع قلبه للحق حتى يعلم أن أحداً لا يقدر على مضرته إلا بإذن الله تعالى، وإذا علم ذلك لم يخف من فرعون وشدة شوكته وكثرة جنوده ﴿ويسر لي أمري﴾ أي سهل علي ما أمرتني به من تبليغ الرسالة إلى فرعون ﴿واحلل عقدة من لساني﴾ وذلك أن موسى كان في حجرة فرعون ذات يوم في صغره فلطم فرعون لطمة وأخذ بلحيته، فقال فرعون لامرأته آسية إن هذا عدوي وأراد أن يقتله، فقالت له آسية إنه صبي لا يعقل، وقيل إن أم موسى لما فطمته ردته إلى فرعون فنشأ في حجره وحجر امرأته يربيانه واتخذاه ولداً، فبينما هو يلعب بين يدي فرعون وبيده قضيب إذ رفعه فضرب به رأس فرعون فغضب فرعون وتطير منه حتى همَّ بقتله، فقالت آسية: أيها الملك إنه صبي لا يعقل جربه إن شئت، فجاءت بطشتين في أحدهما جمر وفي الآخر جوهر فوضعهما بين يدي موسى، فأراد أن يأخذ الجوهر فأخذ جبريل يد موسى فوضعها على الجمر فأخذ جمرة فوضعها في فيه فاحترق لسانه وصارت فيه عقدة ﴿يفقهوا قولي﴾ يعني احلل العقدة كي يفهموا قولي ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي﴾ يعني معيناً وظهيراً، والوزير من يوازرك ويحتمل عنك بعض ثقل عملك ثم بين من هو فقال ﴿هارون أخي﴾ وكان هارون أكبر من موسى وأفصح لساناً وأجمل وأوسم وكان أبيض اللون وكان موسى آدم أقنى

﴿ واحلل عقدةً من لساني ﴾، وذلك أن موسى كان في حجر فرعون ذات يوم في صغره، فلطم فرعون لطمة وأخذ بلحيته، فقال فرعون لآسية امرأته: إن هذا عدوّي وأراد أن يقتله، فقالت آسية: إنه صبي لا يعقل ولا يميز. وفي رواية أن أمّ موسى لمّا فطمته ردّته فنشأ موسى في حجر فرعون وامرأته آسية يربّيانه، واتخذاه ولداً فبينما هو يلعب يوماً بين يدي فرعون وبيده قضيب يلعب به إذ رفع القضيب فضرب به رأس فرعون، فغضب فرعون وتطيّر بضربه، حتى همّ بقتله، فقالت آسية: أيها الملك إنه صغير لا يعقل فجرّبه إن شئت، فجاءت بطشتين في أحدهما الجمر وفي الآخر الجواهر، فوضعتها بين يدي موسى فأراد أن يأخذ الجواهر، فأخذ جبريل بيد موسى فوضعها على النار فأخذ جمرة فوضعها في فمه فأحرقت لسانه وصارت عليه عقدة.

﴿ يفقهوا قولي ﴾، يقول احلل العقدة كي يفقهوا كلامي.

﴿ واجعلْ لي وزيراً ﴾، معيناً وظهيراً، ﴿ من أهلي ﴾ والوزير مَن يؤازرك ويعينك ويتحمّل عنك بعض ثقل عملك، ثم بيّـن مَن هو فقال:

﴿ هارون أخي ﴾، وكان هارون أكبر من موسى بأربع سنين وكان أفصح منه لساناً وأجمل وأوسم، أبيض اللون، وكان موسى آدم أقنى أجعد.

﴿ اشددْ به أزري ﴾، قوِّ به ظهري.

﴿ وأشركه في أمري ﴾، يعني في النبوّة وتبليغ الرسالة، وقرأ ابن عامر ﴿ اشدد ﴾ بفتح الألف ﴿ وأشركه ﴾ بضمها على الجواب حكاية عن موسى يعني أفعل ذلك، وقرأ الآخرون على الدعاء، والمسألة عطفاً على ما تقدّم من قوله: ﴿ ربِّ اشرح لي صدري ويسّر لي أمري ﴾.

جعداً ﴿**اشدد به أزري**﴾ يعني قو به ظهري ﴿**وأشركه في أمري**﴾ يعني في أمر النبوة وتبليغ الرسالة ﴿**كي نسبحك كثيراً**﴾ يعني نصلي كثيراً ﴿**ونذكرك كثيراً**﴾ يعني نحمدك ونثني عليك بما أوليتنا من جميل نعمك ﴿**إنك كنت بنا بصيراً**﴾ يعني خبيراً عليماً ﴿**قال**﴾ الله تعالى ﴿**قد أوتيت سؤلك يا موسى**﴾ أي أعطيت جميع ما سألته ﴿**ولقد مننا عليك مرة أخرى**﴾ يعني قبل هذه المرة ثم بين تلك المنة بقوله تعالى ﴿**إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى**﴾ يعني ما يلهم ثم فسر ذلك الإلهام وعدد نعمه عليه فقال ﴿**أن اقذفيه في التابوت**﴾ يعني ألهمناها أن اجعليه في التابوت ﴿**فاقذفيه في اليم**﴾ يعني نهر النيل ﴿**فليلقه اليم بالساحل**﴾ يعني شاطىء البحر ﴿**يأخذه عدو لي وعدو له**﴾ يعني فرعون.

فأخذت تابوتاً وجعلت فيه قطناً ووضعت فيه موسى، وقيرت رأسه وشقوقه ثم ألقته في النيل. وكان يشرع منه نهر كبير في دار فرعون. فبينما فرعون جالس على البركة مع امرأته آسية، إذ هو بتابوت يجيء به الماء فأمر الغلمان والجواري بإخراجه، فأخرجوه وفتحوا رأسه فإذا بصبي من أصبح الناس وجهاً، فلما رآه فرعون أحبه بحيث لم يتمالك نفسه وعقله فذلك قوله تعالى ﴿**وألقيت عليك محبة مني**﴾ قال ابن عباس: أحبه وحببه إلى خلقه، قيل ما رآه أحد إلا أحبه لملاحة كانت في عيني موسى ﴿**ولتصنع على عيني**﴾ لتربى ويحسن إليك وأنا مراعيك ومراقبك كما يراعي الرجل الشيء بعينه إذا اعتنى به ونظر إليه ﴿**إذ تمشي أختك**﴾ واسمها مريم متعرفة خبره ﴿**فتقول هل أدلكم على**

﴿ **كي نسبّحك كثيراً** ﴾، قال الكلبي: نصلّي لك كثيراً.

﴿ **ونذكرك كثيراً** ﴾، نحمدك ونثني عليك بما أوليتنا من نّعمك.

﴿ **إنّك كنت بنا بصيراً** ﴾، خبيراً عليماً.

﴿ **قال** ﴾، الله تعالى ﴿ **قد أُوتيتَ** ﴾، أعطيتَ، ﴿ **سؤلك** ﴾، جميع ما سألته، ﴿ **يا موسى** ﴾.

﴿ **ولقد مننا عليك** ﴾، أنعمنا عليك، ﴿ **مرّة أخرى** ﴾، يعني قبل هذه المرة وهي.

﴿ **إذْ أوحينا إلى أُمك** ﴾، وحي إلهام، ﴿ **ما يوحى** ﴾، ما يلهم. ثم فسّر ذلك الإلهام وعدّد نعمه عليك فقال:

﴿ **أنِ اقْذفيهِ في التابوت** ﴾، يعني ألهمناها أن اجعليه في التابوت، ﴿ **فاقذفيه في اليمِّ** ﴾، يعني نهر النيل، ﴿ **فليلقه اليمّ بالساحل** ﴾، يعني شاطىء النهر، لفظه أمرٌ ومعناه خبر، ومجازه حتى يلقيه اليمّ بالساحل، ﴿ **يأخذه عدوٌّ لي وعدوٌّ له** ﴾، يعني فرعون، فاتخذت تابوتاً وجعلت فيه قطناً محلوجاً ووضعت فيه موسى وقيّرت رأسه وخصاصه يعني شقوقه ثم ألقته في النيل، وكان يشرع منه نهر كبير في دار فرعون، فبينما فرعون جالس على رأس البركة مع امرأته آسية إذ تابوت يجيء به الماء فأمر الغلمان والجواري بإخراجه، فأخرجوه وفتحوا رأسه فإذا صبي من أصبح الناس وجهاً، فلما رآه فرعون أحبّه بحيث لم يتمالك، فذلك قوله تعالى: ﴿ **وألقيت عليك محبّةً منّي** ﴾، قال ابن عباس: أحبّه وحبّبه إلى خلقه. قال عكرمة: ما رآه أحد إلاّ أحبّه. قال قتادة: ملاحة كانت في عيني موسى، ما رآه أحد إلاّ عشقه. ﴿ **ولتصنع على عيني** ﴾، يعني لتُربّى بمرآي ومنظر منّي، قرأ أبو جعفر ﴿ **ولتصنع** ﴾ بالجزم.

﴿ **إذْ تمشي أُختك** ﴾، واسمها مريم متعرّفة خبره، ﴿ **فتقول هل أدلّكم على مَن يكفله** ﴾، يعني على امرأة ترضعه وتضمّه إليها، وذلك أنه كان لا يقبل ثدي امرأة فلما قالت ذلك لهم أُخته قالوا نعم، فجاءت بالأم فقبل ثديها، فذلك قوله تعالى: ﴿ **فرجعناك إلى أُمك كي تقرعينها** ﴾، بلقائك، ﴿ **ولا تحزن** ﴾، أي ليذهب عنها الحزن،

من يكفله﴾ أي على امرأة ترضعه وتضمه إليها، وذلك أنه كان لا يقبل ثدي امرأة فلما قالت لهم أخته ذلك قالوا نعم. فجاءت بالأم فقبل ثديها فذلك قوله تعالى ﴿فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها﴾ أي بلقائك ورؤيتك ﴿ولا تحزن﴾ أي وليذهب عنها الحزن﴿وقتلت نفساً﴾.

قال ابن عباس: كان قتل قبطياً كافراً قيل كان عمره إذ ذاك اثنتي عشرة سنة ﴿فنجيناك من الغم﴾ أي من غم القتل وكربه ﴿وفتناك فتوناً﴾ قال ابن عباس: اختبرناك اختباراً وقيل ابتليناك ابتلاء، قال ابن عباس: الفتون وقوعه في محنة بعد محنة وخلصه الله تعالى، منها أولها أن أمه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الأطفال، ثم إلقاؤه في البحر في التابوت، ثم منعه من الرضاع إلا من ثدي أمه، ثم أخذه بلحية فرعون حتى هم قتله، ثم ناوله الجمرة بدل الجوهرة، ثم قتله القبطي وخروجه إلى مدين خائفاً ﴿فلبثت﴾ أي مكثت ﴿سنين في أهل مدين﴾ هي بلدة شعيب على ثمان مراحل من مصر، هرب إليها موسى قال وهب: لبث موسى عند شعيب. ثمانياً وعشرين سنة عشر سنين منها يرعى الغنم مهر زوجته صفوراء ابنة شعيب وثمان عشرة سنة أقام عنده بعد ذلك حتى ولد له وخرج من مصر ابن اثنتي عشرة سنة هارباً ﴿ثم جئت على قدر يا موسى﴾ أي جئت على القدر الذي قدرت أن تجيء فيه. قيل على رأس أربعين سنة وهو القدر الذي يوحى إلى الأنبياء فيه.

وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾
فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى
مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ

﴿ وقتلتَ نفساً ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان قتل قبطياً كافراً. قال كعب الأحبار: كان إذْ ذاك ابن اثنتي عشرة سنة، ﴿ فنجيناك من الغمّ ﴾، أي من غمّ القتل وكربه، ﴿ وفتنّاك فتوناً ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنه اختبرناك اختباراً. وقال الضحاك ومقاتل: ابتليناك ابتلاءً. وقال مجاهد: أخلصناك إخلاصاً. وعن ابن عباس في رواية سعيد بن جبير: أنّ الفتون وقوعه في محنة بعد محنة خلّصه الله منها، أولها أن أُمه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الأطفال، ثم إلقاؤه في البحر في التابوت، ثم منعه الرضاع إلّا من ثدي أُمه، ثم أخذ بلحية فرعون حتى همّ بقتله، ثم تناوله الجمرة بدل الدرّة، ثم قتله القبطي، وخروجه إلى مدين خائفاً فكان ابن عباس يقصّ القصة على سعيد بن جبير، فعلى هذا معنى فتنّاك خلّصناك من تلك المِحَن كما يفتن الذهب من النار فيخلص من كل خبث فيه، والفتون مصدر، ﴿ فلبثتَ ﴾، فمكثت أي فخرجت من أرض مصر إلى مدين فلبثت، ﴿ سنين في أهل مدين ﴾، يعني ترعى الأغنام عشر سنين، ومدين بلدة شعيب عليه السلام على ثمان مراحل من مصر، هرب إليها موسى. وقال وهب: لبث عند شعيب عليه السلام ثمانياً وعشرين سنة، عشر سنين منها مهر زوجته صفوراء بنت شعيب، وثمان عشرة سنة أقام عنده حتى ولد له، ﴿ ثم جئتَ على قدرٍ يا موسى ﴾، قال مقاتل: على موعد ولم يكن هذا الموعد مع موسى وإنما كان موعداً في تقدير الله، قال محمد بن كعب: جئت على القدر الذي قدّرت لك أنك تجيء إليّ فيه. وقال عبد الرحمن بن كيسان: على رأس أربعين سنة، وهو القدر الذي يُوحى فيه إلى الأنبياء، وهذا معنى قول أكثر المفسّرين، أي على الموعد الذي وعده الله وقدّره أنه يوحى إليه بالرسالة، وهو أربعون سنة.

مِن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾

﴿**واصطنعتك لنفسي**﴾ اخترتك واصطفيتك لوحيي ورسالتي لتتصرف على إرادتي ومحبتي. وذلك أن قيامه بأداء الرسالة تصرف على إرادة الله ومحبته. وقيل معناه اخترتك لأمري وجعلتك القائم بحجتي والمخاطب بيني وبين خلقي كأني الذي أقمت عليهم الحجة وخاطبتهم ﴿**اذهب أنت وأخوك بآياتي**﴾ أي بدلائلي. قال ابن عباس: يعني الآيات التسع الذي بعث بها موسى عليه السلام ﴿**ولا تنيا**﴾ أي لا تضعفا وقيل لا تفترا ولا تقصرا ﴿**في ذكري**﴾ أي لا تقصرا في ذكري بالإحسان إليكما والإنعام عليكما ومن ذكر النعمة شكرها ﴿**اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولاً ليناً**﴾ أي دارياه وارفقا به. قال ابن عباس: لا تعنفا في قولكما، وقيل كنياه فقولا له يا أبا العباس وقيل يا أبا الوليد وقيل أراد بالقول اللين قوله ﴿**هل لك إلى أن تزكى**﴾ وقيل الآية إنما أمرهما باللطافة لماله من حق تربية موسى، وقيل عداه على قبول الإيمان شباباً لا يهرم وملكاً لا ينزع منه إلا بالموت وتبقى عليه لذة المطعم والمشرب والمنكح إلى حين موته، وإذا مات دخل الجنة فلما أتاه موسى ووعده بذلك أعجبه وكان لا يقطع أمراً دون هامان وكان غائباً فلما قدم أخبره بالذي دعاه إليه موسى وقال أردت أن أقبل منه فقال له هامان كنت أرى أن لك عقلاً ورأياً، أنت رب تريد أن تكون مربوباً، وأنت تعبد تريد أن تعبد، فقال فرعون صواب ما قلت فغلبه على رأيه.

وكان هارون بمصر فأمر الله موسى أن يأتي هارون وأوحى الله إلى هارون وهو بمصر أن يتلقى موسى فتلقاه إلى مرحلة وأخبره بما أوحي إليه. وقوله تعالى ﴿**لعله يتذكر أو يخشى**﴾ أي يتعظ ويخاف ويسلم فإن قلت كيف قال لعله يتذكر وقد سبق في علمه أنه لا يتذكر ولا يسلم. قلت معناه اذهبا على رجاء منكما وطمع وقضاء الله وراء أمركما،

قوله عزّ وجلّ: ﴿**واصْطنعتك لنفسي**﴾، أي اخترتك واصطفيتك لوحيي ورسالتي، يعني لتتصرف على إرادتي ومحبتي وذلك أن قيامه بأداء الرسالة تصرف على إرادة الله ومحبته، قال الزجّاج: اخترتك لأمري وجعلتك القائم بحجّتي والمخاطب بيني وبين خلقي، كأني الذي أقمت بك عليهم الحجّة وخاطبتهم.

﴿ **اذهبْ أنت وأخوك بآياتي** ﴾، بدلالاتي، وقال ابن عباس: يعني الآيات التسع التب بعث بها موسى ﴿ **ولاَ تَنِيَا** ﴾، ولا تضعفا، وقال السدي: لا تَفْترا. وقال محمد بن كعب: لا تقصرا، ﴿ **في ذكري** ﴾.

﴿ **اذهبَا إلى فرعون إنه طغى** ﴾، قرأ أبو عمرو وأهل الحجاز: «لنفسي اذهب»، «وذكري اذهبا» و«إن قومي اتخذوا»، «من بعدي اسمه»، بفتح الياء فيهنّ ووافقهم أبو بكر: « من بعدي اسمه »، وقرأ الباقون بإسكانها.

﴿ **فقولا له قولاً ليناً** ﴾، يقول دارياه وارفقا به، قال ابن عباس رضي الله عنه: لا تعنفا في قولكما، وقال السدي وعكرمة: كنّياه فقولا يا أبا العباس، وقيل: يا أبا الوليد، وقال مقاتل: يعني بالقول اللين: ﴿ هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربّك فتخشى ﴾ [النازعات: ١٨ و١٩]، وقيل: أمرهما باللطافة في القول لما له من حق التربية. وقال السدي: القول اللين أن موسى أتاه ووعده على قبول الإيمان شباباً لا يهرم معه وملكاً لا ينزع منه إلا بالموت، ويبقى له لذّة المطعم والمشرب والمنكح إلى حين موته، وإذا مات دخل الجنة فأعجبه ذلك وكان لا يقطع أمراً دون هامان، وكان غائباً فلما قَدِمَ أخبره بالذي دعاه إليه موسى، وقال أردت أن أقبل منه، فقال له هامان: كنت أرى أن لك عقلاً ورأياً أنت رب تريد أن تكون مربوباً وأنت تُعبد تريد أن تعبد، فغلبه على رأيه، وكان هارون يومئذ بمصر، فأمر الله موسى أن يأتي هارون وأوحى إلى هارون وهو بمصر أن يتلقى موسى فتلقاه إلى مرحلة وأخبره بما أوحى إليه، ﴿ **لعلّه يتذكّر أو يخشى** ﴾، أي يتّعظ ويخاف ويسلم، فإن قيل: كيف قال: ﴿ **لعلّه يتذكر** ﴾ وقد سبق في

وقيل هو إلزام الحجة وقطع المعذرة كقوله تعالى ﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك﴾، وقيل هو ينصرف إلى غير فرعون مجازه لعله يتذكر متذكراً ويخشى خاش إذا رأى بري والطافي بمن خلقته وأنعمت عليه ثم ادعى الربوبية، وقيل لعل من الله واجب ولقد تذكر فرعون وخشي حين لم تنفعه الذكرى والخشية وذلك حين ألجمه الغرق وقرأ رجل عند يحيى بن معاذ الرازي ﴿فقولا له قولاً ليناً﴾ الآية فبكى يحيى وقال إلهي هذا رفقك بمن يقول أنا الإله فكيف رفقك بمن يقول أنت الإله ﴿قالا﴾ يعني موسى وهارون ﴿ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا﴾.

قال ابن عباس: يعجل علينا بالقتل والعقوبة ﴿أو أن يطغى﴾ أي يجاوز الحد في الإساءة إلينا ﴿قال﴾ الله تعالى ﴿لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى﴾ قال ابن عباس: أسمع دعاءكما فأجيبه وأرى ما يراد بكما فأمنع لست بغافل عنكما فلا تهتما ﴿فأتياه فقولا إنا رسولا ربك﴾ أي أرسلنا إليك ربك ﴿فأرسل معنا بني إسرائيل﴾ أي خل عنهم وأطلقهم من أعمالك ﴿ولا تعذبهم﴾ أي لا تتعبهم في العمل، وكان فرعون يستعملهم في الأعمال الشاقة كالبناء وقطع الصخور مع قتل الولدان وغير ذلك ﴿قد جئناك بآية من ربك﴾ قال فرعون وما هي فأخرج موسى يده لها شعاع كشعاع الشمس، وقيل معناه قد جئناك بمعجزة وبرهان يدل على صدقنا على ما ادعيناه من الرسالة ﴿والسلام على من اتبع الهدى﴾ ليس المراد منه سلام التحية بل إنما معناه سلم من العذاب من أسلم ﴿إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى﴾ أي إنما يعذب الله من كذب بما جئنا به وأعرض عنه.

قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ

علمه أنه لا يتذكر ولا يسلم؟ قيل: معناه اذهبا على رجاء منكما وطمع وقضاء الله وراء أمركما. وقال الحسين بن الفضل: هو ينصرف إلى غير فرعون مجازه لعله يتذكر ويخشى خاشٍ إذا رأى برّي وألطافي بمَن خلقته وأنعمت عليه ثم ادّعى الربوبية. وقال أبو بكر محمد بن عمر الوراق: لعلّ من الله واجب، ولقد تذكّر فرعون وخشي حين لم تنفعه الذكرى والخشية وذلك حين ألجمه الغرق، قال: آمنت أنه لا إله إلاّ الذي آمنت به بنو إسرائيل، وأنا من المسلمين، وقرأ رجل عند يحيىٰ بن معاذ هذه الآية: فقالا له قولاً ليّناً، فبكى يحيىٰ، وقال: إلٰهي هذا برّك بمَن يقول أنا الإلٰه، فكيف برّك بمَن يقول أنت الإلٰه؟!.

﴿ قالا ﴾، يعني موسى وهارون، ﴿ ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعجل علينا بالقتل والعقوبة، يقال: فرط عليه فلان إذا عجل بمكروه، وفرط منه أمرٌ أي بدرَ وسبقَ، ﴿ أو أن يطغى ﴾، أي يجاوز الحدّ في الإساءة إلينا.

﴿ قال لا تخافا إنني معكما أسمعُ وأرى ﴾، قال ابن عباس: أسمع دعاءكما فأُجيبه وأرى ما يراد بكما فأمنعه لست بغافل عنكما فلا تهتمّا.

﴿ فأتياه فقولا إنّا رسولاَ ربِّك ﴾، أرسلنا إليك، ﴿ فأرسلْ معنا بني إسرائيل ﴾، أي خلِّ عنهم وأطلقهم من أعمالك، ﴿ ولا تعذبهم ﴾، لا تتعبهم في العمل، وكان فرعون يستعملهم في الأعمال الشاقّة، ﴿ قد جئناك بآية من ربِّك ﴾، قال فرعون: وما هي فأخرج يده لها شعاع كشعاع الشمس، ﴿ والسلام على مَن اتّبع الهدى ﴾، ليس المراد منه التحية إنما معناه يسلم من عذاب الله مَن أسلم.

﴿إنّا قد أُوحي إلينا أنّ العذاب على مَن كذّب وتولى﴾، أي إنما يعذّب الله مَن كذب بما جئنا به وأعرض عنه.

ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ
فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي
ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾
قَالَ أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأۡتِيَنَّكَ بِسِحۡرٖ مِّثۡلِهِۦ فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا لَّا نُخۡلِفُهُۥ
نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا سُوٗى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحٗى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرۡعَوۡنُ فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ
ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ ﴿٦١﴾

﴿قال﴾ يعني فرعون **﴿فمن ربكما يا موسى﴾** أي فمن إلهكما الذي أرسلكما **﴿قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾** أي كل شيء يحتاجون إليه ويرتفقون به، وقيل أعطى كل شيء صلاحه وهداه، وقيل أعطى كل شيء صورته فخلق اليد للبطش والرجل للمشي واللسان للنطق والعين للنظر والأذن للسمع ثم هداه إلى منافعه من المطعم والمشرب والمنكح، وقيل يعني جعل زوجة الرجل المرأة والبعير الناقة والفرس الرمكة وهي الحجرة والحمار الأتان ثم هدى ألهمه كيف يأتي الذكر الأنثى **﴿قال﴾** يعني فرعون **﴿فما بال القرون الأولى﴾** أي فما حال القرون الماضية والأمم الخالية مثل قوم نوح وعاد وثمود فإنها كانت تعبد الأوثان وتنكر البعث، وإنما قال فرعون ذلك لموسى حين

﴿ قال فمَن ربكما يا موسى ﴾، مَن إلَهكما الذي أرسلكما.

﴿ قال ربُّنا الذي أعطى كل شيءٍ خَلْقَهُ ثم هدى ﴾، قال الحسن وقتادة: أعطى كل شيء صلاحه وهداه لما يصلحه. وقال مجاهد: أعطى كل شيء صورته لم يجعل خلق الإنسان كخلق البهائم، ولا خلق البهائم كخلق الإنسان ثم هداه إلى منافعه من المطعم والمشرب والمنكح. وقال الضحاك: أعطى كل شيء خلقه يعني اليد للبطش والرِّجل للمشي واللسان للنطق والعين للنظر والأُذن للسمع. وقال سعيد بن جبير: أعطى كل شيء خلقه يعني زوج الإنسان المرأة، والبعير الناقة والحمار الأتان والفرس الرمكة، ثم هدى أي ألهمه كيف يأتي الذكر الأُنثـى.

﴿ قال ﴾ فرعون، **﴿ فما بال القرون الأولى ﴾**، ومعنى البال الحال، أي ما حال القرون الماضية والأمم الخالية مثل قوم نوح وعاد وثمود فيما تدعونني إليه فإنها كانت تعبد الأوثان وتنكر البعث.

﴿ قال ﴾، موسى، **﴿ علمها عند ربي ﴾**، أي أعمالهم محفوظة عند الله يجازي بها. وقيل: إنما ردّ موسى علم ذلك إلى الله لأنه لم يعلم ذلك، فإن التوراة أُنزلت إليه بعد هلاك فرعون وقومه. **﴿ في كتاب ﴾**، يعني في اللوح المحفوظ، **﴿ لا يضلّ ربّي ﴾**، أي لا يخطىء. وقيل: لا يغيب عنه شيء ولا يغيب عن شيء، **﴿ ولا ينسى ﴾**، ما كان من أمرهم حتى يجازيهم بأعمالهم وقيل: لا ينسى أي لا يترك الانتقام فينتقم من الكفّار ويجازي المؤمن.

﴿الذي جعل لكم الأرض مهداً﴾، قرأ أهل الكوفة: **﴿مهداً﴾**، ههنا وفي الزخرف [١٠] فيكون مصدراً أي فرشاً، وقرأ الآخرون: «مهـاداً»، كقوله تعالى: ﴿ ألم نجعل الأرض مهاداً ﴾ [النبأ: ٦] أي فراشاً وهو اسم يفرش كالبساط اسم لما يبسط، **﴿ وسلك لكم فيها سبلاً ﴾** السلك إدخال الشيء في الشيء والمعنى أدخل في الأرض لأجلكم طرقاً تسلكونها. قال ابن عباس: سلك لكم فيها طرقاً تسلكونها، **﴿ وأنزل من السماء ماءً ﴾**، يعني

خوفهم مصارع الأمم الخالية فحينئذٍ قال فرعون فما بال القرون الأولى ﴿قال﴾ يعني موسى ﴿علمها عند ربي﴾ أي أعمالهم محفوظة عند الله يجازي بها، وقيل إنما رد موسى علم ذلك إلى الله تعالى لأنه لم يعلم ذلك لأن التوراة إنما نزلت بعد هلاك فرعون وقومه ﴿في كتاب﴾ يعني اللوح المحفوظ ﴿لا يضل ربي﴾ أي لا يخطىء وقيل لا يغيب عنه شيء ﴿ولا ينسى﴾ أي فيتذكر وقيل لا ينسى ما كان من أعمالهم حتى يجازيهم بها ﴿الذي جعل لكم الأرض مهداً﴾ أي فراشاً وقيل مهدها لكم ﴿وسلك لكم فيها سبلاً﴾ أي أدخل في الأرض لأجلكم طرقاً وسهلها لكم لتسلكوها ﴿وأنزل من السماء ماء﴾ يعني المطر ثم الأخبار عن موسى ثم قال الله تعالى ﴿فأخرجنا به﴾ أي بذلك الماء ﴿أزواجاً﴾ أي أصنافاً ﴿من نبات شتى﴾ أي مختلف الألوان والطعوم والمنافع فمنها ما هو للناس ومنها ما هو للدواب ﴿كلوا وارعوا أنعامكم﴾ أي أخرجنا أصناف النبات للانتفاع بالأكل والرعي ﴿إن في ذلك﴾ أي الذي ذكر ﴿لآيات لأولي النهى﴾ أي لذوي العقول، قيل هم الذين ينتهون عما حرم الله عليهم ﴿منها خلقناكم﴾ أي من الأرض خلقنا آدم، وقيل إن الملك ينطلق فيأخذ من التراب الذي يدفن فيه فيذره في النطفة فيخلق من التراب ومن النطفة ﴿وفيها نعيدكم﴾ أي عند الموت والدفن ﴿ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ أي يوم القيامة للبعث والحساب.

قوله تعالى ﴿ولقد أريناه﴾ يعني فرعون ﴿آياتنا كلها﴾ يعني الآيات التسع التي أعطاها الله موسى ﴿فكذب وأبى﴾ يعني فرعون وزعم أنها سحر وأبى أن يسلم ﴿قال﴾ يعني فرعون ﴿أجئتنا لتخرجنا من أرضنا﴾ يعني مصر

المطر ثم الإخبار عن موسى ثم أخبر الله عن نفسه بقوله: ﴿ فأخرجنا به ﴾، بذلك الماء ﴿ أزواجاً ﴾، أصنافاً، ﴿ من نبات شتى ﴾، مختلف الألوان والطعوم والمنافع من أبيض وأحمر وأخضر وأصفر، فكل صنف منها زوج، فمنها للناس ومنها للدواب.

﴿ كلوا وارْعُوا ﴾ أي وارتعوا، ﴿ أنعامكم ﴾، تقول العرب: رعيت الغنم فرعت أي أسيموا أنعامكم ترعى، ﴿ إنّ في ذلك ﴾، الذي ذكرت، ﴿ لآيات لأُولي النُّهَى ﴾، لذوي العقول، واحدتها نهية سُمّيت نهية لأنها تنهى صاحبها عن القبائح والمعاصي. قال الضحاك: لأولي النُّهى الذين ينتهون عمّا حرّم الله عليهم، قال قتادة: لذوي الورع.

﴿ منها ﴾ أي من الأرض، ﴿ خلقناكم ﴾، يعني أباكم آدم. وقال عطاء الخراساني: إن الملك ينطلق فيأخذ من تراب المكان الذي يدفن فيذره على النطفة فيخلق من التراب ومن النطفة فذلك قوله تعالى: ﴿ منها خلقناكم، وفيها نُعيدكم ﴾، أي عند الموت والدفن، ﴿ ومنها نُخرجكم تارةً أخرى ﴾، يوم البعث.

قوله تعالى: ﴿ ولقد أريناه ﴾، يعني فرعون، ﴿ آياتنا كلها ﴾، يعني الآيات التسع التي أعطاها الله موسى، ﴿ فكذّب ﴾، بها وزعم أنها سحر، ﴿ وأبى ﴾، أن يسلم.

﴿ قال ﴾، يعني فرعون ﴿ أجئتنا لتخرجنا من أرضنا ﴾، يعني أرض مصر، ﴿ بسحرك يا موسى ﴾، أي تريد أن تغلب على ديارنا فيكون لك المُلْك وتخرجنا منها.

﴿ فلنأتينّك بسحر مثله فاجعلْ بيننا وبينك موعداً ﴾، أي فاضرب بيننا وبينك أجلاً وميقاتاً، ﴿ لا نخلفه ﴾، قرأ أبو جعفر (لا نخلفه) جزماً لا نجاوزه، ﴿ نحن ولا أنت مكاناً سُوىً ﴾، قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب: ﴿ سوى ﴾ بضم السين، وقرأ الآخرون بكسرها وهما لغتان مثل عدى وعدى وطوى وطوى، قال مقاتل وقتادة: مكاناً عدلاً بيننا وبينك. وعن ابن عباس: ونصفاً، ومعناه تستوي مسافة الفريقين إليه. قال أبو عبيدة

﴿بسحرك يا موسى﴾ يريد أن تغلب على ديارنا فيكون لك الملك وتخرجنا منها ﴿فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعداً﴾ أي اضرب أجلاً وميقاتاً ﴿لا نخلفه﴾ لا نجاوزه ﴿نحن ولا أنت مكاناً سوىً﴾ أي مكاناً عدلاً وقال ابن عباس: نصفاً تستوي مسافة الفريقين إليه وقيل معناه سوى هذا المكان ﴿قال﴾ يعني موسى ﴿موعدكم يوم الزينة﴾ قيل كان يوم عيد لهم يتزينون فيه ويجتمعون في كل سنة وقيل هو يوم النيروز وقال ابن عباس يوم عاشوراء ﴿وأن يحشر الناس ضحى﴾ أي وقت الضحوة نهاراً جهاراً ليكون أبعد من الريبة ﴿فتولى فرعون فجمع﴾ يعني فرعون ﴿كيده﴾ يعني مكره وسحره وحيله ﴿ثم أتى﴾ يوم المعاد ﴿قال لهم موسى﴾ يعني للسحرة الذين جمعهم فرعون وكانوا اثنين وسبعين ساحراً مع كل ساحر حبل وعصا وقيل كانوا أربعمائة وقيل كانوا اثني عشر ألفاً ﴿ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب﴾ أي فيهلكنكم ويستأصلكم ﴿وقد خاب من افترى﴾ أي خسر من ادعى مع الله إلهاً آخر وقيل معناه خسر من كذب على الله تعالى. قوله تعالى:

﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ٦٢ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ٦٣ فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ٦٤﴾

﴿فتنازعوا أمرهم بينهم﴾ أي تناظروا وتشاوروا، يعني السحرة في أمر موسى سراً من فرعون وقالوا إن غلبنا موسى اتبعناه، معناه لما قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذباً. قال بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر

والقتيبي وسطاً بين الفريقين. قال مجاهد: منصفاً. وقال الكلبي: يعني سوى هذا المكان.

﴿ قال موعدكم يوم الزينة ﴾، قال مجاهد وقتادة ومقاتل والسدي: كان يوم عيد لهم يتزينون فيه ويجتمعون في كل سنة، وقيل: هو يوم النيروز. وقال ابن عباس وسعيد بن جبير: يوم عاشوراء، ﴿ وأَنْ يُحشر الناسُ ضحىً ﴾، أي وقت الضحوة نهاراً جهاراً ليكون من الريبة.

﴿ فتولّى فرعون فجمع كيده ﴾، مكره وحيلته وسَحَرَته، ﴿ ثم أتى ﴾، أي الميعاد.

﴿ قال لهم موسى ﴾، يعني للسَّحرة الذين جمعهم فرعون وكانوا اثنين وسبعين ساحراً مع كل واحد حبل وعصا. وقيل: كانوا أربعمائة. وقال كعب: كانوا اثني عشر ألفاً. وقيل: أكثر من ذلك، ﴿ ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص: ﴿ فيُسحتكم ﴾ بضم الياء وكسر الحاء، وقرأ الباقون بفتح الياء والحاء وهما لغتان. قال مقاتل والكلبي: فيهلككم. وقال قتادة: فيستأصلكم، ﴿ وقد خاب مَن افترى ﴾.

﴿ فتنازعوا أمرهم بينهم ﴾، أي تناظروا وتشاوروا، يعني السَّحرة في أمر موسى سرّاً من فرعون. قال الكلبي: قالوا سرّاً إن غلبنا موسى اتبعناه. وقال محمد بن إسحاق: لمّا قال لهم موسى لا تفتروا على الله كذباً، قال بعضهم لبعض: ما هذا بقول السحر. ﴿ وأسرّوا النجوى ﴾، أي المناجاة يكون مصدراً واسماً.

ثم ﴿ قالوا ﴾، وأسرّ بعضهم إلى بعض يتناجون، ﴿ إن هذانِ لساحران ﴾، يعني موسى وهارون، وقرأ ابن كثير وحفص: ﴿ إن ﴾ بتخفيف النون، ﴿ هذان ﴾ أي ما هذان إلّا ساحران، كقوله: ﴿ إن نظنك لَمِنَ الكاذبين ﴾ [الشعراء: ١٨٦]، أي ما نظنك إلّا من الكاذبين، وشدّد ابن كثير النون من هذان، وقرأ أبو عمرو إن بتشديد النون هذين بالياء على الأصل، وقرأ الآخرون: ﴿ إنّ ﴾ بتشديد النون، هذان بالألف واختلفوا فيه، قرأ هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين: أنه خطأ من الكاتب. وقال قوم: هو لغة الحارث بن كعب وخثعم وكنانة فإنهم يجعلون الاثنين في موضع الرفع والنصب والخفض بالألف، يقولون: أتاني الزيدان ورأيت الزيدان ومررت

﴿وأسروا النجوى﴾ أي المناجاة ﴿قالوا﴾ قال بعضهم لبعض سراً ﴿إن هذان لساحران﴾ يعني موسى وهارون ﴿يريدان أن يخرجاكم من أرضكم﴾ يعني من مصر ﴿بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى﴾ قال ابن عباس: يعني بسراة قومكم وأشرافكم، وقيل معناه يصرفان وجوه الناس عنكم، وقيل أراد أهل طريقتكم المثلى وهم بنو إسرائيل يعني يريد أن يذهبا بهم لأنفسهما، وقيل معناه يذهبا بسنتكم وبدينكم الذي أنتم عليه ﴿فأجمعوا كيدكم﴾ أي لا تدعو شيئاً من كيدكم إلا جئتم به، وقيل معناه اعزموا كلكم على كيده مجتمعين له ولا تختلفوا فيختل أمركم ﴿ثم ائتوا صفاً﴾ أي جمعاً مصطفين ليكون أشد لهيبتكم وقيل معناه ثم ائتوا المكان الموعود به ﴿وقد أفلح اليوم من استعلى﴾ أي فاز من غلب.

﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ﴾

بالزيدان، فلا يتركون ألف التثنية في شيء، وكذلك يجعلون كل ياء ساكنة انفتح ما قبلها ألف، كما في التثنية، يقولون: كسرت يداه وركبت علاه، يعني يديه وعليه. وقال شاعرهم:

تزوّد مني بين أدناه ضربة ... دعته إلى هابي التراب عقيم

يريد بين أذنه. وقال آخر:

إن أباها وأباها ... قد بلغا في المجد غايتها

وقيل: تقدير الآية أنه هذان، فحذف الهاء، وذهب جماعة إلى أن حرف أن ههنا بمعنى نعم، أي نعم هذان. رُوِيَ أن أعرابياً سأل ابن الزبير شيئاً فحرمه، فقال: لعن الله ناقة حملتني إليك، فقال ابن الزبير: إن وصاحبها، أي نعم، وقال الشاعر:

بكرت على عواذلي ... يلحينني وألومهنه
ويقلن شيب قد علا ... ك وقد كبرت فقلت إنه

أي: نعم. ﴿يُريدان أن يخرجاكم من أرضكم﴾، مصر، ﴿بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى﴾، قال ابن عباس: يعني بسراة قومكم وأشرافكم، يقال هؤلاء طريقة قومهم أي أشرافهم، والمثل تأنيث الأمثل وهو الأفضل، حديث الشعبي عن علي، قال: يصرفان وجوه الناس إليهما. قال قتادة: طريقتهم المثلى كان بنو إسرائيل يومئذ أكثر القوم عدداً وأموالاً، فقال عدوّ الله: يريد أن يذهبا بهم لأنفسهم. وقيل: بطريقتكم المثلى أن بسنّتكم ودينكم الذي أنتم عليه، والمثلى نعت الطريق، تقول العرب: فلان على الطريقة المثلى، يعني على الصراط المستقيم.

﴿ فأجْمِعُوا كيدكم ﴾، قرأ أبو عمرو فأجمعوا بوصل الألف وفتح الميم، من الجمع أي لا تدعوا أشياء من كيدكم إلّا جئتم به، بدليل قوله: (فجمعته) بمعنى واحد، والصحيح أن معناه العزم والإحكام، أي اعزموا كلكم على كيده مجتمعين له لا تختلفوا فيختلّ أمركم، ﴿ ثم ائتوا صفّاً ﴾ أي جميعاً، قاله مقاتل والكلبي، وقال قوم: أي مصطفين مجتمعين ليكون أشدّ لهيبتكم، وقال أبو عبيدة: الصف المجتمع، ويسمى المصلّى صفّاً معناه ثم ائتوا المكان الموعد صفّاً، ﴿ وقد أفلح اليوم مَن استعلى ﴾، أي فاز مَن غلب.

مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾
قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ
وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي
فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ
ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ
عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ﴿٧٥﴾

﴿قالوا﴾ يعني السحرة **﴿يا موسى إما أن تلقي﴾** أي عصاك **﴿وإما أن نكون أول من ألقى﴾** أي عصينا **﴿قال﴾** يعني موسى **﴿بل ألقوا﴾** يعني أنتم أولاً **﴿فإذا حبالهم﴾** فيه إضمار أي فألقوا فإذا حبالهم **﴿وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾** قيل إنهم لما ألقوا الحبال والعصي أخذوا أعين الناس، فرأى موسى كأن الأرض امتلأت حيات وكانت قد أخذت ميلاً في ميل من كل جانب ورآها كأنها تسعى **﴿فأوجس﴾** أي أضمر وقيل وجد **﴿في نفسه خيفة موسى﴾** قيل هو طبع البشرية وذلك أنه ظن أنها تقصده، وقيل خاف على القوم أن يلتبس عليهم الأمر فيشكوا في أمره فلا يتبعوه **﴿قلنا لا تخف﴾** أي قال الله تعالى لموسى لا تخف **﴿إنك أنت الأعلى﴾** أي الغالب عليهم ولك الغلبة عليهم والظفر **﴿وألق ما في يمينك﴾** أي عصاك والمعنى لا يخيفنك كثرة حبالهم وعصيهم فإن في يمينك شيئاً أعظم منها كلها **﴿تلقف﴾** أي تلقم وتبتلع **﴿ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر﴾** أي حيلة ساحر **﴿ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾** أي من الأرض.

وقال ابن عباس لا يسعد حيث كان **﴿فألقي السحرة سجداً قالوا آمنا برب هارون وموسى﴾** قال صاحب الكشاف سبحان الله ما أعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود، ثم ألقوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما أعظم الفرق بين الإلقائين. وقيل إنهم لم يرفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار وقيل إنهم لما سجدوا أراهم الله تعالى في سجودهم منازلهم التي يصيرون إليها في الجنة **﴿قال﴾** يعني فرعون **﴿آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم﴾**

﴿ قالوا ﴾، يعني السَّحَرَة، **﴿ يا موسى إمّا أن تُلقي ﴾**، عصاك، **﴿ وإمّا أن نكون أول مَن ألقى ﴾**، عِصيَّنا.

﴿ قال ﴾، موسى، **﴿ بل ألقوا ﴾**، أنتم أولاً، **﴿ فإذا حبالهم ﴾**، وفيه إضمار، أي فألقوا فإذا حبالهم، **﴿ وعِصيّهم ﴾**، جمع العصا، **﴿ يُخيَّلُ إليه ﴾**، قرأ ابن عامر ويعقوب تخيَّل بالتاء ردّ إلى الحبال والعصي، وقرأ الآخرون بالياء ردّوه إلى الكيد والسحر، **﴿ من سحرهم أنها تسعى ﴾**، حتى تظن أنها تسعى أي تمشي وذلك أنهم كانوا لطّخوا حبالهم وعصيّهم بالزئبق، فلما أصابه حرّ الشمس انهمست واهتزّت فظن موسى أنها تقصده وفي القصة أنهم لمّا ألقوا الحبال والعصي أخذوا أعين الناس فرأى موسى والقوم كأنّ الأرض امتلأت حيّات، وكانت قد أخذت ميلاً من كل جانب ورأوا أنها تسعى.

﴿ فأوجس في نفسه خيفة موسى ﴾، أي وجد، وقيل: أضمر في نفسه خوفاً، واختلفوا في خوفه طبع البشرية وذلك أنه ظن أنها تقصده، وقال مقاتل: خاف على القوم أن يلتبس عليهم الأمر فيشكّوا في أمره فلا يتبعونه.

﴿ قلنا ﴾، لموسى، **﴿ لا تخف إنّك أنت الأعلى ﴾**، أي الغالب، يعني لك الغلبة والظفر.

﴿ وألقِ ما في يمينك ﴾، يعني العصا، **﴿ تلقف ﴾**، تلتقم، وتبتلع، **﴿ ما صنعوا ﴾**، قرأ ابن عامر تلقف

أي لرئيسكم وعظيمكم يعني أنه أسحركم وأعلاكم في صناعة السحر ومعلمكم ﴿الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ يعني أقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى ﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾ يعني على جذوع النخل ﴿ولتعلمن أينا أشد عذاباً﴾ يعني على إيمانكم به أنا أو رب موسى على ترك الإيمان به ﴿وأبقى﴾ يعني أدوم ﴿قالوا﴾ يعني السحرة ﴿لن نؤثرك﴾ يعني لن نختارك ﴿على ما جاءنا من البينات﴾ يعني الدلالات الواضحات، قيل هي اليد البيضاء والعصا وقيل كان استدلالهم أنهم قالوا لو كان هذا سحر فأين حبالنا وعصينا. وقيل إنهم لما سجدوا رأوا الجنة والنار ورأوا منازلهم في الجنة فعند ذلك قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات ﴿والذي فطرنا﴾ قيل هو قسم، وقيل معناه لن نؤثرك على الله الذي فطرنا ﴿فاقض ما أنت قاض﴾ يعني فاصنع ما أنت صانع ﴿إنما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾ يعني إنما أمرك وسلطانك في الدنيا سيزول عن قريب ﴿إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر﴾ فإن قلت كيف قالوا هذا وقد جاؤوا مختارين غير مكرهين. قلت كان فرعون أكرههم في الابتداء على تعلمهم السحر لكي لا يذهب أصله. وقيل كانت السحرة اثنين وسبعين اثنان من القبط وسبعون من بني إسرائيل، وكان فرعون أكره الذين هم من بني إسرائيل على تعلم السحر. وقيل قال السحرة لفرعون أرنا موسى إذا هو نام فأراهم

برفع الفاء ههنا، وقرأ الآخرون بالجزم على جواب الأمر، ﴿ إنما صنعوا ﴾، أي الذي صنعوا، ﴿ كيد ساحر ﴾، أي حيلة سحر هكذا قرأ حمزة والكسائي بكسر السين بلا ألف وقرأ الآخرون ﴿ ساحر ﴾ لأن إضافة الكيد إلى الفاعل أولى من إضافته إلى الفعل، وإن كان ذلك لا يمتنع في العربية، ﴿ ولا يفلح الساحر حيثُ أتى ﴾، من الأرض، قال ابن عباس: لا يسعد حيث كان. وقيل: معناه حيث احتال.

﴿ فأُلقيَ السَّحرةُ سجداً قالوا آمنّا بربِّ هارون وموسى. قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم ﴾، لرئيسكم ومعلّمكم، ﴿ الذي علّمكم السحر فلأقطعنّ أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنّكم في جذوع النخل ﴾، يعني على جذوع النخل، ﴿ ولتعلمنّ أيّنا أشدُّ عذاباً ﴾، يعني على إيمانكم به أنا أو ربّ موسى على ترك الإيمان به، ﴿ وأبقى ﴾، يعني أدوم.

﴿ قالوا ﴾، يعني السَّحَرَة، ﴿ لن نؤثرك ﴾، لن نختارك، ﴿ على ما جاءنا من البيّنات ﴾، يعني الدلالات، قال مقاتل: يعني اليد البيضاء والعصا. وقيل: كان استدلالهم أنهم قالوا لو كان هذا سحراً فأين حبالنا وعصيّنا. وقيل: من البيّنات يعني من اليقين والعِلم. حُكِيَ عن القاسم بن أبي بزّة أنه قال: إنهم لمّا ألقوا سُجّداً ما رفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار، ورأوا ثواب أهلها ورأوا منازلهم في الجنة، فعند ذلك قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البيّنات، ﴿ والذي فطرنا ﴾، يعني لن نؤثرك على الله الذي فطرنا، وقيل: هو قسم، ﴿ فاقضِ ما أنتَ قاضٍ ﴾، يعني فاصنع ما أنت صانع، ﴿ إنما تقضي هذه الحياة الدنيا ﴾، يعني أمرك وسلطانك في الدنيا وسيزول عن قريب.

﴿ إنّا آمنّا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر ﴾، فإن قيل كيف قالوا هذا وقد جاؤوا مختارين يحلفون بعزّة فرعون أن لهم الغلبة. قيل: رُوِيَ عن الحسن أنه قال: كان فرعون يُكره قوماً على تعلّم السحر لكيلا يذهب أصله وقد كان أكرههم في الابتداء. وقال مقاتل: كانت السَّحَرْة اثنين وسبعين اثنان من القبط وسبعون من بني إسرائيل كان عدوّ الله فرعون أكره الذين هم من بني إسرائيل على تعلّم السّحر، فذلك قوله: ﴿ وما أكرهتنا عليه من السّحر ﴾، وقال عبد العزيز بن أبان: قالت السَّحَرة لفرعون أرِنا موسى إذا نام فأراهم موسى نائماً وعصاه تحرسه، فقالوا لفرعون إن هذا ليس بساحر إن الساحر إذا نام بطل سحره، فأبى عليهم إلاّ أن يتعلموا، فذلك قوله

موسى نائماً وعصاه تحرسه فقالوا لفرعون هذا ليس بساحر إن الساحر إذا نام بطل سحره. فأبى عليهم فأكرههم على أن يعملوا فذلك قولهم وما أكرهتنا عليه من السحر ﴿والله خير وأبقى﴾ يعني خير منك ثواباً وأبقى عقاباً وقيل خير منك إن أطيع وأبقى عذاباً إن عصي وهذا جواب لقوله ﴿ولتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى﴾ ﴿إنه من يأت ربه مجرماً﴾ قيل هذا ابتداء كلام من الله تعالى وقيل هو من تمام قول السحرة معناه من مات على الشرك ﴿فإن له جهنم لا يموت فيها﴾ فيستريح ﴿ولا يحيى﴾ حياة ينتفع بها ﴿ومن يأته مؤمناً﴾ يعني من مات على الإيمان ﴿قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى﴾ يعني الرفيعة العلية ثم فسر الدرجات بقوله

جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾

﴿جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى﴾ يعني تطهر من الذنوب، وقيل أعطى زكاة نفسه وقال لا إله إلا الله عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق السماء وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما» أخرجه الترمذي. قوله وأنعما يقال أحسن فلان إلى فلان وأنعم يعني أفضل وزاد في الإحسان، والمعنى أنهما منهم وزادوا تناهياً إلى غايته.

تعالى: ﴿ وما أكرهتنا عليه من السحر ﴾، ﴿ والله خيرٌ وأبقى ﴾، قال محمد بن إسحاق: خير منك ثواباً وأبقى عذاباً وقال محمد بن كعب خير منك ثواباً أن أُطيع وأبقى منك عذاباً أن عصى وهذا جواب لقوله: ﴿ ولتعلمنّ أيّنا أشدّ عذاباً وأبقى ﴾.

﴿ إنه مَن يأتِ ربَّه مجرماً ﴾، قيل هذا ابتداء كلام من الله تعالى، وقيل: من تمام قول السَّحَرَة مجرماً أي مشركاً يعني مَن مات على الشرك، ﴿ فإنّ له جهنم لا يموت فيها ﴾، فيستريح، ﴿ ولا يحيى ﴾، حياة ينتفع بها.

﴿ ومَن يأتِه ﴾، قرأ أبو عمرو ساكنة الهاء، ويختلسها أبو جعفر، وقالون ويعقوب، وقرأ الآخرون بالإشباع، ﴿ مؤمناً ﴾، أي: مَن مات على الإيمان، ﴿ قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العُلى ﴾، أي الرفيعة، والعُلى جمع والعليا تأنيث الأعلى.

﴿ جنّاتُ عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء مَن تزكّى ﴾، يعني تطهّر من الذنوب. وقال الكلبي: أعطى زكاة نفسه وقال: لا إله إلاّ الله، أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عبيد السمسار أنا أبو حمزة أحمد بن محمد بن عباس الدهقان أنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي أنا أبو معاوية عن

قوله تعالى ﴿ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي﴾ يعني أسر بهم ليلاً من أرض مصر ﴿فاضرب لهم طريقاً﴾ يعني اجعل لهم طريقاً ﴿في البحر﴾ بالضرب بالعصا ﴿يبساً﴾ يعني يابساً ليس فيه ماء ولا طين وذلك أن الله تعالى أيبس لهم الطريق في البحر ﴿لا تخاف دركاً ولا تخشى﴾ يعني لا تخاف أن يدركك فرعون من ورائك ولا تخشى أن يغرقك البحر أمامك ﴿فأتبعهم﴾ يعني فلحقهم ﴿فرعون بجنوده فغشيهم﴾ يعني أصابهم ﴿من اليم ما غشيهم﴾ وهو الغرق وقيل علاهم وسترهم من اليم ما لم يعلم كنهه إلا الله تعالى فغرق فرعون وجنوده ونجا موسى وقومه ﴿وأضل فرعون قومه وما هدى﴾ يعني وما أرشدهم وهو تكذيب لفرعون في قوله ﴿وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾.

قوله عز وجل ﴿يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المن والسلوى﴾ ذكرهم الله النعمة في نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما وعد موسى من المناجاة بجانب الطور وكتب التوراة في الألواح. وإنما قال وواعدناكم لأنها اتصلت بهم حيث كانت لنبيهم، ورجعت منافعها إليهم وبها قوام دينهم وشريعتهم وفيها أفاض الله عليهم من سائر نعمه وأرزاقه ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه﴾ قال ابن عباس لا تظلموا، وقيل لا تكفروا النعمة فتكونوا طاغين، وقيل لا تتقووا بنعمتي على المعاصي، وقيل لا تدخروا ﴿فيحل عليكم

الأعمش عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الدرجات العُلى ليراهم من تحتهم كما ترون الكوكب الدرّي في أُفق من آفاق السماء، وإنما أبو بكر وعمر منهم وأنعما».

قوله عزّ وجلّ: ﴿ ولقد أوحينا إلى موسى أنْ أسرِ بعبادي ﴾، يعني أسرِ بهم ليلًا من أرض مصر، ﴿ فاضربْ لهم طريقاً في البحر ﴾، يعني اجعل لهم طريقاً في البحر بالضرب بالعصا، ﴿ يبساً ﴾، ليس فيه ماء ولا طين، وذلك أن الله أيبس لهم الطريق في البحر، ﴿ لا تخاف دَركاً ﴾، قرأ حمزة (لا تخفْ) بالجزم على النهي، والباقون بالألف والرفع على النفي، لقوله تعالى: ﴿ ولا تخشى ﴾، قيل: لا تخاف أن يدركك فرعون من ورائك ولا تخشى أن يغرقك البحر أمامك.

﴿ فأتبعهم ﴾، فلحقهم، ﴿ فرعون بجنوده ﴾، وقيل: معناه أمر فرعون جنوده أن يتبعوا موسى وقومه، والباء فيها زائدة وكان هو فيهم، ﴿ فغشيهم ﴾، أصابهم، ﴿ من اليمّ ما غشيهم ﴾، وهو الغرق. وقيل: غشيهم علاهم وسترهم من اليمّ ما غشيهم يريد غشيهم بعض ماء اليمّ لا كله. وقيل: غشيهم من اليمّ ما غشيهم قوم موسى فغرّقهم ونجا موسى وقومه.

﴿ وأضلّ فرعونُ قومَه وما هدَى ﴾، يعني ما أرشدهم وهذا تكذيب لفرعون في قوله: ﴿ وما أهديكم إلّا سبيل الرشاد ﴾ [غافر: ٢٩].

قوله: ﴿ يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوّكم ﴾، فرعون، ﴿ وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزّلنا عليكم المنّ والسلوى ﴾.

﴿ كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾، قرأ حمزة والكسائي أنجيتكم وواعدتكم ورزقتكم بالتاء على التوحيد، وقرأ الآخرون بالنون والألف على التعظيم، ولم يختلفوا في ونزّلنا لأنه مكتوب بالألف، ﴿ ولا تطغوا فيه ﴾، قال ابن عباس: لا تظلموا. قال الكلبي: لا تكفروا النعمة فتكونوا ظالمين طاغين. وقيل: لا تنفقوا في معصيتي. وقيل: لا تتقوّوا بنعمتي على معاصي. وقيل: لا تدّخروا فادّخروا فتدود، ﴿ فيحلّ ﴾، قرأ الأعمش والكسائي فيحلّ بضم الحاء، ومَن يحلل بضم اللام، يعني ينزل، وقرأ الآخرون بكسرها يعني يجب، ﴿ عليكم غضبي ومَن يحلل عليه غضبي فقد هوى ﴾، هلك وتردّى في النار.

غضبي﴾ يعني يجب عليكم غضبي **﴿ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى﴾** يعني هلك وسقط في النار **﴿وإني لغفار لمن تاب﴾** قال ابن عباس تاب عن الشرك **﴿وآمن﴾** يعني وحد الله وصدق رسوله **﴿وعمل صالحاً﴾** يعني أدى الفرائض **﴿ثم اهتدى﴾** قال ابن عباس علم أن ذلك توفيق من الله تعالى، وقيل لزم الإسلام حتى مات عليه، وقيل علم أن لذلك ثواباً، وقيل أقام على السنة. قوله عز وجل **﴿وما أعجلك﴾** يعني وما حملك على العجلة **﴿عن قومك يا موسى﴾** وذلك أن موسى اختار من قومه سبعين رجلاً يذهبون معه إلى الطور ليأخذوا التوراة. فسار بهم ثم عجل موسى من بينهم شوقاً إلى ربه، وخلف السبعين وأمرهم أن يتبعوه إلى الجبل فقال الله له وما أعجلك عن قومك يا موسى؟ فأجاب ربه فـ**﴿قال هم أولاء على أثري﴾** أي هم بالقرب مني يأتون على أثري من بعدي.

فإن قلت لم يطابق السؤال الجواب فإنه سأله عن سبب العجلة فعدل عن الجواب، فقال هم أولاء بأنه لم يوجد منه إلا تقدم سيره ثم أعقبه بجواب السؤال فقال **﴿وعجلت إليك رب لترضى﴾** أي لتزداد رضاً **﴿قال فإنا قد فتنا قومك﴾** أي فإنا ابتلينا الذين خلفتهم مع هارون وكانوا ستمائة ألف فافتتنوا بالعجل غير اثني عشر ألفاً **﴿من بعدك﴾** أي من بعد انطلاقك إلى الجبل **﴿وأضلهم السامري﴾** أي دعاهم وصرفهم إلى الضلال وهو عبادة العجل، وإنما أضاف الضلال إلى السامري لأنهم ضلوا بسببه وقيل إن جميع المنشآت تضاف إلى منشئها في الظاهر، وإن كان الموجد لها في الأصل هو الله تعالى فلذلك قوله هنا وأضلهم السامري، قيل كان السامري من عظماء بني إسرائيل من قبيلة يقال لها السامرة، وقيل كان من القبط وكان جاراً لموسى وآمن به، وقيل كان علجاً من علوج كرمان رفع إلى مصر وكان من قوم يعبدون البقر **﴿فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً﴾** أي حزيناً جزعاً **﴿قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً﴾** أي صدقاً يعطيكم التوراة **﴿أفطال عليكم العهد﴾** أي مدة مفارقتي إياكم **﴿أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم﴾** أي أردتم أن تفعلوا فعلاً يجب عليكم الغضب من ربكم بسببه **﴿فأخلفتم موعدي﴾** يعني ما وعدوه من الإقامة على دينه إلى أن يرجع.

﴿ وإني لغفّار لمَن تاب ﴾، قال ابن عباس تاب من الشرك، **﴿ وآمن ﴾**، ووحّد الله وصدقه، **﴿ وعمل صالحاً ﴾**، أدّى الفرائض، **﴿ ثم اهتدى ﴾**، قال عطاء عن ابن عباس: علم أن ذلك توفيق من الله. وقال قتادة وسفيان الثوري: يعني لزم الإسلام حتى مات عليه. قال الشعبي ومقاتل والكلبي: علم أن ذلك ثواباً. وقال زيد بن أسلم: تعلّم العلم ليهتدي به كيف يعمل. قال الضحاك: استقام. وقال سعيد بن جبير: أقام على السُّنّة والجماعة.

﴿ وما أعجلك ﴾، يعني وما حملك على العجلة، **﴿ عن قومك ﴾**، وذلك أن موسى اختار من قومه سبعين رجلاً حتى يذهبوا معه إلى الجبل ليأخذوا التوراة فسار بهم ثم عجّل موسى من بينهم شوقاً إلى ربّه عزّ وجلّ وخلّف السبعين وأمرهم أن يتبعوه إلى الجبل فقال الله تعالى: **﴿ وما أعجلك عن قومك، يا موسى ﴾**.

﴿ قال ﴾، مجيباً لربّه تعالى: **﴿ هُمْ أولاءِ على أثَري ﴾**، يعني هم بالقرب منّي يأتون من بعدي، **﴿ وعجّلت إليك ربِّ لترضى ﴾**، لتزداد رضاً.

﴿ قال فإنّا قد فتنّا قومك من بعدك ﴾، أي ابتلينا الذين خلفتهم مع هارون وكانوا ستمائة ألف فافتتنوا بالعجل غير اثني عشر ألفاً من بعدك أي من بعد انطلاقك إلى الجبل، **﴿ وأضلّهم السامري ﴾**، أي دعاهم وصرفهم إلى عبادة العجل، وأضافه إلى السامري لأنهم ضلّوا بسببه.

﴿ فرجع موسى إلى قومه غضبانَ أسِفاً ﴾، حزيناً. **﴿ قال يا قوم ألم يعدْكم ربُّكم وعداً حسناً ﴾**، صدقاً أنه يعطيكم التوراة، **﴿أفطالَ عليكم العهد﴾**، مدة مفارقتي إياكم، **﴿ أم أردتم أن يحلّ عليكم غضب من ربكم ﴾**، أي أردتم أن تفعلوا فعلاً يجب عليكم به الغضب من ربكم، **﴿ فأخلفتم موعدي ﴾**.

قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾
فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا
وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي
وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾
أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ
قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾

﴿**قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا**﴾ أي بملك أمرنا، وقيل باختيارنا وذلك أن المرء إذا وقع في الفتنة لم يملك نفسه ﴿**ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم**﴾ أي حملنا مع أنفسنا ما كنا قد استعرناه من قوم فرعون، والأوزار الأثقال سميت أوزاراً لكثرتها وثقلها وقيل الأوزار الآثام، أي **حملنا** آثاماً وذلك أن بني إسرائيل استعاروا حلياً من القبط ولم يردوها وبقيت معهم إلى حين خروجهم من مصر وقيل إن الله لما أغرق فرعون نبذ البحر حليهم فأخذها بنو إسرائيل فكانت غنيمة ولم تكن الغنائم تحل لهم ﴿**فقذفناها**﴾ أي ألقيناها قيل إن السامري قال لهم احفروا حفيرة وألقوها فيها حتى يرجع موسى فيرى رأيه فيها. وقيل إن هارون أمرهم بذلك ففعلوا ﴿**فكذلك ألقى السامري**﴾ أي ما كان معه من الحلي فيها، قال ابن عباس: أوقد هارون ناراً وقال اقذفوا ما معكم فيها، وقيل إن هارون مر على السامري وهو يصوغ العجل فقال له ما هذا قال أصنع ما ينفع ولا يضر فادع لي. فقال هارون اللهم اعطه ما سألك على ما في نفسه. فألقى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل في فم العجل وقال كن عجلاً يخور فكان كذلك. بدعوة هارون فذلك قوله تعالى ﴿**فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار**﴾ اختلفوا هل كان الجسد حياً أم لا على قولين أحدهما لا لأنه لا يجوز إظهار خرق العادة على يد ضال بل السامري صور صورة على شكل العجل وجعل فيه منافذ ومخاريق بحيث إذا دخل فيها الريح صوت كصوت العجل. الثاني: أنه صار حياً وخار كما يخور العجل ﴿**فقالوا هذا إلهكم وإله موسى**﴾ يعني

﴿ **قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا** ﴾، قرأ نافع وأبو جعفر وعاصم: ﴿ **بملكنا** ﴾ بفتح الميم وقرأ حمزة والكسائي بضمّها، وقرأ الآخرون بكسرها أي ونحن نملك أمرنا. وقيل: باختيارنا، ومَن قرأ بالضم فمعناه بقدرتنا وسلطاننا، وذلك أن المرء إذا وقع في البليّة والفتنة لم يملك نفسه، ﴿ **ولكنّا حمّلنا** ﴾، قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب حملنا بفتح الحاء، وتخفيف الميم، وقرأ الآخرون بضم الحاء وتشديد الميم أي جعلونا نحملها وكلّفنا حملها، ﴿ **أوزاراً من زينة القوم** ﴾، من حلى قوم فرعون، سمّاها أوزاراً لأنهم أخذوها على وجه العارية فلم يردّها، وذلك أن بني إسرائيل كانوا قد استعاروا حليّاً من القبط وكان ذلك معهم حين خرجوا من مصر. وقيل: إن الله تعالى لمّا أغرق فرعون نبذ البحر حليّهم فأخذوها وكانت غنيمة ولم تكن الغنيمة حلالاً لهم في ذلك الزمان، فسمّاها أوزاراً لذلك، ﴿ **فقذفناها** ﴾، قيل: إن السامري قال لهم احفروا حفيرة فألقوها فيها حتى يرجع موسى، قال السدي: قال لهم هارون إن تلك غنمية لا تحلّ فاحفروا حفيرة فألقوها فيها حتى يرجع موسى، فيرى رأيه فيها، ففعلوا. قوله: ﴿ **فقذفناها** ﴾ أي طرحناها في الحفرة، ﴿ **فكذلك ألقى السامري** ﴾، ما معه من الحلى فيها، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: أوقد هارون ناراً وقال: اقذفوا فيها ما معكم، فألقوه فيها ثم ألقى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل. قال قتادة: كان صرّ قبضة من ذلك التراب في عمامته.

قال ذلك السامري ومن تابعه من افتتن به. وقيل عكفوا عليه وأحبوه حباً لم يحبوا شيئاً قط مثله ﴿فنسي﴾ قيل هو إخبار عن قول السامري أي إن موسى نسي إلهه وتركه ها هنا وذهب يطلبه. وقيل معناه أن موسى إنما طلب هذا ولكنه نسيه وخالفه في طريق آخر فأخطأ الطريق وضل. وقيل هو من كلام الله تعالى وكأنه أخبر عن السامري أنه نسي الاستدلال على حدوث الأجسام وأن الإله لا يحل في شيء. ولا يحل فيه شيء ثم بين سبحانه وتعالى المعنى الذي يجب الاستدلال به فقال ﴿أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولاً﴾ أي إن العجل لا يرد لهم جواباً إذا دعوه ولا يكلمهم ﴿ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً﴾ هذا توبيخ لهم إذ عبدوا ما لا يملك ضر من ترك عبادته ولا ينفع من عبده وكان العجل فتنة من الله تعالى ابتلى به بني إسرائيل.

قوله عز وجل ﴿ولقد قال لهم هارون من قبل﴾ أي من قبل رجوع موسى ﴿يا قوم إنما فتنتم به﴾ أي ابتليتم بالعجل ﴿وإن ربكم الرحمن فاتبعوني﴾ على ديني في عبادة الله ﴿وأطيعوا أمري﴾ يعني في ترك عبادة العجل. اعلم أن هارون عليه السلام سلك في هذا الوعظ أحسن الوجوه لأنه زجرهم أولاً عن الباطل بقوله ﴿إنما فتنتم به﴾ ثم دعا إلى معرفة الله تعالى بقوله ﴿إن ربكم الرحمن﴾ ثم دعاهم إلى معرفة النبوة بقوله ﴿فاتبعوني﴾ ثم دعاهم إلى الشرائع بقوله ﴿وأطيعوا أمري﴾ فهذا هو الترتيب الجيد لأنه لا بد من إماطة الأذى عن الطريق وهي إزالة الشبهات ثم معرفة الله فإنها هي الأصل ثم النبوة ثم الشريعة. وإنما قال وإن ربكم الرحمن فخص هذا الموضع بهذا الاسم لأنه ينبههم على أنهم متى تابوا قبل الله توبتهم لأنه هو التواب الرحيم فقابلوا هذا القول بالإصرار والجحود ﴿قالوا لن نبرح﴾ يعني لن نزال ﴿عليه﴾ يعني على عبادة العجل ﴿عاكفين﴾ يعني مقيمين ﴿حتى يرجع إلينا موسى﴾ كأنهم قالوا لن نقبل حجتك ولا نقبل إلا قول موسى فاعتزلهم هارون ومعه اثنا عشر ألفاً الذين لم يعبدوا العجل. فلما رجع موسى سمع الصياح والجلبة وكانوا يرقصون حول العجل فقال للسبعين الذين معه هذا صوت الفتنة، فلما رأى هارون أخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله و﴿قال﴾ له ﴿يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا﴾ أي أشركوا ﴿ألا تتبعن﴾ أي تتبع أمري

﴿ فأخرج لهم عجلاً جسداً له خُوار فقالوا هذا إلٰهكم وإلٰه موسى فنسي ﴾، أي تركه موسى ههنا وذهب يطلبه. وقيل: أخطأ الطريق وضلّ.

قال الله تعالى: ﴿ أفلا يرون ألّا يرجع إليهم قولاً ﴾، أي: لا يرون أن العجل لا يكلمهم ولا يجيبهم إذا دعوه، ﴿ ولا يملك لهم ضرّاً ولا نفعاً ﴾، وقيل: إن هارون مرّ على السامري وهو يصوغ العجل فقال له: ما هذا؟ قال: أصنع ما ينفع ولا يضرّ فادع لي، فقال هارون: اللّهمّ أعطه ما سألك على ما في نفسه، فألقى التراب في فم العجل وقال كن عجلاً يخور فكان ذلك بدعوة هارون، والحقيقة أن ذلك كان فتنة ابتلى الله بها بني إسرائيل.

﴿ ولقد قال لهم هارون من قبل ﴾، أي من قبل رجوع موسى، ﴿ يا قوم إنّما فُتِنتم به ﴾، ابتليتم بالعجل، ﴿ وإنّ ربَّكم الرحمن فاتبعوني ﴾، على ديني في عبادة الله، ﴿ وأطيعوا أمري ﴾، في ترك عبادة العجل.

﴿ قالوا لن نبرح ﴾، أي لن نزال، ﴿ عليه ﴾، على عبادته، ﴿ عاكفين ﴾، مقيمين، ﴿ حتى يرجع إلينا موسى ﴾، فاعتزلهم هارون في اثني عشر ألفاً وهم الذين لم يعبدوا العجل، فلما رجع موسى وسمع الصياح والجلبة وكانوا يرقصون حول العجل، قال للسبعين الذين كانوا معه هذا صوت الفتنة، فلما رأى هارون أخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله.

و﴿ قال ﴾، له، ﴿ يا هارون ما منعك إذْ رأيتَهم ضلّوا ﴾، أشركوا.

﴿ ألّا تَتّبِعَنِ ﴾، أي: أن تتبعني و﴿ لا ﴾ صلة أي تتبع أمري ووصيّتي، يعني: هلّا قاتلتهم وقد علمت أني

ووصيتي وهلا قاتلتهم وقد علمت أني لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم، وقيل معناه ما منعك من اللحوق بي وإخباري بضلالتهم فتكون مفارقتك إياهم زجراً لهم عما أتوه ﴿أفعصيت أمري﴾ يعني خالفت أمري ﴿قال يا بن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي﴾ يعني بشعر رأسي وكان قد أخذ بذؤابتيه ﴿إني خشيت أن تقول﴾ يعني لو أنكرت عليهم لصاروا حزبين يقتل بعضهم بعضاً فتقول ﴿فرقت بين بني إسرائيل﴾ يعني خشيت إن فارقتهم واتبعتك أن يصيروا أحزاباً فيتقاتلون، فتقول فرقت بني إسرائيل ﴿ولم ترقب قولي﴾ يعني لم تحفظ وصيتي حين قلت لك اخلفني في قومي أصلح وأرفق بهم ثم أقبل موسى على السامري ﴿قال فما خطبك﴾ يعني فما أمرك وشأنك وما الذي حملك على ما صنعت ﴿يا سامري قال﴾ يعني السامري ﴿بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول﴾ يعني من تراب حافر فرس جبريل ﴿فنبذتها﴾ يعني فقذفتها في فم العجل فخار. فإن قلت كيف عرف السامري جبريل ورآه من بين سائر النار. قلت ذكروا فيه وجهين.

أحدهما: أن أمه ولدته في السنة التي كان يقتل فيها البنون فوضعته في كهف حذراً عليه من القتل فبعث الله إليه جبريل ليربيه لما قضى الله على يديه من الفتنة. الوجه الثاني: أنه لما نزل جبريل إلى موسى ليذهب به إلى الطور رآه السامري من بين سائر الناس، فلما رآه قال إن لهذا لشأناً فقبض القبضة من أصل تربة أثر موطئه، فلما سأله موسى قال قبضت قبضة من أثر الرسول إليك يوم جاء للميعاد. وقيل رآه يوم فلق البحر فأخذ القبضة وجعلها في عمامته لما يريد الله أن يظهره من الفتنة على يديه وهو قوله ﴿وكذلك سولت﴾ يعني زينت ﴿لي نفسي﴾ وقيل إنه من السؤال والمعنى أنه لم يدعني إلى فعلة غيري واتبعت فيه هواي.

قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ

لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم. وقيل: أن لا تتبعني أي ما منعك من اللحوق بي وإخباري بضلالتهم، فتكون مفارقتك إياهم تقريعاً وزجراً لهم عمّا أتوه، ﴿ أفعصيت أمري ﴾، أي خالفت أمري.

﴿ قال يا ابنَ أُمَّ لا تأخذْ بلحيتي ولا برأسي ﴾، أي بشعر رأسي وكان قد أخذ ذوائبه، ﴿ إني خشيتُ ﴾، لو أنكرتُ عليهم لصاروا حزبين يقتل بعضهم بعضاً، ﴿ أن تقولَ فرّقتَ بين بني إسرائيل ﴾، أي خشيت إن فارقتهم واتبعتك صاروا أحزاباً يتقاتلون، فتقول أنت فرّقت بين بني إسرائيل، ﴿ ولم تَرْقُبْ قولي ﴾، ولم تحفظ وصيتي حين قلت لك اخلفني في قومي، وأصلح أي ارفق بهم، ثم أقبل موسى على السامري.

﴿ قال فما خطبك ﴾ أي ما أمرك وشأنك؟ وما الذي حملك على ما صنعت؟ ﴿ يا سامري ﴾.

﴿ قال بَصُرْتُ بما لم يَبْصُرُوا به ﴾، رأيت ما لم يروا وعرفت ما لم يعرفوا، قرأ حمزة والكسائي «ما لم تبصروا» بالتاء على الخطاب، وقرأ الآخرون بالياء على الخبر، ﴿ فقبضتُ قبضةً من أثر الرسول ﴾، أي من تراب أثر فرس جبريل، ﴿ فنبذتُها ﴾، أي ألقيتها في فم العجل، وقال بعضهم: إنما خار لهذا لأن التراب كان مأخوذاً من تحت حافر فرس جبريل، فإن قيل: كيف عرفه ورأى جبريل من بين سائر الناس؟ قيل: لأن أُمه لمّا ولدته في السنة التي يقتل فيها البنون وضعته في الكهف حذراً عليه فبعث الله جبريل ليربّيه لما قضى على يديه من الفتنة.

﴿ وكذلك سوّلت ﴾، أي زيّنت، ﴿ لي نفسي ﴾.

فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِۖ وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا ﴿١٠١﴾ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ
يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا ﴿١٠٣﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذۡ يَقُولُ أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً إِن لَّبِثۡتُمۡ
إِلَّا يَوۡمٗا ﴿١٠٤﴾ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ
أَمۡتٗا ﴿١٠٧﴾ يَوۡمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا ﴿١٠٨﴾

﴿قال﴾ يعني موسى للسامري **﴿فاذهب فإن لك في الحياة﴾** يعني ما دمت حياً **﴿أن تقول لا مساس﴾** يعني لا تخالط أحداً ولا يخالطك أحد فعوقب في الدنيا بعقوبة لا شيء أوحش منها ولا أعظم وذلك أن موسى أمر بني إسرائيل أن لا يخالطوه ولا يقربوه وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لا مساس لك ولولدك. فصار السامري يهيم في البرية مع الوحش والسباع لا يمس أحد وقيل كان إذا مس أحداً. أو مسه أحد حما جميعاً فتحامى الناس وتحاموه وكان لا مساس حتى أن بقاياهم اليوم يقولون ذلك **﴿وإن لك﴾** يا سامري **﴿موعداً﴾** يعني بعذابك في الآخرة **﴿لن تخلفه﴾** قرىء بكسر اللام ومعناه لن تغيب عنه ولا مذهب لك عنه بل توافيه يوم القيامة، وقرىء بالفتح أي لن تكذبه ولم يخلفكه الله بل يكافئك على فعلك **﴿وانظر إلى إلهك﴾** يعني الذي تزعم **﴿الذي ظلت عليه عاكفاً﴾** يعني دمت عليه مقيماً تعبده **﴿لنحرقنه﴾** بالنار **﴿ثم لننسفنه﴾** أي لنذرينه **﴿في اليم﴾** يعني في البحر **﴿نسفاً﴾** روي أن موسى أخذ العجل فذبحه فسال منه دم وحرقه في النار ثم ذراه في البحر وقيل معناه لنحرقنه أي لنبردنه فعلى هذا التأويل لم ينقلب لحماً ودماً فإن ذلك لا يمكن أن يبرد بالمبرد ويمكن أن يقال صار لحماً ودماً ثم بردت عظامه بالمبرد حتى صارت بحيث يمكن نسفها في البحر فلما فرغ موسى من أمر العجل وإبطال ما ذهب إليه السامري رجع إلى بيان الدين الحق فقال مخاطباً لبني إسرائيل **﴿إنما إلهكم الله﴾** يعني المستحق للعبادة والتعظيم هو الله **﴿الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علماً﴾** يعني وسع علمه كل شيء وقيل يعلم من يعبده.

﴿ قال فاذهبْ فإنّ لك في الحياة ﴾، أي ما دمت حيّاً، **﴿ أن تقولَ لا مِساسَ ﴾**، أي لا تخالط أحداً ولا يخالطك أحد وأمر موسى بني إسرائيل أن لا يخالطوه ولا يقربوه. قال ابن عباس: لا مساس لك ولولدك، والمساس من المماسة معناه لا يمسّ بعضنا بعضاً، فصار السامري يهيم في البرية مع الوحوش والسِّباع لا يمسّ أحداً ولا يمسّه أحد، فعاقبه الله بذلك، وكان إذا لقي أحداً يقول لا مساس، أي لا تقربني ولا تمسّني، وقيل: كان إذا مسّ أحداً أو مسّه أحد حما جميعاً حتى أن بقاياهم اليوم يقولون ذلك، وإذا مسّ أحد من غيرهم أحداً منهم حما جميعاً في الوقت، **﴿ وإنّ لك ﴾**، يا سامري، **﴿ موعداً ﴾**، لعذابك، **﴿ لنْ تُخْلَفَهُ ﴾**، قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب: **﴿ لن تخلفه ﴾** بكسر اللام أي لن تغيب عنه ولا مذهب لك عنه بل توافيه يوم القيامة، وقرأ الآخرون بفتح اللام أي لن تكذبه ولن يخلفك الله، ومعناه أن الله تعالى يكافئك على فعلك ولا تفوته، **﴿ وانظر إلى إلَهك ﴾**، بزعمك، **﴿ الذي ظَلْتَ عليه عاكفاً ﴾**، أي ظلت ودمت عليه مقيماً تعبده، والعرب تقول: ظلت أفعل كذا بمعنى ظللت ومستُ بمعنى مسستُ، وقرأ أبو جعفر بالتخفيف من الإحراق، **﴿ ثم لننسفنّه ﴾**، لنذرينّه، **﴿ في اليمّ ﴾**، في البحر، **﴿ نسفاً ﴾**، رُوِيَ أن موسى أخذ العجل فذبحه فسال منه دم لأنه كان قد صار لحماً ودماً ثم حرقه بالنار، ثم ذراه في اليمّ، قرأ ابن محيصن: **﴿ لنحرقنّه ﴾** بفتح النون وضمّ الراء لنبردنّه بالمِبرَد، ومنه قيل للمِبرَد المحرق. وقال السدي: أخذ موسى العجل فذبحه ثم حرقه بالمِبرَد ثم ذراه في اليمّ.

﴿ إنّما إلَهكم الله الذي لا إلَه إلاّ هو وَسِعَ كل شيء علماً ﴾، وسع علمه كل شيء.

قوله عز وجل: ﴿كذلك نقص عليك من أنباء﴾ يعني من أخبار ﴿ما قد سبق﴾ يعني الأمم الخالية وقيل ما سبق من الأمور ﴿وقد آتيناك من لدنا ذكراً﴾ وهو القرآن ﴿من أعرض عنه﴾ يعني عن القرآن ولم يؤمن به ولم يعمل بما فيه ﴿فإنه يحمل يوم القيامة وزراً﴾ يعني حملاً ثقيلاً من الإثم ﴿خالدين فيه﴾ يعني مقيمين في عذاب الوزر ﴿وساء لهم يوم القيامة حملاً﴾ يعني بئس ما حملوا أنفسهم من الإثم ﴿يوم ينفخ في الصور﴾ قيل هو قرن ينفخ فيه يدعي به الناس للمحشر والمراد بهذه النفخة النفخة الثانية لأنه أتبعه بقوله ﴿ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً﴾ يعني نحشر المجرمين زرق العيون سود الوجوه وقيل عمياً وقيل عطاشاً ﴿يتخافتون﴾ يعني يتشاورون ﴿بينهم﴾ ويتكلمون خفية ﴿إن لبثتم﴾ يعني مكثتم في الدنيا ﴿إلا عشراً﴾ يعني عشر ليال وقيل في القبور وقيل بين النفختين وهو مقدار أربعين سنة وذلك أن العذاب رفع عنهم بين النفختين فاستقصروا مدة لبثهم لهول ما عاينوا فقال الله تعالى ﴿نحن أعلم بما يقولون﴾ يعني يتشاورون فيما بينهم ﴿إذ يقول أمثلهم طريقة﴾ أي أوفاهم وأعدلهم قولاً ﴿إن لبثتم إلا يوماً﴾ قصر ذلك في أعينهم في جنب ما استقبلهم من أهوال يوم القيامة وقيل نسوا مقدار لبثهم لشدة ما دهمهم قوله عز وجل ﴿ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً﴾.

قال ابن عباس: سأل رجل من ثقيف رسول الله ﷺ فقال كيف تكون الجبال يوم القيامة فأنزل الله تعالى هذه

﴿ كذلك نقصّ عليك من أنباء ما قدْ سبقَ ﴾، من الأمور، ﴿ وقد آتيناك من لدنّا ذكراً ﴾، يعني القرآن.

﴿ مَن أعرض عنه ﴾، أي عن القرآن فلم يؤمن به ولم يعمل بما فيه، ﴿ فإنه يحمل يوم القيامة وزراً ﴾، حملاً ثقيلاً من الإثم.

﴿ خالدين فيه ﴾، مقيمين في عذاب الوزر، ﴿ وساء لهم يوم القيامة حملاً ﴾، أي بئس ما حملوا على أنفسهم من الإثم كفراً بالقرآن.

﴿ يوم ينفخ في الصور ﴾، قرأ أبو عمرو (ننفخ) بالنون وفتحها وضمّ الفاء لقوله: ﴿ ونحشر ﴾ أو قرأ الآخرون بالياء وضمّها وفتح الفاء على غير تسمية الفاعل، ﴿ ونحشر المجرمين ﴾، المشركين، ﴿ يومئذٍ زُرْقاً ﴾، والزرقة هي الخضرة في سواد العين فيحشرون زرق العيون سود الوجوه. وقيل: زرقاً أي عمياً. وقيل: عطاشاً.

﴿ يتخافتون بينهم ﴾، أي يتشاورون بينهم ويتكلمون خفية، ﴿ إن لبثتم ﴾، أي ما مكثتم في الدنيا، ﴿ إلّا عشراً ﴾، أي عشر ليالٍ. وقيل: في القبور. وقيل: بين النفختين، وهو أربعون سنة، لأن العذاب يرفع عنهم بين النفختين استقصروا مدة لبثهم لهول ما عاينوا.

قال الله تعالى: ﴿ نحن أعلم بما يقولون ﴾، أي يتشاورون بينهم، ﴿ إذْ يقولُ أمثلُهم طريقةً ﴾، أوفاهم عقلاً وأعدلهم قولاً، ﴿ إن لبثتم إلّا يوماً ﴾، قصر ذلك في أعينهم في جنب ما استقبلهم من أهوال يوم القيامة. وقيل: نسوا مقدار لبثهم لشدّة ما دهمهم.

قوله: ﴿ ويسألونك عن الجبال فقلْ ينسفها ربي نسفاً ﴾، قال ابن عباس سأل رجل من ثقيف رسول الله ﷺ فقال: كيف تكون الجبال يوم القيامة فأنزل الله هذه الآية، والنسف هو القلع يعني يقلعها من أصلها ويجعلها هباءً منثوراً.

﴿ فيذرها ﴾، يعني فيدع أماكن الجبال من الأرض، ﴿ قاعاً صفصفاً ﴾، يعني أرضاً ملساء مستوية لا نبات فيها، والقاع ما انبسط من الأرض والصفصف الأملس.

الآية والنسف هو القلع أي يقلعها من أصولها ويجعلها هباء منثوراً ﴿فيذرها﴾ أي يدع أماكن الجبال من الأرض ﴿قاعاً صفصفاً﴾ أي أرضاً ملساء مستوية لا نبات فيها ﴿لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً﴾ يعني لا انخفاضاً ولا ارتفاعاً يعني لا ترى وادياً ولا رابية ﴿يومئذ يتبعون الداعي﴾ أي صوت الداعي ويقف على صخرة بيت المقدس ويقول أيتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلموا إلى عرض الرحمن ﴿لا عوج له﴾ أي لا عوج لهم عن دعائه ولا يزيغون عنه يميناً ولا شمالاً بل يتبعونه سراعاً ﴿وخشعت الأصوات للرحمن﴾ يعني سكنت وذلت وخضعت وضعفت والمراد به أصحاب الأصوات وقيل خضعت الأصوات من شدة الفزع ﴿فلا تسمع إلا همساً﴾ وهو الصوت الخفي قال ابن عباس: هو تحريك الشفاه من غير نطق وقيل أراد بالهمس صوت وطء الأقدام إلى المحشر كصوت أخفاف الإبل.

يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾

﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة﴾ لأحد من الناس ﴿إلا من أذن له الرحمن﴾ يعني إلا من أذن له أن يشفع ﴿ورضي له قولاً﴾ قال ابن عباس: يعني قال لا إله إلا الله، وفيه دليل على أنه لا يشفع غير المؤمن، وقيل إن درجة الشافع درجة عظيمة فهي لا تحصل إلا لمن يأذن الله له فيها وكان عند الله مرضياً ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ قيل الكناية راجعة إلى الذين يتبعون الداعي، أي يعلم الله ما قدموا من الأعمال وما خلفوا من الدنيا وقيل الضمير يرجع إلى من

﴿ لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ﴾، قال مجاهد: انخفاضاً وارتفاعاً. وقال الحسن: العوج ما انخفض من الأرض، والأمت ما نشز من الروابي، يعني لا ترى وادياً ولا رابية. قال قتادة: لا ترى فيها صدعاً ولا أكمة.

﴿ يومئذ يتّبعون الداعي ﴾، أي صوت الداعي الذي يدعوهم إلى موقف القيامة، وهو إسرافيل، وذلك أنه يضع الصور في فيه، ويقول أيتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرّقة هلمّوا إلى عرض الرحمن، ﴿ لا عِوَجَ له ﴾، يعني لدعائه، وهو من المقلوب يعني لا عوج لهم عن دعاء الداعي لا يزيغون عنه يميناً ولا شمالاً ولا يقدرون عليه بل يتّبعونه سراعا، ﴿ وخشعتِ الأصواتُ للرحمن ﴾، يعني سكتت وذلّت وخضعت ووصف الأصوات بالخشوع والمراد أهلها، ﴿ فلا تسمع إلاّ همساً ﴾، يعني صوت وطء الأقدام إلى المحشر، والهمس الصوت الخفي كصوت أخفاف الإبل في المشي. وقال مجاهد: هو تخافت الكلام وخفض الصوت. وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: تحريك الشفاه من غير منطق.

﴿ يومئذٍ لا تنفعُ الشفاعةُ ﴾، يعني لا تنفع الشفاعة أحداً من الناس، ﴿ إلاّ مَن أذن له الرحمن ﴾، يعني إلاّ مَن أذن الله له أن يشفع، ﴿ ورضي له قولاً ﴾، يعني ورضي قوله، قال ابن عباس: يعني قال لا إله إلاّ الله، وهذا يدل على أنه لا يشفع غير المؤمن.

أذن له الرحمن وهو الشافع، والمعنى لا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن له الرحمن أن يشفع ثم قال يعلم ما بين أيديهم أي أيدي الشافعين وما خلفهم ﴿ولا يحيطون به علماً﴾ قيل الكناية ترجع إلى ما أي هو يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وهم لا يعلمونه، والمعنى أن العباد لا يحيطون بما بين أيديهم وما خلفهم علماً وقيل الكناية راجعة إلى الله تعالى أي ولا يحيطون بالله علماً ﴿وعنت الوجوه﴾ يعني ذلت وخضعت في ذلك اليوم ويصير الملك والقهر لله تعالى دون غيره وذكر الوجوه وأراد بها المكلفين لأن عنت من صفات المكلفين لا من صفات الوجوه وإنما خص الوجوه بالذكر لأن الخضوع بها يتبين وفيها يظهر وقوله تعالى ﴿للحي القيوم﴾ تقدم تفسيره ﴿وقد خاب من حمل ظلماً﴾.

قال ابن عباس خسر من أشرك بالله ﴿ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً﴾ قال ابن عباس معناه لا يخاف أن يزاد على سيئاته ولا ينقص من حسناته، وقيل لا يؤخذ بذنب لم يعمله ولا تبطل عنه حسنة عملها قوله تعالى ﴿وكذلك أنزلناه﴾ أي كما بينا في هذه السورة أو هذه الآية المتضمنة للوحيد أنزلنا القرآن كله كذلك وقوله ﴿قرآناً عربياً﴾ أي بلسان العرب ليفهمون ويقفوا على إعجازه وحسن نظمه وخروجه عن كلام البشر ﴿وصرفنا فيه من الوعيد﴾ أي كررنا وفصلنا القول فيه بذكر الوعيد ويدخل تحت الوعيد بيان الفرائض والمحارم لأن الوعيد بهما يتعلق فتكريره وتصريفه يقتضي بيان الأحكام فلذلك قال تعالى ﴿لعلهم يتقون﴾ أي يجتنبون الشرك والمحارم وترك الواجبات ﴿أو يحدث لهم ذكراً﴾ أي إنما أنزلنا القرآن ليصبروا متقين مجتنبين ما لا ينبغي ويحدث لهم القرآن ذكراً يرغبهم في الطاعات وفعل ما ينبغي، وقيل معناه يجدد لهم القرآن عبرة وعظة فيعتبرون ويتعظون بذكر عقاب الله الأمم قوله تعالى ﴿فتعالى الله الملك الحق﴾ أي جل الله وعظم عن إلحاد الملحدين وعما يقوله المشركون والجاحدون وقيل

﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾، الكناية راجعة إلى الذين يتبعون الداعي، أي يعلم الله ما بين أيديهم وما خلفهم وما خلفوا من أمر الدنيا. وقيل: ما بين أيديهم من الآخرة وما خلفهم من الأعمال، ﴿ ولا يحيطُون به علماً ﴾، قيل: الكناية ترجع إلى ما أي هو يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، وهم لا يعلمونه. وقيل: الكناية راجعة إلى الله لأن عباده لا يحيطون به علماً.

﴿ وعنت الوجوه للحيّ القوّم ﴾، أي ذلّت وخضعت، ومنه قيل للأسير: عان. وقال طلق بن حبيب: هو السجود على الجبهة للحيّ القيّوم، ﴿ وقد خابَ مَن حمل ظلماً ﴾، قال ابن عباس: خسر مَن أشرك بالله، والظلم هو الشرك.

﴿ ومَنْ يعملْ من الصالحاتِ وهو مؤمنٌ فلا يَخافُ ﴾، قرأ ابن كثير «فلا يخف» مجزوماً على النهي جواباً لقوله تعالى: ﴿ ومَن يعمل ﴾، وقرأ الآخرون ﴿ فلا يخاف ﴾ مرفوعاً على الخبر، ﴿ ظلماً ولا هضماً ﴾، قال ابن عباس: لا يخاف أن يزداد على سيآته لا أن ينقص من حسناته. وقال الحسن: لا ينقص من ثواب حسناته ولا يحمل عليه ذنب مسيء. وقال الضحاك: لا يؤخذ بذنب لم يعمله وتبطل حسنة عملها، وأصل الهضم النقص والكسر، ومنه هضم الطعام.

﴿ وكذلك ﴾، أي كما بيّنا في هذه السورة، ﴿ أنزلناه ﴾، يعني أنزلنا هذا الكتاب، ﴿ قرآناً عربياً ﴾، لتعجل به يعني بلسان العرب، ﴿ وصرفنا ﴾ يعني بيّنا، ﴿ فيه من الوعيد ﴾، أي صرّفنا القول فيه بذكر الوعيد، ﴿ لعلّهم يتّقون ﴾، أي يجتنبون الشرك، ﴿ أو يحدث لهم ذكراً ﴾، أي يجدّد لهم القرآن عبرةً وعظةً فيعتبروا ويتّعظوا بذكر عتاب الله للأمم الخالية.

﴿ فتعالى الله الملك الحق ﴾، جلّ الله عن إلحاد الملحدين وعمّا يقوله المشركون، ﴿ ولا تعجل

فيه تنبيه على ما يلزم خلقه من تعظيمه وتمجيده، وقيل إنما وصف نفسه بالملك الحق لأن ملكه لا يزول ولا يتغير وليس بمستفاد من قبل الغير ولا غيره وأولى به منه ﴿ولا تعجل بالقرآن﴾ أراد النبي ﷺ كان إذا نزل عليه جبريل بالقرآن يبادره فيقرأ معه قبل أن يفرغ جبريل مما يريده من التلاوة مخافة الانفلات أو النسيان فنهاه الله تعالى عن ذلك فقال تعالى ﴿ولا تعجل بالقرآن﴾ أي ولا تعجل بقراءته ﴿من قبل أن يقضى إليك وحيه﴾ أي من قبل أن يفرغ جبريل من الإبلاغ وقيل معناه لا تقرئه أصحابك ولا تمله عليهم حتى يتبين لك معناه ﴿وقل رب زدني علماً﴾ فيه التواضع والشكر لله والمعنى زدني علماً إلى ما علمت فإن لك في كل شيء علماً وحكمة، قيل ما أمر الله رسوله ﷺ بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم.

وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية يقول اللهم زدني علماً وإيماناً ويقيناً قوله عزّ وجلّ ﴿ولقد عهدنا إلى آدم﴾ يعني أمرناه وأوحينا إليه أن لا يأكل من الشجرة ﴿من قبل﴾ أي من هؤلاء الذين نقضوا عهدي وتركوا الإيمان بي وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله تعالى ﴿لعلهم يتقون﴾ ﴿فنسي﴾ أي فترك ما عهدنا إليه من الاحتراز عن أكل هذه الشجرة وأكل منها، وقيل أراد النسيان الذي هو ضد الذكر ﴿ولم نجد له عزماً﴾ أي صبراً عما نهي عنه وحفظاً لما أمر به، وقيل معناه لم نجد له رأياً معزوماً حيث أطاع عدوه إبليس الذي حسده وأبى أن يسجد له، وقيل معناه لم نجد له عزماً على المقام على المعصية فيكون إلى المدح أقرب قوله عز وجل ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى﴾ أن يسجد ﴿فقلنا يا آدم إن هذا﴾ أي إبليس ﴿عدو لك ولزوجك﴾ أي حواء وسبب العداوة ما رأى من آثار نعمة الله على آدم فحسده فصار عدواً له ﴿فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ أسند الخروج إليه، وإن كان الله تعالى هو

بالقرآن ﴾، أراد النبي ﷺ لأنه كان إذا نزل عليه جبريل بالقرآن يبادر فيقرأ معه قبل أن يفرغ جبريل مما يريد من التلاوة، ومخافة الانفلات والنسيان، فنهاه الله عن ذلك، وقال: ﴿ ولا تعجلْ بالقرآن ﴾ أي لا تعجل بقراءته، ﴿ من قبل أنْ يُقضى إليك وحيُه ﴾، أي من قبل أن يفرغ جبريل من الإبلاغ، نظيره قوله تعالى: ﴿ لا تحرك به لسانك ﴾ [القيامة: ١٦] وقرأ يعقوب: (نقضي) بالنون وفتحها وكسر الضاد، وفتح الياء: ﴿ وحيه ﴾ بالنصب، وقال مجاهد وقتادة: معناه لا تقرئه أصحابك ولا تمله عليهم حتى يتبيّن لك معانيه، ﴿ وقلْ ربِّ زِدْني علماً ﴾، يعني بالقرآن ومعانيه. وقيل: علماً إلى ما علمت. وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال: اللّهمّ زدني إيماناً ويقيناً.

قوله تعالى: ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل ﴾، يعني أمرناه وأوحينا إليه أن لا يأكل من الشجرة من قبل هؤلاء الذين نقضوا عهدك وتركوا الإيمان بي، وهم الذين ذكرهم الله في قوله تعالى: ﴿ لعلهم يتقون ﴾ [طه: ١١٣]، ﴿ فنسيَ ﴾، فترك الأمر، والمعنى أنهم نقضوا العهد فإن آدم أيضاً عهدنا إليه فنسي، ﴿ ولم نجدْ له عزما ﴾، قال الحسن لم نجد له صبراً عمّا نُهي عنه وقال عطية العوفي: حفظاً لما أُمر به. وقال ابن قتيبة: رأياً معزوماً حيث أطاع عدوّه إبليس الذي حسده وأبى أن يسجد له، والعزم في اللغة هو توطين النفس على الفعل، قال أبو أمامة الباهلي: لو وزن حلم آدم بحلم جميع ولده لرجح حلمه، وقد قال الله: ﴿ ولم نجد له عزماً ﴾، فإن قيل: أتقولون إن آدم كان ناسياً لأمر الله حين أكل من الشجرة؟ قيل: يجوز أن يكون نسي أمره، ولم يكن النسيان في ذلك الوقت مرفوعاً عن الإنسان بل كان مؤخذاً به، وإنما رفع عنّا، وقيل: نسي عقوبة الله وظن أنه نهاه تنزيهاً.

قوله تعالى: ﴿ وإذْ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ إبليس أبى ﴾، أن يسجد.

﴿ فقلنا يا آدم إنّ هذا عدوٌّ لك ولزوجك ﴾، حواء، ﴿ فلا يخرجنّكما من الجنّة فتشقى ﴾، يعني تتعب وتنصب، ويكون عيشك من كدّ يمينك بعرق جبينك. قال السدي: يعني الحرث والزرع والحصيد والطحن

المخرج لأنه لما كان بوسوسته وفعل آدم ما يترتب عليه الخروج صح ذلك. ومعنى تشقى تتعب وتنصب ويكون عيشك من كد يمينك بعرق جبينك، وهو الحرث والزرع والحصد والطحن والخبز قيل أهبط إلى آدم ثور أحمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه فكان ذلك شقاءه. فإن قلت لم أسند الشقاء إلى آدم دون حواء.

قلت فيه وجهان أحدهما: أن في ضمن شقاء الرجل شقاء أهله، كما أن في سعادته سعادتهم لأنه القيم عليهم. الثاني: إنه أريد بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك على الرجل دون المرأة لأن الرجل هو الساعي على زوجته **﴿إن لك أن لا تجوع فيها﴾** يعني الجنة **﴿ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها﴾** أي تعطش **﴿ولا تضحى﴾** أي تبرز للشمس فيؤذيك حرها لأنه ليس في الجنة شمس وأهلها في ظل ممدود والمعنى أن الشبع والري والكسوة والسكن هي الأمور التي يدور عليها كفاف الإنسان. فذكر الله تعالى حصول هذه الأشياء في الجنة وإنه مكفي لا يحتاج إلى كفاية كاف ولا إلى كسب كاسب كما يحتاج إليه أهل الدنيا.

فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا
فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ
وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا
يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ
رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ
أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى
مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾

﴿فوسوس إليه الشيطان﴾ أي أنهى إليه الوسوسة فأسر إليه ثم بين تلك الوسوسة ما هي فقال **﴿قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد﴾** أي على الشجرة التي إن أكلت منها بقيت مخلداً **﴿وملك لا يبلى﴾** أي لا يبيد ولا يفنى رغبة في دوام الراحة، فكان الشيء الذي رغب الله فيه آدم رغبه إبليس فيه، إلا أن الله تعالى وقف ذلك على الاحتراز عن تلك الشجرة وإبليس وقفه على الإقدام عليها وآدم مع كمال علمه بأن الله تعالى هو خالقه وربه ومولاه وناصره، وإبليس هو عدوه أعرض عن قول الله تعالى ولم يرد المخالفة ومن تأمل هذا السر عرف أنه لا دفع لقضاء الله ولا مانع

والخبز. وعن سعيد بن جبير: قال أهبط إلى آدم ثور أحمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه، فذلك شقاؤه، ولم يقل: فتشقيا رجوعاً به إلى آدم لأن تعبه أكثر فإن الرجل هو الساعي على زوجته. وقيل: لأجل رؤوس الآي.

﴿ إِنَّ لك أنْ لا تجوع فيها ﴾، أي في الجنة **﴿ ولا تعرى ﴾**.

﴿ وأنك ﴾، قرأ نافع وأبو بكر بكسر الألف على الاستئناف، وقرأ الآخرون بالفتح نسقاً على قوله: **﴿ ألّا تجوع فيها ﴾** **﴿ لا تظمأ ﴾**، لا تعطش، **﴿ فيها ولا تضحى ﴾**، يعني لا تبرز للشمس فيؤذيك حرّها. وقال عكرمة: لا تصيبك الشمس وأذاها، لأنه ليس في الجنة شمس، وأهلها في ظل ممدود.

﴿ فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هلْ أدلُّكَ على شجرةِ الخُلْدِ ﴾، يعني على شجرة إن أكلت منها بقيت مخلداً، **﴿ ومُلْك لا يبلى ﴾**، لا يبيد ولا يفنى.

منه. وقوله تعالى ﴿**فأكلا منها**﴾ يعني أكل آدم وحواء من الشجرة ﴿**فبدت لهما سوءاتهما**﴾ أي عريا من الثياب التي كانت عليهما حتى بدت فروجهما وظهرت عوراتهما ﴿**وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة**﴾ أي يلزقان بسوءاتهما من ورق التين ﴿**وعصى آدم ربه**﴾ أي بأكل الشجرة ﴿**فغوى**﴾ أي فعل ما لم يكن له فعله وقيل أخطأ طريق الحق وضل حيث طلب الخلد بأكل ما نهي عنه فخاب ولم ينل مراده وصار من العز إلى الذل ومن الراحة إلى التعب. قال ابن قتيبة: يجوز أن يقال عصى آدم ولا يجوز أن يقال آدم عاص، لأنه إنما يقال لمن اعتاد فعل المعصية كالرجل يخيط ثوبه يقال خاط ثوبه ولا يقال هو خياط حتى يعاود ذلك مراراً ويعتاده. (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت أبونا أخرجتنا من الجنة فقال له آدم أنت يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده أفتلومني على أمر قدره الله تعالى علي قبل أن يخلقني بأربعين عاماً فحج آدم موسى».

وفي رواية لمسلم «قال آدم بكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق قال موسى بأربعين سنة قال فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى. قال له نعم قال فهل تلومني على أن عملت عملاً كتب الله علي أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة. قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فحج آدم موسى».

الكلام على معنى الحديث وشرحه

قوله احتج آدم وموسى: المحاجة المجادلة والمخاصمة يقال حاججت فلاناً فحججته أي جادلته فغلبته. قال أبو سليمان الخطابي: قد يحسب كثير من الناس أن معنى القدر والقضاء من الله تعالى على معنى الإجبار والقهر للعبد على ما قضاه وقدره، ويتوهم أن قوله فحج آدم وموسى من هذا الوجه وليس كذلك. وإنما معناه الإخبار عن تقدم علم الله بما يكون من أفعال العباد وإكسابهم وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها شرها. والقدر اسم لما صدر مقدراً عن فعل القادر والقضاء في هذا معناه الخلق وإذا كان الأمر كذلك فقد بقي عليهم من وراء علم الله فهم أفعالهم وأكسابهم ومباشرتهم الأمور وملابستهم إياها عن قصد وتعمد وتقدم إرادة واختيار. فالحجة إنما تلزمهم بها واللائمة تلحقهم عليها وجماع القول في هذا أنهما أمران لا ينفك أحدهما عن الآخر لأن أحدهما بمنزلة الأساس والآخر بمنزلة البناء. فمن رام الفصل بينهما فقد رام هذا البناء ونقضه وإنما موضع الحجة لآدم على موسى أن الله تعالى كان قد علم من آدم أنه يتناول الشجرة ويأكل منها، فكيف يمكنه أن يرد علم الله فيه وأن يبطله بعد ذلك. وإنما كان تناوله الشجرة سبباً لنزوله إلى الأرض التي خلق لها وإنما أدلى آدم بالحجة على هذا المعنى ودفع لائمة موسى عن نفسه ولذلك قال أتلومني على أمر قدره الله علي من قبل أن يخلقني.

﴿ **فأكلا** ﴾، يعني آدم وحواء عليهما السلام، ﴿ **منها فبدتْ لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربَّه** ﴾، بأكل الشجرة، ﴿ **فغوى** ﴾، يعني فعل ما لم يكن له فعله. وقيل: أخطأ طريق الحق وضلّ حيث طلب الخلد بأكل ما نُهِيَ عن أكله، فخاب ولم ينل مراده. وقال ابن الأعرابي: أي فسد عليه عيشه وصار من العزِّ إلى الذل، ومن الراحة إلى التعب. قال ابن قتيبة: يجوز أن يقال عصى آدم ولا يجوز أن يقال آدم عاصٍ لأنه إنما يقال عاصٍ لِمَن اعتاد فعل المعصية، كالرجل يخيط ثوبه يقال خاط ثوبه ولا يقال هو خياط حتى يعاود ذلك ويعتاده، حدّثنا أبو الفضل زياد بن محمد الحنفي أنا أبو معاذ الشاه عبد الرحمن المزني أبو بكر عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري ببغداد أنا يونس بن عبد الأعلى الصدفي أنا سفيان بن عيينة بن عمرو بن دينار عن طاوس سمعَ أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «احتجّ آدم وموسى، فقال موسى: يا آدم أنت أبونا وأخرجتنا من الجنة، فقال آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخطّ لك التوراة بيده، أفتلومني على أمر قدّره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة: فحجّ آدم موسى». ورواه عبد الرحمن الأعرج عن أبي هريرة وزاد: «قال آدم يا موسى بكم

فصل: في بيان عصمة الأنبياء وما قيل في ذلك

قال الإمام فخر الدين الرازي: اختلف الناس في عصمة الأنبياء وضبط القول فيها يرجع إلى أقسام أربعة، أحدها: ما يقع في باب الاعتقاد وهو اعتقاد الكفر والضلال فإن ذلك غير جائز عليهم. الثاني: ما يتعلق بالتبليغ فقد أجمعت الأمة على كونهم معصومين عن الكذب مواظبين على التبليغ والتحريض. وإلا لارتفع الوثوق بالأداء واتفقوا على أن ذلك لا يجوز وقوعه منهم عمداً ولا سهواً ومن الناس من جوز ذلك سهواً قالوا لأن الاحتراز عنه غير ممكن. الثالث: ما يتعلق بالفتيا فأجمعوا على أنه لا يجوز خطؤهم فيها على سبيل العمد وأجازه لبعضهم على سبيل السهو. الرابع: ما يقع في أفعالهم فقد اختلفت الأمة فيه على خمسة أقوال. أحدها: قول من جوز عليهم الكبائر. الثاني: قول من منع من الكبائر وجوز الصغائر على جهة العمد وهو قول أكثر المعتزلة. الثالث: لا يجوز أن يأتوا بصغيرة ولا كبيرة البتة بل على جهة التأويل وهو قول الجبائي. الرابع: أنه لا يقع منهم الذنب إلا على جهة السهو والخطأ. الخامس: أنه لا يقع منهم لا كبيرة ولا صغيرة لا على سبيل العمد ولا على سبيل السهو ولا على سبيل التأويل، وهو قول الشيعة. واختلفت الناس في وقت العصمة على ثلاثة أقوال: أحدها: قول من ذهب إلى أنهم معصومون من حين وقت الولادة وهو قول الشيعة. الثاني: قول من ذهب إلى عصمتهم من وقت بلوغهم وهو قول أكثر المعتزلة. الثالث قول من ذهب إلى أن ذلك لا يجوز منهم بعد النبوة وهو قول أكثر أصحابنا وأبي الهزيل وأبي علي من المعتزلة.

قال الإمام والمختار عندنا لم يصدر عنهم ذنب لا صغيرة ولا كبيرة من حين جاءتهم النبوة. ويدل عليه وجوه أحدها: لو صدر الذنب عنهم لكانوا أقل درجة من أحد الأمة وذلك غير جائز لأن درجة الأنبياء غاية في الرفعة والشرف. الثاني: لو صدر منه وجب أن لا يكون مقبول الشهادة فكان أقل حالاً من عدول الأمة وذلك غير جائز أيضاً لأن معنى النبوة والرسالة هو أنه يشهد على الله أنه شرع هذا الحكم، وأيضاً فإنه يوم القيامة شاهد على الكل. الثالث: لو صدر من النبي ذنب وجب الاقتداء به فيه وذلك محال. الرابع: ثبت ببديهة العقل أنه لا شيء أقبح بمن رفع الله درجته وائتمنه على وحيه وجعله خليفته في عباده وبلاده يسمع ربه يناديه لا تفعل كذا فيقدم عليه ويفعله ترجيحاً لغرضه. واجتمعت الأمة على أن الأنبياء كانوا يأمرون الناس بطاعة الله فلو لم يطيعوه لدخلوا تحت قوله ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾ وقال ﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه﴾. الخامس: قال الله تعالى ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات﴾ ولفظه للعموم فيتناول الكل ويدل على فعل ما ينبغي فعله وترك ما ينبغي تركه، فثبت أن الأنبياء كانوا فاعلين لكل خير وتاركين لكل منهي وذلك ينافي صدور الذنب عنهم.

وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق؟ قال موسى: بأربعين عاماً، قال آدم: فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى؟ قال: نعم، قال: أفتلومني على أن عملت عملاً كتبه الله عليَّ أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ قال رسول الله ﷺ: فحجّ آدم موسى».

﴿ ثم اجتباه ربُّه ﴾، اختاره واصطفاه، **﴿ فتاب عليه ﴾**، بالعفو، **﴿ وهدى ﴾**، هداه إلى التوبة حتى قالا ربنا ظلمنا أنفسنا.

﴿ قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو، فإمّا يأتينّكم مني هدىً فمَن اتّبع هداي ﴾، يعني الكتاب والرسول، **﴿ فلا يضلُّ ولا يشقى ﴾**، روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: مَن قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله في الدنيا من الضلالة، ووقاه الله يوم القيامة سوء الحساب، وذلك بأن الله يقول: **﴿ فمَن اتّبع هدايَ فلا يضلُّ ولا يشقى﴾**. وقال الشعبي عن ابن عباس: أجار الله تعالى تابعَ القرآن من أن يضلّ في الدنيا ويشقى في الآخرة، وقرأ هذه الآية.

السادس: قال الله تعالى: ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس إن الله سميع بصير﴾.

وقال تعالى: ﴿إن الله اصطفى آدم وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين﴾ وقال تعالى في حق موسى: ﴿إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي﴾ وقال تعالى: ﴿واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾ وغير ذلك من الآيات التي تدل على كونهم موصوفين بالاصطفاء والخيرة، وذلك ينافي صدور الذنب عنهم، وذكر غير ذلك من الوجوه. قال وأما المخالف فقد تمسك بآيات منها قصة آدم هذه، والجواب عنها أن نقول إن كلامهم إنما يتم أن لو بينوا بالدلالة أن ذلك كان حال النبوة وذلك ممنوع ولم لا يجوز أن يقال إن آدم حال ما صدرت عنه هذه الأشياء ما كان نبياً وإن هذه الواقعة كانت قبل النبوة وإن الله تعالى قبل توبته وشرفه بالنبوة والرسالة. وقال القاضي عياض وأما قصة آدم ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ أي جهل وقيل أخطأ فقد أخبر الله تعالى بعذره في قوله: ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً﴾ أي نسي عداوة إبليس له وما عهد الله إليه. وقيل لم يقصد المخالفة استحلالاً لها ولكنه اغتر بحلف إبليس له إني لكما لمن الناصحين وتوهم أن أحداً لا يحلف بالله كاذباً، وقيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم نجد له عزماً أي قصداً للمخالفة، وقيل بل أكل من الشجرة متأولاً وهو لا يعلم أنها الشجرة التي نهي عنها لأنه تأول نهي الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس، ولهذا قيل إنما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تأول أن الله تعالى لم ينه نهي تحريم.

فإن قلت إذا نفيت عنهم الذنوب والمعاصي فما معنى قوله: ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ وما تكرر في القرآن والحديث من اعتراف الأنبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم وإشفاقهم وبكائهم على ما سلف منهم وهل يتوب ويستغفر من لا شيء عليه. قلت إن درجة الأنبياء في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته في عباده وعظم سلطانه وقوة بطشه، مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والإشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم، وإنهم في تصرفهم بأمور لم ينهوا عنها ولم يؤمروا، وأتوها على وجه التأويل أو السهو وتزيدوا من أمور الدنيا المباحة أوخذوا عليها وعوتبوا بسببها أو حذروا من المؤاخذة بها فهم خائفون وجلون، وهي ذنوب بالإضافة إلى علو منصبهم ومعاص بالنسبة إلى كمال طاعتهم، لا أنها ذنوب كذنوب غيرهم ومعاصيهم كان هذا أدنى أفعالهم وأسوأ ما يجري من أحوالهم كما قيل حسنات الأبرار سيئات المقربين، أي يرونها بالإضافة إلى علو أحوالهم كالسيئات وسنذكر في كل موضع ما يليق به وما قيل فيه إن شاء الله تعالى. قوله عز وجل: ﴿ثم اجتباه ربه﴾ أي اختاره واصطفاه ﴿فتاب عليه﴾ أي عاد

﴿ ومَن أعرض عن ذكري ﴾، يعني القرآن فلم يؤمن به ولم يتبعه، **﴿ فإنّ له معيشةً ضنكاً ﴾**، ضيقاً، رُوِيَ عن ابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري أنهم قالوا: هو عذاب القبر. قال أبو سعيد: يضغط حتى تختلف أضلاعه. وفي بعض المسانيد مرفوعاً. «يلتئم عليه القبر حتى تختلف أضلاعه فلا يزال يعذَّب حتى يُبعَث». وقال الحسن: هو الزقوم والضريع والغسلين في النار. وقال عكرمة: هو الحرام. وقال الضحاك: هو الكسب الخبيث. وعن ابن عباس قال: الشقاء. ورُوِيَ عنه أنه قال: كل ما أُعطي العبد قلّ أم كثر فلم يتقِ فيه فلا خير فيه، وهو الضنك في المعيشة، وإن أقواماً أعرضوا عن الحق وكانوا أُولي سعة من الدنيا مكثرين، فكانت معيشتهم ضنكاً، وذلك أنهم يرون الله ليس بمختلف لهم فاشتدّت عليهم معايشهم من سوء ظنّهم بالله، قال سعيد بن جبير: يسلبه القناعة حتى لا يشبع، **﴿ ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾**، قال ابن عباس: أعمى البصر. وقال مجاهد: أعمى عن الحجة.

﴿ قال ربِّ لِمَ حشرتني أعمى وقد كنتُ بصيراً ﴾، بالعين أو بصيراً بالحجة.

بالعفو والمغفرة ﴿وهدى﴾ أي هداه لرشده حتى رجع إلى الندم والاستغفار ﴿قال اهبطا منها جميعاً﴾ قيل الخطاب لآدم ومعه ذريته ولإبليس ومعه ذريته فصح قوله اهبطا لاشتمال كل واحد من الجنسين على الكثرة، وقيل الخطاب لآدم وحواء لأنهما أصل البشر فجعلا كأنهما البشر فخوطبا بلفظ الجمع ﴿بعضكم لبعض عدو﴾ وقيل في تقوية هذا الظاهر حقه أن يكون إبليس والشياطين أعداء الناس، ويحتمل أن يكون بعض الفريقين لبعض عدواً ﴿فأما يأتينكم مني هدى﴾ أي كتاب ورسول ﴿فمن اتبع هدايَ﴾ أي الكتاب والرسول ﴿فلا يضل ولا يشقى﴾ قال ابن عباس: من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة ووقاه يوم القيامة سوء الحساب وذلك لأن الله تعالى يقول فمن اتبع هداي فلا يضل أي في الدنيا ولا يشقى أي في الآخرة ﴿ومن أعرض عن ذكري﴾ يعني القرآن فلم يؤمن به ولم يتبعه ﴿فإن له معيشة ضنكاً﴾روي عن ابن مسعود وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم أنهم قالوا هو عذاب القبر. قال أبو سعيد يضغط في القبر حتى تختلف أضلاعه.

وفي بعض المسانيد مرفوعاً يلتئم عليه القبر حتى تختلف أضلاعه، فلا يزال يعذب حتى يبعث وقيل هو الزقوم والضريع والغسلين في النار، وقيل الحرام والكسب الخبيث. وقال ابن عباس الشقاء وعنه قال كل ما أعطي العبد قل أم كثر فلم يتق فلا خير فيه وهو الضنك في المعيشة. وإن قوماً أعرضوا عن الحق وكانوا أولي سعة من الدنيا مكثرين منها فكانت معيشتهم وذلك أنهم يرون أن الله ليس بمخلف لهم فاشتدت عليهم معايشهم من سوء ظنهم بالله تعالى. وقيل يسلب القناعة حتى لا يشبع ﴿ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ قال ابن عباس أعمى البصر وقيل أعمى عن الحجة ﴿قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً﴾ يعني بصيراً العين أو بصير بالحجة ﴿قال كذلك﴾ يعني كما ﴿أتتك آياتنا فنسيتها﴾ يعني فطردتها وأعرضت عنها ﴿وكذلك اليوم تنسى﴾ يعني تترك في النار وقيل نسوا من الخير والرحمة ولم ينسوا من العذاب ﴿وكذلك نجزي من أسرف﴾ يعني كما جزينا من أعرض عن القرآن كذلك نجزي من أسرف أي أشرك ﴿ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد﴾ يعني مما يعذبهم الله به في الدنيا والقبر ﴿وأبقى﴾ يعني وأدوم قوله تعالى: ﴿أفلم يهد لهم﴾ يعني أفلم يبين القرآن لكفار مكة ﴿كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم﴾ يعني في ديارهم ومنازلهم إذا سافروا وذلك أن قريشاً كانوا يسافرون إلى الشام فيرون ديار المهلكين من أصحاب الحجر وهم ثمود وقريات قوم لوط ﴿إن في ذلك لآيات لأولي النهى﴾ أي لذوي العقول ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ أي ولولا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم ﴿لكان لزاماً وأجل مسمى﴾ تقديره ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى وهو القيامة لكان العذاب لازماً لهم في الدنيا كما لزم القرون الماضية الكافرة.

﴿ قال كذلك ﴾، أي كما ﴿ أتتك آياتنا فنسيتها ﴾، فتركتها وأعرضت عنها، ﴿ وكذلك اليوم تُنسى ﴾، تترك في النار. قال قتادة: نسُوا من الخير ولم يُنسوْا من العذاب.

﴿ وكذلك ﴾، أي وكما جزينا مَن أعرض عن القرآن كذلك، ﴿ نجزي مَن أسرف ﴾، أشرك، ﴿ ولم يؤمن بآياتِ ربّه ولعذاب الآخرة أشدّ ﴾، مما يعذبهم به في الدنيا والقبر، ﴿ وأبقى ﴾، وأدوم.

﴿ أفلم يهدِ لهم ﴾، يبيّن لهم القرآن يعني كفّار مكة، ﴿ كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ﴾، ديارهم ومنازلهم إذا سافروا، والخطاب لقريش كانوا يسافرون إلى الشام فيرون ديار المهلكين من أصحاب الحِجْرِ وثمود وقريات قوم لوط، ﴿ إنّ في ذلك لآيات لأُولي النُّهى ﴾، لذوي العقول.

﴿ ولولا كلمةٌ سبقتْ من ربِّك لكان لزاماً وأجلٌ مسمىً ﴾، فيه تقديم وتأخير، تقديره: ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً وأجل مسمى، والكلمة الحكم بتأخير العذاب عنهم، أي ولولا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم وأجل مسمى وهو القيامة لكان لزاماً، أي لكان العذاب لازماً لهم كما لزم القرون الماضية الكافرة.

فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ
ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ
وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا
بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ
أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ
أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

﴿فاصبر على ما يقولون﴾ نسختها آية السيف ﴿وسبح بحمد ربك﴾ أي صل بأمر ربك ﴿قبل طلوع الشمس﴾ يعني صلاة الفجر ﴿وقبل غروبها﴾ أي صلاة العصر ﴿ومن آناء الليل﴾ أي ومن ساعاته ﴿فسبح﴾ يعني فصل المغرب والعشاء قال ابن عباس يريد أول الليل ﴿وأطراف النهار﴾ يعني صلاة الظهر سمي وقت الظهر أطراف النهار لأن وقته عند الزوال وهو طرف النصف الأول انتهاء وطرف النصف الآخر ابتداء ﴿لعلك ترضى﴾ أي ترضى ثوابه في المعاد، وقيل معناه لعلك ترضى بالشفاعة، وقرىء ترضى بضم التاء أي تعطى ثوابه، وقيل يرضاك ربك (ق) عن جرير بن عبد الله قال: «كنا عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر وقال إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر لا

﴿ فاصبرْ على ما يقولون ﴾، نسختها آية القتال، ﴿ وسبّحْ بحمدِ ربِّك ﴾، أي صلِّ بأمر ربك. وقيل: صلِّ لله بالحمدلة والثناء عليه، ﴿ قبل طلوع الشمس ﴾، يعني صلاة الصبح، ﴿ وقبل غُروبها ﴾، صلاة العصر، ﴿ ومن آناء الليل ﴾ ساعاتها واحدها أنى، ﴿ فسبّحْ ﴾، يعني صلاة المغرب والعشاء. قال ابن عباس: يريد أول الليل، ﴿ وأطراف النهار ﴾، يعني صلاة الظهـر، وسمّي وقت الظهر أطراف النهار لأن وقته عند الزوال، وهو النصف الأول انتهاءً وطرف النصف الآخر ابتداء، وقيل: المراد من آناء الليل صلاة العشاء ومن أطراف النهار صلاة الظهر والمغرب، لأن الظهر في آخر الطرف الأول من النهار، وفي أول الطرف الآخر من النهار، فهو في طرفين منه والطرف الثالث غروب الشمس، وعند ذلك يصلّي المغرب، ﴿لعلّك ترضى﴾، أي ترضى ثوابه في المَعاد، وقرأ الكسائي وأبو بكر عن عاصم ترضى بضم التاء أي تعطى ثوابه. وقيل: ترضى أي يرضاك الله تعالى، كما قال: ﴿ وكان عند ربه مرضياً ﴾ [مريم: ٥٥]، وقيل: معنى الآية لعلك ترضى بالشفاعة، كما قال: ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ [الضحى: ٥]، أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الخطيب الحميدي أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ أنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الشيباني إملاء أنا إبراهيم بن عبد الله السعدي أنا يزيد بن هارون أنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله قال: كنّا جلوساً عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا». ثم قرأ ﴿ وسبّح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ﴾.

قوله تعالى: ﴿ ولا تمدنّ عينيك ﴾، قال أبو رافع: نزل برسول الله ﷺ ضيف فبعثني إلى يهودي فقال لي: «قلْ له إن رسول الله يقول لك يعني كذا وكذا من الدقيق وأسلفني إلى هلال رجب» فأتيته فقلت له ذلك فقال والله لا أبيعه ولا أسلفه إلّا برهن، فأتيتُ رسولَ الله ﷺ فأخبرته، فقال: «والله لئن باعني وأسلفني لقضيته وإني لأمينٌ في السماء وأمين في الأرض، اذهبْ بدرعي الحديد إليه» فنزلت هذه الآية: ﴿ ولا تمدنّ عينيك ﴾، لا تنظر، ﴿ إلى ما

تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها» قوله لا تضامون بتخفيف الميم من الضيم، وهو الظلم والمعنى أنكم ترونه جميعاً لا يظلم بعضكم بعضاً في رؤيته وروي بتشديد الميم من الانضمام والازدحام، أي لا يزدحم ولا ينضم بعضكم إلى بعض في رؤيته والكاف في قوله كما ترون هذا القمر كاف التشبيه للرؤية لا للمرئي وهي فعل الرائي، ومعناه ترون ربكم رؤية ينزاح معها الشك كرؤيتكم هذا القمر ليلة البدر ولا ترتابون فيه ولا تشكون قوله عز وجل: ﴿**ولا تمدن عينيك**﴾ قال أبو رافع نزل برسول الله ﷺ ضيف فبعثني إلى يهودي فقال قل له إن رسول الله ﷺ يقول: «بعني كذا وكذا من الدقيق أو سلفني إلى هلال رجب فأتيته فقلت له ذلك فقال والله لا أبيعه ولا أسلفه إلا برهن فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال والله لئن باعني أو أسلفني لقضيته إني لأمين في السماء وأمين في الأرض أذهب بدرعي الحديد إليه» فنزلت هذه الآية: ﴿**ولا تمدن عينيك**﴾ أي لا تنظر نظراً تكاد تردده استحساناً للمنظور إليه وإعجاباً به وتمنياً له ﴿**إلى ما متعنا به**﴾ أي أعطينا ﴿**أزواجاً**﴾ أي أصنافاً ﴿**منهم زهرة الحياة الدنيا**﴾ أي زينتها وبهجتها ﴿**لنفتنهم فيه**﴾ أي لنجعل ذلك فتنة بأن تزيد النعمة فيزيدوا كفراً وطغياناً ﴿**ورزق ربك**﴾ أي في المعاد في الجنة ﴿**خير وأبقى**﴾ أي أدوم وقال أبي بن كعب من لم يعتز بالله تقطعت نفسه حسرات، ومن أتبع بصره ما في أيدي الناس يطل حزنه ومن ظن أن نعمة الله عليه في مطعمه ومشربه وملبسه فقد قل عمله وحضر عذابه. ق

قوله تعالى: ﴿**وأمر أهلك**﴾ أي قومك وقيل من كان على دينك ﴿**بالصلاة**﴾ يعني بالمحافظة عليها ﴿**واصطبر عليها**﴾ يعني اصبر على الصلاة فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل اصبر عليها فإن الوعظ بلسان الفعل أبلغ منه بلسان القول ﴿**لانسألك رزقاً**﴾ أي لا نكلفك أن ترزق أحداً من خلقنا ولا أن ترزق نفسك بل نكلفك عملاً ﴿**نحن نرزقك**﴾ أي بل نحن نرزقك ونرزق أهلك ﴿**والعاقبة للتقوى**﴾ أي الخصلة المحمودة لأهل التقوى قال ابن عباس الذين صدقوك واتبعوك وآمنوا بك وفي بعض المسانيد أن النبي ﷺ كان إذا أصاب أهله ضر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية قوله تعالى؛ ﴿**وقالوا**﴾ يعني المشركين ﴿**لولا يأتينا بآية من ربه**﴾ أي الآية المقترحة فإنه كان قد أتاهم بآيات كثيرة

متّعنا به ﴾، أعطينا، ﴿ **أزواجاً** ﴾، أصنافاً، ﴿ **منهم زهرةَ الحياة الدنيا** ﴾، أي زينتها وبهجتها، وقرأ يعقوب زهرة بفتح الهاء وقرأ العامّة بجزمها، ﴿ **لنفتنهم فيه** ﴾، أي لنجعل ذلك فتنة لهم بأن أزيد لهم النعمة فيزيدوا كفراً وطغياناً، ﴿ **ورِزْقُ ربِّك** ﴾، في المعاد يعني في الجنة، ﴿ **خيرٌ وأبقى** ﴾، قال أُبيّ بن كعب: مَن لم يستعزّ بعزّ الله تقطّعت نفسه حسرات، ومَن يتبع بصره فيما في أيدي الناس بطل حزنه، ومَن ظنّ أن نعمة الله في مطعمه ومشربه وملبسه فقد قلّ عمله وحضر عذابه.

﴿ **وأمرْ أهلك بالصلاة** ﴾، أي قومك. وقيل: مَن كان على دينك، كقوله تعالى: ﴿ **وكان يأمر أهله بالصلاة** ﴾ [مريم: ٥٥]، ﴿ **واصطبر عليها** ﴾، أي اصبر على الصلاة، فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر. ﴿ **لا نسئلك رزقاً** ﴾، لا نكلّفك أن ترزق أحداً من خلقنا، ولا أن ترزق نفسك وإنما نكلّفك عملاً، ﴿ **نحن نرزقك والعاقبة** ﴾، الخاتمة الجميلة المحمودة، ﴿ **للتقوى** ﴾، أي لأهل التقوى. قال ابن عباس: يعني الذين صدّقوك واتّبعوك واتقوني. وفي بعض المسانيد أن النبي ﷺ: «كان إذا أصاب أهله ضرٌّ أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية».

قوله تعالى: ﴿ **وقالوا** ﴾، يعني المشركين، ﴿ **لولا يأتينا بآية من ربه** ﴾، أي الآية المقترحة فإنه كان قد أتاهم بآيات كثيرة، ﴿ **أو لم تأتهم بيّنة** ﴾، قرأ أهل المدينة والبصرة وحفص عن عاصم: ﴿ **تأتهم** ﴾ لتأنيث البيّنة، وقرأ الآخرون بالياء لتقدّم الفعل، ولأن البيّنة هي البيان فردّ إلى المعنى، بيّنةُ ﴿ **ما في الصحف الأولى** ﴾، يعني بيان ما فيها، وهو القرآن أقوى دلالة وأوضح آية: وقيل: أو لم يأتهم بيان ما في الصحف الأولى التوراة والإنجيل

﴿أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى﴾ أي بيان ما فيها وهو القرآن لأنه أقوى دلالة وأوضح آية وقيل معنى ما في الصحف ما في التوراة والإنجيل وغيرهما من أخبار الأمم أنهم اقترحوا الآيات فلما أتتهم لم يؤمنوا فعجلنا لهم العذاب والهلاك فما يؤمنهم إن أتتهم الآية أن يكون حالهم كحال أولئك وقيل بينة ما في الصحف الأولى هي البشارة بمحمد ﷺ ونبوته وبعثته ﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله﴾ أي من قبل إرسال الرسل وإنزال القرآن ﴿لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً﴾ أي لقالوا يوم القيامة أولاً أرسلت إلينا رسولاً يدعونا ﴿فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى﴾ بالعذاب والهوان والافتضاح ﴿قل كل متربص﴾ أي منتظر دوائر الزمان وذلك أن المشركين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون وحوادث الدهر فإذا مات تخلصنا قال الله تعالى: ﴿فتربصوا﴾ أي فانتظروا ﴿فستعلمون﴾ أي إذا جاء أمر الله وقامت القيامة ﴿ومن أصحاب الصراط السوي﴾ يعني المستقيم ﴿ومن اهتدى﴾ يعني من الضلالة نحن أم أنتم والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

وغيرهما من أنباء الأمم أنهم اقترحوا الآيات، فلما أتتهم ولم يؤمنوا بها، كيف عجّلنا لهم العذاب والهلاك، فما يؤمنهم إن أتتهم الآية أن يكون حالهم كحال أولئك.

﴿ ولو أنّا أهلكناهم بعذاب من قبله ﴾، يعني من قبل إرسال الرسول وإنزال القرآن، ﴿ لقالوا ربَّنا لولا ﴾، هلاّ ﴿ أرسلتَ إلينا رسولاً ﴾، يدعونا، أي لقالوا يوم القيامة، ﴿ فنتبِّعَ آياتِك من قبل أنْ نَذِلَّ ونَخْزَى ﴾، بالعذاب والذلّ والهوان والخزي والافتضاح.

﴿ قلْ كلٌّ متربصٌ ﴾، منتظر دوائر الزمان، وذلك أنِ المشركين قالوا نتربص بمحمد حوادث الدهر، فإذا مات تخلصنا، قال الله تعالى: ﴿ فتربصوا ﴾، فانتظروا، ﴿ فستعلمون ﴾، إذا جاء أمر الله وقامت القيامة، ﴿ من أصحاب الصراط السَّوِيّ ﴾، المستقيم، ﴿ ومَن اهتَدَى ﴾، من الضلالة نحن أم أنتم؟.

تفسير سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

وهي مكية وعدد آياتها مائة واثنتا عشرة آية وألف ومائة وثمان وستون كلمة وأربعة آلاف وثمانمائة وتسعون حرفاً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا
اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ
السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا
أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ
أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا
تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ
وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

قوله عز وجل: ﴿اقترب للناس حسابهم﴾ أي وقت محاسبة الله إياهم على أعمالهم يوم القيامة. نزلت في منكري البعث وإنما ذكر الله هذا الاقتراب لما فيه من المصلحة للمكلفين، فيكونون أقرب إلى التأهب له، والمراد بالناس المحاسبون وهم المكلفون دون غيرهم، وقيل هم المشركون وهذا من باب إطلاق اسم الجنس على بعضه ﴿وهم في غفلة معرضون﴾ أي عن التأهب له وقيل معناه أنهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم مع

سُورَةُ الأَنْبِيَاءِ

مكيّة وهي مائة واثنتا عشرة آية.

﴿ اقتربَ للناس ﴾، قيل اللام بمعنى من، يعني اقترب من الناس حسابهم، يعني وقت محاسبة الله إيّاهم على أعمالهم، يعني يوم القيامة، نزلت في منكري البعث، ﴿ وهم في غفلة معرضون ﴾، عن التأهّب له.

﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ﴾، يعني ما يحدث الله من تنزيل شيء من القرآن يذكّرهم ويعظهم به. قال مقاتل: يحدث الله الأمر بعد الأمر. وقيل: الذكر المحدث ما قاله النبي ﷺ وبيّنه من السُّنن والمواعظ سوى القرآن، وأضافه إلى الربِّ عزّ وجلّ لأنه قال بأمر الرب، ﴿ إلّا استمعوه وهم يلعبون ﴾، يعني استمعوه لاعبين لا يعتبرون ولا يتّعظون.

اقتضاء عقولهم أنه لا بد من جزاء المحسن والمسيء ثم إذا نبهوا من سنة الغفلة بما يتلى من الآيات والنذر أعرضوا عنه ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾ يعني ما يحدث الله من تنزيل شيء من القرآن يذكرهم ويعظهم به وقيل معناه إن الله يحدث الأمر بعد الأمر فينزل الآية بعد الآية والسورة بعد السورة في وقت الحاجة لبيان الأحكام وغيرها من الأمور والوقائع وقيل الذكر المحدث ما قاله النبي ﷺ وبينه من السنن والمواعظ سوى ما في القرآن وأضافه إليه لأن الله تعالى قال وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴿إلا استمعوه وهم يلعبون﴾ أي لاعبين لا يعتبرون ولا يتعظون ﴿لاهية قلوبهم﴾ أي ساهية معرضة غافلة عن ذكر الله ﴿وأسروا النجوى الذين ظلموا﴾ أي بالغوا في إخفاء التناجي وهم الذين أشركوا ثم بين سرهم الذي تناجوا به، فقال تعالى مخبراً عنهم ﴿هل هذا إلا بشر مثلكم﴾ يعني أنهم أنكروا إرسال البشر وطلبوا إرسال الملائكة والأولى إرسال البشر إلى البشر لأن الإنسان إلى القبول من أشكاله أقرب ﴿أفتأتون السحر﴾ يعني أتحضرون السحر وتقبلونه ﴿وأنتم تبصرون﴾ يعني تعلمون أنه سحر ﴿قال﴾ لهم محمد ﴿ربي يعلم القول في السماء والأرض﴾ يعني لا يخفى عليه شيء ﴿وهو السميع﴾ لأقوالهم ﴿العليم﴾ بأفعالهم. قوله عز وجل:

﴿بل قالوا أضغاث أحلام﴾ يعني أباطيل وأهاويل رآها في النوم ﴿بل افتراه﴾ يعني اختلقه ﴿بل هو شاعر﴾ وذلك أن المشركين اقتسموا القول في النبي ﷺ وفيما يقوله، فقال بعضهم أضغاث أحلام وقال بعضهم بل هو فرية

﴿ لاهيةً ﴾، ساهيةً غافلة، ﴿ قلوبهم ﴾، معرضة عن ذكر الله، وقوله: ﴿ لاهية ﴾ نعتٌ تقدم الاسم، ومن حق النعت أن يتبع الاسم في الإعراب، وإذا تقدم النعت الاسم فله حالتان فصل ووصل، فحالته في الفصل النصب كقوله تعالى: ﴿ خشعاً أبصارهم ﴾ [القمر: ٧]، ﴿ ودانية عليهم ظلالها ﴾ [الإنسان: ١٤]، و﴿ لاهية قلوبهم ﴾، وفي الوصل حالة ما قبله من الإعراب كقوله: ﴿ ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلُها ﴾ [النساء: ٧٥]. ﴿ وأسرُّوا النَّجْوَى الذين ظلموا ﴾، يعني أشركوا، قوله: ﴿ وأسرّوا ﴾ فعل تقدم الجمع وكان حقه وأسر، قال الكسائي: فيه تقديم وتأخير، أراد: الذين ظلموا أسرّوا النجوى. وقيل: حمل الذين رفع على الابتداء، معناه: وأسرّوا النجوى، ثم قال: وهم الذين ظلموا. وقيل: رفع على البدل من الضمير في أسرّوا. قال المبرّد: هذا كقولك إن الذين في الدار انطلقوا بنو عبد الله، على البدل مما في انطلقوا ثم بيّن سرّهم الذي تناجوا به فقال: ﴿ هل هذا إلّا بشرٌ مثلكم ﴾، أنكروا إرسال البشر وطلبوا إرسال الملائكة، ﴿ أفتأتون السحر ﴾، يعني تحضرون السحر وتقبلونه، ﴿ وأنتم تبصرون ﴾، تعلمون أنه سحر.

﴿ قال ﴾، لهم محمد، ﴿ ربي يعلم القولَ في السماء والأرض ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص: ﴿ قال ربي ﴾، على الخبر عن محمد ﷺ، ﴿ يعلم القول في السماء والأرض ﴾ أي لا يخفى عليه شيء، ﴿ وهو السميع ﴾، لأقوالهم، ﴿ العليم ﴾، بأفعالهم.

﴿ بل قالوا أضغاث أحلام ﴾، أباطيلها وأقاويلها وأهاويلها رآها في النوم، ﴿ بل افتراه ﴾، اختلقه، ﴿ بل هو شاعر ﴾، يعني أن المشركين اقتسموا القول فيه وفيما يقوله، قال بعضهم: أضغاث أحلام. وقال بعضهم: بل هو فرية. وقال بعضهم: بل محمد شاعر وما جاءكم به شعر. ﴿ فليأتنا ﴾ محمد، ﴿ بآية ﴾، إن كان صادقاً ﴿ كما أُرسل الأوّلون ﴾، من الرسل بالآيات.

قال الله تعالى مجيباً لهم: ﴿ ما آمنت قبلهم ﴾، أي قبل مشركي مكة، ﴿ من قرية ﴾، أي من أهل قرية أتتهم الآيات، ﴿ أهلكناها ﴾، أهلكناهم بالتكذيب، ﴿ أفهم يؤمنون ﴾، إن جاءتهم آية، معناه: أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما أتتهم أفيؤمن هؤلاء.

وقال بعضهم هو شاعر وما جاءكم به شعر ﴿فليأتنا﴾ يعني النبي ﷺ ﴿بآية﴾ يعني بحجة إن كان صادقاً ﴿كما أرسل الأولون﴾ أي من الرسل بالآيات، قال الله تعالى مجيباً لهم ﴿ما آمنت قبلهم﴾ أي قبل مشركي مكة ﴿من قرية﴾ أي من أهل قرية أتتهم الآيات ﴿أهلكناها﴾ يعني بالتكذيب ﴿أفهم يؤمنون﴾ يعني إن جاءتهم آية والمعنى أن أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما جاءتهم أفيؤمن هؤلاء. قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم﴾ هذا جواب لقولهم هل هذا إلا بشر مثلكم، والمعنى إنا لم نرسل الملائكة إلى الأولين إنما أرسلنا رجالاً يوحى إليهم مثلك ﴿فاسألوا أهل الذكر﴾ يعني أهل التوراة والإنجيل يريد علماء أهل الكتاب، فإنهم لا ينكرون أن الرسل كانوا بشراً وإن أنكروا نبوة محمد ﷺ أمر الله المشركين بسؤال أهل الكتاب لأن المشركين أقرب إلى تصديقهم من تصديق من آمن بالنبي ﷺ وقيل أراد بالذكر القرآن يعني فاسئلوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن ﴿إن كنتم لا تعلمون﴾ قوله عز وجل: ﴿وما جعلناهم﴾ أي الرسل ﴿جسداً لا يأكلون الطعام﴾ هذا رد لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام، والمعنى لم نجعلهم ملائكة بل جعلناهم بشراً يأكلون الطعام ﴿وما كانوا خالدين﴾ يعني في الدنيا بل يموتون كغيرهم ﴿ثم صدقناهم الوعد﴾ يعني الذي وعدناهم بإهلاك أعدائهم ﴿فأنجيناهم ومن نشاء﴾ يعني من المؤمنين الذين صدقوهم ﴿وأهلكنا المسرفين﴾ يعني المشركين لأن المشرك مسرف على نفسه. قوله عز وجل: ﴿لقد أنزلنا إليكم﴾ يعني يا معشر قريش ﴿كتاباً فيه ذكركم﴾ يعني شرفكم وفخركم وهو شرف لمن آمن به، وقيل معناه فيه حديثكم، وقيل فيه ذكر ما تحتاجون إليه من أمر دينكم وقيل فيه تذكرة لكم لتحذروا فيكون الذكر بمعنى الوعد والوعيد ﴿أفلا تعقلون﴾ فيه بعث على التدبر لأن الخوف من لوازم العقل. قوله تعالى:

وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا
يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾
فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ

﴿ وما أرسلنا قبلك إلاّ رجالاً نُوحي إليهم ﴾، هذا جواب لقولهم: ﴿ هل هذا إلاّ بشرٌ مثلكم ﴾ [الأنبياء: ٣] يعني إنّا لم نرسل الملائكة إلى الأوّلين إنما أرسلنا رجالاً نوحي إليهم، ﴿ فاسْئلوا أهلَ الذكر ﴾، يعني أهل التوراة والإنجيل يريد علماء أهل الكتاب فإنهم لا ينكرون أن الرسل كانوا بشراً، وإن أنكروا نبوّة محمد ﷺ وأمر المشركين بمسالمتهم لأنهم إلى تصديق مَن لم يؤمن بالنبي ﷺ أقرب منهم إلى تصديق مَن آمن به. وقال ابن زيد: أراد بالذكر القرآن فاسألوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن، ﴿ إن كنتم لا تعلمون ﴾.

﴿ وما جعلناهم ﴾، أي الرسل، ﴿ جسداً ﴾، ولم يقل أجساداً لأنه اسم الجنس، ﴿ لا يأكلون الطعام ﴾، هذا ردّ لقولهم ﴿ ما لهذا الرسول يأكل الطعام ﴾ [الفرقان: ٧]، يقول لم نجعل الرسل ملائكة بل جعلناهم بشراً يأكلون الطعام، ﴿ وما كانوا خالدين ﴾، في الدنيا.

﴿ ثم صَدَقْنَاهم الوعد ﴾، الذي وعدناهم بإهلاك أعدائهم، ﴿ فأنجيناهم ومن نشاء ﴾، يعني أنجينا المؤمنين الذين صدّقوهم، ﴿ وأهلكنا المسرفين ﴾، يعني المشركين المكذبين، وكل مشرك مسرف على نفسه.

﴿ لقد أنزلنا إليكم كتاباً ﴾، يا معشر قريش، ﴿ فيه ذكركم ﴾، يعني شرفكم، كما قال: ﴿ وإنه لذكر لك ولقومك ﴾ [الزخرف: ٤٤]، وهو شرف لمَن آمن به، وقال مجاهد: فيه حديثكم وقال الحسن: فيه ذكركم أي ذكر ما تحتاجون إليه من أمر دينكم، ﴿ أفلا تعقلون ﴾.

أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾

﴿**وكم قصمنا**﴾ يعني أهلكنا ﴿**من قرية كانت ظالمة**﴾ يعني كافرة والمراد أهل القرية ﴿**وأنشأنا بعدها**﴾ أي أحدثنا بعد هلاك أهلها ﴿**قوماً آخرين فلما أحسوا بأسنا**﴾ أي عذابنا بحاسة البصر ﴿**إذا هم منها يركضون**﴾ يعني يسرعون هاربين من قريتهم لما رأوا مقدمة العذاب ﴿**لا تركضوا**﴾ يعني قيل لهم لا تهربوا ﴿**وارجعوا إلى ما أترفتم فيه**﴾ يعني تنعمتم فيه من العيش ﴿**ومساكنكم لعلكم تسألون**﴾ قال ابن عباس عن قتل نبيكم، قيل نزلت هذه الآية في أهل حضرموت قرية باليمن، وكان أهلها عرباً فبعث الله إليهم نبياً يدعوهم إلى الله فكذبوه وقتلوه، فسلط الله عليهم بختنصر فقتلهم وسباهم، فلما استمر فيهم القتل هربوا فقالت الملائكة لهم استهزاء لا تركضوا، أي لا تهربوا وارجعوا إلى مساكنكم وأموالكم لعلكم تسألون شيئاً من دنياكم فتعطون من شئتم وتمنعون من شئتم، فإنكم أهل ثروة ونعمة فأتبعهم بختنصر وأخذتهم السيوف، ونادى مناد من جو السماء يا لثارات الأنبياء فلما رأوا ذلك، أقروا بالذنوب حين لم ينفعهم ﴿**قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين**﴾ يعني لأنفسنا حين كذبنا الرسل وذلك أنهم اعترفوا بالذنب حين عاينوا العذاب، وقالوا ذلك على سبيل الندامة ولم ينفعهم الندم ﴿**فما زالت تلك دعواهم**﴾ يعني تلك الكلمة وهي قولهم يا ويلنا ﴿**حتى جعلناهم حصيداً**﴾ يعني بالسيوف كما يحصد الزرع ﴿**خامدين**﴾ يعني ميتين.

﴿ **وكم قَصَمْنَا** ﴾، أهلكنا، والقصم الكسر، ﴿ **من قرية كانت ظالمة** ﴾، أي كافرة، يعني أهلها، ﴿ **وأنشأنا بعدها** ﴾، يعني: أحدثنا بعد هلاك أهلها، ﴿ **قوماً آخرين** ﴾.

﴿ **فلمّا أحسّوا بأسنا** ﴾، يعني رأوا عذابنا بحاسّة البصر، ﴿ **إذا هم منها يركضون** ﴾، يعني يُسرعون هاربين.

﴿ **لا تركضوا** ﴾، يعني قيل لهم لا تركضوا لا تهربوا لا تذهبوا، ﴿ **وارجعوا إلى ما أُترفتم فيه** ﴾، يعني نعمتم به، ﴿ **ومساكنكم لعلّكم تسئلون** ﴾، قال ابن عباس: عن قتل نبيّكم. وقيل: من دنياكم شيئاً، نزلت الآية في أهل حضرموت، وهي قرية باليمن وكان أهلها من العرب، فبعث الله إليهم نبيّاً يدعوهم إلى الله فكذّبوه وقتلوه فسلّط الله عليهم بختنصّر، حتى قتلهم وسباهم، فلما استمر فيهم القتل ندموا وهربوا وانهزموا، فقالت الملائكة لهم استهزاءً لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم وأموالكم لعلّكم تُسئلون، قال قتادة: لعلكم تسئلون شيئاً من دنياكم فتعطون مَن شئتم وتمنعون مَن شئتم، فإنكم أهل ثروة ونعمة، يقولون ذلك استهزاءً بهم، فاتبعهم بختنصّر وأخذتهم السيوف، ونادى منادٍ في جوّ السماء يا ثارات الأنبياء، فلما رأوا ذلك أقرّوا بالذنوب حين لم ينفعهم.

﴿ **قالوا يا ويلنا إنّا كنّا ظالمين** ﴾.

﴿ **فما زالتْ تلكَ دعواهم** ﴾، أي تلك الكلمة وهي قولهم يا ويلنا، دعاؤهم يدعون بها ويردّدونها، ﴿ **حتى جعلناهم حصيداً** ﴾، بالسيوف كما يحصد الزرع، ﴿ **خامدين** ﴾، ميّتين.

﴿ **وما خلقنا السماءَ والأرضَ وما بينهما لاعبين** ﴾، أي عبثاً وباطلاً.

﴿ **لو أردنا أن نتّخذ لهواً** ﴾، اختلفوا في اللهو، قال ابن عباس في رواية عطاء: اللهو ههنا المرأة، وهو قول

قوله عز وجل: ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين﴾ معناه ماسوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من العجائب للعب واللهو، سويناهما لفوائد منها التفكر في خلقهما وما فيهما من العجائب والمنافع التي لا تعد ولا تحصى ﴿لو أردنا أن نتخذ لهواً﴾ قال ابن عباس: اللهو المرأة وعنه أنه الولد ﴿لاتخذناه من لدنا﴾ يعني من عندنا من الحور العين لا من عندكم من أهل الأرض، وقيل معناه لو كان ذلك جائزاً في حقنا لم نتخذه بحيث يظهر لكم بل نستر، ذلك حتى لا تتطلعوا عليه، وذلك أن النصارى لما قالوا، في المسيح وأمه ما قالوا رد الله عليهم بقوله لاتخذناه من لدنا لأنكم تعلمون أن ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لا عند غيره ﴿إن كنا فاعلين﴾ يعني ما كنا فاعلين، وقيل ما كنا ممن يفعل ذلك لأنه لا يليق بالربوبية ﴿بل﴾ يعني دع ذلك الذي قالوه فإنه كذب وباطل ﴿نقذف﴾ يعني نرمي ونسلط ﴿بالحق﴾ يعني بالإيمان ﴿على الباطل﴾ يعني على الكفر، وقيل الحق قول الله أنه لا ولد له والباطل قولهم اتخذ الله ولداً ﴿فيدمغه﴾ فيهلكه ﴿فإذا هو زاهق﴾ يعني ذاهب والمعنى أنا نبطل كذبهم بما نبين من الحق حتى يذهب ويضمحل، ثم أوعدهم على كذبهم فقال تعالى (ولكم الويل) يا معشر الكفار (مما تصنعون) الله بما لا يليق من الصاحبة والولد ﴿وله من في السموات والأرض﴾ يعني عبيداً وملكاً وهو الخالق لهم والمنعم عليهم بأصناف النعم ﴿ومن عنده﴾ يعني الملائكة وإنما خص الملائكة وإن كانوا داخلين في جملة من في السموات لكرامتهم ومزيد الاعتناء بهم ﴿لا يستكبرون عن عبادته﴾ يعني لا يتكبرون ولا يتعظمون عنها ﴿ولا يستحسرون﴾ يعني لا يعيون ولا يتعبون، وقيل لا ينقطعون عن العبادة ثم وصفهم الله تعالى ﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ يعني لا يضعفون ولا يسأمون، وذلك أن تسبيحهم متصل دائم لا يفتر في جميع أوقاتهم لا تتخلله فترة بفراغ أو شغل أخر قال كعب الأحبار التسبيح لهم كالنفس لبني آدم ﴿أم اتخذوا آلهة من الأرض﴾ يعني الأصنام من الحجارة والخشب وغيرهما من المعادن وهي من الأرض ﴿هم ينشرون﴾ يعني يحيون الأموات، إذ لا يستحق الإلهية إلا من يقدر على الإحياء والإيجاد من العدم والإنعام بأبلغ وجوه النعم، وهو الله عز وجل ﴿لو كان فيهما﴾ يعني في السماء والأرض ﴿آلهة إلا الله﴾ يعني غير الله (لفسدنا) يعني لخربتا وهلك من فيهما الوجود والتمانع من الآلهة لأن كل أمر صدر عن الاثنين فأكثر لم يجر على النظام وقال الإمام فخر الدين الرازي قال المتكلمون القول بوجود إلهين يفضي إلى المحال، فوجب أن

الحسن وقتادة، وقال في رواية الكلبي: اللهو الولد، وهو قول السدي، وهو في المرأة أظهر لأن الوطء يسمى لهواً في اللغة، والمرأة محل الوطء. ﴿ لاتّخذناه من لدنّا ﴾، يعني من عندنا من حور العين لا من عندكم من أهل الأرض. وقيل: معناه لو كان جائزاً ذلك في صفته لم يتخذه بحيث يظهر لهم بل يستر ذلك حتى لا يطلعوا عليه، وتأويل الآية أن النصارى لمّا قالوا في المسيح وأُمه ما قالوا رَدّ الله عليهم بهذا وقال: ﴿ لاتخذناه من لدنا ﴾ لأنكم تعلمون أن ولد الرجل وزوجته يكونـان عنده، لا عند غيره، ﴿ إنْ كنّا فاعلين ﴾، قال قتادة ومقاتل وابن جريج: ﴿ إنْ ﴾ للنفي، معناه: ما كنّا فاعلين. وقيل: ﴿ إن كنّا فاعلين ﴾ للشرط أي كنّا ممّن يفعل ذلك لاتخذناه من لدنّا، ولكنّا لم نفعله لأنه لا يليق بالربوبية.

﴿ بل ﴾، يعني دع ذلك الذي قالوا فإنه كذب وباطل، ﴿ نقذف ﴾، نرمي ونسلّط، ﴿ بالحق ﴾، بالإيمان، ﴿ على الباطل ﴾، على الكفر، وقيل: الحق قول الله، فإنه لا ولد له، والباطل قولهم اتخذ الله ولداً، ﴿فيدمغه﴾، يعني يهلكه، وأصل الدمغ شجّ الرأس حتى يبلغ الدماغ، ﴿ فإذا هو زاهق ﴾، ذاهب، والمعنى: أنّا نبطل كذبهم بما تبين من الحق حتى يضمحل ويذهب، ثم أوعدهم على كذبهم فقال: ﴿ ولكم الويـل ﴾، يا معشر الكفّار. ﴿ ممّا تصفون ﴾، الله بما لا يليق به من الصاحبة والولد. وقال مجاهد: مما تكذبون.

﴿ وله مَن في السموات والأرض ﴾، عبيداً وملكاً، ﴿ ومن عنده ﴾، يعني الملائكة، ﴿ لا يستكبرون عن

يكون القول بوجود إلهين محالاً، وإنما قلنا إنه يفضي إلى المحال لأنا لو فرضنا وجود إلهين، فلا بد وأن يكون كل واحد منهما قادراً على كل المقدورات، ولو كان كذلك لكان كل واحد منهما قادراً على تحريك زيد وتسكينه.

لو فرضنا أن أحدهما أراد تحريكه وأراد تسكينه، فإما أن يقع المرادان وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين أو لا يقع واحد منهما وهو محال لأن المانع من وجود مراد كل واحد منهما مراد الآخر فلا يمتنع مراد هذا إلا عند وجود مراد ذلك وبالعكس فلو امتنعن معاً لوجدا معاً وذلك محال أو يقع مراد أحدهما: دون الثاني وذلك أيضاً محال لوجهين أحدهما أنه لو كان كل واحد منهما قادراً على ما لا نهاية له امتنع كون أحدهما أقدر من الآخر، بل لا بد وأن يستويا في القدرة وإذا استويا في القدرة استحال أن يصير مراد أحدهما أولى بالوقوع من مراد الثاني وإلا لزم ترجيح الممكن من غير مرجح. وثانيهما: أنه إذا وقع مراد أحدهما دون الآخر فالذي وقع مراده يكون قادراً والذي لم يقع مراده يكون عاجزاً والعجز نقص، وهو على الإله محال. ولو فرضنا إلهين، لكان كل واحد منهما قادراً على جميع المقدورات فيفضي إلى وقوع مقدور من قادرين مستقلين من وجه واحد، وهو محال لأن إسناد الفعل إلى الفاعل إنما كان لإمكانه، فإذا كان كل واحد منهما مستقلاً بالإيجاد فالفعل لكونه مع هذا يكون واجب الوقوع فيستحيل إسناده إلى هذا لكونه حاصلاً منهما جميعاً، فيلزم استغناؤه عنهما معاً واحتياجه إليهما معاً، وذلك محال وهذه حجة تامة في مسألة التوحيد فنقول القول بوجود إلهين يفضي إلى امتناع وقوع المقدور بواحد منهما، وإذا كان كذلك وجب أن لا يقع البتة وحينئذ يلزم وقوع الفساد قطعاً، أو نقول لو قدرنا إلهين فإما أن يتفقا أو يختلفا، فإن اتفقا على الشيء الواحد فذلك الواحد مقدور لهما ومراد لهما فيلزم وقوعه بهما، وهو محال وإن اختلفا فإما أن يقع المرادن أو لا يقع واحد منهما أو يقع أحدهما دون الثاني والكل محال فثبت أن الفساد لازم على كل التقديرات. واعلم أنك إذا وقفت على حقيقة هذه الدلالة عرفت أن جميع ما في العالم العلوي والسفلي من المحدثات والمخلوقات فهو دليل على وحدانية الله تعالى.

وأما الدلائل السمعية على الوحدانية فكثيرة في القرآن، واعلم أن كل من طعن في دلالة التمانع ففسر الآية بأن المراد لو كان في السماء والأرض آلهة يقول بإلهيتها عبدة الأصنام، لزم فساد العالم لأنها جمادات لا تقدر على تدبير العالم فلزم إفساد العالم قالوا وهذا أولى لأنه تعالى حكى عنهم في قوله: **﴿أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون﴾** ثم ذكر الدلالة على فساد هذا فوجب أن يختص الدليل به وأما قوله **﴿فسبحان الله رب العرش عما يصفون﴾** ففيه تنزيه الله سبحانه وتعالى عما يصفه به المشركون من الشريك والولد **﴿لا يسأل عما يفعل﴾** يعني لا يسأل عما يفعله ويقضيه في

عبادته ﴾، ولا يأنفون عن عبادته ولا يتعظمون عنها، **﴿ ولا يستحسرون ﴾**، لا يعيون، يقال: حسر واستحسر إذا تعب وأعيا. وقال السدي: لا ينقطعون عن العبادة.

﴿ يُسبِّحُون الليلَ والنهارَ لا يفترون ﴾، لا يضعفون، قال كعب الأحبار: التسبيح لهم كالنَّفَسِ لبني آدم.

﴿ أمِ اتّخذُوا آلهةً ﴾ استفهام بمعنى الجحد أي لم يتخذوا، **﴿ من الأرض ﴾**، يعني الأصنام من الخشب والحجارة وهما من الأرض، **﴿ هم ينشرون ﴾**، يحيون الأموات، ولا يستحق الإلهية إلّا مَن يقدر على الإحياء والإيجاد من العدم والإنعام بأبلغ وجوه النِّعَم.

﴿ لو كان فيهما ﴾، يعني في السماء والأرض، **﴿ آلهةٌ إلّا الله ﴾**، يعني غير الله، **﴿ لفسدَتَا ﴾**، لخربتا وهلك مَن فيهما بوجود التمانع بين الآلهة لأن كل أمر صدر عن اثنين فأكثر لم يجرِ على النظام، ثم نزّه نفسه فقال: **﴿ فسبحانَ اللّهِ ربِّ العرشِ عمّا يصفون ﴾**، يعني عمّا يصفه به المشركون من الشريك والولد.

خلقه ﴿وهم يسألون﴾ يعني والناس عن أعمالهم، والمعنى أنه لا يسأل عما يحكم في عباده من إعزاز وإذلال وهدى وإضلال وإسعاد وإشقاء، لأنه الرب مالك الأعيان والخلق يسألون سؤال توبيخ. يقال لهم يوم القيامة لم فعلتم كذا لأنهم عبيد يجب عليهم امتثال أمر مولاهم. والله تعالى ليس فوقه أحد يقول له لشيء فعله لم فعلته قوله عز وجل:

أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَٰنَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ
فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ
الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا
بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ
إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِى الظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوٓا أَنَّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ
كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى الْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ
وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾
وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾

﴿أم اتخذوا من دونه آلهة﴾ لما أبطل الله تعالى أن تكون آلهة سواه، بقوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا أنكر عليهم اتخاذهم الآلهة فقال أم اتخذوا من دونه آلهة وهو استفهام إنكار وتوبيخ ﴿قل هاتوا برهانكم﴾ أي حجتكم على ذلك ثم قال مستأنفاً ﴿هذا﴾ يعني القرآن ﴿ذكر من معي﴾ يعني فيه خبر من معي على ديني ومن يتبعني إلى يوم القيامة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية ﴿وذكر﴾ يعني خبر ﴿من قبلي﴾ أي من الأمم السالفة وما فعل بهم في الدنيا وما يفعل بهم في الآخرة.

وقال ابن عباس ذكر من معي القرآن وذكر من قبلي التوراة والإنجيل، والمعنى راجعوا القرآن والتوراة والإنجيل وسائر الكتب، هل تجدون فيها أن الله اتخذ ولداً أو كان معه آلهة ﴿بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون﴾ قوله

﴿ لا يُسئلُ عمّا يفعل ﴾، ويحكم على خلقه لأنه الربُّ ﴿ وهم يُسئلون ﴾، عن أفعالهم وأعمالهم لأنهم عبيد.

﴿ أم اتخذوا من دونه آلهةً ﴾، استفهام إنكار وتوبيخ، ﴿ قلْ هاتُوا برهانَكم ﴾، يعني حجتكم على ذلك.

ثم قال مستأنفاً، ﴿ هذا ﴾، يعني القرآن. ﴿ ذكر مَن معي ﴾، فيه خبر مَن معي على ديني ومَن تبعني إلى يوم القيامة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية. ﴿ وذكر ﴾، خبر، ﴿ مَنْ قبلي ﴾، من الأمم السالفة ما فعل بهم في الدنيا وما يفعل بهم في الآخرة. وعن ابن عباس في رواية عطاء: ذكر مَن معي: القرآن، وذكر مَن قبلي: التوراة والإنجيل، ومعناه: راجعوا القرآن والتوراة والإنجيل وسائر الكتب هل تجدون فيها أنّ الله اتخذ ولداً، ﴿ بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم مُعرِضون ﴾.

﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نُوحي إليه ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم نوحي إليه بالنون وكسر الحاء على التعظيم، لقوله: ﴿ وما أرسلناك ﴾ [الإسراء: ٥٤، الأنبياء: ١٠٧، الفرقان: ٥٦، سبأ: ٢٨]، وقرأ الآخرون بالياء وفتح الحاء على الفعل المجهول، ﴿ أنه لا إله إلاّ أنا فاعبدون ﴾، وحّدون.

عز وجل: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ أي فوحدوني، وقيل لما توجهت الحجة عليهم، ذمهم على جهلهم بمواضع الحق، فقال بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون، أي عن التأمل والتفكر وما يجب عليهم من الإيمان بأنه لا إله إلا هو. قوله تعالى: ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً﴾ نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله ﴿سبحانه﴾ نزه نفسه عما قالوا. ﴿بل عباد﴾ أي هم عباد يعني الملائكة ﴿مكرمون﴾ أي أكرمهم الله واصطفاهم ﴿لا يسبقونه﴾ أي لا يتقدمونه ﴿بالقول﴾ أي لا يتكلمون إلا بما يأمرهم به ﴿وهم بأمره يعملون﴾ المعنى أنهم لا يخالفونه قولاً ولا عملاً ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ أي ما عملوا وما هم عاملون وقيل ما كان قبل خلقهم وما يكون بعد خلقهم ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ قال ابن عباس إلا لمن قال لا إله إلا الله وقيل إلا لمن رضى الله تعالى عنه ﴿وهم من خشيته مشفقون﴾ أي خائفون وجلون لا يأمنون مكره ﴿ومن يقل منهم إني إله من دونه﴾ قيل عنى به إبليس حيث دعا إلى عبادة نفسه فإن أحداً من الملائكة لم يقل إني إله من دون الله ﴿فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين﴾ أي الواضعين الإلهية والعبادة في غير موضعها.

قوله عزّ وجلّ ﴿أولم ير الذين كفروا﴾ أي ألم يعلم الذين كفروا ﴿أن السموات والأرض كانتا رتقاً﴾ قال ابن عباس كانتا شيئاً واحداً ملتزقتين ﴿ففتقناهما﴾ أي فصلنا بينهما بالهواء. قال كعب: خلق الله السموات والأرض بعضها

﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولداً ﴾، نزلت في خزاعة حيث قال الملائكة بنات الله، ﴿ سبحانه ﴾، نزّه نفسه عمّا قالوا، ﴿ بل عبادٌ ﴾، أي هم عباد، يعني الملائكة، ﴿ مكرمون ﴾.

﴿ لا يسبقونه بالقول ﴾، لا يتقدمونه بالقول ولا يتكلمون إلّا بما يأمرهم به، ﴿ وهم بأمره يعملون ﴾، معناه أنهم لا يخالفونه قولاً ولا عملاً.

﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾، أي ما عملوا وما هم عاملون. وقيل: ما كان قبل خلقهم وما يكون بعد خلقهم، ﴿ ولا يشفعون إلّا لمنِ ارتضى ﴾، قال ابن عباس: أي إلّا لمَن قال لا إلَه إلّا الله، وقال مجاهد: أي لمَن رضي عنه، ﴿ وهم من خشيته مشفقون ﴾، خائفون لا يأمنون مكره.

﴿ ومَن يقل منهم إنّي إلَهٌ من دونه ﴾، قال مقاتل: عنى به إبليس حين دعا إلى عبادة نفسه وأمر بطاعة نفسه، فإن أحداً من الملائكة لم يقل إنّي إلَهٌ من دون الله، ﴿ فذلك نجزيه جهنّم كذلك نجزي الظالمين ﴾، الواضعين الإلَهية والعبادة في غير موضعها.

﴿ أوَ لَم يرَ الذين كفروا ﴾، قرأ العامّة بالواو وقرأ ابن كثير ﴿ لَمْ يرَ ﴾ بغير واو، وكذلك هو في مصاحفهم، معناه: ألم يعلم الذين كفروا، ﴿ أنّ السمٰواتِ والأرضَ كانتا رَتْقاً ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك وعطاء وقتادة: كانتا شيئاً واحداً ملتزقتين، ﴿ ففتقناهما ﴾، فصلنا بينهما بالهواء والرتق في اللغة السدّ، والفتق الشق، قال كعب: خلق الله السمٰواتِ والأرض بعضها على بعض، ثم خلق ريحاً فوسطها ففتحهما بها. قال مجاهد والسدي: كانت السمٰوات مرتقة طبقة واحدة ففتقها وجعلها سبع سمٰوات، وكذلك الأرض كانت مرتقة طبقة واحدة ففتحها فجعلها سبع أرضين. قال عكرمة وعطية: كانت السمٰوات السماء رتقاً لا تمطر والأرض رتقاً لا تنبت، ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات. وإنما قال: ﴿ رتقاً ﴾ على التوحيد وهو من نعت السمٰوات والأرض لأنه مصدر وُضع موضع الاسم، مثل الزور والصوم ونحوهما، ﴿ وجعلنا ﴾، وخلقنا، ﴿ من الماء كل شيءٍ حيّ ﴾، أي أحيينا بالماء الذي ينزل من السماء كل شيء حيّ أي من الحيوان ويدخل فيه النبات والشجر، يعني أنه سبب لحياة كل شيء. والمفسّرون يقولون: يعني أن كل شيء حيّ فهو مخلوق من الماء. لقوله تعالى: ﴿ والله

على بعض، ثم خلق ريحاً بوسطهما ففتحهما بها، وقيل كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة، ففتقها وجعلها سبع سموات وكذلك الأرض، وقيل كانت السماء رتقاً لا تمطر، والأرض رتقاً لا تنبت، ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات **﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾** أي وأحيينا بالماء الذي ينزل من السماء كل شيء، من الحيوان ويدخل فيه النبات والشجر، وذلك لأنه سبب لحياة كل شيء، وقال المفسرون: معناه أن كل شيء حي فهو مخلوق من الماء وقيل يعني النطفة. فإن قلت قد خلق الله بعض ما هو حي من غير الماء كآدم وعيسى والملائكة والجان. قلت خرج هذا الأمر مخرج الأغلب والأكثر يعني أن أكثر ما على وجه الأرض مخلوق من الماء أو بقاؤه بالماء **﴿أفلا يؤمنون﴾** أي أفلا يصدقون **﴿وجعلنا في الأرض رواسي﴾** أي جبالاً ثوابت **﴿أن تميد بهم﴾** أي لئلا تميد بهم، قيل إن الأرض بسطت على الماء فكانت تتحرك كما تتحرك السفينة في الماء فأرساها الله فأثبتها بالجبال **﴿وجعلنا فيها﴾** أي في الرواسي **﴿فجاجاً﴾** أي طرقاً ومسالك والفج الطريق الواسع بين الجبلين **﴿سبلاً﴾** هو تفسير الفجاج **﴿لعلهم يهتدون﴾** أي إلى مقاصدهم **﴿وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً﴾** أي من أن يسقط ويقع وقيل محفوظاً من الشياطين بالشهب **﴿وهم﴾** يعني الكفار **﴿عن آياتها معرضون﴾** أي عما خلق الله فيها من الشمس والقمر والنجوم، وكيفية حركاتها في أفلاكها ومطالعها ومغاربها، والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة القاهرة، لا يتفكرون ولا يعتبرون بها **﴿وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون﴾** أي يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح في الماء.

وإنما قال يسبحون ولم يقل تسبح، على ما يقال لما لا يعقل لأنه ذكر عنها فعل العقلاء، وهو السباحة والجري. والفلك مدار النجوم الذي يضمها وهو في كلام العرب كل شيء مستدير، وجمعه أفلاك وقيل الفلك طاحونة كهيئة فلك المغزل، يريد أن الذي تجري فيه النجوم مستدير كاستدارة الرحى، وقيل الفلك السماءالذي فيه ذلك الكوكب فكل كوكب يجري في السماء الذي قدر فيه، وقيل الفلك استدارة السماء، وقيل الفلك موج مكفوف

خلق كل دابّة من ماء ﴾ [النور: ٤٥]، قال أبو العالية: يعني النطفة، فإن قيل: قد خلق الله بعض ما هو حيّ من غير الماء؟ قيل: هذا على وجه التفكير، يعني أن أكثر الأحياء في الأرض مخلوق من الماء أو بقاؤه بالماء، **﴿ أفلا يؤمنون ﴾**.

﴿ وجعلنا في الأرض رواسيَ ﴾، أي جبالاً ثوابت، **﴿ أن تميد بهم ﴾**، لئلا تميد بهم، **﴿ وجعلنا فيها ﴾**، في الرواسي، **﴿ فجاجاً ﴾**، طرقاً ومسالك، والفجّ الطريق الواسع بين الجبلين، أي جعلنا بين الجبال طرقاً كي يهتدوا إلى مقاصدهم، **﴿ سُبلاً ﴾**، تفسير للفجاج، **﴿ لعلّهم يهتدون ﴾**.

﴿ وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً ﴾، من أن تسقط، دليله قوله تعالى: ﴿ ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلاّ بإذنه ﴾ [الحج: ٦٥]، وقيل: محفوظاً من الشياطين بالشهب، دليله قوله تعالى: ﴿ وحفظناها من كل شيطان رجيم ﴾ [الحجر: ١٧]، **﴿ وهم ﴾**، يعني الكفّار، **﴿ عن آياتها ﴾**، أي عن ما خلق الله فيها من الشمس والقمر والنجوم وغيرها، **﴿ مُعرضون ﴾**، لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها.

﴿ وهو الذي خلق الليلَ والنهارَ والشمسَ والقمرَ كلٌّ في فلكٍ يسبحون ﴾، يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح في الماء، وإنما قال: **﴿ يسبحون ﴾**، ولم يقل تسبح على ما يقال لما لا يعقل لأنه ذكر عنها فعل العقلاء من الجري والسبح، فذكر على ما يعقل، والفلك مدار النجوم الذي يضمها، والفلك في كلام العرب كل شيء مستدير وجمعه أفلاك، ومنه فلكة المغزل، وقال الحسن: الفلك طاحونة كهيئة فلكة المغزل، يريد أن الذي يجري فيه النجوم مستدير كاستدارة الطاحونة. قال الضحاك: فَلَكُها مجراها وسرعة سيرها. قال مجاهد: كهيئة حديد الرحى.

دون السماء تجري فيه الشمس والقمر والنجوم، وقال أصحاب الهيئة الأفلاك أجرام صلبة لا ثقيلة ولا خفيفة غير قابلة للخرق والالتئام والنمو والذبول، والحق أنه لا سبيل إلى معرفة صفة السموات إلا بأخبار الصادق فسبحان الخالق المدبر لخلقه بالحكمة والقدرة الباهرة غير المتناهية. قوله عزّ وجلّ:

وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾

﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾ يعني الدوام والبقاء في الدنيا ﴿أفإن مت فهم الخالدون﴾ نزلت هذه الآية حين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون نشمت بموته، فنفى الله الشماتة عنه بهذا والمعنى أن الله تعالى قضى أن لا يخلد في الدنيا بشراً لا أنت ولا هم فإن مت أنت أفيبقى هؤلاء وفي معناه قول القائل:

فقل للشامتين بنا أفيقوا ... سيلقى الشامتون كما لقينا

﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ هذا العموم مخصوص بقوله تعالى: تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك فإن الله تعالى حي لا يموت ولا يجوز عليه الموت. والذوق هاهنا عبارة عن مقدمات الموت وآلامه العظيمة قبل حلوله ﴿ونبلوكم﴾ أي نختبركم ﴿بالشر والخير﴾ أي بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر، وقيل مما تحبون وما

وقال بعضهم: الفلك السماء الذي فيه ذلك الكوكب، فكل كوكب يجري في السماء الذي قدّر فيه، وهو معنى قول قتادة، وقال الكلبي: الفلك استدارة السماء. وقال آخرون: الفلك موج مكفوف دون السماء تجري فيه الشمس والقمر والنجوم.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ﴾، دوام البقاء في الدنيا، ﴿ أفإنْ متَّ فهم الخالدون ﴾، أي أفهم الخالدون إن متّ، قيل: نزلت هذه الآية حين قالوا نتربص بمحمد ريب المنونِ.

﴿ كلُّ نفسٍ ذائقة الموت ونبلوكم ﴾، نختبركم ﴿ بالشرّ والخير ﴾، بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر، وقيل: بما تحبّون وما تكرهون، ﴿ فتنةً ﴾، ابتلاءً لننظر كيف شكرتم فيما تحبّون، وصبركم فيما تكرهون، ﴿ وإلينا ترجعون ﴾.

﴿ وإذا رآك الذين كفروا إنْ يتخذونك ﴾، ما يتخذونك، ﴿ إلاّ هُزُواً ﴾، سخرياً، قال السدي: نزلت في أبي جهل مرّ به النبي ﷺ فضحك، وقال: هذا نبيُّ بني عبد مناف، ﴿ أهذا الذي ﴾، أي يقول بعضهم لبعض أهذا الذي، ﴿ يذكر آلهتكم ﴾، أي يعيبها، يقال: فلان يذكر فلاناً أي يعيبه، وفلان يذكر الله أي يُعظّمه ويُبجّله،

تكرهون ﴿فتنة﴾ أي ابتلاء لننظر كيف شكركم فيما تحبون وصبركم فيما تكرهون ﴿وإلينا ترجعون﴾ أي للحساب والجزاء. قوله عزّ وجلّ ﴿وإذا رآك الذين كفروا إن﴾ أي ما ﴿يتخذونك إلا هزواً﴾ أي سخرياً قيل نزلت في أبي جهل مر به النبي ﷺ فضحك وقال هذا نبي بني عبد مناف ﴿أهذا الذي يذكر آلهتكم﴾ أي يقول بعضهم لبعض أهذا الذي يعيب ألهتكم والذكر يطلق على المدح والذم مع القرينة ﴿وهم بذكر الرحمن هم كافرون﴾ وذلك أنهم كانوا يقولون لا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة وهو مسيلمة الكذاب قوله تعالى ﴿خلق الإنسان من عجل﴾، قيل معناه أن بنيته وخلقته من العجلة وعليها طبع، وقيل لما دخل الروح في رأس آدم وعينيه نظر إلى ثمار الجنة فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل أن تبلغ الروح إلى رجليه عجلاً إلى ثمار الجنة، فوقع فقيل خلق الإنسان من عجل وأورث بنيه العجلة وقيل معناه خلق الإنسان من تعجيل في خلق الله إياه، لأن خلقه كان بعد كل شيء في آخر النهار يوم الجمعة، فأسرع في خلقه قبل مغيب الشمس فلما أحيا الروح رأسه قال يا رب استعجل بخلقي قبل غروب الشمس، وقيل خلق بسرعة وتعجيل على غير قياس خلق بنيه لأنهم خلقوا من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة أطواراً أطواراً طوراً بعد طور وقيل خلق الإنسان من عجل أي من طين قال الشاعر:

والنـخـل ينبت بيـن المـاء والعـجـل

أي بين الماء والطين. وقيل أراد بالإنسان النوع الإنساني يدل عليه قوله ﴿سأريكم آياتي فلا تستعجلون﴾ وذلك أن المشركين كانوا يستعجلون العذاب، وقيل نزلت في النضر بن الحرث، ومعنى سأريكم آياتي أي مواعيدي فلا

﴿ وهم بذكر الرحمن هم كافرون ﴾، وذلك أنهم كانوا يقولون لا نعرف الرحمن إلّا مسيلمة، و﴿ هم ﴾ الثانية صلة.

﴿ خُلق الإنسانُ من عجل ﴾، اختلفوا فيه، فقال قوم: معناه أن بنيته وخلقته من العجلة وعليها طبع، كما قال الله تعالى: ﴿ وكان الإنسان عجولاً ﴾ [الإسراء: ١١] قال سعيد بن جبير والسدي: لمّا دخلت الروح في رأس آدم وعينيه نظر إلى ثمار الجنة، فلما دخلت في جوفه اشتهى الطعام، فوثب قائماً قبل أن تبلغ الروح إلى رجليه عجلاً إلى ثمار الجنة، فوقع، فقيل: ﴿ خُلق الإنسانُ من عجل ﴾، والمراد بالإنسان آدم، وأورث أولاده العجلة، والعرب تقول للذي يكثر منه الشيء: خلقت منه، كما يقول: خلقت من تعب وخلقت من غضب، تريد المبالغة في وصفه بذلك، يدلّ على هذا قوله تعالى: ﴿ وكان الإنسان عجولاً ﴾ [الإسراء: ١١]، وقال قوم: معناه خُلق الإنسانُ يعني آدم من تعجيل في خلق الله إيّاه، لأن خلقه كان بعد خلق كل شيء في آخر النهار يوم الجمعة، فأسرع في خلقه قبل مغيب الشمس. وقال مجاهد: فلما أحيا الروح رأسه يا ربِّ استعجل بخلقي قبل غروب الشمس. وقيل: بسرعة وتعجيل على غير ترتيب خلق سائر الآدميين من النطفة ثم العلقة ثم المضغة وغيرها. وقال قوم: من عجل أي من طين قال الشاعر:

والنبع في صخرة الصمّاء منبتة والنخل ينبت بين الماء والعجل

﴿ سأُريكم آياتي فلا تستعجلون ﴾، هذا خطاب للمشركين، نزل هذا في المشركين كانوا يستعجلون بالعذاب ويقولون أمطر علينا حجارة من السماء، وقيل: نزلت في النضر بن الحارث، فقال تعالى: ﴿ سأُريكم آياتي ﴾ أي مواعيدي فلا تستعجلون، أي فلا تطلبوا العذاب من وقته، فأراهم يوم بدر، وقيل: كانوا يستعجلون القيامة.

﴿ ويقولون متى هذا الوعد إنْ كنتم صادقين ﴾، فقال تعالى: ﴿ لو يعلم الذين كفروا حين لا يَكُفُّون ﴾، لا

تطلبوا العذاب قبل وقته فأراهم يوم بدر، وقيل كانوا يستعجلون القيامة فلذلك قال تعالى ﴿ويقولون﴾ يعني المشركين ﴿متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ وهذا هو الاستعجال المذموم المذكور على سبيل الاستهزاء فبين تعالى أنهم إنما يقولون ذلك لجهلهم وغفلتهم، ثم بين ما لهؤلاء المستهزئين فقال تعالى: ﴿لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون﴾ يعني لا يدفعون ﴿عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم﴾ قيل السياط ﴿ولا هم ينصرون﴾ أي لا يمنعون من العذاب والمعنى لو علموا لما أقاموا على كفرهم ولما استعجلوا بالعذاب ولما قالوا متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴿بل تأتيهم﴾ يعني الساعة ﴿بغتة﴾ أي فجأة ﴿فتبهتهم﴾ أي تحيرهم ﴿فلا يستطيعون ردها﴾ أي صرفها ودفعها عنهم ﴿ولا هم ينظرون﴾ أي لا يمهلون للتوبة والمعذرة ﴿ولقد استهزىء برسل من قبلك﴾ أي يا محمد كما استهزأ بك قومك ﴿فحاق﴾ أي نزل وأحاط ﴿بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون﴾ أي عقوبة استهزائهم وفيه تسلية للنبي ﷺ أي فكذلك يحيق بهؤلاء وبال استهزائهم.

قوله تعالى ﴿قل من يكلؤكم﴾ أي يحفظكم ﴿بالليل﴾ إذا نمتم ﴿والنهار﴾ إذا انصرفتم في معايشكم ﴿من الرحمن﴾ قال ابن عباس معناه من يمنعكم من عذاب الرحمن ﴿بل هم عن ذكر ربهم﴾ أي عن القرآن ومواعظه ﴿معرضون﴾ أي لا يتأملون في شيء منها ﴿أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا﴾ معناه ألهم آلهة من دوننا تمنعهم ثم وصف آلهتهم بالضعف فقال ﴿لا يستطيعون نصر أنفسهم﴾ أي لا يقدرون على نصر أنفسهم فكيف ينصرون من عبدهم ﴿ولا هم منا يصحبون﴾ قال ابن عباس يمنعون وقيل يجارون وقيل ينصرون وقيل معناه لا يصبحون من الله بخير.

بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ

يدفعون ﴿ عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ﴾، قيل: ولا عن ظهورهم السِّياط، ﴿ ولا هم يُنصرون ﴾، يمنعون من العذاب، وجواب لو في قوله: ﴿ لو يعلم الذين ﴾ محذوف معناه: وعلموا لما أقاموا على كفرهم، ولما استعجلوا، ولا قالوا متى هذا الوعد.

﴿ بل تأتيهم ﴾، يعني الساعة ﴿ بغتة ﴾، فجأة، ﴿ فتبهتهم ﴾، أي تحيّرهم، يقال فلان مبهوت أي متحيّر، ﴿ فلا يستطيعون ردّها ولا هم ينظرون ﴾، يمهلون.

﴿ ولقد استُهزىء برسل من قبلك فحاق ﴾، نزل، ﴿ بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤون ﴾، أي جزاء استهزائهم.

﴿ قلْ مَن يكلؤكم ﴾، يحفظكم، ﴿ بالليل والنهار من الرحمن ﴾، إن أنزل بكم عذابه، وقال ابن عباس: مَن يمنعكم من عذاب الرحمن، ﴿ بل هم عن ذكر ربهم ﴾، عن القرآن ومواعظ الله، ﴿ معرضون ﴾.

﴿ أمْ لهم ﴾، أي: صلة فيه، وفي أمثاله ﴿ آلهة تمنعهم من دوننا ﴾، فيه تقديم وتأخير، تقديره: أم لهم آلهة من دوننا تمنعهم، ثم وصف الآلهة بالضعف، فقال تعالى: ﴿ لا يستطيعون نصر أنفسهم ﴾، منع أنفسهم، فكيف ينصرون عابديهم، ﴿ ولا هم منّا يُصْحَبُون ﴾، قال ابن عباس: يمنعون. وقال عطية: عنه يجارون، تقول العرب: أنا لك جار وصاحب من فلان، أي مجير منه. وقال مجاهد: ينصرون ويحفظون. وقال قتادة: لا يصبحون من الله بخير.

ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ
ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ
مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ
عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾
قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟
مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾

﴿بل متعنا هؤلاء﴾ يعني الكفار ﴿وآباءهم﴾ أي في الدنيا بأن أنعمنا عليهم وأمهلناهم ﴿حتى طال عليهم العمر﴾ أي امتد بهم الزمان فاغتروا ﴿أفلا يرون﴾ يعني هؤلاء المشركين ﴿أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها﴾ يعني ننقص من أطراف المشركين، ونزيد من أطراف المؤمنين يريد بذلك ظهور النبي ﷺ وفتحه ديار الشرك أرضاً فأرضاً وقرية فقرية، والمعنى أفلا يرى هؤلاء المشركون بالله المستعجلون بالعذاب آثار قدرتنا في إتيان الأرض من جوانبها بأخذ الواحد بعد الواحد وفتح البلاد والقرى مما حول مكة وإدخالها في ملك محمد ﷺ، وموت رؤوس المشركين المتنعمين بالدنيا، أما كان لهم عبرة في ذلك فيؤمنوا بمحمد ﷺ ويعلموا أنهم لا يقدرون على الامتناع منا ومن إرادتنا فيهم ثم قال ﴿أفهم الغالبون﴾ استفهام بمعنى التقريع معناه بل نحن الغالبون وهم المغلوبون ﴿قل﴾ يا محمد ﴿إنما أنذركم بالوحي﴾ أي أخوفكم بالقرآن ﴿ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون﴾ أي يخوفون ﴿ولئن مستهم﴾ أي أصابتهم ﴿نفحة من عذاب ربك﴾ قال ابن عباس طرف وقيل شيء قليل ﴿ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾ دعوا على أنفسهم بالويل بعد ما أقروا على أنفسهم بالظلم والشرك. قوله عزّ وجلّ ﴿ونضع الموازين القسط﴾ أي ذوات العدل وصفها بذلك لأن الميزان قد يكون مستقيماً وقد يكون بخلافه فبين أن تلك الموازين تجري على حد العدل ومعنى وضعها إحضارها ﴿ليوم القيامة﴾ أي لأهل يوم القيامة قيل المراد بالميزان العدل والقسط بينهم في الأعمال، فمن أحاطت حسناته بسيئاته فاز ونجا وبالعكس ذل وخسر، والصحيح الذي عليه أئمة السلف أن الله سبحانه وتعالى يضع الموازين الحقيقية ويزن بها أعمال العباد، وقال الحسن هو ميزان له كفتان ولسان وأكثر الأقوال أنه ميزان واحد وإنما

﴿ بل متّعنا هؤلاء ﴾، الكفّار، ﴿ وآباءهم ﴾، في الدنيا أي أمهلناهم. وقيل: أعطيناهم النعمة، ﴿ حتى طال عليهم العُمُرُ ﴾، أي امتدّ بهم الزمان فاغترّوا، ﴿ أفلا يرون أنّا نأتي الأرضَ ننقصُها من أطرافها ﴾، أي ما ننقص من أطراف المشركين ونزيد في أطراف المؤمنين، يريد ظهور النبي ﷺ وفتحه ديار الشرك أرضاً فأرضاً، ﴿ أفهم الغالبون ﴾، أم نحن.

﴿ قلْ إنّما أُنذِرُكم بالوحي ﴾، أي أُخوّفكم بالقرآن، ﴿ ولا يسمع الصمُّ الدعاءَ ﴾، قرأ ابن عباس رضي الله عنهما بالتاء وضمّها وكسر الميم، «الصـمّ» نصباً، جعل الخطاب للنبي ﷺ، وقرأ الآخرون بالياء وفتحها وفتح الميم، «الصـمّ» رفع، ﴿ إذا ما يُنْذَرُون ﴾، يخوّفون.

﴿ ولئن مسّتهم ﴾، أصابتهم ﴿ نفحة ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما طرف. وقيل: قليل. وقال ابن جريج: نصيب، من قولهم نفح فلان لفلان من ماله أي أعطاه حظّاً ونصيباً منه. وقيل: ضربة من قولهم نفحت

جمع لاعتبار تعدد الأعمال الموزونة به. وروي أن داود عليه الصلاة والسلام سأل ربه عزّ وجلّ أن يريه الميزان فأراه كل كفته ما بين المشرق والمغرب فلما رآه غشي عليه، ثم فاق فقال إلهي من الذي يقدر أن يملأ كفته حسنات؟ قال يا داود إني إذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة. فعلى هذا ففي كيفية وزن الأعمال مع أنها أعراض طريقان: أحدهما: أن توضع صحائف الأعمال فتوضع صحائف الحسنات في كفة، وصحائف السيئات في كفة. والثاني: أن يجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة، وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة. فإن قلت كيف تصنع بقوله ونضع الموازين القسط مع قوله فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً.

قلت هذه في حق الكفار لأنهم ليس لهم أعمال توزن مع الكفر. وقوله تعالى ﴿فلا تظلم نفس شيئاً﴾ يعني لا تبخس مما لها وما عليها من خير وشر شيئاً ﴿وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها﴾ معناه أنه لا ينقص من إحسان محسن، ولا يزاد في إساءه مسيء، وأراد بالحبة الجزء اليسير من الخردل، ومعنى أتينا بها يعني أحضرناها لنجازي بها. عن عبد الله بن عمرو ابن العاص أن رسول الله ﷺ قال «إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مد البصر، ثم يقول أتنكر من هذا شيئاً، أظلمك كتبتي الحافظون، فيقول لا يارب، فيقول أفلك عذر، فيقول لا يا رب. فيقول الله تعالى بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول أحضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال إنك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء» أخرجه الترمذي. السجل الكتاب الكبير، وأصله من التسجيل لأنه يجمع أحكاماً، والبطاقة ورقة صغيرة تجعل في طي الثوب يكتب فيها ثمنه، والطيش الخفة، قلت في الحديث دليل على أن صحائف الأعمال هي التي توزن، لا أن الأعمال تتجسد جواهر فتوزن والله أعلم. قوله تعالى: ﴿وكفى بنا حاسبين﴾ قال ابن عباس معناه كفى بنا عالمين حافظين لأن من حسب شيئاً فقد علمه وحفظه، والغرض منه التحذير فإن المحاسب

الدابّة برجلها إذا ضربت بها، ﴿ من عذاب ربِّك لَيَقُولُنَّ يا ويلنا إنّا كنّا ظالمين ﴾، أي بإهلاكنا إنّا كنّا مشركين، دعوا على أنفسهم بالويل بعدما أقرّوا بالشرك.

﴿ ونضع الموازين القسط ﴾، أي ذوات القسط والقسط العدل، ﴿ ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً ﴾، أي: لا تنقص من ثواب حسناتها ولا يُزاد على سيآتها، وفي الأخبار: إن الميزان له لسان وكفتان. رُوِيَ أن داود عليه السلام سأل ربه أن يُريه الميزان فأراه كل كفّة ما بين المشرق والمغرب، فغُشي عليه، ثم أفاق فقال: يا إلٰهي مَن الذي يقدر أن يملأ كفّته حسنات؟ فقال: يا داود إني إذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة، ﴿ وإن كان ﴾، الشيء، ﴿ مثقال حبة ﴾، أي زنة مثقال حبة، ﴿ من خَرْدَلٍ ﴾، قرأ أهل المدينة ﴿ مثقال ﴾ برفع اللام ههنا وفي سورة لقمان [١٦]، يعني وإن وقع مثقال حبة من خردل، ونصبها الآخرون على معنى وإن كان ذلك الشيء مثقال حبّة من خردل، ﴿ أتينا بها ﴾ أحضرناها لنجازي بها، ﴿ وكفى بنا حاسبين ﴾، قال السدي: مُحصين، والحسب معناه: العدّ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: عالمين حافظين، لأن مَن حسب شيئاً علمه وحفظه.

﴿ ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ﴾، يعني الكتاب المفرّق بين الحق والباطل، وهو التوراة، وقال ابن زيد: الفرقان النصر على الأعداء، كما قال الله تعالى: ﴿ وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان ﴾ [الأنفال: ٤١]، يعني يوم بدر لأنه قال: ﴿ وضياءً ﴾، أدخل الواو فيه أي آتينا موسى النصر والضياء، وهو التوراة. ومَن قال: المراد بالفرقان التوراة، قال: الواو في قوله: ﴿ وضياءً ﴾، زائدة مقحمة، معناه: آتيناه التوراة ضياءً، وقيل: هو صفة أخرى للتوراة، ﴿ وذكراً ﴾، تذكيراً، ﴿ للمتّقين ﴾.

إذا كان في العلم بحيث لا يمكن أن يشتبه عليه شيء وفي القدرة بحيث لا يعجز عن شيء فحقيق بالعاقل أن يكون بأشد الخوف منه ويروى عن الشبلي أنه رؤي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال:

حاسبونا فدققوا ثم منوا فأعتقوا
هكذا سيمة الملو ك بالمماليك يرفقوا

قوله عزّ وجلّ ﴿ولقد آتينا موسى وهٰرون الفرقان﴾ يعني الكتاب المفرق بين الحق والباطل وهو التوراة، وقيل الفرقان النصر على الأعداء فعلى هذا يكون ﴿وضياء﴾ يعني التوراة ومن قال الفرقان هو التوراة جعل الواو زائدة في وضياء والمعنى آتينا موسى التوراة ضياء ﴿وذكراً للمتقين﴾ يعني يتذكرون بمواعظها ويعملون بما فيها ﴿الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ أي يخافونه ولم يروه، وقيل يخافونه في الخلوات إذا غابوا عن أعين الناس ﴿وهم من الساعة مشفقون﴾ أي خائفون ﴿وهذا ذكر مبارك أنزلناه﴾ أي كما آتينا موسى التوراة، فكذلك أنزلنا القرآن ذكراً مباركاً، أي هو ذكر لمن آمن به مبارك يتبرك به ويطلب منه الخير ﴿أفأنتم﴾ يا أهل مكة ﴿له منكرون﴾ أي جاحدون. قوله تعالى ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده﴾ أي صلاحه وهداه ﴿من قبل﴾ أي من قبل موسى وهٰرون، وقيل من قبل البلوغ وهو حين خرج من السرب وهو صغير ﴿وكنا به عالمين﴾ أي إنه من أهل الهداية والنبوة ﴿إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل﴾ يعني الصور والأصنام ﴿التي أنتم لها عاكفون﴾ أي مقيمون على عبادتها ﴿قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين﴾ أي فاقتدينا بهم ﴿قال﴾ يعني إبراهيم ﴿لقد كنتم أنتم وآباءكم في ضلال مبين﴾ أي في خطأ بين بعبادتكم إياها ﴿قالوا أجئتنا بالحق﴾ أي بالصدق ﴿أم أنت من اللاعبين﴾ يعنون أجاد أنت فيما تقول أم أنت لاعب ﴿قال بل ربكم رب السمٰوات والأرض الذي فطرهن﴾ أي خلقهن ﴿وأنا على ذلكم من الشاهدين﴾ أي على أنه الإله الذي يستحق العبادة، وقيل شاهد على أنه خالق السمٰوات والأرض ﴿وتالله لأكيدن أصنامكم﴾ أي لأمكرن بها ﴿بعد أن تولوا مدبرين﴾ أي منطلقين إلى عيدكم، قيل إنما قال إبراهيم هذا القول سراً في نفسه، ولم يسمع ذلك إلا رجل واحد من قومه فأفشاه

﴿ الذين يخشون ربَّهم بالغيب ﴾، أي يخافونه ولم يروه، ﴿ وهُمْ من الساعة مشفقون ﴾، خائفون.

﴿ وهذا ذكرٌ مبارك ﴾، يعني القرآن وهو ذكر لِمَن تذكّر به مبارك لِمَن يتبرك به ويطلب منه الخير، ﴿ أنزلناه أفأنتم ﴾، يا أهل مكة، ﴿ له منكرون ﴾، جاحِدون، هذا استفهام توبيخ وتعيير.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ ولقد آتينا إبراهيمَ رُشدَه ﴾، قال القرطبي: أي صلاحه، ﴿ من قبل ﴾، يعني من قبل موسى وهارون، وقال المفسّرون: رشده من قبل، أي هداه من قبلِ البلوغ، وهو حين خرج من السرب وهو صغير، يريد هَديناه صغيراً كما قال تعالى ليحيىٰ عليه السلام: ﴿ وآتيناه الحكم صبياً ﴾ [مريم: ١٢]، ﴿ وكنّا به عالمين ﴾، أنه أهل للهداية والنبوّة.

﴿ إذْ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل ﴾، أي الصور، يعني الأصنام ﴿ التي أنتم لها عاكِفون ﴾، يعني على عبادتها مقيمون.

﴿ قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ﴾، فاقتدينا بهم.

﴿ قال ﴾، إبراهيم، ﴿ لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين ﴾، خطأ بيّن بعبادتكم إيّاها.

﴿ قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين ﴾، يعنون أجادٌ أنت فيما تقول أم لاعب؟

﴿ قال بل ربُّكم ربُّ السمٰواتِ والأرض الذي فطرهنّ ﴾، خلقهنّ، ﴿ وأنا على ذلكم من الشاهدين ﴾،

عليه، وهو القائل إنا سمعنا فتى يذكرهم، وقيل كان لهم في كل سنة مجمع وعيد فكانوا إذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الأصنام فسجدوا لها ثم رجعوا إلى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال أبو إبراهيم يا إبراهيم لو خرجت معنا إلى عيدنا أعجبك ديننا فخرج معهم إبراهيم، فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه إلى الأرض وقال إني سقيم أشتكي رجلي فتركوه ومضوا، فنادى في آخرهم وقد بقي ضعفاء الناس تالله لأكيدن أصنامكم فسمعوها منه، ثم رجع إبراهيم إلى بيت الآلهة وهن في بهو عظيم، ومستقبل باب البهو صنم عظيم إلى جنبه صنم أصغر منه والأصنام جنبها إلى جنب بعض كل صنم الذي يليه أصغر منه وهكذا إلى باب البهو، وإذا هم قد جعلوا طعاماً بين يدي الآلهة وقالوا إذا رجعنا وقد بركت الآلهة عليه أكلنا منه، فلما نظر إبراهيم إليهم وإلى ما بين أيديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء «ألا تأكلون» فلما لم يجيبوه قال «ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضرباً باليمين» وجعل يكسرهن بفأس في يده حتى إذا لم يبق إلا الصنم العظيم، علق الفأس في عنقه، وقيل في يده ثم خرج فذلك قوله تعالى.

فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن
كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ
عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾
أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ
فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾

﴿**فجعلهم جذاذاً**﴾ أي كسراً وقطعاً ﴿**إلا كبيراً لهم**﴾ أي تركه ولم يكسره ووضع الفأس في عنقه، ثم خرج وقيل

يعني على أنه الإله الذي لا يستحق العبادة غيره. وقيل: من الشاهدين على أنه خالق السموات والأرض.

﴿ **وتالله لأكيدنّ أصنامكم** ﴾، لأمكرنّ بها، ﴿ **بعد أن تولوا مُدبرين** ﴾، يعني بعد أن تدبروا منطلقين إلى عيدكم. قال مجاهد وقتادة: إنما قال إبراهيم هذا سرّاً من قومه ولم يسمع ذلك إلّا رجل واحد فأفشاه عليه، وقال إنّا سمعنا فتىً يذكرهم يقال له إبراهيم. قال السدي: كان لهم في كل سنة مجمع وعيد فكانوا إذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الأصنام فسجدوا لها، ثم عادوا إلى منازلهم، فلما كان ذلك العيد قال أبو إبراهيم له يا إبراهيم لو خرجت معنا إلى عيدنا أعجبك ديننا فخرج معهم إبراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه، وقال إني سقيم، يقول اشتكى رجل فلما مضوا نادى إبراهيم في آخرهم وقد بقي ضعفاء الناس، ﴿ **وتالله لأكيدنّ أصنامكم** ﴾ فسمعوها منه ثم رجع إبراهيم إلى بيت الآلهة وهنّ في بهو عظيم مستقبل باب البهو صنم عظيم إلى جنبه صنم أصغر منه والأصنام بعضها إلى جنب بعض كل صنم يليه أصغر منه إلى باب البهو، وإذا هم قد جعلوا طعاماً فوضعوه بين يدي الآلهة، وقالوا: إذا رجعنا وقد برّكت الآلهة في طعامنا أكلنا، فلما نظر إليهم إبراهيم وإلى ما بين أيديهم من الطعام، قال لهم على طريق الاستهزاء ألا تأكلون، فلما لم تجبه قال ما لكم لا تنطقون، فراغ عليهم ضرباً باليمين، وجعل يكسرهم بفأس في يده حتى إذا لم يبق إلّا الصنم الأكبر علّق الفأس في عنقه ثم خرج، فذلك قوله عزّ وجلّ.

﴿ **فجعلهم جُذاذاً** ﴾، قرأ الكسائي ﴿ **جذاذاً** ﴾ بكسر الجيم أي كسراً وقطعاً جمع جذيذ، وهو الهشم مثل

ربطه على يده وكانت اثنين وسبعين صنماً بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد وبعضها من نحاس ورصاص وحجر وخشب وكان الصنم الكبير من الذهب مكللاً بالجواهر في عينيه ياقوتتان تتقدان وقوله ﴿**لعلهم إليه يرجعون**﴾ قيل معناه يرجعون إلى إبراهيم وإلى دينه وما يدعوهم إليه، إذا علموا ضعف الآلهة وعجزها، وقيل معناه لعلهم يرجعون إلى الصنم فيسألونه ما لهؤلاء تكسروا وأنت صحيح والفأس في عنقك، فلما رجع القوم من عيدهم إلى بيت آلهتهم ورأوا أصنامهم مكسرة ﴿**قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين**﴾ أي في تكسيرها واجترائه عليها ﴿**قالواسمعنا فتى يذكرهم**﴾ أي يسبهم ويعيبهم ﴿**يقال له إبراهيم**﴾ أي هو الذي نظن أنه صنع هذا فبلغ ذلك نمرود الجبار وأشراف قومه ﴿**قالوا فأتوا به على أعين الناس**﴾ أي جيئوا به ظاهراً بمرأى الناس وإنما قاله نمرود ﴿**لعلهم يشهدون**﴾ أي عليه بأنه الذي فعل ذلك كرهوا أن يأخذوه بغير بينة وقيل معناه لعلهم يحضرون عذابه وما يصنع به فلما أتوا به ﴿**قالوا**﴾ له ﴿**أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم قال**﴾ يعني إبراهيم ﴿**بل فعله كبيرهم هذا**﴾ غضب أن تعبدون معه هذه الصغار وهو أكبر منها فكسرهن وأراد إبراهيم بذلك إقامة الحجة عليهم فذلك قوله ﴿**فاسألوهم إن كانوا ينطقون**﴾ أي حتى يخبروا بمن فعل ذلك بهم، وقيل: معناه إن قدروا على النطق قدروا على الفعل فأراهم عجزهم عن النطق وفي ضمنه أنا فعلت ذلك (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات ثنتين منهن في ذات الله قوله إني سقيم وقوله: فعله كبيرهم هذا، وقوله لسارة: هذه أختي» لفظ الترمذي قيل في قوله إني سقيم أي: سأسقم وقيل: سقيم القلب مغتم بضلالتكم.

وأما قوله بل فعله كبيرهم هذا فإنه علق خبره بشرط نطقه كأنه قال: إن كان ينطق فهو على طريق التبكيت لقومه

خفيف وخفاف، وقرأ الآخرون بضمها، مثل الحطام والرفات، ﴿ **إلاّ كبيراً لهم** ﴾، فإنه لم يكسره ووضع الفأس في عنقه، وقيل ربطه بيده وكانت اثنين وسبعون صنماً بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد وبعضها من رصاص وشَبّة وخشب وحجر، وكان الصنم الكبير من الذهب مكلّلاً بالجواهر في عينيه ياقوتتان تتّقدان. قوله تعالى: ﴿ **لعلّهم إليه يرجعون** ﴾، قيل: معناه لعلّهم يرجعون إلى دينه وإلى ما يدعوهم إليه إذا علموا ضعف الآلهة وعجزها، وقيل: لعلّهم إليه يرجعون فيسألونه، فلما رجع القوم من عيدهم إلى بيت آلهتهم ورأوا أصنامهم جُذاذاً.

﴿ **قالوا مَنْ فعلَ هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين** ﴾، يعني من المجرمين.

﴿ **قالوا** ﴾ يعني الذين سمعوا قول إبراهيم وتالله لأكيدنّ أصنامكم، ﴿ **سمعنا فتىً يذكرهم** ﴾، يعيبهم ويسبّهم، ﴿ **يُقال له إبراهيم** ﴾، هو الذي نظن أنه صنع هذا، فبلغ ذلك نمرود الجبّار وأشراف قومه.

﴿ **قالوا فأتوا به على أعين الناس** ﴾، قاله نمرود يقول جيئوا به ظاهراً بمرأى من الناس، ﴿ **لعلّهم يشهدون** ﴾، عليه أنه الذي فعله، كرهوا أن يأخذوه بغير بيّنة، قاله الحسن وقتادة والسدي، وقال محمد بن إسحاق ﴿ **لعلّهم يشهدون** ﴾ أي يحضرون عقابه وما يصنع به فلما أتوا به.

﴿ **قالوا** ﴾، له ﴿ **أأنتَ فعلتَ هذا بآلهتنا يا إبراهيم** ﴾.

﴿ **قال** ﴾، إبراهيم، ﴿ **بل فعله كبيرهم هذا** ﴾، غضب من أن يُعبَد معه الصغار وهو أكبر منها فكسّرهنّ، وأراد بذلك إبراهيم إقامة الحجة عليهم، فذلك قوله: ﴿ **فاسئلوهم إن كانوا ينطقون** ﴾، حتى يخبروا مَن فعل ذلك بهم. قال القتيبي: معناه بل فعله كبيرهم إن كانوا ينطقون على سبيل الشرط فجعل النطق شرطاً للفعل أي إن قدروا على النطق قدروا على الفعل، فأراهم عجزهم عن النطق، وفي ضميره أنا فعلت، ورُوِيَ عن الكسائي أنه كان يقف عند قوله: ﴿ **بل فعله** ﴾ ويقول معناه فعله مَن فعله، والأول أصح لما رُوِيَ عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال:

وقوله لسارة: هذه أختي، أي في الدين والإيمان قال الله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ فكل هذه الألفاظ صدق في نفسها ليس فيها كذب. فإن قلت: قد سماها النبي ﷺ كذبات بقوله: لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات وقال في حديث الشفاعة ويذكر كذباته. قلت: معناه أنه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب، وإن كان حقاً في الباطن إلا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها أشفق إبراهيم عليه الصلاة والسلام منها بمؤاخذته بها قال البغوي: وهذه التأويلات لنفي الكذب عن إبراهيم والأولى هو الأول للحديث، ويجوز أن يكون الله أذن له في ذلك لقصد الصلاح وتوبيخهم والاحتجاج عليهم، كما أذن ليوسف حين أمر مناديه فقال: أيتها العير إنكم لسارقون ولم يكونوا سرقوا قال الإمام فخر الدين الرازي: وهذا القول مرغوب عنه، والدليل القاطع عليه أنه لو جاز أن يكذب لمصلحة ويأذن الله فيه فلنجوز هذا الاحتمال في كل ما أخبر الأنبياء عنه، وذلك يبطل الوثوق بالشرائع ويطرق التهمة إلى كلها، والحديث محمول على المعاريض، فإنه فيها مندوحة عن الكذب.

وقوله: ﴿فرجعوا إلى أنفسهم﴾ يعني تفكروا بقلوبهم ورجعوا إلى عقولهم ﴿فقالوا﴾ ما نراه إلا كما قال ﴿إنكم أنتم الظالمون﴾ يعني بعبادتكم ما لا يتكلم وقيل معناه أنتم الظالمون لهذا الرجل في سؤالكم إياه، وهذه آلهتكم حاضرة فاسألوها ﴿ثم نكسوا على رؤوسهم﴾ قال أهل التفسيسر أجرى الله الحق على ألسنتهم في القول الأول وهو إقرارهم على أنفسهم بالظلم ثم أدركتهم الشقاوة فرجعوا إلى حالهم الأولى وهو قوله: ثم نكسوا على رؤوسهم أي ردوا إلى الكفر وقالوا ﴿لقد علمت ما هؤلاء ينطقون﴾ يعني فكيف نسألهم، فلما اتجهت الحجة لإبراهيم عليهم ﴿قال﴾ لهم ﴿أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً﴾ يعني إن عبدتموه ﴿ولا يضركم﴾ يعني إن تركتم عبادته ﴿أف

«لم يكذب إبراهيم إلّا ثلاث كذبات، اثنتان مَنهنّ في ذات الله، قوله: ﴿ إني سقيم ﴾ [الصّافّات: ٨٩]، وقوله: ﴿ بل فعله كبيرهم ﴾، وقوله لسارة (هذه أختي). وقيل في قوله: ﴿ إني سقيم ﴾ [الصّافّات: ٨٩] أي سأسقم، وقيل: سقم القلب أي مغتمّ بضلالتكم، وقوله لسارة: (هذه أُختي) أي في الدين، وهذه التأويلات لنفي الكذب عن إبراهيم، والأول هو الأولى للحديث فيه، ويجوز أن يكون الله عزّ وجلّ أذن له في ذلك لقصد الصلاح وتوبيخهم والاحتجاج عليهم، كما أذن ليوسف حتى أمر مناديه فقال لإخوته: ﴿ أيّتها العير إنكم لسارقون ﴾ [يوسف: ٧٠]. ولم يكونوا سرقوا.

﴿ فرجعوا إلى أنفسهم ﴾، أي تفكّروا بقلوبهم ورجعوا إلى عقولهم، ﴿ فقالوا ﴾، ما نراه إلّا كما قال: ﴿ إنّكم أنتم الظالمون ﴾، يعني بعبادتكم مَن لا يتكلم. وقيل: أنتم الظالمون هذا الرجل سؤالكم إيّاه وهذه آلهتكم حاضرة فاسئلوها.

﴿ ثم نُكِسُوا على رُؤوسهم ﴾، قال أهل التفسير: أجرى الله الحق على لسانهم في القول الأول ثم أدركتهم الشقاوة، فهو معنى قوله: ﴿ ثم نُكِسُوا على رؤوسهم ﴾ أي ردّوا إلى الكفر بعد أن أقرّوا على أنفسهم بالظلم، يقال نكس المريض إذا رجع إلى حالته الأولى، وقالوا: ﴿ لقد علمتَ ما هؤلاء ينطقون ﴾، فكيف نسألهم؟ فلما اتجهت الحجة لإبراهيم عليه السلام.

﴿ قال ﴾، لهم، ﴿ أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ﴾، إن عبدتموه، ﴿ ولا يضرّكم ﴾، إن تركتم عبادته.

﴿ أُفٍّ لكم ﴾، يعني تَبّاً وقذراً لكم، ﴿ ولِما تعبدُون من دون الله أفلا تعقلون ﴾، يعني أليس لكم عقل تعرفون به هذا، فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب.

لكم﴾ يعني تباً لكم **﴿ولما تعبدون من دون الله﴾** والمعنى أنه حقرهم وحقر معبودهم **﴿أفلا تعقلون﴾** يعني أليس لكم عقل تعقلون به أن هذه الأصنام لا تستحق العبادة؟ فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب **﴿قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم﴾** يعني أنكم لا تنصرونها إلا بتحريق إبراهيم لأنه يعيبها ويطعن فيها **﴿إن كنتم فاعلين﴾** يعني ناصرين آلهتكم. قال ابن عمر: الذي قال هذا رجل من الأكراد قيل اسمه هيزن فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة. وقيل: قاله نمرود بن كنعان بن سنحاريب بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح.

ذكر القصة في ذلك

فلما اجتمع نمرود وقومه لإحراق إبراهيم حبسوه في بيت وبنوا بنياناً كالحظيرة بقرية يقال لها كوثى ثم جمعوا له صلاب الحطب وأصناف الخشب مدة شهر حتى كان الرجل يمرض فيقول: لئن عوفيت لأجمعن حطباً لإبراهيم وكانت المرأة تنذر في بعض ما تطلب لئن أصابته لتحتطبن في نار إبراهيم، وكانت المرأة تغزل وتشتري الحطب بغزلها احتساباً في دينها، وكان الرجل يوصي بشراء الحطب من ماله لإبراهيم، فلما جمعوا ما أرادوا أشعلوا في كل ناحية من الحطب ناراً فاشتعلت النار واشتدت حتى إن الطير ليمر بها فتحترق من شدة وهجها وحرها، فأوقدوا عليها سبعة أيام، فلما أرادوا أن يلقوا إبراهيم لم يعلموا كيف يلقونه، فقيل إن إبليس جاء وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه ثم عمدوا إلى إبراهيم فقيدوه ورفعوه على رأس البنيان ووضعوه في المنجنيق مقيداً مغلولاً، فصاحت السماء والأرض ومن فيهما من الملائكة وجميع الخلق إلا الثقلين صيحة واحدة: أي ربنا إبراهيم خليلك يلقى في النار وليس في أرضك أحد يعبدك غيره، فأذن لنا في نصرته فقال الله تعالى: إنه خليلي ليس لي خليل غيره وأنا إلٰهه ليس له إلٰه غيري فإن استغاث بأحد منكم أو دعاه فلينصره فقد أذنت له في ذلك، وإن لم يدع غيري، فأنا أعلم به وأنا وليه فخلوا بيني وبينه، فلما أرادوا إلقاءه في النار أتاه خازن المياه وقال: إن أردت أخمدت النار، وأتاه خازن الهواء وقال: إن شئت طيرت النار

﴿ قالوا حرّقوه وانصرُوا آلهتكم إن كنتم فاعلين ﴾، يعني إن كنتم ناصرين لها، وقال ابن عمر رضي الله عنهما: إن الذي قال هذا رجل من الأكراد. وقيل: إن اسمه هيزن فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة، قيل: له نمرود، فلما أجمع نمرود وقومه على إحراق إبراهيم عليه السلام حبسوه في بيت وبنوا له بنياناً كالحظيرة. وقيل: بنوا أتوناً بقرية يقال لها كوثى ثم جمعوا له صلاب الحطب من أصناف الخشب مدة حتى كان الرجل يمرض فيقول لئن عافاني الله لأجمعنّ حطباً لإبراهيم، وكانت المرأة تنذر في بعض ما تطلب لئن أصابته لتحطبنّ في نار إبراهيم، وكان الرجل يُوصي بشراء الحطب وإلقائه فيها وكانت المرأة تغزل وتشتري الحطب بغزلها، فتلقيه فيه احتساباً. قال ابن إسحاق كانوا يجمعون الحطب شهراً فلما جمعوا ما أرادوا أشعلوا في كل ناحية من الحطب النار فاشتعلت النار واشتدت حتى أن كان الطير ليمرّ بها فيحترق من شدّة وهجها، فأوقدوا عليها سبعة أيام. رُوِيَ أنهم لم يعلموا كيف يلقونه فيها فجاء إبليس فعلّمهم عمل المنجنيق فعملوه ثم عمدوا إلى إبراهيم فرفعوه على رأس البنيان وقيّدوه ثم وضعوه في المنجنيق مقيداً مغلولاً، فصاحت السماء والأرض ومَن فيها من الملائكة وجميع الخلق إلاّ الثقلين صيحة واحدة، أيْ ربنا إبراهيم خليلك يُلقى في النار وليس في أرضك أحد يعبدك غيره فأذنْ لنا في نصرته، فقال الله عزّ وجلّ: إنه خليلي ليس لي غيره خليل، وأنا إلَٰهه وليس له إلَٰه غيري، فإن استغاث بشيء منكم أو دعاه فلينصره فقد أذنت له في ذلك، وإن لم يدعُ غيري فأنا أعلم به وأنا وليّه فخلّوا بيني وبينه، فلما أرادوا إلقاءه في النار أتاه خازن المياه فقال إن أردت أخمدت النار، وأتاه خازن الرياح فقال إن شئت طيّرت النار في الهواء، فقال إبراهيم لا حاجة لي إليكم حسبي الله ونِعمَ الوكيل. ورُوِيَ عن أُبيّ بن كعب أن

في الهواء فقال إبراهيم: لا حاجة لي إليكم حسبي الله ونعم الوكيل.

وروي عن أبي بن كعب أن إبراهيم قال حين أوثقوه في النار: لا إله إلا أنت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك، ثم رموا به في المنجنيق إلى النار، فاستقبله جبريل فقال: يا إبراهيم ألك حاجة فقال: أما إليك فلا قال جبريل فاسأل ربك فقال إبراهيم: حسبي من سؤالي علمه بحالي (خ) عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ قال: قالها إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين ألقي في النار وقالها محمد ﷺ حين ﴿قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم﴾ قال كعب الأحبار: جعل كل شيء يطفىء عنه النار إلا الوزغ فإنه كان ينفخ في النار (ق) عن أم شريك أن رسول الله ﷺ «أمر بقتل الأوزاغ ـ زاد البخاري ـ وقال كان ينفخ على إبراهيم» (قلنا) يعني قال عز وجل.

﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾

﴿يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ قال ابن عباس: لو لم يقل سلاماً لمات إبراهيم من بردها، وفي بعض الآثار أنه لم يبق يومئذ نار في الأرض إلا طفئت فلم ينتفع في ذلك اليوم بنار في العالم، ولو لم يقل على إبراهيم بقيت ذات برد أبداً، وقيل: أخذت الملائكة بضبعي إبراهيم فأقعدوه على الأرض فإذا عين ماء عذب وورد أحمر ونرجس. قال كعب: ما أحرقت النار من إبراهيم إلا وثاقه قالوا: وكان إبراهيم في ذلك الموضع سبعة أيام، قاله المنهال بن عمرو وقال إبراهيم: ما كنت أياماً قط أنعم مني من الأيام التي كنت في النار. قيل: وبعث الله تعالى ملك الظل في صورة إبراهيم فقعد إلى جنب إبراهيم يؤنسه. قالوا: وبعث الله عز وجل جبريل بقميص من حرير الجنة وطنفسة فألبسه القميص وأقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه، وقال جبريل: يا إبراهيم إن ربك يقول: أما علمت أن النار لا تضر أحبائي. ثم نظر نمرود وأشرف على إبراهيم من صرح له فرآه جالساً في روضة والملك قاعد إلى جنبه وما حوله

إبراهيم قال حين أوثقوه ليلقوه في النار: قال: لا إله إلاّ أنت سبحانك ربّ العالمين لك الحمد ولك المُلْك لا شريك لك، ثم رموا به في المنجنيق إلى النار، فاستقبله جبريل فقال: يا إبراهيم لك حاجة؟ فقال: أمّا إليك فلا، فقال جبريل: فاسأل ربك، فقال إبراهيم: حسبي من سؤالي علمه بحالي. قال كعب الأحبار: جعل كل شيء يطفىء عنها النار إلّا الوزغ فإنه كان ينفخ في النار. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبد الله بن موسى وابن سلام عنه أنا ابن جريج عن عبد الحميد بن جبير عن سعيد بن المسيب عن أم شريك أن رسول الله ﷺ أمر بقتل الوزغ، وقال كان: «ينفخ النار على إبراهيم».

قال الله تعالى: ﴿ قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ﴾، قال ابن عباس لو لم يقل سلاماً لمات إبراهيم من بردها، ومن المعروف في الآثار أنه لم يبق يومئذ نار في الأرض إلا طفئت، فلم ينتفع في ذلك اليوم بنار في العالم، ولو لم يقل على إبراهيم بقيت ذات برد أبداً. قال السدي: فأخذت الملائكة بضبعي إبراهيم فأقعدوه على الأرض، فإذا عين ماء عذب وورد أحمر ونرجس. قال كعب: ما أحرقت النار من إبراهيم إلّا وثاقه، قالوا: وكان إبراهيم في ذلك الموضع سبعة أيام، قال المنهال بن عمرو: قال إبراهيم ما كنت قطّ أياماً أنعم منّي من الأيام التي كنت فيها في النار. قال ابن يسار: وبعث الله ملك الظل في صورة إبراهيم فقعد فيها إلى جنب إبراهيم يؤنسه، قالوا وبعث الله جبريل إليه بقميص من حرير الجنة وطنفسة فألبسه القميص وأقعده على الطنفسة وقعد معه يحدّثه، وقال جبريل: يا إبراهيم إن ربك يقول لك أما علمت أن النار لا تضرّ أحبائي، ثم نظر نمرود وأشرف على إبراهيم

نار تحرق الحطب، فناداه يا إبراهيم كبير إلهك الذي بلغت قدرته أن حال بينك وبين النار يا إبراهيم هل تستطيع أن تخرج منها قال نعم. قال: هل تخشى إن قمت أن تضرك قال لا. قال: فقم فاخرج منها فقام إبراهيم يمشي فيها حتى خرج منها فلما وصل إليه قال له يا إبراهيم من الرجل الذي رأيته معك مثلك في صورتك قاعداً إلى جنبك؟ قال: ذلك ملك الظل أرسله إلي ربي ليؤنسني فيها فقال نمرود يا إبراهيم إني مقرب إلى إلهك قرباناً لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك حين أبيت إلا عبادته وتوحيده وإني ذابح له أربعة آلاف بقرة.

قال إبراهيم: لا يقبل الله منك ما دمت على دينك حتى تفارقه وترجع إلى ديني فقال: لا أستطيع ترك ملكي ولكن سوف أذبحها، فذبحها نمرود، وكف عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام ومنعه الله عز وجل منه قوله عز وجل **﴿وأرادوا به كيداً﴾** يعني أرادوا أن يكيدوه **﴿فجعلناهم الأخسرين﴾** قيل: معناه أنهم خسروا السعي والنفقة ولم يحصل لهم مرادهم. وقيل: إن الله تعالى أرسل على نمرود وقومه البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت في دماغه بعوضة فأهلكته. قوله تعالى: **﴿ونجيناه ولوطاً﴾** يعني من نمرود وقومه **﴿إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾** يعني إلى أرض الشام بارك الله فيها بالخصب وكثرة الأشجار والثمار والأنهار. وقال أبي بن كعب: بارك الله فيها وسماها مباركة لأنه ما من ماء عذب إلا وينبع أصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس. وقيل: لأن أكثر الأنبياء منها (ق) عن أبي قتادة أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال لكعب: ألا تتحول إلى المدينة فيها مهاجر رسول الله ﷺ وقبره فقال كعب: إني وجدت في كتاب الله المنزل يا أمير المؤمنين أن الشام كنز الله من أرضه وبها كنز من عباده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ستكون هجرة بعد هجرة فخيار أهل

من صرح له فرآه جالساً في روضة والملك قاعداً إلى جنبه وما حوله نار تحرق الحطب، فناداه يا إبراهيم كبير إلَهك الذي بلغت قدرته، أي حل بينك وبين ما أرى، يا إبراهيم هل تستطيع أن تخرج منها؟ قال: نعم، قال: هل تخشى إن أقمت فيها أن تضرّك؟ قال: لا، قال: فقم فاخرج منها، فقام إبراهيم يمشي فيها حتى خرج منها، فلما خرج إليه قال له: يا إبراهيم مَنِ الرجل الذي رأيتَه معك في مثل صورتك قاعداً إلى جنبك؟ قال: ذاك ملك الظل أرسله إليّ ربّي ليؤنسني فيها، فقال نمرود يا إبراهيم إنّي مقرّب إلى إلَهك قرباناً لما رأيت من قدرته وعزّته فيما صنع بك حيث أبيت إلّا عبادته وتوحيده إني ذابح له أربعة آلاف بقرة، فقال له إبراهيم: إذاً لا يقبلها منك ما كنت على دينك حتى تفارقه إلى ديني، فقال: لا أستطيع ترك ملّتي ومُلكي. ولكن سوف أذبحها فذبحها له نمرود ثم كفّ عن إبراهيم، ومنعه الله منه. قال شعيب الجبائي: أُلقي إبراهيم في النار وهو ابن ستّ عشرة سنة.

قوله: **﴿ وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين ﴾**، قيل: معناه أنهم خسروا السعي والنفقة ولم يحصل لهم مرادهم، وقيل: معناه إن الله عزّ وجلّ أرسل على نمرود وأهله البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم، ودخلت واحدة في دماغه فأهلكته.

قوله: **﴿ ونجّيناه ولوطاً ﴾**، من نمرود وقومه من أرض العراق، **﴿ إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين ﴾**، يعني الشام بارك الله فيها بالخصب وكثرة الأشجار والثمار والأنهار، ومنها بعث أكثر الأنبياء. وقال أُبيّ بن كعب: سمّاها مباركة لأنه ما من ماء عذب إلا وينبع أصله من تحت الصخرة التي هي ببيت المقدس، أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسين بن بشران أنا إسماعيل بن محمد الصفار أنا أحمد بن منصور الرمادي أنا عبد الرزاق أنا معمر عن قتادة أن عمر بن الخطاب قال لكعب: ألا تتحول إلى المدينة فبها مهاجر رسول الله ﷺ وقبره، فقال كعب: إني وجدت في كتاب الله المنزل يا أمير المؤمنين أن الشام كنز الله من أرضه، وبها كنزه من عباده، أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري أنا جدّي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز أنا محمد بن زكريا

الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم» أخرجه أبو داود، أراد بالهجرة الثانية الهجرة إلى الشام يرغب في المقام بها عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: «طوبى لأهل الشام فقلت وما ذاك يا رسول الله قال لأن الملائكة باسطة أجنحتها عليها» أخرجه الترمذي عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: «قلت يا رسول الله أين تأمرني؟ قال ها هنا ونحا بيده نحو الشام» أخرجه الترمذي.

قال محمد بن إسحاق: استجاب لإبراهيم رجال من قومه حين رأوا ما صنع الله تعالى به من جعل النار عليه برداً وسلاماً على خوف من نمرود وملئهم وآمنت به سارة بنت هاران الأكبر عم إبراهيم، وتبعه لوط وكان ابن أخيه وهو لوط بن هاران وهو أخو إبراهيم، وكان لهما أخ ثالث اسمه ناخور فثلاثتهم أولاد تارخ وهو آزر، فخرج إبراهيم من كوثى من أرض العراق مهاجراً إلى ربه ومعه لوط وسارة فخرج يلتمس الفرار بدينه والأمان على عبادة ربه حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله، ثم خرج مهاجراً حتى قدم مصر، ثم خرج ورجع إلى الشام فنزل السبع من أرض فلسطين، ونزل لوط بالمؤتفكة وهي على مسيرة يوم وليلة من السبع فبعثه الله نبياً إلى أهلها وما قرب منها فذلك قوله تعالى ﴿ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾ قوله تعالى:

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة﴾ يعني عطية من عطاء الله. قال ابن عباس: النافلة هو يعقوب لأن الله تعالى

العذافري أنا إسحاق الديري أنا عبد الرزاق أنا معمر عن قتادة عن شهر بن حوشب عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنها ستكون هجرة بعد هجرة، فخيار الناس إلى مهاجر إبراهيم»، وقال محمد بن إسحاق: استجاب لإبراهيم رجال من قومه حين رأوا ما صنع الله به من جعل النار عليه برداً وسلاماً على خوف من نمرود وملئه وأمن به لوط، وكان ابن أخيه وهو لوط بن هاران بن تارخ، وهاران هو أخو إبراهيم وكان لهما أخ ثالث يقال له ناخور بن تارخ، وآمنت به أيضاً سارة وهي بنت عمّه وهي سارة بنت هاران الأكبر، عمّ إبراهيم فخرج من كوثى من أرض العراق مهاجراً إلى ربّه، ومعه لوط وسارة، كما قال الله تعالى: ﴿ فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي ﴾ [العنكبوت: ٢٦]، فخرج يلتمس الفرار بدينه والأمان على عبادة ربه، حتى نزل حرّان فمكث بها ما شاء الله ثم خرج منها مهاجراً حتى قَدِمَ مصر، ثم خرج من مصر إلى الشام، فنزل السبع من أرض فلسطين، وهي برية الشام، ونزل لوط بالمؤتفكة وهي من السبع على مسيرة يوم وليلة، وأقرب، فبعثه الله نبيّاً فذلك قوله تعالى: ﴿ ونجّيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين ﴾.

﴿ ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلةً ﴾، قال مجاهد وعطاء: معنى النافلة العطية وهما جميعاً من عطاء الله

أعطى إبراهيم إسحاق بدعائه حيث قال: رب هب لي من الصالحين وزاده يعقوب نافلة وهو ولد الولد ﴿وكلاً جعلنا صالحين﴾ يعني إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴿وجعلناهم أئمة﴾ يعني قدوة يهتدى بهم في الخير ﴿يهدون بأمرنا﴾ يعني يدعون الناس إلى ديننا بأمرنا ﴿وأوحينا إليهم فعل الخيرات﴾ يعني العمل بالشرائع ﴿وإقام الصلاة﴾ يعني المحافظة عليها ﴿وإيتاء الزكاة﴾ يعني الواجبة وخصهما لأن الصلاة أفضل العبادات البدنية وشرعت لذكر الله والزكاة أفضل العبادات المالية ومجموعهما التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله ﴿وكانوا لنا عابدين﴾ يعني موحدين قوله عز وجل ﴿ولوطاً آتيناه حكماً﴾ أي الفصل بين الخصوم بالحق وقيل أراد الحكمة والنبوة ﴿وعلماً ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث﴾ يعني قرية سدوم وأراد أهلها وأراد بالخبائث إتيان الذكور في أدبارهم، وكانوا يتضارطون في مجالسهم مع أشياء أخرى كانوا يعلمونها من المنكرات ﴿إنهم كانوا قوم سوء فاسقين وأدخلناه في رحمتنا﴾ قيل: أراد بالرحمة النبوة وقيل أراد بها الثواب ﴿إنه من الصالحين﴾ أي الأنبياء.

قوله تعالى: ﴿ونوحاً إذ نادى من قبل﴾ أي من قبل إبراهيم ولوط ﴿فاستجبنا له﴾ أي أجبنا دعاءه ﴿فنجيناه وأهله من الكرب العظيم﴾ قال ابن عباس من الغرق وتكذيب قومه له، وقيل: إنه كان أطول الأنبياء عمراً وأشدهم بلاء. والكرب أشد الغم ﴿ونصرناه﴾ أي منعناه ﴿من القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ من أن يصلوا إليه بسوء وقيل من بمعنى على ﴿إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين﴾. قوله عز وجل ﴿وداود وسليمان إذ يحكما في الحرث﴾ قال ابن عباس وأكثر المفسرين: كان الحرث كرماً قد تدلت عناقيده وقيل كان زرعاً وهو أشبه بالعرف ﴿إذ نفشت فيه غنم القوم﴾ أي

نافلة يعني عطاء، قال الحسن والضحاك: فضلاً. وعن ابن عباس وأُبيّ بن كعب وابن زيد وقتادة رضي الله عنهم: النافلة هو يعقوب لأن الله عزّ وجلّ أعطاه إسحاق بدعائه حيث قال: ﴿هب لي من الصالحين﴾ [الصّافّات: ١٠٠]، وزاد يعقوب وهو ولد الولد، والنافلة الزيادة، ﴿وكلاً جعلنا صالحين﴾، يعني إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾، يقتدى بهم في الخيرات يهدون بأمرنا يدعون الناس إلى ديننا، ﴿وأوحينا إليهم فعل الخيرات﴾، يعني العمل بالشرائع، ﴿وإقام الصلاة﴾، يعني المحافظة عليها، ﴿وإيتاء الزكاة﴾، إعطاءها، ﴿وكانوا لنا عابدين﴾، موحدين.

﴿ولوطاً آتيناه﴾، يعني وآتينا لوطاً، وقيل: واذكر لوطاً آتيناه، ﴿حكماً﴾، يعني الفصل بين الخصوم بالحق، ﴿وعلماً﴾، ﴿ونجّيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث﴾، يعني سدوماً وكان أهلها يأتون الذكران في أدبارهم ويتضارطون في أنديتهم مع أشياء أُخَر، كانوا يعملونها من المنكرات، ﴿إنهم كانوا قوم سوء فاسقين﴾.

﴿وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين﴾.

﴿ونوحاً إذْ نادى﴾، دعا، ﴿من قبل﴾، يعني من قبل إبراهيم ولوط، ﴿فاستجبنا له فنجّيناه وأهله من الكرب العظيم﴾، قال ابن عباس: من الغرق وتكذيب قومه. وقيل: لأنه كان أطول الأنبياء عمراً وأشدّهم بلاءً والكرب أشدّ الغمّ.

﴿ونصرناه﴾، منعناه، ﴿من القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾، أن يصلوا إليه بسوء. وقال أبو عبيدة: يعني على القوم، ﴿إنهم كانوا قومَ سوءٍ فأغرقناهم أجمعين﴾.

قوله تعالى: ﴿وداود وسليمان إذْ يحكمان في الحرث﴾، اختلفوا في الحرث، قال ابن مسعود وابن عباس

رعته ليلاً فأفسدته وكان بلا راع ﴿وكنا لحكمهم شاهدين﴾ أي كان ذلك بعلمنا ومرأى منا لا يخفى علينا علمه. وفيه دليل لمن يقول بأن أقل الجمع اثنان لقوله وكنا لحكمهم والمراد به داود وسليمان قال ابن عباس وغيره. إن رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الزرع إن غنم هذا دخلت زرعي ليلاً فوقعت فيه فأفسدته فلم تبق منه شيئاً فأعطاه رقاب الغنم بالزرع، فخرجا فمرا على سليمان فقال: كيف قضى بينكما فأخبراه فقال سليمان: لو وليت أمركما لقضيت بغير هذا وروي أنه قال غير هذا أرفق بالفريقين، فأخبر بذلك داود فدعاه وقال: كيف تقضي ويروى أنه قال له بحق النبوة والأبوة إلا ما أخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين؟ قال أدفع الغنم إلى صاحب الحرث ينتفع بدرها ونسلها وصوفها ومنافعها، ويزرع صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه، فاذا صار الحرث كهيئته يوم أكل دفع إلى صاحبه وأخذ صاحب الغنم غنمه فقال داود: القضاء ما قضيت وحكم بذلك، فقيل: كان لسليمان يوم حكم بذلك من العمر إحدى عشر سنة.

وحكم الإسلام في هذه المسألة أن ما أفسدته الماشية المرسلة من مال الغير بالنهار فلا ضمان على ربها وما أفسدته بالليل ضمنه ربها لأن في عرف الناس أن أصحاب الزرع يحفظونه بالنهار والمواشي تسرح بالنهار وترد بالليل إلى المراح. ويدل على هذه المسألة ما روى حرام بن سعد بن محيصة أن ناقة للبراء بن عازب دخلت حائطاً لرجل من الأنصار فأفسدت فيه فقضى رسول الله ﷺ أن على أهل الأموال حفظها بالنهار، وعلى أهل المواشي حفظها بالليل وزاد في رواية: وإن على أهل الماشية ما أصابت ماشيتهم بالليل، أخرجه أبو داود مرسلاً. وذهب أصحاب الرأي أن المالك إذا لم يكن مع ماشيته فلا ضمان عليه فيما أتلفت ليلاً كان أو نهاراً، فذلك قوله تعالى: ﴿ففهمناها سليمان﴾ أي علمناه وألهمناه حكم القضية ﴿وكلاً﴾ أي داود وسليمان ﴿آتينا حكماً وعلماً﴾ أي بوجوه الاجتهاد وطرق الأحكام

رضي الله عنهم وأكثر المفسّرين: كان الحرث كرماً قد تدلّت عناقيدُه. وقال قتادة: كان زرعاً، ﴿ إذْ نفشتْ فيه غنمُ القوم ﴾، يعني رعته ليلاً فأفسدته، والنفش الرعي بالليل والهمل بالنهار وهما الرعي بلا راع، ﴿ وكنّا لحكمهم شاهدين ﴾، يعني كان ذلك بعلمنا وبمرأى منّا لا يخفى علينا علمه. قال الفرّاء: جمع اثنين، فقال لحكمهم وهو يريد داود وسليمان لأن الاثنين جمع وهو مثل قوله: ﴿ فإن كان له إخوة فلأمه السدس ﴾ [النساء: ١١]، وهو يريد أخوين. قال ابن عباس وقتادة والزهري: وذلك أن رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب زرع والآخر صاحب غنم، فقال صاحب الزرع إن هذا انفلتت غنمه ليلاً ووقعت في حرثي فأفسدته فلم يبق منه شيء فأعطاه داود رقاب الغنم بالحرث، فخرجا فمرّا على سليمان فقال: كيف قضى بينكما فأخبراه، فقال سليمان لو ولِّيت أمرهما لقضيت بغير هذا. ورُوِيَ أنه قال غير هذا أرفق بالفريقين فأخبر بذلك داود فدعاه فقال: كيف تقضي؟ ويُروى أنه قال بحق النبوّة والأبوّة ألا أخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين، قال: ادفع الغنم إلى صاحب الحرث ينتفع بدرها ونسلها وصوفها ومنافعها ويبذر صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه، فإذا صار الحرث كهيئة يوم أكل دفع إلى أهله وأخذ صاحب الغنم غنمه، فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك. وقيل: إن سليمان يوم حكم بذلك كان ابن إحدى عشرة سنة، وأما حكم الإسلام في هذه المسألة أن ما أفسدت الماشية المرسلة بالنهار من مال الغير فلا ضمان على ربّها، وما أفسدته بالليل ضمنته بها لأن في عُرف الناس أن أصحاب الزرع يحفظونه بالنهار، والمواشي تسرح بالنهار وترد بالليل إلى المراح. أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي شهاب عن حرام بن سعد بن محيصة أن ناقة للبراء بن عازب دخلت حائطاً فأفسدته فقضى رسول الله ﷺ أن على أهل الحوائط حفظها بالنهار وأن ما أفسدت المواشي بالليل ضمان على أهلها، وذهب أصحاب الرأي إلى أن المالك إذا لم يكن معها فلا ضمان عليه فيما أتلفت ماشيته ليلاً كان أو نهاراً.

قال الحسن لولا هذه الآية لرأيت الحكام قد هلكوا ولكن الله حمد هذا بصوابه وأثنى على هذا باجتهاده.

واختلف العلماء في أن حكم داود كان باجتهاده أم بنص، وكذلك حكم سليمان فقال بعضهم: حكماً بالاجتهاد. قال: ويجوز الاجتهاد للأنبياء ليدركوا ثواب المجتهدين والعلماء لهم الاجتهاد في الحوادث إذا لم يجدوا فيها نص كتاب أو سنة وإذا أخطؤوا فلا إثم عليهم (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر» وقال قوم إن داود وسليمان حكما بالوحي فكان حكم سليمان ناسخاً لحكم داود ومن قال بهذا يقول لا يجوز للأنبياء الحكم بالاجتهاد لأنهم مستغنون عنه بالوحي، واحتج من ذهب إلى أن كل مجتهد مصيب بظاهر هذه الآية وبالحديث حيث وعد الثواب للمجتهد على الخطأ، وهو قول أصحاب الرأي وذهب جماعة إلى أنه ليس كل مجتهد مصيباً بل إذا اختلف اجتهاد المجتهدين في حادثة كان الحق مع واحد لا بعينه، ولو كان كل واحد مصيباً لم يكن للتقسيم معنى، وقوله ﷺ: «إذا اجتهد فأخطأ فله أجر» لم يرد به أنه يؤجر على الخطأ بل يؤجر على اجتهاده في طلب الحق لأن اجتهاده عبادة والإثم في الخطأ عنه موضوع إذا لم يأل جهداً، ووجه الاجتهاد في هذا الحكم أن داود قوم قدر الضرر في الحرث فكان مساوياً لقيمة الغنم، وكان عنده أن الواجب في ذلك الضرر في الحرث قيمة المثل، فلا جرم سلم الغنم إلى المجني عليه.

وأما سليمان فإن اجتهاده أدى إلى أنه يجب مقابلة الأصول بالأصول والزوائد بالزوائد، فأما مقابلة الأصول بالزوائد فغير جائزة، ولعل منافع الغنم في تلك السنة كانت موازية لمنافع الحرث فحكم به. ومن أحكام داود وسليمان عليهما السلام ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما فقالت لصاحبتها إنما ذهب بابنك وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك فتحاكمتا

قوله تعالى: ﴿ ففهمناها سليمان ﴾، أي علمناه القضية وألهمناها سليمان، ﴿وكلاًّ﴾، يعني داود وسليمان، ﴿ آتينا حكماً وعلماً ﴾، قال الحسن: لولا هذه الآية لرأيت الحكّام قد أهلكوا ولكن الله حمد هذا بصَوابِه وأثنى على هذا باجتهاده. واختلف العلماء في أن حكم داود كان بالاجتهاد أو بالنص، وكذلك حكم سليمان، فقال بعضهم: فعلا بالاجتهاد. وقالوا: يجوز الاجتهاد للأنبياء ليدركوا ثواب المجتهدين، إلّا أن داود أخطأ وأصاب سليمان. وقالوا: يجوز الخطأ على الأنبياء إلّا أنهم لا يقرّون عليه، فأما العلماء فلهم الاجتهاد في الحوادث إذا لم يجدوا فيها نص كتاب ولا سُنّة، فإذا أخطأوا فلا إثم عليهم، فإنه موضوع عنهم، لما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع بن سليمان أنا الشافعي أنا عبد العزيز بن محمد عن يزيد بن عبد الله بن الهادي عن محمد بن إبراهيم التيمي عن بسر بن سعيد أبي عن قيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر»، وقال قوم: إن داود وسليمان حكما بالوحي، وكان حكم سليمان ناسخاً لحكم داود، وهذا القائل يقول لا يجوز للأنبياء الحكم بالاجتهاد لأنهم مستغنون عن الاجتهاد بالوحي، وقالوا: لا يجوز الخطأ على الأنبياء، واحتجّ مَن ذهب إلى أن كل مجتهد مصيب بظاهر الآية وبالخبر حيث وعد الثواب للمجتهد على الخطأ، وهو قول أصحاب الرأي وذهب جماعة إلى أنه ليس كل مجتهد مصيباً بل إذا اختلف اجتهاد مجتهدين في حادثة كان الحق مع واحد لا بعينه، ولو كان كل واحد مصيباً لم يكن للتقسيم معنى، وقوله عليه السلام: «وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر»، لم يرد به أنه يؤجر على اجتهاده في طلب الحق لأن اجتهاده عبادة، والإثم في الخطأ عنه موضع إذا لم يألُ جهده، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري أنا أبو الزناد عن عبد الرحمن الأعرج أنه سمع أبا هريرة أنه

إلى داود فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرتاه فقال: ائتوني بالسكين أشقه بينهما فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى» أخرجاه في الصحيحين قوله تعالى ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير﴾ أي يسبحن مع داود إذا سبح قال ابن عباس كان يفهم تسبيح الحجر والشجر، قيل: كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير وقيل معنى يسبحن يصلين معه إذا صلى وقيل كان داود إذا فتر يسمعه الله تسبيح الجبال والطير لينشط في التسبيح ويشتاق إليه ﴿وكنا فاعلين﴾ يعني ما ذكر من التفهيم وإيتاء الحكم والتسخير.

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾

﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم﴾ أي صنعة الدروع التي تلبس في الحرب قيل أول من صنع الدروع وسردها واتخذها حلقاً داود وكانت من قبل صفائح قالوا إن الله ألان الحديد لداود بأن يعمل منه بغير نار كأنه طين والدرع يجمع بين الخفة والحصانة وهو قوله تعالى: ﴿لتحصنكم﴾ أي تمنعكم ﴿من بأسكم﴾ أي حرب عدوكم وقيل من وقع السلاح فيكم وقيل ليحصنكم الله به ﴿فهل أنتم شاكرون﴾ أي يقول ذلك لداود وأهل بيته. قوله عز وجل ﴿ولسليمان الريح﴾ أي وسخرنا لسليمان الريح وهو جسم متحرك لطيف ممتنع بلطفه من القبض عليه يظهر للحسن بحركته ويخفى عن البصر بلطفه ﴿عاصفة﴾ أي شديدة الهبوب. فإن قلت: قد وصفها الله بالرخاء وهي الريح اللينة قلت: كانت الريح تحت أمره إن أراد أن تشتد اشتدت وإن أراد أن تلين لانت ﴿تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها﴾

سمع رسول الله ﷺ يقول: «كانت امرأتان معهما ابناهما فجاء الذئب فذهب بابن إحداهما فقالت صاحبتهما إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى إنما ذهب بابنك فتحاكمتا إلى داود فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان وأخبرتاه فقال ائتوني بالسكّين أشقّه بينهما، فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله فهو ابنها فقضى به للصغرى». قوله تعالى: ﴿ وسخّرنا مع داود الجبال يسبّحن والطير ﴾، أي وسخّرنا الجبال والطير يسبّحن مع داود إذا سبّح، قال ابن عباس: كان يفهم تسبيح الحجر والشجر. وقال وهب: كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير. وقال قتادة: يسبّحن أي يصلّين معه إذا صلّى. وقيل: كان داود إذا فتر يُسمعه الله تسبيح الجِبال والطير لينشط في التسبيح ويشتاق إليه. ﴿ وكنّا فاعلين ﴾، ما ذكر من التفهيم وإيتاء الحكم والتسخير.

﴿ وعلّمناه صنعة لَبوس لكم ﴾، المراد باللبوس هنا الدروع لأنها تلبس وهو في اللغة اسم لكل ما يلبس ويستعمل في الأسلحة كلها، وهو بمعنى الملبوس كالجلوس والركوب، قال قتادة: أول مَن صنع الدروع وسردها وحلقها داود وكانت من قبل صفائح والدرع يجمع الخفّة والحصانة، ﴿ لِتُحْصِنَكم ﴾، لتحرزكم وتمنعكم، ﴿ من بأسكم ﴾، أي من حرب عدوّكم، قال السدي: من وقع السلاح فيكم، قرأ أبو جعفر وابن عامر وحفص عن عاصم ويعقوب: ﴿ لتحصنكم ﴾ بالتاء، يعني الصنعة، وقرأ أبو بكر عن عاصم بالنون لقوله: ﴿ وعلّمناه ﴾، وقرأ الآخرون بالياء وجعلوا الفعل للبوس، وقيل: ليحصنكم الله، ﴿ فهل أنتم شاكرون ﴾، يقول لداود وأهل بيته. وقيل: يقول لأهل مكة فهل أنتم شاكرون نعمي بطاعة الرسول.

﴿ولسليمان الريحَ عاصفةً﴾، أي وسخّرنا لسليمان الريح وهي هـواء متحرّك وهـو جسم لطيف يمتنع بلطفه من القبض عليه، ويظهر للحسّ بحركته، والريح يذكّر ويؤنّث، عاصفة شديدة الهبوب، فإن قيل: قد قال في موضع آخر تجري بأمره رُخاءً والرخاء اللين؟ قيل: كانت الريح تحت أمره إن أراد أن تشتد اشتدّت، وإن أراد أن تلين

يعني الشام وذلك لأنها كانت تجري بسليمان وأصحابه حيث يشاء سليمان ثم يعود إلى منزله بالشام ﴿**وكنا بكل شيء عالمين**﴾ أي بصحة التدبير فيه وعلمنا أن ما يعطى سليمان من تسخير الريح وغيره يدعوه إلى الخضوع لربه. قال وهب: كان سليمان عليه السلام إذا خرج إلى مجلسه حلقت عليه الطير وقام له الإنس والجن حتى يجلس على سريره، وكان امرأ غزاء، قلما كان يقعد عن الغزو، ولا يسمع في ناحية من الأرض بملك إلا أتاه حتى يذله، وكان فيما يزعمون إذا أراد الغزو أمر بعسكره فضرب له بخشب، ثم نصب له على الخشب، ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب، فإذا حمل معه ما يريد أمر العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتملته، حتى إذا استقلت به أمر الرخاء فمرت به شهراً في روحته وشهراً في غدوته إلى حيث أراد.

وكانت تمر بعسكره الريح الرخاء وبالمزرعة فما تحركها ولا تثير تراباً ولا تؤذي طائراً. قال وهب: ذكر لي أن منزلاً بناحية دجلة مكتوب فيه كتبه بعض صحابة سليمان إما من الإنس أو من الجن نحن نزلناه وما بنيناه ومبنياً وجدناه غدونا من إصطخر فقلناه ونحن رائحون منه إن شاء الله فنازلون بالشام وقال مقاتل: نسجت الشياطين لسليمان بساطاً فرسخاً في فرسخ ذهباً في إبريسم وكان يوضع له منبر من ذهب وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وفضة، تقعد الأنبياء على كراسي الذهب، والعلماء على كراسي الفضة، وحولهم الناس، وحول الناس الجن والشياطين، وتظلله الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه شمس، وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح إلى

لَانَتْ، ﴿ **تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها** ﴾، يعني الشام، وذلك أنها كانت تجري لسليمان وأصحابه حيث شاء سليمان، ثم يعود إلى منزله بالشام، ﴿ **وكنّا بكل شيء** ﴾، علمناه، ﴿ **عالمين** ﴾، بصحة التدبير فيه أي علمنا أن ما يُعطى سليمان من تسخير الريح وغيره يدعوه إلى الخضوع لربه عزّ وجلّ قال وهب بن منبّه: كان سليمان إذا خرج إلى مجلسه عكفت عليه الطير وقام له الجنّ والإنس حتى يجلس على سريره، وكان امرءاً غزّاءً قلّ ما يقعد عن الغزو ولا يسمع في ناحية من الأرض بملك أتاه حتى يذلّه، فكان فيما يزعمون أنه إذا أراد الغزو وأمر بمعسكره فضرب بخشب ثم نصب له على الخشب ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب، فإذا حمل معه ما يريده أمر العاصفة من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتملتهْ حتى إذا استقلّت به أمر الرخاء فمرّت به شهراً في روحة وشهراً في غدوة إلى حيث أراد، وكانت تمرّ بعسكره الريح الرخاء وبالمزرعة فما تحرّكها ولا تثير تراباً ولا تؤذي طائراً. قال وهب: ذُكر لي أن منزلاً بناحية دجلة مكتوب فيه كتبه بعض صحابة سليمان إما من الجن وإما من الإنس نحن نزّلناه وما بنيناه ومبنيّاً وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه إن شاء الله فبائتون بالشام. قال مقاتل: نسجت الشياطين لسليمان بساطاً فرسخاً في فرسخ ذهباً في إبريسم وكان يوضع له منبر من الذهب في وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وفضة، ويقعد الأنبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس، وحول الناس الجن والشياطين، وتظلّه الطير بأجنحتها لا تقع عليه الشمس، وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح إلى الرواح ومن الرواح إلى الصباح. وعن سعيد بن جبير قال: كان يوضع لسليمان ستمائة ألف كرسي فيجلس الإنس فيما يليه ثم يليهم الجن ثم تظلّهم الطير ثم تحملهم الريح. وقال الحسن: لمّا شغلت الخيل نبيّ الله سليمان عليه السلام حتى فاتته صلاة العصر غضب الله عزّ وجلّ فعقر الخيل فأبدله الله مكانها خيراً منها، وأسرع الريح تجري بأمره كيف شاء، فكان يغدو من إيلياء فيقيل باصطخر، ثم يروح ومنها فيكون رواحها ببابل. وقال ابن زيد: كان له مركب من خشب وكان فيه ألف ركن في كل ركن ألف بيت يركب معه فيه الجن والإنس، تحت كل ركن ألف شيطان يرفعون ذلك المركب، فإذا ارتفع أتت الريح الرخاء فسارت به وبهم، يقيل عند قوم بينه وبينهم شهر ويمسي عند قوم بينه وبينهم شهر، ولا يدري القوم إلّا وقد أظلّهم معه

الرواح، وقال الحسن: لما شغلت نبي الله سليمان الخيل حتى فاتته، صلاة العصر غضب لله فعقر الخيل فأبدله الله مكانها خيراً منها وأسرع الريح تجري بأمره كيف شاء فكان يغدو من إيلياء فيقيل بإصطخر ثم يروح منها فيكون رواحه ببابل. وروي أن سليمان سار من أرض العراق فقال بمدينة بلخ متخللاً بلاد الترك، ثم جاوزهم إلى أرض الصين يغدو على مسيرة شهر ويروح على مثل ذلك ثم عطف يمنة عن مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى أرض السند وجاوزها وخرج منها إلى مكران وكرمان، ثم جاوزها حتى أتى أرض فارس فنزلها أياماً، وغدا منها فقال بكسكر، ثم راح إلى الشام. وكان مستقره بمدينة تدمر وكان أمر الشياطين قبل شخوصه إلى العراق فبنوها له بالصفاح والعمد والرخام الأصفر والأبيض، وفي ذلك يقول النابغة:

إلا سليمان إذ قال المليك له ... قم في البرية فاحددها عن الفند
وجيش الجن إني قد أذنت لهم ... يبنون تدمر بالصفاح والعمد

﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ٨٢﴾ ﴿۞وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣﴾

قوله عز وجل ﴿ومن الشياطين﴾ أي وسخرنا له من الشياطين ﴿من يغوصون له﴾ أي يدخلون تحت الماء فيخرجون له من قعر البحر الجواهر ﴿ويعملون عملاً دون ذلك﴾ أي دون الغوص وهو اختراع الصنائع العجيبة كما قال ﴿يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل﴾ الآية، ويتجاوزون في ذلك إلى أعمال المدن والقصور والصناعات كاتخاذ النورة والقوارير والصابون وغير ذلك ﴿وكنا لهم حافظين﴾ يعني حتى لا يخرجوا عن أمره، وقيل: حفظناهم من أن يفسدوا ما عملوا وذلك أنهم كانوا إذا عملوا عملاً في النهار وفرغ قبل الليل أفسدوه وخربوه. قيل: إن سليمان كان إذا بعث شيطاناً مع إنسان ليعمل له عملاً قال له إذا فرغ من عمله قبل الليل اشغله بعمل آخر لئلا يفسد ما عمل ويخربه. قوله تعالى: ﴿وأيوب إذ نادى ربه﴾ يعني دعا ربه.

الجيوش. ورُوِيَ أن سليمان سار من أرض العراق غازياً فقال بمدينة مرو، وصلّى العصر بمدينة بلخ، يحمله وجنوده الريح، وتظلّهم الطير، ثم سار من مدينة بلخ متخلّلاً بلاد الترك، ثم جاءهم إلى أرض الصين يغدو على مسيرة شهر ويروح على مثل ذلك، ثم عن مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى على أرض القندهار، وخرج منها إلى أرض مكران وكرمان، ثم جاوزها حوالي أرض فارس فنزلها أياماً وغدا منها إلى الشام، فقال بكسكر ثم راح وكان مستقره بمدينة تدمر، وكان أمر الشياطين قبل شخوصه من الشام إلى العراق، فبنوها له بالصفاح والعمد والرخام الأبيض والأصفر، وفي ذلك يقول النابغة:

ألا سليمان إذْ قال المليك له ... قم في البرية فاحددها عن العقد
وجيش الجن إني قد أذنت لهم ... يبنون تدمر بالصفاح والعمد

قوله تعالى: ﴿ومن الشياطين﴾، يعني وسخّرنا له من الشياطين، ﴿مَن يغوصون له﴾، يعني يدخلون تحت الماء فيُخرِجون له من قعر البحر الجواهر، ﴿ويعملون عملاً دون ذلك﴾، يعني دون الغوص، وهو ما ذكر الله عزّ وجلّ: ﴿يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل﴾ [سبأ: ١٣] الآية. ﴿وكنّا لهم حافظين﴾، حتى لا يخرجوا من أمره. وقال الزجّاج: معناه حفظناهم من أن يفسدوا ما عملوا. وفي القصة أن سليمان كان إذا بعث شيطاناً مع إنسان ليعمل له عملاً، قال له إذا فرغ من عمله قبل الليل أشغله بعمل آخر لئلا يفسد ما عمل، وكان من عادة الشياطين أنهم إذا فرغوا من العمل ولم يشتغلوا بعمل آخر خرّبوا ما عملوا وأفسدوه.

ذكر قصة أيوب عليه السلام

قال وهب بن منبه: كان أيوب رجلاً من الروم وهو أيوب بن أموص بن تارخ بن روم ابن عيص بن اسحاق بن إبراهيم، وكانت أمه من ولد لوط بن هاران، وكان الله تعالى قد اصطفاه ونبأه وبسط له الدنيا، وكانت له البثنية من أرض البلقاء من أعمال خوازم مع أرض الشام كلها سهلها وجبلها وكان له فيها من أصناف المال كله من الإبل والبقر والغنم والخيل والحمير مالا يكون لرجل أفضل منه في العدد والكثرة، وكان له خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال ويحمل له آلة كل فدان أتان لكل أتان من الولد اثنان أو ثلاثة أو أربع أو خمس وفوق ذلك، وكان الله تعالى قد أعطاه أهلاً وولداً من رجال ونساء وكان براً تقياً رحيماً بالمساكين يطعمهم ويكفل الأيتام والأرامل ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكراً لأنعم الله، مؤدياً لحق الله قد امتنع عن عدو الله إبليس أن يصيب منه ما يصيب من أهل الغنى من الغرة والغفلة والتشاغل عن أمر الله بما هو فيه من أمر الدنيا، وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وصدقوه: رجل من أهل اليمن يقال له النغر وقيل نغير، ورجلان من أهل بلده يقال لأحدهما تلدد والآخر صافر وكان لهؤلاء مال، وكان إبليس لا يحجب عن شيء من السموات، وكان يقف فيهن حيثما أراد حتى رفع الله عيسى فحجب عن أربع. فلما بعث محمد ﷺ حجب عن السموات كلها إلا من استرق السمع، فسمع إبليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب، وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه، فأدرك إبليس الحسد والبغي، فصعد سريعاً حتى وقف من السماء حيث كان يقف وقال: إلهي نظرت في أمر عبدك أيوب فوجدته عبداً أنعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك، ولو ابتليته بنزع ما أعطيته لحال عما هو عليه من شكرك وعبادتك ولخرج عن طاعتك، قال الله تعالى: انطلق فقد سلطتك على ماله. فانقض عدو الله إبليس حتى وقع على الأرض فجمع عفاريت الجن ومردة الشياطين وقال لهم: ماذا عندكم

قوله تعالى: ﴿ وأيوبَ إذْ نادى ربَّه ﴾، يعني دعا ربَّه، قال وهب بن منبّه: كان أيوب رجلاً من الروم وهو أيوب بن أموص بن تارخ بن روم بن عيص بن إسحق بن إبراهيم، وكانت أُمه من أولاد لوط بن هاران، وكان الله قد اصطفاه ونبّأه وبسط عليه الدنيا، وكانت له البثنية من أرض الشام كلها سهلها وجبلها وكان له فيها من أصناف المال كله من البقر والإبل والغنم والخيل والحمر ما لا يكون لرجل أفضل منه من العدّة والكثرة، وكان له خمسمائة فدّان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال، ويحمل آلة كل فدّان أتان وكل أتان من الولد اثنان وثلاثة وأربعة وخمسة، وفوق ذلك وكان الله أعطاه أهلاً وولداً من رجال ونساء، وكان برّاً تقياً رحيماً بالمساكين، يطعم المساكين ويكفل الأرامل والأيتام ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل، وكان شاكراً لأنعم الله مؤدياً لحق الله، قد امتنع من عدو الله إبليس أن يصيب منه ما يصيب من أهل الغنى من الغرّة والغفلة والتشاغل عن أمر الله بما هو فيه من الدنيا، وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وصدّقوه رجل من أهل اليمن يقال الثغر ورجلان من أهل بلده يقال لأحدهما يلدد والآخر صافر وكانوا كهولاً وكان إبليس لا يحجب عن شيء من السمٰوات، وكان يقف فيهنّ حيث ما أراد حتى رفع الله عيسى فحجب عن أربع سمٰوات، فلما بعث محمد ﷺ حجب من الثلاث الباقية، فسمع إبليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه فأدركه البغي والحسد فصعد سريعاً حتى وقف من السماء موقفاً كان يقفه، فقال إلٰهي نظرت في أمر عبدك أيوب فوجدته عبداً أنعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك، ولو ابتليته بنزع ما أعطيته لحال عمّا هو عليه من شكرك وعبادتك، ولخرج من طاعتك، قال الله عزّ وجلّ: انطلق فقد سلّطتك على ماله فانقضّ عدوّ الله إبليس حتى وقع إلى الأرض، ثم جمع عفاريت الجن ومردة الشياطين، وقال لهم: ماذا عندكم من القوة فإني قد سلّطت على مال أيوب وهي المصيبة الفادحة والفتنة التي لا يصبر عليها الرجال، فقال عفريت من الشياطين: أعطيت من القوة ما إذا شئت تحوّلت إعصاراً من نار وأحرقت كل شيء آتي عليه، فقال له إبليس: فأتِ

من القوة فقد سلطت على مال أيوب وهي المصيبة الفادحة والفتنة التي لا تصبر عليها الرجال.

فقال عفريت من الشياطين: أعطيت من القوة ما إذا شئت تحولت إعصاراً من نار فأحرق كل شيء آتي عليه قال إبليس: اذهب فأت الإبل ورعاتها، فأتى الإبل حين وضعت رؤوسها ورعت فلم يشعر الناس حتى ثار من تحت الأرض إعصار من نار فأحرق الإبل ورعاتها حتى أتى على آخرها، ثم جاء عدو الله إبليس في صورة قيم ممن كانوا عليها على قعود إلى أيوب فوجده قائماً يصلي فقال يا أيوب أقبلت نار حتى غشيت إبلك وأحرقتها ومن فيها غيري، فقال أيوب بعد أن فرغ من الصلاة: الحمد لله هو أعطانيها وهو أخذها، وإنها مال الله أعارنيها وهو أولى بها، إذا شاء نزعها. قال فتركت الناس مبهوتين يتعجبون منها، منهم من يقول: ما كان أيوب يعبد شيئاً وما كان إلا في غرور، ومنهم من يقول: لو كان إله أيوب يقدر أن يمنع شيئاً لمنع وليه، ومنهم من يقول: بل هو الذي فعل ما فعل ليشمت به عدوه ويفجع صديقه، فقال أيوب: الحمد لله حين أعطاني وحين نزع مني، عرياناً خرجت من بطن أمي وعرياناً أعود إلى التراب وعرياناً أحشر إلى الله عز وجل، ليس ينبغي لك أن تفرح حين أعارك وتجزع حين قبض عاريته، الله أولى بك وبما أعطاك، ولو علم الله فيك أيها العبد خيراً لنقل روحك مع تلك الأرواح وصرت شهيداً ولكنه علم منك شراً فأخرك. فرجع إبليس إلى أصحابه خاسئاً ذليلاً فقال: ما عندكم من القوة فاني لم أكلم قلبه. قال عفريت من الجن عندي من القوة ما إذا شئت صحت صيحة لا يسمعها ذو روح إلا خرجت روحه. قال إبليس: فأت الغنم ورعاتها فانطلق حتى توسطها ثم صاح صيحة فتجثمت أمواتاً من عند آخرها ومات رعاتها، فجاء إبليس متمثلاً بقهرمان الرعاء إلى أيوب فوجده يصلي فقال له مثل القول الأول، فرد عليه أيوب مثل الرد الأول، فرجع إبليس إلى أصحابه فقال: ماذا عندكم من القوة فإني لم أكلم قلب أيوب، فقال عفريت: عندي من القوة ما إذا شئت تحولت ريحاً عاصفة تنسف

الإبل ورعاتها، فأتى الإبل حين وضعت رؤوسها وثبتت في مراعيها، فلم يشعر الناس حتى ثار من تحت الأرض إعصار من نار لا يدنوا منها أحد إلا احترق فأحرقتها ورعاتها، حتى أتى على آخرها، ثم جاء عدوّ الله إبليس في صورة قبيحة على قعود إلى أيوب فوجده قائماً يصلّي، فقال: يا أيوب أقبلت نار حتى غشيت إبلك فأحرقتها ومَن فيها غيري، فقال أيوب: الحمد لله الذي هو أعطاها وهو أخذها، وقديماً ما وطنت نفسي ومالي على الفناء، فقال إبليس: فإنّ ربّك أرسل عليها ناراً من السماء فاحترقت فتركت الناس مبهوتين يتعجبون منها، منهم مَن يقول ما كان أيوب يعبد شيئاً وما كان إلّا في غرور، ومنهم مَن يقول لو كان إله أيوب يقدر على أن يصنع شيئاً لمنع وليّه، ومنهم مَن يقول: بل هو الذي فعل ذلك ليشمت به عدوّه ويفجع به صديقه، فقال أيوب: الحمد لله حين أعطاني وحين نزع منّي، عرياناً خرجت من بطن أُمي وَعرياناً أعود في التراب وعرياناً أحشر إلى الله، ليس لك أن تفرح حين أعارك ولا أن تجزع حين قبض عاريته منك، الله أولى بك وبما أعطاك ولو علم الله فيك أيها العبد خير النفل روحك مع تلك الأرواح وصرت شهيداً ولكنه علم منك شرّاً فأخّرك، فرجع إبليس إلى أصحابه خائباً خاسراً ذليلاً فقال لهم: ماذا عندكم من القوة فإني لم أكلم قلبه، قال عفريت: عندي من القوة ما شئت صحت صيحة لا يسمعها ذو روح إلّا خرجت مهجة نفسه، فقال إبليس: فات الغنم ورعاتها، فانطلق حتى توسطها ثم صاح صيحة فتجثمت أمواتاً عن آخرها ومات رعاؤها، ثم جاء إبليس متمثلاً بقهرمان الرعاة إلى أيوب وهو يصلّي، فقال له مثل القول الأول فردّ عليه مثل الردّ الأول ثم رجع إبليس إلى أصحابه فقال ماذا عندكم من القوة فإني لم أُكلّم قلب أيوب فقال عفريت عندي من القوة ما إذا شئت تحوّلت ريحاً عاصفاً تنسف كل شيء تأتي عليه، قال فأتِ الفدادين والحرث فانطلق ولم يشعروا حتى هبّت ريح عاصف، فنسفت كل شيء من ذلك حتى كأنه لم يكن ثم جاء إبليس متمثلاً بقهرمان الحرث إلى أيوب وهو قائم يصلّي، فقال له مثل قوله الأول فردّ عليه أيوب، مثل ردّه الأول كلما انتهى إليه

كل شيء تأتي عليه. قال: فأت الفدادين في الحرث والزرع فانطلق يؤمهم وذلك حين شرع الفدادون في الحرث والزرع فلم يشعروا حتى هبت ريح عاصفة فنسفت كل شيء من ذلك، حتى كأنه لم يكن ثم جاء إبليس متمثلاً بقهرمانهم إلى أيوب وهو قائم يصلي، فقال له مثل قوله الأول، فرد عليه أيوب مثل رده الأول، وجعل إبليس يصف ماله مالاً مالاً حتى مر على آخره كلما انتهى إلى هلاك مال من أمواله حمد الله وأحسن الثناء عليه، ورضي عنه بالقضاء، ووطن نفسه بالصبر والبلاء حتى لم يبق له مال.

فلما رأى إبليس أنه قد أفنى ماله ولم ينجح منه بشيء صعد سريعاً حتى وقف في الموقف الذي يقف فيه وقال: إلهي إن أيوب يرى أنك ما متعته بولده فأنت معطيه المال فهل أنت مسلطي على ولده فإنها المصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرجال قال الله عز وجل: انطلق فقد سلطتك على ولده. فانقض عدو الله حتى أتى بني أيوب وهم في قصرهم فلم يزل يزلزل بهم القصر حتى تداعى من قواعده، وجعل جدره يضرب بعضها بعضاً يرميهم بالخشب والحجارة، فلما مثل بهم كل مثلة رفع القصر وقلبه عليهم، وصاروا منكسين وانطلق إلى أيوب متمثلاً بالمعلم الذي كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الوجه يسيل دمه فأخبره وقال: لو رأيت بنيك كيف عذبوا وكيف انقلبوا منكوسين على رؤوسهم تسيل دماؤهم وأدمغتهم، ولو رأيت كيف شقت بطونهم فتناثرت أمعاؤهم لتقطع قلبك عليهم، فلم يزل يقول هذا ونحوه حتى رق قلب أيوب وبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه وقال: يا ليت أمي لم تلدني. فاغتنم إبليس ذلك فصعد سريعاً بالذي كان من جزع أيوب مسروراً به، ثم لم يلبث أيوب أن فاء وأبصر واستغفر، فصعد قرناؤه من الملائكة بتوبته فسبقت توبته إلى الله وهو أعلم، فوقف إبليس خاسئاً ذليلاً وقال: إلهي إنما هون على أيوب المال والولد أنه يرى أنك ما متعته بنفسه فأنت تعيد له المال والولد فهل أنت مسلطي على جسده فقال الله

هلاك مال من أمواله حمدَ الله وأحسن الثناء عليه، ورضي منه بالقضاء، ووطّن نفسه بالصبر على البلاء، حتى لم يبقَ له مال فلما رأى إبليس أنه قد أفنى ماله صعد إلى السماء فقال إلَهي إن أيوب يرى منك أنك ما متّعته بولده فأنت تعطيه المال فهل أنت مسلّطي على ولده، فإنها المصيبة التي له تقوم قلوب الرجال، قال الله تعالى: انطلق فقد سلّطتك على ولده، فانقضّ عدوّ الله إبليس حتى جاء بني أيوب وهم في قصرهم فلم يزل يزلزل بهم حتى تداعى من قواعده، ثم جعل يناطح جدرة بعضها ببعض ويرميهم بالخشب والجندل، حتى إذا مثل بهم كل مثلة رفع القصر فقلبه فصاروا منكّسين، ثم انطلق إلى أيوب متمثلاً بالمعلّم الذي كان يعلمهم الحكمة، وقال لو رأيت بنيك كيف عُذّبوا وقُلِبوا وكانوا منكّسين على رؤوسهم تسيل دماؤهم ودماغهم، ولو رأيت كيف شُقّت بطونهم وتناثرت أمعاؤهم لقطع قلبك، فلم يزل يقول هذا ونحوه حتى رقّ أيوب فبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه، وقال يا ليت أمي لم تلدني فاغتنم إبلس ذلك فصعد سريعاً بالذي كان من جزع أيوب مسروراً به، ثم لم يلبث أيوب أن فاء وأبصر واستغفر، فصعد قرناؤه من الملائكة بتوبته فسبقت توبته إلى الله وهو أعلم، فوقف إبليس ذليلاً فقال: يا إلَهي إنما هوّن على أيوب المال والولد أنه يرى منك أنك ما متّعته بنفسه فأنت تعهد له المال والولد فهل أنت مسلّطي على جسده، فقال الله عزّ وجلّ انطلق فقد سلّطتك على جسده، ولكن ليس لك سلطان على لسانه ولا على قلبه، وكان الله عزّ وجلّ أعلم به لم يسلّطه عليه إلّا رحمة له ليعظم له الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين في كل بلاء نزل بهم، ليتأسّوا به في الصبر ورجاءً للثواب، فانقضّ عدوّ الله إبليس سريعاً فوجد أيوب ساجداً فعجّل قبل أن يرفع رأسه فأتاه من قبل وجهه فنفخ في مِنخره نفخة اشتعل منها جميع جسده، فخرج من قرنه إلى قدمه ثآليل مثل أَليات الغنم ولو وقعت فيها حكّة فحكّها بأظفاره حتى سقطت كلها ثم حكّها بالمسوح الخشنة حتى قطعها، ثم حكّها بالفخار والحجارة الخشنة، فلم يزل يحكّها حتى نغل لحمه وتقطّع وتغيّر وأنتن، وأخرجه أهل القرية فجعلوه على

عز وجل: انطلق فقد سلطتك على جسده، ولكن ليس لك سلطان على لسانه وقلبه وعقله، وكان الله أعلم به، ولم يسلطه عليه إلا رحمة ليعظم له الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين في كل بلاء نزل بهم ليتأسوا به في الصبر ورجاء الثواب. فانقض عدو الله إبليس سريعاً إليه فوجد أيوب ساجداً فعجل قبل أن يرفع رأسه، فأتاه من قبل وجهه فنفخ في منخريه نفخة اشتعل منها جسده فخرج من قرنه إلى قدمه ثآليل مثل أليات الغنم، ووقعت فيه حكة فحك بأظفاره حتى سقطت كلها، ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها، ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة.

فلم يزل يحك حتى قرح لحمه وتقطع وتغير وأنتن فأخرجه أهل القرية فجعلوه على كناسة لهم وجعلوا له عريشة، ورفضه خلق الله كلهم غير امرأته وهي رحمة بنت أفرائيم بن يوسف بن يعقوب، فكانت تختلف إليه بما يصلحه وتلزمه، فلما رأى الثلاثة من أصحابه ما ابتلاه الله به اتهموه ورفضوه من غير أن يتركوا دينه، فلما طال به البلاء انطلق إليه أصحابه فبكتوه ولاموه وقالوا: تب إلى الله من الذنب الذي عوقبت به. قال: وحضر معهم فتى حديث السن قد آمن به وصدقه فقال لهم الفتى: إنكم تكلمتم أيها الكهول وأنتم أحق بالكلام مني لأسنانكم ولكن تركتم من القول ما هو أحسن من الذي قلتم، ومن الرأي أصوب من الذي رأيتم، ومن الأمر أجمل من الذي أتيتم، وقد كان لأيوب عليكم من الحق والذمام أفضل من الذي وصفتم، فهل تدرون أيها الكهول حق من انتقصتم، وحرمة من انتهكتم، ومن الرجل الذي عبتم واتهمتم ألم تعلموا أن أيوب نبي الله وصفوته وخيرته من أهل الأرض إلى يومكم هذا ثم لم تعلموا ولم يطلعكم الله على أنه سخط شيئاً من أمره منذ آتاه الله ما آتاه إلى يومكم هذا ولا على أنه نزع منه شيئاً من الكرامة التي أكرمه الله بها ولا أن أيوب قال على الله غير الحق في طول ما صحبتموه إلى يومكم هذا. فإن كان البلاء هو الذي أزرى به عندكم، ووضعه في أنفسكم فقد علمتم أن الله تعالى يبتلي المؤمنين والصديقين والشهداء

كناسة وجعلوا له عريشاً فرفضه خلق الله كلهم غير امرأته رحمة، وهي بنت أفرائيم بن يوسف بن يعقوب كانت تختلف إليه بما يصله وتلزمه، فلما رأى الثلاثة من أصحابه وهم النغر ويلدد وصافر ما ابتلاه الله به اتهموه ورفضوه من غير أن يتركوا دينه، فلما طال به البلاء انطلقوا إليه فبكّتوه ولاموه وقالوا له تبْ إلى الله من الذنب الذي عوقبت به، وكان ممّن حضره معهم فتى حديث السن قد آمن به وصدّقه فقال لهم إنكم تكلّمتم أيها الكهول، وكنتم أحقّ بالكلام منّي لأسنانكم، ولكن قد تركتم من القول أحسن من الذي قلتم، ومن الرأي أصوب من الذي رأيتم ومن الأمر أجمل من الذي أتيتم، وقد كان لأيوب عليكم من الحق والذمام أفضل من الذي وصفتم، فهل تدرون أيها الكهول حقّ مَن أنقصتم وحُرمة مَن انتهكتم ومَن الرجل الذي عبتم واتّهمتم؟ ألم تعلموا أن أيوب نبيّ الله وخيرته من خلقه وصفوته من أهل الأرض في يومكم هذا، ثم لم تعلموا ولم يطلعكم الله من أمره على أنه قد سخط عليه شيئاً من أمره منذ آتاه الله ما آتاه إلى يومك هذا ولا على أنه نزع منه شيئاً من الكرامة التي أكرمه بها، ولأن أيوب قال على الله غير الحق في طول ما صحبتموه إلى يومكم هذا أفإن كان البلاء هو الذي أزري به عندكم ووضعه في أنفسكم فقد علمتم أن الله يبتلي المؤمنين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وليس بلاؤه لأولئك بدليل على سخطه عليهم ولا لهوانه لهم ولكنه كرامة وخيرة لهم، ولو كان أيوب ليس من الله بهذه المنزلة إلّا أنه أخ أحببتموه على وجه الصحبة لكان لا يجمل أن يعذل أخاه عند البلاء، ولا أن يعيّره بالمصيبة ولا أن يعيّبه بما لا يعلم وهو مكروب حزين، ولكنه يرحمه ويبكي معه ويستغفر له ويحزن لحزنه، ويدلّ على مراشد أمره وليس بحكيم ولا رشيد مَن جهل هذا، فالله الله أيها الكهول وقد كان في عظمة الله عزّ جلاله، وذكر الموت ما يقطع ألسنتكم ويكسر قلوبكم ألم تعلموا أن لله عباداً أسكتتهم خشيته من غير عيّ ولا بكم وأنهم لهم الفصحاء البلغاء النبلاء الألبّاء العالمون بالله، ولكنهم إذا ذكروا عظمة الله انقطعت ألسنتهم واقشعرّت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم إعظاماً وإجلالاً

والصالحين، وليس بلاؤه لأولئك دليلاً على سخطه عليهم، ولا لهوانهم عليه، ولكنها كرامة وخيرة لهم، ولو كان أيوب ليس من الله بهذه إلا أنه أخ أحببتموه على وجه الصحبة لكان لا يجمل بالحليم أن يعذل أخاه عند البلاء ولا يعيره بالمصيبة ولا يعيبه بما لا يعلم وهو مكروب حزين، ولكنه يرحمه ويبكي ويستغفر له ويحزن لحزنه ويدله على مراشد أمره، وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا فالله الله أيها الكهول، وقد كان في عظمة الله وجلاله وذكر الموت ما يقطع ألسنتكم ويكسر قلوبكم ألم تعلموا أن لله عباداً أسكتتهم الخشية من غير عيّ ولا بكم وإنهم لهم الفصحاء البلغاء النبلاء الألباء العالمون بالله، ولكنهم إذا ذكروا عظمة الله انقطعت ألسنتهم واقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم إعظاماً لأمر الله وإجلالاً، فإذا اشتاقوا من ذلك استبقوا إلى الله بالأعمال الزاكية يعدون أنفسهم من الظالمين والخاطئين وإنهم لأبرار برآء ومع المقصرين المفرطين وإنهم لأكياس أقوياء.

قال أيوب عليه السلام: إن الله يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير، فإذا نبتت في القلب يظهرها الله على اللسان وليست تكون الحكمة من قبل السن ولا طول التجربة، وإذا جعل الله العبد حكيماً في الصبا لم تسقط منزلته عند الحكماء، وهم يرون من الله سبحانه وتعالى عليه نور الكرامة، ثم أقبل أيوب على الثلاثة وقال: أتيتموني غضاباً رهبتم قبل أن تسترهبوا، وبكيتم قبل أن تضربوا، كيف بي لو قلت تصدقوا عني بأموالكم لعل الله أن يخلصني، أو قربوا عني قرباناً لعل الله أن يقبله ويرضى عني وإنكم قد أعجبتكم أنفسكم، وظننتم أنكم قد عوفيتم بإحسانكم، ولو نظرتم فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم لوجدتم لكم عيوباً سترها الله تعالى بالعافية التي ألبسكم. وقد كنتم فيما خلا توقرونني وأنا مسموع كلامي معروف حقي منتصف من خصمي، فأصبحت اليوم وليس لي رأي ولا كلام معكم، فأنتم كنتم أشد عليَّ من مصيبتي. ثم أعرض عنهم أيوب، وأقبل على ربه مستغيثاً به متضرعاً إليه فقال: يا رب لأي شيء

الله عزّ وجلّ، فإذا استفاقوا من ذلك استبقوا إلى الله عزّ وجلّ بالأعمال الزكية يعدّون أنفسهم مع الظالمين الخاطئين وأنهم لأبرار نزهاء برءاء ومع المقصرين والمفرطين وأنهم لأكياس أقوياء، فقال: إن الله عزّ وجلّ يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير، فمتى نبتت في القلب يظهرها الله على اللسان وليست تكون الحكمة من قبل السن والشيبة ولا طول التجربة وإذا جعل الله العبد حكيماً في الصبا لم تسقط منزلته عند الحكماء وهم يرون من الله عليه نور الكرامة ثم أعرض عنهم أيوب وأقبل على ربّه مستغيثاً به متضرعاً إليه، فقال ربِّ لأيِّ شيء خلقتني ليتني إذ كرهتني لم تخلقني يا ليتني قد عرفت الذنب الذي أذنبت، والعمل الذي عملت، فصرفت به وجهك الكريم عنّي لو كنت أمتّني فألحقتني بآبائي الكرام، فالموت كان أجمل بي ألم أكن للغريب داراً وللمسكين قراراً ولليتيم وليّاً وللأرملة قيّماً، إلّهي أنا عبدك إن أحسنت فالمنّ لك وإن أسأت فبيدك عقوبتي، وجعلتني للبلاء عرضاً وللفتنة نصباً وقد وقع عليّ بلاء لو سلّطته على جبل لضعف عن حمله، فكيف يحمله ضعفي وإن قضاءك هو الذي أذلّني وإن سلطانك هو الذي أسقمني وأنحل جسمي، ولو أن ربي نزع الهيبة التي في صدري وأطلق لساني حتى أتكلم بملء فمي بما كان ينبغي للعبد أن يحاجّ عن نفسه لرجوت أن يعافيني عند ذلك مما بي ولكنه ألقاني وتعالى عنّي فهو يراني ولا أراه ويسمعني ولا أسمعه فلا نظر إليّ فيرحمني ولا دنا مني ولا أدناني فأدلي بعذري وأتكلم ببراءتي وأخاصم عن نفسي، فلما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده أظلّه غمام حتى ظن أصحابه أنه عذاب أليم، ثم نودي يا أيوب إن الله عزّ وجلّ يقول: ها أنا قد دنوت منك ولم أزل منك قريباً قم فادل بعذرك وتكلم ببراءتك وخاصم عن نفسك واشدد أزرك، وقم مقام جبار يخاصم جبار إن استطعت، فإنه لا ينبغي أن يخاصمني إلّا جبّار مثلي ولا شبه لي لقد منّتك نفسك يا أيوب أمراً ما تبلغه بمثل قوتك أين أنت منّي يوم خلقت الأرض فوضعتها على أساسها هل كنت معي تمدّ بأطرافها وهل علمت بأيّ مقدار قدّرتها أم على أيّ شيء وضعت أكنافها أبطاعتك حمل الماء الأرض

خلقتني؟ ليتني إذ كرهتني لم تخلقني، يا ليتني عرفت الذنب الذي أذنبت والعمل الذي عملت فصرفت وجهك الكريم عني لو كنت أمتني فألحقتني بآبائي، فالموت كان أجمل بي. ألم أكن للغريب داراً وللمسكين قراراً ولليتيم ولياً وللأرملة قيّماً إلهي أنا عبد ذليل إن أحسنت فالمنُّ لك، وإن أسأت فبيدك عقوبتي، جعلتني للبلاء غرضاً، وللفتنة نصيباً، وقد وقع عليَّ من البلاء ما لو سلطته على جبل لضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفي. وإن قضاءك هو الذي أذلني، وإن سلطانك هو الذي أسقمني وأنحل جسمي، ولو أن ربي نزع الهيبة التي في صدري وأطلق لساني حتى أتكلم بملء فيَّ فأدلي بعذري وأتكلم ببراءتي وأخاصم عن نفسي لرجوت أن يعافيني عند ذلك مما بي، ولكنه ألقاني وتعالى عني فهو يراني ولا أراه ويسمعني ولا أسمعه.

فلما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده أظله غمام حتى ظن أصحابه أنه عذاب، ثم نودي يا أيوب إن الله يقول ها أنا قد دنوت منك ولم أزل منك قريباً قم فأدل بعذرك وتكلم ببراءتك وخاصم عن نفسك واشدد أزرك وقم مقام جبار يخاصم جبارا إن استطعت، فإنه لا ينبغي أن يخاصمني إلا جبار مثلي. لقد منتك نفسك يا أيوب أمراً، ما يبلغ لمثله مثلك. أين أنت مني يوم خلقت الأرض فوضعتها على أساسها؟ هل كنت معي تمد بأطرافها؟ هل علمت أي مقدار قدرتها، أم على أي شيء وضعت أكنافها. أبطاعتك حمل الماء الأرض، أم بحكمتك كانت الأرض للماء غطاء؟ أين كنت مني يوم رفعت السماء سقفاً في الهواء لا تعلق بسبب من فوقها ولا يقلها دعم من تحتها؟ هل يبلغ من حكمتك أن تجري نورها أو تسير نجومها أو يختلف بأمرك ليلها ونهارها؟ أين كنت مني يوم أنبعت الأنهار وسكبت البحار؟ أبسلطانك حبست أمواج البحار على حدودها أم بقدرتك فتحت الأرحام حين بلغت ملتها؟ أين كنت مني يوم صببت الماء على التراب ونصبت شوامخ الجبال؟ هل تدري على أي شيء أرسيتها أم بأي مثقال وزنتها؟ أم هل لك من ذراع

أم بحكمتك كانت الأرض للماء غطاءً أين كنت منّي يوم رفعت السماء سقفاً في الهواء لا تعلّق بسبب من فوقها ولا تقلها وعمّ من تحتها هل تبلغ من حكمتك أن تجري نورها أو تسيّر نجومها أو يختلف بأمرك ليلها ونهارها، أين أنت منّي يوم نبعث الأنهار وسكرت البحار أبسلطانك حبست أمواج البحار على حدودها أم بقدرتك فتحت الأرحام حين بلغت مدتها أين أنت مني يوم صببت الماء على التراب ونصبت شوامخ الجبال هل تدري على أي شيء أرسيتها أو بأيّ مثقال وزنتها أم هل لك من ذراع تطيق حملها وهل تدري من أين الماء الذي أنزلت من السماء أم هل تدري من أيّ شيء أُنشىء السحاب أم هل تدري أين خزائن الثلج، أم أين جبال البرد أم أين خزانة الليل بالنهار وخزانة النهار بالليل، وأين خزائن الريح وبأيّ لغة تتكلم الأشجار ومَن جعل العقول في أجواف الرجال، ومَن شقّ الأسماع والأبصار، ومَن ذلّت الملائكة لملكه وقهر الجبارين بجبروته، وقسم الأرزاق بحكمته في كلام كثير من آثار قدرته ذكرها لأيوب، فقال أيوب: صغر شأني وكَلَّ لساني وعقلي ورائي وضعفت قوتي عن هذا الأمر الذي تعرض عليّ يا إلَهي قد علمت أن كل الذي ذكرت صنيع يديك وتدبير حكمتك وأعمّ من ذلك وأعجب لو شئت عملت لا يعجزك شيء ولا يخفى عليك خافية إذ لقتني البلايا، إلَهي فتكلمت ولم أملك لساني وكان البلاء هو الذي نطقني فليت الأرض انشقّت لي فذهبت فيها ولم أتكلم بشيء يُسخِط ربّي، أو ليتني متّ بغمّي في أشدّ بلائي قبل ذلك، إنما تكلمت حين تكلمت لتعذرني وسكت حين سكت لترحمني كلمة زلّت مني فلن أعود وقد وضعت يدي على فمي وعضضت على لساني وألصقت بالتراب خدّي أعوذ بك اليوم منك وأستجيرك من جهد البلاء فأجرني وأستغيث بك من عقابك فأغثني وأستعين بك على أمري فأعنّي وأتوكل عليك فاكفني، وأعتصم بك فاعصمني وأستغفرك فاغفر لي فلن أعود لشيء تكرهه منّي، قال الله تعالى يا أيوب نفذ فيك علمي وسبقت رحمتي غضبي فقد غفرت لك، ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمَن خلفك آية وتكون عبرة لأهل البلاء وعزّاً للصابرين، فاركض

تطيق حملها؟ أم هل تدري من أين الماء الذي أنزلت من السماء؟ أم هل تدري من أي شيء أنشأت السحاب؟ أم هل تدري أين خزانة الثلج؟ أم أين جبال البرد؟ أم أين خزانة الليل بالنهار وخزانة النهار بالليل؟ وأين خزانة الريح؟ وبأي لغة تتكلم الأشجار ومن جعل العقول في أجواف الرجال؟ وشق الأسماع والأبصار؟ ومن ذلت الملائكة لملكه وقهر الجبارين بجبروته وقسم الأرزاق بحكمته؟ في كلام كثير يدل على آثار قدرته ذكرها لأيوب فقال أيوب: صغر شأني وكل لساني وعقلي ورأيي وضعفت قوتي عن هذا الأمر الذي يعرض عليَّ إلهي. قد علمت أن كل الذي قد ذكرت صنع يديك وتدبير حكمتك وأعظم من ذلك وأعجب لو شئت عملت ولا يعجزك شيء ولا تخفى عليك خافية إلهي أوثقني البلاء فتكلمت ولم أملك نفسي فكان البلاء هو الذي أنطقني. ليت الأرض انشقت بي فذهبت فيها ولم أتكلم بشيء يسخطك. ربي وليتني مت بغمي في أشد بلائي قبل ذلك. إنما تكلمت حين تكلمت بعذري، وسكت حين سكت لترحمني كلمة زلت مني فلن أعود، وقد وضعت يدي على فمي وعضضت على لساني وألصقت بالتراب خدي، أعوذ بك اليوم منك وأستجير بك من جهد البلاء، فأجرني وأستغيث بك من عقابك فأغثني، وأستعينك عن أمري فأعني، وأتوكل عليك فاكفني، وأعتصم بك فاعصمني وأستغفرك فاغفر لي فلن أعود لشيء تكرهه مني.

قال الله تعالى: يا أيوب نفذ فيك علمي وسبقت رحمتي غضبي، فقد غفرت لك، ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آية وتكون عبرة لأهل البلاء وعزاً للصابرين، فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب، فمنه تناول وقرب عن أصحابك قرباناً واستغفر لهم، فإنهم قد عصوني فيك. روي عن أنس يرفعه أن أيوب لبث ببلائه ثماني عشرة سنة، وقال وهب: ثلاث سنين لم يزد يوماً، وقال كعب: سبع سنين، وقال الحسن: مكث أيوب مطروحاً على كناسة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهراً يختلف فيه الدود، لا يقربه أحد غير رحمة صبرت معه

برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاؤك وقرّب عن أصحابك قرباناً فاستغفر لهم فإنهم قد عصوني فيك، فركض برجله فانفجرت له عين فدخل فيها فاغتسل فأذهب الله عنه كل ما كان به من البلاء، ثم خرج فجلس فأقبلت امرأته تلتمسه في مضجعه فلم تجده فقامت كالوالهة مترددة ثم قالت: يا عبد الله هل لك علم بالرجل المبتلي الذي كان هاهنا، قال لها: هل تعرفينه إذا رأيتيه قالت: نعم وما لي لا أعرفه، ثم تبسم وقال: أنا هو فعرفته بضحكه فاعتنقته. قال ابن عباس: فوالذي نفس عبد الله بيده ما فارقته من عناقه حتى مرّ بهما كل مال لهما وولد، فذلك قوله تعالى: ﴿ **وأيوب إذْ نادى ربه أنّي مسّني الضرّ** ﴾، واختلفوا في وقت ندائه والسبب الذي قال لأجله: أني مسّني الضرّ وفي مدة بلائه، فروى ابن شهاب عن أنس يرفعه أن أيوب لبث في بلائه ثماني عشرة سنة. وقال وهب: لبث أيوب في البلاء ثلاث سنين لم يزد يوماً. وقال كعب: كان أيوب في البلاء سبع سنين وسبعة أشهر وسبع أيام. وقال الحسن: مكث أيوب مطروحاً على كناسة في مزبلة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهراً تختلف فيه الدواب لا يقربه أحد غير امرأته رحمة صبرت معه بصدق وتأتيه بطعام وتحمد الله معه إذا حمد، وأيوب مع ذلك لا يفتر عن ذكر الله والصبر على ما ابتلاه به، فصرخ إبليس صرخة جمع بها جنوده من أقطار الأرض فلما اجتمعوا إليه قالوا له ما حزّ بك قال أعياني هذا العبد أيوب الذي لم أدع له مالاً ولا ولداً فلم يزد إلا صبراً، ثم سلّطت على جسده فتركته قرحة ملقاة على كناسة لا يقربه إلّا امرأته، فاستعنت بكم لتُعينوني عليه، فقالوا له أين مكرك الذي أهلكت به مَن مضى، قال بطل ذلك كله في أيوب فأشيروا عليّ قالوا نشير عليك من أين أتيت آدم حين أخرجته من الجنة، قال من قبل امرأته قالوا فشأنك في أيوب من قبل امرأته فإنه لا يستطيع أن يعصيها وليس أحد يقربه غيرها، قال أصبتم، فانطلق حتى أتى امرأته وهي تصدق فتمثّل لها في صورة رجل فقال لها أين بعلك يا أمة الله قالت هو ذاك يحكّ قروحه وتتردّد الدواب في جسده، فلما سمع مقالتها طمع أن تكون كلمة جزع فوسوس إليها وذكّرها ما كانت فيه من النِّعَم والمال

بصدق، وكانت تأتيه بالطعام، وتحمد الله معه إذا حمد، وأيوب مع ذلك لا يفتر عن ذكر الله تعالى والصبر على بلائه، فصرخ إبليس صرخة جمع فيها جنوده من أقطار الأرض، فلما اجتمعوا إليه قالوا: ما أحزنك؟ قال: أعياني هذا العبد الذي لم أدع له مالاً ولا ولداً ولم يزدد إلا صبراً، ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقاة على كناسة لا تقربه إلا امرأته، فاستعنت بكم لتعينوني عليه، فقالوا له: فأين مكرك الذي أهلكت به من مضى؟ قال: بطل ذلك كله في أيوب فأشيروا عليَّ قالوا: من أين أتيت آدم حين أخرجته من الجنة؟ قال: من قبل امرأته. قالوا فشأنك بأيوب من قبل امرأته فإنه لا يستطيع أن يعصيها وليس يقربه أحد غيرها. قال: أصبتم فانطلق إبليس حتى أتى رحمة امرأة أيوب وهي تصدق فتمثل لها في صورة رجل وقال لها: أين بعلك يا أمة الله؟ قالت هو ذاك يحك قروحه ويتردد الديدان في جسده. فلما سمعها طمع أن تكون كلمة جزع، فوسوس إليها وذكرها ما كانت فيه من النعم والمال، وذكرها جمال أيوب وشبابه وما هو فيه من الضر، وأن ذلك لا ينقطع عنه أبداً، فصرخت فعلم أنها قد جزعت فأتاها بسخلة وقال: ليذبح لي هذه أيوب ويبرأ افجاءت تصرخ يا أيوب حتى متى يعذبك ربك أين المال أين الولد أين الصديق أين لونك الحسن أين جسمك الحسن؟ اذبح هذه السخلة واسترح. قال أيوب: أتاك عدو الله فنفخ فيك؟ ويلك أرأيت ما تبكين عليه من المال والولد والصحة من أعطانيه؟ قالت الله قال كم متعنا به قالت ثمانين سنة.

قال فمنذ كم ابتلانا قالت منذ سبع سنين وأشهر قال ويلك ما أنصفت ربك ألا صبرت في البلاء ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة، والله لئن شفاني الله لأجلدنك مائة جلدة أمرتيني أن أذبح لغير الله. طعامك وشرابك الذي تأتيني به علي حرام أن أذوق منه شيئاً أعزبي عني فلا أراك، فطردها، فذهبت. فلما نظر أيوب وليس عنده طعام ولا

وذكّرها جمال أيوب وشبابه وما هو فيه من الضرّ وأن ذلك لا ينقطع عنه أبداً، قال الحسن فصرخت فلما صرخت علم أن قد جزعت فأتاها بسخلةٍ وقال ليذبح هذه لي أيوب ويبرأ فجاءت تصرخ يا أيوب حتى متى يعذبك ربك، أين المال أين الولد أين الصديق أين لونك الحسن أين جسمك الصحيح، اذبح هذه السخلة واسترح، قال أيوب أتاك عدوّ الله فنفخ فيك ويلك أرأيت ما تبكين عليه من المال والولد والصحة مَن أعطانيه، قالت الله، قال فكم متّعنا به قالت ثمانين سنة، قال فمنذ كم ابتلانا قالت منذ سبع سنين وأشهر، قال ويلك ما أنصفت إلا صبرت في البلاء ثمانين سنة كما كنّا في الرخاء ثمانين سنة، والله لئن شفاني الله لأجلدنّك مائة جلدة أمرتيني أن أذبح لغير الله طعامك وشرابك الذي أتيتني به عليّ حرام وحرام عليّ أن أذوق شيئاً مما تأتيني به بعد إذ قلتِ لي هذا، فاعزبي عنّي، فلا أراك فطردها فذهبت فلما نظر أيوب وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خرّ ساجداً لله وقال رب ﴿ أنّي مسّني الضرّ وأنت أرحم الراحمين ﴾، فقيل له ارفع رأسك فقد استجيب لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين فاغتسل منها فلم يبق عليه من دائه شيء ظاهر إلّا سقط وعاد إليه شبابه وجماله أحسن ما كان، ثم ركض برجله ركضة أخرى فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبقَ في جوفه داء إلّا خرج فقام صحيحاً وكُسِيَ حُلّة قال فجعل يلتفت فلا يرى شيئاً مما كان له من أهل ومال إلّا وقد ضاعفه الله حتى ذكر لنا أن الماء الذي اغتسل منه تطاير منه على صدره جراداً من ذهب فجعل يضمه بيده، فأوحى الله إليه يا أيوب لم أُغنِكَ؟ قال: بلى ولكنها بركتك فمَن يشبع منها، قال فخرج حتى جلس على مكان مشرف، ثم إن امرأته قالت أرأيتك إن كان أيوب طردني إلى مَن أكله أدعه يموت جوعاً ويضيع فتأكله السِّباع لأرجعنّ إليه فرجعت فلا كناسة ترى ولا تلك الحالة التي كانت وإذا الأمور قد تغيّرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وذلك بعين أيوب وهابت صاحب الحلّة أن تأتيه فتسأله عنه، فدعاها أيوب فقال ما تريدين يا أمة الله فبكت وقالت أردت ذلك المبتلى الذي كان منبوذاً على الكناسة ولا أدري أضاع أم ما فعل، فقال أيوب ما كان منك فبكت، وقالت بعلي، قال فهل تعرفينه إذا رأيتيه فقالت وهل يخفى على

شراب ولا صديق خر ساجداً لله وقارب ﴿أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ فقيل له ارفع رأسك فقد استجبت لك اركض برجلك، فركض برجله فنبعت عين ماء، فاغتسل منها فلم يبق عليه من درنه ودائه شيء ظاهر إلا سقط، وعاد شبابه وجماله أحسن ما كان، ثم ضرب برجله فنبعت عين أخرى فشرب منها، فلم يبق في جوفه داء إلا خرج، فقام صحيحاً وكسي حلة فجعل يلتفت فلا يرى شيئاً مما كان عليه وما كان له. من أهل ومال إلا وقد ضعفه الله له وذكر لنا أن الماء الذي اغتسل منه تطاير على صدره جراد من ذهب فجعل يضمه بيده فأوحى الله إليه يا أيوب ألم أغنك؟ قال بلى ولكنها بركتك فمن يشبع منها؟ قال: فخرج حتى جلس على مكان مشرف. ثم إن امرأته قالت: أرأيت إن كان طردني إلى من أكله؟ أدعه يموت جوعاً؟ ويضيع فتأكله السباع؟ لأرجعن إليه. فرجعت إليه فلا الكناسة رأت، ولا تلك الحالة التي كانت تعرف، وإذا الأمور قد تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وذلك بعيني أيوب، وهابت صاحب الحلة أن تأتيه فتسأله عن أيوب، فدعاها وقال: ما تريدين يا أمة الله فبكت وقالت: أردت ذلك المبتلى الذي كان منبوذاً على الكناسة لا أدري أضاع أم ما فعل به؟ فقال أيوب: ما كان منك فبكت وقالت بعلي. فقال هل تعرفينه إذا رأيتيه؟ قالت وهل يخفى على أحد رآه ثم جعلت تنظر إليه وهي تهابه ثم قالت: أما إنه أشبه خلق الله بك إذ كان صحيحاً. قال: فإني أنا أيوب الذي أمرتني أن أذبح سخلة لإبليس، وإني أطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله فرد عليَّ ما ترين.

وقال وهب: لبث أيوب في البلاء ثلاث سنين، فلما غلب أيوب إبليس ولم يستطع منه شيئاً اعترض امرأته في

أحد رآه ثم جعلت تنظر إليه وهي تهابه ثم قالت أما أنه أشبه خلق الله بك إذ كان صحيحاً قال فإني أنا أيوب الذي أمرتيني أن أذبح لإبليس وإني أطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله فردّ عليّ ما ترين. وقال وهب: لبث أيوب في البلاء ثلاث سنين فلما غلب أيوب إبليس ولم يستطع منه شيئاً اعترض امرأته في هيئة ليست كهيئة بني آدم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس له عظم وبهاء وكمال، فقال لها أنت صاحبة أيوب هذا الرجل المبتلي، قالت نعم قال فهل تعرفيني قالت لا قال أنا إلّه الأرض وأنا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت لأنه عبد الله إلّه السماء وتركني فأغضبني ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليه وعليك كل ما كان لكما من مال وولد، فإنه عندي ثم أراها إيّاهم ببطن الوادي الذي لقيا فيه، قال وهب: وقد سمعت أنه إنما قال لها لو أن صاحبك أكل طعاماً ولم يُسمِّ الله عليه لعوفي ما به من البلاء، والله أعلم وفي بعض الكتب: إن إبليس قال لها اسجدي لي سجدة حتى أردّ عليك المال والأولاد وأُعافي زوجك، فرجعت إلى أيوب فأخبرته بما قال لها وما أراها قال لقد أتاك عدو الله إبليس ليفتنك عن دينك، ثم أقسم لو أن الله عافاه ليضربنّها مائة جلدة، وقال عند ذلك: مسّني الضرّ من طمع إبليس في سجود حرمتي له، ودعائه إيّاها وإيّاي إلى الكفر، ثم إن الله عزّ وجلّ رحم رحمة امرأة أيوب بصبرها معه على البلاء، وخفّف عليها وأراد أن يبرّ يمين أيوب، فأمره أن يأخذ ضغثاً يشتمل على مائة عود صغار فيضربها به ضربة واحدة كما قال الله تعالى: ﴿وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث﴾ [ص: ٤٤]، ورُوِيَ أن إبليس اتخذ تابوتاً وجعل فيه أدوية وقعد على طريق امرأته يداوي الناس فمرّت به امرأة أيوب فقالت يا شيخ إن لي مريضاً أفتداويه؟ قال نعم والله لا أُريد شيئاً إلّا أن يقول إذا شفيته أنت شفيتني، فذكرت ذلك لأيوب فقال هو إبليس قد خدعك، ثم حلف إن شفاه الله أن يضربها مائة جلدة. وقال وهب وغيره: كانت امرأة أيوب تعمل للناس وتجيئه بقوته فلما طال عليه البلاء وسئمها الناس ولم يستعملها أحد التمست يوماً من الأيام ما تطعمه فما وجدت شيئاً فحزّت قرناً من رأسها، فباعته برغيف فأتته به فقال لها أين قرنك فأخبرته فحينئذ قال: ﴿مسّني الضرّ﴾، وقال قوم: إنما قال ذلك حين قصدت الدودة إلى قلبه ولسانه فخشي أن يفتر عن الذكر والفكر. وقال حبيب بن أبي ثابت: لم يدع الله بالكشف عنه حتى

هيئة ليست كهيئة بني آدم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس له عظم وبهاء. فقال لها: أنت صاحبة أيوب هذا الرجل المبتلى قالت نعم. قال: هل تعرفيني؟ قالت لا. قال: أنا إله الأرض وأنا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت لأنه عبد إله السماء وتركني فأغضبني ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليك وعليه كل ما كان لكما من مال وولد فإنه عندي ثم أراها إياه ببطن الوادي الذي لقيها فيه. وفي بعض الكتب أن إبليس قال لها اسجدي لي سجدة واحدة حتى أرد عليك المال والولد وأعافي زوجك. فرجعت إلى أيوب فأخبرته بما قال لها وما أراها. قال: لقد أتاك عدو الله ليفتنك عن دينك، ثم أقسم إن عافاه الله ليضربنها مائة جلدة وقال عند ذلك: مسني الضر من طمع إبليس في سجود حرمتي له ودعائه إياها وإياي إلى الكفر. ثم إن الله تعالى رحم رحمة امرأة أيوب بصبرها معه على البلاء وخفف عليها، وأراد أن يبر يمين أيوب، فأمره أن يأخذ ضغثاً يشتمل على مائة عود صغير فيضربها به ضربة واحدة. وقيل: لم يدع الله بالكشف عنه حتى ظهرت له ثلاثة أشياء: أحدها: ما قيل في حقه: لو كان لك عند الله منزلة ما أصابك هذا، والثاني: أن امرأته طلبت طعاماً فلم تجد ما تطعمه فباعت ذؤابتها فأتته بطعام، والثالث: قول إبليس: إني أداويه على أن يقول أنت شفيتني. وقيل مسني الضر أي من شماتة الأعداء حتى روي أنه قيل له بعد ما عوفي ما كان أشد عليك في بلائك؟ قال: شماتة الأعداء. فإن قلت كيف سماه الله صابراً وقد أظهر الشكوى والجزع بقوله مسني الضر وقوله مسني الشيطان بنصب وعذاب؟ قلت: ليس هذا شكاية وإنما هو دعاء بدليل.

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ٨٤﴾

قوله تعالى: ﴿فاستجبنا له﴾ والشكوى إنما تكون إلى الخلق لا إلى الخالق بدليل قول يعقوب إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وقال سفيان بن عيينة: من أظهر الشكوى إلى الناس وهو راض بقضاء الله تعالى لا يكون ذلك جزعاً

ظهرت له ثلاثة أشياء أحدها قدم عليه صديقان حين بلغهما خبره فجاءا إليه ولم يبقَ له إلا عيناه فرأيا أمراً عظيماً فقالا لو كان لك عند الله منزلة ما أصابك هذا. والثاني: أن امرأته طلبت طعاماً فلم تجد ما تطعمه فباعت ذؤابتها وحملت إليه طعاماً. والثالث قول إبليس إني أُداويه على أن يقول أنتَ شفيتني. وقيل: إن إبليس وسوس إليه أن امرأتك زنت فقطعت ذؤابتها فحينئذ عِيلَ صبره، فدعاه وحلف ليضربنّها مائة جلدة. وقيل: معناه مسّني الضرّ من شماتة الأعداء. حتى رُوِيَ أنه قيل له بعدما عُوفي ما كان أشدّ عليك في بلائك قال شماتة الأعداء. وقيل: قال كذلك حين وقعت دودة من فخذه فردّها إلى موضعها. وقال كلي: فقد جعلني الله طعامك فعضّته عضّة زاد ألمها على جميع ما قاساه من عضّ الديدان. فإن قيل: إن الله سمّاه صابراً وقد أظهر الشكوى والجزع، بقوله: ﴿إني مسّني الضرّ﴾ و﴿إني مسّني الشيطان بنصب﴾ [صٓ: ٤١]، قيل: ليس هذا شكاية إنما هو دعاء بدليل قوله تعالى: ﴿فاستجبنا له﴾، على أن الجزع إنما هو في الشكوى إلى الخلق فأما الشكوى إلى الله عزّ وجلّ فلا يكون جزعاً ولا ترك صبراً كما قال يعقوب: ﴿إنّما أشكو بثّي وحزني إلى الله﴾ [يوسف: ٨٦]. قال سفيان بن عيينة: وكذلك مَن أظهر الشكوى إلى الناس وهو راض بقضاء الله لا يكون ذلك جزعاً كما رُوِيَ أن جبريل دخل على النبي ﷺ في مرضه فقال: كيف تجدك؟ قال: «أجدني مغموماً وأجدني مكروباً». وقال لعائشة حين قالت وارأساه، «قال بل أنا وارأساه».

قوله: ﴿فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضرّ﴾، وذلك أنه قال له اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ماء بارد، فأمره أن يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهره، ثم مشى أربعين خطوة فأمره أن يركض برجله الأرض

كما «روي أن جبريل عليه السلام دخل على النبي ﷺ في مرضه فقال كيف تجدك؟ قال: أجدني مغموماً وأجدني مكروباً. وقال لعائشة حين قالت: وارأساه بل أنا وارأساه» قوله تعالى ﴿**فاستجبنا له**﴾ أي أجبنا دعاءه ﴿**فكشفنا ما به من ضر**﴾ وذلك أنه قال له ﴿اركض برجلك﴾ فركض برجله فنبعت عين ماء فأمره أن يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى أربعين خطوة فأمره أن يضرب برجله الأرض مرة أخرى ففعل، فنبعت عين ماء بارد، فأمره أن يشرب منها، فشرب، فذهب كل داء كان بباطنه فصار كأصح ما كان ﴿**وآتيناه أهله ومثلهم معهم**﴾ قال ابن مسعود وابن عباس وأكثر المفسرين: رد الله إليه أهله وأولاده بأعيانهم وأحياهم الله وأعطاه مثلهم معهم، وهو ظاهر القرآن، وعن ابن عباس رواية أخرى أن الله رد إلى المرأة شبابها فولدت له ستة وعشرين ذكراً. وقيل كان له سبع بنين وسبع بنات.

وعن أنس يرفعه أن كان له أندران أندر للقمح وأندر للشعير فبعث الله سحابتين فأفرغت إحداهما على أندر القمح الذهب، وأفرغت الأخرى على أندر الشعير الورق حتى فاضا. وروى أن الله تعالى بعث إليه ملكاً وقال له: إن ربك يقرئك السلام بصبرك فاخرج إلى أندرك، فخرج إليه فأرسل الله عليه جراداً من ذهب فذهبت واحدة فاتبعها وردها إلى أندره فقال له الملك ما يكفيك ما في أندرك؟ فقال هذه بركة من بركات ربي ولا أشبع من بركاته (خ) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «بينما أيوب يغتسل عرياناً خر عليه جراد من ذهب فجعل أيوب يحثي في ثوبه فناداه ربه يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال: بلى يا رب ولكني لا غنى لي عن بركتك». وقيل: آتى الله أيوب مثل أهله الذين هلكوا. قال عكرمة: قيل لأيوب إن أهلك في الآخرة فإن شئت عجلناهم لك في الدنيا، وإن شئت كانوا لك في الآخرة وآتيناك مثلهم في الدنيا فقال: بل يكونون لي في الآخرة وأوتى مثلهم في الدنيا. فعلى هذا يكون معنى الآية

مرة أخرى ففعل فنبعت عين ماء بارد، فأمره فشرب منها فذهب كل داء كان بباطنه فصار كأصحّ ما يكون من الرجال وأجملهم. ﴿ **وآتيناه أهله ومثلهم معهم** ﴾، واختلفوا في ذلك فقال ابن مسعود وقتادة وابن عباس والحسن وأكثر المفسّرين: ردّ الله عزّ وجلّ إليه أهله وأولاده بأعيانهم أحياهم الله وأعطاهم مثلهم معهم، وهو ظاهر القرآن: قال الحسن: آتاه الله المثل من نسل ماله الذي ردّ الله إليه وأهله، يدلّ عليه ما رُوِيَ عن الضحاك عن ابن عباس: أن الله عزّ وجلّ ردّ إلى المرأة شبابها فولدت له ستّة وعشرين ذكراً. قال وهب: كان له سبع بنات وثلاثة بنين. وقال ابن يسار: كان له سبع بنين وسبع بنات. ورُوِيَ عن أنس يرفعه: أنه كان له أندران أندر للقمح وأندر للشعير، فبعث الله عزّ وجلّ سحابتين فأفرغت إحداهما على أندر القمح الذهب وأفرغت الأخرى على أندر الشعير الورق حتى فاض. ورُوِيَ أن الله تعالى بعث إليه ملكاً وقال له إن ربك يقرئك السلام بصبرك فاخرج على أندرك، فخرج إليه فأرسل الله عليه جراداً من ذهب فطارت واحدة فاتبعها وردّها إلى أندره، فقال له الملك: أما يكفيك ما في أندرك؟ فقال هذه بركة من بركات ربي ولا أشبع من بركته. أخبرنا حسّان بن سعيد المنيعي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي أنا محمد بن الحسين القطان أنا أحمد بن يوسف السلمي أنا عبد الرزاق أنا معمر عن همّام بن منبّه قال أنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أيوب يغتسل عرياناً خرّ عليه جراداً من ذهب فجعل أيوب يحثي في ثوبه، فناداه ربّه يا أيوب ألم أكن أُغنيك عمّا ترى؟ قال: بلى وعزّتك ولكن لا غنى لي عن بركتك». وقال قوم: أتى الله أيوب في الدنيا مثل أهله الذين هلكوا فأما الذين هلكوا فإنهم لم يردّوا عليه في الدنيا قال عكرمة: قيل لأيوب إن أهلك لك في الآخرة فإن شئت عجّلناهم لك في الدنيا وإن شئت كانوا لك في الآخرة، وآتيناك مثلهم في الدنيا فقال يكونون لي في الآخرة، وأُوتي مثلهم في الدنيا، فعلى هذا يكون معنى الآية: وآتينا أهله في الآخرة ومثلهم

﴿وآتيناه أهله﴾ في الآخرة ومثلهم معهم في الدنيا وأراد بالأهل الأولاد ﴿رحمة من عندنا﴾ أي نعمة ﴿وذكرى للعابدين﴾ يعني عظة وعبرة لهم. قوله عز وجل:

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿وإسمعيل﴾ هو ابن إبراهيم ﷺ ﴿وإدريس﴾ هو أخنوخ ﴿وذا الكفل كل من الصابرين﴾ لما ذكر الله أمر أيوب وصبره على البلاء أتبعه بذكر هؤلاء الأنبياء لأنهم صبروا على المحن والشدائد والعبادة أيضاً. أما إسماعيل ﷺ فإنه صبر على الانقياد إلى الذبح. وأما ادريس فقد تقدمت قصته. وأما ذو الكفل فاختلفوا فيه فقيل نبياً من بني إسرائيل وكان ملكاً أوحى الله إليه إني أريد قبض روحك فاعرض ملكك على بني إسرائيل فمن تكفل أنه يصلي الليل ولا يفتر ويصوم النهار ولا يفطر ويقضي بين الناس ولا يغضب فادفع ملكك إليه ففعل ذلك، فقام شاب فقال: أنا أتكفل لك بهذا، فتكفل ووفى فشكر الله له ونبأه فسمي ذا الكفل. وقيل: لما كبر اليسع قال إني أستخلف رجلاً على الناس يعمل عليهم في حياتي أنظر كيف يعمل قال: فجمع الناس وقال: من يتقبل مني ثلاثاً أستخلفه يصوم النهار ويقوم الليل

معهم في الدنيا وأراد بالأهل الأولاد، ﴿ رحمةً من عندنا ﴾، أي نعمة من عندنا، ﴿ وذكرى للعابدين ﴾، أي عظة وعبرة لهم.

قوله: ﴿ وإسماعيل ﴾، يعني ابن إبراهيم، ﴿ وإدريس ﴾، وهو أخنوخ، ﴿ وذا الكفل كلٌّ من الصابرين ﴾، على أمرِ الله، واختلفوا في ذا الكفل، فقال عطاء: إن نبياً من أنبياء بني إسرائيل أوحى الله إليه أنّي أُريد قبض روحك فأعرض ملكك على بني إسرائيل فمَن تكفّل لك أن يصل بالليل ولا يفتر ويصوم بالنهار ولا يفطر، ويقضي بين الناس ولا يغضب، فادفع ملكك إليه ففعل ذلك، فقام شاب فقال: أنا أتكفل لك بهذا فتكفّل، ووفّى به فشكر الله له ونبّأه فسُمّي ذا الكفل. قال مجاهد: لمّا كبر اليسع قال لو أني استخلفت رجلاً على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف يعمل، قال: فجمع الناس فقال: مَن يتقبّل منّي بثلاث أستخلفه: يصوم النهار ويقوم الليل، ويقضي بين الناس ولا يغضب، فقام رجل تزدريه العين، فقال: أنا فردّه ذلك اليوم، وقال مثلها اليوم الآخر فسكت الناس، وقام ذلك الرجل فقال: أنا فردّه ذلك اليوم، فاستخلفه فأتاه إبليس في صورة شيخ ضعيف حين أخذ مضجعه للقائلة، وكان لا ينام بالليل والنهار إلّا تلك النومة فدقّ الباب، فقال: مَن هذا؟ فقال: شيخ كبير مظلوم، فقام ففتح الباب فقال إن بيني وبين قومي خصومة وإنهم ظلموني وفعلوا وفعلوا وجعل يطول حتى حضر الرواح، وذهبت القائلة، فقال له إذا رحت فائتني حتى آخذ حقك فانطلق وراح فكان في مجلسه ينظر هل يرى الشيخ فلم يره، فقام يبتغيه فلما كان من الغد جلس يقضي بين الناس وينتظره فلا يراه، فلما رجع إلى القائلة فأخذ مضجعه أتاه فدقّ الباب، فقال: مَن هذا؟ فقال الشيخ المظلوم ففتح فقال ألم أقل لك إذا قعدت فائتني؟ فقال: إنهم أخبث قوم إذا عرفوا أنك قاعد قالوا نحن نعطيك حقك وإذا قمت جحدوني، قال فانطلق فإذا رحت فائتني، ففاتته القائلة وراح فجعل ينظر فلا يراه فشقّ عليه النعاس، فقال لبعض أهله لا تدعنّ أحداً يقرب هذا الباب حتى أنام فإنه قد شقّ عليّ النوم، فلما كان تلك الساعة جاء فلم يأذن له الرجل فلما أعياه نظر فرأى كوّة في البيت فتسوّر منها فإذا هو في البيت يدقّ الباب من داخل، فاستيقظ فقال: يا فلان ألم آمرك، فقال أما من قبلي فلم تؤت فانظر من أين أتيت، فقام

ويقضي ولا يغضب، فقام رجل تزدريه العين فقال: أنا، فاستخلفه فأتاه إبليس في صورة شيخ ضعيف حين أخذ مضجعه للقائلة، وكان لا ينام من الليل والنهار إلا تلك النومة: فدق الباب فقال: من هذا، فقال: شيخ كبير مظلوم، فقام ففتح الباب فقال إن بيني وبين قومي خصومة وإنهم ظلموني وفعلوا وفعلوا، وجعل يطول عليه ؛حتى ذهبت القائلة فقال: إذا رحت فائتني حتى آخذ حقك، فانطلق وراح فكان في مجلسه ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام يبتغيه فلم يجده، فلما كان الغد جعل يقضي بين الناس وينتظره فلم يره، فلما رجع إلى القائلة وقال وأخذ مضجعه دق الباب فقال: من هذا فقال: الشيخ المظلوم ففتح له وقال له: ألم أقل إذا قعدت فائتني؟ قال: إنهم أخبث قوم إذا عرفوا أنك قاعد قالوا نحن نعطيك حقك إذا قمت جحدوني قال: فانطلق فإذا جلست فائتني وفاتته القائلة، فلما جلس جعل ينظر فلا يراه وشق عليه النعاس فلما كان اليوم الثالث قال لبعض أهله لا تدعن أحداً يقرب هذا الباب حتى أنام فإنه قد شق علي النعاس فلما كانت تلك الساعة نام فجاء فلم يأذن له الرجل فلما أعياه نظر فرأى كوة في البيت فتسور منها، فإذا هو في البيت فدق الباب من داخل فاستيقظ فقال يا فلان ألم آمرك قال أما من قبلي فلم تؤت فانظر من أين أتيت فقام إلى الباب فإذا هو مغلق كما أغلقه، وإذا الرجل معه في البيت فقال: أتنام والخصوم ببابك، فنظر إليه فعرفه فقال: أعدو الله؟ قال نعم أعييتني وفعلت ما فعلت لأغضبك فعصمك الله فسمي ذا الكفل لأنه تكفل بأمر فوفى به، واختلف

إلى الباب فإذا هو مغلق كما هو أغلقه، وإذا الرجل معه في البيت فقال أتنام والخصوم ببابك، فعرفه فقال: أعدوّ الله؟ قال: نعم أعييتني ففعلت ما ترى لأغضبك فعصمك الله مني، فسمّي ذا الكفل لأنه تكفّل أمراً فوفّى به. وقيل: إن إبليس جاءه وقال إن لي غريماً يمطلني فأحب أن تقوم معي وتستوفي حقي منه، فانطلق معه حتى إذا كان في السوق خلاه وذهب. ورُوِيَ: أنه اعتذر إليه. وقال: إن صاحبي هرب، وقيل: إن ذا الكفل رجل كفل أن يصلّي كل ليلة مائة ركعة إلى أن يقبضه الله فوفى به، واختلفوا في أنه كان نبيّاً، فقال بعضهم: كان نبيّاً. وقيل: هو إلياس. وقيل: زكريا. وقال أبو موسى لم يكن نبيّاً ولكن كان عبداً صالحاً.

﴿ وأدخلناهم في رحمتنا ﴾، يعني ما أنعم به عليهم في الدنيا من النبوّة وصيّرهم إليه في الجنة من الثواب، ﴿ إنهم من الصالحين ﴾.

﴿ وذا النون ﴾، أي اذكر صاحب الحوت وهو يونس بن متّى، ﴿ إذْ ذهب مغاضباً ﴾، اختلفوا في معناه فقال الضحّاك: مغاضباً لقومه، وهو رواية العوفي وغيره عن ابن عباس، قال: كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسبى منهم تسعة أسباط ونصفاً وبقي سبطان ونصف، فأوحى الله إلى شعياء النبي أنْ سرْ إلى حزقيل الملك، وقل له حتى يوجّه نبيّاً قوياً فإني ألقي معه في قلوب أولئك حتى يرسلوا معه بني إسرائيل، فقال له الملك فمَن ترى، وكان في مملكته خمسة من الأنبياء، فقال يونس إنه قوي أمين فدعا الملك بيونس فأمره أن يخرج، فقال له يونس هل أمرك الله بإخراجي؟ قال: لا، قال: فهل سمّاني لك؟ قال: لا، فههنا غيري أنبياء أقوياء، فألحّوا عليه فخرج من بينهم مغاضباً للنبي وللملك، ولقومه فأتى بحر الروم فركبه، وقال عروة بن الزبير وسعيد بن جبير وجماعة: ذهب عن قومه مغاضباً لربّه إذ كشف عن قومه العذاب بعدما أوعدهم وكره أن يكون بين قوم قد جرّبوا عليه الخلف فيما أوعدهم واستحيا منهم ولم يعلم السبب الذي به العذاب وكان غضبه أنفة من ظهور خلف وعده، وأنه يسمى كذاباً لا كراهية لحكم الله تعالى، وفي بعض الأخبار أنه كان من عادة قومه أن يقتلوا مَن جربوا عليه الكذب فخشي أن يقتلوه لما لم يأتهم العذاب للميعاد، فغضب، والمغاضبة ههنا من المفاعلة التي تكون من واحد، كالمسافر والمعاقبة، فمعنى قوله مغاضباً أي غضبان، وقال الحسن: إنما غاضب ربّه عزّ وجلّ من أجل أنه أمره بالمسير إلى قومه لينذرهم بأسه ويدعوهم إليه فسأل ربّه أن ينظره ليتأهب للشخوص إليهم، فقيل له إن الأمر أسرع من ذلك حتى

في نبوته فقيل كان نبياً، وهو إلياس وقيل هو زكريا، وقيل إنه كان عبداً صالحاً ولم يكن نبياً ﴿وأدخلناهم في رحمتنا﴾ يعني ما أنعم به عليهم من النبوة وصبرهم إليه في الجنة من الثواب ﴿إنهم من الصالحين﴾.

قوله عز وجل: ﴿وذا النون﴾ أي واذكر صاحب الحوت أضيف إلى الحوت لابتلاعه إياه وهو يونس بن متى ﴿إذ ذهب مغاضباً﴾ قال ابن عباس في رواية عنه: كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسبى منها تسعة أسباط ونصفاً وبقي منهم سبطان ونصف، فأوحى الله إلى شعياء النبي أن سر إلى حزقيل الملك وقل له يوجه نبياً قوياً فإني ألقي في قلوب أولئك حتى يرسلوا معه بني إسرائيل فقال له الملك: فمن ترى، وكان في مملكته خمسة من الأنبياء. قال: يونس إنه قوي أمين فدعا الملك يونس: وأمره أن يخرج فقال يونس هل الله أمرك بإخراجي؟ قال لا. قال فهل سماني الله لك؟ قال لا. قال ها هنا غيري أنبياء أقوياء، فألحوا عليه فخرج مغاضباً للنبي وللملك وقومه وأتى بحر الروم فركب وقيل ذهب عن قومه مغاضباً لربه لما كشف عنهم العذاب بعد ما أوعدهم وكره أن يكون بين أظهر قوم جربوا عليه الخلف فيما أوعدهم، واستحيا منهم ولم يعلم السبب الذي رفع العذاب عنهم به فكان غضبه أنفة من ظهور خلف وعده وأنه يسمى كذاباً لا كراهية لحكم الله. وفي بعض الأخبار أنه كان من عادة قومه أنهم يقتلون من جربوا عليه الكذب فخشي أن يقتلوه ما لم يأتهم العذاب للميعاد فذهب مغاضباً. قال ابن عباس: أتى جبريل يونس فقال انطلق إلى أهل نينوى فأنذرهم فقال: ألتمس دابة قال: الأمر أعجل من ذلك فغضب وانطلق إلى السفينة.

وقال وهب: إن يونس كان عبداً صالحاً وكان في خلقه ضيق فلما حمل أثقال النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل، فقذفها من يده وخرج هارباً منها فلذلك أخرجه الله من أولي العزم من الرسل وقال لنبيه محمد ﷺ ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل﴾ وقال ﴿ولا تكن كصاحب الحوت﴾ وقوله ﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾ أي لن نقضي عليه العقوبة. قاله ابن عباس في رواية عنه وقيل معناه فظن أن لن نضيق عليه الحبس وقيل معناه

سأل أن ينظر إلّا أن يأخذ نعلاً يلبسها فلم ينظر، وكان في خلقه ضيق فذهب مغاضباً. وعن ابن عباس، قال: أتى جبريل يونس فقال انطلق إلى أهل نينوى فأنذِرهم، فقال التمس دابّة قال الأمر أعجل من ذلك فغضب فانطلق إلى السفينة. وقال وهب بن منبّه: إن يونس بن متّى كان عبداً صالحاً وكان في خلقه ضيق، فلما حمل عليه أثقال النبوّة تفسّخ تحتها تفسّخ الربع تحت الحمل الثقيل فقذفها بين يديه، وخرج هارباً منها، فلذلك أخرجه الله من أُولي العزم من الرسل وقال لنبيّه محمد ﷺ: ﴿ فاصبرْ كما صبر أُولوا العزم من الرسل ﴾ [الأحقاف: ٣٥] ﴿ ولا تكن كصاحب الحوت ﴾ [القلم: ٤٨]. قوله: ﴿ فظنّ أن لن نقدر عليه ﴾، أي لن نقضي عليه بالعقوبة، قاله مجاهد وقتادة والضحاك والكلبي، وهو رواية العوفي عن ابن عباس يقال: قدّر الله الشيء تقديراً وقدّر يقدّر قدراً بمعنى واحد، ومنه قوله: ﴿ نحن قدّرنا بينكم الموت ﴾ [الواقعة: ٦٠] في قراءة مَن خفّفها دليل هذا التأويل قراءة عمر بن عبد العزيز والزهري: ﴿ فظنّ أن لن نقدر عليه ﴾ بالتشديد، وقال عطاء وكثير من العلماء: معناه فظن أن لن نضيق عليه الحبس، كقوله تعالى الله: ﴿ يبسط الرزق لمَن يشاء ويقـدّر ﴾ [الرعد: ٢٦]، أي يضيق. وقال ابن زيد: هو استفهام معناه فظن أنه يُعجز ربّه، فلا يقدر عليه. وقرأ يعقوب يقدر بضم الياء على المجهول خفيف. وعن الحسن قال: بلغني أن يونس لمّا أصاب الذنب انطلق مغاضباً لربه واستنزله الشيطان حتى ظن أن لن نقدر عليه، وكان له سلف وعبادة فأبى الله أن يدعه للشيطان، فقذفه في بطن الحوت فمكث فيه أربعين من بين يوم وليلة. وقال عطاء: سبعة أيام. وقيل: ثلاثة أيام. وقيل: إن الحوت ذهب به مسيرة ستة آلاف سنة. وقيل: بلغ به تخوم الأرض السابعة فتاب إلى ربّه تعالى في بطن الحوت، وراجع نفسه فقال: لا إلّه إلّا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، حين عصيتك وما صنعت من شيء فلن أعبد غيرك فأخرجه الله من بطن الحوت برحمته، والتأويلات المتقدمة أولى بحال

فظن أنه يعجز ربه فلا يقدر عليه، قيل لما انطلق يونس مغاضباً لربه واستزله الشيطان حتى ظن أن لن يقدر عليه وكان له سلف وعبادة أبى الله أن يدعه للشيطان فقذفه في بطن الحوت فمكث فيه أربعين ما بين يوم وليلة. وقيل سبعة أيام وقيام ثلاثة. وقيل: إن الحوت ذهب به حتى بلغ تخوم الأرض السابعة فتاب إلى ربه وراجع نفسه في بطن الحوت ﴿**فنادى في الظلمات**﴾ أي ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت ﴿**أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين**﴾ أي حيث عصيتك وما صنعت من شيء فلم أعبد غيرك فأخرجه الله من بطن الحوت برحمته وروى أبو هريرة مرفوعاً قال أوحى الله تعال إلى الحوت أن خذه ولا تخدش له لحماً ولا تكسر له عظماً فأخذه ثم أهوى به إلى مسكنه في البحر فلما انتهى به إلى أسفل البحر سمع يونس حساً فقال في نفسه ما هذا فأوحى الله إليه هذا تسبيح دواب البحر قال فسبح هو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا: يا ربنا نسمع صوتاً ضعيفاً بأرض غريبة وفي رواية صوتاً معروفاً من مكان مجهول فقال: ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت فقالوا العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم فشفعوا له عند ذلك فأمر الحوت فقذفه في الساحل فذلك.

فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا
تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ
كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ
فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً
وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾

قوله تعالى ﴿**فاستجبنا له ونجيناه من الغم**﴾ أي تلك الظلمات ﴿**وكذلك ننجي المؤمنين**﴾ أي من الكروب إذا دعونا واستغاثوا بنا. فإن قلت قد تمسك بمواضع من هذه القصة من أجاز وقوع الذنب من الأنبياء منها قوله ﴿**إذ ذهب مغاضباً**﴾ ومنها ﴿**فظن أن لن نقدر عليه**﴾ ومنها قوله ﴿**إني كنت من الظالمين**﴾ قلت أما الجواب الكلي فقد اختلفوا في هذه الواقعة هل كانت قبل الرسالة أم لا؟ فقال ابن عباس: كانت رسالته بعد أن أخرجه الله من بطن الحوت بدليل

الأنبياء أنه ذهب مغاضباً لقومه أو للملك، ﴿ **فنادى في الظلمات أن لا إلَه إلاّ أنت سبحانك إني كنت من الظالمين** ﴾، يعني ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت. ورُوِيَ عن أبي هريرة مرفوعاً: أوحى الله إلى الحوت أن خذه ولا تخدش له لحماً ولا تكسر له عظماً فأخذه ثم هوى به إلى مسكنه في البحر، فلما انتهى به إلى أسفل البحر سمع يونس حسّاً فقال في نفسه ما هذا فأوحى الله إليه أن هذا تسبيح دواب البحر، قال فسبّح وهو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه، فقالوا: يا ربنا نسمع صوتاً ضعيفاً بأرض غريبة. وفي رواية صوتاً معروفاً من مكان مجهول، فقال: ذاك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت، فقالوا العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح؟ قال: نعم فشفعوا له، عند ذلك فأمر الحوت فقذفه إلى الساحل، كما قال الله تعالى: ﴿ فنبذناه بالعراء وهو سقيم ﴾ [الصّافات: ١٤٥].

فذلك قوله عزّ وجل: ﴿ **فاستجبنا له** ﴾، أي أجبناه، ﴿ **ونجّيناه من الغمّ** ﴾، من تلك الظلمات، ﴿ **وكذلك نُنجّي المؤمنين** ﴾، من كل كرب إذا دعونا واستغاثوا بنا قرأ ابن عامر وعاصم برواية أبي بكر: «نجّـي» بنون واحدة وتشديد الجيم وتسكين الياء لأنها مكتوبة في المصحف بنون واحدة، واختلف النحاة في هذه القراءة فذهب أكثرهم

قوله تعالى في الصافات بعد ذكر خروجه ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ فثبت بهذا أن هذه الواقعة كانت قبل النبوة وقد أجاز بعضهم عليه الصغائر قبل النبوة ومنعها بعد النبوة وهو الصحيح. وأما الجواب التفصيلي لقوله إذ ذهب مغاضباً فحمله على أنه لقومه أو للملك أولى بحال الأنبياء وأما قوله ﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾ فقد تقدم معناه أي لن نضيق عليه وذلك أن يونس ظن أنه مخير إن شاء أقام وإن شاء خرج. وإن الله تعالى لا يضيق عليه في اختياره وقيل هو من القدر لا من القدرة وأما قوله ﴿إني كنت من الظالمين﴾ فالظلم وضع الشيء في غير موضعه وهذا اعتراف عند بعضهم بذنبه فإما أن يكون لخروجه عن قومه بغير إذن ربه أو لضعفه عما حمله، أو لدعائه بالعذاب على قومه وفي هذه الأشياء ترك الأفضل مع قدرته على تحصيله فكان ذلك ظلماً. وقيل كانت رسالته قبل هذه الواقعة بدليل قوله ﴿وإن يونس لمن المرسلين إذ أبق إلى الفلك المشحون﴾ فعلى هذا يكون الجواب عن هذه الواقعة ما تقدم من التفصيل والله أعلم.

قوله عز وجل﴿**وزكريا إذ نادى ربه**﴾ أي دعا ربه فقال ﴿**رب لا تذرني فرداً**﴾ أي وحيداً لا ولد لي يساعدني وارزقني وارثاً ﴿**وأنت خير الوارثين**﴾ هو ثناء على الله بأنه الباقي بعد فناء الخلق وأنه الوارث لهم وهذا على سبيل التمثيل والمجاز فهو كقوله وأنت خير الرازقين ﴿**فاستجبنا له ووهبنا له يحيى**﴾ أي ولداً ﴿**وأصلحنا له زوجة**﴾ أي جعلناها ولوداً بعد ما كانت عقيماً وقيل كانت سيئة الخلق فأصلحها الله تعالى له بأن رزقها حسن الخلق ﴿**إنهم كانوا يسارعون في الخيرات**﴾ يعني الأنبياء المذكورين في هذه السورة. وقيل زكريا وأهل بيته، والمسارعة في الخيرات من أكبر ما يمدح به المرء لأنها تدل على حرص عظيم في طاعة الله عز وجل ﴿**ويدعوننا رغباً ورهباً**﴾ يعني أنهم ضموا إلى فعل الطاعات أمرين: أحدهما: الفزع إلى الله لمكان الرغبة في ثوابه والرهبة من عقابه. والثاني: الخشوع وهو قوله

إلى أنها لحن لأنه لو كان على ما لم يُسَمَّ فاعله لم تسكّن الياء ورفع المؤمنين، ومنهم مَن صوّبها، وذكر الفرّاء أن لها وجهاً آخر وهو إضمار المصدر، أي نجّا النجاة المؤمنين، كقولك ضرب الضرب زيداً، ثم تقول ضرب زيداً بالنصب على إضمار المصدر، وسكّن الياء في «نجّـي» كما يسكنون في بقي ونحوها، قال القتيبي: مَن قرأ بنون واحدة والتشديد فإنما أراد ننجّي من التنجية إلاّ أنه أدغم وحذف نوناً طلباً للخفّة ولم يرضه النحويون لبُعد مخرج النون من الجيم، والإدغام يكون عند قرب المخرج، وقرأ العامّة (ننجي) بنونين من الإنجاء، وإنما كتبت بنون واحدة لأن النون الثانية كانت ساكنة والساكن غير ظاهر على اللسان فحذفت كما فعلوا في إلاّ حذفوا النون من إن لخفائها، واختلفوا في أن رسالة يونس بن متّى متى كانت؟ فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس: أنها كانت بعد أن أخرجه الله من بطن الحوت، بدليل أن الله عزّ وجلّ ذكره في سورة الصّافّات، ﴿ **فنبذناه بالعراء** ﴾، ثم ذكر بعده: ﴿ وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون ﴾ [الصّافّات: ١٤٧]، وقال الآخرون: إنها كانت من قبل بدليل قوله تعالى: ﴿ وإن يونس لمِنَ المرسلين إذْ أبق إلى الفُلْك المشحونِ ﴾ [الصّافّات: ١٤٠].

قولهُ عزّ وجلّ: ﴿ **وزكريا إذْ نادى ربَّه** ﴾، أي دعا ربَّه، ﴿ **ربِّ لا تذرني فرداً** ﴾، وحيداً لا ولد لي وارزقني وارثاً، ﴿ **وأنت خير الوارثين** ﴾، أثنى على الله بأنه الباقي بعد فناء الخلق وأنه أفضل مَن بقي حيّاً.

﴿ **فاستجبنا له ووهبنا له يحيىٰ** ﴾، ولداً ﴿ **وأصلحنا له زوجه** ﴾، أي جعلناها ولوداً بعد ما كانت عقيماً، قاله أكثر المفسّرين، وقال بعضهم: كانت سيئة الخلق فأصلحها الله له بأن رزقها حُسْنَ الخلق. ﴿ **إنّهم** ﴾ الأنبياء، يعني الأنبياء الذين سمّاهم في هذه السورة، ﴿ **كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً** ﴾، طمعاً، ﴿ **ورهباً** ﴾، خوفاً، رغباً من رحمة الله، ورهباً من عذاب الله، ﴿ **وكانوا لنا خاشعين** ﴾، أي متواضعين، قال قتادة: ذللاً لأمر الله. قال مجاهد: الخشوع هو الخوف اللازم في القلب.

تعالى ﴿وكانوا لنا خاشعين﴾ الخشوع هو الخوف اللازم للقلب فيكون الخاشع هو الحذر الذي لا ينبسط في الأمور خوفاً من الوقوع في الإثم. قوله تعالى ﴿والتي أحصنت فرجها﴾ أي إحصاناً كلياً من الحلال والحرام جميعاً كما قالت ﴿لم يمسسني بشر ولم أك بغياً﴾ وهي مريم بنت عمران ﴿فنفخنا فيها من روحنا﴾ أمرنا جبريل حتى نفخ في جيب درعها فخلقنا بذلك النفخ المسيح في بطنها، وأضاف الروح إليه تشريفاً لعيسى كبيت الله وناقة الله ﴿وجعلناها وابنها آية﴾ أي دلالة ﴿للعالمين﴾ على كمال قدرتنا على خلق ولد من غير أب، فان قلت هما آيتان فكيف قال آية؟. قلت معنى الكلام وجعلنا شأنهما وأمرهما آية واحدة أي ولادتها إياه من غير أب آية. قوله تعالى ﴿إن هذه أمتكم﴾ أي ملتكم ودينكم ﴿أمة واحدة﴾ أي ديناً واحداً وهو الإسلام فأبطل ما سوى الإسلام من الأديان والأمة الجماعة التي هي على مقصد واحد، وجعلت الشريعة أمة لاجتماع أهلها على مقصد واحد ﴿وأنا ربكم فاعبدون﴾ أي لا دين سوى ديني ولا رب لكم غيري فاعبدوني أي وحدوني.

وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ﴿١٠٠﴾

﴿وتقطعوا أمرهم بينهم﴾ أي اختلفوا في الدين فصاروا فرقاً وأحزاباً حتى لعن بعضهم بعضاً وتبرأ بعضهم من بعض ﴿كل إلينا راجعون﴾ فنجزيهم بأعمالهم ﴿فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه﴾ أي لا يجحد ولا يبطل سعيه بل يشكر ويثاب عليه ﴿وإنا له كاتبون﴾ أي لعمله وحافظون له. وقيل: الشكر من الله المجازاة،

﴿ والتي أحصنتْ فرجَها ﴾، حفظت من الحرام وأراد مريم بنت عمران، ﴿ فنفخنا فيه من روحنا ﴾، أي أمرنا جبرائيل حتى نفخ في جيب درعها، وأحدثنا بذلك النفخ المسيح في بطنها، وأضافَ الروح إليه تشريفاً لعيسى عليه السلام، ﴿ وجعلناها وابنها آيةً للعالمين ﴾، أي دلالة على كمال قدرتنا على خلق ولد من غير أب، ولم يقل آيتين وهما آيتان لأن معنى الكلام وجعلنا شأنهما وأمرهما آية. ولأن الآية كانت فيهما واحدة، وهي أنها أتت به من غير فحل.

قوله: ﴿ إنّ هذه أمتكم ﴾، أي ملّتكم ودينكم، ﴿ أمة واحدة ﴾، أي ديناً واحداً وهو الإسلام، فأبطل ما سوى الإسلام من الأديان، وأصل الأمة الجماعة التي هي على مقصد واحد فجعلت الشريعة أمة واحدة لاجتماع أهلها على مقصد واحد ونصب أمة على القطع. ﴿ وأنا ربّكم فاعبدون ﴾.

﴿ وتقطعوا أمرهم بينهم ﴾، أي اختلفوا في الدين فصاروا فرقاً وأحزاباً، قال الكلبي: فرّقوا دينهم بينهم يلعن بعضهم بعضاً ويتبرأ بعضهم من بعض، والتقطّع ههنا بمعنى التقطيع، ﴿ كلٌّ إلينا راجعون ﴾، فنجزيهم بأعمالهم.

﴿ فمَنْ يعملْ من الصالحات وهو مؤمن فلا كُفْرَانَ لسعيه ﴾، لا يُجحد ولا يبطل عملُهُ سعيَه بل يُشكر ويُثاب عليه، ﴿ وإنّا له كاتبون ﴾، لعمله حافظون، وقيل: معنى الشكر من الله المجازاة، ومعنى الكفران ترك المجازاة.

والكفران ترك المجازاة. قوله عز وجل ﴿وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون﴾ قال ابن عباس: ومعناه وحرام على أهل قرية أهلكناهم أن يرجعوا بعد الهلاك، وقيل: معناه وحرام على أهل قرية حكمنا بهلاكهم أن نقبل أعمالهم لأنهم لا يتوبون.

قوله عز وجل ﴿حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج﴾ يريد فتح السد وذلك أن الله يفتحه أخبر عن يأجوج ومأجوج وهما قبيلتان، يقال إنهما تسعة أعشار بني آدم ﴿وهم من كل حدب ينسلون﴾ أي يسرعون النزول من كل الآكام والتلال. وفي هذه الكناية وجهان: أحدهما أن المراد بهم يأجوج ومأجوج وهو الأصح بدليل ما روي عن النواس بن سمعان قال «ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظننا أنه في طائفة النخل فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا فقال: ما شأنكم؟ قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال الغداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل فقال: غير الدجال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فكل امرىء حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم إنه شاب قطط عينه طافئة كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يميناً وعاث شمالاً يا عباد الله فاثبتوا قلنا يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال أربعون يوماً يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال لا أقدروا له قدره قلنا يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر لهم السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرا وأصبغه ضروعاً وأمده خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه». قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم «ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه ويضحك فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي إلى حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله.

ثم يأتي عيسى عليه السلام إلى قوم قد عصمهم الله منه فيمسح على وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة

﴿ وحرام على قرية ﴾، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر: «وحِــرْم» بكسر الحاء بلا ألف، وقرأ الباقون بالألف ﴿ حرام ﴾ وهما لغتان مثل حلّه وحلال، قال ابن عباس: معنى الآية وحرام على قريـة أي أهل قـرية، ﴿ أهلكناها ﴾، أن يرجعوا بعد الهلاك، فعلى هذا تكون ﴿ لا ﴾ صلة، وقال آخرون: الحرام بمعنى الواجب، فعلى هذا تكون ﴿ لا ﴾ ثابتة معناه واجب على أهل قرية أهلكناهـم ﴿ أنّهم لا يرجعون ﴾، إلى الدنيا، وقال الزجّاج: معناه وحرام على أهل قرية أهلكناهم أي حكمنا بهلاكهم أن يتقبّل أعمالهم لأنهم لا يرجعون أي لا يتوبون، والدليل على هذا المعنى أنه قال في الآية التي قبلها فمَن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه أي يتقبل عمله، ثم ذكر هذه الآية عقيبة وبيّن أن الكافر لا يتقبل علمه.

قوله تعالى: ﴿ حتى إذا فُتحتْ ﴾، قرأ ابن عامر وأبو جعفر ويعقوب: «فتّحــت» بالتشديد على التكثير، وقرأ الآخرون بالتخفيف، ﴿ يأجوج ومأجوج ﴾، يريد فتح السدّ عن يأجوج، ﴿ وهم من كل حَدَبٍ ﴾، أي نشز وتل، والحدب المكان المرتفع، ﴿ ينسلون ﴾، يسرعون النزول من الآكام والتلال كنسلان الذئب، وهو سرعة مشيه، واختلفوا في هذه الكناية، فقال قوم: عني بها يأجوج ومأجوج بدليل ما روينا عن النواس بن سمعان عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ويبعث الله يأجوج ومأجوج من كل حدب ينسلون» وقال قوم: أراد جميع الخلق يعني أنهم

فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى عليه السلام إني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد أن يقاتلهم فحرز عبادي إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأموج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقول لقد كان بهذه مرة ماء ويحضر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله فيهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسي كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة. ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك ودري بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة» أخرجه مسلم.

شرح غريب ألفاظ الحديث

قوله حتى ظنناه في طائفة النخل أي ناحية النخل وجانبه والطائفة القطعة من الشيء، وقوله فخفض فيه ورفع خفض صوته ورفعه من شدة ما تكلم به في أمره. وقيل إنه خفض من أمره تهوينا له ورفع من شدة فتنته والتخويف من أمره. قوله إنه شاب قطط أي جعد الشعر وقوله طافئة أي خارجة عن حدها قوله إنه خارج خلة أي إنه يخرج قصداً وطريقاً بين جهتين والتخلل الدخول في الشيء. قوله فعاث أي أفسد. قوله اقدروا له قدره أي قدروا قدر يوم من أيامكم المعهودة وصلوا فيه بقدر أوقاته، وقوله فتروح عليهم سارحتهم أي مواشيهم، وقوله فيصبحون ممحلين أي مقحطين قد أجدبت أرضهم وغلت أسعارهم. قوله كيعاسيب النحل جمع يعسوب وهو فحل النحل ورئيسها. قوله فيقطعه جزلتين رمية الغرض أي قطعتين والغرض الهدف الذي يرمى بالنشاب. قوله بين مهرودتين رويت بالدال المهملة وبالمعجمة أي شقتين وقيل حلتين وقيل الهرد الصبغ الأصفر بالورس والزعفران. قوله لا يدان لأحد بقتالهم

يخرجون من قبورهم، ويدلّ عليه قراءة مجاهد وهم من كل جدث بالجيم والثاء كما قال: ﴿ فإذا هم من الأجداث إلى ربّهم ينسلون ﴾ [يٓس: ٥١]، أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجّاج أنا أبو خيثمة زهير بن حرب أنا سفيان بن عيينة عن فرات القزّاز عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفاري، قال أطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر الساعة، فقال: «ما تذكرون»؟ قالوا: نذكر الساعة. قال: «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر الدخان والدجال والدابّة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسفٌ بالمغرب وخسفٌ بالمشرق وخسفٌ بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم».

قوله تعالى: ﴿ واقترب الوعد الحق ﴾، يعني القيامة، قال الفرّاء وجماعة: الواو في قوله واقترب مقحمة فمعناه حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق، كما قال الله تعالى: ﴿ فلما أسلما وتلّه للجبين وناديناه ﴾ [الصافّات: ١٠٣] أي ناديناه، والدليل عليه ما رُوِيَ عن حذيفة قال: لو أن رجلاً اقتنى فلواً بعد خروج يأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة. وقال قوم: لا يجوز طرح الواو، وجعلوا جواب حتى إذا فتحت في قوله

أي لا قدرة ولا قوة لأحد بقتالهم والنغف دود يكون في أنوف الإبل والغنم فرسى جمع فريس وهو القتيل. قوله زهمهم أي ريحهم النتنة. قوله كالزلفة أي كالمرآة وجمعها زلف ويروى بالقاف وأراد به استواءها ونظافتها. قوله تأكل العصابة أي الجماعة قيل يبلغون أربعين وقحف الرمانة في الحديث قشرها، والرسل بكسر الراء اللبن واللقحة الناقة ذات اللبن، والفئام الجماعة من الناس، والفخذ دون القبيلة، وقوله يتهارجون أي يختلفون والتهارج الاختلاف، وأصله القتل.

الوجه في تفسير قوله تعالى ﴿وهم من كل حدب ينسلون﴾

قيل جميع الخلائق يخرجون من قبورهم إلى موقف الحساب (م) عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: «ما تذكرون قالوا؟ نذكر الساعة قال إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاث خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم». قوله عز وجل **﴿واقترب الوعد الحق﴾** أي القيامة قال حذيفة لو أن رجلاً اقتنى فلواً بعد خروج يأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة. الفلو المهر **﴿فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا﴾** قيل معنى الآية أن القيامة إذا قامت شخص أبصار الذين كفروا من شدة الأهوال ولا تكاد تطرف هول ذلك اليوم ويقولون **﴿يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا﴾** يعني في الدنيا حيث كذبنا به وقلنا إنه غير كائن **﴿بل كنا ظالمين﴾** أي في وضعنا العبادة في غير موضعها. قوله عز وجل **﴿إنكم﴾** الخطاب للمشركين **﴿وما تعبدون من دون الله﴾** يعني الأصنام **﴿حصب جهنم﴾** أي حطبها ووقودها وقيل يرمي بهم في النار كما يرمي بالحصباء وأصل الحصب الرمي **﴿أنتم لها واردون﴾** أي فيها داخلون **﴿لو كان هؤلاء﴾** يعني الأصنام **﴿آلهة﴾** أي على الحقيقة **﴿ما وردوها﴾** أي ما دخل الأصنام النار وعبدوها **﴿وكل فيها خالدون﴾** يعني العابدين والمعبودين **﴿لهم فيها زفير﴾** قيل الزفير هو أن يملأ الرجل صدره غماً ثم يتنفس وقيل هو شدة ما ينالهم من

يا ويلنا، فيكون مجاز الآية. حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج واقترب الوعد الحق، قالوا يا ويلنا قد كنّا في غفلة من هذا. قوله: **﴿ فإذا هي شاخصةٌ أبصار الذين كفرُوا ﴾**، وهي قوله هي ثلاثة أوجه أحدها أنها كناية عن الإبصار. ثم أظهر الإبصار بياناً معناه فإذا الأبصار شاخصة أبصار الذين كفروا. والثاني أنّ هي تكون عمداً كقوله: **﴿ فإنها لا تعمي الأبصار ﴾** [الحج: ٤٦]، والثالث أن يكون تمام الكلام عند قوله: **﴿ هي ﴾**، على معنى فإذا هي بارزة يعني من قربها كأنها حاضرة، ثم ابتدأ: **﴿ شاخصة أبصار الذين كفروا ﴾**، على تقديم الخبر على الابتداء، مجازها أبصار الذين كفروا شاخصة. قال الكلبي: شخصت أبصار الكفّار فلا تكاد تطرف من شدّة ذلك اليوم وهوله، يقولون: **﴿ يا ولينا قد كنّا في غفلة من هذا ﴾**، اليوم، **﴿ بل كنّا ظالمين ﴾**، بوضعنا العبادة في غير موضعها.

﴿ إنّكم ﴾ أيها المشركون **﴿ وما تعبدون من دون الله ﴾**، يعني الأصنام، **﴿ حصب جهنّم ﴾**، يعني وقودها. وقال مجاهد وقتادة: حطبها، والحصب في لغة أهل اليمن الحطب. وقال عكرمة: هذا الحطب بلغة الحبشة. قال الضحاك: يعني يرمون بهم في النار كما يرمى بالحصب. وأصل الحصب المرمي، قال الله عزّ وجلّ: **﴿ أرسلنا عليهم حاصباً ﴾** [القمر: ٣٤] أي ريحاً ترميهم بحجارة، وقرأ علي بن أبي طالب: حطب جهنم، **﴿ أنتم لها واردون ﴾**، أي فيها داخلون.

﴿ لو كان هؤلاء ﴾، يعني الأصنام، **﴿ آلهة ﴾** على الحقيقة، **﴿ ما وردوها ﴾**، أي ما دخل عابدوها النار، **﴿ وكلٌّ فيها خالدون ﴾**، يعني العابد والمعبودين.

العذاب ﴿وهم فيها لا يسمعون﴾ قال ابن مسعود في هذه الآية: إذا بقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت أخر ثم تلك التوابيت في توابيت أخر عليها مسامير من نار فلا يسمعون شيئاً ولا يرى أحد منهم أن في النار أحداً يعذب غيره.

إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَـٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا
ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي
كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا
عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ
ٱلصَّـٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغٗا لِّقَوۡمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾

قوله تعالى ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾ قال العلماء: إن هنا بمعنى إلا أي إلا الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني السعادة والعدة الجميلة بالجنة ﴿أولئك عنها﴾ أي عن النار ﴿مبعدون﴾ قيل: الآية عامة من كل من سبقت له من الله السعادة، وقال أكثر المفسرين عنى بذلك كل من عبد من دون الله وهو لله طائع ولعبادة من يعبده كاره وذلك أن رسول الله ﷺ دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله ﷺ حتى أفحمه ثم تلا عليه ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾ الآيات الثلاث ثم قام فأقبل عبد الله بن الزبعرى السهمي فأخبره الوليد بن المغيرة بما قال لهم رسول الله ﷺ فقال

﴿ لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ﴾، قال ابن مسعود في هذه الآية إذا بقي في النار مَن يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار، ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت أُخَر ثم تلك التوابيت في توابيت أُخَر عليها مسامير من نار، فلا يسمعون شيئاً ولا يرى أحد منهم أن في النار أحداً يعذّب غيره، ثم استثنى فقال:

﴿ إن الذين سبقت لهم منّا الحسنى ﴾، قال بعض أهل العلم: إنّ ههنا بمعنى إلاّ معناه: إلاّ الذين سبقت لهم منّا الحسنى، يعني السعادة والعِدَةُ الجميلة بالجنة، ﴿ أولئك عنها مبعدون ﴾، قيل: الآية عامّة في كل مَن سبقت لهم من الله السعادة. وقال أكثر المفسّرين: عني بذلك كل مَن عبد من دون الله وهو لله طائع ولعبادة مَن يعبده كاره، وذلك أن رسول الله ﷺ دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستّون صنماً فعرض له النضر بن الحارث، فكلّمه رسول الله ﷺ حتى أفحمه ثم تلا عليه: ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ﴾، أنت لها، الآيات الثلاثة ثم قام فأقبل عبد الله بن الزبعري السهمي فأخبره الوليد بن المغيرة بما قال لهم رسول الله ﷺ فقال عبد الله: أمَا والله لو وجدته لخصمته، فدعوا رسول الله ﷺ فقال له ابن الزبعري: أأنت قلت: ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ﴾؟ قال: نعم، قال: أليست اليهود تعبد عزيراً والنصارى تعبد المسيح، وبنو مليح تعبد الملائكة؟ فقال النبي ﷺ: «بل هم يعبدون الشياطين» فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ إن الذين سبقت لهم منّا الحسنى ﴾، يعني عزيراً والمسيح والملائكة، ﴿ أولئك عنها مبعدون ﴾، وأنزل في ابن الزبعري: ﴿ ما ضربوه لك إلاّ جدلاً بل هم قوم خَصِمُون ﴾[الزخرف: ٥٨]، وزعم جماعة أن المراد من الآية الأصنام، لأن الله تعالى قال: ﴿ وما تعبدون من دون الله ﴾، ولو أراد الملائكة والناس لقال ومَن تعبدون من دون الله.

﴿لا يسمعون حسيسها﴾، يعني صوتها وحركة تلهبها إذا نزلوا منازلهم في الجنة، والحسّ والحسيس الصوت

ابن الزبعرى: أما والله لو وجدته لخصمته فدعوا رسول الله ﷺ فقال له ابن الزبعرى أنت قلت إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم؟ قال نعم قال أليست اليهود تعبد عزيراً والنصارى تعبد المسيح وبني مليح تعبد الملائكة فقال النبي ﷺ: بل هم يعبدون الشياطين فأنزل الله تعالى ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾ يعني عزيراً والمسيح والملائكة أولئك عنها مبعدون وأنزل في ابن الزبعرى ﴿ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون﴾ وزعم جماعة أن المراد من الآية الأصنام لأن الله تعالى قال إنكم وما تعبدون من دون الله، ولو أراد به الملائكة والناس لقال إنكم ومن تعبدون لأن من لمن يعقل وما لمن لا يعقل ﴿**لا يسمعون حسيسها**﴾ يعني صوتها وحركة تلهبها إذا نزلوا منازلهم في الجنة ﴿**وهم فيما اشتهت أنفسهم**﴾ أي من النعيم والكرامة ﴿**خالدون**﴾ أي مقيمون. قوله تعالى: ﴿**لا يحزنهم الفزع الأكبر**﴾ قال ابن عباس: يعني النفخة الأخيرة، وقيل هو حين يذبح الموت وينادى يا أهل النار خلود بلا موت وقيل هو حين يطبق على جهنم وذلك بعد أن يخرج الله منها من يريد أن يخرجه ﴿**وتتلقاهم الملائكة**﴾ أي تستقبلهم الملائكة على أبواب الجنة يهنئونهم ويقولون ﴿**هذا يومكم الذي كنتم توعدون**﴾ أي في الدنيا. قوله عز وجل ﴿**يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب**﴾ قال ابن عباس: السجل الصحيفة والمعنى كطي الصحيفة على مكتوبها والطي هو الدرج الذي هو ضد النشر. وقيل: السجل اسم ملك يكتب أعمال العباد إذا رفعت إليه والمعنى نطوي السماء كما يطوي السجل الطومار الذي يكتب فيه والتقدير لا يحزنهم الفزع الأكبر في اليوم ﴿**كما بدأنا أول خلق نعيده**﴾ أي كما بدأناهم

الخفي، ﴿ **وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون** ﴾، مقيمون كما قال: ﴿ **وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين** ﴾ [الزخرف: ٧١].

﴿ **لا يحزنهم الفزعُ الأكبر** ﴾، قال ابن عباس: الفزع الأكبر النفخة الأخيرة بدليل قوله عزّ وجلّ: ﴿ **ويوم ينفخ في الصور ففزع مَن في السمٰوات ومَن في الأرض** ﴾ [النمل: ٨٧]، قال الحسن: حين يؤمر بالعبد إلى النار. قال ابن جريج: حين يذبح الموت ويُنادى يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت. وقال سعيد بن جبير والضحاك: هو أن تطبق عليهم جهنم وذلك بعد أن يُخرج الله منها مَن يريد أن يخرجه. ﴿ **وتتلقاهم الملائكة** ﴾، أي تستقبلهم الملائكة على أبواب الجنة يهنئونهم، ويقولون: ﴿ **هذا يومكم الذي كنتمُ توعدون** ﴾.

﴿ **يوم نطوي السماء** ﴾، قرأ أبو جعفر: (تطوى السماء) بالتاء وضمّها وفتح الواو، «والسماء»، رفع على المجهول، وقرأ العامّة بالنون وفتحها وكسر الواو، «والسماء» نصب، ﴿ **كطيّ السجل للكتب** ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم للكتب على الجمع، وقرأ الآخرون للكتاب على الواحد، واختلفوا في السجل، فقال السدي: السجل ملك يكتب أعمال العباد، واللام زائدة، أي كطيّ السجل الكتب كقوله: ﴿ ردف لكم ﴾ [النمل: ٧٢]، اللام فيه زائدة، وقال ابن عباس ومجاهد والأكثرون: السجل الصحيفة للكتب أي لأجل ما كتب معناه كطيّ الصحيفة على مكتوبها، والسجل اسم مشتق من المساجلة وهي المكاتبة، والطيّ الدرج الذي هو ضدّ النشر، ﴿ **كما بدأنا أول خلق نعيده** ﴾، أي كما بدأناهم في بطون أمهاتهم حفاة عراة غرلاً كذلك نعيدهم يوم القيامة، نظيره قوله تعالى: ﴿ ولقد جئتمونا فُرادَى كما خلقناكم أول مرة ﴾ [الأنعام: ٩٤]، ورُوِيَ عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «إنكم محشورون حفاةً عراةً غرلاً»، ثم قرأ: ﴿ **كما بدأنا أول خلق نعيده** ﴾، ﴿ **وعداً علينا إنّا كنّا فاعلين** ﴾، يعني الإعادة والبعث.

﴿ **ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر** ﴾، قال سعيد بن جبير ومجاهد: الزبور جميع الكتب المنزلة، والذكر

في بطون أمهاتهم عراة غرلاً كذلك نعيدهم يوم القيامة (ق) عن ابن عباس قال: قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال: «أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلاً كما بدأنا أول خلق نعيده» قوله غرلاً أي قلفا.

وقوله تعالى ﴿**وعداً علينا إنا كنا فاعلين**﴾ يعني الإعادة والبعث بعد الموت. قوله تعالى ﴿**ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر**﴾ قيل: الزبور جميع الكتب المنزلة على الأنبياء والذكر هو أم الكتاب الذي عنده ومن ذلك الكتاب تنسخ جميع الكتب ومعنى من بعد الذكر أي بعد ما كتب في اللوح المحفوظ. وقال ابن عباس: الزبور والتوراة والذكر الكتب المنزلة من بعد التوراة. وقيل الزبور: كتاب داود والذكر هو القرآن وبعد هنا بمعنى قبل ﴿**أن الأرض يرثها عبادي الصالحون**﴾ يعني أرض الجنة يرثها أمة محمد ﷺ والمعنى أن الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ في كتب الأنبياء: أن الجنة يرثها من كان صالحاً من عباده عاملاً بطاعته. وقال ابن عباس: أراد أن أراضي الكفار يفتحها المسلمون وهذا حكم من الله تعالى بإظهار الدين وإعزاز المسلمين، وقيل أراد الأرض المقدسة يرثها الصالحون بعد من كان فيها ﴿**إن في هذا**﴾ أي في القرآن ﴿**لبلاغاً**﴾ أي وصولاً إلى البغية يعني من اتبع القرآن وعمل بما فيه وصل إلى ما يرجو من الثواب، وقيل البلاغ الكفاية أي فيه كفاية لما فيه من الأخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة فهو زاد العباد إلى الجنة وهو قوله تعالى ﴿**لقوم عابدين**﴾ يعني مؤمنين لا يعبدون أحداً من دون الله تعالى وقيل هم أمة محمد ﷺ أهل الصلوات الخمس وشهر رمضان والحج. وقال ابن عباس: عالمين وقيل: هم العالمون العاملون. قوله عز وجل ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾ قيل: كان الناس أهل كفر وجاهلية وضلال وأهل الكتابين كانوا في حيرة من أمر دينهم لطول وانقطاع تواترهم ووقوع الاختلاف في كتبهم فبعث الله محمداً ﷺ حين لم يكن لطالب الحق سبيل إلى الفوز والثواب فدعاهم إلى الحق، وبين لهم سبيل الصواب وشرع لهم الأحكام وبين الحلال من الحرام قال الله تعالى ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾ قيل يعني المؤمنين خاصة فهو رحمة لهم. وقال ابن عباس: هو عام في حق من آمن ومن لم يؤمن، فمن آمن فهو رحمة له في الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن فهو رحمة له في الدنيا بتأخير

أمّ الكتاب الذي عنده، والمعنى من بعد ما كتب ذكره في اللوح المحفوظ. وقال ابن عباس والضحاك: الزبور التوراة والذكر الكتب المنزلة من بعد التوراة. وقال الشعبي: الزبور كتاب داود، والذكر التوراة. وقيل: الزبور زبور داود والذكر القرآن، وبعد بمعنى قبل، كقوله تعالى ﴿ وكان وراءهم ملك ﴾ [الكهف: ٧٩]: أي أمامهم، ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها ﴾ [النازعات: ٣٠] قبله، ﴿ **أنّ الأرض** ﴾، يعني أرض الجنة، ﴿ **يرثها عبادي الصالحون** ﴾، قال مجاهد: يعني أمة محمد ﷺ دليله قوله تعالى: ﴿ الحمد لله الذي صدقنا وَعْدَه وأورثنا الأرض ﴾ [الزمر: ٧٤]، وقال ابن عباس: أراد أن أراضي الكفّار يفتحها المسلمون وهذا حكم من الله باظهار الدين وإعزاز المسلمين. وقيل: أراد بالأرض الأرضَ المقدسة.

﴿ **إنّ في هذا** ﴾، أي في هذا القرآن، ﴿ **لبلاغاً** ﴾، وصولاً إلى البغية أي مَن اتّبع القرآن وعمل به وصل إلى ما يرجوه من الثواب. وقيل: بلاغاً أي كفاية. يقال في هذا الشيء بلاغ وبُلغة أي كفاية. والقرآن زادُ الجنةِ كبلاغ المسافر، ﴿ **لقوم عابدين** ﴾، أي المؤمنين الذين يعبدون الله، وقال ابن عباس: عالمين. وقال كعب الأحبار: هم أمة محمد ﷺ أهل الصلوات الخمس وصوم شهر رمضان.

﴿ **وما أرسلناك إلاّ رحمةً للعالمين** ﴾، قال ابن زيد: يعني رحمة للمؤمنين خاصة فهو رحمة لهم. وقال ابن عباس: هو عامّ في حق مَن آمن ومَن لم يؤمن فمَن آمن فهو رحمةٌ له في الدنيا والآخرة، ومَن لم يؤمن فهو رحمة له في الدنيا بتأخير العذاب عنهم ورفع المسخ والخسف والاستئصال عنهم، وقد قال النبي ﷺ: «إنّما أنا رحمةٌ مهداة».

العذاب عنه ورفع المسخ والخسف والاستئصال قال رسول الله ﷺ: «إنما أنا رحمة مهداة».

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾

﴿**قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون**﴾ يعني منقادون لما يوحى إلي من إخلاص الإلهية والتوحيد لله والمراد بهذا الاستفهام الأمر أي أسلموا ﴿**فإن تولوا**﴾ أي أعرضوا ولم يسلموا ﴿**فقل آذنتكم**﴾ أي أعلمتكم بالحرب وأن لا صلح بيننا ﴿**على سواء**﴾ أي إنذاراً بيناً نستوي في علمه لا أستبد أنا به دونكم لتتأهبوا لما يراد بكم والمعنى آذنتكم على وجه نستوي نحن وأنتم في العلم به وقيل معناه لتستووا في الإيمان به وأعلمتكم بما هو الواجب عليكم من التوحيد وغيره ﴿**وإن أدري**﴾ أي وما أعلم ﴿**أقريب أم بعيد ما توعدون**﴾ يعني يوم القيامة لا يعلمه إلا الله ﴿**إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون**﴾ أي لا يغيب عن علمه شيء منكم في علانيتكم وسركم ﴿**وإن أدري لعله فتنة لكم**﴾ أي لعل تأخير العذاب عنكم اختبار لكم ليرى كيف صنيعكم وهو أعلم بكم ﴿**ومتاع إلى حين**﴾ أي تتمتعون إلى انقضاء آجالكم ﴿**قال رب احكم**﴾ أي افصل بيني وبين من كذبني ﴿**بالحق**﴾ أي بالعذاب كأنه استعجل العذاب لقومه فعذبوا يوم بدر. وقيل: معناه افصل بيني وبينهم بما يظهر الحق من الجميع وهو أن تنصرني عليهم والله يحكم بالحق طلب ولم يطلب ومعنى الطلب ظهور الرغبة من الطالب ﴿**وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون**﴾ أي من الشرك والكفر والكذب والأباطيل، كأنه سبحانه وتعالى قال قل داعياً إلى رب احكم بالحق، وقل متوعداً للكفار وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

﴿ **قل إنما يوحى إليّ أنما إلٰهكم إلٰهٌ واحد فهل أنتم مسلمون** ﴾، أي أسلِمُوا.

﴿ **فإن تولّوا فقل آذنتُكم** ﴾، أي أعلمتكم بالحرب وأنْ لا صلح بيننا، ﴿ **على سواء** ﴾، يعني إنذاراً بيِّناً نستوي في علمه لاستبدأنا به دونكم لتتأهبوا لما يُراد بكم، يعني آذنتكم على وجه نستوي نحن وأنتم في العلم به، وقيل: لتستووا في الإيمان به، ﴿ **وإنْ أدري** ﴾، يعني وما أعلم. ﴿ **أقريبٌ أم بعيدٌ ما تُوعدون** ﴾، يعني القيامة.

﴿ **إنه يعلم الجهرَ من القول ويعلم ما تكتمون** ﴾.

﴿ **وإن أدري لعلّه** ﴾، يعني لعلّ تأخير العذاب عنكم كناية عن غير مذكور، ﴿ **فتنة** ﴾، اختبار، ﴿ **لكم** ﴾، ليرى كيف صنيعكم وهو أعلم، ﴿ **ومتاع إلى حين** ﴾، يعني تتمتعون إلى انقضاء آجالكم.

﴿ **قال ربِّ احكم بالحق** ﴾، قرأ حفص عن عاصم: ﴿ **قال ربِّ احكم** ﴾، وقرأ الآخرون: «قل ربِّ احكم» يعني افصل بيني وبين مَن كذّبني بالحق، فإن قيل كيف قال احكم بالحق؟ قيل: الحق ههنا بمعنى العذاب لأنه استعجل لقومه فعذبوا يومَ بدرٍ، نظيره قوله تعالى: ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق﴾ [الأعراف: ٨٩]، قال أهل المعاني: معناه ربِّ احكم بحكمك الحق فحذف الحكم وأُقيم الحق مقامه، والله تعالى يحكم بالحق طُلب منه أو لم يُطلب، ومعنى الطلب ظهور الرغبة من الطالب في حكمه من الحق، ﴿ **وربُّنا الرحمن المستعان على ما تصفون** ﴾، من الكذب والباطل.

﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾
قرآن كريم

تفسير سورة الحج

وهي مكية غير ست آيات من قوله عزّ وجلّ ﴿هذان خصمان﴾ إلى قوله ﴿وهدوا إلى صراط الحميد﴾ وهي ثمان وسبعون آية وألف ومائتان وإحدى وتسعون كلمة وخمسة آلاف وخمسة وسبعون حرفاً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾

قوله عزّ وجلّ ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم﴾ يعني احذروا عقابه واعملوا بطاعته ﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ الزلزلة شدة الحركة على الحال الهائلة ووصفها بالعظم ولا شيء أعظم مما عظمه الله تعالى. قيل: هي من أشراط الساعة قبل قيامها. وقال ابن عباس: زلزلة الساعة قيامها فتكون معها ﴿يوم ترونها﴾ أي الساعة وقيل الزلزلة ﴿تذهل﴾ قال ابن عباس تشغل وقيل تنسي ﴿كل مرضعة عما أرضعت﴾ أي كل امرأة معها ولد ترضعه ﴿وتضع كل ذات حمل حملها﴾ أي تسقط من هول ذلك اليوم كل حامل حملها قال الحسن: تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها بغير تمام. فعلى هذا القول تكون الزلزلة في الدنيا لأن بعد البعث لا يكون حبل ومن قال تكون الزلزلة في القيامة قال هذا على وجه تعظيم الأمر وتهويله على حقيقته كما تقول أصابنا أمر يشيب فيه الوليد تريد به شدته ﴿وترى الناس سكارى﴾ على التشبيه ﴿وما هم بسكارى﴾ على التحقيق ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله هو الذي أذهب عقولهم وأزال تمييزهم وقيل سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب ﴿ولكن عذاب الله شديد﴾ (ق) عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ «يقول الله سبحانه وتعالى يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك».

سُورَة الحَـجّ

مكية إلاّ ﴿ ومِنَ الناسِ مَنْ يعبدُ اللَّهَ ﴾ [١١ و١٢] الآيتين، أو إلاّ ﴿ هذان خصمان ﴾ [١٩ - ٢٥] الست آيات فمدنيات، وهي أربع أو خمس أو ست أو سبع أو ثمانٍ وسبعون آية.

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم ﴾، أي: احذروا عقابه بطاعته، ﴿ إنّ زلزلةَ الساعة شيءٌ عظيم ﴾، والزلزلة والزِّلْزال شدّة الحركة على الحالة الهائلة، واختلفوا في هذه الزلزلة فقال علقمة والشعبي: هي من أشراط الساعة. وقيل: قيام الساعة، وقال الحسن والسدي: هذه الزلزلة تكون يوم القيامة. وقال ابن عباس: زلزلة الساعة قيامها فتكون، معها.

زاد في رواية «والخير في يديك فينادى بصوت إن الله تعالى يأمرك أن تخرج من ذريتك بعث النار قال رب وما بعث النار قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فحينئذٍ تضع الحوامل، ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم» زاد في رواية قالوا يا رسول الله أينا ذلك الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود وفي رواية كالرقمة في ذراع الحمار وأني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة. فكبّرنا ثم قال: ثلث أهل الجنة فكبّرنا ثم قال شطر أهل الجنة فكبّرنا» لفظ البخاري. وفي حديث عمران بن حصين وغيره أن هاتين الآيتين نزلتا في غزوة بني المصطلق ليلاً فنادى رسول الله

﴿ **يوم ترونها** ﴾، يعني الساعة، وقيل: الزلزلة، ﴿ **تذهل** ﴾ قال ابن عباس: تشغل، وقيل: تنسي، يقال: ذهلت عن كذا إذا تركته واشتغلت بغيره عنه. ﴿ **كلُّ مرضعة عمّا أرضعتْ** ﴾، أي: كل امرأة معها ولد ترضعه، يقال: امرأة مرضع بلا هاء إذا أُريد به الصفة مثل حائض وحامل، فإذا أرادوا الفعل أدخلوا الهاء. ﴿ **وتضعُ كلُّ ذاتِ حملٍ حملَها** ﴾، أي: تسقط ولدها من هول ذلك اليوم. قال الحسن: تذهل المرضعة عن ولدها بغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها بغير تمام، وهذا يدلّ على أن هذه الزلزلة تكون في الدنيا لأن بعد البعث لا يكون حمل. ومَن قال: تكون في القيامة قال هذا على وجه تعظيم الأمر لا على حقيقته كقولهم أصابنا أمر يشيب منه الوليد يريد به شدّته. ﴿ **وترى الناسَ سُكَارَى وما همْ بسكارى** ﴾، قرأ حمزة والكسائي «سكرى وما هم بسكرى» بلا ألف وهما لغتان في جمع السكران مثل كسلى وكسالى، قال الحسن: معناه وترى الناس سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب. وقيل: معناه وترى الناس كأنهم سكارى، ﴿ **ولكنّ عذابَ اللّهِ شديدٌ** ﴾، أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو طاهر محمد بن محمش الزيادي أنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر أنا إبراهيم بن عبد الله بن عمر بن بكير الكوفي أنا وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عزّ وجلّ يوم القيامة يا آدم قم فابعث بَعْثَ النار من ولدك، قال فيقول: لبّيك وسعديك والخير كله في يديك، يا رب وما بعث النار؟ قال: فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، قال: فحينئذ يشيب المولود وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد، قال فيقولون: وأيّنا ذاك الواحد؟ فقال رسول الله ﷺ: «تسعمائة وتسعة وتسعون من يأجوج ومأجوج ومنكم واحد»، فقال الناس: الله أكبر، فقال رسول الله ﷺ: «والله إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة والله إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة والله لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة» قال: فكبّر الناس فقال رسول الله ﷺ: «ما أنتم يومئذ في الناس إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في الثور الأبيض»، ورُوِيَ عن عمران بن حصين وأبي سعيد الخدري وغيرهما أن هاتين الآيتين نزلتا في غزوة بني المصطلق ليلاً فنادى منادي رسول الله ﷺ فحثوا المطي حتى كانوا حول رسول الله ﷺ، فقرأها عليهم فلم يرَ أكثر باكياً من تلك الليلة، فلما أصبحوا لم يحطّوا السرج عن الدواب ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا قدوراً، والناس ما بين باكٍ أو جالس حزين متفكّر، فقال رسول الله ﷺ: «أتدرون أيّ يوم ذلك»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذاك يوم يقول الله لآدم قم فابعث بعث النار من ولدك، قال: فيقول آدم: من كل كم؟ فيقول الله عزّوجلّ: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحد إلى الجنة، قال: فكبر ذلك على المسلمين وبكوا» وقالوا: فمَن ينجوا إذاً يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ: «أبشروا وسدّدوا وقاربوا فإن معكم خليقتين ما كانتا في قوم إلاّ كثرتاه يأجوج ومأجوج، ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبّروا وحمدوا الله، ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، فكبّروا وحمدوا الله، ثم قال: إني لأرجو أن

صلّى الله عليه وسلم فحثوا المطى حتى كانوا حول رسول الله صلّى الله عليه وسلم فقرأ عليهم فلم ير أكثر باكياً من تلك الليلة، فلما أصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا والناس من بين باكٍ وجالس حزين متفكر. فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: أي يوم ذلك قالوا: الله ورسوله أعلم قال: ذلك يوم يقول الله لآدم قم فابعث من ذريتك بعث النار» وذكر نحو حديث أبي سعيد وزاد فيه ثم قال «يدخل من أمتي سبعون ألفاً الجنة بغير حساب فقال عمر: سبعون ألفاً؟ قال: نعم قال ومع كل واحد سبعون ألفاً». قوله عزّ وجلّ:

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾

﴿**ومن الناس من يجادل في الله بغير علم**﴾ نزلت في النضر بن الحارث كان كثير الجدل وكان يقول للملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين وكان ينكر البعث وإحياء من صار تراباً ﴿**ويتبع**﴾ يعني في جداله في الله بغير علم ﴿**كل شيطان مريد**﴾ يعني المتمرد المستمر في الشر وفيه وجهان أحدهما: أنهم شياطين الإنس وهم رؤساء الكفر الذين يدعون من دونهم إلى الكفر والثاني أنه إبليس وجنوده ﴿**كتب عليه**﴾ يعني قضى على الشيطان ﴿**أنه من تولاه**﴾ يعني اتبعه ﴿**فإنه**﴾ يعني الشيطان ﴿**يضله**﴾ يعني يضل من تولاه عن طريق الجنة ﴿**ويهديه إلى عذاب السعير**﴾ وفي الآية زجر عن اتباعه والمعنى كتب عليه أنه من يقبل منه فهو في ضلال ثم ألزم الحجة منكري البعث فقال ﴿**يا أيها الناس إن كنتم في ريب**﴾ يعني شك ﴿**من البعث**﴾ يعني بعد الموت ﴿**فإنّا خلقناكم من تراب**﴾ يعني أباكم آدم الذي هو أصل النسل ﴿**ثم من نطفة**﴾ يعني ذريته من المني وأصلها الماء القليل ﴿**ثم من علقة**﴾ يعني من دم جامد غليظ وذلك

تكونوا ثلثي أهل الجنة وإن أهل الجنة مائة وعشرون صفاً ثمانون منها أمتي، وما المسلمون في الكفار إلّا كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الدابة، بل كالشعرة السوداء في الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، ثم قال: ويدخل من أمتي سبعون ألفاً الجنة بغير حساب»، فقال عمر: سبعون ألفاً؟ قال: نعم ومع كل واحد سبعون ألفاً، فقام عكاشة بن محصن فقال: يا رسول الله أدعُ الله لي أن يجعلني منهم، فقال رسول الله ﷺ: «أنت منهم»، أو قال: «اللّهمّ اجعله منهم»، فقام رجل منهم فقال رسول ﷺ: «سبقك بها عكاشة».

قوله: ﴿ ومِنَ الناسِ مَنْ يجادلُ في الله بغير علم ﴾، نزلت في النضر بن الحارث، وكان كثير الجدل وكان يقول الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين، وكان ينكر البعث وإحياء مَن صار تراباً. قوله تعالى: ﴿ ويتبع ﴾ أي: يتبع في جداله في الله بغير علم، ﴿ كلَّ شيطان مريد ﴾، والمريد المتمرّد الغالي العاتي المستمر في الشر.

﴿ كُتِبَ عليه ﴾، قضى على الشيطان، ﴿ أنه مَن تولّاه ﴾، اتبعه ﴿ فأنه ﴾، يعني الشيطان، ﴿ يضلّه ﴾، أي: يضلّ مَن تولّاه، ﴿ ويهديه إلى عذاب السعير ﴾، ثم ألزم الحجة، منكري البعث.

فقال: ﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب ﴾، يعني: في شكٍّ، ﴿ من البعث فإنّا خلقناكم ﴾ يعني: أباكم آدم الذي هو أصل النسل، ﴿ من تراب ثم من نطفة ﴾ يعني: ذريته والنطفة هي المني وأصلها الماء القليل وجمعها

أنّ النطفة تصير دماً غليظاً ﴿ثم من مضغة﴾ وهي لحمة قليلة قدر ما يمضغ ﴿مخلقة وغير مخلقة﴾.

قال ابن عباس: أي تامة الخلق وغير تامة الخلق وقيل مصورة وغير مصورة وهو السقط. وقيل: المخلقة الولد الذي تأتي به المرأة لوقته وغير المخلقة السقط فكأنه سبحانه وتعالى قسم المضغة إلى قسمين أحدهما تام الصورة والحواس والتخطيط، والقسم الثاني هو الناقص عن هذه الأحوال كلها. وروي عن علقمة عن ابن مسعود موقوفاً عليه قال: إن النطفة إذا استقرت في الرحم أخذها ملك بكفه وقال: أي رب مخلقة أو غير مخلقة فإن قال غير مخلقة قذفها في الرحم دماً ولم تكن نسمة وإن قال مخلقة قال الملك: أي رب أذكر أم أنثى شقي أم سعيد ما الأجل ما العمل ما الرزق بأي أرض يموت؟ فيقال له: اذهب إلى أم الكتاب فإنك تجد فيها كل ذلك فيذهب فيجدها في أم الكتاب فينسخها فلا يزال معه حتى يأتي على آخر صفته والذي أخرجاه في الصحيحين عنه قال حدّثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكاً يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوَ الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل عمل أهل الجنة ما يكون بينه وبينها إلاّ ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه بعمل أهل الجنة فيدخلها» وقوله تعالى ﴿لنبين لكم﴾ أي كمال قدرتنا وحكمتنا في تصريف خلقكم ولتستدلوا بقدرته في ابتداء الخلق على قدرته على الإعادة وقيل: لنبين لكم ما تأتون وما تذرون وما تحتاجون إليه في العبادة وقيل لنبين لكم أنّ تغير المضغة إلى الخلقة هو اختيار الفاعل المختار فإنّ القادر على هذه الأشياء كيف يكون عاجزاً عن الإعادة ﴿ونقر في الأرحام ما نشاء﴾ أي لا تسقطه ولا تمجه ﴿إلى أجل مسمّى﴾ أي وقت خروجه من الرحم تام الخلق ﴿ثم نخرجكم﴾ أي وقت الولادة من بطون أمهاتكم ﴿طفلاً﴾ أي صغاراً وإنّما وحد الطفل لأن الغرض الدلالة على الجنس ﴿ثم لتبلغوا أشدكم﴾ أي كمال القوة والعقل والتمييز ﴿ومنكم من يتوفى﴾ أي قبل بلوغ الكبر ﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾ أي الهرم والخرف ﴿لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً﴾ أي يبلغ من السن ما يتغير به عقله فلا يعقل شيئاً فيصير كما كان في أول طفوليته ضعيف البنية

نطاف، ﴿ ثم من علقة ﴾، وهي الدم الغليظ المتجمد الطري، وجمعها علق وذلك أن النطفة تصير دماً غليظاً ثم تصير لحماً، ﴿ ثم من مضغة ﴾، وهي لحمة قليلة قدر ما يمضغ، ﴿ مخلقة وغير مخلقة ﴾، قال ابن عباس وقتادة: مخلّقة أي تامّة وغير مخلّقة غير تامّة أي ناقصة الخَلْق. وقال مجاهد: مصوّرة وغير مصوّرة يعني السقط. وقيل: المخلّقة الولد الذي تأتي به المرأة لوقته، وغير المخلقة السقط. رُوِيَ عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال: إن النطفة إذا استقرت في الرحم أخذها ملك بكفّه وقال: أيْ ربِّ مخلقة أو غير مخلّقة؟ فإن قال غير مخلّقة قذفها الرحم دماً ولم تكن نسمة، وإن قال مخلّقة قال الملك: أيْ ربِّ أذكر أم أُنثى أشقي أم سعيد؟ ما الأجل ما العمل ما الرزق وبأيّ أرض يموت؟ فيقال له: اذهب إلى أُمّ الكتاب فإنك تجد فيها كل ذلك فيذهب فيجدها في أُم الكتاب فينسخها فلا يزال معه حتى يأتي على آخر صفته. ﴿لنبيّن لكم﴾، كمال قدرتنا وحكمتنا في تصريف أطوار خلقكم ولتستدلّوا بقدرته في ابتداء الخلق على قدرته على الإعادة. وقيل: لنبيّن لكم ما تأتون وما تذرون وما تحتاجون إليه في العبادة، ﴿ ونُقـرُّ في الأرحام ما نشاء ﴾، فلا تمجّه ولا تسقطه، ﴿ إلى أجل مسمى ﴾، إلى وقت خروجها من الرحم تامة الخلق والمدة. ﴿ ثم نُخرجُكم ﴾ من بطون أُمهاتكم ﴿ طفلاً ﴾ أي: صغاراً ولم يقل أطفالاً لأن العرب تذكر الجمع باسم الواحد. وقيل: تشبيهاً بالمصدر مثل عدل وزور. ﴿ ثم لتبلغوا أشدَّكم ﴾ يعني: الكمال والقوة، ﴿ ومنكم مَن يتوفى ﴾، من قبل بلوغ الكبر، ﴿ ومنكم مَن يُردُّ إلى أرذل العمر ﴾ أي: الهرم والخرف، ﴿ لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً ﴾، أي: يبلغ من السنّ ما يتغيّر عقله فلا يعقل شيئاً ثم ذكر دليلاً آخر على البعث فقال:

سخيف العقل قليل الفهم ثم ذكر دليلاً آخر على البعث فقال تعالى ﴿وترى الأرض هامدة﴾ أي يابسة لا نبات فيها ﴿فإذا أنزلنا عليها الماء﴾ يعني المطر ﴿اهتزت﴾ أي تحركت بالنبات ﴿وربت﴾ أي ارتفعت وذلك أنّ الأرض ترتفع بالنبات ﴿وأنبتت﴾ هو مجاز لأن الله تعالى هو المنبت وأضيف إلى الأرض توسعاً ﴿من كل زوج بهيج﴾ أي من كل صنف حسن نضير والبهيج هو المبهج وهو الشيء المشرق الجميل ثم إنّ الله تعالى لمّا ذكر هذين الدليلين رتب عليهما ما هو المطلوب فقال تعالى:

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾

﴿ذلك﴾ أي ذكرنا ذلك لتعلموا ﴿بأن الله هو الحق﴾ وإن هذه الأشياء دالة على وجود الصانع ﴿وأنه يحيي الموتى﴾ أي إنه إذا لم يستبعد منه إيجاد هذه الأشياء فكيف يستبعد منه إعادة الأموات ﴿وأنه على كل شيء قدير﴾ أي من كان كذلك كان قادراً على جميع الممكنات ﴿وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأنّ الله يبعث من في القبور﴾ أي ما ذكر من الدلائل لتعلموا أن الساعة كائنة لا شك فيها وأنها حق وأنّ البعث بعد الموت حق قوله تعالى ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم﴾ يعني النضر بن الحرث ﴿ولا هدى﴾ أي ليس معه من الله بيان ولا رشاد ﴿ولا كتاب منير﴾ أي ولا كتاب من الله له نور ﴿ثاني عطفه﴾ أي لاوي جنبه وعنقه متبختراً لتكبّره معرضاً عما يدعى إليه من الحق تكبّراً ﴿ليضل عن سبيل الله﴾ أي عن دين الله ﴿له في الدنيا خزي﴾ أي عذاب وهوان وهو أنه قتل يوم بدر صبراً هو وعقبة بن

﴿ وترى الأرض هامدة ﴾، أي: يابسة لا نبات فيها، ﴿ فإذا أنزلنا عليها الماء ﴾، المطر، ﴿ اهتزّت ﴾، تحركت بالنبات وذلك أن الأرض ترتفع بالنبات فذلك تحركها، ﴿ وربت ﴾، أي: ارتفعت وزادت، وقرأ أبو جعفر: (وربأت) بالهمزة، وكذلك في ﴿ حمٓ السجدة ﴾ [فصّلت: ٣٩] أي: ارتفعت وعلت، قال المبرد: أراد اهتزور بإنباتها فحذف المضاف، والاهتزاز في النبات أظهر، يقال: اهتزّ النبات أي: طال وإنما أنّث لذكر الأرض. وقيل: فيه تقديم وتأخير معناه: ربت واهتزت، ﴿ وأنبتتْ من كل زوج بهيج ﴾، أي: صنف حسن يبهج به مَن رآه أي: يسرّ، فهذا دليل آخر على البعث.

﴿ ذلك بأن الله هو الحق ﴾، أي: لتعلموا أن الله هو الحق، ﴿ وأنه يُحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير ﴾.

﴿ وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث مَن في القبور ﴾.

﴿ ومن الناس مَن يجادل في الله بغير علم ﴾، يعني: النضر بن الحارث، ﴿ ولا هدى ﴾، بيان ﴿ ولا كتاب منير ﴾.

﴿ ثاني عِطْفِهِ ﴾، متبختراً لتكبّره. وقال مجاهد: وقتادة: لَاوِي عنقه. قال عطية وابن زيد: معرضاً عمّا يدّعي

أبي معيط ﴿ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك﴾ أي يقال له ذلك ﴿بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ أي فيعذبهم بغير ذنب والله تعالى على أي وجه أراد يتصرف في عبده فحكمه عدل وهو غير ظالم.

قوله عزّ وجلّ ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ الآية نزلت في قوم من الأعراب كانوا يقدمون المدينة مهاجرين من باديتهم فكان أحدهم إذا قدم المدينة فصح بها جسمه ونتجت بها فرسه مهراً وولدت امرأته غلاماً وكثر ماله، قال هذا دين حسن وقد أصبت فيه خيراً واطمأن له وإن صابه مرض وولدت امرأته جارية ولم تلد فرسه وقل ماله قال ما أصبت منذ دخلت في هذا الدين إلّا شراً فينقلب عن دينه وذلك هو الفتنة فأنزل الله تعالى ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ أي على شك وأصله من حرف الشيء وهو طرفه نحو حرف الجبل والحائط الذي غير مستقر فقيل للشاك في الدين أنه يعبد الله على حرف لأنه لم يدخل فيه على الثبات والتمكن. وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم على سكينة وطمأنينة ولو عبدوا الله بالشكر على السراء والصبر على الضراء لم يكونوا على حرف وقيل هو المنافق يعبد الله بلسانه دون قبل ﴿فإن أصابه خير﴾ أي صحة في جسمه وسعة في معيشته ﴿اطمأن به﴾ أي رضي به وسكن إليه ﴿وإن أصابته فتنة﴾ أي بلاء في جسمه وضيق في معيشته ﴿انقلب على وجهه﴾ أي ارتد ورجع على عقبه إلى الوجه الذي كان عليه من الكفر ﴿خسر الدنيا والآخرة﴾ أي خسر في الدنيا العز والكرامة ولا يبقى دمه وماله مصوناً.

إليه تكبّراً. وقال ابن جريج: يعرض عن الحق تكبّراً. والعطف: الجانب، وعطفا الرجل: جانباه عن يمين وشمال وهو الموضع الذي يعطفه الإنسان أي يلويه ويميله عند الإعراض عن الشيء، نظيره قوله تعالى: ﴿ وإذا تتلى عليه آياتنا ولّى مستكبراً ﴾ [لقمان: ٧]، وقال تعالى: ﴿ وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ﴾ [المنافقون: ٥]. ﴿ ليضلّ عن سبيل الله ﴾، عن دين الله، ﴿ له في الدنيا خزي ﴾، عذاب وهوان هو القتل ببدر، فقتل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي مُعيط يوم بدر صبراً. ﴿ ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ﴾.

ويقال له: ﴿ ذلك بما قدّمت يداك وأن الله ليس بظلّام للعبيد ﴾، فيعذّبهم بغير ذنب وهو جلّ ذكره على أيّ وجه شاء تصرف في عبده فحكمه عدل وهو غير ظالم.

قوله تعالى: ﴿ ومن الناس مَن يعبد الله على حرف ﴾، الآية نزلت في قوم من الأعراب كانوا يقدمون المدينة مهاجرين من باديتهم فكان أحدهم إذا قَدِمَ المدينة فصحّ بها جسمه ونتجت فرسه مهراً حسناً وولدت امرأته ذكراً وكثر ماله قال هذا دين حسن وقد أصبت فيه خيراً واطمأنّ إليه، وإن أصابه مرض وولدت امرأته جارية وأجهضت فرسه وقلّ مالهُ قال ما أصبت منذ دخلت في هذا الدين إلّا شرّاً فينقلب عن دينه، وذلك الفتنة فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ ومن الناس مَن يعبد الله على حرف ﴾، وأكثر المفسّرين قالوا على شك وأصله من حرف الشيء وهو طرفه نحو حرف الجبل والحائط الذي، كالقائم عليه غير مستقر، فقيل للشاكّ في الدين أنه يعبد الله على حرف لأنه على طرف وجانب من الدين لم يدخل فيه على الثبات والتمكّن كالقائم على حرف الجبل مضطرب غير مستقر يعرض أن يقع في أحد جانبي الطرف لضعف قيامه، ولو عبدوا الله في الشكر على السرّاء والصبر على الضرّاء لم يكونوا على حرف، قال الحسن: هو المنافق يعبده بلسانه دون قلبه. ﴿ فإن أصابه خير ﴾، صحة في جسمه وسعة في معيشته، ﴿ اطمأن به ﴾، أي: رضي به وسكن إليه، ﴿ وإن أصابته فتنة ﴾، بلاء في جسده وضيق في معيشته، ﴿ انقلب على وجهه ﴾، ارتدّ ورجع على عقبه إلى الوجه الذي كان عليه من الكفر، ﴿ خسر الدنيا ﴾، يعني هذا الشاكّ خسر الدنيا بفوات ما كان يؤمله، ﴿ والآخرة ﴾، بذهاب الدين والخلود في النار. قرأ يعقوب «خاسر» بالألف ﴿ والآخرة ﴾ جَرٌّ. ﴿ ذلك هو الخسران المبين ﴾، الظاهر.

وقيل خسر في الدنيا ما كان يؤمل والآخرة بذهاب الدين والخلود في النار ﴿**ذلك هو الخسران المبين**﴾ أي الظاهر ﴿**يدعو من دون الله ما لا يضره**﴾ إن عصاه ولم يعبده ﴿**وما لا ينفعه**﴾ أي إن أطاعه وعبده ﴿**ذلك هو الضلال البعيد**﴾ أي عن الحق والرشد ﴿**يدعو لمن ضره أقرب من نفعه**﴾ فإن قلت قد قال الله تعالى في الآية الأولى ﴿**يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه**﴾ وقال في هذه الآية ﴿**يدعو لمن ضره أقرب نفعه**﴾ وهذا تناقض فكيف الجمع بينهما. قلت إذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك أنّ الله تعالى قال في الآية الأولى: ما لا يضره أي لا يضره ترك عبادته وقوله لمن ضره أي ضر عبادته وقيل: إنها لا تضر ولا تنفع بأنفسها ولكن عبادتها سبب الضرر وذلك يكفي في إضافة الضرر إليها وقيل: إن الله تعالى سفه الكافر حيث عبد جماداً لا يضر ولا ينفع وهو يعتقد بجهله وضلاله أنه ينتفع به حين يستشفع وقيل الآية في الرؤساء وهم الذين كانوا يفزعون إليهم لأنه يصح منهم أن يضروا وينفعوا وحجة هذا القول أن الله تعالى بين في الآية الأولى أنّ الأوثان لا تضر ولا تنفع وهذه الآية تقتضي كون المذكور فيها ضاراً نافعاً، فلو كان المذكور في هذه الأوثان لزم التناقض فثبت أنهم الرؤساء بدليل قوله ﴿**لبئس المولى ولبئس العشير**﴾ أي الناصر والمصاحب المعاشر. قوله عزّ وجلّ:

إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا
يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ
يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ

﴿ **يدعوا من دون الله ما لا يضرّه** ﴾، إن عصاه ولم يعبده، ﴿ **وما لا ينفعه** ﴾، إن أطاعه وعبده، ﴿ **ذلك هو الضلال البعيد** ﴾، عن الحق والرشد.

﴿**يدعوا لَمَنْ ضرّه أقرب من نفعه**﴾، هذه الآية من مشكلات القرآن وفيها أسئلة أولها قالوا قد قال الله في الآية السابقة يدعو من دون الله ما لا يضرّه وما لا ينفعه وقال ههنا لَمن ضرّه أقرب من نفعه فكيف التوفيق بينهما قيل قوله في الآية الأولى ﴿ **يدعوا من دون الله ما لا يضرّه** ﴾ أي: لا يضرّه ترك عبادته، وهو قوله: ﴿ **لَمَنْ ضَرُّه أقربُ من نفعه** ﴾ أي: ضرّ عبادته، فإن قيل: قد قال لمن ضرّه أقرب من نفعه ولا نفع في عبادة الصنم أصلاً؟ قيل: هذا على عادة العرب فإنهم يقولون لِما لا يكون أصلاً بعيد، كقوله: ﴿ **ذلك رجع بعيد** ﴾ [قٓ: ٣] أي: لا رجع أصلاً فلما كان نفع الصنم بعيداً على معنى أنه لا نفع فيه أصلاً قيل ضرّه أقرب من نفعه لأنه كائن السؤال الثالث: قوله: ﴿ **لَمن ضرّه أقرب من نفعه** ﴾ ما وجه هذا الكلام؟ اختلفوا فيه فقال بعضهم: هي صلة مجازها يدعو مَن ضرّه أقرب، وكذلك قرأها ابن مسعود. وقيل: يدعو بمعنى يقول: والخبر محذوف أي يقول لَمن ضرّه أقرب من نفعه هو إلَه. وقيل: معناه يدعو لَمن ضرّه أقرب من نفعه يدعو، فحذف يدعو الأخيرة اجتزاء بالأولى ولو قلت يضرب لَمن خيره أكثر من شرّه يضرب، ثم يحذف الأخير جاز. وقيل: على التوحيد معناه يدعو والله لَمَنْ ضرّه أقرب من نفعه. وقيل: ﴿ **يدعو مَن** ﴾ صلة قوله ذلك هو الضلال البعيد يقول ذلك هو الضلال البعيد يدعو، ثم استأنف فقال لَمن ضرّه أقرب من نفعه فيكون ﴿ **من** ﴾ في محل رفع بالابتداء وخبره، ﴿ **لبئس المولى** ﴾: أي: الناصر. وقيل: المعبود. ﴿ **ولبئس العشير** ﴾، أي: الصاحب والمخالط يعني الوثن، والعرب تسمّي الزوج العشير لأجل المخالطة.

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾

﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار إنّ الله يفعل ما يريد﴾ أي بأوليائه وأهل طاعته من الكرامة وبأهل معصيته من الهوان قوله تعالى ﴿من كان يظن أن لن ينصره الله﴾ يعني نبيه محمداً صلّى الله عليه وسلّم ﴿في الدنيا﴾ أي بإعلاء كلمته وإظهار دينه ﴿والآخرة﴾ أي وفي الآخرة بإعلاء درجته والانتقام ممن كذبه ﴿فليمدد بسبب﴾ أي بحبل ﴿إلى السماء﴾ أي سقف البيت على قول الأكثرين والمعنى ليشدّد حبلاً في سقف بيته فليختنق به حتى يموت ﴿ثم ليقطع﴾ أي الحبل بعد الاختناق وقيل ليمد الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقاً ﴿فلينظر هل يذهبن كيده﴾ أي صنيعه وحيلته ﴿ما يغيظ﴾ أي فليختنق غيظاً. وليس هذا على سبيل الحتم لأنه لا يمكنه القطع والنظر بعد الاختناق ولكنه كما يقال للحاسد مت غيظاً وقيل المراد بالسماء السماء المعروفة والمعنى من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه ويكيد في أمره ليقطعه عنه فليقطعه من أصله فإنّ أصله في السماء فليطلب سبباً يصل به إلى السماء، ثم ليقطع عن النبي ﷺ الوحي الذي يأتيه فلينظر هل يتهيّأ له الوصول إلى السماء بحيلة وهل يقدر على إذهاب غيظه بهذا الفعل فإذا كان ذلك ممتنعاً كان غيظه عديم الفائدة.

وفي الآية زجر للكافر عن الغيظ فيما لا فائدة فيه. روي أنّ الآية نزلت في قوم من أسد وغطفان دعاهم النبيّ ﷺ

﴿ إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنّات تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل ما يريد ﴾.

﴿ مَن كان يظن أن لن ينصره الله ﴾، يعني نبيّه محمداً ﷺ ﴿ في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب ﴾، أي: بحبل ﴿ إلى السماء ﴾ أراد بالسماء سقف البيت على قول الأكثرين أي: ليشدد حبلاً في سقف بيته فليختنق به حتى يموت، ﴿ ثم ليقطع ﴾ الحبل بعد الاختناق. وقيل: ثم ليقطع أي ليمدّ الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقاً، ﴿ فلينظر هل يذهبنّ كيده ﴾، صنعه وحيلته، ﴿ ما يغيظ ﴾ ﴿ ما ﴾ بمعنى المصدر أي: هل يذهبنّ كيده وحيلته غيظه معناه فليختنق غيظاً حتى يموت، وليس هذا على سبيل الحتم أن يفعله لأنه لا يمكنه القطع والنظر بعد الاختناق والموت، ولكنه كما يقال للحاسد إن لم ترضَ هذا فاختنق ومت غيظاً. وقال ابن زيد المراد من السماء السماء المعروفة ومعنى الآية: مَن كان يظن أن لن ينصر الله نبيّه ويكيد في أمره ليقطعه عنه فليقطعه من أصله فإن أصله من السماء فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع. عن النبي ﷺ الوحي الذي يأتيه من السماء فلينظر هل يقدر على إذهاب غيظه بهذا الفعل. ورُوِيَ أن هذه الآية نزلت في قوم من أسد وغطفان دعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام وكان بينهم وبين اليهود حلف وقالوا لا يمكننا أن نسلم لأنّا نخاف أن لا ينصر محمد ولا يظهر أمره فينقطع الحلف بيننا وبين اليهود، فلا يميرونا ولا يؤوونا فنزلت هذه الآية. وقال مجاهد: النصر بمعنى الرزق والهاء راجعة إلى ﴿ من ﴾ ومعناه مَن كان يظن أن لن يرزقه الله في الدنيا والآخرة نزلت في مَن أساء الظن بالله وخاف ألّا يرزقه، فليمدد بسبب إلى السماء أي إلى سماء البيت فلينظر هل يذهبن فعله ذلك ما يغيظ، وهو خيفة أن لا يرزق وقد يأتي النصر بمعنى الرزق، تقول العرب: مَن ينصرني نصره الله أي مَن يعطني أعطاه الله، قال أبو عبيدة: تقول العرب أرض منصورة أي ممطورة، قرأ أبو عمرو ونافع وابن عامر ويعقوب ﴿ ثم ليقطع ﴾ ثم ليقضوا بكسر اللام، والباقون بجزمها لأن الكل لام الأمر، زاد ابن عامر ﴿وليوفوا وليطوفوا﴾ [الحج: ٢٩] بكسر اللام فيهما، ومَن كسر في ثم ليقطع وفي ثم ليقضوا فرق بأن ثم مفصول من الكلام والواو كأنها من نفس الكلمة كالفاء في قوله فلينظر.

إلى الإسلام وكان بينهم وبين اليهود محالفة فقالوا: لا يمكننا أن نسلم لأنّنا نخاف أن لا ينصر محمد ولا يظهر أمره فتنقطع المحالفة بيننا وبين اليهود فلا يميرونا ولا يؤوونا وقيل النصر معناه الرزق. ومعنى الآية من كان يظن أن لن يرزقه الله في الدنيا والآخرة فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فإنّ ذلك لا يجعله مرزوقاً تقول العرب من ينصرني نصره الله أي من يعطني أعطاه الله ﴿وكذلك أنزلناه﴾ يعني القرآن ﴿آيات بينات وأن الله يهدي من يريد إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا﴾ يعني عبدة الأوثان وقيل الأديان ستة واحد لله وهو الإسلام وخمسة للشياطين وهو ما عدا الإسلام ﴿إن الله يفصل بينهم﴾ أي يحكم بينهم ﴿يوم القيامة﴾ وقيل يفصل بينهم في الأحوال والأماكن جميعاً فلا يجازيهم جزاء واحداً بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد ﴿إنّ الله على كل شيء شهيد﴾ أي إنه عالم بما يستحقه كل واحد منهم فلا يجزي في ذلك الفصل ظلم ولا حيف وقد تقدّم بسط الكلام على معنى هذه الآية في تفسير سورة البقرة. قوله عزّ وجلّ ﴿ألم ترَ﴾ أي لم تعلم وقيل ألم تر بقلبك ﴿أنّ الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب﴾ قيل سجود هذه الأشياء تحول ظلالهما وقيل ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع ساجداً حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى مطلعه وقيل معنى سجودها الطاعة فإنه ما من جماد إلاّ وهو مطيع لله تعالى خاشع ومسبح له كما وصفهم بالخشية والتسبيح: وهذا مذهب أهل السنة وهو أنّ هذه الأجسام لما كانت قابلة لجميع الأعراض التي خلقها الله تعالى فيها من غير امتناع البتة أشبهت بمطاوعتها أفعال المكلف وهو السجود الذي كل خضوع دونه.

﴿ وكذلك ﴾ أي مثل ذلك يعني ما تقدم من آيات القرآن، ﴿ أنزلناه ﴾، يعني: القرآن ﴿ آيات بيّنات وأن الله يهدي مَن يُريد ﴾.

﴿ إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ﴾، يعني: عَبَدَة الأوثان، ﴿ إن الله يفصِلُ بينهم ﴾، يحكم بينهم، ﴿ يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد ﴾.

﴿ ألم ﴾، ألم تعلم، وقيل: ألم ﴿ ترَ ﴾ بقلبك ﴿ أن الله يسجد له مَنْ في السمٰواتِ ومَنْ في الأرضِ والشمسُ والقمرُ والنجومُ والجبالُ والشجرُ والدوابُّ ﴾، قال مجاهد: سجودها تحوّل ظلالها. وقال أبو العالية: ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلاّ يقع ساجداً حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له، فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى مطلعه. وقيل: سجودها بمعنى الطاعة فإنه ما من جماد إلاّ وهو مطيع لله خاشع لله مسبّح له كما أخبرنا الله تعالى عن السمٰوات والأرض ﴿ قالتا أتينا طائعين ﴾ [فصّلت: ١١]، وقال في وصف الحجارة: ﴿ وإنّ منها لَما يَهبِطُ من خشية الله ﴾ [البقرة: ٧٤]، وقال تعالى: ﴿ وإنْ من شيء إلاّ يسبّح بحمده ولكنْ لا تفقهون تسبيحهم ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وهذا مذهب حسن موافق لأهل السُّنّة. قوله: ﴿ وكثيرٌ من الناس ﴾، أي: من هذه الأشياء كلها تسبّح الله عزّ وجلّ وكثير من الناس يعني المسلمين. ﴿ وكثير حقّ عليه العذاب ﴾، وهم الكفّار لكفرهم وتركهم السجود وهم مع كفرهم تسجد ظلالهم لله عزّ وجلّ والواو في قوله: ﴿ وكثير حق عليه العذاب ﴾، واو الاستئناف. ﴿ ومَنْ يُهنِ اللّهُ ﴾ أي: يهنه الله ﴿ فما له من مكرم ﴾ أي: مَن يذلّه الله فلا يكرمه أحد، ﴿ إن الله يفعل ما يشاء ﴾، أي: يكرم ويهين فالسعادة والشقاوة بإرادته ومشيئته. قوله تعالى: ﴿ هذان خصمان اختصموا في ربهم ﴾ أي: جادلوا في دينه وأمره والخصم اسم شبيه بالمصدر، فلذلك قال: ﴿اختصموا﴾ بلفظ الجمع كقوله: ﴿وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوّروا المحراب﴾ [صٓ: ٢١]، واختلفوا في هذين الخصمين. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا يعقوب بن إبراهيم أنا هشيم أنا أبو هشام عن أبي مجلز عن قيس بن عبادة قال: سمعت أبا ذرّ يقسم قسماً أن هذه الآية: ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾ نزلت في

فإن قلت هذا التأويل يبطله قوله ﴿**وكثير من الناس**﴾ فإن السجود بالمعنى الذي ذكر عام في الناس كلهم فإسناده إلى كثير من الناس يكون تخصيصاً من غير فائدة. قلت المعنى الذي ذكرته وإن كان عاماً في حق الكل إلّا أن بعضهم تمرد وتكبّر وترك السجود في الظاهر فهذا وإن كان ساجداً بذاته لكنه متمرد بظاهره وأمّا المؤمن فإنه ساجد بذاته وبظاهره أيضاً فلأجل هذا الفرق حصل التخصيص بالذكر وقيل معنى الآية ﴿**ولله يسجد من في السموات ومن في الأرض**﴾ ويسجد له كثير من الناس فيكون السجود الأول: بمعنى الانقياد، والثاني: بمعنى الطاعة والعبادة. فإن قلت قوله من في السموات ومن في الأرض لفظ عموم فيدخل فيه الناس فلم قال وكثير من الناس. قلت لو اقتصر على ما تقدّم لأوهم أن كل الناس يسجدون طوعاً دون بعض وهم الذين قال فيهم ﴿**وكثير حق عليه العذاب**﴾ وهم الكفار أي حق عليهم العذاب بكفرهم وتركهم السجود ومع كفرهم وامتناعهم من السجود تسجد ظلالهم لله عزّ وجلّ ﴿**ومن يهن الله فما له من مكرم**﴾ أي من يذله الله فلا يكرمه أحد ﴿**إنّ الله يفعل ما يشاء**﴾ أي يكرم الله بالسعادة من يشاء ويهين بالشقاوة من يشاء وقيل هو الذي يصح منه الإكرام والهوان يوم القيامة بالثواب والعقاب.

(فـصـل):

هذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيسن للقارىء والمستمع أن يسجد عند تلاوتها أو سماع تلاوتها. قوله عزّ وجلّ:

الذين برزوا يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة، أخبرنا عبد الواحد أنا أحمد أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا حجّاج بن منهال ثنا المعتمر بن سليمان قال: سمعتُ أبي قال أنا أبو مجلز عن قيس بن عبادة عن علي بن أبي طالب قال أنا أول مَن يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة، قال قيس وفيهم نزلت: ﴿ **هذان خصمان اختصموا في ربهم** ﴾ قال: هم الذين بارزوا يوم بدر علي وحمزة وعبيدة وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة قال محمد بن إسحاق خرج يعني يوم بدر عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ودعا إلى المبارزة فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة عوف ومعوذ ابنا الحارث وأُمهما عفراء، وعبد الله بن رواحة فقالوا: مَن أنتم؟ فقالوا: رهط من الأنصار، فقالوا حين انتسبوا: أكفّاء كرام، ثم نادى مناديهم: يا محمد أخرج إلينا أكفّاءنا من قومنا، فقال رسول الله ﷺ: قم يا عبيدة بن الحارث ويا حمزة بن عبد المطلب ويا علي بن أبي طالب، فلما دنوا قالوا مَن أنتم؟ فذكروا فقالوا: نعم أكفّاء كرام فبارز عبيدة وكان أسنّ القوم عتبة، وبارز حمزة شيبة، وبارز علي الوليد بن عتبة، فأما حمزة فلم يمهل أن قتل شيبة، وعلي الوليد بن عتبة، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتان كلاهما أثبت صاحبه، فكرّ حمزة وعلي بأسيافهما على عتبة فذفقا عليه واحتملا عبيدة إلى أصحابه، وقد قطعت رجله ومخّها يسيل، فلما أتوا بعبيدة إلى رسول الله ﷺ قال: ألستُ شهيداً يا رسول الله؟ قال: «بلى»، فقال عبيدة: لو كان أبو طالب حيّاً لعلم أنا أحقّ بما قال منه حيث يقول:

ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وقال ابن عباس وقتادة: نزلت الآية في المسلمين وأهل الكتاب فقال أهل الكتاب: نحن أولى بالله منكم وأقدم منكم كتاباً، ونبيّنا قبل نبيكم، وقال المؤمنون: نحن أحقّ بالله آمنّا بنبيّنا محمد ﷺ ونبيكم وبما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون نبيّنا وكتابنا وكفرتم به حسداً، فهذه خصومتهم في ربّهم. وقال مجاهد وعطاء بن أبي رباح والكلبي: هم المؤمنون والكافرون كلهم من أيّ ملّة كانوا. وقال بعضهم: جعل الأديان ستّة في قوله تعالى: ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا ﴾ [الحج: ١٧] الآية فجعل خمسة للنار وواحداً للجنة.

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾

﴿**هذان خصمان اختصموا في ربهم**﴾ أي جادلوا في دينه وأمره واختلفوا في هذين الخصمين فروي عن قيس بن عبادة قال: سمعت أبا ذر يقسم قسماً أن هذه الآية ﴿**هذا خصمان اختصموا في ربهم**﴾ نزلت في الذين برزوا يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة أخرجاه في الصحيحين (خ) عن علي بن أبي طالب قال: أنا أول من يجثو للخصومة بين يدي الرحمن يوم القيامة. قال قيس بن عبادة فيهم نزلت «هذان خصمان اختصموا في ربهم» قال هم الذين تبارزوا يوم بدر علي وحمزة وعبيدة بن الحارث وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة. قال محمد بن إسحاق: خرج يوم بدر عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة، ودعوا إلى المبارزة فخرج إليهم فتة من الأنصار ثلاثة عوف ومعوذ ابنا الحارث وأمهما عفراء وعبد الله بن رواحة فقالوا رهط من الأنصار فقالوا حين انتسبوا أكفاء كرام ثم نادى مناديهم يا محمد اخرج إلينا أكفاءنا من قومنا فقال رسول الله ﷺ «قم يا عبيدة بن الحارث ويا حمزة بن عبد المطلب ويا علي بن أبي طالب فلما دنوا منهم قالوا: من أنتم فذكروا أنفسهم قالوا نعم أكفاء كرام فبارز عبيدة وكان أسن القوم عتبة وبارز حمزة شيبة وبارز علي الوليد ابن عتبة فأما حمزة فلم يمهل أن قتل شيبة وعلي الوليد واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتان كلاهما أثبت صاحبه فكرّ حمزة وعلي بأسيافهما على عتبة فذففا واحتملا عبيدة إلى أصحابه وقد قطعت رجله ومخها يسيل. فلما أتوا به إلى رسول الله ﷺ قال: ألست شهيداً يا رسول الله قال: بلى فقال عبيدة: لو كان أبو طالب حياً لعلم أنا أحق بما قال منه حيث يقول:

ونسلمه حتى نصرع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وقال ابن عباس: نزلت الآية في المسلمين وأهل الكتاب قال أهل الكتاب نحن أولى بالله وأقدم منكم كتاباً ونبينا قبل نبيكم وقال المسلمون نحن أحق بالله آمنا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونبيكم وبما أنزل الله من كتاب وأنتم

فقوله تعالى: ﴿ هذان خصمان اختصموا في ربهم ﴾ ينصرف إليهم فالمؤمنون خصم وسائر الخمسة خصم. وقال عكرمة: هما الجنة والنار اختصمتا كما أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي أنا أبو طاهر الزيادي أنا أبو بكر القطان أنا أحمد بن يوسف السلمي أنا عبد الرزاق أنا معمر عن همّام بن منبّه قال حدّثنا أبو هريرة: قال: قال رسول الله ﷺ: «تحاجّتِ الجنّةُ والنارُ» فقالت النار: أُوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالتِ الجنةُ فما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناسِ وسقطهم وغِرّاتهم؟ قال الله عزّ وجلّ للجنة: إنما أنت رحمتي أرحم بكِ مَن أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي أُعذّب بك مَن أشاء من عبادي، ولكل واحدة منكما ملؤها فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع الله فيها رجله فتقول قطْ قطْ، فهنالك تمتلىء ويزوي بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله من خلقه أحداً، وأما الجنة فإن الله عزّ وجلّ ينشىء لها خلقاً ثم بيّن الله عزّ وجلّ ما للخصمين فقال: ﴿ فالذين كفروا قُطّعتْ لهم ثيابٌ من نار ﴾ قال سعيد بن جبير: ثياب من نحاس مُذاب وليس من الآنية شيء إذا حمي أشدّ حرّاً منه وسُمّي باسم الثياب لأنها تحيط بهم كإحاطة الثياب. وقال بعضهم: يلبس أهل النار مقطعات من النار، ﴿ يُصبّ من فوق رؤوسهم

تعرفون نبينا وكتابنا وكفرتم حسداً فهذه خصومتهم في ربهم وقيل هم المؤمنون والكافرون من أي ملة كانوا فالمؤمنون خصم والكفار خصم وقيل الخصمان الجنة والنار (ق) عن أبي هريرة قال قال النبيّ ﷺ «تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين. وقالت الجنة: فما لي لا يدخلني إلّا ضعفاء الناس وسقطهم» زاد في رواية «وغزاتهم فقال الله عزّ وجلّ للجنة أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار إنّما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منكما ملؤها فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله فتقول قط قط فهنالك تمتلىء ويزوي بعضها إلى بعض ولا يظلم ربك من خلقه أحداً.

وأما الجنة فإنّ الله تعالى ينشىء لها خلقاً» وللبخاري «اختصمت الجنة والنار» وهذا القول ضعيف والأقوال الأولى أولى بالصحة لأن حمل الكلام على ظاهره أولى وقوله هذان كالإشارة إلى سبب تقدم ذكره وهو أهل الأديان الستة وأيضاً فإنه ذكر صنفين أهل طاعته وأهل معصيته وذكر مآل الخصمين فقال تعالى: ﴿**فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار**﴾ قال سعيد بن جبير: ثياب من نحاس مذاب وليس من الآنية شيء إذا حمي أشد حراً منه وسمي باسم الثياب. لأنها تحيط بهم كإحاطة الثياب وقيل يلبس أهل النار مقطعات من نار ﴿**يصب من فوق رؤوسهم الحميم**﴾ أي الماء الحار الذي انتهت حرارته ﴿**يصهر به**﴾ أي يذاب بالحميم الذي يصب من فوق رؤوسهم ﴿**ما في بطونهم**﴾ من الشحوم والأحشاء ﴿**والجلود**﴾ عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال «إنّ الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ حتى يخلص إلى جوف أحدهم، فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان» أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن غريب صحيح ﴿**ولهم مقامع من حديد**﴾ يعني سياط من حديد وهي الجزر من الحديد. وفي الخبر «لو وقع مقمع من حديد في الأرض ثم اجتمع عليه الثقلان ما أقلوه من الأرض» ﴿**كلما أرادوا أن يخرجوا منها**

الحميم ﴾، الحميم: هو الماء الحارّ الذي انتهت حرارته.

﴿ **يُصهر به** ﴾، أي: يُذاب بالحميم، ﴿ **ما في بطونهم** ﴾، يقال: صهرت الإلية والشحم بالنار إذا أذبتهما أصهرها صهراً معناه يُذاب بالحميم الذي يصبّ من فوق رؤوسهم حتى يسقط ما في بطونهم من الشحوم والأحشاء، ﴿ **والجلود** ﴾ أي: يشوي حرّها جلودهم فتتساقط. أخبرنا أبو بكر بن محمد بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن سعيد بن زيد عن أبي السمح عن أبي جحيرة واسمه عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن الحميم ليصبّ على رؤوسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يُعاد كما كان».

قوله تعالى: ﴿ **ولهم مقامع من حديد** ﴾، سِياط من حديد واحدتها مقمعة، قال الليث: المقمعة شبه الجزر من الحديد، من قولهم: قمعت رأسه إذا ضربته ضرباً عنيفاً وفي الخبر: «لو وضع مقمع من حديد في الأرض ثم اجتمع عليه الثقلان ما أقلوه من الأرض».

﴿ **كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غمٍّ** ﴾ يعني: كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغمّ والكرب الذي يأخذ بأنفاسهم ﴿ **أعيدوا فيها** ﴾، يعني: ردّوا إليها بالمقامع. وفي التفسير: إن جهنم لتجيش بهم فتلقيهم إلى أعلاها فيريدون الخروج منها فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد فيهوون فيها سبعين خريفاً. ﴿ **وذُوقوا عذابَ الحريق** ﴾، أي: تقول لهم الملائكة ذوقوا عذاب الحريق، أي: المحرق مثل الأليم والوجيع، قال الزجّاج: هؤلاء أحد الخصمين. وقال في الآخر وهم المؤمنون.

﴿ **إن الله يُدخِل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنّات تجري من تحتها الأنهار يُحلّون فيها من أساور من**

من غم﴾ يعني كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم والكرب الذي يأخذ بأنفاسهم ﴿أعيدوا فيها﴾ يعني ردوا إليها بالمقامع.

قيل إن جهنم لتجيش بهم فتلقيهم إلى أعلاها فيريدون الخروج منها فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد فيهوون فيها سبعين خريفاً ﴿وذوقوا عذاب الحريق﴾ يعني تقول لهم الملائكة ذلك والحريق بمعنى المحرق فهذا وصف حال أحد الخصمين وهم الكفار وقال تعالى في وصف الخصم الآخر وهم المؤمنون ﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير﴾ وهو الإبريسم الذي حرم لبسه على الرجال في الدنيا. عن معاوية هو جد بهز بن حكيم عن النبيّ ﷺ قال: «إن في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الأنهار بعد». أخرجه الترمذي وقال: حديث صحيح (ق) عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن» عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ «إن عليهم التيجان أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب» أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (ق) عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة». قوله تعالى ﴿وهدوا﴾ من الهداية يعني أرشدوا ﴿إلى الطيب من القول﴾ قال ابن عباس: هو شهادة أن لا إله إلاّ الله. وقيل هو لا إله إلاّ الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله وقيل إلى القرآن وقيل هو قول أهل الجنة «والحمد لله الذي صدقنا وعده» ﴿وهدوا إلى صراط الحميد﴾ يعني إلى دين الله وهو الإسلام والحميد هو الله المحمود في أفعاله. قوله عزّ وجلّ:

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ

ذهب﴾، جمع سِوار، ﴿ولؤلؤاً﴾، قرأ أهل المدينة وعاصم ﴿ولؤلؤاً﴾ ههنا وفي سورة الملائكة [فاطر: ٣٣] بالنصب وافق يعقوب ههنا على معنى ويحلّون لؤلؤاً ولأنها مكتوبة في المصاحف بالألف وقرأ الآخرون بالخفض عطفاً على قوله من ذهب وترك الهمزة الأولى في كل القرآن أبو جعفر وأبو بكر، واختلفوا في وجه إثبات الألف فيه فقال أبو عمرو: أثبتوها فيها كما أثبتوا في: قالوا وكانوا، وقال الكسائي: أثبتوها للهمزة لأن الهمزة حرف من الحروف ﴿ ولباسهم فيها حرير ﴾ أي: أنهم يلبسون في الجنة ثياب الإبريسم وهو الذي حُرِّم لبسه في الدنيا على الرجال. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد أنا شعبة عن قتادة عن داود السراج عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «مَن لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه الله إيّاه في الآخرة، فإن دخل الجنة لبسه أهل الجنة ولم يلبسه هو».

قوله تعالى: ﴿ وهُدوا إلى الطيب من القول ﴾، قال ابن عباس: هو شهادة أن لا إله إلاّ الله. وقال ابن زيد: لا إله إلاّ الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله. وقال السدي: أي القرآن. وقيل: هو قول أهل الجنة الحمد لله الذي صدقنا وعده. ﴿ وهُدوا إلى صراط الحميد ﴾، إلى دين الله وهو الإسلام والحميد هو الله المحمود في أفعاله.

ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴿٢٨﴾

﴿إنّ الذين كفروا﴾ يعني بما جاء به محمد ﷺ ﴿ويصدّون عن سبيل الله﴾ أي بالمنع من الهجرة والجهاد والإسلام ﴿والمسجد الحرام﴾ يعني ويصدون عن المسجد الحرام ﴿الذي جعلناه للناس﴾ أي قبلة لصلاتهم ومنسكاً ومتعبداً ﴿سواء العاكف﴾ أي المقيم ﴿فيه﴾ قال بعضهم ويدخل فيه الغريب إذا جاور وأقام به ولزم التعبد فيه ﴿والباد﴾ أي الطارىء المنتاب إليه من غيره واختلفوا في معنى الآية فقيل سواء العاكف فيه والبادي في تعظيم حرامته وقضاء النسك به. وإليه ذهب مجاهد والحسن وجماعة قالوا: والمراد منه نفس المسجد الحرام ومعنى التسوية هو التسوية في تعظيم الكعبة وفي فضل الصلاة فيه والطواف به. وعن جبير بن مطعم أنّ النبيّ ﷺ قال: «يا بني عبد مناف لا تمنعوا أحداً طاف بهذا البيت وصلّى أية ساعة شاء من ليل أو نهار» أخرجه الترمذي وأبو داود والنسائي. وقيل: المراد منه جميع الحرم ومعنى التسوية أنّ المقيم والبادي سواء في النزول به ليس أحدهما أحق بالمنزل من الآخر غير أنه لا يزعج أحد أحداً إذا كان قد سبق إلى منزله وقول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد قالوا: هما سواء في البيوت والمنازل قال عبد الرحمن بن سابط: كان الحجاج إذا قدموا مكة لم يكن أحد من أهل مكة بأحق منهم وكان عمر بن الخطاب ينهى الناس أن يغلقوا أبوابهم في الموسم فعلى هذا القول لا يجوز بيع دور مكة وإجارتها قالوا: إنّ أرض مكة لا تملك لأنها لو ملكت لم يستو العاكف فيها والبادي فلما استويا ثبت أن سبيلها سبيل المساجد وإليه ذهب أبو حنيفة. قالوا: والمراد بالمسجد الحرام جميع الحرم وعلى القول الأول الأقرب إلى الصواب أنه يجوز بيع دور

قوله تعالى: ﴿ إن الذين كفروا ويصدّون عن سبيل ﴾، عطف المستقبل عن الماضي لأن المراد من لفظ المستقبل الماضي كما قال تعالى في موضع آخر: ﴿ الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله ﴾ [محمد: ١، النحل: ٨٨]، وقيل: معناه إن الذين كفروا فيما تقدّم ويصدّون عن سبيل الله في الحال، أي: وهم يصدّون. ﴿ والمسجدِ الحرامِ ﴾، أي: ويصدّون عن المسجد الحرام. ﴿ الذي جعلناه للناس ﴾، قبلة لصلاتهم ومنسكاً ومتعبداً كما قال: ﴿ وُضِعَ للناس ﴾ [آل عمران: ٩٦]. ﴿ سواءً ﴾، قرأ حفص عن عاصم ويعقوب: ﴿ سواء ﴾ نصباً بإيقاع الجعل عليه يتعدّى إلى مفعولين. وقيل: معناه مستوياً فيه، ﴿ العاكف فيه والباد ﴾، وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء وما بعده خبر، وتمّ الكلام عند قوله: ﴿ للناس ﴾ وأراد بالعاكف المقيم فيه، وبالبادي الطارىء المنتاب إليه من غيره، واختلفوا في معنى الآية فقال قوم: سواء العاكف فيه والباد يعني في تعظيم حُرمته وقضاء النسك فيه، وإليه ذهب مجاهد والحسن وجماعة، وقالوا: المراد منه نفس المسجد الحرام ومعنى التسوية هو التسوية في تعظيم الكعبة في فضل الصلاة في المسجد الحرام والطواف بالبيت، وقال الآخرون المراد منه جميع الحرم، ومعنى التسوية أن المقيم والبادي سواء في النزول به ليس أحدهما أحقّ بالمنزل يكون فيه من الآخر غير أنه لا يزعج فيه أحد إذا كان قد سبق إلى منزل، وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد، قالوا: هما سواء في البيوت والمنازل. وقال عبد الرحمن بن سابط: كان الحجّاج إذا قَدِموا مكة لم يكن أحد من أهل مكة بأحقّ بمنزله منهم. وكان عمر بن الخطاب ينهى الناس أن يغلقوا أبوابهم في الموسم وعلى هذا القول لا يجوز بيع دور مكة وإجارتها، وعلى القول الأول وهو الأقرب إلى الصواب يجوز لأن الله تعالى قال: ﴿ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق ﴾ [الحج: ٤٠]، وقال النبي ﷺ يوم فتح مكة: «مَن دخل دار أبي سفيان فهو آمن»، فنسب الدار إليه نسب ملك، واشترى عمر داراً للسجن بمكة بأربعة آلاف درهم، فدلّ على جواز بيعها وهذا قول طاووس وعمر بن دينار وبه قال الشافعي. قوله عزّ وجلّ: ﴿ ومَن يُرِدْ فيه بإلحادٍ بظلم ﴾ أي: في المسجد الحرام وهو الميل إلى الظلم، والباء في قوله: ﴿ بإلحاد ﴾ زائدة كقوله: ﴿ تنبت بالدهن ﴾ [المؤمنون: ٢٠]، ومعناه مَن يرد فيه إلحاداً بظلم، قال

مكة وإجارتها وهو قول طاوس وعمرو بن دينار. وإليه ذهب الشافعي احتج الشافعي في ذلك قوله تعالى: «الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق». أضاف الديار إلى مالكيها وقال النبيّ ﷺ يوم فتح مكة: «من أغلق بابه فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن» فنسب الديار إليهم نسبة ملك واشترى عمر بن الخطاب دار السجن بأربعة آلاف درهم فدلت هذه النصوص على جواز بيعها وقوله تعالى ﴿ومن يرد فيه﴾ أي في المسجد الحرام ﴿بإلحاد بظلم﴾ أي يميل إلى الظلم قيل الإلحاد فيه هو الشرك وعبادة غير الله. وقيل: هو كل شيء كان منهياً عنه من قول أو فعل حتى شتم الخادم. وقيل هو دخول الحرم بغير إحرام أو ارتكاب شيء من محظورات الحرم من قتل صيد وقطع شجر. وقال ابن عباس: هو أن تقتل فيه من لا يقتلك أو تظلم فيه من لا يظلمك. وقال مجاهد: تضاعف السيئات بمكة كما تضاعف الحسنات وقيل: احتكار الطعام بمكة بدليل ما روى يعلى بن أمية أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ احتكار الطعام في الحرم إلحاد فيه». أخرجه أبو داود وقال عبد الله بن مسعود في قوله ومن يرد فيه بإلحاد بظلم ﴿نذقه من عذاب أليم﴾ قال لو أنّ رجلاً همّ بخطيئة لم تكتب عليه ما لم يعملها ولو أنّ رجلاً همّ بقتل رجل بمكة وهو بعدن أبين أو ببلد آخر أذاقه الله من عذاب أليم. قال السدي: إلاّ أن يتوب. وروي عن عبدالله بن عمرو أنّه كان له فسطاطان أحدهما في الحل والآخر في الحرم فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل فسئل عن ذلك فقال كنا نحدث أن من الإلحاد فيه أن يقول الرجل كلا والله وبلى والله. قوله تعالى ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت﴾ قال ابن عباس: جعلنا وقيل وطأنا وقيل بينا وإنما ذكر مكان البيت لأن الكعبة رفعت إلى السماء زمن الطوفان فلما أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام ببناء البيت لم يدر أي جهة يبني فبعث الله تعالى ريحاً خجوجاً[(١)] فكنست له ما حول البيت عن الأساس وقيل بعث الله سحابة بقدر البيت

الأعشى: ضمنت برزق عيالنا أرماحنا، أي: رزق عيالنا. وأنكر المبرّد أن تكون الباء زائدة وقال: معنى الآية مَن تكن إرادته فيه بأن يلحد بظلم. واختلفوا في هذا الإلحاد فقال مجاهد وقتادة: هو الشرك وهو عبادة غير الله. وقال قوم: هو كل شيء كان منهياً عنه من قول أو فعل حتى شتم الخادم. وقال عطاء: هو دخول الحرم غير محرم أو ارتكاب شيء من محظورات الحرم من قتل صيد أو قطع شجر. وقال ابن عباس: هو أن تقتل فيه مَن لا يقتلك أو تظلم مَن لا يظلمك، وهذا معنى قول الضحاك. وعن مجاهد أنه قال: تضاعف السيئات بمكة كما تضاعف الحسنات. وقال حبيب بن أبي ثابت: وهو احتكار الطعام بمكة. وقال عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدْ فيه بإلحاد بظلمٍ نُذِقْه من عذاب أليم ﴾، قال: لو أن رجلاً همّ بخطيئة لم تُكتَب عليه ما لم يعملها، ولو أن رجلاً همّ بقتل رجل بمكة وهو بعدن أبين أو ببلد آخر أذاقه الله من عذاب أليم. قال السدي: إلّا أن يتوب. ورُوِيَ عن عبد الله بن عمر أنه كان له فسطاطان أحدهما في الحلّ والآخر في الحرم، فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الآخر، فسُئِلَ عن ذلك فقال: كنّا نحدّث أن من الإلحاد فيه أن يقول الرجل كلا والله وبلى والله.

قوله تعالى: ﴿ وإذْ بوّأنا لإبراهيم مكان البيت ﴾، أي: وطّأنا. قال ابن عباس: وقيل: بينا. قال الزجّاج: جعلنا مكان البيت معبداً لإبراهيم. وقال مقاتل بن حيّان: هيّأنا. وإنما ذكر مكان البيت لأن الكعبة رفعت إلى السماء زمان الطوفان ثم لمّا أمر الله تعالى إبراهيم ببناء البيت لم يدرِ أين يبني فبعث الله ريحاً خجوجاً فكنّست له ما حول البيت على الأساس. وقال الكلبي: بعث الله سحابة بقدر البيت فقامت بحيال البيت وفيها رأس يتكلم يا إبراهيم ابنِ على قدري فبنى عليه. قوله تعالى: ﴿ أن لا تشرك بي شيئاً ﴾ أي: عهدنا إلى إبراهيم وقلنا له لا تشرك بي شيئاً، ﴿ وطهّر بيتيَ للطائفين ﴾، أي: الذين يطوفون بالبيت، ﴿ والقائمين ﴾ أي: المقيمين، ﴿ والرُّكّع السجود ﴾، أي: المصلّين.

---

(١) الخجوج للريح الشديد، المراد الملتوية في هبوبها كالخجوجات. ا هـ قاموس.

فقامت بحيال البيت وفيها رأس يتكلم يا إبراهيم ابن على قدري فبنى عليه ﴿أن لا تشرك بي شيئاً﴾ أي عهدنا إلى إبراهيم وقلنا له: لا تشرك بي شيئاً ﴿وطهر بيتي﴾ أي من الشرك والأوثان والأقذار ﴿للطائفين﴾ أي الذين يطوفون بالبيت ﴿والقائمين﴾ أي المقيمين فيه ﴿والركع السجود﴾ أي المصلين. قوله عزّ وجلّ ﴿وأذن﴾ أي أعلم وناد، والأذان في اللغة الإعلام ﴿في الناس﴾ قال ابن عباس: أراد بالناس أهل القبلة ﴿بالحج﴾ فقال إبراهيم عليه السلام وما يبلغ صوتي فقال الله عليك الأذان وعلينا الإبلاغ فقام إبراهيم على المقام حتى صار كأطول الجبال وأدخل أصبعيه في أذنيه وأقبل بوجهه يميناً وشمالاً وشرقاً وغرباً وقال يا أيُّها الناس ألا إن ربكم قد بنى بيتاً وكتب عليكم الحج إلى البيت فأجيبوا ربكم فأجابه كل من يحج من أصلاب الآباء وأرحام الأمهات: لبيك اللهم لبيك. قال ابن عباس: فأول من أجابه أهل اليمن فهم أكثر الناس حجاً وروي أنّ إبراهيم صعد أبا قبيس ونادى. وزعم الحسن أن المأمور بالتأذين هو محمد صلّى الله عليه وسلّم أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع (م) عن أبي هريرة قال: «خطبنا رسول الله ﷺ فقال: يا أيُّها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا» ﴿يأتوك رجالاً﴾ أي مشاة على أرجلهم جمع راجل ﴿وعلى كل ضامر﴾ أي ركباناً على الإبل المهزولة من كثرة السير وبدأ بذكر المشاة تشريفاً لهم ﴿يأتين﴾ أي جماعة الإبل ﴿من كل فج عميق﴾ أي من كل طريق بعيد فمن أتى مكة حاجاً فكأنه قد أتى إبراهيم لأنه مجيب نداءه.

قوله تعالى ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾ قيل العفو والمغفرة وقيل: التجارة وقال ابن عباس: الأسواق وقيل ما يرضى به الله من أمر الدنيا والآخرة ﴿ويذكروا اسم الله في أيام معلومات﴾ يعني عشر ذي الحجة في قول أكثر المفسرين قيل لها معلومات للحرص عليها من أجل وقت الحج في آخرها. وعن ابن عباس أنها أيام عرفة والنحر وأيام التشريق وقيل: إنها يوم النحر وثلاثة أيام بعده ﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ يعني الهدايا والضحايا من النعم وهي الإبل والبقر والغنم وفيه دليل على أنّ الأيام المعلومات يوم النحر وأيام التشريق لأنه التسمية على بهيمة الأنعام عند نحرها

﴿ وأذنْ في الناس ﴾ أي: أعلم ونادي في الناس، ﴿ بالحج ﴾، فقال إبراهيم وما يبلغ صوتي؟ فقال: عليك الأذان وعلينا البلاغ، فقام إبراهيم على المقام فارتفع المقام حتى صار كأطول الجبال فأدخل أصبعيه في أُذنيه وأقبل بوجهه يميناً وشمالاً وشرقاً وغرباً وقال: يا أيها الناس ألا إن ربّكم قد بنى لكم بيتاً وكتب عليكم الحج إلى البيت فأجيبوا ربكم فأجابه كلّ مَن كان يحجّ من أصلاب الآباء وأرحام الأمهات: لَبّيك اللّهمَّ لبيك، قال ابن عباس: فأول مَن أجابه أهل اليمن فهم أكثر الناس حجّاً. ورُوِيَ أن إبراهيم صعد أبا قبيس ونادى. وقال ابن عباس عنى بالناس في هذه الآية أهل القبلة وزعم الحسن أن قوله: ﴿ وأذن في الناس بالحج ﴾ كلام مستأنف وإن المأمور بهذا التأذين محمد ﷺ أمر أن يفعل ذلك في حجّة الوداع. وروى أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس قد فُرض عليكم الحجّ فحجّوا». قوله تعالى: ﴿ يأتوك رجالاً ﴾، أي: مشاة على أرجلهم جمع راجل، مثل قائم وقيام وصائم وصيام، ﴿ وعلى كل ضامر ﴾، أي: ركباناً على كل ضامر، والضامر: البعير المهزول. ﴿ يأتينَ من كل فجٍّ عميق ﴾ أي: من كل طريق بعيد، وإنما جمع يأتين لمكان كل وارد النوق.

﴿ ليشهدوا ﴾، ليحضروا، ﴿ منافع لهم ﴾، قال سعيد بن المسيب ومحمد بن علي الباقر: العفو والمغفرة. وقال سعيد بن جبير: التجارة، وهي رواية ابن زيد عن ابن عباس، قال الأسواق. وقال مجاهد: التجارة وما يَرضى الله به من أمر الدنيا والآخرة. ﴿ ويذكروا اسم الله في أيام معلومات ﴾، يعني عشر ذي الحجة في قول أكثر المفسّرين. قيل: لها معلومات للحرص على علمها بحسابها من أجل وقت الحج في آخرها. ويُروى عن علي رضي الله عنه أنها يوم النحر وثلاثة أيام بعده، وفي رواية عطاء عن ابن عباس: أنها يوم عرفة والنحر وأيام التشريق وقال مقاتل: المعلومات أيام التشريق. ﴿ على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ﴾، يعني الهدايا والضحايا تكون من

ونحر الهدايا يكون في هذه الأيام ﴿فكلوا منها﴾ أمر إباحة ليس بواجب وذلك أن أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من لحوم هداياهم شيئاً فأمر الله بمخالفتهم. واتفق العلماء على أن الهدي إذا كان تطوعاً يجوز للمهدي أن يأكل منه وكذلك أضحية التطوع لما روى عن جابر بن عبد الله في قصة تطوعاً يجوز للمهدي أن يأكل منه وكذلك أضحية التطوع لما روى عن جابر بن عبد الله في قصة حجة الوادع قال «وقدم علي ببدن من اليمن وساق رسول الله ﷺ مائة بدنة فنحر منها رسول الله ﷺ ثلاثاً وستين بدنة ونحر علي ما غبر وأشركه في بدنه ثم أمر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر وطبخت فأكل من لحمها وشرب من مرقها» أخرجه مسلم قوله ما غبر أي ما بقي قوله ببضعة أي بقطعة. واختلف العلماء في الهدي الواجب بالشرع مثل دم التمتع والقرآن والدم الواجب بإفساد الحج وفوته وجزاء الصيد هل يجوز للمهدي أن يأكل منه شيئاً قال الشافعي: لا يأكل منه شيئاً وكذلك ما أوجبه على نفسه بالنذر وقال ابن عمر: لا يأكل من جزاء الصيد والنذر ويأكل مما سوى ذلك وبه قال أحمد وإسحاق. وقال مالك يأكل من هدي التمتع ومن كل هدي وجب عليه إلّا من فدية الأذى وجزاء الصيد والمنذور وعند إصحاب الرأي أنه يأكل من دم التمتع والقران ولا يأكل من واجب سواهما. وقوله تعالى ﴿وأطعموا البائس الفقير﴾ يعني الزمن الذي لا شيء له وقوله تعالى:

﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾

﴿ثم ليقضوا تفثهم﴾ أي ليزيلوا أدرانهم وأوساخهم والمراد منه الخروج عن الإحرام بالحلق وقص الشارب

النَّعم، وهي الإبل والبقر والغنم. واختار الزجّاج أن الأيام المعلومات يوم النحر وأيام التشريق لأن الذكر على بهيمة الأنعام يدلّ على التسمية على نحرها ونحر الهدايا يكون في هذه الأيام. ﴿ فكلوا منها ﴾ أمر إباحة وليس بواجب، وإنما قال ذلك لأن أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من لحوم هداياهم شيئاً واتفق العلماء على أن الهدي إذا كان تطوعاً يجوز للمهدي أن يأكل منه وكذلك أُضحية التطوع لِما أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشمهيني أنا علي بن حجر أنا إسماعيل بن جعفر عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال في قصة حجة الوداع: وقَدِمَ عليّ ببدن من اليمن وساق رسول الله ﷺ مائة بدنة فنحر منها رسول الله ﷺ ثلاث وستّين بدنة بيده ونحر عليّ ما بقي، ثم أمر النبي ﷺ أن تؤخذ بضعة من كل بدنة فتجعل في قدر فأكلا من لحمها وحَسِيا من مرقها. واختلفوا في الهدي الواجب بالشرع هل يجوز للمهدي أن يأكل منه شيئاً مثل دم التمتّع والقِران والدم الواجب بإفساد الحج وفواته وجزاء الصيد، فذهب قوم إلى أنه لا يجوز أن يأكل منه شيئاً وبه قال الشافعي، وكذلك ما أوجبه على نفسه بالنذر، وقال ابن عمر: لا يأكل من جزاء الصيد والنذر، ويأكل مما سوى ذلك، وبه قال أحمد وإسحاق، وقال مالك: يأكل من هدي التمتّع ومن كل هدي وجب عليه إلّا من فدية الأذى وجزاء الصيد والمنذور، وعند أصحاب الرأي يأكل من دم التمتّع والقِرَان ولا يأكل من واجب سواهما. قوله عزّ وجلّ: ﴿ وأطعموا البائسَ الفقير ﴾، يعني: الزَّمِن الفقير الذي لا شيء له والبائس الذي اشتدّ بؤسه، والبؤس شدّة الفقر.

﴿ ثمّ لْيَقْضُوا تفثهم ﴾، التفث الوسخ والقذارة من طول الشعر والأظفار والشعث، تقول العرب لِمَن تستقذره: ما أتفثك أي ما أوسخك. والحاج أشعث أغبر أي: لم يحلق شعره ولم يقلّم ظفره فقضاء التفث إزالة هذه

ونتف الإبط وقلم الأظفار والاستحداد ولبس الثياب والحاج أشعث أغبر إذا لم يزل هذه الأوساخ. وقال ابن عمر وابن عباس: قضاء التفث مناسك الحج كلها ﴿وليوفوا نذورهم﴾ أراد نذر الحج والهدي وما ينذر الإنسان من شيء يكون في الحج أي ليتموها بقضائها. وقيل المراد منه الوفاء بما نذر وهو على ظاهره وقيل: أراد به الخروج عمّا وجب عليه نذره أو لم ينذره ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ أراد به طواف الواجب وهو طواف الإفاضة ووقته يوم النحر بعد الرمي والحلق. والطواف ثلاثة طواف القدوم وهو أنّ من قدم مكة يطوف بالبيت سبعاً يرمل ثلاثاً من الحجر الأسود إلى أن ينتهي إليه ويمشي أربعاً وهذا الطواف سنة لا شيء على من تركه (ق) عن عائشة: «إن أول شيء بدأ به حين قدم النبيّ ﷺ أنه توضأ ثم طاف ثم لم تكن عمرة ثم حجّ أبو بكر وعمر مثله» (ق) عن ابن عمر «أنّ رسول الله ﷺ كان إذا طاف الطواف الأول خب ثلاثاً ومشى أربعاً». زاد في رواية «ثم يصلي ركعتين يعني بعد الطواف بالبيت ثم يطوف بين الصفا والمروة». ولفظ أبي داود «أن رسول الله ﷺ كان إذا طاف في الحج أو العمرة أول ما يقدم فإنه يسعى ثلاثة أشواط ويمشي أربعاً ثم يصلي سجدتين». والطواف الثاني هو طواف الإفاضة وذلك يوم النحر بعد الرمي والحلق (ق) عن عائشة قالت: «حاضت صفية ليلة النفر فقالت: ما أراني إلا حابستكم قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم عقرى حلقى أطافت يوم النحر قيل نعم قال فانفري». قوله عقرى وحلقى معناه عقرها الله أي أصابها بالعقر وبوجع في حلقها وقيل معناه مشئومة مؤذية ولم يرد به الدعاء عليها وإنّما هو شيء يجري على ألسنة العرب كقولهم: لا أم لك وتربت يمينك وفيه دليل على أن من لم يطف يوم النحر طواف الإفاضة لا يجوز له أن ينفر. الثالث طواف الوداع لا رخصة لمن أراد

الأشياء ليقضوا تفثهم، أي: ليزيلوا أدرانهم، والمراد منه الخروج عن الإحرام بالحلق وقصّ الشارب ونتف الإبط والاستحداد وقَلْم الأظفار ولبس الثياب. قال ابن عمر وابن عباس: قضاء التفث مناسك الحج كلها. وقال مجاهد: هو مناسك الحج وأخذ الشارب ونتف الإبط وحلق العانة وقَلْم الأظفار. وقيل: التفث ههنا رمي الجمار. قال الزجّاج: لا نعرف التفث ومعناه إلّا من القرآن. قوله تعالى: ﴿ وَلْيوفُوا نذورَهم ﴾، قال مجاهد: أراد نذر الحج والهدي وما ينذر الإنسان من شيء يكون في الحج أي: ليتمّوها بقضائها. وقيل: المراد منه الوفاء بما نذر على ظاهره. وقيل: أراد به الخروج عمّا وجب عليه نذراً ولم ينذر. والعرب تقول لكل مَن خرج عن الواجب عليه وَفّى بنذره. وقرأ عاصم برواية أبي بكر ﴿ وليوفوا ﴾ بنصب الواو وتشديد الفاء، ﴿ وَلْيَطَّوفُوا بالبيت العتيق ﴾، أراد به الطواف الواجب عليه وهو طواف الإفاضة يوم النحر بعد الرمي والحلق، والطواف ثلاثة، طواف القدوم، وهو أن مَن قَدِمَ مكة يطوف بالبيت سبعاً يرمل ثلاثاً من الحجر الأسود إلى أن ينتهي إليه ويمشي أربعاً، وهذا الطواف سُنّة لا شيء على مَن تركه. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أحمد هو أبو عيسى أنا ابن وهب أنا عمرو بن الحارث عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل القرشي سأل عروة بن الزبير فقال: قد حجّ النبي ﷺ فأخبرتني عائشة أنه أول شيء بدأ به حين قَدِمَ أنه توضأ ثم طاف بالبيت ثم لم يكن عمرة ثم حجّ أبو بكر فكان أول شيء بدأ به الطواف بالبيت ثم لم يكن عمرة ثم عمر مثل ذلك، ثم حجّ عثمان فرأيته أول شيء بدأ به الطواف بالبيت. أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا أنس بن عياض عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا طاف في الحج أو العمرة أول ما يقدم يسعى ثلاثة أطواف ويمشي أربعاً ثم يصلّي سجدتين ثم يطوف بين الصفا والمروة سبعاً والطواف الثاني هو طواف الإفاضة يوم النحر بعد الرمي والحَلْق، وهو واجب لا يحصل التحلّل من الإحرام ما لم يأتِ به. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عمر بن حفص ثنا أبي أنا الأعمش أنا إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت: حاضت صفيّة ليلة النفر فقالت: ما

مفارقة مكة إلى مسافة القصر في أن يفارقها حتى يطوف سبعاً فمن تركه فعليه دم إلا المرأة الحائض فإنه يجوز لها تركه للحديث المتقدم ولما روى ابن عباس قال «أمر الناس أن يكون الطواف آخر عهدهم بالبيت إلا أنه رخص للمرأة الحائض» متفق عليه. الرمل سنة تختص بطواف القدوم ولا رمل في طواف الإفاضة والوداع وقوله «بالبيت العتيق» قال ابن عباس وغيره سمي عتيقاً لأن الله أعتقه من أيدي الجبابرة أن يصلوا إلى تخريبه فلم يظهر عليه جبار قط، وقيل لأنه أول بيت وضع للناس وقيل لأن الله أعتقه من الغرق فإنه رفع أيام الطوفان وقيل لأنه لم يملك. قوله عزّ وجلّ ﴿**ذلك**﴾ أي الأمر ذلك يعني ما ذكر من أعمال الحج ﴿**ومن يعظم حرمات الله**﴾ أي ما نهى الله عنه من معاصيه وتعظيمها ترك ملابستها وقيل: حرمات الله ما لا يحل انتهاكه وقيل الحرمة ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه وقيل: الحرمات هنا مناسك الحج وتعظيمها إقامتها وإتمامها وقيل الحرمات هنا البيت الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام والشهر الحرام ومعنى التعظيم العلم بأنه يجب القيام بمراعاتها وحفظ حرمتها ﴿**فهو خير له عند ربه**﴾ أي ثواب تعظيم الحرمات خير له عند الله في الآخرة ﴿**وأحلت لكم الأنعام**﴾ أي أن تأكلوها بعد الذبح وهي الإبل والبقر والغنم ﴿**إلا ما يتلى عليكم**﴾ أي تحريمه وهو قوله في سورة المائدة ﴿حرمت عليكم الميتة والدم﴾ الآية ﴿**فاجتنبوا الرجس من الأوثان**﴾ أي اتركوا عبادتها فإنها سبب الرجس وهو العذاب وقيل سمى الأوثان رجساً لأنّ عبادتها أعظم من التلوث بالنجاسات ﴿**واجتنبوا قول الزور**﴾ يعني الكذب والبهتان.

وقال ابن عباس: هي شهادة الزور وروي عن أيمن بن خريم قال: «إنّ النبيّ ﷺ قام خطيباً فقال أيها الناس

أراني إلاّ حابستكم قال النبي ﷺ: «عقرى حلقى أطافت يوم النحر»؟ قيل: نعم، قال: «فانفري»، فثبت بها إنْ لم يطف يوم النحر طواف الإفاضة لا يجوز له أن ينفر، والطواف الثالث هو طواف الوداع لا رخصة فيه لمَن أراد مفارقة مكة إلى مسافة القصر أن يفارقها حتى يطوف بالبيت سبعاً فمَن تركه فعليه دم إلا المرأة الحائض يجوز لها ترك طواف الوداع. أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا سفيان عن سليمان الأحول عن طاوس قال: أمر الناس أن يكون آخر عهدهم الطواف بالبيت إلاّ أنه رخّصَ للمرأة الحائض. والرمل مختصٌ بطواف القدوم ولا رمل في طواف الإفاضة والوداع. قوله: ﴿ بالبيت العتيق ﴾ واختلفوا في معنى العتيق، فقال ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وقتادة: سُمّي عتيقاً لأن الله أعتقه من أيدي الجبابرة أن يصلوا إلى تخريبه، فلم يظهر عليه جبّار قطّ. وقال سفيان بن عُيَيْنَة: سُمّي عتيقاً لأنه لم يُملك قطُّ وقال الحسن وابن زيد: سُمّي به لأنه قديم وهو أول بيت وضع للناس، يقال دينار عتيق أي قديم، وقيل: سُمّي عتيق لأن الله أعتقه من الغرق فإنه رفع أيام الطوفان.

﴿ ذلك ﴾ أي: الأمر ذلك يعني ما ذكر من أعمال الحج، ﴿ ومَنْ يُعظّم حرماتِ الله ﴾، أي معاصي الله وما نهى عنه وتعظيمها ترك ملابستها. قال الليث: حرمات الله ما لا يحلّ انتهاكها. وقال الزجّاج: الحرمة ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه، وذهب قوم إلى أن معنى الحرمات ههنا المناسك بدليل ما يتصل بها من الآيات. وقال ابن زيد: الحرمات ههنا البيت الحرام، والبلد الحرام والشهر الحرام والمسجد الحرام والإحرام. ﴿ فهو خير له عند ربّه ﴾، أي: تعظيم الحرمات، خير له عند الله في الآخرة، ﴿ وأُحلّتْ لكم الأنعامُ ﴾، أن تأكلوها إذا ذبحتموها وهي الإبل والبقر والغنم، ﴿ إلا ما يتلى عليكم ﴾، تحريمه وهو قوله في سورة [المائدة: ٣] ﴿ حُرّمت عليكم الميتة والدم ﴾، الآية، ﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان ﴾ أي: عبادتها يقول كونوا على جانب منها فإنها رجس، أي: سبب الرجس، وهو العذاب والرجس: بمعنى الرجز. وقال الزجّاج: ﴿ من ﴾ ههنا للتجنيس أي: اجتنبوا الأوثان التي هي رجس، ﴿ واجتنبوا قول الزور ﴾، يعني: الكذب والبهتان. وقال ابن مسعود: شهادة الزور،

عدلت شهادة الزور الإشراك بالله ثم قرأ رسول الله ﷺ: فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور» أخرجه الترمذي وقال قد اختلفوا في روايته ولا نعرف لأيمن سماعاً من النبيّ ﷺ وأخرجه أبو داود عن خريم بن فاتك بنحوه وقيل: هو قول المشركين في تلبيتهم لبيك لا شريك لك إلاّ شريك هو لك تملكه وما ملك. قوله تعالى:

﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿حنفاء لله﴾ يعني مخلصين له ﴿غير مشركين به﴾ فدل ذلك على أن المكلف ينوي بما يأتيه من العبادة الإخلاص لله بها لا غيره وقيل كانوا في الشرك يحجون ويحرمون البنات والأمهات والأخوات وكانوا حنفاء فنزلت «حنفاء لله غير مشركين به» أي حجوا لله مسلمين موحدين ومن أشرك لا يكون حنيفاً ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر﴾ أي سقط ﴿من السماء﴾ إلى الأرض ﴿فتخطفه الطير﴾ يعني تسلبه وتذهب به ﴿أو تهوي به الريح﴾ يعني تميل وتذهب به ﴿في مكان سحيق﴾ يعني بعيد. ومعنى الآية أنّ من أشرك بالله بعيد من الحق والإيمان كبعد من سقط من السماء فذهبت به الطير أو هوت به الريح فلا يصل إليه بحال وقيل شبه حال المشرك بحال الهاوي من السماء لأنه لا يملك

ورُوِيَ أن النبي ﷺ قام خطيباً فقال: «يا أيها الناس عدلت شهادة الزور الإشراك بالله»، ثم قرأ هذه الآية. وقيل: هو قول المشركين في تلبيتهم لبّيك لا شريك لك لبّيك إلاّ شريكاً هو لك تملكه وما ملك.

﴿ حنفاء لله ﴾، مخلصين له، ﴿ غير مشركين به ﴾، قال قتادة: كانوا في الشرك يحجّون ويحرمون البنات والأمهات والأخوات وكانوا يُسمّون حنفاء، فنزلت: ﴿ حنفاء لله غير مشركين به ﴾ أي: حجّاجاً لله مسلمين موحدين يعني: مَنْ أشرك لا يكون حنيفاً. ﴿ ومَن يشرك بالله فكأنما خرّ ﴾، أي: سقط، ﴿ من السماء ﴾، إلى الأرض، ﴿ فتخطّفه الطير ﴾، أي: تستلبه الطير وتذهب به، والخطف والاختطاف تناول الشيء بسرعة، وقرأ أهل المدينة فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء، أي: يتخطفه، ﴿ أو تهوي به الريح ﴾، أي: تميل وتذهب به، ﴿ في مكان سحيق ﴾، أي: بعيد معناه أن بعد مَن أشرك بالحق كبعد من سقط من السماء فذهبت به الطير، أو هَوَت به الريح، فلا يصل بحال. وقيل: شبّه حال المشرك بحال الهاوي من السماء في أنه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع بحيث تُسقطه الريح، فهو هالك لا محالة إما باستلاب الطير لحمه وإما بسقوطه إلى المكان السحيق، وقال الحسن: شبّه أعمال الكفّار بهذه الحال في أنها تذهب وتبطل فلا يقدرون على شيء منها.

﴿ ذلك ﴾، يعني: الذي ذكرت من اجتناب الرجس وقول الزور، ﴿ ومَن يعظّم شعائرَ الله فإنها من تقوى القلوب ﴾، قال ابن عباس: شعائر الله البُدْن والهدي وأصلها من الإشعار وهو إعلامها لِيُعلم أنها هدي وتعظيمها استسمانها واستحسانها، وقيل: شعائر الله أعلام دينه فإنها من تقوى القلوب، أي: فإن تعظيمها من تقوى القلوب.

﴿ لكم فيها ﴾ أي: في البدن قبل تسميتها للهدي، ﴿ منافعُ ﴾، في درّها ونسلها وأصوافها وأوبارها وركوب ظهورها، ﴿ إلى أجل مسمى ﴾، وهو أن يسمّيها ويوجبها هدياً فإذا فعل ذلك لم يكن له شيء من منافعها، هذا قول مجاهد، وقول قتادة والضحاك، ورواهمقسم عن ابن عباس. وقيل: معناه لكم في الهدايا منافع بعد إيجابها وتسميتها هدياً بأن تركبوها وتشربوا ألبانها عند الحاجة إلى أجل مسمى، يعني إلى أن تنحروها وهو قول عطاء بن أبي رباح

لنفسه حيلة حتى يقع حيث تسقط الريح فهو هالك لا محالة. إما باستلاب الطير لحمه أو بسقوطه في المكان السحيق. وقيل معنى الآية من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكاً ليس وراءه إهلاك بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير ففرقت أجزاءه في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المهالك البعيدة. وقيل شبه الإيمان بالسماء في علوه والذي ترك الإيمان بالساقط من السماء والأهواء التي توزع أفكاره بالطير المختطفة والشياطين التي تطرحه في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة. قوله عزّ وجلّ ﴿**ذلك**﴾ يعني الذي ذكر من اجتناب الرجس وقول الزور ﴿**ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب**﴾ يعني تعظيم شعائر الله من تقوى القلوب قال ابن عباس: شعائر الله البدن والهدي وأصلها من الإشعار، وهو العلامة التي يعرف بها أنها هدى وتعظيمها استسمانها واستحسانها وقيل شعائر الله أعلام دينه وتعظيمها من تقوى القلوب ﴿**لكم فيها**﴾ أي في البدن ﴿**منافع**﴾ قيل هي درها ونسلها وصوفها ووبرها وركوب ظهرها ﴿**إلى أجل مسمى**﴾ أي إلى أن يسميها ويوجبها هدياً فإذا فعل ذلك لم يكن له شيء من منافعها. وهو قول مجاهد وقتادة والضحّاك ورواية عن ابن عباس وقيل معناه لكم في الهدايا منافع بعد إيجابها وتسميتها هدايا بأن تركبوها وتشربوا من ألبانها عند الحاجة إلى أجل مسمى يعني إلى أن تنحروها وهو قول عطاء. واختلف العلماء في ركوب الهدي فقال مالك والشافعي وأحمد وإسحاق: يجوز ركوبها والحمل عليها من غير ضرر بها لما روي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يسوق بدنة فقال: «اركبها فقال يا رسول الله إنّها بدنة فقال: اركبها ويلك في الثانية أو الثالثة». أخرجاه في الصحيحين. وكذلك يجوز له أن يشرب من لبنها بعد ما يفضل عن ري ولدها. وقال أصحاب الرأي: لا يركبها إلاّ أن يضطر إليه وقيل أراد بالشعائر المناسك ومشاهدة مكة لكم فيها منافع يعني بالتجارة والأسواق ﴿**إلى أجل مسمى**﴾ يعني إلى الخروج من مكة وقيل ﴿**لكم فيها منافع**﴾ يعني بالأجر والثواب في قضاء المناسك إلى انقضاء أيام الحج ﴿**ثم محلها إلى البيت العتيق**﴾ يعني منحرها عند البيت العتيق يريد به جميع أرض الحرم. وروي عن جابر في حديث حجة الوداع أنّ رسول الله ﷺ قال «نحرت

واختلف أهل العلم في ركوب الهدي، فقال قوم: يجوز له ركوبها والحمل عليها غير مضرٍّ بها، وهو قول مالك والشافعي وأحمد وإسحاق، لِما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا أبو علي زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يسوق بدنة فقال: «اركبها»، فقال إنها بدنة، قال: «اركبها»، فقال إنها بدنة، قال: «اركبها ويلك في الثانية أو الثالثة»، وكذلك قال له: «اشرب لبنها بعدما فضل عن رَيِّ ولدها». وقال أصحاب الرأي: لا يركبها. وقال قوم: لا يركبها إلا أن يضطر إليه. وقال بعضهم: أراد بالشعائر المناسك ومشاهدة مكة، لكم فيها منافع بالتجارة والأسواق إلى أجل مسمى وهو الخروج من مكة. وقيل: لكم فيها منافع بالأجر والثواب في قضاء المناسك إلى أجلٍ مسمى، أي: إلى انقضاء أيام الحج، ﴿ **ثم مَحِلُّها** ﴾ أي: منحرها، ﴿ **إلى البيت العتيق** ﴾ أي: منحرها عند البيت العتيق، يريد أرض الحرم كلها، كما قال: ﴿ فلا يقربوا المسجد الحرام ﴾ [التوبة: ٢٨] أي: الحرم كله. ورُوِيَ عن جابر في قصة حجة الوداع أن رسول الله ﷺ قال: «نحرتُ ههنا ومِنًى كلها منحر فانحروا في رحالكم» ومَن قال الشعائر المناسك قال: معنى قوله: ﴿ **ثم محلها إلى البيت العتيق** ﴾ أي: محل الناس من إحرامهم إلى البيت العتيق، أي: أن يطوفوا به طواف الزيادة يوم النحر.

قال الله تعالى: ﴿ **ولكل أمة** ﴾، يعني جماعة مؤمنة سلفت قبلكم، ﴿ **جعلنا مَنْسَكاً** ﴾، قرأ حمزة والكسائي بكسر السين ههنا وفي آخر السورة، على معنى الاسم مثل المسجد والمطلع، يعني مذبحاً وهو موضع القربان، وقرأ الآخرون بفتح السين على المصدر، مثل المدخل والمخرج يعني إراقة الدماء وذبح القرابين، ﴿ **ليذكروا اسم**

ها هنا ومنًى كلها منحر فانحروا في رحالكم» ومن قال الشعائر المناسك قال معنى ثم محلها يعني محل الناس من إحرامهم إلى البيت العتيق يطوفون به طواف الزيارة. قوله تعالى ﴿ولكل أمة﴾ يعني جماعة مؤمنة سلفت قبلكم ﴿جعلنا منسكاً﴾ قرىء بكسر السين يعني مذبحاً وهو موضع القربان منسكاً بفتح السين وهو إراقة الدم وذبح القرابين ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ يعني عند ذبحها ونحرها سماها بهيمة لأنها لا تتكلم وقيد بالأنعام لأن ما سواها لا يجوز ذبحه في القرابين وإن جاز أكله. قوله عزّ وجلّ ﴿فإلهكم إله واحد﴾ يعني سموا على الذبح اسم الله وحده فإنّ إلهكم إله واحد ﴿فله أسلموا﴾ يعني أخلصوا وانقادوا وأطيعوا ﴿وبشر المخبتين﴾ قال ابن عباس: المتواضعين وقيل المطمئنين إلى الله وقيل الخاشعين الرقيقة قلوبهم وقيل هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لا ينتصرون ثم وصفهم فقال تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ يعني خافت من عقاب الله فيظهر عليها الخشوع والتواضع لله تعالى ﴿والصابرين على ما أصابهم﴾ يعني من البلاء والمرض والمصائب ونحو ذلك مما كان من الله تعالى وما كان من غير الله فله أن يصبر عليه وله أن ينتصر لنفسه ﴿والمقيمي الصلاة﴾ يعني في أوقاتها محافظة عليها ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ يعني يتصدّقون. قوله تعالى ﴿والبدن﴾ جمع بدنة سميت بدنة لعظمها وضخامتها، يريد الإبل الصحاح

الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ﴾، عند نحرها وذبحها وسمّاها بهيمة لأنها لا تتكلم، وقال: ﴿ بهيمة الأنعام ﴾ وقيّدها بالنَّعم لأن من البهائم ما ليس من الأنعام كالخيل والبِغال والحمير، لا يجوز ذبحها في القرابين. ﴿ فإلٰهكم إلٰهٌ واحدٌ ﴾، أي: سمّوا على الذبائح اسم الله وحده فإن إلٰهكم إلٰه واحد، ﴿ فله أسلِمُوا ﴾، انقادوا وأطيعوا، ﴿ وبشِّرِ المخبتين ﴾، قال ابن عباس وقتادة: المتواضعين. وقال مجاهد: المطمئنين إلى الله عزّ وجلّ، والخبت المكان المطمئن من الأرض. وقال الأخفش: الخاشعين. وقال النخعي: المخلصين. وقال الكلبي: هم الرقيقة قلوبهم. وقال عمر بن أوس: هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم يقتصروا.

﴿ الذين إذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قلوبُهم والصابرين على ما أصابهم ﴾، من البلاء والمصائب، ﴿ والمقيمي الصلاة ﴾، أي: المقيمين للصلاة في أوقاتها، ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾، أي: يتصدقون.

﴿ والبُدْنَ ﴾، جمع بدنة سُمِّيت بدنة لعظمها وضخامتها يريد الإبل العِظام الصِحاح الأجسام، يقال بَدُنَ الرجل بدناً وبدانةً إذا ضخم، فأما إذا أسنّ واسترخى يقال بدن تبديناً. قال عطاء والسدي: البُدن والبقر أما الغنم فلا

الأجسام والبقر ولا تسمى الغنم بدنة لصغرها ﴿جعلناها لكم من شعائر الله﴾ يعني من أعلام دينه قيل لأنها تشعر وهو أن تطعن بحديدة في سنامها فيعلم بذلك أنها هدي ﴿لكم فيها خير﴾ يعني نفع في الدنيا وثواب في العقبى ﴿فاذكروا اسم الله عليها﴾ يعني عند نحرها ﴿صواف﴾ يعني قياماً على ثلاث قوائم قد صفت رجليها ويدها اليمنى والأخرى معقولة فينحرها كذلك (ق) عن زياد بن جبير قال: «رأيت ابن عمر أتى على رجل قد أناخ بدنة ينحرها قال ابعثها قياماً مقيدة سنّة محمد ﷺ» ﴿فإذا وجبت جنوبها﴾ يعني سقطت بعد النحر ووقع جنبها على الأرض ﴿فكلوا منها﴾ أمر إباحة ﴿وأطعموا القانع والمعتر﴾ قيل القانع الجالس في بيته المتعفف يقنع بما يعطى ولا يسأل. والمعتر هو الذي يسأل وعن ابن عباس القانع هو الذي لا يسأل ولا يتعرض. وقيل: القانع هو الذي يسأل والمعتر هو الذي يريك نفسه ويتعرض ولا يسأل وقيل القانع المسكين والمعتر الذي ليس بمسكين ولا تكون له ذبيحة يجيء إلى القوم فيتعرض لهم لأجل لحمهم ﴿كذلك﴾ يعني مثل ما وصفنا من نحرها قياماً ﴿سخرناها لكم﴾ يعني لتتمكنوا من نحرها ﴿لعلكم تشكرون﴾ يعني إنعام الله عليكم ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها﴾ وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا نحروا البدن لطخوا الكعبة بدمائها يزعمون أن ذلك قربة إلى الله تعالى فأنزل الله ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها﴾ يعني لن ترفع

تسمى بدنة. ﴿جعلناها لكم من شعائر الله﴾، من أعلام دينه، سُمّيت شعائر لأنها تشعر، وهو أن تُطعَن بحديدة في سنامها فيعلم أنها هدي، ﴿ لكم فيها خير ﴾، النفع في الدنيا والأجر في العقبى، ﴿ فاذكروا اسمَ اللَّهِ عليها ﴾.

أي: عند نحرها، ﴿ صوافّ ﴾، أي: قياماً على ثلاث قوائم قد صُفّت رجليها وإحدى يديها ويدها اليسرى معقولة فينحرها كذلك، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبد الله بن مسلمة أنا يزيد بن زريع عن يونس عن زياد بن جبير قال: رأيت ابن عمر أتى على رجل قد أناخ بدنة ينحرها، قال: ابعثها قياماً مقيّدة سُنّة محمد ﷺ. وقال مجاهد: الصواف إذا عقلت رجلها اليسرى وقامت على ثلاث قوائم، وقرأ ابن مسعود «صوافن» وهي أن تعقل منها وتنحر على ثلاث، وهو مثل صواف وقرأ أُبيّ والحسن ومجاهد (صــوافي) باليـاء أي صافية خالصة لله لا شريك له فيها، ﴿ فإذا وَجَبَتْ جُنوبُها ﴾، يعني: سقطت بعد النحر فوقعت جنوبها على الأرض، وأصل الوجوب: الوقوع. يقال: وجبت الشمس إذا سقطت للمغيب، ﴿ فكلوا منها ﴾، أمر إباحة، ﴿ وأطعِمُوا القانعَ والمُعْترَّ ﴾، اختلفوا في معناهما، فقال عكرمة وإبراهيم وقتادة: القانع الجالس في بيته المتعفّف يقنع بما يُعطى ولا يسأل، والمعترّ الذي يسأل. وروى العوفي عن ابن عباس: القانع الذي لا يعترض ولا يسأل، والمعترّ الذي يُريك نفسه ويعترض ولا يسأل، فعلى هذين التأويلين يكون القانع من القناعة يقال قنع قناعة إذ رضي بما قُسم له. وقال سعيد بن جبير والحسن والكلبي: القانع الذي يسأل والمعترّ الذي يتعرّض ولا يسأل، فيكون القانع من قنع يقنع قنوعاً إذا سأل. وقرأ الحسن (والمعتــري) وهــو مثل المعترّ، يقال: عره واعتره وعراه واعتراه إذ أتى يطلب معروفه، إمّا سؤالاً وإمّا تعرّضاً. وقال ابن زيد: القانع المسكين، والمعترّ الذي ليس بمسكين، ولا يكون له ذبيحة يجيء إلى القوم فيتعرّض لهم لأجل لحمهم. ﴿ كذلك ﴾ يعني: مثل ما وصفنا من نحرها قياماً، ﴿ سخّرناها لكم ﴾، نعمة منّا لتتمكّنوا من نحرها، ﴿ لعلّكم تشكرون ﴾، لكي تشكروا أنعامي عليكم.

﴿ لنْ ينالَ اللَّهَ لحومُها ولا دماؤُها ﴾، وذلك أن الجاهلية كانوا إذا نحروا البدن لطخوا الكعبة بدمائها قربة إلى الله فأنزل الله هذه الآية: ﴿ لنْ ينالَ الله لحومُها ولا دماؤُها ﴾ قرأ يعقوب (تنال وتناله) بالتاء فيهما، وقرأ العامّة بالياء، قال مقاتل لن يُرفع إلى الله لحومُها ولا دماؤُها، ﴿ ولكن يناله التقوى منكم ﴾، ولكن تُرفع إليه منكم الأعمال الصالحة والتقوى، والإخلاص ما أُريد به وجه الله، ﴿ كذلك سخّرها لكم ﴾، يعني: البدن، ﴿ لتكبِّروا الله على ما

إلى الله لحومها ولا دماؤها ﴿ولكن يناله التقوى منكم﴾ يعني ولكن ترفع إليه الأعمال الصالحة والإخلاص وهو ما أريد به وجه الله ﴿كذلك سخرها لكم﴾ يعني البدن ﴿لتكبروا الله على ما هداكم﴾ وأرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه وهو أن يقول الله: أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أولانا ﴿وبشر المحسنين﴾ قال ابن عباس الموحدين.

قوله تعالى ﴿إنّ الله يدافع عن الذين آمنوا﴾ أي يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ويمنعهم منهم وينصرهم عليهم ﴿إنّ الله لا يحب كل خوان كفور﴾ أي خوان في أمانة الله كفور لنعمته. قال ابن عباس: خانوا الله فجعلوا منه شريكاً وكفروا نعمه. وقيل من تقرّب إلى الأصنام بذبيحته وسمى غير الله عليها فهو خوان كفور. قوله عزّ وجلّ ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا﴾ أي أذن الله لهم بالجهاد ليقاتلوا المشركين قال المفسرون كان مشركوا أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ فلا يزالون يجيئون من بين مضروب ومشجوج ويشكون ذلك إلى رسول الله ﷺ فيقول لهم: «اصبروا فإني لم أومر بقتال» حتى هاجر رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية وهي أول آية أذن الله فيها بالقتال. وقيل نزلت هذه الآية في قوم بأعيانهم خرجوا مهاجرين من مكة إلى المدينة فاعترضهم مشركو مكة فأذن الله لهم في قتال الكفار الذين يمنعون من الهجرة بأنهم ظلموا أي بسبب ما ظلموا واعتدوا عليهم بالإيذاء ﴿وإن الله على نصرهم لقدير﴾ فيه وعد من الله بنصر المؤمنين ثم وصفهم. فقال تعالى ﴿الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله﴾ يعني أنهم أخرجوا بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب الإقرار والتعظيم والتمكين لا موجب الإخراج ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض﴾ أي بالجهاد وإقامة الحدود ﴿لهدمت صوامع﴾ هي معابد الرهبان

﴿هداكم﴾، أرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجّه، وهو أن يقول: الله أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أبلانا وأولانا، ﴿وبشّر المحسنين﴾، قال ابن عباس: الموحدين.

قوله تعالى: ﴿إنّ الله يدافع عن الذين آمنوا﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة «يدفع»، وقرأ الآخرون ﴿يدافع﴾ بالألف يريد يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ويمنعهم عن المؤمنين. ﴿إنّ الله لا يُحبُّ كلَّ خوّانٍ كفور﴾، يعني: خوان في أمانة الله كفور لنعمته، قال ابن عباس: خانوا الله فجعلوا معه شريكاً وكفروا نِعَمه. قال الزجّاج: مَن تقرّب إلى الأصنام بذبيحته وذكر عليها اسم غير الله فهو خوّان كفور.

﴿أُذِنَ﴾، قرأ أهل المدينة والبصرة وعاصم أذن بضم الألف والباقون بفتحها، أي: أذن الله، ﴿للذين يُقاتَلُون﴾، قرأ أهل المدينة وابن عامر وحفص ﴿يقاتلون﴾ بفتح التاء يعني المؤمنين الذين يقاتلهم المشركون، وقرأ الآخرون بكسر التاء يعني الذين أذن لهم بالجهاد ﴿يقاتلون﴾ المشركين، قال المفسّرون: كان مشركو أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ فلا يزالون محزونين من بين مضروب ومشجوج، ويشكون ذلك إلى رسول الله ﷺ، فيقول لهم: «اصبروا فإني لم أُؤمر بالقتال» حتى هاجر رسول الله ﷺ فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية، وهي أول آية أَذِنَ الله فيها بالقتال، فنزلت هذه الآية بالمدينة. وقال مقاتل: نزلت هذه الآية في قوم بأعيانهم خرجوا مهاجرين من مكة إلى المدينة. فكانوا يمنعون فأَذِنَ اللَّهُ لهم في قتال الكفّار الذين يمنعونهم من الهجرة، ﴿بأنهم ظلموا﴾، يعني: بسبب ما ظلموا واعتدوا عليهم بالإيذاء، ﴿وإنّ الله على نصرهم لقدير﴾.

﴿الذين أُخرجُوا من ديارهم بغير حق﴾، بدل من الذين الأولى ﴿إلّا أن يقولوا ربُّنا الله﴾، يعني: لم يخرجوا من ديارهم إلّا لقولهم ربنا الله وحده، ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض﴾، بالجهاد وإقامة الحدود، ﴿لهُدِّمت﴾، قرأ أهل المدينة بتخفيف الدال وقرأ الآخرون بالتشديد على التكثير فالتخفيف يكون للتقليل والتكثير والتشديد يختصّ بالتكثير، ﴿صَوامِعُ﴾، قال مجاهد والضحاك: يعني: صوامع الرهبان. وقال قتادة:

المتخذة في الصحراء ﴿وبيع﴾ هي معابد النصارى في البلد وقيل الصوامع للصابئين والبيع للنصارى ﴿وصلوات﴾ هي كنائس اليهود ويسمونها بالعبرانية صلوتاً ﴿ومساجد﴾ يعني مساجد المسلمين ﴿يذكر فيها اسم الله كثيراً﴾ يعني في المساجد. ومعنى الآية ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدم في شريعة كل نبي مكان صلواتهم فهدم في زمن موسى الكنائس وفي زمن عيسى البيع والصوامع وفي زمن محمد ﷺ المساجد ﴿ولينصرن الله من ينصره﴾ أي ينصر دينه ونبيه ﴿إنّ الله لقوي﴾ أي على نصر من ينصر دينه ﴿عزيز﴾ أي لا يضام ولا يمنع مما يريده. قوله عزّ وجلّ:

﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ۖ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿الذين إن مكناهم في الأرض﴾ أي نصرناهم على عدوهم تمكنوا من البلاد ﴿أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾ هذا وصف أصحاب محمد ﷺ وقيل: هم جميع هذه الأمة وقيل هم المهاجرون وهو الأصح لأنه قوله «الذين إن مكناهم» صفة لمن تقدم ذكرهم وهو قوله «الذين أخرجوا من ديارهم» وهم المهاجرون ﴿ولله عاقبة الأمور﴾ أي آخر أمور الخلق مصيرها إليه وذلك أنه يبطل فيها كل ملك سوى ملكه فتصير الأمور إليه بلا منازع. قوله تعالى ﴿وإن يكذبوك﴾ فيه تسلية وتعزية للنبيّ ﷺ والمعنى وإن كذبك قومك ﴿فقد كذبت قبلهم قوم نوح و عاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى﴾ فإن قلت لم قال وكذب موسى ولم يقل وقوم

صوامع الصابئن، ﴿ وبيَعٌ ﴾، يعني: بيع النصارى جمع بيعة وهي كنيسة النصارى، ﴿ وصلوات ﴾، يعني كنائس اليهود ويسمّونها بالعبرانية صلوتا، ﴿ ومساجد يُذكرُ فيها اسم الله كثيراً ﴾، يعني مساجد المسلمين من أمة محمد ﷺ، ومعنى الآية ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدم في شريعة كل نبي مكان صلاتهم، لهدم في زمن موسى الكنائس، وفي زمن عيسى البِيَع والصوامع، وفي زمن محمد ﷺ المساجد. وقال ابن زيد: أراد بالصلوات صلوات أهل الإسلام فإنها لا تنقطع إذا دخل العدو عليهم. ﴿ ولينصرنّ اللّهُ مَن ينصره ﴾، يعني: ينصر دينه ونبيّه، ﴿ إنّ الله لقوي عزيز ﴾.

﴿ الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ﴾، قال الزجّاج: هذا من صفة ناصريه ومعنى مكنّاهم نصرناهم على عدوّهم حتى يتمكّنوا في البلاد قال هم أصحاب محمد ﷺ. قال الحسن: هذه الأمة ﴿ ولله عاقبة الأمور ﴾، يعني: آخر أمور الخلق ومصيرهم إليه يعني يبطل كل ملك سوى ملكه فتصير الأمور إليه بلا منازع ولا مدّعٍ.

قوله تعالى: ﴿ وإن يكذبوك ﴾، يعزّي نبيّه ﷺ، ﴿ فقد كذّبت قبلهم قومُ نوحٍ وعادٌ وثمودُ ﴾.

﴿ وقومُ إبراهيمَ وقومُ لوطٍ ﴾.

موسى؟. قلت فيه وجهان أحدهما: أن موسى لم يكذبه قومه وهم بنو إسرائيل وإنما كذبه غير قومه وهو القبط الثاني: كأنه قيل بعد ما ذكرت تكذيب كل قوم رسولهم قال وكذب موسى أيضاً مع وضوح آياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره ﴿**فأمليت للكافرين**﴾ أي أمهلتهم وأخرت العقوبة عنهم ﴿**ثم أخذتهم**﴾ أي عاقبتهم ﴿**فكيف كان نكير**﴾ أي إنكاري عليهم ما فعلوا من التكذيب بالعذاب والهلاك يخوف به من خالف رسول الله ﷺ وكذبه. قوله عزّ وجلّ ﴿**فكأين من قرية أهلكتها**﴾ وقرىء أهلكناها على التعظيم ﴿**وهي ظالمة**﴾ أي وأهلها ظالمون ﴿**فهي خاوية**﴾ أي ساقطة ﴿**على عروشها**﴾ أي على سقوفها ﴿**وبئر معطلة**﴾ أي وكم من بئر معطلة أي متروكة مخلاة عن أهلها ﴿**وقصر مشيد**﴾ أي رفيع طويل عال وقيل مجصص وقيل إن البئر المعطلة والقصر المشيد باليمن. أما القصر فعلى قمة جبل والبئر في سفحه ولكل واحد منهما قوم كانوا في نعمة فكفروا فأهلكهم الله وبقي البئر والقصر خاليين. وقيل إن هذه البئر كانت بحضرموت في بلدة يقال لها: حاضوراء وذلك أن أربعة آلاف نفر ممن آمن بصالح عليه السلام لما نجوا من العذاب أتوا إلى حضرموت ومعهم صالح فلما حضروه مات صالح فسمي المكان حضرموت. لذلك ولما مات صالح بنو حاضوراء وقعدوا على هذه البئر وأمروا عليهم رجلاً منهم فأقاموا دهراً وتناسلوا حتى كثروا وعبدوا الأصنام وكفروا فأرسل الله تعالى إليهم نبياً يقال له حنظلة بن صفوان. وكان حمالاً فيهم فقتلوه في السوق فأهلكهم الله وعطلت بئرهم وخرب قصرهم. قوله تعالى ﴿**أفلم يسيروا في الأرض**﴾ يعني كفار مكة فينظروا إلى مصارع المكذبين من الأمم الخالية ﴿**فتكون لهم قلوب يعقلون بها**﴾ أي يعلمون بها ﴿**أو آذان يسمعون بها**﴾ يعني ما يذكر لهم من أخبار القرون

﴿ **وأصحاب مَدْيَنَ وكُذِّب موسى، فأمليتُ للكافرين** ﴾، يعني: أمهلتهم وأخّرت عقوبتهم، ﴿ **ثم أخذتُهم** ﴾، عاقبتُهم، ﴿ **فكيف كان نكير** ﴾، يعني: إنكاري، أي: كيف أنكرت عليهم ما فعلوا من التكذيب بالعذاب والهلاك يخوّف به مَن يُخالِفُ النبيَّ ﷺ ويكذبه.

﴿ **فكأيِّن** ﴾، فكم ﴿ **من قريةٍ أهلكناها** ﴾، بالتاء، هكذا قرأ أهل البصرة ويعقوب، وقرأ الآخرون ﴿ **أهلكناها** ﴾ بالنون والألف على التعظيم، ﴿ **وهي ظالمة** ﴾، يعني: وأهلها ظالمون، ﴿ **فهي خاوية** ﴾ ساقطة ﴿ **على عروشها** ﴾، على سقوفها، ﴿ **وبئرٍ مُعَطَّلةٍ** ﴾: يعني وكم من بئر معطّلة متروكة مخلاة عن أهلها ﴿ **وقصرٍ مَشِيْدٍ** ﴾، قال قتادة والضحاك ومقاتل: رفيع طويل، من قولهم شاد بناءه إذا رفعه. وقال سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء: مجصّص من مشيد، وهو الجص. وقيل: إن البئر المعطّلة والقصر المشيّد باليمن أما القصر فعلى قلّة جبل والبئر في سفحه، ولكل واحد منهما قوم كانوا في نعمة فكفروا فأهلكهم الله، وبقي البئر والقصر خاليين. وروى أبو روق عن الضحاك: أن هذه البئر كانت بحضرموت في بلدة يقال لها حاضوراء، وذلك أن أربعة آلاف نفر ممّن آمن بصالح نجوا من العذاب أتوا حضرموت ومعهم صالح فلما حضروه مات صالح، فسمي حضرموت لأن صالحاً لمّا حضره مات فبنوا حاضوراء وقعدوا على هذه البئر وأمّروا عليهم رجلاً فأقاموا دهراً وتناسلوا حتى كثروا، ثم إنّهم عبدوا الأصنام وكفروا فأرسل الله عليهم نبيّاً يقال له حنظلة بن صفوان كان حمّالاً فيهم فقتلوه في السوق فأهلكهم الله وعطّلت بئرهم وخربت قصورهم.

﴿ **أفلم يسيروا في الأرض** ﴾، يعني: كفّار مكة فينظروا إلى مصارع المكذبين من الأمم الخالية، ﴿ **فتكونَ لهم قلوبٌ يعقلون بها أو آذانٌ يسمعون بها** ﴾، يعني: ما يذكر لهم من أخبار القرون الماضية فيعتبرون بها، ﴿ **فإنها** ﴾، الهاء عماد، ﴿ **لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور** ﴾، ذكر التي في الصدور تأكيداً كقوله: ﴿ يطير بجناحيه ﴾ [الأنعام: ٣٨] معناه أن العمى الضارّ هو عمى القلب، فأمّا عمى البصر فليس بضارٍّ في

الماضية فيعتبرون بها ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ المعنى أن عمى القلب هو الضار في أمر الدين لا عمى البصر لأن البصر الظاهر بلغة ومتعة وبصر القلوب النافع ﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ نزلت في النضر بن الحارث ﴿ولن يخلف الله وعده﴾ أي إنه أنجز ذلك يوم بدر ﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ قال ابن عباس: يعني يوماً من الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض. وقيل يوماً من أيام الآخرة يدل عليه ما روي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ «أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك مقدار خمسمائة سنة» أخرجه أبو داود بزيادة فيه وأخرج الترمذي نحوه ومعنى الآية أنهم يستعجلون بالعذاب وإن يوماً من أيام عذابهم في الآخرة كألف سنة. وقيل إن يوماً من أيام العذاب في الثقل والاستطالة كألف سنة فكيف يستعجلونه وقيل معناه أن يوماً عنده وألف سنة في الإمهال سواء لأنه قادر متى شاء أخذهم لا يفوته شيء بالتأخير فيستوي في قدرته وقوع ما يستعجلونه من العذاب وتأخيره وهذا معنى قول ابن عباس.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾

﴿وكأين من قرية أمليت لها﴾ يعني أمهلتها ﴿وهي ظالمة﴾ يعني مع استمرار أهلها على الظلم ﴿ثم أخذتها﴾

أمر الدين، قال قتادة: البصر الظاهر بلغة ومتعة وبصر القلب هو البصر النافع.

﴿ ويستعجلونك بالعذاب ﴾، نزلت في النضر بن الحارث حيث قال: إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء. ﴿ ولن يخلف الله وعده ﴾، فأنجز ذلك يوم بدر. ﴿ وإنّ يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدّون ﴾، قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي يعدّون بالياء ههنا لقوله: ﴿ يستعجلونك ﴾، وقرأ الباقون بالتاء لأنه أعمّ لأنه خطاب للمستعجلين والمؤمنين واتفقوا في تنزيل السجدة [٥] أنه بالتاء، قال ابن عباس: يعني يوماً من الأيام الستّة التي خلق الله فيها السموات والأرض. وقال مجاهد وعكرمة: يوماً من أيام الآخرة، والدليل عليه ما رُوِيَ عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أبشروا يا معاشر صعاليك المهاجرين بالنور التامّ يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك مقدار خمسمائة سنة» قال ابن زيد: ﴿ وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدّون ﴾ هذه أيام الآخرة. وقوله: ﴿ مقداره خمسين ألف سنة ﴾ [المعارج: ٤] ﴿ مما تعدّون ﴾ [السجدة: ٥] يوم القيامة. والمعنى على هذا أنهم يستعجلون بالعذاب، وإن يوماً من أيام عذابهم في الآخرة ألف سنة. وقيل: معناه وإن يوماً من أيام العذاب الذي استعجلوه في الثقل والاستطالة والشدّة كألف سنة مما تعدّون، فكيف تستعجلونه هذا؟ كما يقال: أيام الهموم طوال، وأيام السرور قِصار. وقيل: معناه إن يوماً عنده وألف سنة في الإمهال سواء لأنه قادر متى شاء أخذهم لا يفوته شيء بالتأخير فيستوي في قدرته وقوع ما يستعجلون به من العذاب وتأخّره، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء.

﴿ وكأيّن من قرية أمليتُ لها ﴾، يعني أمهلتها، ﴿ وهي ظالمة ثم أخذتها وإليّ المصير ﴾.

يعني أنزلت بهم العذاب ﴿وإلي المصير﴾ يعني مصيرهم إلي في الآخرة ففيه وعيد وتهديد. قوله عزّ وجلّ ﴿**قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين**﴾ أمر رسول الله أن يديم لهم التخويف والإنذار وأن يقول لهم إنما بعثت لكم منذراً ﴿**فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم**﴾ لما أمر الله الرسول ﷺ بأن يقول «إنما أنا نذير مبين» أردف ذلك بأن أمره بوعد من آمن ووعيد من عصى فقال «فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة» يعني ستر لصغائر ذنوبهم وقيل للكبائر أيضاً مع التوبة ورزق كريم يعني لا ينقطع أبداً وقيل هو الجنة ﴿**والذين سعوا في آياتنا**﴾ يعني عملوا في إبطال آياتنا ﴿**معاجزين**﴾ يعني مثبطين الناس عن الإيمان وقرىء معاجزين يعني معاندين مشاقين وقيل معناه ظانين ومقدرين أنهم يعجزوننا ويفوتوننا فلا نقدر عليهم بزعمهم أن لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار ﴿**أولئك أصحاب الجحيم**﴾ قوله تعالى ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته**﴾ قال ابن عباس وغيره من المفسرين: لما رأى رسول الله ﷺ تولي قومه عنه وشق عليه ما رأى من مباعدتهم عما جاءهم به من الله تعالى تمنى في نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب بينه وبين قومه لحرصه على إيمانهم فكان يوماً في مجلس لقريش فأنزل الله عزّ وجلّ سورة والنجم فقرأها رسول الله ﷺ حتى بلغ «أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى» ألقى الشيطان على لسانه ما كان يحدث به نفسه ويتمناه تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى. فلما سمعت قريش ذلك فرحوا به ومضى رسول الله ﷺ في قراءته فقرأ السورة كلها وسجد في آخرها وسجد المسلمون بسجوده وسجد جميع من في المسجد من المشركين فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد غير الوليد بن المغيرة وأبي أحيحة سعيد بن العاص فإنهما أخذا حفنة من البطحاء ورفعاها إلى جبهتهما وسجدا عليها لأنهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود وتفرقت قريش وقد سرّهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم ويقولون قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر وقالوا: قد عرفنا أن الله يحيي ويميت ويرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده فإن جعل لها محمد نصيباً فنحن معه فلما

﴿ **قلْ يا أيها الناس إنّما أنا لكم نذير مبين** ﴾.

﴿ **فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم** ﴾، الرزق الكريم الذي لا ينقطع أبداً. وقيل: هو الجنة.

﴿ **والذين سعوا في آياتنا** ﴾، يعني عملوا في إبطال آياتنا، ﴿ **معاجزين** ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو (معجّزين) بالتشديد ههنا وفي سورة سبأ [٥] يعني مثبطين الناس عن الإيمان، وقرأ الآخرونِ ﴿**معاجزين**﴾ بالألف يعني معاندين مشاقّين. وقال قتادة: معناه ظانّين ومقدّرين أنهم يعجزوننا بزعمهم أن لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار، ومعنى يعجزوننا أي يفوتوننا فلا نقدر عليهم. وهذا كقوله تعالى: ﴿ أمْ حسَبَ الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ﴾ [العنكبوت: ٤]، ﴿ **أولئك أصحاب الجحيم** ﴾، وقيل: معاجزين مغالبين يريد كل واحد أن يُظهر عجز بصاحبه.

قوله تعالى: ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلّا إذا تمنّى الشيطان في أُمنيته** ﴾، الآية. قال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي وغيرهما من المفسّرين: لمّا رأى رسول الله ﷺ توليَ قومه عنه وشقّ عليه ما رأى من مباعدتهم عمّا جاءهم به من الله تمنّى في نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب بينه وبين قومه لحرصه على إيمانهم، فكان يوماً في مجلس لقريش فأنزل الله تعالى سورة والنجم فقرأها رسول الله ﷺ حتى بلغ قوله: ﴿ أفرأيتم اللاّت والعزّى ومناة الثالثة الأخرى ﴾ [النجم: ١٩ و٢٠] ألقى الشيطان على لسانه بما كان يحدّث به نفسه ويتمناه: تلك الغرانيق العلى وإنّ شفاعتهنّ لتُرتجى فلما سمعت قريش ذلك فرحوا به ومضى رسول الله ﷺ في قراءته، فقرأ السورة كلها وسجد في آخر السورة فسجد المسلمون بسجوده وسجد جميع مَن في المسجد من المشركين، فلم يبقَ في المسجد مؤمن ولا كافر إلّا سجد إلّا الوليد بن المغيرة وأبو أُحيحة سعيد بن العاص فإنهما أخذا حفنة من البطحاء ورفعاها

أمسى رسول الله ﷺ أتاه جبريل فقال: يا محمد ماذا صنعت؟ لقد تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله تعالى فحزن رسول الله ﷺ حزناً شديداً وخاف من الله تعالى خوفاً كبيراً فأنزل الله تعالى هذه الآية يعزيه وكان به رحيماً وسمع بذلك من كان بأرض الحبشة من أصحاب النبيّ ﷺ. وبلغهم سجود قريش وقيل قد أسلمت قريش وأهل مكة فرجع أكثرهم إلى عشائرهم وقالوا: هم أحب إلينا حتى إذا دنوا من مكة بلغهم أن الذي كانوا يحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلاً فلم يدخل أحد منهم إلاّ بجوار أو مستخفياً. فلما نزلت هذه الآية قالت قريش: ندم محمد على ما ذكر من منزلة آلهتنا عند الله فغير ذلك وكان الحرفان اللذان ألقى الشيطان على لسان رسول الله ﷺ قد وقعا في فم كل مشرك فازدادوا شراً إلى ما كانوا عليه وشدة على من أسلم وقوله ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول**﴾ الرسول هو الذي يأتيه جبريل بالوحي عياناً ﴿**ولا نبي**﴾ النبي هو الذي تكون نبوته إلهاماً، أو مناماً فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً إلا إذا تمنى يعني أحب شيئاً واشتهاه وحدث به نفسه مما لم يؤمر به ﴿**ألقى الشيطان في أمنيته**﴾ يعني في مراده وقال ابن عباس: إذا حدّث ألقى الشيطان في حديثه ووجد إليه سبيلاً. والمعنى ما من نبي «إلا تمنى» أن يؤمن قومه ولم يتمن ذلك نبي إلا ألقى الشيطان عليه ما يرضى قومه فينسخ الله ما يلقي الشيطان. وقال أكثر المفسرين معنى تمنى قرأ وتلا كتاب الله ألقى الشيطان في أمنيته يعني في تلاوته قال حسان في عثمان حين قتل:

تمنى كتاب الله أول ليلة وآخرها لاقى حمام المقادر

فإن قلت: قد قامت الدلائل على صدقة وأجمعت الأمة فيما كان طريقه البلاغ أنه معصوم فيه من الإخبار عن شيء منه بخلاف ما هو به لا قصداً ولا عمداً ولا سهواً ولا غلطاً قال الله تعالى: ﴿**وما ينطق عن الهوى**﴾ وقال تعالى: ﴿**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد**﴾ فكيف يجوز الغلط على النبيّ ﷺ في التلاوة وهو معصوم منه؟. قلت ذكر العلماء عن هذا الإشكال أجوبة: أحدها: توهين أصل هذه القصة وذلك أنه لم يروها أحد من

إلى جبهتيهما وسجدا عليها لأنهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود، وتفرقت قريش وقد سرّهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم ويقولون قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر، وقالوا قد عرفنا أن الله يحيي ويميت ويخلق ويرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده، فإن جعل لها محمد نصيباً فنحن معه، فلما أمسى رسول الله ﷺ أتاه جبريل فقال: يا محمد ماذا صنعت لقد تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله عزّ وجلّ فحزن رسول الله ﷺ حزناً شديداً وخاف من الله خوفاً كثيراً فأنزل الله هذه الآية يعزّيه وكان به رحيماً، وسمع بذلك مَن كان بأرض الحبشة من أصحاب النبي ﷺ وبلغهم سجود قريش. وقيل: أسلمت قريش وأهل مكة فرجع أكثرهم إلى عشائرهم، وقالوا: هم أحبّ إلينا حتى إذا دنوا من مكة بلغهم أن الذي كانوا يحدثونه من إسلام أهل مكة كان باطلاً فلم يدخل أحد إلاّ بجوار أو مستخفياً فلما نزلت هذه الآية قالت قريش: ندم محمد على ما ذكر من منزلة آلهتنا عند الله فغيّر ذلك وكان الحرفان اللذان ألقى الشيطان على لسان رسول الله ﷺ قد وقعا في فم كل مشرك فازدادوا شرّاً إلى ما كانوا عليه، وشدّة على مَن أسلم، قال الله تعالى: ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول** ﴾ وهو الذي يأتيه جبريل بالوحي عياناً، ولا نبي، وهو الذي يكون نبوّته إلهاماً أو مناماً، وكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً. إلاّ إذا تمنى، قال بعضهم: أي: أحب شيئاً واشتهاه وحدّث به نفسه مما لم يؤمر به ألقى الشيطان في أمنيته يعني مراده. وعن ابن عباس قال: إذا حدّث ألقى الشيطان في حديثه ما وجد إليه سبيلاً، وما من نبي إلاّ تمنى أن يؤمن به قومه ولم يتمنى ذلك نبي إلاّ ألقى الشيطان عليه ما يرضى به قومه فينسخ الله ما يلقي الشيطان. وأكثر المفسّرين قالوا: معنى قوله: ﴿ **تمنى** ﴾ يعني تلا وقرأ كتاب الله تعالى ألقى الشيطان في أُمنيته يعني في تلاوته، قال الشاعر في عثمان حين قتل:

تمنّى كتابَ الله أوّلَ ليلةٍ وآخرها لاقى حمامَ المقادر

أهل الصحة ولا أسندها ثقة بسند صحيح أو سليم متصل وإنما رواها المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب الملفقون من الصحف كل صحيح وسقيم والذي يدل على ضعيف هذه القصة اضطراب رواتها وانقطاع سندها واختلاف ألفاظها فقائل يقول إنّ النبيّ ﷺ كان في الصلاة وآخر يقول قرأها وهو في نادي قومه وآخر يقول قرأها وقد أصابته سنة وآخر يقول بل حدث نفسه بها فجرى ذلك على لسانه وآخر يقول إن الشيطان قالها على لسان النبيّ ﷺ وإن النبي ﷺ لمّا عرضها على جبريل قال ما هكذا أقرأتك إلى غير ذلك من اختلاف ألفاظها والذي جاء في الصحيح من حديث عبد الله بن مسعود أن النبيّ ﷺ قرأ والنجم فسجد فيها وسجد من كان معه غير أن شيخاً من قريش أخذ كفاً من حصى أو تراب فرفعه إلى جبهته قال عبد الله فلقد رأيته بعد قتل كافراً». أخرجه البخاري ومسلم وصح من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ «سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس». رواه البخاري فهذا الذي جاء في الصحيح لم يذكر فيه أن النبيّ ﷺ ذكر تلك الألفاظ ولا قرأها والذي ذكره المفسرون عن ابن عباس في هذه القصة. فقد رواه عنه الكلبي وهو ضعيف جداً فهذا توهين هذه القصة الجواب الثاني: وهو من حيث المعنى هو أنّ الحجة قد قامت بالدليل الصحيح وإجماع الأمة على عصمة النبيّ ﷺ ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة وهو تمنيه أن ينزل عليه مدح إلٰه غير الله أو أن يتسور عليه الشيطان ويشبه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه حتى نبهه جبريل عن ذلك فهذا كله ممتنع في حقه ﷺ قال الله عزّ وجلّ «ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين».

الآية الجواب الثالث: في تسليم وقوع هذه القصة وسبب سجود الكفار أن النبيّ ﷺ كان إذا قرأ يرتل القرآن ترتيلاً ويفصل الآي تفصيلاً كما صح عنه في قراءته فيحتمل أن الشيطان ترصد لتلك السكنات فدس فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكياً لصوت النبيّ ﷺ، فسمعه من دنا منه من الكفار فظنوها من قول النبيّ ﷺ فسجدوا معه لسجوده فأما المسلمون فلم يقدح ذلك عندهم لتحققهم من حال النبيّ ﷺ ذم الأوثان وعيبها وإنهم كانوا يحفظون السورة كما أولها الله عزّ وجلّ الجواب الرابع: في تحقيق تفسير الآية وقد تقدم أنّ التمني يكون بمعنى حديث النفس وبمعنى التلاوة فعلى الأول: يكون معنى قوله ﴿إلاّ إذا تمنى﴾ أي خطر بباله وتمنى بقلبه بعض الأمور ولا يبعد أنه إذا قوي التمني اشتغل الخاطر فحصل السهو في الأفعال الظاهرة وعلى الثاني: وهو تفسير التمني بالتلاوة فيكون معنى قوله «إلا إذا تمنى» أي تلا وهو ما يقع للنبيّ ﷺ من السهو في إسقاط آية أو آيات أو كلمة أو نحو ذلك ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به للوقت والحين كما صح في الحديث «لقد أذكرني كذا كذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا» وحاصل هذا أن الغرض من هذه الآية أن الأنبياء والرسل وإن عصمهم الله عن الخطأ في العلم فلم يعصمهم من جواز السهو عليهم بل حالهم في ذلك كحال سائر البشر والله تعالى أعلم. قوله عزّ وجلّ ﴿فينسخ الله ما يلقي الشيطان﴾ أي يبطله ويذهبه ﴿ثم يحكم الله آياته﴾ أي يثبتها ﴿والله عليم حكيم﴾ قوله عزّ وجلّ ﴿ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة﴾ أي

واختلفوا في أنه هل كان يقرأ في الصلاة أو في غير الصلاة، فقال قوم: كان يقرأ في الصلاة. وقال قوم: كان يقرأ في غير الصلاة. فإن قيل كيف يجوز الغلط في التلاوة على النبي ﷺ وكان معصوماً من الغلط في أصل الدين وقال جلّ ذكره في القرآن: ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾ [فصّلت: ٤٢] يعني إبليس؟ قيل: قد اختلف الناس في الجواب عنه فقال بعضهم: إن الرسول ﷺ لم يقرأ ولكن الشيطان ذكر ذلك بين قراءته فظن المشركون أن الرسول ﷺ قرأه وقرّأه. وقال قتادة: أُغفي النبي ﷺ إغفاءةً فجرى ذلك على لسانه بإلقاء الشيطان ولم يكن له خبر، والأكثرون قالوا: جرى ذلك على لسانه بإلقاء الشيطان على سبيل السهو والنسيان ولم يلبث أن نبّهه الله عليه وقيل: إن شيطاناً يقال له أبيض عمل هذا العمل، وكان ذلك فتنة ومحنة من الله تعالى والله تعالى يمتحن عباده بما يشاء ﴿ فينسخ الله ما يلقي الشيطان ﴾ أي: يُبطله ويُذهِبه، ﴿ ثم يُحكم الله آياته ﴾، فيثبتها، ﴿ والله عليم حكيم ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة ﴾، أي: محنة وبليّة، ﴿ للذين في قلوبهم مرض ﴾، شك ونفاق،

محنة وبلية والله تعالى يمتحن عباده بما يشاء ﴿للذين في قلوبهم مرض﴾ أي شك ونفاق ﴿والقاسية قلوبهم﴾ أي الجافية قلوبهم عن قبول الحق وهم المشركون ﴿وإن الظالمين لفي شقاق بعيد﴾ أي في خلاف شديد.

وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾

﴿وليعلم الذين أوتوا العلم﴾ أي التوحيد والقرآن والتصديق ينسخ الله ما يشاء ﴿أنه الحق من ربك﴾ أي الذي أحكم الله من آيات القرآن هو الحق من ربك ﴿فيؤمنوا به﴾ أي يعتقدوا أنه من الله عزّ وجلّ ﴿فتخبت له قلوبهم﴾ أي تسكن إليه ﴿وإن الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم﴾ أي إلى طريق قويم وهو الإسلام. قوله عزّ وجلّ ﴿ولا يزال الذين كفروا في مرية منه﴾ أي في شك من القرآن وقيل من الدين الذي هو صراط مستقيم ﴿حتى تأتيهم الساعة بغتة﴾ أي فجأة وقيل أراد بالساعة الموت ﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾ أي عذاب يوم لا ليلة له وهو يوم القيامة وقيل هو يوم بدر سمي عقيماً لأنه لم يكن في ذلك اليوم للكفار خير كالريح العقيم لا تأتي بخير وقيل لأنه لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه ﴿الملك يومئذ﴾ يعني يوم القيامة ﴿لله﴾ وحده من غير منازع ولا مشارك فيه ﴿يحكم﴾ أي يفصل ﴿بينهم﴾ ثم بين ذلك الحكم فقال تعالى ﴿فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا

﴿ والقاسية ﴾، يعني: الجافية، ﴿ قلوبهم ﴾، عن قبول الحق وهم المشركون، وذلك أنهم افتتنوا لمّا سمعوا ذلك، ثم نُسخ ورفع فازدادوا عُتوّاً، وظنوا أن محمداً يقوله من تلقاء نفسه ثم يندم فيبطل، ﴿ وإنّ الظالمين ﴾، المشركين، ﴿ لفي شقاق ﴾، ضلال، ﴿ بعيد ﴾ أي: في خلاف شديد.

﴿ وليعلم الذين أُوتوا العلم ﴾، التوحيد والقرآن. وقال السدي: التصديق بنسخ الله تعالى، ﴿ أنه ﴾، يعني: الذي أحكم الله من آيات القرآن هو ﴿ الحق من ربك فيؤمنوا به ﴾، أي: يعتقدوا أنه من الله، ﴿ فتخبت له قلوبهم ﴾، يعني: فتسكن إليه قلوبهم، ﴿ وإنّ الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم ﴾، أي: طريق قويم هو الإسلام.

﴿ ولا يزال الذين كفروا في مرية منه ﴾، يعني في شكٍّ مما ألقى الشيطان على لسان رسول الله ﷺ يقولون: ما باله ذكرها بخير ثم ارتدّ عنها. وقال ابن جريج: منه أي من القرآن. وقيل: من الدين وهو الصراط المستقيم. ﴿ حتى تأتيهم الساعةُ بغتةً ﴾، يعني: القيامة. وقيل: الموت، ﴿ أو يأتيهم عذابُ يوم عقيم ﴾، قال الضحاك وعكرمة: عذاب يوم لا ليلة له وهو يوم القيامة. والأكثرون على أن اليوم العقيم يوم بدر لأنه ذكر الساعة من قبل وهو يوم القيامة. وسُمّي يوم بدر عقيماً لأنه لم يكن في ذلك اليوم للكفّار خير، كالريح العقيم التي لا تأتي بغير سحاب ولا مطر، والعقم في اللغة: المنع، يقال: رجل عقيم إذا مُنِع من الولد، وقيل: لأنه لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه. وقال ابن جريج: لأنهم لم يُنظروا فيه إلى الليل حتى قتلوا قبل المساء.

﴿ الملك يومئذ ﴾، يعني يوم القيامة، ﴿ لله ﴾، من غير منازع، ﴿ يحكم بينهم ﴾، ثم بيّن الحكم، فقال

وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين﴾. قوله تعالى ﴿والذين هاجروا في سبيل الله﴾ أي فارقوا أوطانهم وعشائرهم في طاعة الله وطلب رضاه ﴿ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقاً حسناً﴾ أي لا ينقطع أبداً وهو رزق الجنة لأنه فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ﴿وإن الله لهو خير الرازقين﴾ فإن قلت الرازق في الحقيقة هو الله عزّ وجلّ لا رازق للخلق غيره فكيف قال وإن الله لهو خير الرازقين. قلت قد يسمى غير الله رازقاً على المجاز كقوله رزق السلطان الجند أي أعطاهم أرزاقهم وإن الرزاق في الحقيقة هو الله تعالى وقيل لأنه الله تعالى يعطي الرزق ما لا يقدر عليه غيره.

لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا
عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى
ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ
مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً
فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ
ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن
تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ
يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ
إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ
إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن
نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾

﴿ليدخلنهم مدخلاً يرضونه﴾ يعني الجنة يكرمون به ولا ينالهم فيه مكروه ﴿وإن الله لعليم﴾ بنياتهم ﴿حليم﴾ بالعفو عنهم. قوله عزّ وجلّ ﴿ذلك﴾ أي الأمر ذلك الذي قصصنا عليك ﴿ومن عاقب بمثل ما عوقب به﴾ يعني جازى الظالم بمثل ظلمه وقيل يعني قاتل المشركين كما قاتلوه ﴿ثم بغى عليه﴾ يعني ظلم بإخراجه من منزله يعني ما أتاه

تعالى: ﴿ فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم ﴾.

﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين ﴾.

﴿ والذين هاجروا في سبيل الله ﴾، فارقوا أوطانهم وعشائرهم في طاعة الله وطلب رضاه، ﴿ ثم قتلوا أو ماتوا ﴾، وهم كذلك، قرأ ابن عامر ﴿ قتلوا ﴾ بالتشديد ﴿ ليرزقنّهم الله رزقاً حسناً ﴾، والرزق الحسن الذي لا ينقطع أبداً وهو رزق الجنة، ﴿ وإنّ الله لهو خير الرازقين ﴾، قيل: هو قوله: ﴿ بل أحياء عند ربهم يُرزقون ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

﴿ ليدخلنّهم مُدْخلاً يرضونه ﴾، لأن لهم فيه ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين، ﴿ وإن الله لعليم ﴾، بنيّاتهم، ﴿ حليم ﴾، عنهم.

المشركون من البغي على المسلمين حتى أحوجوهم إلى مفارقة أوطانهم نزلت في قوم من المشركين أتوا قوماً من المسلممن لليلتين بقيتا في المحرم فكره المسلمون قتالهم وسألوهم أن يكفوا عن القتال من أجل الشهر الحرام فأبى المشركون وقاتلوهم فذلك بغيهم عليهم وثبت المسلمون فنصرهم الله عليهم فذلك قوله تعالى ﴿لينصرنه الله إنّ الله لعفو﴾ يعني عن مساوي المؤمنين ﴿غفور﴾ يعني لذنوبهم ﴿ذلك﴾ يعني ذلك النصر ﴿بأن الله﴾ القادر على ما يشاء فمن قدرته أنه ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾ في معنى هذا الإيلاج قولان، أحدهما: أنه يجعل ظلمة الليل مكان ضياء النهار وذلك بغيبوبة الشمس ويجعل ضياء النهار مكان ظلمة الليل بطلوع الشمس. القول الثاني: هو ما يزيد في أحدهما وينقص من الآخر من الساعات وذلك لا يقدر عليه إلا الله تعالى ﴿وأن الله سميع بصير ذلك بأن الله هو الحق﴾ أي ذو الحق في قوله وفعله، ودينه حق وعبادته حق ﴿وأن ما يدعون﴾ يعني المشركين ﴿من دونه هو الباطل﴾ يعني الأصنام التي ليس عندها ضر ولا نفع ﴿وأن الله هو العلي﴾ أي العالي على كل شيء ﴿الكبير﴾ أي العظيم في قدرته وسلطانه. قوله عزّ وجلّ ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة﴾ يعني بالنبات ﴿إن الله لطيف﴾ يعني باستخراج النبات من الأرض رزقاً للعباد والحيوان ﴿خبير﴾ يعني بما في قلوب العباد إذا تأخر المطر عنهم ﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾ يعني عبيداً وملكاً ﴿وإن الله لهو الغني الحميد﴾ يعني الغني عن عباده الحميد في أفعاله ﴿ألم تر أنّ الله سخر لكم ما في الأرض﴾ يعني الدواب التي تركب في البر ﴿والفلك﴾ أي وسخر لكم السفن ﴿تجري في البحر بأمره﴾ يعني سخر لها الماء والرياح ولولا ذلك ما جرت ﴿ويمسك السماء أن تقع﴾ أي

﴿ ذلك ﴾، يعني: الأمر ذلك الذي قصصنا عليكم، ﴿ ومَن عاقب بمثل ما عُوقِبَ به ﴾، جازى الظالم بمثل ظلمه. قال الحسن: يعني قاتل المشركين كما قاتلوه، ﴿ ثم بُغِيَ عليه ﴾، يعني ظلم بإخراجه من منزله يعني، ما آتاه المشركون من البغي على المسلمين حتى أحوجوهم إلى مفارقة أوطانهم، نزلت في قوم من المشركين أتوا قوماً من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرّم فكره المسلمون قتالهم وسألوهم أن يكفّوا عن القتال من أجل الشهر الحرام فأبى المشركون وقاتلوهم فذلك بغيهم عليهم، وثبت المسلمون لهم فنُصروا عليهم، قال الله تعالى: ﴿ لَيَنصرنّه اللّهُ ﴾، والعقاب الأول بمعنى الجزاء، ﴿ إنّ الله لعفوّ غفور ﴾، عفا عن مساوىء المؤمنين وغفر لهم ذنوبهم.

﴿ ذلك ﴾ يعني ذلك النصر ﴿ بأن الله ﴾، القادر على ما يشاء فمن قدرته أنه، ﴿ يُولج الليلَ في النهار ويُولج النهارَ في الليل وأن الله سميع بصير ﴾.

﴿ ذلك بأن الله هو الحقُّ وإنّ ما يدعون ﴾، قرأ أهل البصرة وحمزة والكسائي وحفص بالياء وقرأ الآخرون بالتاء، يعني المشركين، ﴿ من دونه هو الباطل وأنّ الله هو العليُّ ﴾، العالي على كل شيء، ﴿ الكبير ﴾، العظيم الذي كل شيء دونه.

﴿ ألم ترَ أن الله أنزل من السماء ماءً فتصبحُ الأرضُ مخضرّةً ﴾، بالنبات، ﴿ إنّ اللّهَ لطيفٌ ﴾، بأرزاق عباده واستخرج النبات من الأرض، ﴿ خبير ﴾، بما في قلوب العباد إذا تأخّر المطر عنهم.

﴿ له ما في السموات وما في الأرض ﴾، عبيداً ومُلْكاً، ﴿ وإنّ الله لهو الغني ﴾، عن عباده، ﴿ الحميد ﴾، في أفعاله.

﴿ أَلَم تَرَ أن الله سخّرَ لكم ما في الأرض والفُلْكَ ﴾ يعني وسخّر لكم الفلك، ﴿ تجري في البحر بأمره ﴾، وقيل: ما في الأرض الدواب التي تركب في البرّ، والفلك التي تركب في البحر، ﴿ ويمسك السماء أن تقعَ على الأرض ﴾، لكيلا تسقط على الأرض، ﴿ إلّا بإذنه إنّ الله بالناس لرؤوف رحيم ﴾.

لكيلا تسقط ﴿على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ يعني أنه أنعم بهذه النعم الجامعة بمنافع الدنيا والدين وقد بلغ الغاية في الإنعام والإحسان فهو إذن رؤوف رحيم بكم ﴿وهو الذي أحياكم﴾ أي أنشأكم ولم تكونوا شيئاً ﴿ثم يميتكم﴾ أي عند انقضاء آجالكم ﴿ثم يحييكم﴾ أي يوم البعث للثواب والعقاب ﴿إن الإنسان لكفور﴾ أي لجحود لنعم الله عزّ وجلّ. قوله تعالى ﴿لكل أمة جعلنا منسكاً﴾ قال ابن عباس شريعة ﴿هم ناسكوه﴾ هم عاملون بها وعنه أنه قال عيداً وقيل موضع قربان يذبحون فيه وقيل موضع عبادة ﴿فلا ينازعنك في الأمر﴾ أي في أمر الذبائح نزلت في بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان ويزيد بن خنيس قالوا لأصحاب النبيّ ﷺ: ما لكم تأكلون مما تقتلون بأيديكم ولا تأكلون مما قتله الله؟ وقيل معناه لا تنازعهم أنت. قوله تعالى ﴿وادع إلى ربك﴾ أي إلى الإيمان به وإلى دينه ﴿إنك لعلى هدى مستقيم﴾ أي على دين واضح قويم ﴿وإن جادلوك﴾ يعني خاصموك في أمر الذبح وغيره ﴿فقل الله أعلم بما تعملون﴾ أي من التكذيب ﴿الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون﴾ يعني فتعلمون حينئذٍ الحق من الباطل وقيل حكم يوم القيامة يتردّد بين جنة وثواب لمن قبل وبين نار وعقاب لمن رد وأبى. قوله عزّ وجلّ ﴿ألم تعلم﴾ الخطاب للنبيّ ﷺ ويدخل فيه الأمة ﴿أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب﴾ يعني في اللوح المحفوظ ﴿إن ذلك﴾ يعني علمه بجميعه ﴿على الله يسير﴾ أي هين وقيل: إن كتب الحوادث مع أنها من الغيب على الله يسير ﴿ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً﴾ يعني حجة ظاهرة من دليل سمعي ﴿وما ليس لهم به علم﴾ يعني أنهم فعلوا ما فعلوه عن جهل لا عن علم ولا دليل عقلي ﴿وما للظالمين﴾ يعني المشركين ﴿من نصير﴾ يعني مانع يمنعهم من العذاب.

﴿ وهو الذي أحياكم ﴾، يعني: أنشأكم ولم تكونوا شيئاً، ﴿ ثم يُميتكم ﴾، عند انقضاء آجالكم، ﴿ ثم يحييكم ﴾، يوم البعث للثواب والعقاب، ﴿ إنّ الإنسان لكفور ﴾، لنعم الله.

﴿ لكل أُمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه﴾، قال ابن عباس: يعني شريعة هم عاملون بها. ورُوِيَ عنه أنه قال: عيداً. قال قتادة ومجاهد: موضع قربان يذبحون فيه. وقيل: موضع عبادة. وقيل: مَألفاً يألفونه. والمنسك في كلام العرب: الموضع المعتاد لعمل خير أو شرّ، ومنه مناسك الحج لتردد الناس إلى أماكن أعمال الحج. ﴿ فلا ينازعنّك في الأمر ﴾، يعني في أمر الذبائح. نزلت في بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان ويزيد بن خنيس قالوا لأصحاب النبي ﷺ ما لكم تأكلون مما تقتلون بأيديكم ولا تأكلون مما قتله الله؟ قال الزجّاج: معنى قوله: ﴿ لا ينازعنّك ﴾ أي: لا تنازعهم أنت، كما يقال: لا يخاصمك فلان، أي، لا تخاصمه، وهذا جائز فيما يكون بين الاثنين، ولا يجوز لا يضربنّك فلان وأنت تريد لا تضربه وذلك أن المنازعة والمخاصمة لا تتم إلا باثنين، فإذا ترك أحدهما فلا مخاصمة هناك. ﴿ وادْعُ إلى ربِّك ﴾، إلى الإيمان بربّك، ﴿ إنّك لعلى هدىً مستقيم ﴾.

﴿ وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون ﴾.

﴿ اللّهُ يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون ﴾، فتعرفون حينئذ الحق من الباطل. والاختلاف ذهاب كل واحد من الخصمين إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر.

﴿ ألم تعلم أنّ الله يعلم ما في السماء والأرض إنّ ذلك ﴾، كله، ﴿ في كتاب ﴾، يعني اللوح المحفوظ، ﴿ إن ذلك ﴾ يعني: علمه لجميع ذلك، ﴿ على الله يسير ﴾.

﴿ ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً ﴾، حجة وبرهاناً، ﴿ وما ليس لهم به علم ﴾، يعني أنهم فعلوا ما فعلوا عن جهل لا عن علم، ﴿ وما للظالمين ﴾، للمشركين، ﴿ من نصير ﴾، مانع يمنعهم من عذاب الله.

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ
بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ
ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا
وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟
ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾

﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات﴾ يعني القرآن وصفه بذلك لأنه فيه بيان الأحكام والفصل بين الحلال والحرام **﴿تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر﴾** يعني الإنكار والكراهية يتبين ذلك في وجوههم **﴿يكادون يسطون﴾** يعني يقعون ويبسطون إليكم أيديهم بالسوء وقيل يبطشوه **﴿بالذين يتلون عليهم آياتنا﴾** أي بمحمد وأصحابه من شدة الغيظ **﴿قل﴾** يعني قل لهم يا محمد **﴿أفأنبئكم بشر من ذلكم﴾** يعني بشر لكم وأكره إليكم من هذا القرآن الذي تستمعون **﴿النار﴾** يعني هي النار **﴿وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير﴾** قوله تعالى **﴿يا أيها الناس ضرب مثل﴾** فإن قلت الذي جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلاً. قلت لما كان المثل في الأكثر نكتة عجيبة غريبة جاز أن يسمى كل كلام كان كذلك مثلاً. وقال في الكشاف قد سميت الصفة والقصة الرائقة المتلقاة بالاستحسان والاستغراب مثلاً تشبيهاً لها ببعض الأمثال المسيرة لكونها مسيرة عندهم مستحسنة مستغربة **﴿فاستمعوا له﴾** يعني تدبروه حق تدبره فإنّ الاستماع بلا تدبر وتعقل لا ينفع والمعنى جعل لي شبيه وشبه به الأوثان أي جعل المشركون الأصنام شركائي يعبدونها ثم بين

﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بيّنات ﴾، يعني: القرآن، **﴿ تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر ﴾**، يعني الإنكار يتبين ذلك في وجوههم من الكراهية والعبوس، **﴿ يكادون يَسْطُون ﴾**، يعني: يقعون ويبسطون إليكم أيديهم بالسوء. وقيل: يبطشون، **﴿ بالذين يتلون عليهم آياتنا ﴾**، يعني: بمحمد وأصحابه من شدّة الغيظ. يقال: سطا عليه وسطا به إذا تناوله بالبطش والعنف، وأصل السطو القهر. **﴿ قل ﴾**، يا محمد، **﴿ أفأنبئكم بشر من ذلكم ﴾**، يعني بشرٍّ لكم وأكره إليكم من القرآن الذي تستمعون، **﴿ النار ﴾** يعني: هي النار، **﴿ وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير ﴾**.

﴿ يا أيها الناس ضُرب مثل ﴾، معنى: ضرب جعل كقولهم ضرب السلطان البعث على الناس وضرب الجزية على أهل الذمّة أي جعل ذلك عليهم. ومعنى الآية: جعل لي شبه وشبّه بي الأوثان، أي: جعل المشركون الأصنام شركائي فعبدوها ومعنى **﴿ فاستمعوا له ﴾**، يعني: فاستمعوا حالها وصفتها، ثم بيّن ذلك فقال: **﴿ إن الذين تدعون من دون الله ﴾**، يعني: الأصنام، قرأ يعقوب بالياء والباقون بالتاء **﴿ لن يخلقوا ذباباً ﴾**، واحداً في صغره وقلّته لأنها لا تقدر عليه والذُّباب واحد وجمعه القليل أذبّة والكثير ذُباب مثل غراب وأغربة وغربان، **﴿ ولو اجتمعوا له ﴾**، يعني خلقه، **﴿ وإن يسلبهم الذُّباب شيئاً لا يستنقذوه منه ﴾**، قال ابن عباس كانوا يطلون الأصنام بالزعفران، فإذا جفّ جاء الذُباب فاستلب منه. وقال السدي: كانوا يضعون الطعام بين يدي الأصنام فتقع الذُباب عليه فيأكلن منه. وقال ابن زيد: كانوا يحلّون الأصنام باليواقيت واللآلىء وأنواع الجواهر، ويطيّبونها بألوان الطيب

حالها وصفتها فقال تعالى ﴿إن الذين تدعون من دون الله﴾ يعني الأصنام ﴿لن يخلقوا ذباباً﴾ يعني واحداً في صغره وضعفه وقلته لأنها لا تقدر على ذلك ﴿ولو اجتمعوا له﴾ يعني لخلقه، والمعنى أن هذه الأصنام لو اجتمعت لم يقدروا على خلق ذبابة على ضعفها وصغرها فكيف يليق بالعاقل جعلها معبوداً له ﴿وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه﴾ قال ابن عباس: كانوا يطلون الأصنام بالزعفران فإذا جف جاء الذباب فاستلبه منه. وقيل: كانوا يضعون الطعام بين أيدي الأصنام فيقع الذباب عليه ويأكل منه ﴿ضعف الطالب والمطلوب﴾ قال ابن عباس الطالب الذباب يطلب ما يسلب من الطيب الذي على الصنم والمطلوب هو الصنم وقيل الطالب الصنم والمطلوب الذباب أي لو طلب الصنم أن يخلق الذباب لعجز عنه وقيل الطالب عابد الصنم والمطلوب هو الصنم ﴿ما قدروا الله حق قدره﴾ يعني ما عظموه حق عظمته وما عرفوه حق معرفته ولا وصفوه حق صفته حيث أشركوا به ما لا يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه ﴿إن الله لقوي عزيز﴾ يعني غالب لا يقهر. قوله عزّ وجلّ ﴿الله يصطفي من الملائكة﴾ يعني يختار من الملائكة ﴿رسلاً﴾ جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وغيرهم ﴿ومن الناس﴾ يعني يختار الله من الناس رسلاً مثل إبراهيم وعيسى ومحمد وغيرهم من الأنبياء والرسل صلّى الله عليهم أجمعين. نزلت حين قال المشركون أأنزل عليه الذكر من بيننا فأخبر الله تعالى أن الاختيار إليه يختار من يشاء من عباده لرسالته ﴿إن الله سميع﴾ يعني بأقوالهم ﴿بصير﴾ يعني لأفعالهم لا تخفى عليه خافية. قوله تعالى ﴿يعلم ما بين أيديهم﴾ قال ابن عباس: ما قدموا ﴿وما خلفهم﴾ يعني ما خلفوا وقيل يعلم ما عملوا ما هم عاملون وقيل يعلم ما بين أيدي ملائكته ورسله قبل أن يخلقهم ويعلم ما هو كائن بعد فنائهم ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ يعني في الآخرة. قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا﴾ يعني صلوا لأن الصلاة لا تكون إلا بالركوع والسجود ﴿واعبدوا ربكم﴾ يعني وحدوه وقيل أخلصوا له العبادة ﴿وافعلوا الخير﴾ قال ابن عباس: صلة الأرحام ومكارم الأخلاق وقيل فعل الخير ينقسم إلى خدمة المعبود الذي هو عبارة عن التعظيم لأمر الله تعالى وإلى الإحسان الذي هو عبارة عن الشفقة على خلق الله ويدخل فيه البر والمعروف والصدقة وحسن القول وغير ذلك من أعمال البر ﴿لعلكم تفلحون﴾ يعني لكي تسعدوا وتفوزوا بالجنة.

فربما تسقط منها واحدة فيأخذها طائر أو ذُباب فلا تقدر الآلهة على استردادها، فذلك قوله: ﴿ وإنْ يسلبهم الذُباب شيئاً ﴾ أي: وإن يسلب الذُباب الأصنام شيئاً مما عليها لا يقدرون أن يستنقذوه منه، ﴿ ضعف الطالب والمطلوب ﴾، قال ابن عباس: الطالب الذُباب يطلب ما يُسلَب من الطيب من الصنم، والمطلوب الصنم يطلب الذُباب منه السلب. وقيل: على العكس: الطالب الصنم والمطلوب الذُباب. وقال الضحّاك: الطالب العابِد والمطلوب المعبود.

﴿ ما قدّروا الله حقَّ قدره ﴾، ما عظّموه حقّ عظمته وما عرفوه حقّ معرفته، ولا وصفوه حقّ صفته إن أشركوا به ما لا يمتنع من الذُباب ولا ينتصف منه، ﴿ إنّ الله لقويٌّ عزيز ﴾.

﴿ الله يصطفي ﴾، يعني: يختار ﴿ من الملائكة رسلاً ﴾، وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وغيرهم، ﴿ ومن الناس ﴾، يعني: يختار من الناس رسلاً مثل إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام، نزلت حيَن قال المشركون: أأنزل عليه الذكر من بيننا، فأخبر أن الاختيار إليه يختار مَن يشاء من خلقه، ﴿ إنّ الله سَميعٌ بصير ﴾، يعني: سميع لقولهم بصير بمَن يختاره لرسالته.

﴿ يعلم ما بين أيديهم ﴾، قال ابن عباس: ما قدّموا، ﴿ وما خلفهم ﴾، ما خلفوا. وقال الحسن: ما بين أيديهم ما عملوا وما خلفهم ما هم عاملون من بعد. وقيل: ما بين أيديهم ملائكته وكتبه ورسله قبل أن خلقهم وما

فصل: في حكم سجود التلاوة هنا

لم يختلف العلماء في السجدة الأولى من هذه السورة واختلفوا في السجدة الثانية فروي عن عمر وعلي وابن عمر وابن مسعود وابن عباس وأبي الدرداء وأبي موسى أنهم قالوا في الحج سجدتان وبه قال ابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق، يدل عليه ما روي عن عقبة بن عامر قال: قلت يا رسول الله في الحج سجدتان قال: «نعم ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما» أخرجه الترمذي وأبو داود. وعن عمر بن الخطاب أنه قرأ سورة الحج فسجد فيها سجدتين وقال: إن هذه السورة فضلت بسجدتين. أخرجه مالك في الموطأ وذهب قوم إلى أنّ في الحج سجدة واحدة وهي الأولى وليس هذه بسجدة وهو قول الحسن وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وسفيان الثوري وأبي حنيفة ومالك بدليل أنه قرن السجود بالركوع فدل ذلك أنها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة واختلف العلماء في عدة سجود التلاوة. فذهب الشافعي وأحمد وأكثر أهل العلم إلى أنها أربع عشرة سجدة لكن الشافعي قال في الحج سجدتان وأسقط سجدة صّ. وقال أبو حنيفة في الحج سجدة وأثبت سجدة صّ وبه قال أحمد في إحدى الروايتين عنه فعنده أن السجدات خمس عشرة سجدة. وذهب قوم إلى أن المفصل ليس فيه سجود يروى ذلك عن أبيّ بن كعب وابن عباس وبه قال مالك فعلى هذا يكون سجود القرآن إحدى عشرة سجدة يدل عليه ما روي عن أبي الدرداء أنّ النبيّ ﷺ قال: «في القرآن إحدى عشرة سجدة» أخرجه أبو داود وقال إسناده واهٍ. ودليل من قال في القرآن خمس عشرة سجدة ما روي عن عمرو بن العاص قال: أقرأني رسول الله ﷺ في القرآن خمس عشرة سجدة منها ثلاث في المفصل وفي سورة الحج سجدتان. أخرجه أبو داود وصح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «سجدنا مع رسول الله ﷺ في اقرأ وإذا السماء انشقت». أخرجه مسلم وسجود التلاوة سنة للقارىء والمستمع. وبه قال الشافعي وقال أبو حنيفة هو واجب. قوله عزّ وجلّ:

خلفهم أي ويعلم ما هو كائن بعد فنائهم. ﴿ **وإلى الله تُرجع الأمور** ﴾.

﴿ **يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا** ﴾، يعني صلّوا لأن الصلاة لا تكون إلّا بالركوع والسجود ﴿ **واعبدوا ربكم** ﴾، أي: وحّدوه، ﴿ **وافعلوا الخير** ﴾، قال ابن عباس: صلة الرحم ومكارم الأخلاق، ﴿ **لعلّكم تفلحون** ﴾، لكي تسعدوا وتفوزوا بالجنة. واختلف أهل العلم في سجود التلاوة عقيب قراءة هذه الآية، فذهب قوم إلى أنه يسجد عندها وهو قول عمرو وعلي وابن مسعود وابن عباس، وبه قال ابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق، واحتجّوا بما أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبّي أنا أبو محمد عبد الجبّار بن محمد الجراحي أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي أنا أبو عيسى الترمذي أنا قتيبة أنا ابن لهيعة عن مشرح بن عاهان عن عقبة بن عامر قال: قلت يا رسول الله فضّلت سورة الحج بأنّ فيها سجدتين؟ قال: «نعم، ومَن لم يسجدهما فلا يقرأهما». وذهب قوم إلى أنه لا يسجد ههنا وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي، وعدة سجود القرآن أربعة عشر عند أكثر أهل العلم منها ثلاث في المفصل. وذهب قوم إلى أنه ليس في المفصل سجود. رُوِيَ ذلك عن أُبيّ بن كعب وابن عباس، وبه قال مالك. وقد صحّ عن أبي هريرة قال سجدنا مع رسول الله ﷺ في إقرأ، وإذا السماء انشقّت وأبو هريرة من متأخري الإسلام. واختلفوا في سجود صاد فذهب الشافعي إلى أنه سجود شكر ليس من عزائم السجود، ويروي عن ذلك ابن عباس وذهب قوم إلى أنه يسجد فيها، رُوِيَ ذلك عن عمر، وبه قال سفيان الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي وأحمد وإسحاق، فعند ابن المبارك وإسحاق وأحمد وجماعة سجود القرآن خمسة عشر سجدة فعدّوا سجدتي الحج وسجدتي صّ، ورُوِيَ عن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ أقرأه خمسَ عشرةَ سجدةً في القرآن.

﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾

﴿**وجاهدوا في الله حق جهاده**﴾ أي جاهدوا في سبيل الله أعداء الله ومعنى حق جهاده هو استفراغ الطاقة فيه قاله ابن عباس: وعنه قال لا تخافوا في الله لومة لائم فهو حق الجهاد كما تجاهدون في سبيل الله ولا تخافون لومة لائم وقيل معناه اعملوا لله حق عمله واعبدوه حق عبادته قيل نسخها قوله تعالى: ﴿**فاتقوا الله ما استطعتم**﴾ وقال أكثر المفسرين حق الجهاد أن يكون بنية صادقة خالصة لله ولتكون كلمة الله هي العليا بدليل قوله ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري وقيل مجاهدة النفس والهوى هو حق الجهاد وهو الجهاد الأكبر روي أنّ النبيّ ﷺ لما رجع من غزوة تبوك قال: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» ذكره البغوي بغير سند قيل أراد بالأصغر جهاد الكفار وبالأكبر جهاد النفس ﴿**هو اجتباكم**﴾ يعني اختاركم لدينه والاشتغال بخدمته وعبادته وطاعته فأي رتبة أعلى من هذا وأي سعادة فوق هذا ﴿**وما جعل عليكم في الدين من حرج**﴾ أي ضيق وشدة وهو أن المؤمن لا يبتلى بشيء من الذنوب إلا جعل الله له منه مخرّجاً بعضها بالتوبة وبعضها برد المظالم والقصاص وبعضها بأنواع الكفارات من الأمراض والمصائب وغير ذلك فليس في دين الإسلام ما لا يجد العبد فيه سبيلاً إلى الخلاص من الذنوب ومن العقاب لمن وفق. وقيل: معناه رفع الضيق في أوقات فروضكم مثل هلال شهر رمضان والفطر ووقت الحج إذا التبس عليكم وسع ذلك عليكم حتى تتيقنوا. وقيل: معناه الرخص عند

قوله: ﴿ **وجاهدوا في الله حقَّ جهاده** ﴾، قيل: جاهدوا في سبيل الله أعداء الله حقّ جهاده هو استفراغ الطاقة فيه، قاله ابن عباس، وعنه أيضاً أنه قال: لا تخافوا في الله لومة لائم فهو حق الجهاد، كما قال تعالى: ﴿ يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ﴾ [المائدة: ٥٤]. قال الضحاك ومقاتل: اعملوا لله حقّ عمله واعبدوه حقّ عبادته. وقال مقاتل بن سليمان: نسخها قوله: ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ [التغابن: ١٦]، وقال أكثر المفسّرين: حقّ الجهاد أن تكون نيّته خالصة صادقة لله عزّ وجلّ. وقال السدي: هو أن يُطاع فلا يُعصى. وقال عبد الله بن المبارك: هو مجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الأكبر وهو حقّ الجهاد. وقد رُوِيَ أن رسول الله ﷺ لمّا رجع من غزوة تبوك قال: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»، وأراد بالجهاد الأصغر الجهاد مع الكفّار وبالجهاد الأكبر الجهاد مع النفس. ﴿ **هو اجتباكم** ﴾ يعني: اختاركم لدينه، ﴿ **وما جعل عليكم في الدين من حرج** ﴾، ضيق، معناه أن المؤمن لا يبتلى بشيء من الذنوب إلّا جعل الله له منه مخرجاً بعضها بالتوبة وبعضها بردّ المظالم والقصاص، وبعضها بأنواع الكفّارات، فليس في دين الإسلام ما لا يجد العبد سبيلاً إلى الخلاص من العقاب فيه. وقيل: من ضيق في أوقات فروضكم مثل هلال شهر رمضان والفطر ووقت الحج إذا التبس ذلك عليكم وسّع الله عليكم حتى تتيقنوا. وقال مقاتل: يعني الرخص عند الضرورات كقصر الصلاة في السفر والتيمّم عند فَقْد الماء وأكل الميتة عند الضرورة والإفطار بالسفر والمرض والصلاة قاعداً عند العجز عن القيام. وهو قول الكلبي ورُوِيَ عن ابن عباس أنه قال: الحَرَجُ ما كان على بني إسرائيل من الأعمال التي كانت عليهم وضعها الله عن هذه الأمة. ﴿ **مِلَّةَ أبيكم إبراهيم** ﴾، يعني كلمة أبيكم نصب بنزع حرف الصفة وقيل: نصب على الإغراء، يعني اتبعوا مِلّة أبيكم إبراهيم، وإنما أمرنا باتّباع ملّة إبراهيم لأنها داخلة في ملّة محمد ﷺ فإن قيل: فما وجه قوله: ﴿ ملّة أبيكم ﴾ وليس كل المسلمين يرجع نسبهم إلى إبراهيم؟ قيل: خاطب به العرب وهم كانوا من نسل إبراهيم. وقيل: خاطب به جميع

الضرورات كقصر الصلاة والفطر في السفر والتيمم عند عدم الماء وأكل الميتة عند الضرورة والصلاة قاعداً والفطر مع العجز بعذر المرض ونحو ذلك من الرخص التي رخص الله لعباده، قيل أعطى الله هذه الأمة خصلتين لم يعطهما أحداً غيرهم جعلهم شهداء على الناس وما جعل عليهم في الدين من حرج. وقال ابن عباس: الحرج ما كان على بني إسرائيل من الآصار التي كانت عليهم وضعها الله عن هذه الأمة ﴿ملة أبيكم إبراهيم﴾ لأنها داخلة في ملة محمد صلّى الله عليه وسلم. فإن قلت لم يكن إبراهيم أباً للأمة كلها فكيف سماه أباً في قوله «ملة أبيكم إبراهيم». قلت إن كان الخطاب للعرب فهو أبو العرب قاطبة وإن كان الخطاب لكل المسلمين فهو أبو المسلمين. والمعنى وجوب احترامه وحفظ حقه يجب كما يجب احترام الأب فهو كقوله «وأزواجه أمهاتهم» وقد قال رسول الله ﷺ «إنما أنا لكم كالوالد» وفي قوله ﴿هو سماكم المسلمين من قبل﴾ قولان أحدهما: أن الكناية ترجع إلى الله تعالى يعني أن الله سماكم المسلمين في الكتب القديمة من قبل نزول القرآن القول الثاني: أن الكناية راجعة إلى إبراهيم يعني أنّ إبراهيم سماكم المسلمين في أيامه من قبل هذا الوقت وهو قوله ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك﴾ فاستجاب الله دعاءه فينا ﴿وفي هذا﴾ أي وفي القرآن سماكم المسلمين ﴿ليكون الرسول شهيداً عليكم﴾ يوم القيامة أن قد بلغكم ﴿وتكونوا شهداء على الناس﴾ أي تشهدون يوم القيامة على الأمم أن رسلهم قد بلغتهم ﴿فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله﴾ يعني ثقوا به وتوكلوا عليه وقيل تمسكوا بدين الله. وقال ابن عباس: سلوا ربكم أن يعصمكم من كل ما يكره وقيل معناه ادعوا ربكم أن يثبتكم على دينه. وقيل: الاعتصام هو التمسك بالكتاب والسنة ﴿هو مولاكم﴾ يعني وليكم وناصركم وحافظكم ﴿فنعم المولى ونعم النصير﴾ أي الناصر لكم والله تعالى أعلم.

المسلمين وإبراهيم أب لهم على معنى وجوب احترامه وحفظ حقه كما يجب احترام الأب، وهو كقوله تعالى: ﴿ وأزواجه أُمهاتهم ﴾ [الأحزاب: ٦]، وقال النبي ﷺ: «إنّما أنا لكم مثل الوالد»، ﴿ هو سمّاكم ﴾، يعني أن الله تعالى سمّاكم ﴿ المسلمين من قبل ﴾، يعني من قبل نزول القرآن في الكتب المتقدمة. ﴿ وفي هذا ﴾ يعني: وفي الكتاب، هذا قول أكثر المفسّرين. وقال ابن زيد هو يرجع إلى إبراهيم سمّاكم المسلمين في أيامه، من قبل هذا الوقت وفي هذا الوقت، وهو قوله: ﴿ ربّنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمةً مسلمةً لك ﴾ [البقرة: ٢١٨]، ﴿ ليكون الرسول شهيداً عليكم ﴾، يوم القيامة أن قد بلغكم، ﴿ وتكونوا ﴾، أنتم، ﴿ شهداء على الناس ﴾، أن رسلهم قد بلغتهم، ﴿ فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاةَ واعتصموا بالله ﴾، ثقوا بالله وتوكلوا عليه. قال الحسن: تمسكوا بدين الله. ورُوِيَ عن ابن عباس قال: سلوا ربكم أن يعصمكم من كل ما يكره. وقيل: معناه ادعوه ليثبتكم على دينه. وقيل: الاعتصام بالله هو التمسّك بالكتاب والسُّنّة، ﴿ هو مولاكم ﴾، وليّكم وناصركم وحافظكم، ﴿ فنِعمَ المولى ونِعمَ النصير ﴾، الناصر لكم.

تفسير سورة المؤمنين

وهي مكية وهي مائة وثمان عشرة آية وألف وثمانمائة وأربعون كلمة وأربعة آلاف وثمانمائة حرف وحرفان.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلّى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي يسمع عند وجهه دوي كدوي النحل فأنزل الله عليه يوماً فمكث ساعة ثم سري عنه فقرأ قد أفلح المؤمنون إلى عشر آيات من أولها. وقال: من أقام هذه العشر آيات دخل الجنة ثم استقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا اللهم أرضنا وارض عنا» أخرجه الترمذي. قوله عزّ وجلّ ﴿**قد أفلح المؤمنون**﴾ قال ابن عباس قد سعد المصدقون بالتوحيد وبقوا في الجنة وقيل الفلاح البقاء والنجاة ﴿**الذين هم في صلاتهم خاشعون**﴾ قال ابن عباس: مخبتون أذلّاء خاضعون. وقيل خائفون وقيل: متواضعون وقيل الخشوع من أفعال القلب كالخوف والرهبة وقيل هو من أفعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات وغض البصر. وقيل لا بد من الجمع بين أفعال القلب والجوارح وهو الأولى فالخاشع في صلاته لا بد وأن يحصل له الخشوع في جميع الجوارح، فأما ما يتعلق بالقلب من الأفعال فنهاية الخضوع والتذلل للمعبود ولا يلتفت الخاطر إلى شيء سوى ذلك التعظيم. وأما ما يتعلق بالجوارح فهو أن يكون ساكناً مطرقاً ناظراً إلى موضع سجوده. وقيل الخشوع هو أن لا يعرف من على يمينه ولا من على شماله (ق) عن عائشة قالت: «سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة فقال هو اختلاس

سُوْرَة المُؤْمِنُوْن

مكيّة وهي مائة وثماني عشرة آية.

أخبرنا أبو حامد أحمد بن عبد السلام الصالحي أنا أحمد بن الحسين الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا محمد بن حماد أنا عبد الرزاق أنا يونس بن سليمان أملى عليّ يونس صاحب أيلة عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن بن عبد القاري قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: كان إذا نزل على النبي ﷺ الوحي يُسمع عند وجهه دويٌّ كدويّ النحل، فمكثنا ساعة. وفي رواية. فنزل عليه يوماً فمكثنا ساعة فاستقبل القِبلة ورفع يديه وقال: اللّهمّ زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارضَ عنّا، ثم قال: لقد أُنزل عليّ عشر آيات مَن أقامهنّ دخل الجنة، ثم قرأ ﴿ **قد أفلح المؤمنون** ﴾ إلى عشر آيات. ورواه أحمد بن حنبل وعلي بن المديني وجماعة عن عبد الرزاق، وقالوا: وأعطنا ولا تحرمنا وأرضِنا وارضَ عنّا.

قوله تعالى: ﴿ **قد أفلح المؤمنون** ﴾، قد حرف تأكيد، وقال المحقّقون قد يقرب الماضي من الحال، يدلّ

يختلسه الشيطان من صلاة العبد» الاختلاس هو الاختطاف عن أبي ذر عن النبيّ ﷺ قال: «لا يزال الله مقبلاً على العبد وهو في صلاته ما لم يلتفت فإذا التفت انصرف عنه». وفي رواية «أعرض عنه» أخرجه أبو داود والنسائي. وقيل الخشوع هو أن لا يرفع بصره إلى السماء (خ) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ «ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم فاشتد قوله في ذلك حتى قال: لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم» وقال أبو هريرة كان أصحاب رسول الله ﷺ يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة فلما نزل الذين هم في صلاتهم خاشعون» رمقوا بأبصارهم إلى موضع السجود. وقيل الخشوع هو أن لا يعبث بشيء من جسده في الصلاة لما روي «أنّ النبيّ ﷺ أبصر رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة فقال: لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه». ذكره البغوي بغير سند. عن أبي ذر عن النبيّ ﷺ قال «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يمسح الحصى فإن الرحمة تواجهه» أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي. وقيل الخشوع في الصلاة هو جمع الهمة والإعراض عمّا سوى الله والتدبر فيما يجري على لسانه من القراءة والذكر. قوله تعالى:

على أن الفلاح قد حصل لهم وأنهم عليه في الحال وهو أبلغ من تجريد ذكر الفعل، والفلاح: النجاة والبقاء، قال ابن عباس: قد سعد المصدّقون بالتوحيد وبقوا في الجنة.

﴿ **الذين هم في صلاتهم خاشعون** ﴾، اختلفوا في معنى الخشوع، فقال ابن عباس: مخبتون أذلاّء. وقال الحسن وقتادة: خائفون. وقال مقاتل: متواضعون. وقال مجاهد: هو غضّ البصر وخفض الصوتَ، والخشوع قريب من الخضوع إلاّ أن الخضوع في البدن والخشوع في القلب والبصر والصوت، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ وخشعت الأصوات للرحمن ﴾ [طه: ١٠٨]، وعن عليّ رضي الله عنه: هو أن لا يلتفت يميناً ولا شمالاً. وقال سعيد بن جبير: هو أن لا يعرف مَن على يمينه ولا مَن على شماله، ولا يلتفت من الخشوع لله عزّ وجلّ. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل حدّثنا مسدد أنا أبو الأحوص أنا أشعث بن سليم عن أبيه. عن مسروق عن عائشة قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة فقال: «هو اختلاسٌ يختلسه الشيطان من صلاة العبد». وأخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا أبو علي زاهر بن أحمد أنا أبو الحسن القاسم بن بكر الطيالسي ببغداد أنا أبو أُميّة محمد بن إبراهيم الطرسوسي أنا عبد الغفّار بن عبيد الله أنا صالح بن أبي الأخضر عن الزهري عن أبي الأحوص عن أبي ذرّ عن النبي ﷺ قال: «لا يزال الله مقبلاً على العبد وهو في صلاته ما لم يلتفت فإذا التفت انصرف عنه». وقال عمرو بن دينار: هو السكون وحُسْن الهيئة. وقال ابن سيرين وغيره: هو أن لا ترفع بصرك عن موضع سجودك. وقال أبو هريرة: كان أصحاب رسول الله ﷺ يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة فلما نزل: ﴿ **الذين هم في صلاتهم خاشعون** ﴾ رموا بأبصارهم إلى مواضع السجود. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا علي بن عبد الله أنا يحيـىٰ بن سعيد أنا ابن أبي عروبة أنا قتادة أن أنس بن مالك حدّثهم قال: قال النبي ﷺ: «ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم»، فاشتدّ قوله في ذلك حتى قال: «لينتهنّ عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم». وقال عطاء: هو أن لا تعبث بشيء من جسدك في الصلاة. ورُوِيَ أن النبي ﷺ أبصر رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة فقال: «لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه». أخبرنا أبو عثمان الضبي أنا أبو محمد الجراحي أنا أبو العباس المحبوبي أنا أبو عيسى الترمذي أنا سعيد عن عبد الرحمن المخزومي أنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن أبي الأحوص عن أبي ذرّ عن النبي ﷺ قال: «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يمسح الحصى فإن الرحمة تواجهه». وقيل: الخشوع في الصلاة هو جمع الهمّة والإعراض عمّا سواها، والتدبّر فيما يجري على لسانه من القراءة والذكر.

وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾

﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾ قال ابن عباس عن الشرك وقيل عن المعاصي وقيل هو كل باطل ولهو وما لا يجمل من القول والفعل وقيل هو معارضة الكفار الشتم والسب ﴿والذين هم للزكاة فاعلون﴾ أي الزكاة الواجبة مؤدّون فعبر عن التأدية بالفعل لأنها فعل وقيل الزكاة ها هنا هي العمل الصالح والأول أولى ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ الفرج اسم لسوأة الرجل والمرأة وحفظه التعفف عن الحرام ﴿إلّا على أزواجهم﴾ على بمعنى من ﴿أو ما ملكت أيمانهم﴾ يعني الإماء والجواري والآية في الرجال خاصة لأن المرأة لا يجوز لها أن تستمتع بفرج مملوكها ﴿فإنهم غير ملومين﴾ يعني بعدم حفظ فرجه من امرأته وأمته فإنه لا يلام على ذلك وإنما لا يلام فيما إذا كان على وجه أذن فيه الشرع دون الإتيان في غير المأتي وفي حال الحيض والنفاس فإنه محظور فلا يجوز ومن فعله فإنه ملوم ﴿فمن ابتغى وراء ذلك﴾ أي التمس وطلب سوى الأزواج والولائد وهن الجواري المملوكة ﴿فأولئك هم العادون﴾ أي الظالمون المجاوزون الحد من الحلال إلى الحرام. وفيه دليل على أن الاستمناء باليد حرام وهو قول أكثر العلماء. سئل عطاء عنه فقال: مكروه سمعت أن قوماً يحشرون وأيديهم حبالى فأظن أنهم هؤلاء وقال سعيد بن جبير عذب الله أمة كانوا

قوله تعالى: ﴿ والذين هم عن اللغو مُعرِضون ﴾ قال عطاء عن ابن عباس: عن الشرك وقال الحسن: عن المعاصي. وقال الزجّاج: عن كل باطل ولهو وما لا يجمل من القول والفعل. وقيل: هو معارضة الكفّار بالشتم والسبّ: قال الله تعالى: ﴿ وإذا مرّوا باللغو مرّوا كِراماً ﴾ [الفرقان: ٧٢]، أي: إذا سمعوا الكلام القبيح أكرموا أنفسهم عن الدخول فيه.

﴿ والذين هم للزكاة فاعلون ﴾، أي: للزكاة الواجبة مؤدّون، فعبّر عن التأدية بالفعل لأنها فعل. وقيل: الزكاة ههنا هو العمل الصالح، أي: والذين هم للعمل الصالح فاعلون.

﴿ والذين هم لفروجهم حافظون ﴾، الفرج اسم يجمع سوأة الرجل والمرأة، وحفظ الفرج التعفّف عن الحرام.

﴿ إلّا على أزواجهم ﴾، أي: من أزواجهم، وعلى بمعنى من. ﴿ أو ما ملكت أيمانهم ﴾، ﴿ ما ﴾ في محل الخفض يعني أو مما ملكت أيمانهم، والآية في الرجال خاصّة بدليل قوله: ﴿ أو ما ملكت أيمانهم ﴾ والمرأة لا يجوز أن تستمتع بفرج مملوكها. ﴿ فإنّهم غير ملومين ﴾، يعني يحفظ فرجه إلّا من امرأته أو أمته فإنه لا يُلام على ذلك، وإنما لا يُلام فيهما إذا كان على وجه أذِنَ فيه الشرع دون الإتيان في غير المأتي، وفي حال الحيض والنفاس، فإنه محظور وهو على فعله ملوم.

﴿ فمَن ابتغى وراءَ ذلك ﴾، أي: التمس وطلب سوى الأزواج والولائد المملوكة، ﴿ فأولئك هُمُ العادون ﴾، الظالمون المتجاوزون من الحلال والحرام، وفيه دليل على أن الاستمناء باليد حرام، وهو قول أكثر العلماء. قال ابن جريج: سألت عطاء عنه فقال: مكروه، سمعت أنّ قوماً يحشرون وأيديهم حُبالى فأظن أنهم هؤلاء. وعن سعيد بن جبير قال: عذّب الله أُمّةً كانوا يعبثون بمذاكيرهم.

يعبثون بمذاكيرهم. قوله عزّ وجلّ ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ أي حافظون يحفظون ما ائتمنوا عليه والعقود التي عاقدوا الناس عليها يقومون بالوفاء بها. والأمانات تختلف فمنها ما يكون بين العبد وبين الله تعالى كالصلاة والصوم وغسل الجنابة وسائر العبادات التي أوجبها الله تعالى على العباد فيجب الوفاء بجميعها. ومنها ما يكون بين العباد كالودائع والصنائع والأسرار وغير ذلك فيجب الوفاء به أيضاً ﴿والذين هم على صلواتهم يحافظون﴾ أي يداومون ويراعون أوقاتها وإتمام أركانها وركوعها وسجودها وسائر شروطها. فإن قلت كيف كرر ذكر الصلاة أولاً وآخراً. قلت هما ذكران مختلفان فليس تكراراً وصفهم أولاً بالخشوع في الصلاة وآخراً بالمحافظة عليها. قوله عزّ وجلّ ﴿أولئك﴾ يعني أهل هذه الصفة ﴿هم الوارثون﴾ يعني يرثون منازل أهل النار من الجنة. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «ما منكم من أحد إلا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فمن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله» وذلك قوله تعالى: ﴿أولئك هم الوارثون﴾ ذكره البغوي بغير سند وقيل معنى الوراثة هو أن يؤول أمرهم إلى الجنة وينالوها كما يئول أمر الميراث إلى الوارث.

﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿الذين يرثون الفردوس﴾ هو أعلى الجنة. عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال «إنّ في الجنة مائة درجة

﴿والذين هم لأماناتهم﴾، قرأ ابن كثير ﴿لأمانتهم﴾ على التوحيد ههنا وفي سورة المعارج [٣٢]، كقوله تعالى: ﴿وعهدهم﴾ والباقون بالجمع، كقوله عزّ وجلّ: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها﴾ [النساء: ٥٨]، ﴿وعهدِهم راعون﴾، حافظون، أي يحفظون ما ائتمنوا عليه، والعقود التي عاقدوا الناس عليها، يقومون بالوفاء بها، والأمانات تختلف فتكون بين الله تعالى وبين العباد كالصلاة والصيام والعبادات التي أوجبها الله عليه، ويكون من العبيد كالودائع والصنائع فعلى العبد الوفاء بجميعها.

﴿والذين هم على صلواتِهم﴾، قرأ حمزة والكسائي «صلاتهم» على التوحيد، والآخرون صلواتهم على الجمع. ﴿يحافِظُون﴾، أي: يداومون على حفظها ويراعون أوقاتها، كرّر ذكر الصلاة ليبيّن أن المحافظة عليها واجبة كما أن الخشوع فيها واجب.

﴿أولئك﴾، أهل هذه الصفة، ﴿هم الوارثون﴾، يرثون منازل أهل النار من الجنة. ورُوِيَ عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلّا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار، فإن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله» وذلك قوله تعالى: ﴿أولئك هم الوارثون﴾ وقال مجاهد: لكل واحد منزلاً منزل في الجنة ومنزل في النار، فأما المؤمن فيبني منزله الذي له في الجنة ويهدّم منزله الذي له في النار، وأما الكافر فيهدم منزله الذي في الجنة ويبني منزله الذي في النار. وقال بعضهم: معنى الوراثة هو أنه يـؤل أمرهم إلى الجنة وينالونها كما يـؤل أمر الميراث إلى الوارث.

قوله تعالى: ﴿الذين يـرثون الفـردوس﴾، وهو أعلى الجنـة قد ذكـرناه في سـورة الكهف [١٠٧]، ﴿هم فيها

ما بين كل درجة ودرجة كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها درجة ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة ومن فوقها يكون العرش فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس» أخرجه الترمذي ﴿هم فيها خالدون﴾ أي لا يخرجون منها ولا يموتون.

قوله عزّ وجلّ ﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾ يعني ولد آدم الإنسان اسم جنس ﴿من سلالة من طين﴾ قال ابن عباس السلالة صفوة الماء وقيل هي المني لأن النطفة تسل من الظهر من طين يعني طين آدم لأن السلالة تولدت من طين خلق منه آدم وقيل: المراد من الإنسان هو آدم، وقوله من سلالة أي سل من كل تربة ﴿ثم جعلناه نطفة﴾ يعني الذي هو الإنسان جعلناه نطفة ﴿في قرار مكين﴾ أي حريز وهو الرحم وسمي مكيناً لاستقرار النطفة فيه إلى وقت الولادة ﴿ثم خلقنا النطفة علقة﴾ أي صيرنا النطفة قطعة دم جامد ﴿فخلقنا العلقة مضغة﴾ أي جعلنا الدم الجامد قطعة لحم صغيرة ﴿فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً﴾ وذلك لأن اللحم يستر العظم فجعله كالكسوة له. قيل إن بين كل خلق وخلق أربعين يوماً ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ أي مبايناً للخلق الأول قال ابن عباس: هو نفخ الروح فيه وقيل جعله حيواناً بعد ما كان جماداً وناطقاً بعدما كان أبكم وسميعاً وكان أصم وبصيراً وكان أكمه وأودع باطنه وظاهره عجائب صنعه وغرائب فطره وعن ابن عباس قال: إن ذلك تصريف أحواله بعد الولادة من الاستهلال إلى الرضاع إلى القعود والقيام إلى المشي إلى الفطام إلى أن يأكل ويشرب إلى أن يبلغ الحلم ويتقلب في البلاد إلى ما بعدها ﴿فتبارك الله﴾ أي استحق التعظيم والثناء بأنه لم يزل ولا يزال ﴿أحسن الخالقين﴾ أي المصورين والمقدرين. فإن قلت كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى ﴿الله خالق كل شيء﴾ وقوله ﴿هل من خالق غير الله؟﴾. قلت الخلق له معان: منها الإيجاد والإبداع ولا موجد ولا مبدع إلاّ الله تعالى. ومنها التقدير كما قال الشاعر:

ولأنـــت تفـــري مـــا خلقـــت وبعـــ ـــض القـــوم يخلـــق ثـــم لا يفـــري

خالدون﴾، لا يموتون ولا يُخرجون، وجاء في الحديث: «أن الله تعالى خلق ثلاثة أشياء بيده خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده، ثم قال: وعزّتي لا يدخلها مدمن خمر ولا ديوث».

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾، يعني: ولد آدم. والإنسان اسم الجنس يقع على الواحد والجمع، ﴿من سلالة﴾، رُوِيَ عن ابن عباس أنه قال: السلالة صفوة الماء. وقال مجاهد: من بني آدم. وقال عكرمة: هو يسيل من الظهر، والعرب تسمّي النطفة سلالةً والولد سليلاً وسلالة لأنهما مسلولانِ منه. قوله: ﴿من طين﴾، يعني: طين آدم. والسلالة: تولدت من طين خلق آدم منه. قال الكلبي: من نطفة سلّت من طين والطين آدم عليه السلام وقيل المراد من الإنسان هو آدم. وقوله: ﴿من سلالة﴾ أي: سلّ من كل تربة.

﴿ثم جعلناه نطفة﴾، يعني الذي هو الإنسان جعلناه نطفة، ﴿في قرارٍ مكين﴾، حريز وهو الرحم مُكّن وهُيّء لاستقرارها فيه إلى بلوغ أَمَدها.

﴿ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً﴾، قرأ ابن عامر وأبو بكر «عظمـاً»، ﴿فكسونا العظام﴾ بسكون الظاء على التوحيد فيهما، وقرأ الآخرون بالجمع لأن الإنسان ذو عظام كثيرة. وقيل: بين كل خلقتين أربعون عاماً. ﴿فكسونا العظام لحماً﴾. أي ألبسنا، ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾، اختلف المفسّرون فيه، فقال ابن عباس ومجاهد والشعبي وعكرمة والضحاك وأبو العالية: هو نفخ الروح فيه. وقال قتادة: نبات الأسنان والشعر. وروى ابن جريج عن مجاهد: أنه استواء الشباب. وعن الحسن قال: ذكراً أو أُنثى. وروى العوفي عن ابن عباس: أن ذلك تصريف أحواله بعد الولادة من الاستهلال إلى الارتضاع، إلى القعود إلى القيام، إلى المشي إلى الفطام، إلى أن يأكل ويشرب، إلى أن يبلغ الحلم، ويتقلّب في البلاد إلى ما بعدها. ﴿فتبارك

معناه أنت تقدّر الأمور وتقطعها وغيرك لا يفعل ذلك فعلى هذا يكون معنى الآية الله أحسن المقدرين. وجواب آخر وهو أنّ عيسى عليه الصلاة والسلام خلق طيراً وسمّى نفسه خالقاً بقوله ﴿إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير﴾ فقال ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ ﴿ثم إنكم بعد ذلك﴾ أي بعد ما ذكر من تمام الخلق ﴿لميتون﴾ أي عند انقضاء آجالكم ﴿ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾ أي للحساب والجزاء. قوله عزّ وجلّ ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾ يعني سبع سموات طرائق لأن بعضها فوق بعض وقيل لأنها طرائق الملائكة في الصعود والهبوط ﴿وما كنا عن الخلق غافلين﴾ يعني بل كنا لهم حافظين من أن تسقط السماء عليهم فتهلكهم. وقيل معناه بنينا فوقهم سماء أطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب. وقيل ما تركناهم سدى بغير أمر ونهي وقيل معناه إنما خلقنا السماء فوقهم لتنزل عليهم الأرزاق والبركات منها. وقيل معناه وما كنا عن الخلق غافلين أي عن أعمالهم وأقوالهم وضمائرهم لا تخفى علينا خافية ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر﴾ أي يعلمه الله من حاجتهم إليه وقيل بقدر ما يكفيهم لمعايشهم في الزرع والغرس والشرب وأنواع المنفعة ﴿فأسكناه في الأرض﴾ يعني ما يبقى في الغدران والمستنقعات مما ينتفع به الناس في الصيف عند انقطاع المطر. وقيل أسكناه في الأرض ثم أخرجناه منها ينابيع كالعيون والآبار فكل ماء في الأرض من السماء ﴿وإنّا على ذهاب به لقادرون﴾ وصح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة» أخرجه مسلم. وعن ابن عباس عن النبيّ ﷺ قال: «إنّ الله عزّ وجلّ أنزل من الجنة خمسة أنهار سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل، أنزلها الله عزّ وجلّ من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل

الله ﴾، أي: استحقّ التعظيم والثناء بأنه لم يزل ولا يزال. ﴿ أحسنُ الخالقين ﴾، المصوّرين والمقدّرين. والخلق في اللغة التقدير. وقال مجاهد: يصنعون ويصنع الله والله خير الصانعين، يقال: رجل خالق أي: صانع. وقال ابن جريج: إنما جمع الخالقين لأنّ عيسى كان يخلق كما قال: ﴿إني أخلق لكم من الطين﴾ [آل عمران: ٤٩] فأخبر الله عن نفسه بأنه أحسن الخالقين. ﴿ ثم إنّكم بعد ذلك لميتون ﴾، والميت بالتشديد، والمائت الذي لم يمت بعد وسيموت، والميت بالتخفيف من مات، ولذلك لم يجز التخفيف ههنا.

كقوله: ﴿ إنّك ميت وإنّهم ميتون ﴾ [الزّمر: ٣٠].

﴿ ثم إنكم يوم القيامة تُبعثون ﴾.

﴿ ولقد خلقنا فوقكم سبعَ طرائق ﴾، أي: سبع سمٰوات، سُمّيت طرائق لتطارقها وهو أن بعضها فوق بعض، يقال: طارقت النعل إذا جعلت بعضه فوق بعض. وقيل: سُمّيت طرائق لأنها طرائق الملائكة. ﴿ وما كنّا عن الخلق غافلين ﴾، أي كنّا لهم حافظين من أن تسقط السماء عليهم فتهلكهم كما قال الله تعالى: ﴿ ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه ﴾ [الحج: ٦٥]. وقيل: ما تركناهم سدىً بغير أمر ونهي. وقيل: وما كنّا عن الخلق غافلين أي بنينا فوقهم سماء أطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب.

﴿ وأنزلنا من السماء ماء بقدر ﴾، يعلمه الله. قال مقاتل: بقدر ما يكفيهم للمعيشة، ﴿ فأسكنّاه في الأرض ﴾، يريد ما يبقى في الغدران والمستنقعات ينتفع به الناس في الصيف عند انقطاع المطر. وقيل: فأسكنّاه في الأرض ثم أخرجنا منها ينابيع، فماء الأرض كله في السماء، ﴿ وإنّا على ذهابٍ به لقادرون ﴾، حتى تهلكوا عطشاً وتهلك مواشيكم وتخرب أراضيكم. وفي الخبر: أن الله عزّ وجلّ أنزل أربعة أنهار من الجنة سيحان وجيجان ودجلة والفرات. وروى مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «إنّ الله عزّ وجلّ أنزل من الجنة خمسة أنهار جيحون وسيحون ودجلة والفرات والنيل أنزلها الله عزّ وجلّ من عين واحدة من عيون الجنة من

درجة من درجاتها على جناحي جبريل استودعها الجبال وأجراها في الأرض وجعل فيها منافع للناس فذلك قوله ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض﴾ فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله عزّ وجلّ جبريل فرفع من الأرض القرآن والعلم كله والحجر الأسود من ركن البيت ومقام إبراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الأنهار الخمسة فيرفع كل ذلك إلى السماء فذلك قوله تعالى ﴿وإنّا على ذهاب به لقادرون﴾ فإذا رفعت هذه الأشياء كلها من الأرض فقد أهلها خير الدين والدنيا وروى هذا الحديث البغوي في تفسيره. وقال روى هذا الحديث الإمام الحسن بن سفيان بن عثمان بن سعيد بالإجازة عن سعيد بن سابق الإسكندراني عن مسلمة بن علي عن مقاتل بن حيّان عن عكرمة عن ابن عباس. ثم ذكر ما أنبت بالماء فقال تعالى:

﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ
سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ
وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ
إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ
شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ
حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا
وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى
فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿فأنشأنا لكم به﴾ أي بالماء ﴿جنات﴾ أي بساتين ﴿من نخيل وأعناب﴾ إنما أفردهما بالذكر لكثرة منافعهما فإنهما يقومان مقام الطعام والإدام والفواكه رطباً ويابساً ﴿لكم فيها﴾ أي في الجنات ﴿فواكه كثيرة ومنها تأكلون﴾ أي شتاءً وصيفاً ﴿وشجرة﴾ أي وأنشأنا لكم شجرة وهي الزيتون ﴿تخرج من طور سيناء﴾ أي من جبل مبارك وقيل من

أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل استودعها الله الجبال وأجراها في الأرض وجعل فيها منافع للناس، فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنّاه في الأرض ﴾، فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله جبريل فرفع من الأرض القرآن، والعلم كله والحجر الأسود من ركن البيت، ومقام إبراهيم وتابوت موسى بما فيه، وهذه الأنهار الخمسة فيرفع كل ذلك إلى السماء، فذلك قوله تعالى: ﴿ وإنّا على ذهاب به لقادرون ﴾ «فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض فقد أهلها خير الدين والدنيا». وروى هذا الحديث الإمام الحسن بن سفيان عن عثمان بن سعيد بالإجازة عن سعيد بن سابق الإسكندراني عن مسلمة بن علي عن مقاتل بن حيان.

قوله تعالى: ﴿ فأنشأنا لكم به ﴾، يعني بالماء، ﴿ جنّات من نخيل وأعناب لكم فيها ﴾، في الجنات، ﴿ فواكه كثيرة ومنها تأكلون ﴾، شتاءً وصيفاً، وخصّ النخيل والأعناب بالذكر لأنها أكثر فواكه العرب.

﴿ وشجرة ﴾ أي: أنشأ لكم شجرة ﴿ تخرج من طور سيناء ﴾، وهي الزيتون، قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو ﴿ سيناء ﴾ بكسر السين. وقرأ الآخرون بفتحها، واختلفوا في معناه وفي ﴿ سنين ﴾ [المؤمنون: ١١٢] في قوله

جبل حسن قيل هو بالنبطية وقيل بالحبشية وقيل السريانية ومعناه الجبل الملتف بالأشجار. وقيل كل جبل فيه أشجار مثمرة يسمى سيناء وسينين وقيل هو من السناء وهو الارتفاع وهو الجبل الذي منه نودي موسى بين مصر وأيلة وقيل هو جبل فلسطين وقيل سيناء اسم حجارة بعينها أضيف الجبل إليها لوجودها عنده. وقيل هو اسم المكان الذي فيه هذا الجبل ﴿تنبت بالدهن﴾ أي تنبت وفيها الدهن وقيل تنبت بثمر الدهن وهو الزيت ﴿وصبغ للآكلين﴾ الصبغ الأدام الذي يكون مع الخبز ويصبغ به جعل الله في هذه الشجرة المباركة أدماً وهو الزيتون ودهناً وهو الزيت وخصّ جبل الطور بالزيتون لأنه منه نشأ وقيل إن أول شجرة نبتت بعد الطوفان الزيتون وقيل إنها تبقى في الأرض نحو ثلاثة آلاف سنة. قوله عزّ وجلّ ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة﴾ أي آية تعتبرون بها ﴿نسقيكم مما في بطونها﴾ أي ألبانها ووجه الاعتبار فيه أن اللبن يخلص إلى الضرع من بين فرث ودم بإذن الله تعالى ليس فيه منهما شيء فيستحيل إلى الطهارة وإلى طعم يوافق الشهوة والطبع ويصير غذاء، وتقدّم بسط الكلام بما فيه كفاية في سورة النحل ﴿ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون﴾ يعني كما تنتفعون بها وهي حية فكذلك تنتفعون بها بعد الذبح للأكل ﴿وعليها﴾ أي وعلى الإبل ﴿وعلى الفلك تحملون﴾ أي على الإبل في البر وعلى السفن في البحر. قوله تعالى ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ أي ما لكم معبوداً سواه ﴿أفلا تتقون﴾ أي أفلا تخافون عقابه إذا عبدتم غيره ﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم﴾ أي آدمي مثلكم مشارك لكم في جميع الأمور ﴿يريد أن

تعالى: ﴿ وطور سينين ﴾ [التين: ٢] قال مجاهد: معناه البركة، أي: من جبل مبارك. وقال قتادة: معناه الحسن، أي من الجبل الحسن. وقال الضحاك: هو بالنبطية، ومعناه الحسن: وقال عكرمة: هو بالحبشية. وقال الكلبي: معناه الشجر، أي: جبل ذو شجر. وقيل: هو بالسريانية الملتفّة بالأشجار. وقال مقاتل: كل جبل فيه أشجار مثمرة فهو سينا، وسينين بلغة النبط. وقيل: هو فيعال من السناء وهو الارتفاع قال ابن زيد: هو الجبل الذي نُودي منه موسى بين مصر وأيلة. وقال مجاهد: سينا اسم حجارة بعينها أُضيف الجبل إليها لوجودها عنده. وقال عكرمة: هو اسم المكان الذي فيه هذا الجبل، ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهن﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة ويعقوب تنبت بضمّ التاء وكسر الباء وقرأ الآخرون بفتح التاء وضمّ الباء، فمَن قرأ بفتح التاء فمعناه تنبت تثمر الدهن وهو الزيتون. وقا : تنبت ومعها الدهن، ومَن قرأ بضم التاء، اختلفوا فيه فمنهم مَن قال: الباء زائدة معناه تنبت الدهن كما يقال أخذت ثوبه وأخذت بثوبه، ومنهم مَن قال: نبت وأنبت لغتان بمعنى واحد، كما قال زهير:

رأيتُ ذوي الحاجاتِ حولَ بيوتهم قطيناً لهم حتى إذا أنبت البقل

أي: نبت، ﴿ وصِبْغٍ للآكلين ﴾، الصبغ والصباغ الإدام الذي لون الخبز إذا غُمِّس فيه ينصبغ، والإدام كلّ ما يُؤكل مع الخبز سواء ينصبغ به الخبز ولا يُصبَغ. قال مقاتل: جعل الله في هذه الشجرة أدماً ودُهناً، فالأدم: الزيتون، والدهن: الزيت، وقال: خُصّ الطور بالزيتون لأن أول الزيتون نبت بها. ويقال: لأن الزيتون أول شجرة نبتت في الدنيا بعد الطوفان.

قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وإنّ لكم في الأنعام لعبرة ﴾، يعني: آية تعتبرون بها، ﴿ نسقيكم ﴾، قرأ العامّة بالنون، وقرأ أبو جعفر ههنا بالتاء وفتحها، ﴿ مما في بطونها ولكم فيها منافعُ كثيرةٌ ومنها تأكلون ﴾.

﴿ وعليها وعلى الفلك تحملون ﴾، يعني: على الإبل في البر وعلى الفلك في البحر.

﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ﴾، وحّدوه، ﴿ ما لكم من إلَهٍ غيره ﴾، معبود سواه، ﴿ أفلا تتقون ﴾، أفلا تخافون عقوبته إذا عبدتم غيره.

يتفضل عليكم﴾ أي إنه يحب الشرف والرياسة متبوعاً وأنتم له تبع **﴿ولو شاء الله لأنزل ملائكة﴾** يعني بإبلاغ الوحي **﴿ما سمعنا بهذا﴾** يعني الذي يدعونا إليه نوح **﴿في آبائنا الأولين إن هو إلا رجل به جنة﴾** يعني جنون **﴿فتربصوا به حتى حين﴾** يعني إلى الموت فتستريحوا منه **﴿قال رب انصرني بما كذبون﴾** يعني أعني بإهلاكهم بتكذيبهم إياي **﴿فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا﴾** يعني بمرأى منا قاله ابن عباس. وقيل بعلمنا وحفظنا لئلا يتعرض له أحد ولا يفسد عليه عمله **﴿ووحينا﴾** قيل: إن جبريل علمه عمل السفينة ووصف له كيفية اتخاذها **﴿فإذا جاء أمرنا﴾** يعني عذابنا **﴿وفار التنور﴾** قيل هو التنور الذي يخبز فيه وكان من حجارة، وقيل التنور هو وجه الأرض والمعنى أنك إذا رأيت الماء يفور من التنور **﴿فاسلك فيها﴾** يعني فأدخل في السفينة **﴿من كل زوجين اثنين﴾** يعني من كل حيوان ذكر وأنثى **﴿وأهلك﴾** يعني وسائر من آمن بك **﴿إلا من سبق عليه القول﴾** يعني وجب عليه العذاب **﴿منهم﴾** يعني الكفار وقيل أراد بأهله أهل بيته خاصة والذي سبق عليه القول منهم هو ابنه كنعان **﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون﴾** قوله عزّ وجلّ **﴿فإذا استويت﴾** يعني اعتدلت **﴿أنت ومن معك على الفلك﴾** يعني في السفينة **﴿فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين﴾** يعني الكافرين **﴿وقل رب أنزلني منزلاً مباركاً﴾** قيل موضع النزول وهو السفينة عند الركوب. وقيل هو وجه الأرض بعد الخروج من السفينة وأراد بالبركة النجاة من الغرق وكثرة النسل بعد الإنجاء **﴿وأنت خير المنزلين﴾** معناه أنه قد يكون الإنزال من غير الله كما يكون من الله فحسن أن يقول وأنت خير المنزلين لأنه يحفظ من أنزله ويكلؤه في سائر أحواله ويدفع عنه المكره بخلاف منزل الضيف فإنه لا يقدر على ذلك.

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟

﴿ فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلاّ بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ﴾، يعني: يتشرّف بأن يكون له الفضل عليكم فيصير متبوعاً وأنتم له تُبّع، **﴿ ولو شاء الله ﴾**، أن لا يعبد سواه، **﴿ لأنزل ملائكة ﴾**، يعني بإبلاغ الوحي **﴿ ما سمعنا بهذا ﴾**، الذي يدعونا إليه نوح **﴿ في آبائنا الأوّلين ﴾**، وقيل: ما سمعنا بهذا أي: بإرسال بشر رسولاً.

﴿ إنْ هو إلاّ رجل بهِ جِنَّةٌ ﴾، يعني: جنون، **﴿ فتربصوا به حتى حين ﴾**، يعني إلى أن يموت فتستريحوا منه.

﴿ قال ربِّ انصرني بما كذبون ﴾، يعني: أعني بإهلاكهم لتكذيبهم إيّاي.

﴿ فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فإذا جاء أمرنا وفار التنّور فاسلك فيها ﴾، أدخل فيها، يقال سلكته في كذا وأسلكته فيه، **﴿ من كل زوجين اثنين وأهلك إلاّ مَن سبق عليه القول منهم ﴾**، يعني مَن سبق عليه الحكم بالهلاك.

﴿ ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون ﴾.

﴿ فإذا استويت ﴾، اعتدلت **﴿ أنت ومَن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجّانا من القوم الظالمين ﴾**، يعني الكافرين.

﴿ وقل ربِّ أنزلني منزلاً مباركاً ﴾، قرأ أبو بكر عن عاصم **﴿ منزلاً ﴾** بفتح الميم وكسر الزاي، أي يريد موضع النزول، وقيل: هذا هو السفينة بعد الركوب، وقيل: هو الأرض بعد النزول، ويحتمل أنه أراد في السفينة، ويحتمل بعد الخروج، وقرأ الباقون منزلاً بضمّ الميم وفتح الزاي، أي إنزالاً مباركاً، فالبركة في السفينة النجاة وفي النزل بعد الخروج كثرة النسل من أولاده الثلاثة، **﴿ وأنت خير المنزلين ﴾**.

ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا
لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ
هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ
بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ
فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا
يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا
لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾

﴿إن في ذلك﴾ يعني الذي ذكر من أمر نوح والسفينة وإهلاك أعداء الله ﴿لآيات﴾ يعني دلالات على قدرتنا ﴿وإن كنا﴾ يعني وما كنا ﴿لمبتلين﴾ يعني إلا مختبرين إياهم بإرسال نوح ووعظه وتذكيره لننظر ما هم عاملون قبل نزول العذاب بهم. قوله تعالى ﴿ثم أنشأنا من بعدهم﴾ يعني من بعد إهلاكهم ﴿قرناً آخرين﴾ يعني عاداً ﴿فأرسلنا فيهم رسولاً منهم﴾ يعني هوداً قاله أكثر المفسرين وقيل القرن ثمود والرسول صالح والأول أصح ﴿أن اعبدوا الله ما لكم من

﴿ إن في ذلك ﴾، يعني الذي ذكرت من أمر نوح والسفينة وإهلاك أعداء الله، ﴿ لآيات ﴾، لدلالات على قدرته، ﴿ وإنْ كنّا لمبتَلين ﴾، يعني: وقد كنّا. وقيل: وما كنّا إلاّ مبتلين أي: مختبرين إيّاهم بإرسال نوح ووعظه وتذكيره لننظر ما هم عاملون قبل نزول العذاب بهم.

﴿ ثم أنشأنا من بعدهم ﴾، من بعد إهلاكهم، ﴿ قرناً آخرين ﴾.

﴿فأرسلنا فيهم رسولاً منهم ﴾، يعني هوداً وقومه. وقيل: صالحاً وقومه. والأول أظهر، ﴿ أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون ﴾.

﴿ وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذّبوا بلقاء الآخرة ﴾، أي المصير إلى الآخرة، ﴿ وأترفناهم ﴾، نعمناهم ووسعنا عليهم، ﴿ في الحياة الدنيا ما هذا إلاّ بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ﴾، يعني مما تشربون منه.

﴿ ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذاً لخاسرون ﴾، لمغبونون.

﴿ أيعدكم أنكم إذا متّم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون ﴾، من قبوركم أحياءً وأعاد أنكم لمّا طال الكلام، ومعنى الكلام: أيعدكم أنكم إذا متّم وكنتم تراباً وعظاماً مخرجون؟ وكذلك هو في قراءة عبد الله، نظيره في القرآن ﴿ ألم يعلموا أنه مَن يحادِدِ الله ورسولَه فأن له نار جهنّم خالداً فيها ﴾[التوبة: ٦٣].

﴿هيهاتَ هيهات لِما تُوعدون﴾، قال ابن عباس: هي كلمة بُعد، أي: بعيد ما توعدون، قرأ أبو جعفر ﴿ هيهات هيهات ﴾ بكسر التاء، وقرأ نصر بن عاصم بالضم، وكلها لغات صحيحة فمَن نصب جعله مثله أين وكيف، ومَن رفع جعله مثل منذ وقطّ وحيث، ومَن كسر جعله مثل أمس وهؤلاء، ووقف عليها أكثر القرّاء بالتاء، ويُروى عن الكسائي الوقف عليها بالهاء.

إله غيره أفلا تتقون﴾ يعني هذه الطريقة التي أنتم عليها مخافة العذاب ﴿وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة﴾ يعني بالمصير إليها ﴿وأترفناهم﴾ يعني نعمناهم ووسعنا عليهم ﴿في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون ويشرب مما تشربون﴾ يعني من مشربكم ﴿ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذاً لخاسرون﴾ يعني لمغبونون ﴿أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون﴾ يعني من قبوركم أحياء ﴿هيهات هيهات﴾ قال ابن عباس أي بعيد بعيد ﴿لما توعدون﴾ استبعد القوم بعثهم بعد الموت إغفالاً منهم للتفكر في بدء أمرهم وقدرة الله على إيجادهم وأرادوا بهذا الاستبعاد أنه لا يكون أبداً ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا﴾ قيل معناه نحيا ونموت لأنهم كانوا ينكرون البعث وقيل يموت الآباء ويحيا الأبناء وقيل معناه يموت قوم ويحيا قوم ﴿وما نحن بمبعوثين﴾ يعني بعد الموت ﴿إن هو﴾ يعنون رسولهم ﴿إلا رجل افترى على الله كذباً وما نحن له بمؤمنين﴾ يعني بمصدقين بالبعث بعد الموت ﴿قال رب انصرني بما كذبون قال عمّا قليل ليصبحن﴾ يعني ليصيرن ﴿نادمين﴾ على كفرهم وتكذيبهم ﴿فأخذتهم الصيحة بالحق﴾ يعني صيحة العذاب وقيل صاح بهم جبريل فتصدعت قلوبهم وقيل أراد بالصيحة الهلاك ﴿فجعلناهم غثاء﴾ هو ما يحمله السيل من حشيش وعيدان شجر، والمعنى صيرناهم هلكى فيبسوا يبس الغثاء من نبات الأرض ﴿فبعداً﴾ يعني ألزمنا بعداً من الرحمة ﴿للقوم الظالمين﴾. قوله عز وجل ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قروناً آخرين﴾ يعني أقواماً آخرين ﴿ما تسبق من أمة أجلها﴾ يعني وقت هلاكها ﴿وما يستأخرون﴾ يعني عن وقت هلاكهم

﴿ إنْ هي ﴾، يعنون الدنيا، ﴿ إلاّ حياتنا الدنيا نموت ونحيا ﴾، قيل فيه تقديم وتأخير، أي: نحيا ونموت لأنهم كانوا ينكرون البعث بعد الموت. وقيل: يموت الآباء ويحيا الأبناء. وقيل: يموت قوم ويحيا قوم. ﴿ وما نحن بمبعوثين ﴾، بمنشَرين بعد الموت.

﴿ إنْ هو ﴾، يعني الرسول، ﴿ إلاّ رجل افترى على الله كذباً وما نحن له بمؤمنين ﴾، بمصدّقين بالبعث بعد الموت.

﴿ قال ربِّ انصرني بما كذبون ﴾. ﴿ قال عمّا قليل ﴾، أي: عن قليل ﴿ وما ﴾ صلة، ﴿ ليصبِحُنّ ﴾، ليصيرنّ، ﴿ نادمين ﴾، على كفرهم وتكذيبهم.

﴿ فأخذتهم الصيحة ﴾، يعني صيحة العذاب، ﴿ بالحق ﴾، قيل: أراد بالصيحة الهلاك. وقيل: صاح بهم جبريل صيحة فتصدّعت قلوبهم، ﴿ فجعلناهم غُثاءً ﴾، وهو ما يحمله السيل من حشيش وعيدان شجر، معناه: صيّرناهم هلكَى فيبسوا يبس الغثاء من نبات الأرض، ﴿ فبُعداً للقوم الظالمين ﴾.

﴿ ثم أنشأنا من بعدهم قروناً آخرين ﴾، يعني: أقواماً آخرين.

﴿ ما تسبق من أمة أجلَها ﴾، يعني: ما تسبق أمة أجلها، ﴿ ومن ﴾ صلة أي: وقت هلاكها، ﴿ وما يستأخِرُون ﴾، وما يتأخرون عن وقت هلاكهم.

﴿ ثم أرسلنا رسلنا تترى ﴾، يعني: مترادفين يتبع بعضهم بعضاً غير متواصلين، لأن بين كل نبيّين زماناً طويلاً وهي فعلى من المواترة، قال الأصمعي: يقال واترت الخبر إذا اتّبعت بعضه بعضاً وبين الخبرين مهملة. واختلف القرّاء فيه، فقرأ أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو بالتنوين ويعقوب بالألف، ولا يميله أبو عمرو في الوقف فيها كالألف في قولهم رأيت زيداً، وقرأ الباقون بلا تنوين، والوقف عندهم يكون بالياء ويميله حمزة والكسائي، وهو مثل قولهم غضبَى وسكرَى، وهو اسم جمع مثل شتّى، وعلى القراءتين التاء الأولى بدل من الواو وأصله وترى من المواترة والتواتر، فجعلت الواو وتاء مثل التقوى والتكلان، ﴿ كل ما جاء أمة رسولها كذّبوه فأتبعنا بعضهم بعضاً ﴾،

﴿ثم أرسلنا رسلنا تترى﴾ يعني مترادفين يتبع بعضهم بعضاً غير متواصلين لأن بين كل رسولين زمناً طويلاً ﴿كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضاً﴾ يعني بالهلاك فأهلكنا بعضهم في أثر بعض ﴿وجعلناهم أحاديث﴾ يعني سمراً وقصصاً يتحدث من بعدهم بأمرهم وشأنهم ﴿فبعداً لقوم لا يؤمنون﴾. قوله تعالى:

ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا
عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا
مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ
فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ
أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾
وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ
رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾

﴿ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين﴾ يعني بحجة بينة كالعصا واليد وغيرهما ﴿إلى فرعون وملئه فاستكبروا﴾ يعني تعظموا عن الإيمان ﴿وكانوا قوماً عالين﴾ يعني متكبرين قاهرين غيرهم بالظلم ﴿قالوا﴾ يعني فرعون وقومه ﴿أنؤمن لبشرين مثلنا﴾ يعنون موسى وهارون ﴿وقومهما لنا عابدون﴾ يعني مطيعون متذللون ﴿فكذبوهما فكانوا من المهلكين﴾ يعني بالغرق ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ يعني التوراة ﴿لعلهم يهتدون﴾ يعني لكي يهتدي به قومه. قوله عزّ وجلّ ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾ يعني دلالة على قدرتنا لأنه خلقه من غير ذكر وأنطقه في المهد. فإن قلت لم قال آية ولم يقل آيتين. قلت معناه جعلنا شأنهما آية لأن عيسى ولد من غير ذكر وكذلك مريم ولدته من غير ذكر فاشتركا في هذه الآية فكانت آية واحدة ﴿وآويناهما إلى ربوة﴾ يعني مكان مرتفع قيل هي دمشق وقيل هي

بالهلاك: أي: أهلكنا بعضهم في إثر بعض، ﴿ وجعلناهم أحاديث ﴾، يعني سمراً وقصصاً يتحدث مَن بعدهم بأمرهم وشأنهم، وهي جمع أُحدوثة، وقيل: جمع حديث. قال الأخفش: إنما هو في الشر وأما في الخير فلا يقال جعلتهم أحاديث وأُحدوثة إنما يقال صار فلان حديثاً، ﴿ فبُعداً لقوم لا يؤمنون ﴾.

﴿ ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين ﴾، يعني بحجة بيّنة من اليد والعصا. وغيرهما.

﴿ إلى فرعون وملئه فاستكبروا ﴾، تعظموا عن الإيمان، ﴿ وكانوا قوماً عالين ﴾، متكبّرين قاهرين بالظلم.

﴿ فقالوا ﴾، يعني فرعون وقومه، ﴿ أنؤمن لبشرين مثلنا ﴾، يعني: موسى وهارون، ﴿ وقومُهُما لنا عابدون ﴾، مطيعون متذلّلون والعرب تسمّي كلّ مَن دان للملك عابداً له.

﴿ فكذّبوهما فكانوا من المهلَكين ﴾، بالغرق.

﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب ﴾، التوراة، ﴿ لعلّهم يهتدون ﴾، أي لكي يهتدي به قومه.

﴿ وجعلنا ابنَ مريمَ وأُمَّه آيةً ﴾، دلالة على قدرتنا، ولم يقل آيتين: قيل: معناه شأنهما آية. وقيل: معناه جعلنا كل واحد منهما آية، كقوله تعالى: ﴿ كلتا الجنتين آتت أُكلها ﴾ [الكهف: ٣٣]. ﴿ وآويناهما إلى ربوةٍ ﴾،

الرملة وقيل أرض فلسطين وقال ابن عباس هي بيت المقدس. قال كعب بيت المقدس أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً. وقيل هي مصر وسبب الأيواء أنها فرت بابنها إليها. وقوله ﴿ذات قرار﴾ يعني منبسطة واسعة يستقر عليها ساكنوها ﴿ومعين﴾ هو الماء الجاري الذي تراه العيون. قوله تعالى ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات﴾ قيل أراد بالرسل محمداً ﷺ وحده وقيل أراد به عيسى عليه السلام وقيل أراد جميع الرسل وأراد بالطيبات الحلال ﴿واعملوا صالحاً﴾ أي استقيموا على ما يوجبه الشرع ﴿إني بما تعملون عليم﴾ فيه تحذير من مخالفة ما أمرهم به وإذا كان الرسل مع علو شأنهم كذلك فلأن يكون تحذيراً لغيرهم أولى لما روي عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات﴾ وقال ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنّى يستجاب لذلك» أخرجه مسلم. قوله عزّ وجلّ ﴿وإن هذه أمتكم﴾ أي ملتكم وشريعتكم التي أنتم عليها ﴿أمة واحدة﴾ أي ملة واحدة وهي الإسلام ﴿وأنا ربكم

الربوة المكان المرتفع من الأرض، واختلفت الأقوال فيها، فقال عبد الله بن سلام: هي دمشق، وهو قول سعيد بن المسيب ومقاتل، وقال الضحاك: غوطة دمشق. وقال أبو هريرة: هي الرملة. وقال عطاء عن ابن عباس: هي بيت المقدس، وهو قول قتادة وكعب. وقال كعب: هي أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً. وقال ابن زيد: هي مصر. وقال السدي: أرض فلسطين. ﴿ ذات قرارٍ ﴾ أي: مستوية منبسطة واسعة يستقرّ عليها ساكنوها. ﴿ ومعين ﴾، فالمعين الماء الجاري الظاهر الذي تراه العيون، مفعول من عانه يعينه إذا أدركه البصر. قوله: ﴿ يا أيها الرُّسل ﴾، قال الحسن ومجاهد وقتادة والسدي والكلبي وجماعة: أراد به محمد ﷺ وحده على مذهب العرب في مخاطبة الواحد بلفظ الجماعة. وقال بعضهم: أراد به عيسى. وقيل: أراد به جميع الرسل عليهم السلام، ﴿ كُلُوا من الطيبات ﴾، أي الحلالات، ﴿ واعملوا صالحاً ﴾، الصلاح هو الاستقامة على ما توجبه الشريعة، ﴿ إني بما تعملون عليم ﴾.

﴿ وإنّ هذه ﴾ قرأ أهل الكوفة وإن بكسر الألف على الابتداء وقرأ الباقون بفتح الألف وخفّف ابن عامر النون وجعل إن صلة مجازه وهذه ﴿ أمتكم ﴾، وقرأ الباقون بتشديد النون على معنى وبأن هذا تقديره بأن هذه أمتكم، أي ملّتكم وشريعتكم التي أنتم عليها، ﴿ أمة واحدة ﴾، أي ملّة واحدة وهي الإسلام، ﴿ وأنا ربّكم فاتّقون ﴾، أي: اتقوني لهذا، وقيل: معناه أمرتكم بما أمرت به المرسلين من قبلكم فأمركم واحد ﴿ وأنا ربكم فاتقون ﴾، فاحذرون وقيل: هو نصب بإضمار فعل، أي: اعلموا أن هذه أمتكم أي ملّتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون.

﴿ فتقطعوا أمرهم ﴾، دينهم، ﴿ بينهم ﴾، أي: تفرّقوا فصاروا فِرقاً يهوداً ونصارى ومجوساً، ﴿ زُبراً ﴾ أي: فرقاً وقطعاً مختلفة، واحدها زبور وهو الفرقة والطائفة، ومثله الزبرة وجمعها زبر، ومنه: ﴿ زبر الحديد ﴾ [الكهف: ٩٦] أي: صاروا فرقاً كزبر الحديد. وقرأ بعض أهل الشام ﴿ زبراً ﴾ بفتح الباء، قال قتادة ومجاهد ﴿ زبراً ﴾ أي: كتباً يعني دان كل فريق بكتاب غير الكتاب الذي دان به الآخرون. وقيل: جعلوا كتبهم قطعاً مختلفة آمنوا بالبعض وكفروا بالبعض وحرّفوا البعض، ﴿ كل حزب بما لديهم ﴾، أي: بما عندهم منهم الذين، ﴿ فرحون ﴾، معجبون ومسرورون.

﴿ فذرهم في غمرتهم ﴾، قال ابن عباس: في كفرهم وضلالتهم، وقيل: عمايتهم، وقيل: غفلتهم ﴿ حتى حين ﴾، إلى أن يموتوا.

فاتقون﴾ أي فاحذورن وقيل معناه أمرتكم بما أمرت به المرسلين قبلكم فأمركم واحد وأنا ربكم فاتقون ﴿فتقطعوا﴾ أي تفرقوا فصاروا فرقاً يهوداً ونصارى ومجوساً وغير ذلك من الأديان المختلفة ﴿أمرهم﴾ أي دينهم ﴿بينهم زبراً﴾ أي فرقاً وقطعاً مختلفة وقيل معنى زبراً أي كتباً، والمعنى تمسك كل قوم بكتاب فآمنوا به وكفروا بما سواه من الكتب ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾ أي مسرورون معجبون بما عندهم من الدين ﴿فذرهم﴾ الخطاب للنبيّ ﷺ ﴿في غمرتهم﴾ قال ابن عباس في كفرهم وضلالتهم وقيل في عمايتهم وغفلتهم ﴿حتى حين﴾ أي إلى أن يموتوا ﴿أيحبسون أنما نمدهم به من مال وبنين﴾ أي ما نعطيهم ونجعله لهم مدداً من المال والبنين في الدنيا ﴿نسارع لهم في الخيرات﴾ أي نعجل لهم ذلك في الخيرات ونقدمه ثواباً لأعمالهم لمرضاتنا عنهم ﴿بل لا يشعرون﴾ أي إن ذلك استدراج لهم ثم ذكر المسارعين في الخيرات فقال تعالى ﴿إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون﴾ أي خائفون، والمعنى أنّ المؤمنين بما هم عليه من خشية الله خائفون من عقابه. قال الحسن البصري المؤمن جمع إحساناً وخشية والمنافق جمع إساءة وأمناً ﴿والذين هم بآيات ربهم يؤمنون﴾ يعني يصدقون ﴿والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا﴾ أي يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات. وقيل معناه يعملون ما عملوا من أعمال البر ﴿وقلوبهم وجلة﴾ أي خائفة أن ذلك لا ينجيهم من عذاب الله وأنّ أعمالهم لا تقبل منهم ﴿أنهم إلى ربهم راجعون﴾ أي إنهم يوقنون أنهم إلى الله صائرون. قال الحسن عملوا والله بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا أن ترد عليهم. عن عائشة قالت: «قلت يا رسول الله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة هم الذين يشربون الخمر ويسرقون قال لا يا بنت الصدّيق ولكن هم الذين يصومون ويتصدّقون ويخافون أن لا يقبل منهم أولئك يسارعون في الخيرات» أخرجه الترمذي، وقوله:

﴿ أيحسبون أنما نمدّهم به من مال وبنين ﴾ ما نعطيهم ونجعله مدداً لهم من المال والبنين في الدنيا.

﴿ نُسارع لهم في الخيرات ﴾، أي: نعجل لهم في الخيرات ونقدّمها ثواباً لأعمالهم لمرضاتنا عنهم، ﴿ بل لا يشعرون ﴾، إنّ ذلك استدراج لهم. ثم ذكر المسارعين في الخيرات فقال:

﴿ إنّ الذين هم من خشية ربهم مشفقون ﴾، أي: خائفون، والإشفاق: الخوف، والمعنى أن المؤمنين بما هم عليه من خشية الله خائفون من عقابه قال الحسن البصري: المؤمن مَن جمع إحساناً وخشيةً، والمنافق مَن جمع إساءة وأمناً.

﴿ والذين هم بآيات ربهم يؤمنون ﴾، يُصدِّقون.

﴿ والذين هم بربهم لا يشركون ﴾.

﴿ والذين يؤتون ما آتوا ﴾، أي: يعطون ما أُعطوا من الزكاة والصدقات، ورُوِيَ عن عائشة أنها كانت تقرأ ﴿ والذين يأتون ما أتوا ﴾ أي: يعملون ما عملوا من أعمال البرّ، ﴿ وقلوبهم وَجِلَة ﴾، أن ذلك لا ينجيهم من عذاب الله وأن أعمالهم لا تُقبل منهم، ﴿ أنهم إلى ربهم راجعون ﴾، لأنهم يوقنون أنهم يرجعون إلى الله عزّ وجلّ. وقال الحسن: عملوا لله بالطاعات واجتهدوا فيها، وخافوا أن تردّ عليهم. أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا عبد الله بن يوسف أنا محمد بن حامد حدّثنا محمد بن الجهم أنا عبد الله بن عمرو، أنا وكيع عن مالك بن معون عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله: ﴿ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وَجِلة ﴾ أهو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق؟ قال: «لا يا بنت الصدّيق، ولكنه الرجل يصوم ويصلّي ويتصدّق ويخاف أن لا يُقبَل منه».

﴿أُولَٰئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ۝٦١ وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ
لَا يُظۡلَمُونَ ۝٦٢ بَلۡ قُلُوبُهُمۡ فِي غَمۡرَةٖ مِّنۡ هَٰذَا وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ ۝٦٣ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم
بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ۝٦٤ لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ۝٦٥ قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ
أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ ۝٦٦ مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ ۝٦٧ أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ
ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٦٨ أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٦٩ أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ
كَٰرِهُونَ ۝٧٠ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ
عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ ۝٧١﴾

﴿**أولئك يسارعون في الخيرات**﴾ أي يبادرون إلى الأعمال الصالحة ﴿**وهم لها سابقون**﴾ أي إليها وقال ابن عباس سبقت لهم من الله السعادة وقيل سبقوا الأمم إلى الخيرات. قوله عزّ وجلّ ﴿**ولا نكلف نفساً إلا وسعها**﴾ أي طاقتها من الأعمال، فمن لم يستطع القيام فليصل قاعداً ومن لم يستطع الصوم فليفطر ﴿**ولدينا كتاب**﴾ هو اللوح المحفوظ ﴿**ينطق بالحق**﴾ أي يبين الصدق والمعنى قد أثبتنا عمل كل عامل في اللوح المحفوظ فهو ينطق به ويبينه وقيل هو كتاب أعمال العباد التي تكتبها الحفظة ﴿**وهم لا يظلمون**﴾ أي لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم ثم ذكر الكفار فقال تعالى ﴿**بل قلوبهم في غمرة**﴾ أي غفلة وجهالة ﴿**من هذا**﴾ يعني القرآن ﴿**ولهم أعمال**﴾ أي للكفار أعمال خبيثة من المعاصي والخطايا محكومة عليهم ﴿**من دون ذلك**﴾ يعني من دون أعمال المؤمنين التي ذكرها الله في

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **أولئك يُسارعون في الخيرات** ﴾، يبادرون إلى الأعمال الصالحات، ﴿ **وهم لها سابقون** ﴾، أي: إليها سابقون، كقوله تعالى: ﴿ لما نهوا ﴾ [الأنعام: ٢٨، المجادلة: ٨] أي: إلى ما نهوا، ولمّا قالوا ونحوها، وقال ابن عباس في معنى هذه الآية: سبقت لهم من الله السعادة. وقال الكلبي: سبقوا الأمم إلى الخيرات.

قوله: ﴿ **ولا نُكلّف نفساً إلّا وسعها** ﴾، أي: طاقتها فمَن لم يستطع القيام فليصلِّ قاعداً ومَن لم يستطع الصوم فليفطر، ﴿ **ولدينا كتاب ينطق بالحق** ﴾، وهو اللوح المحفوظ ينطق بالحق يبيّن بالصدق، ومعنى الآية لا يكلّف الله نفساً إلّا وسعها إلّا ما أطاقت من العمل، وقد أثبتنا عمله في اللوح المحفوظ، فهو ينطق به ويبيّنه. وقيل: هو كتب أعمال العباد التي تكتبها الحفظة، ﴿ **وهم لا يظلمون** ﴾، ولا ينقص من حسناتهم ولا يُزاد على سيئاتهم، ثم ذكر الكفّار.

فقال: ﴿ **بل قلوبهم في غمرة** ﴾، أي: في غفلة وجهالة، ﴿ **من هذا** ﴾، أي: من القرآن، ﴿ **ولهم أعمال من دون ذلك** ﴾، أي: للكفّار أعمال خبيثة من المعاصي، والخطايا محكومة عليهم من دون ذلك، يعني من دون أعمال المؤمنين التي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿ **إن الذين هم من خشية ربّهم مشفقون** ﴾، ﴿ **هم لها عاملون** ﴾، لا بدّ لهم من أن يعملوها فيدخلوا بها النار لما سبق لهم من الشقاوة هذا قول أكثر المفسّرين. وقال قتادة: هذا ينصرف إلى المسلمين وأن لهم أعمالاً سوى ما عملوا من الخيرات هم لها عاملون، والأول أظهر.

﴿ **حتى إذا أخذنا مُترَفيهم** ﴾، أي: أخذنا أغنياءهم ورؤساءهم، ﴿ **بالعذاب** ﴾، قال ابن عباس: هو السيف يوم بدر. وقال الضحاك: يعني الجوع حين دعا عليهم رسول الله ﷺ، فقال: «اللهمّ اشدد وَطْأتك على مُضر،

قوله ﴿إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون﴾ ﴿هم﴾ يعني الكفار ﴿لها﴾ أي لتلك الأعمال الخبيثة ﴿عاملون﴾ أي لا بد لهم من أن يعملوها فيدخلوا بها النار لما سبق لهم في الأزل من الشقاوة ﴿حتى إذا أخذنا مترفيهم﴾ أي رؤساءهم وأغنياءهم ﴿بالعذاب﴾ قال ابن عباس: هو السيف يوم بدر وقيل هو الجوع حين دعا عليهم رسول الله ﷺ فقال: «اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى أكلوا الكلاب والجيف» ﴿إذا هم يجأرون﴾ أي يصيحون ويستغيثون ويجزعون ﴿لا تجأروا اليوم﴾ يعني لا تجزعوا ولا تضجوا اليوم ﴿إنكم منا لا تنصرون﴾ يعني لا تمنعون منا ولا ينفعكم تضرعكم ﴿قد كانت آياتي تتلى عليكم﴾ يعني القرآن ﴿فكنتم على أعقابكم تنكصون﴾ يعني ترجعون القهقرى وتتأخرون عن الإيمان ﴿مستكبرين به﴾ قال ابن عباس: أي بالبيت الحرام كناية عن غير مذكور أي مستعظمين بالبيت وذلك أنهم كانوا يقولون نحن أهل حرم الله وجيران بيته فلا يظهر علينا أحد ولا نخاف أحداً فيأمنون فيه وسائر الناس في الخوف. وقيل مستكبرين به أي بالقرآن فلم يؤمنوا به والقول الأول أظهر ﴿سامراً﴾ يعني أنهم يسمرون بالليل حول البيت وكان عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحراً أو شعراً ونحو ذلك من القول فيه وفي النبيّ ﷺ وهو قوله ﴿تهجرون﴾ من الإهجار وهو الإفحاش في القول وقيل معنى تهجرون تعرضون عن النبيّ ﷺ وعن الإيمان به وبالقرآن وقيل هو من الهجر وهو القول القبيح أي تهذون وتقولون ما لا تعلمون ﴿أفلم يدبروا القول﴾ يعني أفلم يتدبروا ما جاءهم من القرآن فيعتبرون بما فيه من الدلالات الواضحة على صدق محمد ﷺ ﴿أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين﴾ يعني فأنكروا يريد إنا قد بعثنا من قبلهم رسلاً إلى قومهم فكذلك بعثنا

واجعلها عليهم سنين كسِنِي يوسف» فابتلاهم الله عزّ وجلّ بالقحط حتى أكلوا الكلاب والجيف. ﴿ إذا هم يجأرون ﴾ يجزعون ويستغيثون وأصل الجأر رفع الصوت بالتضرّع.

﴿ لا تجأروا اليوم ﴾، أي لا تضجّوا، ﴿ إنّكم منّا لا تنصرون ﴾، لا تمنعون منّا ولا ينفعكم تضرعكم.

﴿ قد كانت آياتي تُتلى عليكم ﴾، يعني القرآن، ﴿ فكنتم على أعقابكم تنكصون ﴾ ترجعون القهقرى تتأخرون عن الإيمان.

﴿ مستكبرين به ﴾، اختلفوا في هذه الكناية فأظهر الأقاويل أنها تعود إلى البيت الحرام كناية عن غير مذكور، أي: مستكبرين متعظّمين بالبيت الحرام وتعظّمهم به أنهم كانوا يقولون نحن أهل حرم الله وجيران بيته فلا يظهر علينا أحد ولا نخاف أحد فيأمنون فيه وسائر الناس في الخوف، هذا قول ابن عباس ومجاهد وجماعة، وقيل: مستكبرين به أي بالقرآن فلم يؤمنوا به. والأول أظهر، المراد منه الحرم، ﴿ سامراً ﴾، نصب على الحال، أي أنهم يسمرون بالليل في مجالسهم حول البيت، ووحّد سامراً وهو بمعنى السمار لأنه وضع موضع الوقت، أراد تهجرون ليلاً. وقيل: وجد سامر، ومعناه الجمع، كقوله ﴿ ثم نخرجكم طفلاً ﴾ [الحج: ٥]، ﴿ تهجرون ﴾، قرأ نافع ﴿ تهجرون ﴾ بضم التاء وكسر الجيم من الإهجار وهو الإفحاش في القول، أي تفحشون وتقولون الخنا، وذكر أنهم كانوا يسبّون النبي ﷺ وأصحابه، وقرأ الآخرون ﴿ تهجرون ﴾ بفتح التاء وضم الجيم، أي: تعرضون عن النبي ﷺ وعن الإيمان والقرآن، وترفضونها. وقيل: هو من الهجر وهو القول القبيح، يقال هجر يهجر هجراً إذا قال غير الحق. وقيل: تهزؤون وتقولون ما لا تعلمون، من قولهم هجر الرجل في منامه إذا هذى.

﴿ أفلم يدبروا ﴾، يعني يتدبروا، ﴿ القول ﴾، يعني: ما جاءهم من القول وهو القرآن، فيعرفوا ما فيه من الدلالات على صدق محمد ﷺ، ﴿ أم جاءهم ما لم يأتِ آباءهم الأوّلين ﴾، فأنكروا، يريد إنّا قد بعثنا من قبلهم رسلاً إلى قومهم كذلك بعثنا محمداً ﷺ إليهم. وقيل: أم بمعنى بل يعني جاءهم ما لم يأتِ آباءهم الأوّلين فلذلك أنكروا.

محمداً ﷺ ﴿أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون﴾ قال ابن عباس: أليس قد عرفوا محمداً صلّى الله عليه وسلم صغيراً وكبيراً وعرفوا نسبه وصدقه وأمانته ووفاءه بالعهود وهذا على سبيل التوبيخ لهم على الإعراض عنه بعد ما عرفوه بالصدق والأمانة ﴿أم يقولون به جنة﴾ أي جنون وليس هو كذلك ﴿بل جاءهم بالحق﴾ بالصدق والقول الذي لا تخفى صحته وحسنه على عاقل ﴿وأكثرهم للحق كارهون﴾. قوله عزّ وجلّ ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم﴾ قيل الحق هو الله تعالى والمعنى ولو اتبع الله مرادهم فيما يفعل. وقيل: لو سمى لنفسه شريكاً وولداً كما يقولون وقيل: الحق هو القرآن أي لو نزل القرآن بما يحبون وما يعتقدون ﴿لفسدت السموات والأرض ومن فيهن﴾ أي لفسد العالم ﴿بل أتيناهم بذكرهم﴾ قال ابن عباس بما فيه شرفهم وفخرهم وهو القرآن ﴿فهم عن ذكرهم﴾ أي شرفهم ﴿معرضون﴾.

أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ
يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ
إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي
الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ
مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَٰذَا مِنْ
قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا
تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾

﴿أم تسألهم﴾ أي على ما جئتهم به ﴿خرجاً﴾ أي أجراً وجعلاً ﴿فخراج ربك خير﴾ أي ما يعطيك الله من رزقه

﴿ أم لم يعرفوا رسولهم ﴾، محمداً ﷺ، ﴿ فهم له منكرون ﴾، قال ابن عباس: أليس قد عرفوا محمداً ﷺ صغيراً وكبيراً وعرفوا نسبه وصدقه وأمانته ووفاءه بالعهود، وهذا على سبيل التوبيخ لهم على الإعراض عنه بعدما عرفوه بالصدق والأمانة.

﴿ أم يقولون يه جِنَّة ﴾، جنون وليس كذلك، ﴿ بل جاءهم بالحق ﴾، يعني بالصدق والقول الذي لا تخفى صحته وحُسنه على عاقل، ﴿ وأكثرهم للحق كارهون ﴾.

﴿ ولو اتّبع الحق أهواءهم ﴾، قال ابن جريج ومقاتل والسدي وجماعة: الحق هو الله أي لو اتّبع الله مرادهم فيما يُفعل، وقيل: لو اتّبع مرادهم، فسمّى لنفسه شريكاً وولداً كما يقولون: ﴿ لفسدتِ السموٰتُ والأرض ﴾، وقال الفرّاء والزجّاج: والمراد بالحق القرآن أي لو نزل القرآن بما يحبّون من جعل الشريك والولد على ما يعتقدونه ﴿ لفسدتِ السموٰتُ والأرضُ ومَن فيهنّ ﴾، وهو كقوله تعالى: ﴿ لو كان فيهما آلهة إلّا الله لفسدتا ﴾ [الأنبياء: ٢٢]. ﴿ بل آتيناهم بذكرهم ﴾، بما يذكرهم، قال ابن عباس: أي بما فيه فخرهم وشرفهم يعني القرآن، فهو كقوله تعالى: ﴿ لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم ﴾ [الأنبياء: ١٠]، أي: شرفكم ﴿ وإنه لذكرٌ لك ولقومك ﴾ [الزخرف: ٤٤]، أي شرف لك ولقومك. ﴿ فهم عن ذكرهم ﴾، يعني عن شرفهم، ﴿ معرضون ﴾.

﴿ أم تسئلهم ﴾، على ما جئتهم به، ﴿ خرجاً ﴾، أجراً وجعلاً، ﴿ فخراج ربك خير ﴾، يعني ما يعطيك الله

وثوابه خير ﴿وهو خير الرازقين﴾ تقدم تفسيره ﴿وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم﴾ أي إلى دين الإسلام ﴿وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط﴾ أي عن دين الحق ﴿لناكبون﴾ أي لعادلون عنه ومائلون ﴿ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر﴾ أي قحط وجدوبة ﴿للجوا﴾ أي لتمادوا ﴿في طغيانهم يعمهون﴾ أي لم ينزعوا عنه ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب﴾ وذلك أنّ النبيّ ﷺ دعا على قريش أن يجعل الله عليهم سنين كسني يوسف فأصابهم القحط. فجاء أبو سفيان إلى النبيّ ﷺ فقال أنشدك الله والرحم ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال: إنهم قد أكلوا القد والعظام وشكا إليه الضر فادع الله أن يكشف عنا هذا القحط فدعا فكشف عنهم فأنزل الله هذه الآية ﴿فما استكانوا لربهم﴾ ما خضعوا وما ذلوا لربهم ﴿وما يتضرعون﴾ أي لم يتضرعوا إلى ربهم بل مضوا على تمردهم ﴿حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد﴾ قال ابن عباس يعني القتل يوم بدر وقيل هو الموت وقيل هو قيام الساعة ﴿إذا هم فيه مبلسون﴾ أي آيسون من كل خير. قوله عزّ وجلّ ﴿وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾ أي لتسمعوا بها

من رزقه وثوابه خير، ﴿ وهو خير الرازقين ﴾، قرأ حمزة والكسائي (خراجاً) (فخرج) كلاهما بالألف وقرأ ابن عامر كلاهما بغير ألف وقرأ الآخرون ﴿ خرجاً ﴾ بغير ألف ﴿ فخراج ﴾ بالألف.

﴿ وإنّك لتدعوهم إلى صراط مستقيم ﴾، وهو الإسلام.

﴿ وإنّ الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط ﴾، أي عن دين الحق، ﴿ لناكِبُون ﴾، لعادلون مائلون.

﴿ ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضرٍّ ﴾، قحط وجدوبة ﴿ للجّوا ﴾، تمادوا، ﴿ في طغيانهم يعمهون ﴾، ولم ينزعوا عنه.

﴿ ولقد أخذناهم بالعذاب ﴾، وذلك أن النبي ﷺ دعا على قريش أن يجعل عليهم سنين كسني يوسف فأصابهم القحط، فجاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ وقال أنشدك الله والرحم، ألستَ تزعم أنك بُعِثت رحمة للعالمين؟ فقال: «بلى»، فقال: قد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع فادع الله أن يكشف عنّا هذا القحط، فدعا فكشف عنهم، فأنزل الله هذه الآية: ﴿ فما استكانُوا لِربِّهم ﴾، أي: ما خضعوا وما ذلّوا لربهم، وأصله طلب السكون، ﴿ وما يتضرعون ﴾، أي: لم يتضرّعوا إلى ربهم بل مضوا على تمرّدهم.

﴿ حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد ﴾، قال ابن عباس: يعني القتل يوم بدر وهو قول مجاهد، وقيل: هو الموت. وقيل: هو قيام الساعة، ﴿ إذ هم فيه مبلسون ﴾، آيسون من كل خير.

﴿ وهو الذي أنشأ لكم السمع ﴾، أي: أنشأ لكم الأسماع ﴿ والأبصار والأفئدة ﴾، لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا، ﴿ قليلاً ما تشكرون ﴾، أي: لم تشكروا هذه النِّعَم.

﴿ وهو الذي ذرأكم ﴾، خلقكم، ﴿ في الأرض وإليه تُحشرون ﴾، تُبعَثون.

﴿ وهو الذي يُحي ويُميت وله اختلاف الليل والنهار ﴾، أي: تدبير الليل والنهار في الزيادة والنقصان، قال الفرّاء: جعلهما مختلفين يتعاقبان ويختلفان في السواد والبياض، ﴿ أفلا تعقلون ﴾، ما ترون من صنعه فتعتبرون.

﴿ بل قالوا مثل ما قال الأوّلون ﴾، أي: كذبوا كما كذب الأوّلون.

﴿ قالوا أئذا متنا وكنّا تراباً وعظاماً أئنّا لمبعوثون ﴾، لمحشورون، قالوا ذلك على طريق الإنكار في التعجّب.

﴿ لقد وُعِدْنا نحن وآباؤنا هذا ﴾، الوعد، ﴿ من قبل ﴾، أي: وعد آباءنا قوم زعموا أنهم رسل الله فلم نرَ له

وتبصروا وتعقلوا ﴿قليلاً ما تشكرون﴾ أي لم تشكروا هذه النعم ﴿وهو الذي ذرأكم في الأرض﴾ أي خلقكم ﴿وإليه تحشرون﴾ أي تبعثون ﴿وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار﴾ أي تدبير الليل والنهار في الزيادة والنقصان وقيل جعلهما مختلفين يتعاقبان ويختلفان في السواد والبياض ﴿أفلا تعقلون﴾ أي ما ترون من صنعه فتعتبروا ﴿بل قالوا مثل ما قال الأولون﴾ أي كذبوا كما كذب الأولون، وقيل معناه أنكروا البعث مثل ما أنكر الأولون مع وضوح الأدلة ﴿قالوا أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون﴾ أي لمحشورون قالوا ذلك على طريق الإنكار والتعجب ﴿لقد وعدنا نحن﴾ أي هذا الوعد ﴿وآباؤنا هذا من قبل﴾ أي وعد آباؤنا قوم ذكروا أنهم رسل الله فلم نر له حقيقة ﴿إن هذا إلاّ أساطير الأولين﴾ أي أكاذيب الأولين. قوله تعالى ﴿قل﴾ أي يا محمد لأهل مكة ﴿لمن الأرض ومن فيها﴾ من الخلق ﴿إن كنتم تعلمون﴾ أي خالقها ومالكها ﴿سيقولون لله﴾ أي لا بد لهم من ذلك لأنهم يقرون أنها مخلوقة لله ﴿قل﴾ أي قل لهم يا محمد إذا أقروا بذلك ﴿أفلا تذكرون﴾ أي فتعلموا أن من قدر على خلق الأرض ومن فيها ابتداء يقدر على إحيائهم بعد الموت ﴿قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون﴾ أي عبادة غيره وقيل معناه أفلا تحذرون عقابه ﴿قل من بيده ملكوت كل شيء﴾ أي ملك كل شيء ﴿وهو يجير﴾ أي يؤمن من يشاء ﴿ولا يجار عليه﴾ أي لا يؤمن من أخافه الله وقيل يمنع هو من يشاء من السوء ولا يمتنع منه من أراده بسوء ﴿إن كنتم تعلمون﴾ أي فأجيبوا.

سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا
كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ
ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي
ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا
يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ

حقيقةً، ﴿ إنْ هذا إلاّ أساطير الأوّلين ﴾، أكاذيب الأوّلين.

﴿ قلْ ﴾، يا محمد مُجيباً لهم يعني أهل مكة، ﴿ لمنِ الأرضُ ومَن فيها ﴾، من الخلق، ﴿ إن كنتم تعلمون ﴾، خالقها ومالكها.

﴿ سيقولون لله ﴾، ولا بدّ لهم من ذلك لأنهم يقرّون أنها مخلوقة، ﴿ قل ﴾ لهم إذا أقرّوا بذلك، ﴿ أفلا تذكرون ﴾، فتعلمون أن مَن قدر على خلق الأرض ومَن فيها ابتداءً يقدر على إحيائهم بعد الموت.

﴿ قلْ مَن ربُّ السمٰوات السبع وربُّ العرش العظيم ﴾.

﴿ سيقولون لله ﴾، قرأ العامّة ﴿ لله ﴾ ومثله ما بعده فجعلوا الجواب على المعنى كقول القائل للرجل: مَن مولاك؟ فيقول: لفلان، أي أنا لفلان وهو مولاي، وقرأ أهل البصرة فيها (الله) وكذلك هو في مصحف أهل البصرة وفي سائر المصاحف مكتوب بالألف كالأول، ﴿ قلْ أفلا تتقون ﴾، تحذرون.

﴿ قلْ مَن بيده ملكوت كل شيء ﴾، الملكوت الملك والتاء فيه للمبالغة، ﴿ وهو يُجير ﴾، أي: يؤمن مَن يشاء ﴿ ولا يُجار عليه ﴾، أي: لا يؤمن مَن أخافه الله أو يمنع هو من السوء مَن يشاء ولا يمنع منه مَن أراده بسوء، ﴿ إن كنتم تعلمون ﴾، قيل: معناه أجيبوا إن كنتم تعلمون.

أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾

﴿سيقولون لله قل فأنى تسحرون﴾ أي فأنّى تخدعون وتصرفون عن توحيده وطاعته وكيف يخيل لكم الحق باطلاً ﴿بل أتيناهم بالحق﴾ أي بالصدق ﴿وإنهم لكاذبون﴾ أي فيما يدعون من الشريك والولد ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله﴾ أي من شريك ﴿إذاً لذهب كل إله بما خلق﴾ أي لانفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذي خلقه ولم يرض أن يضاف خلقه وإنعامه إلى غيره ومنع كل إله الآخر عن الاستيلاء على ما خلقه هو ﴿ولعلا بعضهم على بعض﴾ أي طلب بعضهم مغالبة بعض كفعل ملوك الدنيا فيما بينهم وإذا كان كذلك فاعلموا أنه إله واحد بيده ملكوت كل شيء ويقدر على كل شيء ثم نزه نفسه تعالى فقال ﴿سبحان الله عمّا يصفون﴾ أي من إثبات الولد والشريك ﴿عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون﴾ أي تعظم من أن يوصف بما لا يليق به. قوله عزّ وجلّ ﴿قل رب﴾ أي يا رب ﴿إما تريني ما يوعدون﴾ أي ما وعدتهم من العذاب ﴿رب﴾ أي يا رب ﴿فلا تجعلني في القوم الظالمين﴾ أي تهلكني بهلاكهم ﴿وإنا على أن نريك ما نعدهم﴾ أي من العذاب ﴿لقادرون ادفع بالتي هي أحسن﴾ يعني بالخلة التي هي أحسن وهي الصفح والإعراض والصبر ﴿السيئة﴾ يعني أذاهم أمر بالصبر على أذى المشركين والكف عن المقاتلة ثم نسخها الله بآية السيف ﴿نحن أعلم بما يصفون﴾ أي يكذبون ويقولون من الشرك.

﴿ سيقولون لله قلْ فأنّى تُسحرون ﴾، أي: تخدعون وتصرفون عن توحيده وطاعته، والمعنى: كيف يخيّل لكم الحق باطلاً؟

﴿ بل أتيناهم بالحق ﴾ بالصدق ﴿ وإنّهم لكاذبون ﴾ فيما يدعون من الشريك والولد.

﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إلّه ﴾، أي: من شريك، ﴿ إذاً لذهب كل إلّه بما خلق ﴾، أي: تفرّد بما خلقه فلم يرضَ أن يُضاف خلقه وإنعامه إلى غيره، ومَنَعَ الإلّه الآخر عن الاستيلاء على ما خلق. ﴿ ولعلا بعضهم على بعض ﴾، أي: طلب بعضهم مغالبةَ بعض كفعل ملوك الدنيا فيما بينهم، ثم نزّه نفسه فقال: ﴿ سبحان الله عمّا يصفون ﴾.

﴿ عالم الغيب والشهادة ﴾ قرأ أهل المدينة والكوفة غير حفص ﴿ عالم ﴾ برفع الميم على الابتداء، وقرأ الآخرون بجرّها على نعت الله في سبحان الله، ﴿ فتعالى عمّا يُشركون ﴾، أي: تعظم عمّا يشركون، ومعناه أنه أعظم من أن يوصف بهذا الوصف.

قوله: ﴿ قلْ ربِّ إمّا تُريَنّي ﴾، أي: إن أريتني، ﴿ ما يوعدون ﴾، أي: ما أوعدتهم من العذاب.

﴿ ربِّ ﴾، أي: يا رب، ﴿ فلا تجعلني في القوم الظالمين ﴾، أي: لا تهلكني بهلاكهم.

﴿ وإنّا على أن نريك ما نعدهم ﴾، من العذاب لهم، ﴿ لقادرون ﴾.

﴿ ادفع بالتي هي أحسن ﴾، أي: ادفع بالخلّة التي هي أحسن هي الصفح والإعراض والصبر، ﴿ السيئة ﴾، يعني أذاهم، أمرهم بالصبر على أذى المشركين والكفّ عن المقاتلة، نسختها آية السيف. ﴿ نحن أعلم بما يصفون ﴾، يكذبون ويقولون من الشرك.

قوله عزّ وجلّ ﴿وقل رب أعوذ بك﴾ أي أمتنع وأعتصم بك ﴿من همزات الشياطين﴾ قال ابن عباس نزغاتهم وقيل وساوسهم وقيل نفخهم ونفثهم وقيل دفعهم بالإغواء إلى المعاصي ﴿وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ أي في شيء من أموري وإنما ذكر الحضور لأن الشيطان إذا حضره يوسوس له عن جبير بن مطعم أنه رأى النبيّ ﷺ يصلي صلاة قال عمر ولا أدري أي صلاة هي قال: «الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً ثلاثاً وسبحان الله بكرة وأصيلاً ثلاثاً أعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه. قال نفثه الشعر ونفخه الكبر وهمزه الموتة». أخرجه أبو داود وقد جاء تفسير هذه الألفاظ في متن الحديث وتزيده إيضاحاً قوله نفثه الشعر أي لأن الشعر تخرج من القلب فيلفظ به اللسان وينفثه كما ينفث الريق. قوله ونفخه الكبر وذلك أن المتكبر ينتفخ ويتعاظم ويجمع نفسه فيحتاج إلى أن ينفخ. وقوله وهمزه الموتة الموتة الجنون لأنه المجنون ينخسه الشيطان ثم أخبر الله عزّ وجلّ أن هؤلاء الكفار الذين ينكرون البعث يسألون الرجعة إلى الدنيا عند معاينة الموت فقال تعالى ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون﴾ قيل المراد به الله وهو على عادة العرب فإنهم يخاطبون الواحد بلفظ الجمع على وجه التعظيم. وقيل هذا خطاب مع الملائكة الذين يقبضون روحه فعلى هذا يكون معناه أنه استغاث بالله أولاً ثم رجع إلى مسألة الملائكة الرجوع إلى الدنيا. وقيل ذكر الرب للقسم فكأنه قال عند المعاينة بحق الله ارجعون ﴿لعلي أعمل صالحاً فيما تركت﴾ أي ضيعت وقيل تركت أي منعت وقيل خلفت من التركة أو المعنى أقول لا إله إلاّ الله وأعمل بطاعته فيدخل فيه الأعمال البدنية والمالية قال قتادة ما تمنى أن يرجع إلى أهله وعشيرته ولا ليجمع الدنيا ويقضي الشهوات ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله فرحم الله

﴿ وقلْ ربِّ أعوذُ بك ﴾، أي: أمتنع وأعتصم بك، ﴿ من همزات الشياطين ﴾، قال ابن عباس: نزعاتهم. وقال الحسن: وساوسهم. وقال مجاهد: نفخهم ونفثهم. وقال أهل المعاني: دفعهم بالإغواء إلى المعاصي، وأصل الهمز شدّة الدفع.

﴿ وأعوذ بك ربِّ أن يحضرون ﴾، في شيء من أموري، وإنما ذكر الحضور لأن الشيطان إذا حضره يوسوسه، ثم أخبر أن هؤلاء الكفّار الذين ينكرون البعث يسألون الرجعة إلى الدنيا عند معاينة الموت.

فقال: ﴿ حتى إذا جاء أحدهم الموت قال ربِّ ارجعون ﴾، ولم يقل ارجعني وهو يسأل الله وحده الرجعة على عادة العرب فإنهم يخاطبون الواحد بلفظ الجمع على وجه التعظيم كما أخبر الله تعالى عن نفسه فقال إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له الحافظون، ومثله كثير في القرآن. وقيل: هذا الخطاب مع الملائكة الذين يقبضون روحه ابتداء بخطاب الله لأنهم استغاثوا بالله أولاً ثم رجعوا إلى مسئلة الملائكة الرجوع إلى الدنيا.

قوله تعالى: ﴿ لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت ﴾، أي: ضيّعت أن أقول لا إلّه إلّا الله. وقيل: أعمل بطاعة الله. قال قتادة: ما تمنى أن يرجع إلى أهله وعشيرته ولا ليجمع الدنيا ويقضي الشهوات، ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله، فرحم الله امرءاً أعمل فيما يتمنّاه الكافر إذا رأى العذاب، ﴿ كلا ﴾، كلمة ردع وزجر، أي: لا يرجع إليها، ﴿ إنها ﴾ يعني: سؤاله الرجعة، ﴿ كلمةٌ هو قائلها ﴾، ولا ينالها، ﴿ ومن ورائهم برزخ ﴾، أي أمامهم وبين أيديهم حاجز، ﴿ إلى يوم يبعثون ﴾، والبرزخ الحاجز بين الشيئين، واختلفوا في معناه ههنا، فقال مجاهد: حجاب بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا. وقال قتادة: بقية الدنيا. وقال الضحاك: البرزخ ما بين الموت إلى البعث. وقيل: هو القبر وهم فيه إلى يوم يُبعَثون.

﴿ فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم ﴾، اختلفوا في هذه النفخة، فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس: أنها النفخة الأولى ﴿ ونفخ في الصور فصعق مَن في السموات ومَن في الأرض﴾ [الزمر: ٦٨] ﴿ فلا أنساب بينهم

امرأ عمل فيما تمناه الكافر إذ رأى العذاب ﴿كلا﴾ كلمة ردع وزجر أي لا يرجع إليها ﴿إنها﴾ يعني مسألته الرجعة ﴿كلمة هو قائلها﴾ أي لا ينالها ﴿ومن ورائهم برزخ﴾ أي من أمامهم ومن بين أيديهم حاجز ﴿إلى يوم يبعثون﴾ معناه أن بينهم وبين الرجعة حجاباً ومانعاً عن الرجوع وهو الموت وليس المعنى أنهم يرجعون يوم البعث وإنما هو إقناط كلي لما علم أنه لا رجعة يوم البعث إلا إلى الآخرة. قوله تعالى ﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم﴾ قال ابن عباس إنها النفخة الأولى نفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض فلا أنساب بينهم ﴿يومئذٍ ولا يتساءلون﴾ ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وعن ابن مسعود أنها النفخة الثانية. قال: «يؤخذ بيد العبد والأمة يوم القيامة فينصب على رؤوس الأولين والآخرين ثم ينادي منادٍ هذا فلان ابن فلان فمن كان له قبله حق فليأت إلى حقه فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أوزوجته أو أخيه فيأخذ منه ثم قرأ ابن مسعود ﴿فلا أنساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون﴾ وفي رواية عن ابن عباس أنها النفخة الثانية فلا أنساب بينهم يعني لا يتفاخرون بالأنساب يومئذٍ كما كانوا يتفاخرون في الدنيا ولا يتساءلون سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون في الدنيا من أنت ومن أي قبيلة أنت ولم يرد أن الأنساب تنقطع. فإن قلت قد قال ها هنا ولا يتساءلون وقال في موضع آخر وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون. قلت قال ابن عباس إن للقيامة أحوالاً ومواطن ففي موطن يشتد عليهم الخوف فيشغلهم عظم الأمر عن التساؤل فلا يتساءلون وفي موطن يفيقون إفاقة فيتساءلون. قوله عزّ وجلّ:

فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ
فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا
تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا
ظَـٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا
وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ
ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَـٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ

يومئذ ولا يتساءلون﴾، ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون. وعن ابن مسعود: أنها النفخة الثانية، قال: يؤخذ بيد العبد والأمة يوم القيامة فينصب على رؤوس الأوّلين والآخرين ثم ينادي منادٍ: هذا فلان ابن فلان فمَن كان له قبله حق فليأتِ إلى حقه فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده وولده وزوجته أو أخيه فيأخذ منه، ثم قرأ ابن مسعود فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون. وفي رواية عطاء عن ابن مسعود: أنها الثانية فلا أنساب بينهم أي: لا يتفاخرون بالأنساب يومئذ كما كانوا يتفاخرون في الدنيا ولا يتساءلون سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون في الدينا: مَن أنت ومن أيّ قبيلة أنت؟ ولم يرد أن الأنساب تنقطع، فإن قيل: أليس قد جاء في الحديث كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا نسبي وسببي؟ قيل: معناه ينقطع يوم القيامة كل سبب ونسب إلّا سببه ونسبه، وهو الإيمان والقرآن، فإن قيل: قد قال ههنا: ﴿ ولا يتساءلون ﴾وقال في موضع آخر: ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾ [الصَّافات: ٢٧، الطور: ٢٥]؟ الجواب: ما رُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن للقيامة أحوالاً ومواطن ففي موطن يشتدّ عليهم الخوف فيشغلهم عظم الأمر عن التساؤل فلا يتساءلون، وفي موطن يفيقون إفاقة فيتساءلون.

﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾

﴿**فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا**﴾ أي غبنوا ﴿**أنفسهم في جهنم خالدون تلفح**﴾ أي تسفح وقيل تحرق ﴿**وجوههم النار وهم فيها كالحون**﴾ أي عابسون وقد بدت أسنانهم وتقلصت شفاههم كالرأس المشوي على النار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ: «وهم فيها كالحون قال تشويه النار فتنقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته». أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب. قوله تعالى ﴿**ألم تكن آياتي تتلى عليكم**﴾ يعني قوارع القرآن وزواجره تخوفون بها ﴿**فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا**﴾ أي التي كتبت علينا فلم نهتد ﴿**وكنا قوماً ضالين**﴾ أي عن الهدى ﴿**ربنا أخرجنا منها**﴾ أي من النار ﴿**فإن عدنا**﴾ أي لما تكره ﴿**فإنا ظالمون قال اخسؤوا فيها**﴾ أي أبعدوا فيها كما يقال للكلب إذا طرد اخسأ ﴿**ولا تكلمون**﴾ أي في رفع العذاب فإني لا أرفعه عنكم فعند ذلك أيس المساكين من الفرج.

قال الحسن: هو آخر كلام يتكلم به أهل النار ثم لا يتكلمون بعد ذلك ما هو إلا الزفير والشهيق وعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون. وروي عن عبدالله بن عمرو «إن أهل جهنم يدعون مالكاً خازن جهنم أربعين عاماً يا

قوله: ﴿ **فَمَن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون** ﴾.

﴿ **ومَن خفّت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون** ﴾.

﴿ **تلفح وجوههم النار** ﴾. أي: تسفع، وقيل: تحرق، ﴿ **وهم فيها كالحون** ﴾، عابسون، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا محمد بن أحمد الحارثي أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن سعيد بن يزيد عن أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «وهم فيها كالحون، قال: تشويه النار، فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرّته»، وبهذا الإسناد عن عبد الله بن المبارك عن حاجب بن عمر عن الحكم عن الأعرج عن أبي هريرة قال: يعظم الكافر في النار مسيرة سبع ليالٍ فيصير ضرسه مثل أحد وشفاهم عند سرورهم، سود زرق مقبوحين.

قوله تعالى: ﴿ **ألم تكن آياتي تُتلى عليكم** ﴾، يعني القرآن تخوفون بها، ﴿ **فكنتم بها تكذبون** ﴾.

﴿ **قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا** ﴾، قرأ حمزة والكسائي شقاوتنا بالألف وفتح الشين وهما لغتان أي: غلبت علينا شقوتنا التي كتبت علينا فلم نهتدِ. ﴿ **وكنّا قوماً ضالّين** ﴾، عن الهدى.

﴿ **ربنا أخرجنا منها** ﴾، أي: من النار، ﴿ **فإن عدنا** ﴾، لما تكره ﴿ **فإنّا ظالمون** ﴾.

﴿ **قال اخسئوا** ﴾، أبعدوا، ﴿ **فيها** ﴾، كما يقال للكلب إذا طرد إخسأ، ﴿ **ولا تكلمون** ﴾، في رفع العذاب فإني لا أرفعه عنكم فعند ذلك أيِسَ المساكين من الفرج، قال الحسن: هو آخر كلام يتكلم به أهل النار ثم لا يتكلمون بعدها إلّا الشهيق والزفير، ويصير لهم عِواء كعِواء الكلاب لا يفهَمون ولا يُفهِمون، رُوِيَ عن عبد الله بن عمرو: أن أهل جهنم يدعون مالكاً خازن النار أربعين عاماً ﴿ يا مالك ليقضِ علينا ربك ﴾ [الزخرف: ٧٧] فلا يجيبهم، ثم يقول: ﴿ إنكم ماكثون ﴾ [الزخرف: ٧٧]، ثم ينادون ربهم: ﴿ **ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنّا ظالمون** ﴾، فيدعهم مثل عمر الدنيا مرتين ثم يردّ عليهم: ﴿ **اخسئوا فيها ولا تكلمون** ﴾، فلا ينبسّ القوم بعد ذلك بكلمة إن كان إلّا الزفير والشهيق. وقال القرطبي: إذا قيل لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون انقطع رجاؤهم وأقبل بعضهم ينبح في وجه بعض وأطبقت عليهم.

﴿ **إنه** ﴾ الهاء في ﴿ **إنه** ﴾ عماد وتسمى أيضاً المجهولة، ﴿ **كان فريق من عبادي** ﴾، وهم المؤمنون

مالك ليقض علينا ربك فلا يجيبهم ثم يقول إنكم ما كثون ثم ينادون ربهم ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون فيدعهم مثل عمر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم اخسؤوا فيها ولا تكلمون فيما ينبس القوم بعد ذلك بكلمة إن كان إلا الزفير والشهيق». ذكره البغوي بغير سند وأخرجه الترمذي بمعناه عن أبي الدرداء قوله فما ينبس القوم بعد ذلك بكلمة أي سكتوا ولم يتكلموا بكلمة وقيل إذا قال لهم اخسؤوا فيها ولا تكلمون انقطع رجاؤهم وأقبل بعضهم ينبح في وجه بعض وأطبقت عليهم جهنم ﴿إنه كان فريق من عبادي﴾ يعني المؤمنين ﴿يقولون ربنا آمناً فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخرياً﴾ أي تسخرون منهم وتستهزئون بهم ﴿حتى أنسوكم ذكري﴾ اشتغالكم بالاستهزاء بهم ذكري ﴿وكنتم منهم تضحكون﴾ نزل في كفار قريش كانوا يستهزئون بالفقراء من أصحاب رسول الله ﷺ مثل بلال وعمار وصهيب وخباب ثم قال الله ﴿إني جزيتهم اليوم بما صبروا﴾ أي على أذاكم واستهزائكم في الدنيا ﴿أنهم هم الفائزون﴾ أي جزيتهم بصبرهم الفوز بالجنة ﴿قال﴾ يعني أن الله قال للكفار يوم البعث ﴿كم لبثتم في الأرض﴾ أي في الدنيا وفي القبور ﴿عدد سنين قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾ معناه أنهم نسوا مدة لبثهم في الدنيا لعظم ما هم بصدده من العذاب ﴿فاسأل العادين﴾ يعني الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم ويحصونها عليهم ﴿قال إن لبثتم﴾ أي ما لبثتم

﴿ يقولون ربنا آمنّا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين ﴾.

﴿فاتخذتموهم سخرياً﴾، قرأ أهل المدينة وحمزة والكسائي ﴿سخرياً﴾ بضم السين ههنا وفي صورة صٓ[٦٣]، وقرأ الباقون بكسرهما واتفقوا على الضم في سورة الزخرف[٣٢]. قال الخليل: هما لغتان مثل قولهم: بحر لجي، ولجى بضم اللام وكسرها، مثل كوكب دُريّ ودِريّ، قال الفرّاء والكسائي: الكسر بمعنى الاستهزاء بالقول، والضمّ بمعنى التسخير والاستعباد بالفعل واتفقوا في سورة الزخرف بأنه بمعنى التسخير، ﴿ حتى أَنْسَوْكم ﴾ أي: أنساكم اشتغالكم بالاستهزاء بهم وتسخيرهم، ﴿ ذكري وكنتم منهم تضحكون ﴾ نظيره: ﴿ إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون ﴾ [المطففين: ٢٩] قال مقاتل: نزلت في بلال وعمّار وخبّاب وصهيب وسلمان والفقراء من الصحابة، كان كفّار قريش يستهزؤون بهم.

﴿ إني جزيتهم اليوم بما صبروا ﴾، على أذاكم واستهزائكم في الدنيا، ﴿ أنهم هم الفائزون ﴾، قرأ حمزة والكسائي ﴿ أنهم ﴾ بكسر الألف على الإستئناف، وقرأ الآخرون بفتحها، فيكون في موضع المفعول الثاني إني جزيتهم اليوم بصبرهم الفوز بالجنة.

﴿ قال كم لبثتم ﴾، قرأ حمزة والكسائي: وقل إن، على الأمر والنهي. ومعنى الآية قولوا أيّها الكافرون، فأخرج الكلام مخرج الواحد، والمراد منه الجماعة إذ كان معناه مفهوماً ويجوز أن يكون الخطاب لكل واحدٍ منهم، أي قل يا أيّها الكافرون وقرأ ابن كثير: قل كم على الأمر، وقال أن على الخبر لأن الثانية جواب، وقرأ الآخرون قال فيهما جميعاً أي قال تعالى للكفّار يوم البعث كم لبثتم، ﴿ في الأرض ﴾، أي: في الدنيا وفي القبور ﴿ عدد سنين ﴾.

﴿ قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم ﴾، نسوا مدة لبثهم في الدنيا لعظم ما هم بصدده من العذاب، ﴿ فاسئل العادين ﴾، الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم ويحصونها عليهم.

﴿قال إنْ لبثتم﴾، أي: ما لبثتم في الدنيا، ﴿ إلاّ قليلاً ﴾، سمّاه قليلاً لأن الواحد وإن طال مكثه في الدنيا فإنه يكون قليلاً في جنب ما يلبث في الآخرة لأن لبثه في الدنيا والقبر متناه، ﴿ لو أنكم كنتم تعلمون ﴾، قدر لبثكم في الدنيا.

في الدنيا ﴿إلاّ قليلا﴾ سماه قليلا لأن المرء وإن طال لبثه في الدنيا. فإنه يكون قليلا في جنب ما يلبث في الآخرة ﴿لو أنكم كنتم تعلمون﴾ يعني قدر لبثكم في الدنيا قوله عزّ وجلّ:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾

﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً﴾ أي لعباً وباطلاً لا لحكمة وقيل العبث معناه لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب وإنما خلقتم للعبادة وإقامة أوامر الله عزّ وجلّ ﴿وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ أي في دار الآخرة للجزاء. روى البغوي بسنده عن الحسن: «أن رجلاً مصاباً مرّ به على ابن مسعود فرقاه في أذنه أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون حتى ختم السورة فبرأ فقال رسول الله ﷺ بماذا رقيت في أذنه فأخبره فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لو أن رجلاً موقناً قرأها على الجبل لزال» ثم نزه الله تعالى عمّا يصفه به المشركون فقال عزّ وجلّ ﴿فتعالى الله الملك الحق﴾ أي هو التام الملك الجامع لأصناف المملوكات ﴿لا إله إلا هو رب العرش الكريم﴾ أي الحسن وقيل الرفيع المرتفع وإنما خصّ العرش بالذكر لأنه أعظم المخلوقات ﴿ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به﴾ يعني لا حجة ولا بينة له به إذ لا يمكن إقامة برهان ولا دليل على إلهية غير الله ولا حجة في دعوى الشرك ﴿فإنما حسابه﴾ أي جزاؤه ﴿عند ربه﴾ أي هو مجازيه بعلمه ﴿إنه لا يفلح الكافرون﴾ يعني لا يسعد من جحد وكذب ﴿وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين﴾.

﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً ﴾، لعباً وباطلاً لا لحكمة، وهو نصب على الحال، أي: عابثين. وقيل: للعبث، أي: لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب، وهو مثل قوله: ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سُدىً ﴾ [القيامة: ٣٦] وإنما خلقتم للعبادة وإقامة أوامر الله تعالى، ﴿ وأنّكم إلينا لا ترجعون ﴾، أي: أفحسبتم أنكم إلينا لا ترجعون في الآخرة للجزاء، وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب لا ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبّار الرياني أنا حمد بن زنجويه أنا بشر بن عمر أنا عبد الله بن لهيعة أنا عبد الله بن هبيرة عن خنش أن رجلاً مُصاباً مُرّ به على ابن مسعود فرقاه في أُذنيه: ﴿ أفحسبتم أنّما خلقناكم عبثاً ﴾ حتى ختم السورة فبرأ، فقال رسول الله ﷺ: «بماذا رقيت في أُذنه»؟ فأخبره فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو أن رجلاً موقناً قرأها على جبل لزال». ثم نزّه الله نفسه عمّا يصفه به المشركون.

فقال جلّ ذكره: ﴿ فتعالى الله الملك الحق لا إلَه إلاّ هو ربُّ العرشِ الكريم ﴾، يعني السرير الحسن. وقيل: المرتفع.

﴿ ومَن يدْعُ مع الله إلَهاً آخر لا برهان له به ﴾، أي: لا حجة له به ولا بيّنة لأنه لا حجة في دعوى الشرك، ﴿ فإنما حسابه ﴾، جزاؤه، ﴿ عند ربه ﴾. يجازيه بعمله كما قال تعالى: ﴿ ثم إنّ علينا حسابهم ﴾ [الغاشية: ٢٦]، ﴿ إنه لا يفلح الكافرون ﴾، لا يسعد من حجة وكذب.

﴿ وقلْ ربِّ اغفرْ وارحمْ وأنتَ خيرُ الراحمين ﴾.

تفسير سورة النور

وهي مدنية وهي اثنتان وقيل أربع وستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾

قوله عزّ وجلّ ﴿سورة أنزلناها وفرضناها﴾ أي أوجبنا ما فيها من الأحكام وألزمناكم العمل بها وقيل معناه قدرنا ما فيها من الحدود وقيل أوجبناها عليكم وعلى من بعدكم، إلى قيام الساعة ﴿وأنزلنا فيها آيات بينات﴾ أي واضحات ﴿لعلكم تذكرون﴾ يعني تتعظون. قوله تعالى:

الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾

﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾ الزنا هو من الكبائر وموجب للحد وهو إيلاج فرج في فرج مشتهى طبعاً محرم شرعاً. والشروط المعتبرة في وجوب الحد العقل والبلوغ ويشترط الإحصان في الرجم ويجب على العبد والأمة نصف الحد ولا رجم عليهما لأنه لا يتنصف وقوله فاجلدوا أي فاضربوا يقال جلده إذا ضرب جلده

سُوْرَة النور

مدنية وهي ثنتان أو أربع وستّون آية.

﴿ سورة ﴾، أي: هذه سورة، ﴿ أنزلناها وفرضناها ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمر وفرضناها بتشديد الراء، وقرأ الآخرون بالتخفيف، أي: أوجبنا ما فيها من الأحكام وألزمناكم العمل بها. وقيل: معناه قدّرنا ما فيها من الحدود والفرض التقدير، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ فنصف ما فرضتم ﴾ [البقرة: ٢٣٧] أي: قدرتم، ودليل التخفيف قوله: ﴿ إن الذي فرض عليك القرآن ﴾ [القصص: ٨٥]، وأما التشديد فمعناه وفصّلناه وبيّناه. وقيل: هو بمعنى الفرض الذي هو بمعنى الإيجاب أيضاً والتشديد للتكثير لكثرة ما فيها من الفرائض، أي أوجبناها عليكم وعلى مَن بعدكم إلى قيام الساعة. ﴿ وأنزلنا فيها آيات بيّنات ﴾، واضحات، ﴿ لعلّكم تذكرون ﴾، تتّعظون.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾، أراد إذا كانا حرّين بالغين عاقلين بكْرين غير محصنين، فاجلدوا فاضربوا كل واحد منهما مائة جلدة، يقال جلده إذا ضربَ جِلْده، كما يقال رأسه وبطنه، إذا ضرب رأسه وبطنه، وذكر بلفظ الجلد لئلا يبرح ولا يضرب بحيث يبلغ اللحم، وقد وردت السُّنّة أنه

ولا يضرب بحيث يبلغ اللحم كل واحد منهما أي الزانية والزاني مائة جلدة. وقد وردت السنة بجلد مائة وتغريب عام وبه قال الشافعي وقال أبو حنيفة التغريب إلى رأي الإمام وقال مالك يجلد الرجل مائة جلدة ويغرب وتجلد المرأة ولا تغرب وإن كان الزاني محصناً فعليه الرجم ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة﴾ أي رحمة ورقة فتعطلوا الحدود ولا تقيموها. وهذا قول مجاهد وعكرمة وعطاء وسعيد بن جبير والنخعي والشعبي وقيل معنى الرأفة أن تحفظوا الضرب بل أوجعوهما ضرباً وهو قول سعيد بن المسيب والحسن. قال الزهري يجتهد في حد الزنا والفرية أي القذف ويخفف في حد الشرب وقيل يجتهد في حد الزنا ويخفف دون ذلك في حد الفرية دون ذلك في حد الشرب ﴿في دين الله﴾ أي في حكم الله. وروي أن عبد الله بن عمر جلد جارية له زنت فقال للجلاد اضرب ظهرها ورجليها فقال له ابنه ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله فقال يا بني إن الله لم يأمرني بقتلها وقد ضربت فأوجعت ﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ معناه أن المؤمن لا تأخذه الرأفة إذا جاء أمر الله وقيل هو من باب التهييج، والتهاب التغضب لله تعالى ولدينه ومعناه إن كنتم تؤمنون فلا تتركوا إقامة الحدود ﴿وليشهد﴾ يعني وليحضر ﴿عذابهما﴾ أي حدهما إذا أقيم عليهما ﴿طائفة﴾ يعني نفر ﴿من المؤمنين﴾ قيل أقله رجل واحد فصاعداً وقيل رجلان وقيل ثلاثة وقيل أربعة بعدد شهود الزنا. قوله عزّ وجلّ ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زانٍ أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين﴾ اختلف العلماء في معنى الآية وحكمها فقال قوم قدم المهاجرون المدينة وفيهم فقراء لا مال لهم ولا عشائر وفي المدينة نساء بغايا هنّ أخصب أهل المدينة فرغب ناس من فقراء المسلمين في نكاحهن لينفقن عليهم فاستأذنوا رسول الله ﷺ في

يُجلَد مائة ويغرّب عاماً وهو قول أكثر أهل العلم، وإن كان الزاني محصناً فعليه الرجم، ذكرناه في سورة النساء [٢٥]، ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة﴾، أي: رحمة ورقّة، وقرأ ابن كثير ﴿رأفة﴾ بفتح الهمزة ولم يختلفوا في سورة الحديد [٢٧] أنها ساكنة لمجاورة قوله ورحمة، والرأفة معنىً يكون في القلب، لا ينهى عنه لأنه لا يكون باختيار الإنسان. رُوِيَ أن عبد الله بن عمر جلد جارية له زنت، فقال للجلّاد: اضرب ظهرها ورجليها، فقال له ابنه لا تأخذكم بهما رأفة في دين الله، فقال يا بُنيّ إن الله عزّ وجلّ لم يأمرني بقتلها وقد ضُربت فأوجعت. واختلفوا في معنى الآية، فقال قوم: لا تأخذكم بهما رأفة فتعطّلوا الحدود ولا تُقيموها، وهذا قول مجاهد وعكرمة وعطاء وسعيد بن جبير والنخعي والشعبي. وقال جماعة: معناها ولا تأخذكم بهما رأفة فتخفّفوا الضرب ولكن أوجعوهما ضرباً وهو قول سعيد بن المسيب والحسن، قال الزهري: يجتهد في حدّ الزنا والفرية ويخفّف في حدّ الشرب. وقال قتادة: يجتهد في حدّ الزنا ويخفّف في الشرب والفرية. ﴿ في دين الله ﴾، أي: في حكم الله، ﴿ إنْ كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾، معناه أن المؤمن لا تأخذه الرأفة إذا جاء أمر الله تعالى، ﴿ وليشهدْ ﴾، وليحضر، ﴿ عذابهما ﴾ حدّهما إذا أُقيم عليهما ﴿ طائفة ﴾، نفر، ﴿ من المؤمنين ﴾، قال مجاهد والنخعي: أقلّه رجل واحد فما فوقه وقال عكرمة وعطاء رجلان فصاعداً. وقال الزهري وقتادة: ثلاثة فصاعداً. وقال مالك وابن زيد: أربعة بعدد شهود الزنا. قوله:

﴿ الزاني لا ينكح إلاّ زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلاّ زانٍ أو مشرك وحُرِّم ذلك على المؤمنين ﴾، اختلف العلماء في معنى الآية وحكمها، فقال قوم: قَدِمَ المهاجرون المدينة وفيهم فقراء لا مال لهم ولا عشائر، وبالمدينة نساء بغايا يكرين أنفسهنّ وهنّ يومئذ أخصب أهل المدينة فرغب أُناس من فقراء المسلمين في نكاحهنّ لينفقن عليهم، فاستأذنوا رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية ﴿ وحُرِّم على المؤمنين ﴾ أن يتزوجوا تلك البغايا لأنهنّ كنّ مشركات، وهذا قول مجاهد وعطاء بن أبي رباح وقتادة والزهري والشعبي، ورواية العوفي عن ابن عباس، وقال عكرمة: نزلت في نساء بمكة والمدينة، منهنّ تسع لهنّ رايات كرايات البيطار يعرفن بها، منهنّ أُمّ مهزول جارية السائب بن أبي السائب المخزومي، فكان الرجل ينكح الزانية في الجاهلية يتخذها مالكة، فأراد ناس من المسلمين

ذلك فنزلت هذه الآية فحرم على المؤمنين أن يتزوجوا تلك البغايا لأنهنّ كن مشركات. وهذا قول مجاهد وعطاء وقتادة والزهري والشعبي ورواية عن ابن عباس. وقال عكرمة نزلت في نساء كن بمكة والمدينة لهن رايات يعرفن بها منهن أم مهزول جارية السائب بن أبي السائب المخزومي. وكان في الجاهلية ينكح الزانية يتخذها مأكله فأراد ناس من المسلمين نكاحهن على تلك الصفة فاستأذن رجل رسول الله ﷺ في نكاح أم مهزول واشترطت له أن تنفق عليه فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: «كان رجل يقال له مرثد بن مرثد الغنوي وكان يحمل الأسارى من مكة حتى يأتي بهم المدينة وكانت بمكة بغي يقال لها عناق وكانت صديقة له في الجاهلية فلما أتى مكة دعته عناق إلى نفسها. فقال مرثد إن الله حرم الزنا قالت فانكحني فقال حتى أسأل رسول الله ﷺ قال: فأتيت النبيّ ﷺ فقلت يا رسول الله أنكح عناقاً؟ فأمسك رسول الله ﷺ فلم يرد شيئاً فنزلت الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكها إلا زانٍ أو مشرك فدعاني فقرأها علي وقال لا تنكحها». أخرجه الترمذي والنسائي وأبو داود بألفاظ متقاربة المعنى فعلى قول هؤلاء كان التحريم خاصاً في حق أولئك دون سائر الناس. وقال قوم المراد من النكاح هو الجماع ومعنى الآية الزاني لا يزني إلا بزانية أو مشركة والزانية لا تزني إلا بزانٍ أو مشرك. وهذا قول سعيد بن جبير والضحاك ورواية عن ابن عباس قال يزيد بن هارون إن جامعها وهو مستحل فهو مشرك وإن جامعها وهو محرم فهو زانٍ. وكان ابن مسعود يحرم نكاح الزانية ويقول إذا تزوج الزاني الزانية فهما زانيان وقال سعيد بن المسيب وجماعة إن حكم الآية منسوخ وكان نكاح الزانية حراماً بهذه الآية ثم نسخت بقوله تعالى ﴿**وأنكحوا الأيامى منكم**﴾ فدخلت الزانية في هذا العموم واحتج من جوز نكاح الزانية بما روي عن جابر: «أن رجلاً أتى النبيّ ﷺ فقال يا رسول الله إن امرأتي لا تمنع يد لامس فقال طلقها قال إني أحبها وهي جميلة قال استمتع بها» وفي رواية غيره فأمسكها إذاً وروى هذا الحديث أبو داود والنسائي عن ابن عباس قال النسائي رفعه أحد الرواة إلى ابن عباس ولم يرفعه بعضهم قال وهذا الحديث ليس بثابت. وروي أنّ عمر بن الخطاب ضرب رجلاً وامرأة في زنا وحرص على أن يجمع بينهما فأبى الغلام[1] وقيل في

نكاحهنّ على تلك الجهة، فاستأذن رجل من المسلمين رسول الله ﷺ في نكاح أُم مهزول واشترطت له أن تنفق عليه، فأنزل الله هذه الآية. وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال: كان رجل يقال له مرثد بن أبي مرثد الغنوي كان يحمل الأسارى من مكة حتى يأتي بهم المدينة وكانت بمكة بغي يقال لها عناق، وكانت صديقة له في الجاهلية، فلما أتى مكة دعته عناق إلى نفسها، فقال مرثد: إن الله حرّم الزنا، قالت: فانكحني، فقال: حتى أسأل رسول الله ﷺ، قال: فأتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله أنكح عناقاً؟ فأمسك رسول الله ﷺ فلم يردّ شيئاً، فنزلت: ﴿ والزانية لا ينكحها إلّا زانٍ أو مشرك ﴾ فدعاني النبيّ ﷺ فقرأها عليّ وقال لي: «لا تنكحها»، فعلى قول هؤلاء كان التحريم خاصّاً في حق أولئك دون سائر الناس. وقال قوم: المراد من النكاح هو الجماع، ومعناه أن الزاني لا يزني إلّا بزانية أو مشركة والزانية لا تزني إلّا بزانٍ أو مشرك، وهو قول سعيد بن جبير والضحّاك بن مزاحم. ورواه الوالبي عن ابن عباس، قال يزيد بن هارون: إن جامعها وهو مستحلّ فهو مشرك، وإن جامعها وهو مُحرِّم فهو زانٍ، وكان ابن مسعود يحرّم نكاح الزانية ويقول: إذا تزوج الزاني بالزانية فهما زانيان أبداً. وقال الحسن: الزاني المجلود لا ينكح إلا زانية مجلودة والزانية المجلودة لا ينكحها إلّا زانٍ مجلود. قال سعيد بن المسيب وجماعة: إن حكم الآية منسوخ، فكان نكاح الزانية حراماً بهذه الآية فنسخها قوله: ﴿ وأنكحوا الأيامى منكم ﴾ [النور: ٣٢] فدخلت الزانية في أيامى المسلمين. واحتجّ مَن جوّز نكاح الزانية بما أخبرنا أبو الفرج المظفر بن إسماعيل التميمي أنا أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي أنا أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ أنا الحسن بن فرج أنا عمرو بن خالد

---

(١) ظن أن المراد بالغلام هنا الشاب الذي قد زنى بها أبى الزواج منها بعد إقامة الحد عليهما اهـ مصححة.

معنى الآية إن الفاجر الخبيث لا يرغب في نكاح الصالحة من النساء وإنما يرغب في نكاح فاجرة خبيثة مثله أو مشركة والفاسقة الخبيثة لا ترغب في نكاح الصلحاء من الرجال وإنما ترغب في نكاح فاسق خبيث مثلها أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين أي صرف الرغبة بالكلية إلى نكاح الزواني وترك الرغبة في الصالحات العفائف محرم على المؤمنين ولا يلزم من حرمة هذا حرمة التزوج بالزانية. قوله:

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾﴾

﴿**والذين يرمون**﴾ أي يقذفون بالزنا ﴿**المحصنات**﴾ يعني المسلمات الحرائر العفائف ﴿**ثم لم يأتوا بأربعة شهداء**﴾ أي يشهدون على الزنا ﴿**فاجلدوهم ثمانين جلدة**﴾ بيان حكم الآية أن من قذف محصناً أو محصنة بالزنا فقال له: يا زاني أو يا زانية أو زنيت فيجب عليه جلد ثمانين إن كان القاذف حراً وإن كان عبداً يجلد أربعين وإن كان المقذوف غير محصن فعلى القاذف التعزير. وشرائط الإحصان خمسة الإسلام والعقل والبلوغ والحرية والعفة من الزنا حتى لو زنى في عمره مرة واحدة ثم تاب وحسنت توبته بعد ذلك ثم قذفه قاذف فلا حد عليه فإن أقر المقذوف على نفسه بالزنا أو أقام القاذف أربعة يشهدون عليه بالزنا سقط الحد عن القاذف لأن الحد إنما وجب عليه لأجل الفرية. وقد ثبت صدقه وأما الكنايات مثل أن يقول يا فاسق أو يا فاجر أو يا خبيث أو يا مؤاجر أو قال امرأتي لا ترديد لامس فهذا ونحوه لا يكون قذفاً إلا أن يريد ذلك. وأما التعريض مثل أن يقول أما أنا فما زنيت أو ليست امرأتي زانية فليس بقذف عند الشافعي وأبي حنيفة. وقال مالك يجب فيه الحد وقال أحمد هو قذف في حال الغضب دون حال

الحرّاني أنا عبيد الله عن عبد الكريم الجزري عن أبي الزبير عن جابر أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنّ امرأتي لا تمنع يَدَ لَامِسٍ؟ قال: «طلّقها»، قال: فإني أُحبّها وهي جميلة، قال: «استمتع بها». وفي رواية غيره «فأمسكها إذاً» ورُوِيَ أن عمر بن الخطاب ضرب رجلاً وامرأة في زنا وحرص أن يجمع بينهما فأبى الغلام.

قوله: ﴿ **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة** ﴾، أراد بالرمي القذف بالزنا وكلّ مَن رمى محصناً أو محصنة بالزنا، فقال له: زنيت أو يا زاني فيجب عليه جلد ثمانين جلدة، إن كان حرّاً وإن كان عبداً فيجلد أربعين وإن كان المقذوف غير محصن، فعلى القاذف التعزير وشرائط الإحصان خمسة: الإسلام والعقل والبلوغ والحرية والعفّة من الزاني حتى أن مَن زنى مرة في أول بلوغه ثم تاب وحَسُنت حالته وامتدّ عمره فقذفه قاذف فلا حدّ عليه. فإن أقرّ المقذوف على نفسه بالزنا أو أقام القاذف أربعة من الشهود على زناه سقط الحدّ عن القاذف لأن الحدّ الذي وجب عليه حدّ الفرية وقد ثبت صدقه، وقوله: ﴿ **والذين يرمون المحصنات** ﴾ أي: يقذفون بالزنا المحصنات يعني المسلمات الحرائر العفائف ثم لم يأتوا بأربعة شهداء يشهدون على زناهنّ فاجلدوهم ثمانين جلدة، أي: اضربوهم ثمانين جلدة. ﴿ **ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون** ﴾.

﴿ **إلّا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم** ﴾، اختلف العلماء في قبول شهادة القاذف بعد التوبة وفي حكم هذا الاستثناء فذهب قوم إلى أن القاذف ترد شهادته بنفس القذف وإذا تاب وندم على ما قال وحَسُنَت حالته قُبلت شهادته، سواء تاب بعد إقامة الحدّ عليه أو قبلها، لقوله تعالى: ﴿ **إلّا الذين تابوا** ﴾ وقالوا:

الرضا. قوله تعالى ﴿ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون﴾ فيه دليل على أنّ القذف من الكبائر لأن اسم الفاسق لا يقع إلا على صاحب كبيرة ﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإنّ الله غفور رحيم﴾ اختلف العلماء في قبول شهادة القاذف بعد التوبة وفي حكم هذا الاستثناء فذهب قوم إلى أنّ القاذف ترد شهادته بنفس القذف وإذا تاب وندم على ما قال وحسنت حالته بعد التوبة قبلت شهادته سواء تاب بعد إقامة الحد عليه أو قبله لقول تعالى ﴿إلا الذين تابوا﴾ وقالوا هذا الاستثناء يرجع إلى رد الشهادة وإلى الفسق وإذا تاب تقبل شهادته ويزول عنه اسم الفسق. يروى ذلك عن عمر وابن عباس وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وطاوس وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والشعبي وعكرمة وعمر بن عبدالعزيز والزهري وبه قال مالك والشافعي. وذهب قوم إلى أنّ شهادة المحدود في القذف لا تقبل أبداً وإن تاب وقالوا الاستثناء يرجع إلى قوله «وأولئك هم الفاسقون» وهو قول النخعي وشريح وأصحاب الرأي قالوا بنفس القذف لا ترد شهادته ما لم يحد قال الشافعي هو قبل أن يحد شر منه حين يحد لأن الحدود كفارات فكيف تردونها في أحسن حاليه وتقبلونها في شر حاليه. وذهب الشافعي إلى أنّ حد القذف يسقط بالتوبة. وقال: الاستثناء يرجع إلى الكل وعامة العلماء على أنه لا يسقط الحد بالتوبة إلا أن يعفو عنه المقذوف فيسقط كالقصاص يسقط بالعفو ولا يسقط بالتوبة. فإن قلت إذا قبلت شهادته بعد التوبة فما معنى قوله أبداً. قلت معنى أبداً ما دام مصرًّا على القذف لأنه أبد كل إنسان مدته على ما يليق به كما يقال شهادة الكافر لا تقبل أبداً يراد بذلك ما دام على كفره فإذا أسلم قبلت شهادته. قوله عزّ وجلّ ﴿والذين يرمون﴾ أي يقذفون ﴿أزواجهم ولم يكن لهم شهداء﴾ أي يشهدون على صحة ما قالوا ﴿إلا أنفسهم﴾ أي غير أنفسهم ﴿فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين﴾ سبب نزول هذه الآية ما روي عن سهل بن الساعدي أن عويمر العجلاني جاء إلى عاصم بن عدي فقال لعاصم: أرأيت

الاستثناء يرجع إلى ردِّ الشهادة وإلى الفسق فبعد التوبة تقبل شهادته ويزول عنه اسم الفسق، يُروَى ذلك عن ابن عباس وعمر، وهذا قول سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وطاوس وسعيد بن المسيّب وسليمان بن يسار والشعبي وعكرمة وعمر بن عبد العزيز والزهري وبه قال مالك والشافعي: وذهب قوم إلى أن الشهادة المحدودة في القذف لا تقبل أبداً وإن تاب، وقالوا: الاستثناء يرجع إلى قوله: ﴿ وأولئك هم الفاسقون ﴾، وهو قول النخعي وشريح وأصحاب الرأي، وقالوا: بنفس القذف لا ترد شهادته ما لم يحدّ قال الشافعي: وهو قبل أن يحدّ شرّ منه حين يحدّ لأن الحدود كفّارات فكيف يردّونها في أحسن حاليه ويقبلونها في شرّ حاليه، وذهب الشعبي إلى أن حدّ القذف يسقط بالتوبة، وقال: الاستثناء يرجع إلى الكل وعامّة العلماء على أنه لا يسقط بالتوبة إلّا أن يعفو عنه المقذوف فيسقط كالقصاص يسقط بالعفو، ولا يسقط بالتوبة. فإن قيل إذا قبلتم شهادته بعد التوبة فما معنى قوله: ﴿ أبداً ﴾ قيل: معناه لا تقبل شهادته أبداً ما دام هو مصرّاً على قذفه لأن أبد كل إنسان مدته على ما يليق بحاله، كما يقال: لا تُقبَل شهادة الكافر أبداً: يُراد ما دام كافراً.

قوله: ﴿ والذين يرمون أزواجهم ﴾، يقذفون نساءهم، ﴿ ولم يكن لهم شهداء ﴾، يشهدون على صحة ما قالوا، ﴿ إلّا أنفسهم ﴾، غير أنفسهم، ﴿ فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنّه لمن الصادقين ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب ﴿ أربع شهادات ﴾ برفع العين على خبر الابتداء، أي: فشهادة أحدهم التي تدرأ الحدّ أربع شهادات، وقرأ الآخرون بالنصب أي: فشهادة أحدهم أن يشهد أربع شهادات بالله إنّه لمِنَ الصادقين.

﴿ والخامسة أنّ لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ﴾، قرأ نافع ويعقوب ﴿ أن ﴾ خفيفة وكذلك الثانية ﴿ لعنة الله ﴾ رفع، ثم يعقوب قرأ ﴿ غضب ﴾ [النور: ٩] بالرفع، وقرأ نافع (غضب) بكسر الضاد وفتح الباء على الفعل الماضي ﴿ الله ﴾ رفع، وقرأ الآخرون ﴿ أن ﴾ بالتشديد فيهما، ﴿ لعنة ﴾ نصب، و(غضب)

لو أن رجلاً وجد مع امرأته رجلاً أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل سل لي عن ذلك رسول الله ﷺ فسأل عاصم رسول الله ﷺ عن ذلك فكره رسول الله ﷺ المسألة وعابها حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله ﷺ فلما رجع عاصم إلى أهله جاءه عويمر فقال يا عاصم ماذا قال لك رسول الله ﷺ فقال عاصم لعويمر لم تأتني بخير قد كره رسول الله ﷺ المسألة التي سألت عنها فقال عويمر: والله لا أنتهي حتى أسأله عنها فجاء عويمر ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم وسط الناس فقال: يا رسول الله أرأيت رجلاً وجد مع امرأته رجلاً أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل فقال رسول الله ﷺ قد أنزل الله فيك وفي صاحبتك قرآناً فاذهب فأت بها قال سهل: فتلاعنا وأنا مع الناس عند رسول الله ﷺ فلما فرغا من تلاعنهما قال عويمر: كذبت عليها يا رسول الله إن أمسكتها فطلقها ثلاثاً قبل أن يأمره رسول الله ﷺ قال مالك قال ابن شهاب فكانت تلك سنة المتلاعنين». أخرجاه في الصحيحين زاد في رواية ثم قال رسول الله ﷺ انظروا إن جاءت به أسحم أدعج العينين عظيم الأليتين خدلج الساقين فلا أحسب عويمراً إلا وقد صدق عليها. وإن جاءت به أحيمر كأنه وحرة فلا أحسب عويمراً إلا قد كذب عليها فجاءت به على النعت الذي نعت رسول الله ﷺ من تصديق عويمر فكان بعد ينسب إلى أمه قوله أسحم أي أسود الأدعج الشديد سواد العين مع سعتها وقوله خدلج الساقين أي ممتلىء الساقين غليظهما وقوله، كأنه وحرة بفتح الحاء دويبة كالعظاءة تلصق بالأرض وأراد بها في الحديث المبالغة في قصره (خ) عن ابن عباس «أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبيّ ﷺ بشريك بن سحماء فقال النبيّ ﷺ: البينة أو حد في ظهرك فقال يا رسول الله إذا رأى أحد على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة فجعل النبيّ ﷺ يقول: البينة والحد في

[النور: ٩] بفتح الضاد على الاسم، ﴿الله﴾ جرّ، وقرأ حفص عن عاصم ﴿والخامسة﴾ الثانية نصب، أي: ويشهد الشهادة الخامسة، وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء وخبره في أن كالأولى، وسبب نزول هذه الآية ما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب أن سهل بن سعد الساعدي أخبره أن عويمر العجلاني جاء إلى عاصم بن عديّ الأنصاري فقال له: يا عاصم أرأيت لو أن رجلاً وجد مع امرأته رجلاً أيقتله فتقتلونه، أم كيف يفعل؟ سَلْ لي عن ذلك يا عاصم رسول الله ﷺ، قال: فسأل عاصم رسول الله ﷺ عن ذلك، فكره رسول الله ﷺ المسائل وعليها حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله ﷺ، فلما رجع عاصم إلى أهله جاء عويمر فقال له: يا عاصم ماذا قال لك رسول الله ﷺ فقال عاصم لعويمر: لم تأتني بخير، قد كره رسول الله المسئلة التي سألته عنها، فقال عويمر، والله لا أنتهي حتى أسأله عنها، فجاء عويمر ورسول الله ﷺ وسط الناس فقال: يا رسول الله أرأيت رجلاً وجد مع امرأته رجلاً أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل؟ فقال رسول الله ﷺ: «قد أنزل فيك وفي صاحبتك فاذهب فأتِ بها»، فقال سهل: فتلاعنا وأنا مع الناس عند رسول الله ﷺ، فلما فرغا من تلاعنهما قال عويمر: كذبتُ عليها يا رسول الله أن أمسكتها فطلقها ثلاثاً قبل أن يأمره رسول الله ﷺ، قال مالك: قال ابن شهاب: فكانت تلك سُنّة المتلاعنين. وقال محمد بن إسماعيل أنا إسحق أنا محمد بن يوسف أنا الأوزاعي أنا الزهري بهذا الإسناد بمثل معناه وزاد ثم قال رسول الله ﷺ: «انظروا فإن جاءت به أسحم أدعج العينين عظم الإليتين خدلج الساقين فلا أحسب عويمراً إلّا قد صدق عليها، وإن جاءت به أُحيمر كأنه وحرة فلا أحسب عويمر إلّا قد كذب عليها»، فجاءت على النعت الذي نعت رسول الله ﷺ من تصديق عويمر. فكان بعد ينسب إلى أمه. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا محمد بن عبد الله النعيمي أنا أحمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن بشّار أنا ابن أبي عديّ عن هشام بن حسان أنا عكرمة عن ابن عباس أن هلال بن أُميّة قذف امرأته عند رسول الله ﷺ بشريك بن سحماء، فقال النبي ﷺ: البيّنة أو حدّ في ظهرك»، فقال: يا رسول الله إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البيّنة؟ فجعل النبي ﷺ يقول: «البيّنة

ظهرك فقال هلال بن أمية: والذي بعثك بالحق إني لصادق ولينزلن الله ما يبرىء ظهري من الحد فنزل جبريل عليه السلام وأنزل عليه ﴿والذين يرمون أزواجهم﴾ فقرأ حتى بلغ إن كان من الصادقين فانصرف النبيّ ﷺ فأرسل إليهما. فجاء فقام هلال بن أمية فشهدوا النبي ﷺ يقول الله يعلم إن أحدكما كاذب فهل منكما تائب ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفها وقال: إنها موجبة قال ابن عباس: فتلكأت ونكصت حتى ظننا أنها ترجع ثم قالت لا أفضح قومي سائر اليوم فمضت فقال النبيّ ﷺ: انظروها فإن جاءت به أكحل العينين سابغ الأليتين خدلج الساقين فهو لشريك بن سحماء فجاءت به كذلك فقال النبيّ ﷺ: لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن». وفي رواية غير البخاري عن ابن عباس قال «لما نزلت والذين يرمون المحصنات» الآية قال سعد بن عبادة لو أتيت لكاع وقد تفخذها رجل لم يكن لي أن أهيجه حتى آتي بأربعة شهداء فوالله ما كنت لآتي بأربعة شهداء حتى يفرغ حاجته ويذهب وإن قلت ما رأيت إن في ظهري لثمانين جلدة. فقال رسول الله ﷺ: يا معشر الأنصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم قالوا لا تلمه فإنه رجل غيور ما تزوج امرأة قط إلا بكراً ولا طلق امرأة له واجترأ رجل منا أن يتزوجها. فقال سعد يا رسول الله بأبي أنت وأمي والله إني لا أعرف أنها من الله وأنها حق ولكن عجبت من ذلك لما أخبر الله فقال النبيّ ﷺ: فإنّ الله يأبى إلاّ ذلك فقال صدق الله ورسوله قال فلم يلبثوا إلا يسيرا حتى جاء ابن عم له يقال له هلال بن أمية من حديقة له فرأى رجلاً مع امرأته يزني بها فأمسك حتى أصبح فلما أصبح غدا على رسول الله ﷺ وهو جالس مع أصحابه فقال: يا رسول الله إني جئت إلى أهلي عشاء فوجدت مع امرأتي رجلاً رأيت بعيني وسمعت بأذني فكره رسول الله ﷺ وهو

وإلاّ حدّ في ظهرك»، فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق ولينزلنّ الله ما يبرىء ظهري من الحدّ فنزل جبريل وأنزل عليه: ﴿ والذين يرمون أزواجهم ﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿ إنْ كان من الصادقين ﴾ [النور: ٩] فانصرف النبي ﷺ فأرسل إليهما فجاء هلال فشهد والنبي ﷺ يقول: «إن الله يعلم أن أحدكما كاذب، فهل منكما تائب»؟ ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفوها وقالوا إنها موجبة، قال ابن عباس فتلكأت ونكصت حتى ظننا أنها ترجع ثم قالت لا أفضح قومي سائر اليوم، فمضت، فقال النبي ﷺ: «أبصروها فإن جاءت به أكحل العينين سابغ الإليتين خدلج الساقين فهو لشريك بن سحماء»، فجاءت به كذلك، فقال النبي ﷺ: «لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن»، وقال عكرمة عن ابن عباس: قال لما نزلت: ﴿ والذين يرمون المحصنات ﴾ الآية. قال سعد بن عبادة: لو أتيت لكاع وقد تفخذها رجل لم يكن لي أن أهيجه حتى آتي بأربعة شهداء، فوالله ما كنت لآتي بأربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته ويذهب، وإن قلت ما رأيت إن في ظهري لثمانين جلدة، فقال رسول الله ﷺ: «يا معشر الأنصار ألا تسمعون ما قال سيدكم»؟ قالوا: لا تلمه فإنه رجل غيور ما تزوّج امرأة قطّ إلاّ بكراً ولا طلّق امرأة له فاجترأ رجل منّا أن يتزوجها، فقال سعد: يا رسول الله بأبي أنت وأُمي والله إني لأعرف أنها من الله وأنها حق ولكن عجبت من ذلك لما أخبرك الله، فقال النبي ﷺ: «فإن الله يأبى إلاّ ذلك»، فقال صدق الله ورسوله، قال: فلم يلبثوا إلاّ يسيراً حتى جاء ابن عمّ له يقال له هلال بن أُميّة من حديقة له فرأى رجلاً مع امرأته يزني بها، فأمسك حتى أصبح فلما أصبح غدا على رسول الله ﷺ وهو جالس مع أصحابه، فقال: يا رسول الله إني جئت أهلي عشاءً فوجدت رجلاً مع امرأتي، رأيت بعيني وسمعت بأذني، فكره رسول الله ﷺ ما أتاه به وثقل عليه حتى عرف ذلك في وجهه، فقال هلال: والله يا رسول الله إني لأرى الكراهية في وجهك مما أتيتك به، والله يعلم إني لصادق وما قلت إلاّ حقاً وإني لأرجو أن يجعل الله لي فرجاً، فهمّ رسول الله ﷺ بضربه، فقال: واجتمعت الأنصار فقالوا ابتلينا بما قال سعد يجلد هلال وتبطل شهادته، وإنهم لكذلك، ورسول الله ﷺ يريد أن يأمر بضربه، إذْ نزل عليه الوحي فأمسك أصحابه عن كلامه حين عرفوا أن الوحي قد نزل عليه، حتى فرغ رسول الله ﷺ فأمسكوا، فأنزل الله عزّ

جالس مع أصحابه فقال يا رسول الله إني جئت إلى أهلي عشاءً فوجدت مع امرأتي رجلاً رأيت بعيني وسمعت بأذني فكره رسول الله ﷺ ما أتاه به وثقل عليه حتى عرف ذلك في وجهه فقال هلال: والله يا رسول الله إني لأرى الكراهة في وجهك مما أتيتك به والله يعلم إني لصادق. وما قلت إلا حقاً وإني لأرجو أن يجعل الله لي فرجاً فهم رسول الله ﷺ بضربه قال: واجتمعت الأنصار فقالوا: ابتلينا بما قال سعد بجلد هلال وتبطل شهادته فبينما هم كذلك ورسول الله ﷺ يريد أن يأمر بضربه إذ نزل عليه الوحي فأمسك أصحابه عن كلامه حين عرفوا أن الوحي قد نزل حتى فرغ فأنزل الله والذين يرمون أزوجهم إلى آخر الآيات فقال رسول الله ﷺ أبشر يا هلال فإنّ الله تعالى قد جعل لك فرجاً. فقال: كنت أرجو ذلك من الله فقال رسول الله ﷺ: أرسلوا إليها فجاءت فلما اجتمعا عند رسول الله ﷺ قيل فكذبت فقال رسول الله ﷺ: إنّ الله يعلم أنّ أحدكما كاذب فهل منكما تائب فقال يا رسول الله قد صدقت وما قلت إلاّ حقاً فقال رسول الله ﷺ لاعنوا بينهما فقيل لهلال فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين فقال له عند الخامسة: يا هلال اتق الله فإنّ عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة وإن عذاب الله أشد من عذاب الناس وإن هذه الخامسة هي الموجبة التي توجب عليك العذاب فقال هلال والله لا يعذبني الله عليها كما لم يحدني عليها رسول الله ﷺ فشهد ﴿**والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين**﴾ ثم قال للمرأة اشهدي فشهدت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين فقال لها عند الخامسة ووقفها اتقى الله إن الخامسة موجبة وإن عذاب الله أشد من عذاب الناس فتلكأت ساعة وهمت بالاعتراف ثم قالت: والله لا أفضح قومي فشهدت الخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ففرق رسول الله ﷺ بينهما. وقضى أن الولد لها ولا يدعى لأب ولا يرمى ولدها ثم قال رسول الله ﷺ: إن جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها وإن جاءت به كذا

وجلّ: ﴿ **والذين يرمون أزواجهم** ﴾، إلى آخر الآيات فقال رسول الله ﷺ: «أبشر يا هلال فإن الله قد جعل لك فـرجاً»، فقال: لقد كنت أرجو ذلك من الله، فقال رسول الله ﷺ: «أرسلوا إليها فجاءت فلما اجتمعا عند رسول الله ﷺ قيل لها فكذبت، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب»؟ فقال هلال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي قد صدقت وما قلت إلّا حقاً، فقال رسول الله ﷺ: «لاعنوا بينهما»، فقيل لهلال: اشهدْ فشهدَ أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين، فقال له عند الخامسة: يا هلال اتقِ الله فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، وإن عذاب الله أشدّ من عذاب الناس، وإن هذه الخامسة هي الموجبة التي توجب عليك العذاب، فقال هلال: والله لا يعذبني الله عليها كما لم يحدّني عليها رسول الله ﷺ، فشهد الخامسة أنّ لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، ثم قال للمرأة: اشهدي فشهدت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين، فقال لها عند الخامسة ووقفها: اتقي الله فإن الخامسة موجبة وإن عذاب الله أشدّ من عذاب الناس فتلكأت ساعة وهمّت بالاعتراف ثم قالت: والله لا أفضح قومي فشهدت الخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين، ففرّق رسول الله ﷺ بينهما وقضى بأن الولد لها ولا يدعى لأب ولا يرمى ولدها، ثم قال رسول الله ﷺ: «إن جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها وإن جاءت به كذا وكذا فهو للذي قيل فيه»، فجاءت به غلاماً كأنه جمل أورق على الشبه المكروه، وكان بعد أميراً على مصر، لا يدري مَن أبوه، وقال ابن عباس في سائر الروايات ومقاتل: لما نزلت: ﴿ **والذين يرمون المحصنات** ﴾ الآية، فقرأها رسول الله ﷺ يوم الجمعة على المنبر فقـام عاصم بن عدي الأنصاري فقال: جعلني الله فداك إن رأى رجل منّا مع امرأته رجلاً فأخبر بما رأى جُلدَ ثمانين جلدة وسمّاه المسلمون فاسقاً ولا تقبل شهادته أبداً فكيف لنا بالشهداء ونحن إذا التمسنا الشهداء كان الرجل فرغ من حاجته ومرّ؟ وكان لعاصم هذا ابن عمّ يقال له عويمر وله امرأة يقال لها خولة بنت قيس بن محصن فأتى عويمر عاصماً وقال: لقد رأيت شريك بن السمحاء على بطن امرأتي خولة فاسترجع عاصم وأتى رسول الله ﷺ في الجمعة الأخرى، فقال: يا رسول الله ما أسرع ما ابتليت بالسؤال الذي

وكذا فهو للذي قيل فيه فجاءت به غلاماً كأنه جمل أورق على الشبه المكروه، وكان أميراً بمصر لا يدرى من أبوه» الأورق هو الأبيض وروى ابن عباس «أن عويمراً لما لاعن زوجته خولة أمر رسول الله ﷺ حتى نودي الصلاة جامعة فصلّى العصر ثم قال لعويمر: قم فقام فقال: أشهد بالله إن خولة لزانية وإني لمن الصادقين ثم قال في الثانية أشهد بالله إني رأيت شريكاً على بطنها وإني لمن الصادقين. ثم قال في الثالثة أشهد بالله إنها لحبلى من غيري وإني لمن الصادقين. ثم قال في الرابعة أشهد بالله إني ما قربتها منذ أربعة أشهر وإني لمن الصادقين ثم قال في الخامسة لعنة الله على عويمر يعني نفسه إن كان من الكاذبين فيما قال ثم أمره بالقعود فقعد. ثم قال لخولة قومي فقامت فقالت: أشهد بالله ما أنا بزانية وإن عويمراً لمن الكاذبين ثم قالت في الثانية: أشهد بالله إنه ما رأى شريكاً على بطني وإنه لمن الكاذبين. ثم قالت في الثالثة أشهد بالله إني حبلى منه وإنه لمن الكاذبين ثم قالت في الرابعة: أشهد بالله إنه ما رآني قط على فاحشة وإنه لمن الكاذبين ثم قالت في الخامسة: عضب الله على خولة تعني نفسها إن كان من الصادقين ففرق رسول الله ﷺ بينهما وقال لولا هذه الأيمان لكان لي في أمرهما رأي ثم قال: تحينوا الولادة فإن جاءت به أصيهب أثيبج يضرب إلى السواد فهو لشريك بن سحماء وإن جاءت به أورق جعداً جمالياً خدلج الساقين فهو لغير الذي رميت به» قال ابن عباس: فجاءت بأشبه خلق بشريك.

بيان حكم الآية

إن الرجل إذا قذف امرأته فموجبه موجب قذف الأجنبية وجوب الحد عليه إن كانت محصنة أو التعزير إن كانت غير محصنة غير أن المخرج منهما مختلف، فإذا قذف أجنبياً أو أجنبية يقام عليه الحد إلا أن يأتي بأربعة يشهدون بالزنا

سألت في الجمعة الماضية في أهل بيتي، فأخبره وكان عويمر وخولة وشريك كلهم بني عمّ عاصم، فدعا رسول الله ﷺ بهم جميعاً، وقال لعويمر: «اتق الله في زوجتك وابنة عمّك ولا تقذفها بالبهتان» فقال: يا رسول الله أُقسم بالله إني رأيت شريكاً على بطنها وإني ما قربتها منذ أربعة أشهر، وإنها حبلى من غيري، فقال رسول الله ﷺ للمرأة: «اتقي الله ولا تخبري إلّا بما صنعت» فقالت: يا رسول الله إن عويمراً رجلاً غيور وإنه رآني وشريكاً يطيل السمر ونتحدث فحملته الغيرة على ما قال، فقال رسول الله ﷺ لشريك: «ما تقول»؟ فقال: ما تقوله المرأة كذب، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ والذين يرمون أزواجهم ﴾ الآية، فأمر رسول الله ﷺ حتى نُودِيَ الصلاة جامعة فصلّى العصر ثم قال لعويمر: «قم» فقام فقال: أشهَدُ بالله بأن خولة لزانية وإني لمن الصادقين، ثم قال في الثانية: أشهد بالله إني رأيت شريكاً على بطنها، وإني لمن الصادقين، ثم قال في الثالثة: أشهد بالله إنها حبلى من غيري وإني لمن الصادقين، ثم قال في الرابعة: أشهد بالله إني ما قربتها منذ أربعة أشهر وإني لمن الصادقين، ثم قال في الخامسة: لعنة الله على عُويمر يعني نفسه إن كان من الكاذبين، فيما قال ثم أمره بالقعود وقال لخولة: «قومي» فقامت، فقالت: أشهد بالله ما أنا بزانية وإن عويمراً لمن الكاذبين، ثم قالت في الثانية: أشهد بالله أنه ما رأى شريكاً على بطني وإنه لمن الكاذبين، ثم قالت في الثالثة: أشهد بالله إني حبلى منه وإنه من لمن الكاذبين، ثم قالت في الرابعة: أشهد بالله إنه ما رآني قطّ على فاحشة وإنه لمن الكاذبين، ثم قالت في الخامسة: غضب الله على خولة تعني نفسها إن كان من الصادقين، ففرّق رسول الله ﷺ بينهما، وقال: «لولا هذه الأيمان لكان لي في أمرهما رأي»، ثم قال: «تحينوا بها الولادة فإن جاءت بِه أُصيهب أُثيبج يضرب إلى السواد فهو لعويمر، وإن جاءت به أورق جعداً حمالياً خدلج الساقين فهو للذي رُميت به». قال ابن عباس فجاءت بأشبه خلق الله بشريك. والكلام في حكم الآية أن الرجل إذا قذف امرأته فموجبه موجب قذف الأجنبي في وجوب الحدّ عليه إن كانت محصنة أو التعزير إن لم تكن محصنة، غير أن المخرج منها مختلف فإذا قذف أجنبياً يُقام الحدّ عليه، إلّا أن يقيم أربعة من الشهود على زناها، أو

أو يقر المقذوف بالزنا فيسقط عنه الحد. وفي الزوجة إذا وجد أحد هذين أو لاعن سقط عنه الحد فاللعان في قذف الزوجة بمنزلة البينة لأنه الرجل إذا رأى مع امرأته رجلاً بما لا يمكنه إقامة البينة ولا يمكنه الصبر على العار، فجعل الله اللعان حجة له على صدقه فقال تعالى: ﴿فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين﴾ وإذا أقام الزوج بينة على زناها أو اعترفت هي بالزنا سقط عنه الحد واللعان إلا أن يكون هناك ولد يريد نفيه فله أن يلاعن لنفيه وإذا أراد الإمام أن يلاعن بينهما بدأ بالرجل فيقيمه ويلقنه كلمات اللعان فيقول: قل أشهد بالله إني لمن الصادقين فيما رميت به زوجتي فلانه من الزنا وإن كان قد رماها برجل بعينه سماه في اللعان ويقول كما يلقنه الإمام. وإن كان ولد أو حمل يريد نفيه يقول وإن هذا الولد أو هذا الحمل لمن الزنا ما هو مني. ويقول في الخامسة علي لعنة الله إن كنت من الكاذبين فيما رميت به فلانة وإذا أتى بكلمة من كلمات اللعان من غير تلقين الإمام لا تحسب فإذا فرغ الرجل من اللعان وقعت الفرقة بينه وبين الزوجة وحرمت عليه على التأبيد وانتفى عنه النسب وسقط عنه الحد ووجب على المرأة حد الزنا، فهذه خمسة أحكام تتعلق بلعان الزوج. قوله عزّ وجلّ:

﴿وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾﴾

﴿ويدرأ﴾ أي يدفع ﴿عنها العذاب﴾ أي الحد ﴿أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين﴾ حكم الآية أن الزوج إذا لاعن وجب على المرأة حد الزنا فإن أرادت إسقاطه عن نفسها فإنها تلاعن فتقوم وتشهد بعد تلقين الحاكم أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين فيما رماني به وتقول في الخامسة علي غضب الله إن كان زوجي من الصادقين فيما رماني به ولا يتعلق بلعانها إلا هذا الحكم الواحد وهو إسقاط الحد عنها. ولو أقام الزوج بينة لم يسقط الحد عنها باللعان. وعند أصحاب الرأي لا حد على من قذف زوجته بل موجبه اللعان

يقرّ به المقذوف فيسقط عنه حدّ القذف، وفي الزوجة إذا وجد أحد هذين أو لاَعَنَ يسقط عنه الحدّ، فاللعان في قذف الزوجة بمنزلة البيّنة لأن الرجل إذا رأى مع امرأته رجلاً ربما لا يمكنه إقامة البيّنة عليه ولا يمكنه الصبر على العار، فجعل الله اللعان حجة له على صدقه، فقال تعالى: ﴿ فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين ﴾، وإذا أقام الزوج البيّنة على زناها أو اعترفت بالزنا سقط عنه الحدّ واللعان، إلا أن يكون هناك ولد يريد نفيه فله أن يلاعن لنفيه، وإذا أراد الإمام أن يلاعن بينهما يبدأ فيقيم الرجل ويلقّنه كلمات اللعان، فيقول: قل أشهد بالله إني لمن الصادقين فيما رميت به فلانة بالزنا، وإن كان قد رماها برجل بعينه سمّاه بعينه باللعان، وإن رماها بجماعة سمّاهم ويقول الزوج كما يلقنه الإمام وإن كان ولد أو حمل يريد نفيه يقول وإن هذا الولد أو الحمل لمن الزنا ما هو منّي، ويقول في الخامسة: عليّ لعنة الله إن كنت من الكاذبين فيما رميت به فلانة، وإذا أتى بكلمة منها من غير تلقين الحاكم لا تكون محسوبة، فإذا فرغ الرجل من اللعان وقعت الفرقة بينه وبين زوجته وحُرّمت عليه على التأبيد، وانتفى عنه النسب وسقط عنه حدّ القذف، ووجب على المرأة حدّ الزنا، إن كانت محصنة ترجم، وإن كانت غير محصنة تُجلَد وتغرّب فهذه خمسة أحكام تتعلق كلها بلعان الزوج.

قوله: ﴿ ويدرؤا ﴾، يدفع، ﴿ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين ﴾.

﴿ والخامسة أنَّ غضبَ الله عليها إن كان من الصادقين ﴾. وأراد بالعذاب الحدّ كما قال في أول السورة: ﴿ وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ﴾ أي: أحدهما ومعنى الآية أن الزوج إذ لاعَـنَ وجب على المرأة حدّ الزنا، وإذا وجب عليها حدّ الزنا بلعانه فأرادت إسقاطه عن نفسها فإنها تلاعن فتقوم وتشهد بعد تلقين الحاكم أربع

فإن لم يلاعن حبس حتى يلاعن فإذا لاعن الزوج وامتنعت المرأة من اللعان حبست حتى تلاعن. وعند الآخرين اللعان حجة صدقه والقاذف إذا قعد عن إقامة البينة على صدقه لا يحبس بل يحد كقاذف الأجنبي إذا قعد عن إقامة البينة. وعن أبي حنيفة موجب اللعان وقوع الفرقة ونفي النسب وهما لا يحصلان إلا بلعان الزوجين جميعاً وقضاء القاضي وفرقة اللعان فرقة فسخ عند الأكثرين وبه قال الشافعي وتلك الفرقة متأبدة حتى لو أكذب الزوج نفسه يقبل ذلك فيما عليه لا فيما له فيلزمه الحد ويلحقه الولد لكن لا يرتفع تأبيد التحريم. وعند أبي حنيفة فرقة اللعان فرقة طلاق فإذا أكذب نفسه جاز له أن ينكحها وإذا أتى ببعض كلمات اللعان لا يتعلق به الحكم وعند أبي حنيفة إذا أتى بأكثر كلمات اللعان قام مقام الكل وكل من صح يمينه صح لعانه حراً كان أو عبداً مسلماً كان أو ذمياً. وهو قول سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والحسن وبه قال ربيعة ومالك والثوري والشافعي وأكثر أهل العلم. وقال الزهري والأوزاعي وأصحاب الرأي لا يجري اللعان إلا بين مسلمين حرين غير محدودين فإن كان أحد الزوجين رقيقاً أو ذمياً أو محدوداً في قذف فلا لعان بينهما وظاهر القرآن حجة لمن قال: يجري اللعان بينهما لأن الله تعالى قال والذين يرمون أزواجهم ولم يفصل بين الحر والعبد والمحدود وغيره ولا يصح اللعان إلا عند الحاكم أو نائبه ويغلظ اللعان بأربعة أشياء بتعدد الألفاظ وبالمكان والزمان وأن يكون بمحضر جماعة من الناس، أما تعدد الألفاظ فيجب ولا يجوز الإخلال بشيء منها، وأما المكان فهو أن يلاعن في أشرف الأماكن فإن كان بمكة فبين الركن والمقام وإن كان بالمدينة فعند منبر النبيّ ﷺ وفي سائر البلاد في الجامع عند المنبر، وأما الزمان فهو أن يكون بعد العصر، وأما الجمع فأقله أربعة

شهادات بالله إنه لمن الكاذبين فيما رماني به، وتقول في الخامسة عليَّ غضبُ الله إن كان زوجي من الصادقين فيما رماني به، ولا يتعلق بلعانها إلاّ حكم واحد وهو سقوط الحدّ عنها ولو أقام الزوج بيّنة على زناها فلا يسقط الحدّ عنها باللعان، وعند أصحاب الرأي لا حدّ على مَن قذف زوجته بل موجبه اللعان، فإن لم يلاعن يحبس حتى يلاعن فإذا لاعن الزوج وامتنعت المرأة عن اللعان حبست حتى تلاعن، وعند الآخرين اللعان حجة على صدقه والقاذف إذا قعد عن إقامة الحجة على صدقه لا يحبس بل يحد كقاذف الأجنبي إذا قعد عن إقامة البيّنة، وعند أبي حنيفة موجب اللعان وقوع الفرقة ونفي النسب، وهما لا يحصلان إلاّ بلعان الزوجين جميعاً، وقضاء القاضي وفرقة اللعان فرقة فسخ عند كثير من أهل العلم وبه قال الشافعي، وتلك الفرقة متأبّدة حتى لو أكذب الزوج نفسه يقبل ذلك فيما عليه دون ما له فيلزمه الحدّ ويلحقه الولد ولكن لا يرتفع تأبيد التحريم، وعند أبي حنيفة فرقة اللعان فرقة طلاق فإذا أكذب الزوج نفسه جاز له أن ينكحها وإذا أتى ببعض كلمات اللعان لا يتعلق به الحكم، وعند أبي حنيفة إذا أتى بأكثر كلمات اللعان قام مقام الكل في خلق الحكم به، فكل مَن صحّ يمينه صحّ لعانه حرّاً أو عبداً مسلماً كان أو ذميّاً، وهو قول سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والحسن. وبه قال ربيعة ومالك والثوري والشافعي وأكثر أهل العلم. وقال الزهري والأوزاعي وأصحاب الرأي لا يجري اللعان إلاّ بين مسلمين حرّين غير محدودين فإن كان الزوجان أو أحدهما رقيقاً أو ذميّاً أو محدوداً في قذف فلا لعان بينهما، وظاهر القرآن حجة لمَن قال يجري اللعان بينهما، لأن الله تعالى قال: ﴿ والذين يرمون أزواجهم ﴾، ولم يفصل بين الحرّ والعبد والمحدود وغيره كما قال: ﴿ الذين يظاهرون من نسائهم ﴾ [المجادلة: ٣]، ثم يستوي الحرّ والعبد هنا في الظهار، ولا يصحّ اللعان إلا عند الحاكم أو خليفته، ويغلظ اللعان بأربعة أشياء بعدد الألفاظ والمكان والزمان وأن يكون بمحضر جماعة من الناس، أما الألفاظ المستحقة فلا يجوز الإخلال بها، وأما المكان فهو أن يلاعن في أشرف الأماكن إن كان بمكة فبين الركن والمقام وإن كان بالمدينة فعند المنبر، وفي سائر البلاد ففي المسجد الجامع عند المنبر، والزمان هو أن يكون بعد صلاة العصر، وأما الجمع فأقلّهم أربعة والتغليظ بالجمع مستحب، حتى لو لاعَنَ الحاكم بينهما وحده جاز وهل التغليظ بالمكان واجب أو مستحب فيه قولان.

والتغليظ بالجمع مستحب فلو لاعن الحاكم بينهما وحده جاز وفي التغليظ بالزمان والمكان قولان. قوله تعالى:

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾

﴿**ولولا فضل الله عليكم ورحمته**﴾ أي لعاجلكم بالعقوبة ولكنه ستر عليكم ودفع عنكم الحد باللعان ﴿**وأن الله تواب**﴾ أي يعود على من يرجع عن المعاصي بالرحمة ﴿**حكيم**﴾ أي فيما فرضه من الحدود. قوله عزّ وجلّ ﴿**إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم**﴾ الآيات سبب نزولها ما روي عن ابن شهاب قال حدّثني عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود عن عائشة زوج النبيّ ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا. وكلهم حدثني طائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت له اقتصاصاً وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة وبعض حديثهم يصدق بعضاً قالوا: قالت عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين أزواجه فأيها خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ قالت عائشة: أقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله ﷺ بعد ما أنزل الحجاب فكنت أحمل في هودج وأنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوه وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت من شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه قالت: وأقبل الرهط الذي كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أني فيه وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يهبلن ولم يغشهن اللحم إنما يأكلن العلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا

قوله: ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله توّابٌ حكيم ﴾، جواب لولا محذوف يعني لعاجلكم بالعقوبة ولكنه ستر عليكم ورفع عنكم الحدّ باللعان، وإن الله توّاب يعود على مَن يرجع عن المعاصي بالرحمة حكيم فيما فرض من الحدود.

قوله: ﴿ إنّ الذين جاؤوا بالإفكِ عُصْبةٌ منكم ﴾ الآيات، سبب نزول هذه الآية ما أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبد العزيز بن عبد الله أنا إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب قال: حدّثني عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقّاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، وكلهم حدّثني طائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت له اقتصاصاً وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدّثني عن عائشة، وبعض حديثهم يُصدّق بعضاً وإن كان بعضهم أوعى له من بعض، قالوا: قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين أزواجه وأيهنّ خرج سهمها خرج بها النبي ﷺ معه، قالت عائشة فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعدما أُنزل الحجاب، فكنت أُحمَل في هودج وأنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك، وقفل ودنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت، فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه، قالت: وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه وهم يحسبون أنّي فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يهبلن ولم يغشهنّ اللحم إنما يأكلن العلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم خفّة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة

ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت به وظننت أنهم سيفقدونني فيرجعون إلي. فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني قد عرس من وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فأتاني فعرفني حين رآني وكان يراني قبل أن يضرب الحجاب عَلي فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي، والله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطىء على يديها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا معرسين».

وفي رواية «موغرين في نحر الظهيرة قالت فهلك من هلك في شأني وكان الذي تولى كبره عبدالله بن أبي ابن سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمنا المدينة شهراً والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك وهو يريبني في وجعي أني لا أرى من النبيّ ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي إنما يدخل فيسلم ثم يقول: كيف تيكم ثم ينصرف فذلك الذي يريبني منه ولا أشعر بالشر حتى نقهت فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريباً من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الأول في التنزه وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا فانطلقت أنا وأم مسطح وهي ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب حين فرغنا من شأننا نمشي فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت: تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت: أتسبين رجلاً قد شهد بدراً؟ فقالت: يا هنتاه

السن، فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها منهم داعٍ ولا مجيب، فتيمّمت منزلي الذي كنت به وظننت أنهم سيفقدونني فيرجعون إليّ فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني وكان قد رآني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي ووالله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، وهوى حتى أناخ راحلته فوطىء على يدها فقمت إليها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول، قالت: فهلك مَن هلك في شأني وكان الذي تولّى كبر الإفك عبد الله بن أُبيّ بن سلول، قال عروة أخبرت أنه كان يُشاع ويتحدث به عنده فيقرّه ويستمعه ويستوشيه، وقال عروة أيضاً: لم يُسَمَّ من أهل الإفك أيضاً إلّا حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش في ناس آخرين لا علم لي بهم غير أنهم عصبة، كما قال الله تعالى: ﴿ والذي تولى كبره ﴾ عبد الله بن أُبيّ بن سلول، قال عروة: كانت عائشة تكره أن يُسَبّ عندها حسان، وتقول: إنه الذي قال:

فإن أبي ووالدِتي وعرضي لعرض محمد منكم وِقاء

قالت عائشة: فقدِمنا المدينة فاشتكيت حين قَدِمت شهراً والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك لا أشعر بشيء من ذلك، وهو يريبني في وجعي إني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل عليّ رسول الله ﷺ فيسلّم ثم يقول: «كيف تيكم»؟ ثم ينصرف، فذلك الذي يريبني ولا أشعر بالشرّ حتى خرجت حين نقهت فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع ونكان متبر زنا، وكنّا لا نخرج إلّا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتّخذ الكنف قريباً من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول في التنزّه قبل الغائط وكنّا نتأذّى بالكنف أن نتخذها بيوتنا، قالت: فانطلقت، أنا وأُم مسطح وهي ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف وأُمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب، فأقبلتُ أنا وأُم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا،

أولم تسمعي ما قال؟ قلت: وما قال فأخبرتني بقول أهل الإفك فازددت مرضاً إلى مرضي فلما رجعت إلى بيتي فدخل علي رسول الله ﷺ ثم قال: كيف تيكم قلت: أتأذن لي أن آتي أبوي؟ قال وأنا حينئذٍ أريد أن أتيقن الخبر من قبلهما فأذن لي رسول الله ﷺ فأتيت أبوي قالت فقلت لأمي يا أمتاه ماذا يتحدث الناس به فقالت: يا بنية هوني على نفسك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كثرن عليها قالت: فقلت سبحان الله وقد تحدث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي قالت: ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة ابن زيد حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله قالت: فأما أسامة فأشار عليه بما يعلم براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود فقال أسامة هم أهلك يا رسول الله ولا نعلم والله إلا خيراً وأما علي بن أبي طالب فقال يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك من عائشة؟ قالت له بريرة: لا والذي بعثك بالحق إن رأيت منها أمراً قط أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فيأتي الداجن فيأكله قالت: فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر من عبدالله بن أبي ابن سلول فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي وفي رواية في أهل بيتي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً وما كان يدخل على أهلي إلا معي قالت: فقام سعد بن معاذ أحد بني عبد الأشهل فقال: أنا أعذرتك منه يا رسول الله إن كان من الأوس ضربنا عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج. أمرتنا ففعلنا فيه أمرك فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه وكان رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ:

فعثرت أم مسطح في مرطها، فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت أتسبّين رجلاً شهد بدراً؟ فقالت: أي هنتاه أوَ لم تستمعي ما قال؟ قالت: فقلت: ما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، قالت فازددت مرضاً على مرضي، فلما رجعت إلى بيتي دخل عليّ رسول الله ﷺ، ثم قال: «كيف تيكم»؟ فقلت له: أتأذن لي أن آتي أبويّ؟ قلت وأنا أُريد أن أستيقن الخبر من قِبَلهما، قالت فأذِن لي رسول الله ﷺ، فقلت لأمي: يا أُمّتاه ماذا يتحدّث الناس؟ قالت: يا بُنيّة هوّني عليك فوالله لقلّ ما كانت امرأة قطّ وضيئة عند رجل يحبها لها ضرائر إلّا أكثرن عليها، قالت: فقلت: سبحان الله أوَ لقد تحدث الناس بهذا؟ قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت أبكي، قالت: ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأُسامة بن زيد حين استلبث الوحي يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله، قالت: فأما أسامة فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه، فقال أسامة: أهلك ولا نعلم إلّا خيراً، وأما علي فقال: يا رسول الله لم يضيق عليك والنساء سواها كثير وسَلْ الجارية تصدقك الخبر، قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة، فقال: «أيْ بريرة هل رأيت من شيء يريبك»؟ قالت له بريرة: والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمراً قطّ أغمصه غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر من عبد الله بن أُبيّ وهو على المنبر، فقال: يا معشر المسلمين مَن يذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي والله ما علمت على أهلي إلّا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلّا خيراً وما يدخل على أهلي إلا معي، قالت: فقام سعد بن معاذ أخو بني عبد الأشهل، فقال أنا يا رسول الله أعذرك فإن كان من الأوس ضربت عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، قالت: وقام رجل من الخزرج وكانت أُم حسان بنت عمّه من فخذه وهو سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج، قالت عائشة: وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية فقال لسعد كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل، فقام أُسيد بن حضير وهو ابن عمّ لسعد بن عبادة فقال: كذبت لعمر الله لنقتلنّه فإنّك

كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد يعني ابن معاذ فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين فتثاور الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت قالت: وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم فأصبح عندي أبواي وقد بكيت ليلتين ويوماً حتى أظن أن البكاء فالق كبدي قالت فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي إذ استأذنت علي امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي فبينا نحن كذلك إذ دخل رسول الله ﷺ فسلّم ثم جلس ولم يجلس عندي من يوم قيل لي ما قيل قبلها وقد مكث شهراً لا يوحى إليه في شأني بشيء قالت فتشهّد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: أما بعد يا عائشة فإنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإنّ العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه. فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة وقلت لأبي أجب عني رسول الله ﷺ فيما قال: قال والله ما أدري ما أقول لرسول الله فقلت لأمي أجيبي عني رسول الله ﷺ فيما قال قالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ فقلت أنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن إني والله لقد علمت أنكم سمعتم ما تحدث به الناس حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم إني بريئة والله يعلم أني بريئة لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم إني منه بريئة لتصدقني فوالله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف إذ قال «فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون» ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وأنا والله حينئذ أعلم أني بريئة وإن الله مبرئي ببراءتي ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل الله في شأني وحياً يتلى ولشأني في نفسي كان

منافق تجادل عن المنافقين، قالت: فثار الحيّان الأوسُ والخزرج حتى همّوا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر، قالت: فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت، قالت: فبكيت يومي ذلك كله لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، قالت وأصبح أبواي عندي، قالت: وقد بكيت ليلتين ويوماً لا أكتحل بنوم ولا يرقأ لي دمع حتى إني لأظنُّ أن البكاء فالق كبدي فبينا أبواي جالسان عندي، وأنا أبكي فاستأذنت عليّ امرأة من الأنصار فأذنت لها، فجلست تبكي معي، فبينا نحن على ذلك دخل رسول الله ﷺ، فسلّم علينا ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها، وقد لبث شهراً لا يُوحى إليه في شأني بشيء، قالت: فتشهّد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: «أما بعد يا عائشة إنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيُبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف ثم تـاب تاب الله عليه»، قالت: فلما قضـى رسول الله ﷺ مقالته قلّص دمعي حتى ما أحسّ منه قطرة، فقلت لأبي أجب رسول الله ﷺ فيما قال، فقال أبي: والله ما أدري. ما أقول لرسول الله ﷺ فقلت لأمي: أجيبي رسول الله ﷺ، قالت أُمي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيراً إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدّقتم به، فلئن قلت لكم إني بريئة لا تصدقوني، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم إني بريئة لتصدقني، فوالله لا أجد لي ولكم مثلاً إلّا أبا يوسف حين قال: ﴿ فصبرٌ جميل والله المستعان على ما تصفون ﴾ [يوسف: ١٨]، ثم تحوّلت واضطجعت على فراشي والله يعلم إني حينئذ بريئة وإن الله مُبرئي ببراءتي ولكن والله ما كنت أظن أن الله مُنزل في شأني وحياً يُتلى، لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرّئني الله بها، فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه ليتحدّر منه العرق مثل الجمان وهو في يوم شاتٍ من ثقل القول الذي أُنزل عليه، قالت: فسُرِّيَ عن رسول الله ﷺ وهو يضحك فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال: أبشري يا عائشة أما الله فقد

أحقر من أن يتكلم والله في بأمر يتلى ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها قالت: فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل الله على نبيه ﷺ فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي أنزل عليه قال فسري عن رسول الله ﷺ وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال لي: يا عائشة احمدي الله وفي رواية قال أبشري يا عائشة أما الله فقد برأك فقالت لي أمي: قومي إلى رسول الله ﷺ فقلت: لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله هو الذي أنزل براءتي قالت: فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿**إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم**﴾ العشر الآيات فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآيات في براءتي قالت فقال أبو بكر وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة فأنزل الله ﴿**ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة ـ إلى قوله ـ غفور رحيم**﴾ فقال أبو بكر بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح الذي كان يجري عليه وقال والله لا أنزعها منه أبداً قالت عائشة وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش عن أمري فقال يا زينب ما علمت أو ما رأيت؟ فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري والله ما علمت عليها إلا خيراً قالت عائشة وهي التي كانت تساميني من أزواج النبيّ ﷺ فعصمها الله بالورع وطفقت أختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك. قال ابن شهاب: فهذا الذي بلغني من حديث هؤلاء الرهط زاد في رواية قالت عائشة: والله إن الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول سبحان الله فو الذي نفسي بيده ما كشفت من كنف أنثى قط قالت: ثم قتل بعد في سبيل الله شهيداً». هذا حديث متفق على صحته أخرجاه في الصحيحين زاد البخاري في رواية عن عروة: عن عائشة «والذي تولى كبره منهم عبدالله بن أبي ابن سلول وقال عروة أخبرت أنه كان يشاع

برّأك، قالت: فقالت لي أُمي قومي إليه فقلت والله لا أقوم إليه فإني لا أحمد إلاّ الله قالت وأنزل الله تعالى ﴿ **إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم** ﴾ العشر الآيات ثم أنزل الله في براءتي؟ قال أبو بكر الصدّيق وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله: ﴿ ولا يأتل أُولو الفضل منكم والسعة ﴾ إلى قوله: ﴿ غفور رحيم ﴾ [النور: ٢٢]، قال أبو بكر الصدّيق: بل والله إني لأحبّ أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً، قالت عائشة: وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش عن أمري فقال لزينب: ماذا علمت أو رأيت فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت إلاّ خيراً، قالت عائشة، وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله بالورع، قالت: وطفقت أُختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمَن هلك. قال ابن شهاب: فهذا الذي بلغني من حديث هؤلاء الرهط، قالت عائشة: والله إن الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول سبحان الله فوالذي نفسي بيده ما كشفت عن كنف أُنثى قطّ ثم قتل بعد ذلك في سبيل الله. ورواه محمد بن إسماعيل عن يحيىٰ بن بكير أنا الليث عن يونس عن ابن شهاب بإسناد مثله، وقال: وإنْ كنتِ ألممتِ بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه، إلى قوله: فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك. ورواه أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة فقالت: ولقد جاء رسول الله ﷺ بيتي فسأل عني خادمتي، فقالت: لا والله ما علمت عليها عيباً إلاّ أنها كانت ترقد حتى تدخل الشاة فتأكل خميرها أو عجينها، فانتهرها بعض أصحابه، فقال: أصدقي رسول الله حتى أسقطوا المهابة، فقالت: سبحان الله والله ما علمت عليها إلاّ كما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر، وفيه قالت: وأُنزل على رسول الله ﷺ، فرُفعَ عنه وإني لأتبيّن السرور في وجهه وهو يمسح جبينه، ويقول: «أبشري يا عائشة فقد أنزل الله براءتك»، فقال لي أبواي: قومي إليه، فقلت: لا والله لا أقوم إليه ولا أحمده ولا أحمد أحداً ولكن أحمد الله الذي أنزل براءتي، لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيّرتموه.

ويتحدث به عنده فيقرره ويشيعه ويستوشيه قال عروة لم يسم لي من أهل الإفك إلا حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش في ناس آخرين لا علم لي بهم غير أنهم عصبة كما قال الله تعالى. قال عروة كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان وتقول إنه الذي قال:

فـإن أبـي ووالـدتـي وعـرضـي　　　لعـرض محمـد منكـم وقـاء

أخرجاه من حديث مسروق قال: دخلت على عائشة وعندها حسان ينشدها شعراً ببيت من أبياته فقال:

حصـان رزان مـا تـزن بـريبـة　　　وتصبـح غـرثـى مـن لحـوم الغـوافـل

فقالت عائشة: لكنك لست كذلك قال مسروق فقلت لها: تأذنين له أن يدخل عليك وقد قال الله ﴿**والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم**﴾ قالت وأي عذاب أشد من العمى. وقالت: إنه كان ينافح أو يهاجي عن رسول الله ﷺ.

حل غريب ألفاظ هذا الحديث

قوله: وكلهم حدثني طائفة أي قطعة من حديثها، قوله كان أوعى أي أحفظ له، قولها آذن أي أعلم بالرحيل، قولها فإذا عقد لي من جزع أظفار وهو نوع من الخرز وهو الحجر اليماني المعروف، قولها لم يهبلن أي يكثر لحمهن فيثقلن، قولها إنما يأكلن العلقة من الطعام هو بضم العين أي البلغة من الطعام وهو قدر ما يمسك الرمق، قولها وليس بها منهم داع ولا مجيب أي ليس بها أحد لا من يدعو ولا من يرد جواباً، قولها فتيممت أي قصدت قولها قد عرس من وراء الجيش فأدلج، التعريس نزول المسافر في آخر الليل للراحة والإدلاج بالتشديد سير آخر الليل وبالتخفيف سير

أما تفسير قوله: ﴿ **إنّ الذين جاؤوا بالإفك** ﴾ بالكذب وهو أسوأ الكذب سُمّي إفكاً لكونه مصروفاً عن الحق، من قولهم: **أفك الشيء** إذا قلبه عن وجهه، وذلك أن عائشة كانت تستحق الثناء لما كانت عليه من الحصانة والشرف فمَن رماها بالسوء قلب الأمر عن وجهه، ﴿ **عصبة منكم** ﴾ أي جماعة منهم عبد الله بن أُبيّ بن سلول ومِسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش زوجة طلحة بن عبيد الله وغيرهم، ﴿ **لا تحسبوه شرّاً لكم** ﴾، يا عائشة ويا صفوان، وقيل: هو خطاب لعائشة ولأبويها وللنبي ﷺ ولصفوان، يعني: لا تحسبوا الإفك شرّاً لكم، ﴿ **بل هو خير لكم** ﴾، لأن الله يأجركم على ذلك ويُظهِر براءتكم، وسُمّي الإفك إفكاً لكونه مصروفاً عن الحق، من قولهم **أفك الشيء** إذا قلبه عن وجهه، وذلك أن عائشة كانت تستحق الثناء بما كانت عليه من الحصانة والشرف فمَن رماها بالسوء قلب الأمر عن وجهه.

قوله تعالى: ﴿ **لكل امرىء منهم** ﴾، يعني من العصبة الكاذبة ﴿ **ما اكتسبَ من الإثم** ﴾، أي: جزاء ما اجترح من الذنب على قدر ما خاض فيه، ﴿ **والذي تولى كِبْرَهُ** ﴾، أي: تحمّل معظمه فبدأ بالخوض فيه، قرأ يعقوب ﴿ **كبره** ﴾ بضم الكاف، وقرأ العامّة بالكسر، قال الكسائي: هما لغتان. قال الضحاك: قام بإشاعة الحديث، وهو عبد الله بن أُبيّ بن سلول. وروى الزهري عن عروة عن عائشة ﴿ **والذي تولى كبره منهم** ﴾ قالت عبد الله بن أُبيّ بن سلول، والعذاب الأليم هو النار في الآخرة، وقد روى ابن أبي مُليكة عن عروة عن عائشة في حديث الإفك قالت: ثم ركبت وأخذ صفوان بالزمام فمررنا بملأ من المنافقين وكانت عادتهم أن ينزلوا منتبذين من الناس، فقال عبد الله بن أُبيّ رئيسهم: مَنْ هذه؟ قالوا: عائشة قال: والله ما نجت منه وما نجا منها، وقال امرأة نبيّكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقود بها. وشرع في ذلك أيضاً حسان بن ثابت ومسطح وحمنة، فهو الذي تولّى كبره. وقال قوم: هو حسان بن ثابت. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا

الليل كله، قولها باسترجاعه هو قوله «إنا لله وإنا إليه راجعون» قولها فخمرت أي غطيت وجهي بجلبابي أي إزاري، قولها موغرين في نحر الظهيرة الوغرة شدة الحر وكذا نحر الظهيرة أي أولها، قولها والناس يفيضون أي يخوضون ويتحدثون، قولها وهو يريبني يقال رابني الشيء يريبني أي شككت فيه، قولها ولا أرى من النبيّ ﷺ اللطف أي الرفق بها واللطف في الأفعال الرفق وفي الأقوال لين الكلام، قولها حتى نقهت أي أفقت من المرض والمناصع المواضع الخالية تقضي فيها الحاجة من غائط وبول وأصله المكان الواسع الخالي والمرط كساء من صوف أوخز، قولها تعس مسطح أي عثر وهو من الدعاء على الإنسان أي سقط لوجهه، قولها يا هنتاه أي بلهاء كأنها تنسبها إلى البله وقلة المعرفة، قولها لا يرقأ لي دمع أي لا ينقطع وقول بريرة إن رأيت بمعنى النفي أي ما رأيت منها أمراً أغمصه بالصاد المهملة أي أعيب والداجن الشاة التي تألف البيت وتقيم به: قوله ﷺ: من يعذرني أي من يقوم بعذري إن أنا كافأته على سوء صنيعه إن عاتبت أو عاقبت فلا تلوموني على ذلك قولها وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه أي من قبيلته قولها ولكن احتملته الحمية أي حمله الغضب والأنفة والتعصب على الجهل للقرابة، قولها فتثاور الحيان أي ثاروا ونهضوا للقتال والمخاصمة، قولها فلم يزل يخفضهم أي يهون عليهم ويسكن، قوله ﷺ إن كنت ألممت قيل هو من اللمم وهو صغائر الذنوب وقيل معناه مقارفة الذنب من غير فعل، قولها قلص دمعي أي انقطع جريانه، قولها ما رام أي ما برح من مكانه والبرحاء الشدة والكرب والجمانة وجمعها جمان فسرى عنه أي كشف عنه وقول زينب أحمي سمعي وبصري أي أمنعهما أن أخبر بما لم أسمع ولم أبصر، قولها وهي التي كانت تساميني من السمو وهو العلو والغلبة فعصمها الله أي منعها من الوقوع في الشر بالورع وقول الرجل ما كشفت من كنف أي من ستر أنثى قوله ويستوشيه أي يستخرجه بالبحث عنه والاستقصاء فيه وقول حسان في عائشة حصان بفتح الحاء يقال امرأة حصان أي متعففة رزان أي ثابتة ما تزن أي ترمي ولا تتهم بريبة أي بأمر يريب الناس حيية وتصبح غرثى أي جائعة والغرث الجوع

محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا بشر بن خالد أنا محمد بن جعفر عن شعبة عن سليمان عن أبي الضحى عن مسروق قال: دخلت على عائشة وعندها حسان بن ثابت ينشد شعراً يشيب بأبيات له وقال:

حصان رزان ما تزن بريبة وتصبح غرثي من لحوم الغوافل

فقالت له عائشة: لكنك لست كذلك، قال مسروق فقلت لها: لِمَ تأذنين له أن يدخل عليك وقد قال الله تعالى ﴿والذي تولى كبرهُ منهم له عذاب عظيم﴾؟ قلت: وأيّ عذاب أشدّ من العمى، وقالت: إنه كان ينافح أو يهاجي عن رسول الله ﷺ. ويُروَى أن النبي ﷺ أمر بالذين رموا عائشة فجلدوا الحدَّ جميعاً ثمانين ثمانين.

قوله: ﴿ **لولا** ﴾، هلاّ، ﴿ **إذْ سمعتموه ظنّ المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم** ﴾، بإخوانهم، ﴿ **خيراً** ﴾، قال الحسن: بأهل دينهم لأن المؤمنين كنفس واحدة، نظيره قوله تعالى: ﴿ **ولا تقتلوا أنفسكم** ﴾ [النساء: ٢٩]، ﴿ **فسلّموا على أنفسكم** ﴾ [النور: ٦١]. ﴿ **وقالوا هذا إفك مبين** ﴾، أي كذب بيّن.

﴿ **لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء** ﴾، على ما زعموا، ﴿ **فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون** ﴾، فإن قيل: كيف يصيرون عند الله كاذبين إذ لم يأتوا بالشهداء ومَن كذب فهو عند الله كاذب سواء أتى بالشهداء أو لم يأتِ؟ قيل: عند الله أي في حكم الله وقيل: معناه كذّبوهم بأمر الله. وقيل: هذا في حق عائشة ومعناه أولئك هم الكاذبون في غيبي وعلمي.

﴿ **ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدينا والآخرة لمسّكم فيما أفضتم** ﴾، خضتم، ﴿ **فيه** ﴾، من الإفك، ﴿ **عذاب عظيم** ﴾، قال ابن عباس أي: عذاب لا انقطاع له يعني في الآخرة لأنه ذكر عذاب الدنيا من قبل، فقال

من لحوم الغوافل جمع غافلة، والمعنى أنها لا تغتاب أحداً مما هو غافل عن مثل هذا الفعل وقول عائشة في حسان إنه كان ينافح أي يناضل ويخاصم عن الله ورسوله: وأما التفسير فقوله عزّ وجلّ ﴿إن الذين جاؤوا بالإفك﴾ أي بالكذب والإفك أسوأ الكذب لكونه مصروفاً عن الحق وذلك أن عائشة كانت تستحق الثناء والمدح بما كانت عليه من الحصانة والشرف والعقل والعلم والديانة فمن رماها بالسوء فقد قلب الحق بالباطل وجاء بالإفك، عصبة أي جماعة منكم أي عبدالله بن أبي ابن سلول ومسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش زوجة طلحة ابن عبيدالله. فإن قلت عبدالله بن أبي ابن سلول كان رأس المنافقين فكيف قال منكم. قلت كان ينسب إلى الإيمان في الظاهر وقيل قوله منكم خرج مخرج الأغلب فإنّ حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة كانوا من المؤمنين المخلصين ﴿لا تحسبوه شراً لكم﴾ يعني الإفك الخطاب لعائشة وصفوان وقيل لعائشة ولأبويها وللنبيّ ﷺ ولصفوان ﴿بل هو خير لكم﴾ يعني أن الله آجركم على ذلك وأظهر براءتكم وشهد بكذب العصبة وأوجب لهم الذم وهذا غاية الشرف والفضل لكم ﴿لكل امرىء منهم﴾ أي من العصبة الكاذبة ﴿ما اكتسب من الإثم﴾ أي جزاء ما اجترح من الذنب على قدر ما خاض فيه ﴿والذي تولى كبره﴾ يعني تحمل معظمه وبدأ بالخوض فيه وأقام بإشاعته وهو عبدالله بن أبي ابن سلول ﴿منهم﴾ من العصبة ﴿له عذاب عظيم﴾ يعني عذاب النار في الآخرة روي «أنّ النبيّ ﷺ أمر بالذين رموا عائشة فجلدوا جميعاً ثمانين ثمانين». قوله عزّ وجلّ:

لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَـٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ
شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا
وَٱلْـَٔاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ
وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَـٰذَا سُبْحَـٰنَكَ هَـٰذَا بُهْتَـٰنٌ
عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ
وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا
تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا

تعالى: ﴿والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾ [النور: ١١]، وقد أصابهم فإنه قد جُلد وحُدّ، وقد روت عمرة عن عائشة أن النبي ﷺ لمّا نزلت هذه الآية حدّ أربعة نفر: عبد الله بن أُبيّ وحسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت حجش.

قوله تعالى: ﴿ إذْ تلقونه ﴾، تقولونه، ﴿ بألسنتكم ﴾، قال مجاهد ومقاتل: يرويه بعضكم عن بعض. وقال الكلبي: وذلك أن الرجل منهم يلقى الرجل فيقول بلغني كذا وكذا يتلقونه تلقياً، وكذا قرأه أُبيّ بن كعب وقال الزجّاج: يلقيه بعضكم إلى بعض، وقرأت عائشة ﴿تلقونه﴾ بكسر اللام وتخفيف القاف من الولق وهو الكذب، ﴿ وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيّناً ﴾، تظنون أنه سهل لا إثم فيه، ﴿ وهو عند الله عظيم ﴾، في الوزر.

زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾

﴿لولا إذ سمعتموه﴾ يعني الحديث الكذب وهو قول أهل الإفك ﴿ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم﴾ بإخوانهم وأهل دينهم ﴿خيراً﴾ والمعنى كان الواجب على المؤمنين إذ سمعوا قول أهل الإفك أن يكذبوه ويحسنوا الظن ولا يسرعوا في التهمة وقول الزور فيمن عرفوا عفته وطهارته وفيه معاتبة للمؤمنين ﴿وقالوا هذا إفك مبين﴾ يعني كذب بين لا حقيقة له ﴿لولا﴾ يعني هلا ﴿جاؤوا عليه﴾ يعني على ما زعموا ﴿بأربعة شهداء﴾ يعني يشهدون بذلك ﴿فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله﴾ يعني في حكم الله ﴿هم الكاذبون﴾ وهذا من باب الزواجر. فإن قلت كيف يصيرون عند الله كاذبين إذا لم يأتوا بالشهداء ومن كذب فهو عند الله كاذب سواء أتى بالشهداء أو لم يأت. قلت قيل هذا في حق الذين رموا عائشة خاصة ومعناه فأولئك هم الكاذبون في غيبي. وعلمي وقيل معناه فأولئك عند الله في حكم الكاذبين فإن الكاذب يجب زجره عن الكذب والقاذف إذا لم يأت بالشهود يجب زجره. قوله تعالى ﴿لولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم﴾ معناه لولا أني قضيت أن أتفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الإمهال للتوبة وأن أترحم عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم به من حديث الإفك والخطاب للقذفة وهذا الفضل هو تأخير العذاب وقبول التوبة ممن تاب ﴿إذ تلقونه بألسنتكم﴾ أي يرويه بعضكم عن بعض وذلك أن الرجل منهم يلقى الرجل فيقول بلغني كذا وكذا فيتلقونه تلقياً يلقيه بعضهم إلى بعض ﴿وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم﴾ أي من غير أن تعلموا أنه حق ﴿وتحسبونه هيناً﴾ أي وتظنون أنه سهل لا إثم فيه ﴿وهو عند الله عظيم﴾ أي في الوزر ﴿ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك﴾ قيل هو للتعجب وقيل هو للتنزيه ﴿هذا بهتان عظيم﴾ أي كذب عظيم يبهت ويحير من عظمه. روي أن أم أيوب الأنصاري قالت لأبي أيوب الأنصاري: ما بلغك ما يقول الناس في عائشة فقال: سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت الآية على وفق قوله ﴿يعظكم الله﴾ قال ابن عباس يحرم الله عليكم وقيل ينهاكم الله ﴿أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات﴾ أي في الأمر والنهي ﴿والله عليم﴾ أي بأمر عائشة وصفوان ﴿حكيم﴾ أي حكم

﴿ لولا إذْ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك ﴾، هذا اللفظ ههنا بمعنى التعجّب، ﴿ هذا بهتان عظيم ﴾، يعني كذب عظيم يبهت ويتحيّر من عظمته. وفي بعض الأخبار أن أُم أيوب قالت لأبي أيوب الأنصاري: أما بلغك ما يقول الناس في عائشة؟: فقال أبو أيوب: سبحانك هذا بهتان عظيم، فنزلت الآية على وفق قوله:

﴿ يعظكم الله ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يحرّم الله عليكم وقال مجاهد: ينهاكم الله. ﴿ أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين ﴾.

﴿ ويبيّن الله لكم الآيات ﴾، بالأمر والنهي، ﴿ والله عليم ﴾ بأمر عائشة وصفوان بن المعطل، ﴿ حكيم ﴾، حكم ببراءتهما.

قوله تعالى: ﴿ إن الذين يحبّون أن تشيع الفاحشة ﴾، يعني يظهر ويذيع الزنا، ﴿ في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ﴾، يعني عبد الله بن أُبيّ وأصحابه المنافقين، والعذاب في الدنيا الحدّ وفي الآخرة النار، ﴿ والله يعلم ﴾، كذبهم وبراءة عائشة وما خاضوا فيه من سخط الله، ﴿ وأنتم لا تعلمون ﴾.

﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأنّ الله رؤوف رحيم ﴾، جواب ﴿ لولا ﴾ محذوف يعني: لعاجلكم بالعقوبة، قال ابن عباس: يريد مسطحاً وحسان بن ثابت وحمنة.

ببراءتهما. قوله عزّ وجلّ ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة﴾ أي يظهر الزنا ويذيع ﴿في الذين آمنوا﴾ قيل الآية مخصوصة بمن قذف عائشة والمراد بالذين آمنوا جميع المؤمنين ﴿لهم عذاب أليم في الدنيا﴾ يعني الحد والذم على فعله ﴿والآخرة﴾ أي وفي الآخرة لهم النار ﴿والله يعلم﴾ أي كذبهم وبراءة عائشة وما خاضوا فيه من سخط الله ﴿وأنتم لا تعلمون﴾ وقيل معناه يعلم ما في قلب من يحب أن تشيع الفاحشة فيجازيه على ذلك وأنتم لا تعلمون ذلك ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ يعني لولا إنعامه عليكم لعاجلكم بالعقوبة قال ابن عباس يريد مسطحاً وحسان بن ثابت وحمنة ﴿وأن الله رؤوف رحيم﴾. قوله تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ يعني آثاره ومسالكه ﴿ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر﴾ يعني بالقبائح من الأقوال والأفعال وكل ما يكره الله عزّ وجلّ والآية عامة في حق كل أحد لأن كل مكلف ممنوع من ذلك ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً﴾ يعني ما طهر ولا صلح والآية عند بعض المفسرين على العموم قالوا أخبر الله تعالى أنه لولا فضله ورحمته بالعصمة ما صلح منكم أحد وقيل الخطاب للذين خاضوا في الإفك ومعناه ما طهر من هذا الذنب ولا صلح أمره بعد الذي فعل. وهذا قول ابن عباس قال معناه ما قبل توبة أحد منكم أبداً ﴿ولكن الله يزكي﴾ يعني يطهر ﴿من يشاء﴾ من الذنب بالرحمة والمغفرة ﴿والله سميع﴾ يعني لأقوالكم ﴿عليم﴾ يعني بما في قلوبكم قوله:

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾

﴿ولا يأتل﴾ يعني ولا يحلف من الألية وهي القسم ﴿أولوا الفضل منكم والسعة﴾ يعني الغنى يعني أبا بكر الصديق ﴿أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله﴾ يعني مسطحاً وكان مسكيناً مهاجراً بدرياً ابن خالة أبي بكر الصديق حلف أبو بكر أن لا ينفق عليه فأنزل الله هذه الآية ﴿وليعفوا وليصفحوا﴾ يعني عن خوض مسطح

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خُطوات الشيطان ومَن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء﴾، يعني بالقبائح من الأفعال، ﴿والمنكر﴾، كل ما يكرهه الله، ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى﴾، قال مقاتل: ما صلح. وقال ابن قتيبة: ما طهر، ﴿منكم من أحد﴾، والآية على العموم عند بعض المفسرين، قالوا: أخبر الله أنه لولا فضله ورحمته بالعصمة ما صلح منكم أحد. وقال قوم: هذا الخطاب للذين خاضوا في الإفك، ومعناه: ما طهر من هذا الذنب ولا صلح أمره بعد الذي فعل، وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء، قال: ما قبل توبة أحد منكم، ﴿أبداً ولكن الله يزكّي﴾، يُطَهِّرُ، ﴿مَن يشاء﴾، من الذنب بالرحمة والمغفرة، ﴿والله سميع عليم﴾.

قوله تعالى: ﴿ولا يأتل﴾، يعني ولا يحلف، وهو يفعل من الألية وهي القسم، وقرأ أبو جعفر يتألَّ بتقديم التاء وتأخير الهمزة، وهو يتفعّل من الألية وهي القسم. ﴿أولوا الفضل منكم والسَّعة﴾، يعني أُولوا الغنى والسعة يعني أبا بكر الصديق ﴿أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله﴾، يعني مسطحاً وكان مسكيناً مهاجراً

في أمر عائشة ﴿ألا تحبون﴾ يخاطب أبا بكر ﴿أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾ فلما قرأها رسول الله ﷺ على أبي بكر قال بل أنا أحب أن يغفر الله لي ورجع إلى مسطح بنفقته التي كان ينفق عليه وقال والله لا أنزعها عنه أبداً. وفي الآية أدلة على فضل أبي بكر الصديق لأن الفضل المذكور في الآية ذكره تعالى في معرض المدح وذكره بلفظ الجمع في قوله أولوا الفضل وقوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم وهذا يدل على علو شأنه ومرتبته منها أنه احتمل الأذى من ذوي القربى ورجع عليه بما كان ينفقه عليه وهذا من أشد الجهاد لأنه جهاد النفس. ومنها أنه تعالى قال في حق رسول الله ﷺ «فاعف عنهم واصفح» وقال في حق أبي بكر: «وليعفوا وليصفحوا» فدل أن أبا بكر كان ثاني اثنين لرسول الله ﷺ في جميع الأخلاق. وفي الآية دليل على أن من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليأت الذي هو خير ويكفّر عن يمينه ومنه الحديث الصحيح «من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه». قوله تعالى:

﴿إن الذين يرمون المحصنات﴾ يعني العفائف ﴿الغافلات﴾ يعني عن الفواحش والغافلة، عن الفاحشة هي التي لا يقع في قلبها فعل الفاحشة وكذلك كانت عائشة رضي الله عنها ﴿المؤمنات﴾ وصفها بالمؤمنات لعلو شأنها ﴿لعنوا﴾ يعني عذبوا ﴿في الدنيا﴾ بالحد ﴿والآخرة﴾ يعني وفي الآخرة بالنار ﴿ولهم عذاب عظيم﴾ وهذا في حق عبدالله بن أبي ابن سلول المنافق، وروي عن حصيف قال قلت لسعيد بن جبير من قذف مؤمنة يلعنه الله في الدنيا والآخرة قال ذاك لعائشة وأزواج النبيّ ﷺ خاصة دون سائر المؤمنات ليس في ذلك توبة ومن قذف امرأة مؤمنة فقد جعل الله له توبة ثم قرأ «والذين يرمون المحصنات» إلى قوله تابوا فجعل لهؤلاء توبة ولم يجعل لأولئك توبة وقيل بل لهم توبة أيضاً للآية ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم﴾ هذا قبل أن يختم على أفواههم ﴿وأيديهم وأرجلهم﴾ يروي أنه يختم

بدرياً ابن خالة أبي بكر حلف أبو بكر أن لا ينفق عليه، ﴿ وليعفوا وليصفحوا ﴾، عنهم خوضهم في أمر عائشة، ﴿ ألا تحبّون ﴾، يخاطب أبا بكر، ﴿ أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴾، فلما قرأها النبي ﷺ على أبي بكر قال: بلى أنا أحبّ أن يغفر الله لي ورجع إلى مِسطح نفقته التي كان ينفقها عليه، وقال والله لا أنزعها منه أبداً. وقال ابن عباس والضحاك: أقسم ناس من الصحابة فيهم أبو بكر أن لا يتصدقون على رجل تكلم بشيء من الإفك ولا ينفعوهم، فأنزل الله هذه الآية.

﴿ إنّ الذين يرمون المحصنات ﴾، العفائف، ﴿ الغافلات ﴾، عن الفواحش، ﴿ المؤمنات ﴾، والغافلة عن الفاحشة التي لا يقع في قلبها فعل الفاحشة وكانت عائشة كذلك، قوله تعالى: ﴿ لُعنوا ﴾، عذّبوا، ﴿ في الدنيا ﴾، بالحدّ، ﴿ والآخرة ﴾، بالنار، ﴿ ولهم عذاب عظيم ﴾، قال مقاتل: هذا خاصّ في عبد الله بن أبي المنافق. ورُوِيَ عن خصيف قال: قلت لسعيد بن جبير: مَن قذف مؤمنة يلعنه الله في الدنيا والآخرة، فقال ذلك لعائشة خاصة. وقال قوم: هي لعائشة وأزواج النبي ﷺ خاصة دون سائر المؤمنات. رُوِيَ عن العوّام بن حوشب عن شيخ من بني كاهل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هذه في شأن عائشة وأزواج النبي ﷺ خاصة ليس فيها توبة. ومَن قذف امرأة مؤمنة فقد جعل الله له توبة ثم قرأ: ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء ﴾ إلى قوله: ﴿ إلاّ الذين تابوا ﴾ [النور: ٤ و٥] فجعل لهؤلاء توبة، ولم يجعل لأولئك توبة. وقال الآخرون: نزلت هذه الآية في أزواج النبي ﷺ وكان ذلك كذلك حتى نزلت الآية التي في أول السورة ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء ﴾ [النور: ٤ و٥] إلى قوله: ﴿ فإن الله غفور رحيم ﴾ فأنزل الجلد والتوبة.

﴿ يوم تشهد عليهم ﴾، قرأ حمزة والكسائي بالياء لتقديم الفعل وقرأ الآخرون بالتاء، ﴿ ألسنتهم ﴾، وهذا

على الأفواه فتتكلم الأيدي والأرجل بما عملت في الدنيا وهو قوله ﴿بما كانوا يعملون يومئذٍ يوفيهم الله دينهم الحق﴾ يعني جزاءهم الواجب وقيل حسابهم العدل ﴿ويعلمون أن الله هو الحق المبين﴾ يعني الموجود الظاهر الذي بقدرته وجود كل شيء وقيل معناه يبين لهم حقيقة ما كان يعدهم في الدنيا وقال ابن عباس وذلك أن عبدالله بن أبي ابن سلول كان يشك في الدين فيعلم يوم القيامة أن الله هو الحق المبين. قوله عزّ وجلّ ﴿الخبيثات للخبيثين﴾ قال أكثر المفسرين معنى الخبيثات الكلمات والقول للخبيثين من الناس ومثله ﴿والخبيثون﴾ أي من الناس ﴿للخبيثات﴾ من القول ﴿والطيبات﴾ أي من القول ومعنى الآية أن الخبيث من القول لا يليق إلا بالخبيث من الناس. والطيب من القول لا يليق إلا بالطيب من الناس وعائشة لا يليق بها. الخبيث من القول لأنها طيبة فيضاف إليها طيب القول من الثناء والمدح وما يليق بها وقيل معناه لا يتكلم بالخبيث إلا الخبيث من الرجال والنساء وهذا ذم للذين قذفوا عائشة ولا يتكلم بالطيب من القول إلا الطيب من الرجال والنساء. وهذا مدح للذين يرونها بالطاهر والمدح لها وقيل معنى الآية الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء أمثال عبدالله بن أبي المنافق والشاكين في الدين والطيبات من النساء ﴿للطيبين والطيبون للطيبات﴾ يريد عائشة طيبها الله لرسوله ﷺ ﴿أولئك مبرؤون﴾ يعني عائشة وصفوان ذكرهما الله بلفظ الجمع منزهون ﴿مما يقولون﴾ يعني أصحاب الإفك ﴿لهم مغفرة﴾ أي عفو لذنوبهم ﴿ورزق كريم﴾ يعني الجنة روي أنّ عائشة كانت تفتخر بأشياء أعطيتها لم تعطها امرأة غيرها منها أن جبريل عليه السلام أتى بصورتها في سرقة حرير وقال هذه: زوجتك.

وروي أنه أتى بصورتها في راحته. ومنها أن النبيّ ﷺ لم يتزوج بكراً غيرها وقبض رسول الله ﷺ في حجرها

قبل أن يختم على أفواههم، ﴿ وأيديهم وأرجلهم ﴾، يُروَى أنه يختم على الأفواه فتتكلم الأيدي والأرجل بما عملت في الدنيا. وقيل: معناه تشهد ألسنة بعضهم على بعض وأيديهم وأرجلهم، ﴿ بما كانوا يعلمون ﴾.

﴿ يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ﴾، جزاءهم الواجب. وقيل: حسابهم العدل. ﴿ ويعلمون أن الله هو الحق المبين ﴾، يبيّن لهم حقيقة ما كان يعدهم في الدينا. قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: وذلك أن عبد الله بن أُبيّ كان يشكّ في الدين فيعلم يوم القيامة إن الله هو الحق المبين.

قوله سبحانه وتعالى: ﴿ الخبيثات للخبيثين ﴾. قال أكثر المفسّرين: الخبيثات من القول والكلام للخبيثين من الناس. ﴿ والخبيثون ﴾، من الناس، ﴿ للخبيثات ﴾، من القول، ﴿ والطيبات ﴾، من القول: ﴿ للطّيبين ﴾، من الناس، ﴿والطيبون﴾، من الناس. ﴿ للطيبات ﴾، من القول، والمعنى: أن الخبيث من القول لا يليق إلّا بالخبيث من الناس والطيب لا يليق إلّا بالطيب، فعائشة لا تليق بها الخبيثات من القول لأنها طيبة فتضاف إليها طيبات الكلام من المدح والثناء الحسن وما يليق بها. قال الزجّاج: معناه لا يتكلم بالخبيثات إلا الخبيث من الرجال والنساء ولا يتكلم بالطيبات إلّا الطيب من الرجال والنساء، وهذا ذمّ للذين قذفوا عائشة، ومدح للذين برّؤوها بالطهارة. وقال ابن زيد: معناه الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء أمثال عبد الله بن أُبيّ والشاكّين في الدين، والطيبات من النساء للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء. يريد عائشة طيّبها الله لرسوله الطيب ﷺ. ﴿ أولئك مبرءون ﴾، يعني: عائشة وصفوان ذكرهما بلفظ الجمع كقوله تعالى: ﴿ فإن كان له إخوة ﴾ [النساء: ١١] أي إخوان. وقيل: أولئك مبرؤون يعني الطيبين والطيبات منزّهون، ﴿ مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم ﴾، فالمغفرة هي العفو عن الذنوب والرزق الكريم الجنة. ورُوِيَ أن عائشة كانت تفتخر بأشياء أُعطيتها لم تُعطَها امرأة غيرها، منها أن جبريل أتى بصورتها في سرقة من حرير، وقال هذه

وفي يومها ودفن في بيتها وكان ينزل عليه الوحي وهي معه في اللحاف ونزلت براءتها من السماء وأنها ابنة الصديق وخليفة رسول الله ﷺ وخلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقاً كريماً. وكان مسروق إذا حدث عن عائشة يقول حدثتني الصديقة بنت الصدّيق حبيبة رسول الله ﷺ المبرأة من السماء. قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا﴾ أي تستأذنوا وكان ابن عباس يقرأ حتى تستأذنوا ويقول تستأنسوا خطأ من الكاتب وفي هذه الرواية نظر لأن القرآن ثبت بالتواتر والاستئناس في اللغة الاستئذان. وقيل الاستئناس طلب الإنس وهو أن ينظر هل في البيت إنسان فيؤذنه إني داخل وقيل هو من آنست أي أبصرت وقيل هو أن يتكلم بتسبيحة أو يتنحنح حتى يعرف أهل البيت ﴿وتسلموا على أهلها﴾ بيان حكم الآية أنه لا يدخل بيت الغير إلا بعد الاستئذان والسلام. واختلفوا في أيهما يقدم فقيل يقدم الاستئذان فيقول أدخل سلام عليكم كما في الآية من تقديم الاستئذان قبل السلام. وقال الأكثرون يقدم السلام فيقول سلام عليكم أأدخل وتقدير الآية حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا وكذا هو في مصحف ابن مسعود وروي عن كند بن حنبل قال: «دخلت على النبيّ ﷺ: ولم أسلّم ولم أستأذن فقال النبيّ ﷺ ارجع فقل السلام عليكم أأدخل» أخرجه أبو داود والترمذي وعن ربعي بن حراش قال «جاء رجل من بني عامر فاستأذن على رسول الله ﷺ وهو في البيت فقال ألج فقال رسول الله ﷺ لخادمه اخرج إلى هذا

زوجتك. ورُوِيَ أنه أتى بصورتها في راحته وأن النبي ﷺ لم يتزوج بكراً غيرها، وقبض رسول الله ﷺ ورأسه في حجرها، ودفن في بيتها، وكان ينزل عليه الوحي وهو معها في لحافه، ونزلت براءتها من السماء، وأنها ابنة خليفة رسول الله ﷺ وصديقه، وخلقت طيبة، ووُعدت مغفرة ورزقاً كريماً، وكان مسروق إذا روى عن عائشة قال حدّثتني الصدِّيقة بنت الصدّيق حبيبة رسول الله ﷺ المبرّأة من السماء.

قوله: ﴿ يا أيّها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلّموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ﴾، قيل: معنى قوله: ﴿ حتى تستأنسوا ﴾ أي: حتى تستأذنوا وكان ابن عباس يقرأ حتى تستأذنوا ويقول: تستأنسوا خطأ من الكاتب. وكذلك كان يقرأ أُبيّ بن كعب، والقراءة المعروفة تستأنسوا وهو بمعنى الاستئذان. وقيل: الاستئناس طلب الأنس وهو أن ينظر هل في البيت ناس فيؤذنهم إني داخل. وقال الخليل: الاستئناس الاستبصار من قوله: آنست ناراً أي: أبصرتها. وقيل: هو أن يتكلم بتسبيحة أو تكبيرة أويتنحنح ،يؤذن أهل البيت. وجملة حكم الآية أنه لا يدخل بيت الغير إلّا بعد السلام والاستئذان. واختلفوا في أنه يقدّم الاستئذان أم السلام؟ فقال قوم: يقدّم الاستئذان فيقول: أأدخل سلام عليكم، لقوله تعالى: ﴿ حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ﴾ والأكثرون على أنه يقدّم السلام فيقول: سلام عليكم أأدخل وفي الآية تقديم وتأخير، تقديرها: حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا. وكذلك هو في مصحف عبد الله بن مسعود. ورُوِيَ عن كند بن حنبل قال: دخلت على النبي ﷺ ولم أُسلّم ولم أستأذن، فقال النبي ﷺ: «ارجع فقل: السلام عليكم أأدخل» ورُوِيَ عن ابن عمر أن

فعلمه الاستئذان فقل له قل السلام عليكم أأدخل فسمع الرجل ذلك من رسول الله ﷺ فقال السلام عليكم أأدخل فأذن له رسول الله ﷺ». أخرجه أبو داود (ق) عن أبي سعيد وأبيّ بن كعب عن أبي موسى قال أبو سعيد: «كنت في مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور فقال: استأذنت على عمر ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت قال ما منعك قلت استأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت وقد قال رسول الله ﷺ إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع قال والله لتقيمن عليه بينة أمنكم أحد سمعه من النبيّ ﷺ قال أبي بن كعب فوالله لا يقوم معك إلا أصغر القوم فكنت أصغر القوم فقمت معه فأخبرت عمر أنّ النبيّ ﷺ قال ذلك.

قال الحسن الأول إعلام والثاني مؤآمرة والثالث استئذان بالرجوع عن عبدالله بن بسر قال «كان رسول الله ﷺ إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ويقول السلام عليكم السلام عليكم» وذلك أن الدور لم يكن عليها يومئذٍ ستور أخرجه أبو داود وعن أبي هريرة قال: «قال رسول الله ﷺإذا دعي أحدكم فجاء مع الرسول فإن ذلك له إذن» أخرجه أبو داود وقيل إذا وقع بصره على إنسان قدم السلام وإلاّ قدم الاستئذان ثم يسلم. وقال أبو موسى الأشعري وحذيفة يستأذن على ذوات المحارم يدل عليه ما روي «عن عطاء بن يسار أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال: أستأذن على أمي؟ قال نعم فقال الرجل إني معها في البيت فقال رسول الله ﷺ. استأذن عليها فقال الرجل إني خادمها فقال رسول الله ﷺ استأذن عليها أتحب أن تراها عريانة قال لا قال فاستأذن عليها» أخرجه مالك في الموطأ مرسلاً وقوله تعالى ﴿ذلكم خير لكم﴾ أي فعل الاستئذان خير لكم وأولى بكم من التهجم بغير إذن ﴿لعلكم تذكرون﴾ أي هذه الآداب فتعملوا بها. قوله عزّ وجلّ ﴿فإن لم تجدوا فيها﴾ أي البيوت ﴿أحداً﴾ أي

رجلاً استأذن عليه فقال: أأدخل؟ فقال ابن عمر: لا، فأمر بعضهم الرجل أن يسلّم فأذن له. وقال بعضهم: إن وقع بصره على إنسان قدم السلام، وإلاّ قدم الاستئذان، ثم سلّم، وقال أبو موسى الأشعري وحذيفة: يستأذن على ذوات المحارم، ومثله عن الحسن، فإن كانوا في دار واحدة يتنحنح ويتحـرّك أدنى حركة، أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسن علي بن محمد عبد الله بن بشران أنا إسماعيل بن محمد الصفّار أنا أحمد بن منصور الرمادي أنا عبد الرزّاق أنا معمر عن سعيدالجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال: سلم عبد الله بن قيس على عمر بن الخطاب ثلاث مرات فلم يأذن له فرجع فأرسل عمر في أثره فقال: لِمَ رجعت؟ قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا سلّم أحدكم ثلاثاً فلم يجب فليرجع». قال عمر: لتأتينّ على ما تقول بيّنة وإلّا لأفعلنّ بك كذا وكذا غير أنه قد أوعده، قال: فجاء أبو موسى الأشعري ممتقعاً لونـه وأنا في حلقـة جالس، فقلنـا: ما شأنـك؟ فقال: سلّمت على عمـر، فأخبـرنا خبره، فهل سمـع أحد منكم من رسـول الله ﷺ: قالـوا: نعم كلّنا قـد سمعه، قال: فأرسلوا معه رجلاً منهم حتى أتى عمر فأخبره بذلك. ورواه بشر بن سعيد عن أبي سعيد الخدري، وفيه: قال أبو موسى الأشعري: قال رسول الله ﷺ: «إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يُؤذن له فليرجعْ»، قال الحسن: الأول إعلام والثاني مؤامرة، والثالث استئذان بالرجوع.

قوله: ﴿ فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها ﴾، أي إن لم تجدوا في البيوت أحداً يأذن لكم في دخولها فلا تدخلوها، ﴿ حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا ﴾، يعني إذا كان في البيت قوم فقالوا ارجع فليرجع ولا يقعد على الباب ملازماً، ﴿ هو أزكى لكم ﴾، يعني الرجوع أطهر وأصلح لكم، قال قتادة: إذا لم يؤذن له فلا يقعد على الباب فإن للناس حاجات، وإذا حضر ولم يستأذن وقعد على الباب منتظراً جاز. وكان ابن عباس يأتي باب الأنصار لطلب الحديث فيقعد على الباب حتى يخرج ولا يستأذن، فيخرج الرجل ويقول: يا ابن عمّ رسول الله لو أخبرتني، فيقول: هكذا أمرنا أن نطلب العلم. وإذا وقف فلا ينظر من شقّ الباب إذا كان الباب مردود، أخبرنا

يأذن لكم في دخولها ﴿فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم﴾ أي في الدخول ﴿وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا﴾ يعني إذا كان في البيت قوم وكرهوا دخول الداخل عليهم فقالوا ارجع فليرجع ولا يقف على الباب ملازماً ﴿هو أزكى لكم﴾ أي الرجوع هو أطهر وأصلح لكم فإنّ للناس أحوالاً وحاجات يكرهون الدخول عليهم في تلك الأحوال وإذا حضر إلى الباب فلم يستأذن وقعد على الباب منتظراً جاز. كان ابن عباس يأتي دور الأنصار لطلب الحديث فيقعد على الباب ولا يستأذن حتى يخرج إليه الرجل فإذا خرج ورآه قال يا ابن عم رسول الله لو أخبرتني بمكانك فيقول هكذا أمرنا أن نطلب العلم. وإذا وقف على الباب فلا ينظر من شقه إذا كان الباب مردوداً (ق) «عن سهل بن سعد قال «اطلع رجل من جحر في باب النبيّ ﷺ ومع رسول الله ﷺ مدري يرجل وفي رواية يحك به رأسه فقال رسول الله ﷺ لو علمت أنك تنظر لطعنت به في عينك إنما جعل الإذن من أجل البصر»(ق) عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ «من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم فقد حل لهم أن يفقؤوا عينه» وفي رواية النسائي قال «لو أن امرأً أطلع عليك بغير إذن فحذفته ففقأت عينه ما كان عليك حرج» وقال مرة أخرى جناح ﴿والله بما تعملون عليم﴾ يعني من الدخول بالإذن ولما نزلت آية الاستئذان قالوا كيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام على ظهر الطريق ليس فيها ساكن فأنزل الله تعالى ﴿ليس عليكم جناح﴾ يعني إثم ﴿ أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة﴾ يعني بغير استئذان ﴿فيها متاع لكم﴾ يعني منفعة لكم قيل إن هذه البيوت هي الخانات والمنازل المبنية للسابلة ليأووا إليها ويؤوا أمتعتهم فيها فيجوز دخولها بغير استئذان ولمنفعة النزول بها واتقاء الحر والبرد وإيواء الأمتعة بها.

وقيل بيوت التجار وحوانيتهم في الأسواق يدخلها للبيع والشراء وهو منفعتها فليس فيها استئذان. وقيل هي جميع البيوت التي لا ساكن فيها لأن الاستئذان إنما جعل لئلا يطلع على عورة فإن لم يخف ذلك جاز له الدخول بغير استئذان ﴿والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾ قوله تعالى ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ يعني عما لا يحل النظر إليه قيل معناه يغضوا أبصارهم. وقيل من هنا للتبعيض لأنه لا يجب الغض عما يحل إليه النظر وإنما أمروا أن يغضوا عما لا يحل النظر إليه(م) عن جرير قال سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجأة قال: « اصرف بصرك» عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الثانية» أخرجه أبو داود والترمذي (م) عن أبي سعيد الخدري أنّ رسول الله ﷺ قال: لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد ولا تفضي المرأة إلى المرأة في ثوب واحد» وقوله تعالى ﴿ويحفظوا فروجهم﴾ يعني عما لا يحل. قال أبو العالية كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا إلا في هذا الموضع فإن

أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسين بن بشران أنا إسماعيل بن محمد الصفّار أنا أحمد بن منصور أنا عبد الرزّاق أنا معمر عن الزهري عن سهل بن سعد الساعدي أن رجلاً اطّلع على النبي ﷺ من ستر الحجرة في يد النبي ﷺ مدرى، فقال: «لو علمت أن هذا ينظرني حتى آتيه لطعنت بالمدرى في عينيه، وهلْ جُعل الاستئذان إلّا من أجل البصر». أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصمّ أنا الربيع أنا الشافعي أنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لو أن امرءاً اطّلَعَ عليك بغير إذن فحذفته بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك جناح». قوله تعالى: ﴿ والله بما تعملون عليم ﴾، من الدخول بالإذن وغير الإذن، ولمّا نزلت آية الاستئذان قالوا: كيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام وعلى ظهر الطريق، ليس فيها ساكن؟

فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة ﴾ أي: بغير استئذان، ﴿ فيها متاع لكم ﴾، يعني منفعة لكم واختلفوا في هذه البيوت، فقال قتادة: هي الحانات والبيوت والمنازل المبنيّة للسابلة

أراد به الاستتار حتى لا يقع بصر الغير عليه. فإن قلت كيف أدخل من على غض البصر دون حفظ الفرج. قلت فيه دلالة على أن أمر النظر أوسع ألا ترى أن المحارم لا بأس بالنظر إلى شعورهن وثديهن وأعضادهن وأقدامهن وكذلك الجواري المستعرضات في البيع والأجنبية يجوز النظر إلى وجهها وكفيها للحاجة إلى ذلك وأما أمر الفروج فمضيق وكفاك أن أبيح النظر إلاّ ما استثنى منه وحظر الجماع إلا ما استثنى منه. فإن قلت كيف قدم غض البصر على حفظ الفرج. قلت لأن النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه أشد ولا يكاد أحد يقدر على الاحتراس منه ﴿ذلك أزكى لهم﴾ يعني غض البصر وحفظ الفرج ﴿إنّ الله خبير بما يصنعون﴾ يعني أنه خبير بأحوالهم وأفعالهم وكيف يجيلون أبصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم قوله عزّ وجلّ:

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٣١)

﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن﴾ يعني عما لا يحل لهن. روي عن أم سلمة قالت: كنت عند رسول الله ﷺ وعنده ميمونة بنت الحارث إذ أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعد ما أمرنا بالحجاب فقال رسول الله ﷺ: «احتجبا منه فقلنا: يا رسول الله أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا فقال رسول الله ﷺ أفعمياوان أنتما

ليأووا إليها ويؤووا أمتعتهم إليها فيجوز دخولها بغير استئذان والمنفعة فيها بالنزول وإيواء المتاع والاتّقاء من الحرّ والبرد. وقال ابن زيد: هي بيوت التجّار وحوانيتهم التي بالأسواق يدخلونها للبيع والشراء وهو المنفعة. وقال إبراهيم النخعي: ليس على حوانيت السوق إذن، وكان ابن سيرين إذا جاء إلى حانوت السوق يقول السلام عليكم أأدخل ثم يلج. وقال عطاء: هي البيوت الخربة، والمتاع هو قضاء الحاجة فيها من البول والغائط. وقيل: هي جميع البيوت التي لا ساكن لها لأن الاستئذان إنما جاء لئلا يطّلع على عورة فإن لم يخف ذلك فله الدخول بغير استئذان، ﴿والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾.

قوله تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضّوا من أبصارهم﴾، أي: عن النظر إلى ما يحلّ النظر إليه. وقيل: ﴿من﴾ صلة يعني يغضّوا أبصارهم. وقيل: هو ثابت لأن المؤمنين غير مأمورين بغضّ البصر أصلاً لأنه لا يجب الغضّ عمّا يحلّ النظر إليه، وإنما أمروا بأن يغضّوا عمّا لا يحلّ النظر إليه، ﴿ويحفظوا فروجهم﴾، عمّا لا يحلّ، قال أبو العالية: كلّ ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا والحرام، إلاّ في هذا الموضع فإنه أراد به الاستتار حتى لا يقع بصر الغير عليه، ﴿ذلك﴾ يعني غضّ البصر وحفظ الفرج، ﴿أزكى لهم﴾، يعني خير لهم وأطهر، ﴿إن الله خبير بما يصنعون﴾، يعني عليم بما يفعلون، رُوِيَ عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ: «يا عليّ لا تُتبعِ النظرةَ النظرة فإنّ لك الأولى وليست لك الآخرة». ورُوِيَ عن جرير بن عبد الله قال: سألت النبي ﷺ عن نظرة الفجأة فقال: «اصرف بصرك». أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد حدّثنا محمد بن عيسى الجلودي حدّثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان حدّثنا مسلم بن الحجّاج أنا أبو بكر بن أبي شيبة أنا زيد بن الحباب عن الضحاك بن عثمان قال أخبرني زيد بن أسلم عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه أن رسول الله ﷺ

ألستما تبصرانه» أخرجه الترمذي وأبو داود. قوله تعالى ﴿ولا يبدين﴾ يعني لا يظهرن ﴿زينتهن﴾ يعني لغير المحرم وأراد بالزينة الخفية مثل الخلخال والخضاب في الرجل والسوار في المعصم والقرط في الأذن والقلائد في العنق فلا يجوز للمرأة إظهارها ولا يجوز للأجنبي النظر إليها والمراد من الزينة النظر إلى مواضعها من البدن ﴿إلا ما ظهر منها﴾ يعني من الزينة قال سعيد بن جبير والضحاك والأوزاعي الوجه والكفان. وقال ابن مسعود هي الثياب. وقال ابن عباس هي الكحل والخاتم والخضاب في الكف فما كان من الزينة الظاهرة يجوز للرجل الأجنبي النظر إليه للضرورة مثل تحمل الشهادة ونحوه من الضرورات إذا لم يخف فتنة وشهوة فإن خاف شيئاً من ذلك غض البصر وإنما رخص في هذا القدر للمرأة أن تبديه من بدنها لأنه ليس بعورة وتؤمر بكشفه في الصلاة وسائر بدنها عورة ﴿وليضربن بخمرهن﴾ يعني ليلقين بمقانعهن ﴿على جيوبهن﴾ يعني موضع الجيب وهو النحر والصدر يعني ليسترن بذلك شعورهن وأعناقهن وأقراطهن وصدورهن (خ) عن عائشة قالت: «يرحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله «وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن مروطهن فاختمرن بها» المرط كساء من صوف أو خز أو كتان وقيل هو الإزار وقيل هو الدرع ﴿ولا يبدين زينتهن﴾ يعني الخفية التي لم يبح لهن كشفها في الصلاة ولا للأجانب وهي ما عدا الوجه والكفين ﴿إلا لبعولتهن﴾ قال ابن عباس لا يضعن الجلباب والخمار إلا لأزواجهن أو آبائهن ﴿أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن﴾ فيجوز لهؤلاء أن ينظروا إلى الزينة الباطنية ولا ينظرون إلى ما بين السرة والركبة. ويجوز للزوج أن ينظر إلى جميع بدن زوجته غير أنه يكره له النظر إلى فرجها ﴿أو

قال: «لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة، ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد، ولا تفضي المرأة إلى المرأة في ثوب واحد».

قوله عزّ وجلّ: ﴿ وقلْ للمؤمنات يغضضنَ من أبصارهنّ ﴾، عمّا لا يحلّ، ﴿ ويحفظنَ فروجهنّ ﴾، عمّن لا يحلّ. وقيل أيضاً يحفظن فروجهنّ يعني يسترنها حتى لا يراها أحد. ورُوِيَ عن أُم سلمة أنها كانت عند رسول الله ﷺ وميمونة إذا أقبل ابن أُم مكتوم فدخل عليه، وذلك بعدما أُمرنا بالحجاب، فقال رسول الله ﷺ: «احتجبا منه»، فقلت: يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «أفعمياً وإن أنتما ألستما تبصرانه»؟ قوله تعالى: ﴿ ولا يُبدين زينتهنّ ﴾، يعني لا يظهرن زينتهنّ لغير محرم، وأراد بها الزينة الخفيّة وهما زينتان خفيّة وظاهرة، فالخفية مثل الخلخال والخضاب في الرجل والسِوار في المِعصَم والقرط والقلائد، فلا يجوز لها إظهارها، ولا للأجنبي النظر إليها، والمراد من الزينة موضع الزينة. قوله تعالى: ﴿ إلاّ ما ظهر منها ﴾، أراد به الزينة الظاهرة، واختلف أهل العلم في هذه الزينة الظاهرة التي استثناها الله تعالى، قال سعيد بن جبير والضحاك والأوزاعي: هو الوجه والكفّان. وقال ابن مسعود: هي الثياب بدليل قوله تعالى: ﴿ خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾ [الأعراف: ٣١]، وأراد بها الثياب وقال الحسن: الوجه والثياب. وقال ابن عباس: الكحل والخاتم والخضاب في الكفّ، فما كان من الزينة الظاهرة جاز للرجل الأجنبي النظر إليه إذا لم يخف فتنة وشهوة، فإن خاف شيئاً منها غضّ البصر وإنما رُخّص في هذا القدر أن تُبديه المرأة من بدنها لأنه ليس بعورة وتؤمر بكشفه في الصلاة، وسائر بدنها عورة يلزمها ستره. قوله عزّ وجلّ: ﴿ وليضربن بخمرهنّ ﴾، يعني: ليلقين بمقانعهنّ، ﴿ على جيوبهنّ ﴾، وصدورهنّ ليسترن بذلك شعورهنّ وصدورهنّ وأعناقهنّ وأقراطهنّ. قالت عائشة: رحم الله نساء المهاجرات الأُوَل لما أنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ وليضربنَ بخمرهنّ علَى جيوبهنّ ﴾ شققن مروطهنّ فاختمرن بها. ﴿ ولا يُبدين زينتهنّ ﴾ يعني: الزينة الخفيّة التي لم يبح لهنّ كشفها في الصلاة ولا للأجانب وهو ما عدا الوجه والكفّين ﴿ إلا لبعولتهنّ ﴾، قال ابن عباس ومقاتل: يعني لا يضعن الجلباب ولا الخمار إلاّ لبعولتهنّ، أي إلاّ لأزواجهنّ، ﴿ أو آبائهنّ أو آباء

نسائهن﴾ يعني المؤمنات من أهل دينهن أراد به أن يجوز للمرأة أن تنظر إلى بدن المرأة ما بين السرة والركبة ولا يجوز للمرأة المؤمنة أن تتجرد من ثيابها عند الذمية أو الكافرة لأن الله تعالى قال أو نسائهن والذمية أو الكافرة ليست من نسائنا ولأنها أجنبية في الدين فكانت أبعد من الرجل الأجنبي كتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح أن يمنع نساء أهل الكتاب أن يدخلن الحمام مع المسلمات.

وقيل يجوز كما يجوز أن تنكشف للمرأة المسلمة لأنها من جملة النساء ﴿أو ما ملكت أيمانهن﴾ قيل هو عبد المرأة فيجوز له الدخول عليها إذا كان عفيفاً وأن ينظر إلى مولاته إلا ما بين السرة والركبة كالمحارم. وهو ظاهر القرآن يروى ذلك عن عائشة وأم سلمة: وروى أنس أنّ النبي ﷺ «أتى إلى فاطمة بعبد قد وهبه لها وعلى فاطمة ثوب إذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها وإذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها فلما رأى رسول الله ﷺ ما تلقى قال: إنه ليس عليك بأس إنما هو أبوك وغلامك» وقيل: هو كالأجنبي معها وهو قول سعيد بن المسيب. قال والمراد من الآية الإماء دون العبيد ﴿أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال﴾ قرىء غير بنصب الراء وقيل هو بمعنى الاستثناء ومعناه يبدين زينتهن للتابعين إلا ذا الإربة منهم فانهن لا يبدين زينتهن لمن كان منهم ذا إربة وقرىء غير بالجر على نعت التابعين والإربة والأرب الحاجة والمراد بالتابعين غير أولي الأربة هم الذين يتبعون القوم ليصيبوا من فضل طعامهم لا همة لهم إلا ذلك ولا حاجة لهم في النساء وقال ابن عباس هو الأحمق العنين وقيل هو الذي لا يستطيع غشيان النساء ولا

بعولتهنّ أو أبنائهنّ أو أبناء بعولتهنّ أو إخوانهنّ أو بني إخوانهنّ أو بني أخواتهنّ ﴾، فيجوز لهؤلاء أن ينظروا إلى الزينة الباطنة ولا ينظرون إلى ما بين السرّة والركبة، ويجوز للزوج أن ينظر إلى جميع بدنها غير أنه يكره له النظر إلى فرجها. قوله تعالى: ﴿ أو نسائهنّ ﴾ أراد أنه يجوز للمرأة أن تنظر إلى بدن المرأة إلّا ما بين السرّة والركبة كالرجل المحرم، هذا إذا كانت المرأة مسلمة، فإن كانت كافرة فهل يجوز للمسلمة أن تنكشف لها. اختلف أهل العلم فيه، فقال بعضهم: يجوز كما يجوز أن تنكشف للمرأة المسلمة لأنها من جملة النساء، وقال بعضهم: لا يجوز لأن الله تعالى قال: ﴿ أو نسائهنّ ﴾ والكافرة ليست من نسائنا ولأنها أجنبية في الدين، وكانت أبعد من الرجل الأجنبي، كتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح أن يمنع نساء أهل الكتاب أن يدخلن الحمام مع المسلمات. قوله تعالى: ﴿ أو ما ملكت أيمانُهنّ ﴾، اختلفوا فيها، فقال قوم: عبد المرأة محرم لها، فيجوز له الدخول عليها إذا كان عفيفاً وأن ينظر إلى بدن مولاته إلّا ما بين السرّة والركبة، كالمحارم وهو ظاهر القرآن. ورُوِيَ ذلك عن عائشة وأم سلمة، وروى ثابت عن أنس عن النبي ﷺ أنه أتى فاطمة بعبد قد وهبه لها وعلى فاطمة ثوب إذا أقنعت به رأسها لم يبلغ رجليها وإذا غطّت رجليها لم يبلغ رأسها، فلما رأى رسول الله ﷺ ما تلقى قال: «إنه ليس عليك بأس إنما هو أبوك وغلامك». وقال قوم: هو كالأجنبي معها، وهو قول سعيد بن المسيب، وقال: المراد من الآية الإماء دون العبيد، وعن ابن جريج أنه قال: أو نسائهنّ أو ما ملكت أيمانهنّ أنه لا يحلّ لامرأة مسلمة أن تتجرّد بين يدي امرأة مشركة إلّا أن تكون تلك المرأة المشركة أمة لها. قوله: ﴿ أو التابعين غير أُولي الإرْبة من الرجال ﴾، قرأ أبو جعفر وابن عامر وأبو بكر غير بنصب الراء على القطع لأن ﴿ التابعين ﴾ معرفة و﴿ غير ﴾ نكرة. وقيل: بمعنى ﴿ إلا ﴾ فهو استثناء معناه: يبدين زينتهنّ للتابعين إلّا ذا الإربة منهم فإنهنّ لا يُبدين زينتهنّ لمَن كان منهم ذا إربة. وقرأ الآخرون بالجرّ على نعت ﴿ التابعين ﴾ والإربة والأرب الحاجة، والمراد ﴿ بالتابعين غير أُولي الإربة ﴾ هم الذين يتبعون القوم ليصيبوا من فضل طعامهم لا همّة لهم إلّا ذلك، ولا حاجة لهم في النساء، وهو قول مجاهد وعكرمة والشعبي. وعن ابن عباس أنه الأحمق العنين. وقال الحسن: هو الذي لا ينتشر ولا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهيهنّ. وقال سعيد بن جبير: هو المعتوه وقال عكرمة المجبوب. وقيل هو المخنث. وقال مقاتل: الشيخ الهرم

يشتهيهن وقيل هو المجبوب والخصي وقيل هو الشيخ الهرم الذي ذهبت شهوته وقيل هو المخنث (م) عن عائشة رضي الله عنها: «قالت كان يدخل على أزواج النبيّ ﷺ مخنث وكانوا يعدونه من غير أولي الإربة فدخل رسول الله ﷺ يوماً وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة قال: إذا أقبلت أقبلت بأربع وإذا أدبرت أدبرت بثمان فقال النبيّ ﷺ: ألا أرى هذا يعرف ما ها هنا لا يدخل عليكن هذا فاحجبوه زاد أبو داود في رواية وأخرجوه إلى البيداء يدخل كل جمعة فيستطعم» قوله أقبلت بأربع أي أن لها في بطنها أربع عكن فهي تقبل إذا أقبلت بها وأراد بالثمان أطراف العكن الأربع من الجانبين وذلك صفة لها بالسنون ﴿**أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء**﴾ أي لم يكشفوا عن عورات النساء للجماع فيطلعوا عليها وقيل: لم يعرفوا العورة من غيرها من الصغر وقيل لم يطيقوا أمر النساء وقيل لم يبلغوا حد الشهوة وقيل الطفولية اسم للصبي ما لم يحتلم ﴿**ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن**﴾ قيل كانت المرأة إذا مشت ضربت برجلها ليسمع صوت خلخالها أو يتبين خلخالها فنهين عن ذلك وقيل إن الرجل تغلب عليه

والعنين والخصي والمجبوب ونحوه. أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أحمد بن الحسين الحيري أنا محمد بن أحمد بن محمد بن معقل بن محمد الميداني أنا محمد يحيىٰ أنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: كان رجل يدخل على أزواج النبي ﷺ مخنث وكانوا يعدّونه من غير أُولي الإربة، فدخل النبي ﷺ يوماً وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة فقال: إنها إذا أقبلت أقبلت بأربع وإذا أدبرت أدبرت بثمان، فقال النبي ﷺ: «ألا أرى هذا يعلم ما ههنا لا يدخلنّ عليكنّ هذا» فحجبوه. ﴿**أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء**﴾، أراد بالطفل الأطفال يكون واحداً وجمعاً، أي: لم يكشفوا عن عورات النساء للجماع فيطّلعوا عليها. وقيل: لم يعرفوا العورة من غيرها من الصغر، وهو قول مجاهد. وقيل: لم يطيقوا أمر النساء. وقيل: لم يبلغوا حدّ الشهوة. ﴿**ولا يضربنَ بأرجلهـنّ ليُعلَم ما يُخفينَ من زينتهنّ**﴾، كانت المرأة إذا مشت ضربت برجلها ليُسمَع صوت خلخالها أو يتبيّن خلخالها، فنُهِيَت عن ذلك. ﴿**وتوبوا إلى الله جميعاً**﴾، من التقصير الواقع في أمره ونهيه. وقيل راجعوا طاعة الله فيما أمركم به ونهاكم عنه من الآداب المذكورة في هذه السورة، ﴿**أيُّها المؤمنون لعلّكم تفلحون**﴾، قرأ ابن عامر «أيـهُ المؤمنـون» و﴿ بأيّهُ الساحر ﴾ [الزخرف: ٤٩] و﴿ آيهُ الثقلان ﴾ [الرحمن: ٣١] بضم الهاء فيهنّ ويقف بلا ألف على الخط، وقرأ الآخرون بفتح الهاآت على الأصل، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن السمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبّار الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا وهب بن جرير أنا شعبة عن عمرو بن مرّة عن أبي بردة أنه سمع الأغرّ يحدّث عن ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة». أخبرنا أبو الحسن عن عبد الرحمن بن الداودي أنا محمد بن عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي أنا أبو إسحاق إبراهيم بن حريم الشاشي أنا أبو محمد عبد الله بن حميد الليثي حدّثني ابن أبي شيبة أنا عبد الله بن نمير عن مالك بن مغول عن محمد بن سوقة عن نافع عن ابن عمر قال: إن كنّا لنعدّ لرسول الله ﷺ في المجلس يقول: ربّ اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التوّاب الرحيم، مائة مرة وجملة الكلام في بيان العورات أنه لا يجوز للناظر أن ينظر إلى عورة الرجل وعورته ما بين السرّة إلى الركبة، وكذلك المرأة مع المرأة ولا بأس بالنظر إلى سائر البدن إذا لم يكن خوف فتنة، وقال مالك وابن أبي ذئب: الفخذ ليس بعورة لما رُوِيَ عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس قال أجرى نبيّ الله ﷺ فرساً في زقاق خيبر وإن ركبتي لتمسّ فخذ نبيّ الله ﷺ، ثم حسر الإزار عن فخذه حتى إني لأنظر إلى بياض فخذ نبي الله ﷺ. وأكثر أهل العلم على أن الفخذ عورة. لما أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد الفضل الخرقي أنا أبو الحسن الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري ثنا أحمد بن علي الكشمهيني أنا علي بن حجر أنا إسماعيل بن

شهوة النساء إذا سمع صوت الخلخال ويصير ذلك داعية له زائدة في مشاهدتهن وقد علل ذلك بقوله تعالى: **﴿ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾** فنبه به على أن الذي لأجله نهى عنه أن يعلم به ما عليهن من الحلي وغيره **﴿وتوبوا إلى الله جميعاً﴾** أي من التقصير الواقع في أمره ونهيه وراجعوا طاعته فيما أمركم به ونهاكم عنه من الآداب المذكورة في هذه السورة قيل إن أوامر الله ونواهيه في كل باب لا يقدر العبد الضعيف على مراعاتها وإن ضبط نفسه واجتهد فلا ينفك عن تقصير يقع منه فلذلك وصى المؤمنين بالتوبة والاستغفار ووعد بالفلاح إذا تابوا واستغفروا فذلك قوله تعالى **﴿أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾** (م) عن الأغر أغر مزينة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «توبوا إلى ربكم فوالله إني لأتوب إلى ربي تبارك وتعالى مائة مرة في اليوم» عن ابن عمر قال إن كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس يقول: «رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم مائة مرة» أخرجه عبد الرحمن بن حميد الكشي (ق) عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة» (م) عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال «من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه». قوله عزّ وجلّ:

﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وأنكحوا الأيامى منكم﴾ جمع الأيم يطلق على الذكر والأنثى وهو من لا زوج له من رجالكم ونسائكم **﴿والصالحين من عبادكم﴾** أي من عبيدكم **﴿وإمائكم﴾** بيان حكم الآية الأمر المذكور في الآية أمر ندب واستحباب لإجماع السلف عليه فيستحب لمن تاقت نفسه إلى النكاح ووجد أهبته أن يتزوج وإن لم يجد أهبته يكسر شهوته بالصوم (ق) عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء». الباءة النكاح ويكنى به عن الجماع أيضاً والوجاء

جعفر عن العلاء بن أبي كثير عن محمد بن جحش، قال: مرّ رسول الله ﷺ على معمر وفخذاه مكشوفتان، قال: «يا معمر غطِّ فخذيك فإن الفخذين عورة» ورُوِيَ عن ابن عباس وجوهر بن خويلد كان من أصحاب الصفة أن النبي ﷺ قال: «إن الفخذ عورة، قال محمد بن إسماعيل: حديث أنس أسند، وحديث جوهر أحوط، أما المرأة مع الرجل فإن كانت أجنبية حرّة فجميع بدنها في حق الأجنبي عورة ولا يجوز النظر إلى شيء منها إلّا الوجه والكفّين، وإن كانت أمة فعورتها مثل عورة الرجل ما بين السرّة إلى الركبة، وكذلك المحارم بعضهم مع بعض، والمرأة في النظر إلى الرجل الأجنبي كهو معها. ويجوز للرجل أن ينظر إلى جميع بدن امرأته وأمته التي تحلّ له، وكذلك هي منه إلا نفس الفرج فإنه يكره النظر إليه، وإذا زوّج الرجل أمته حُرّم عليه النظر إلى عورتها كالأَمَة الأجنبية، ورُوِيَ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا زوّج أحدكم عبده أمته فلا ينظرنّ إلى ما دون السرّة وفوق الركبة».

قوله تعالى: **﴿ وأنكحوا الأيامى منكم ﴾**، الأيامى جمع أيّم وهو مَن لا زوج له من رجل أو امرأة، يقال رجل أيّم وامرأة أيّمة، وأيّم، ومعنى الآية: زوّجوا أيها المؤمنون من أحرار رجالكم ونسائكم، **﴿والصالحين من عبادكم وإمائكم ﴾**، وهذا الأمر أمر ندب واستحباب. يستحبّ لمَن تاقت نفسه إلى النكاح ووجد أُهبة النكاح أن يتزوج، وإن لم يجد أُهبة النكاح يكسر شهوته بالصوم، لما أخبرنا أبو بكر محمد بن علي بن الحسين الطوسي أنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الإسفرايني أنا أبو بكر محمد بن مروان بن مسعود أنا أبو عبد الله محمد بن أيوب البجلي أنا محمد بن كثير أنا سفيان عن الأعمش عن عمارة بن عمير عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله بن

بكسر الواو رض الأنثيين وهو نوع من الخصاء شبه الصوم في قطعه شهوة النكاح بالوجاء الذي يقطع النسل عن معقل بن يسار قال قال رسول الله ﷺ: «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة» أخرجه أبو داود والنسائي (م) عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة» أما من لا تتوق نفسه إلى النكاح وهو قادر عليه فالتخلي للعبادة أفضل له من النكاح عند الشافعي وعند أصحاب الرأي النكاح أفضل. قال الشافعي: قد ذكر الله عبداً أكرمه فقال وسيداً حصوراً وهو الذي لا يأتي النساء وذكر القواعد من النساء ولم يندبهن إلى النكاح وفي الآية دليل على أن تزويج الأيامى إلى الأولياء لأن الله خاطبهم به كما أن تزويج العبيد والإماء إلى السادات. وهو قول أكثر أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم روي ذلك عن عمر وعلي وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن عباس وأبي هريرة وعائشة. وبه قال سعيد بن المسيب والحسن وشريح وإبراهيم النخعي وعمر بن عبدالعزيز وإليه ذهب الثوري والأوزاعي وعبدالله بن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق وجوز أصحاب الرأي للمرأة تزويج نفسها وقال مالك إن كانت المرأة دنيئة يجوز لها تزويج نفسها وإن كانت شريفة فلا والدليل على أن الولي شرط في النكاح ما روي عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «لا نكاح إلا بولي» أخرجه أبو داود والترمذي ولهما عن عائشة عن النبيّ ﷺ أنه قال: «أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل ثلاثاً فإن أصابها فلها المهر بما استحل من فرجها فإن تشاحوا فالسلطان ولي من لا ولي له». وقوله تعالى ﴿إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾ قيل الغنى هنا القناعة وقيل: هو اجتماع الرزقين رزق الزوج والزوجة وقال عمر بن الخطاب. عجبت لمن يبتغي الغنى بغير

مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب مَن استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغضّ للبصر وأحصن للفرج و مَن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجاء» وقال رسول الله ﷺ: «تناكحوا تكثروا فإني أُباهي بكم الأُمم حتى بالسِّقط»، وقال ﷺ: «مَن أحبَّ فطرتي فليستنّ بسُنّتي، ومن سُنّتي النكاح». أما مَن لا تتوق نفسه إلى النكاح وهو قادر عليه فالتخلّي للعبادة له أفضل من النكاح عند الشافعي رحمه الله، وعند أصحاب الرأي النكاح أفضل. قال الشافعي: وقد ذكر الله تعالى عبداً كرّمه فقال: ﴿ وسيداً وحصوراً ونبيّاً من الصالحين ﴾ [آل عمران: ٣٩]، والحصور الذي لا يأتي النساء مع القدرة عليه، وذكر القواعد من النساء ولم يندبهنّ إلى النكاح. في الآية دليل على أن تزويج النساء الأيامى إلى الأولياء لأن الله تعالى خاطبهم به، كما أن تزويج العبيد والإماء إلى السادات، لقوله تعالى: ﴿ والصالحين من عبادكم وإمائكم ﴾، وهو قول أكثر أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم، رُوِيَ ذلك عن عمر وعليّ وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وأبي هريرة وعائشة، وبه قال سعيد بن المسيب والحسن وشريح وإبراهيم النخعي وعمر بن عبد العزيز، وإليه ذهب الثوري والأوزاعي وعبد الله بن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق، وجوّز أصحاب الرأي للمرأة الحرّة تزويج نفسها، وقال مالك: إن كانت المرأة دنيئة جاز لها تزويج نفسها، وإن كانت شريفة فلا، والدليل على أن الولي شرط من جهة الأخبار ما أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا محمد بن الحسن بن أحمد المخلدي أنا أبو العباس محمد بن إسحاق السراج أنا قتيبة بن سعيد أنا أبو عوانة عن أبي إسحاق عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «لا نكاح إلّا بوليّ». أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا سعيد بن سالم عن ابن جريج عن سليمان بن موسى عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة عن النبي ﷺ أنه قال: «أيما امرأة نكحت نفسها بغير إذن وليّها فنكاحها باطل» ثلاثاً، فإن أصابها فلها المهر بما استحلّ من فرجها، فإن اشتجروا فالسلطان وليّ مَن لا وليّ له، قوله تعالى: ﴿ إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم ﴾، قيل: الغنَى ههنا القناعة. وقيل اجتماع الرزقين رزق الزوج ورزق الزوجة. وقال عمر: عجبت لمَن ابتغى الغنى بغير النكاح، والله عزّ وجلّ يقول: .

النكاح والله تعالى يقول إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وقال بعضهم إن الله وعد الغنى بالنكاح وبالتفرق فقال تعالى «إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله» وقال «وإن يتفرقا يغني كلا من سعته» ﴿والله واسع﴾ يعني أنه ذو الإفضال والجود﴿عليم﴾ أي بما يصلح خلقه من الرزق قوله تعالى:

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً﴾ يعني ليطلب العفة عن الزنا والحرام الذين لا يجدون ما ينكحون به من الصدق والنفقة ﴿حتى يغنيهم الله من فضله﴾ يعني يوسع عليهم من رزقه ﴿والذين يبتغون الكتاب﴾ يعني يطلبون المكاتبة ﴿مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم﴾ سبب نزول هذه الآية أن غلاماً لحويطب بن عبدالعزى سأل مولاه أن يكاتبه فأبى عليه فأنزل الله تعالى هذه الآية فكاتبه حويطب على مائة دينار ووهب له منها عشرين ديناراً فأداها وقتل يوم حنين في الحرب، بيان حكم الآية وكيفية المكاتبة وذلك أن يقول الرجل لمملوكه: كاتبتك على كذا من المال ويسمى مالاً معلوماً تؤدي ذلك في نجمين أو في نجوم معلومة في كل نجم كذا فإذا أديت ذلك فأنت حر ويقبل العبد ذلك، فإذا أدى العبد ذلك المال عتق ويصير العبد أحق بمكاسبه بعد الكتابة وإذا عتق بأداء المال فما فضل في يده من المال فهو له ويتبعه أولاده الذين حصلوا في الكتابة في العتق وإذا عجز عن أداء المال كان لمولاه أن يفسخ كتابته ويرده إلى الرق وما في يده من المال فهو لسيده لما روي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ «المكاتب عبد

﴿ إنْ يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ﴾. ورُوِيَ عن بعضهم: أن الله تعالى وعد الغني بالنكاح وبالتفرّق فقال تعالى: ﴿ إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ﴾، وقال تعالى: ﴿ وإن يتفرّقا يغني الله كلاً من سَعته ﴾ [النساء: ١٣٠].

﴿ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً ﴾ أي: ليطلب العفّة عن الحرام والزنا الذين لا يجدون ما لا ينكحون به للصداق والنفقة، ﴿ حتى يغنيهم الله من فضله ﴾ أي يوسع عليهم من رزقه. قوله تعالى: ﴿ والذين يبتغون الكتاب ﴾، أي: يطلبون المكاتبة، ﴿ مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ﴾، سبب نزول هذه الآية ما رُوِيَ أن غلاماً لحويطب بن عبد العزيز سأل مولاه أن يكاتبه فأبى عليه، فأنزل الله هذه الآية فكاتبه حويطب على مائة دينار، ووهب له منها عشرين ديناراً فأدّاها، وقتل يوم حنين في الحرب، والكتابة أن يقول الرجل لمملوك كاتبتك على كذا من المال ويسمّي مالاً معلوماً يؤدّي ذلك في نجمين أو نجوم معلومة في كل نجم كذا، فإذا أدّيت فأنت حرّ، والعبد يقبل ذلك، فإذا أدّى المال عتق ويصير العبد أحقّ بمكاسبه بعد أداء المال، وإذا أعتق بعد أداء المال فما فضل في يده من المال، يكون له ويتبعه أولاده الذين حصلوا في حال الكتابة في العتق، وإذا عجز عن أداء المال كان لمولاه أن يفسخ كتابته ويردّه إلى الرقّ، وما في يده من المال يكون لمولاه، لِما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع أنا عبد الله بن عمر كان يقول: المكاتب عبد ما بقي عليه من كتابته شيء. ورواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه مرفوعاً: «المكاتب عبد ما بقي عليه من كتابته درهم»، وذهب بعض أهل العلم إلى أن قوله تعالى: ﴿فكاتبوهم﴾ أمراً يجب على المولى أن يكاتب عبده الذي علم فيه خيراً إذا سأل العبد ذلك، على قيمته أو أكثر، وإن سأل عن أقلّ من قيمته فلا يجب، وهو قول عطاء وعمرو بن دينار، ولما رُوِيَ أنّ سيرين سأل أنس بن مالك أن يكاتبه فتلكأ عنه فشكا إلى عمر، فعلاه بالدرّة وأمره بالكتابة فكاتبه وذهب أكثر أهل

ما بقي عليه درهم» أخرجه أبو داود وذهب بعض أهل العلم إلى أن قوله تعالى ﴿فكاتبوهم﴾ أمر إيجاب يجب على السيد أن يكاتب عبده الذي علم فيه خيراً إذا سأل العبد ذلك على قيمته أو على أكثر من قيمته وإن سأل على أقل من قيمته لا يجب وهو قول عطاء وعمرو بن دينار لما روي أن سيرين أبا محمد بن سيرين سأل أنس بن مالك أن يكاتبه وكان كثير المال فانطلق سيرين إلى عمر فشكاه فدعاه عمر فقال له: كاتبه فأبى فضربه بالدرة وتلا فكاتبوهم ﴿إن علمتم فيهم خيراً﴾ فكاتبه وذهب أكثر أهل العلم إلى أنه أمر ندب واستحباب ولا تجوز الكتابة على أقل من نجمين عند الشافعي لأنه عقد جوز إرفاقاً بالعبد ومن تتمة الإرفاق أن يكون ذلك المال عليه إلى أجل حتى يؤديه على مهل فيحصل المقصود. وجوز أبو حنيفة الكتابة إلى نجم وحالة واحدة واختلفوا في معنى قوله ﴿إن علمتم فيهم خيراً﴾ فقال ابن عمر قوة على الكسب وهو قول مالك والثوري وقيل مالاً، روي أن عبداً لسلمان الفارسي قال له: كاتبني قال ألك مال قال لا قال تريد أن تطعمني من أوساخ الناس ولم يكاتبه قيل لو أراد به المال لقال أن علمتم لهم خيراً وقيل صدقاً وأمانة. وقال الشافعي: أظهر معاني الخير في العبد الاكتساب مع الأمانة فأحب أن لا يمنع من المكاتبة إذا كان

العلم إلى أنه أمر ندب واستحباب، ولا تجوز الكتابة على أقل من نجمين عند الشافعي لأنه عقد جوز إرْفاقاً بالعبد، ومن تتمة الإرفاق أن يكون ذلك المال عليه إلى أجل حتى يؤدّيه على مهل فيحصل المقصود كالديّة في قتل الخطأ وجبت على العاقلة على سبيل المواساة فكانت عليهم مؤجلة منجمة، وجوّز أبو حنيفة الكتابة على نجم واحد وحالة. قوله تعالى: ﴿ إنْ علمتم فيهم خيراً ﴾، اختلفوا في معنى الخير، فقال ابن عمر: قوة على الكسب. وهو قول مالك والثّوري، وقال الحسن ومجاهد والضحاك: مالاً، كقوله تعالى: ﴿ إن ترك خيراً ﴾ [البقرة: ١٨٠] أي: مالاً، ورُوِيَ أنّ عبداً لسلمان الفارسي قال له كاتبني، قال: ألك مال؟ قال: لا، قال: تريد أن تطعمني من أوساخ الناس، ولم يكاتبه. قال الزجّاج: لو أراد به المال لقال إن علمتم لهم خيراً، وقال إبراهيم وابن زيد وعبيدة صدقاً وأمانة. وقال طاوس وعمر وابن دينار: مالاً وأمانة. وقال الشافعي: وأظهر معاني الخير في العبد الاكتساب مع الأمانة، فأحبّ أن لا يمنع من كتابته إذا كان هكذا. أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني أنا أبو الحسن بن علي بن شريك الشافعي أنا عبد الله بن محمد بن مسلم أنا أبو بكر الجورمندي أنا يونس بن عبد الأعلى أنا ابن وهب أخبرني الليث عن محمد بن عجلان عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هرَيرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة حق على الله عونهم المكاتب الذي يريد الأداء، والناكح يريد العفاف، والمجاهد في سبيل الله». وحكى محمد بن سيرين عن عبيدة: إن علمتم فيهم خيراً أي: أقاموا الصلاة. وقيل: هو أن يكون العبد بالغاً عاقلاً، فأما الصبي والمجنون فلا تصحّ كتابتهما لأن الابتغاء منهما لا يصحّ، وجوّز أبو حنيفة كتابة الصبي المراهق.

قوله سبحانه وتعالى ﴿ وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ﴾، اختلفوا فيه فقال بعضهم: هذا خطاب للموالي يجب على المولى أن يحطّ عن مكاتبه من مال كتابته شيئاً، وهو قول عثمان وعلي والزبير وجماعة، وبه قال الشافعي، ثم اختلفوا في قدره فقال قوم: يحطّ عنه ربع مال الكتابة، وهو قول علي ورواه بعضهم عن علي مرفوعاً، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يحطّ عنه الثلث. وقال الآخرون: ليس له حدّ بل عليه أن يحطّ عنه ما شاء، وهو قول الشافعي، قال نافع: كاتب عبد الله بن عمر غلاماً له على خمسة وثلاثين ألف درهم فوضع عنه من آخر كتابته خمسة آلاف درهم. وقال سعيد بن جبير: كان ابن عمر إذا كاتب مكاتبه لم يضع عنه شيئاً من أول نجومه مخافة أن يعجز فيُرجِع إليه صدقته، ويضع من آخر كتابته ما أحبّ، وقال بعضهم هو أمر استحباب، والوجوب أظهر، قوم: أراد بقوله وآتوهم من مال الله أي سهمهم الذي جعله الله لهم من الصدقات المفروضات، بقوله تعالى: ﴿ وفي الرقاب ﴾ [البقرة: ١٧٧، التوبة: ٦٠] وهو قول الحسن وزيد بن أسلم، وقال إبراهيم: هو حثٌّ لجميع الناس على

هكذا وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاث حق على الله عونهم المكاتب الذي يريد الأداء والناكح الذي يريد العفاف والمجاهد في سبيل الله». أخرجه الترمذي والنسائي وقيل معنى الخير أن يكون العبد عاقلاً بالغاً فأما الصبي والمجنون فلا تصح كتابتهما لأن الابتغاء منهما لا يصح وجوز أبو حنيفة كتابة الصبي المراهق وقوله تعالى ﴿**وآتوهم من مال الله الذي آتاكم**﴾ قيل هو خطاب للموالي فيجب على السيد أن يحط عن مكاتبه من مال الكتابة شيئاً وهو قول عثمان وعلي والزبير و جماعة. وبه قال الشافعي ثم اختلفوا في قدر ما يحط فقيل يحط الربع وهو قول علي ورواه بعضهم مرفوعاً. وقال ابن عباس: يحط الثلث وقال الآخرون: ليس له حد بل عليه أن يحط عنه ما شاء وبه قال الشافعي قال نافع: كاتب عبدالله بن عمر غلاماً له على خمسة وثلاثين ألف درهم فوضع من آخر كتابته خمسة آلاف درهم أخرجه مالك في الموطأ. وقال سعيد بن جبير: كان ابن عمر إذا كاتب مكاتبه لم يضع عنه شيئاً من أول نجومه مخافة أن يعجز فيرجع إليه صدقته ويضع عنه من آخر كتابته ما أحب وقال بعضهم هو أمر استحباب والوجوب أظهر وقيل أراد بقوله ﴿**وآتوهم من مال الله**﴾ أي سهمهم الذي جعله الله لهم من الصدقات المفروضات وهو قوله وفي الرقاب أراد به المكاتب وهو قول الحسن وزيد بن أسلم. وقيل: هو حث لجميع الناس على مؤنتهم واختلف العلماء فيما إذا مات المكاتب قبل أداء النجوم فذهب كثير منهم إلى أنه يموت رقيقاً وترتفع الكتابة سواء ترك مالاً أو لم يترك وهو قول عمر وابن عمر وزيد بن ثابت وبه قال عمر بن عبدالعزيز والزهري وقتادة وإليه ذهب الشافعي وأحمد، وقال قوم: إن ترك وفاء ما بقي عليه من مال الكتابة كان حراً وإن فضل له مال كان لأولاده الأحرار. وهو قول عطاء وطاوس والنخعي والحسن وبه قال مالك والثوري وأصحاب الرأي ولو كاتب عبده كتابة فاسدة يعتق بأداء المال لأن عتقه معلق بالأداء وقد وجد وتتبعه أولاده وأكسابه كما في الكتابة الصحيحة لأن الكتابة الصحيحة لا يملك المولى فسخها ما لم يعجز المكاتب عن أداء النجوم. وقوله تعالى:

معونتهم، ولو مات المكاتب قبل أداء النجوم اختلف أهل العلم فيه فذهب كثير منهم إلى أنه يموت رقيقاً وترتفع الكتابة سواء ترك مالاً أو لم يترك، كما لو تلف المبيع قبل القبض يرتفع البيع، وهو قول عمر وابن عمر وزيد بن ثابت، وبه قال عمر بن عبد العزيز والزهري وقتادة، وإليه ذهب الشافعي وأحمد، وقال قوم: إن ترك وفاءً بما بقي عليه من الكتابة كان حرّاً، وإن كان فيه فضل فالزيادة لأولاده الأحرار، وهو قول عطاء وطاوس والنخعي والحسن، وبه قال مالك والثّوري وأصحاب الرأي ولو كاتب عبده كتابة فاسدة يُعتق بأداء المال لأن عتقه معلّق بالأداء، وقد وجد وتبعه الأولاد والاكتساب كما في الكتابة الصحيحة ويفترقان في بعض الأحكام وهي أن الكتابة الصحيحة لا يملك المولى فسخها ما لم يعجز المكاتب عن أداء النجوم، ولا تبطل بموت المولى، ويعتق بالإبراء عن النجوم، والكتابة الفاسدة يملك المولى فسخها قبل أداء المال، حتى لو أدّى المال بعد الفسخ لا يعتق ويبطل بموت المولى، ولا يعتق بالإبراء عن النجوم، وإذا عتق المكاتب بأداء المال لا يثبت التراجع في الكتابة الصحيحة ويثبت في الكتابة الفاسدة فيرجع المولى عليه بقيمة رقبته، وهو يرجع على المولى بما دفع إليه إن كان مالاً. قوله تعالى: ﴿ **ولا تُكرهوا فتياتِكم على البغاء إن أردنَ تحصناً** ﴾ الآية، نزلت في عبد الله بن أُبيّ بن سلول المنافق كانت له جاريتان معاذة ومسيكة، وكان يكرههما على الزنا بالضريبة يأخذها منهما، وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية يؤجرون إماءهم، فلما جاء الإسلام قالت معاذة لمسيكة: إن هذا الأمر الذي نحن فيه لا يخلو من وجهين فإن يكُ خيراً فقد استكثرنا منه وإن يكُ شرّاً فقد آن لنا أن ندعه، فأنزل الله هذه الآية ورُوِيَ أنه جاءت إحدى الجاريتين يوماً ببُرْدٍ وجاءت الأخرى بدينار، فقال لهما: ارجعا فازنيا، قالتا والله لا نفعل قد جاء الإسلام وحرّم الزنا فأتيا رسول الله ﷺ وشكتا إليه، فأنـزل هـذه الآية: ﴿ **ولا تُكرِهوا فتياتكم** ﴾ إماءكم ﴿ **على البغاء** ﴾ أي الزنا ﴿ **إن أردن تحصناً** ﴾

﴿ولا تكرهوا فتياتكم﴾ أي إماءكم ﴿على البغاء﴾ أي الزنا ﴿إن أردن تحصناً﴾ الآية (م) عن جابر قال كان عبدالله بن أبي ابن سلول يقول لجاريته اذهبي فابغينا شيئاً قال فأنزل الله ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً﴾ وفي رواية أخرى أن جارية لعبدالله بن أبي يقال لها مسيكة وأخرى يقال لها أميمة كان يكرههما على الزنا فشكتا ذلك إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء﴾ إلى قوله ﴿غفور رحيم﴾ وقال المفسرون: نزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق كانت له جاريتان يقال لهما مسيكة ومعاذة وكان يكرههما على الزنا لضريبة يأخذها منهما، وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية يؤجرون إماءهم فلما جاء الإسلام قالت معاذة لمسيكة: إن هذا الأمر الذي نحن فيه لا يخلو من وجهين فإن يك خيراً فقد استكثرنا منه، وإن يك شراً فقد آن لنا أن ندعه فأنزل الله هذه الآية وروي أن إحدى الجاريتين جاءت ببرد، وجاءت الأخرى بدينار فقال لهما ارجعا فازنيا فقالتا: والله لا نفعل قد جاء الإسلام، وحرم الزنا فأتيا رسول الله ﷺ وشكتا إليه فأنزل الله هذه الآية واختلف العلماء في معنى قوله إن أردن تحصناً على أقوال أحدها: أن الكلام ورد على سبب وهو الذي ذكر في سبب نزول الآية، فخرج النهي على صفة السبب وإن لم يكن شرطاً فيه الثاني: إنما شرط إرادة التحصن لأن الإكراه لا يتصور إلا عند إرادة التحصن، فأمّا إذا لم ترد المرأة التحصن فإنها تبغي بالطبع طوعاً الثالث: أن إن بمعنى إذا أي إذا أردن وليس معناه الشرط لأنه لا يجوز إكراههن على الزنا إن لم يردن تحصناً، كقوله ﴿وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾ أي إذا كنتم القول الرابع: أن في هذه الآية تقديماً وتأخيراً تقديره وأنكحوا الأيامى منكم إن أردتم تحصناً، ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ﴿لتبتغوا﴾ أي لتطلبوا ﴿عرض الحياة الدنيا﴾ أي من أموال الدنيا يريد كسبهن، وبيع أولادهن ﴿ومن يكرههن﴾ يعني على الزنا ﴿فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم﴾ يعني للمكرهات والوزر على المكره، وكان الحسن إذا قرأ هذه الآية قال لهن والله لهن والله. قوله تعالى:

وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾

﴿ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات﴾ أي من الحلال والحرام ﴿ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم﴾ أي شبهاً من حالكم بحالهم أيها المكذبون، وهذا تخويف لهم أن يلحقهم ما لحق من كان قبلهم من المكذبين ﴿وموعظة للمتقين﴾

أي إذا أردن، وليس معناه الشرط لأنه لا يجوز إكراههنّ على الزنا وإن لم يردن تحصناً، كقوله تعالى: ﴿ وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴾ [آل عمران: ١٣٩] أي إذا كنتم مؤمنين. وقيل: شرط إرادة التحصّن لأن الإكراه إنما يكون عند إرادة التحصّن، فإذا لم ترد التحصّن بغت طوعاً، والتحصّن التعفّف، وقال الحسن بن الفضل في الآية تقديم وتأخير تقديرها: وأنكحوا الأيامى منكم إن أردن تحصناً ولا تُكرِهوا فتياتكم على البغاء. ﴿ لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ﴾، أي: لتطلبوا من أموال الدنيا يريد من كسبهنّ وبيع أولادهنّ، ﴿ ومَن يكرههنّ فإن الله من بعد إكراههنّ غفورٌ رحيم ﴾، يعني للمكرهات، والوزر على المُكره. وكان الحسن إذا قرأ هذه الآية قال: لهنّ والله لهنّ والله.

قوله تعالى: ﴿ ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات ﴾، من الحلال والحرام، ﴿ ومثلاً من الذين خلقوا من قبلكم ﴾، أي شبهاً من حالكم بحالهم أيها المكذبون، وهذا تخويف لهم أن يلحقهم ما لحق مَن قبلهم من

أي المؤمنين الذين يتقون الشرك والكبائر. قوله عزّ وجلّ ﴿الله نور السموات والأرض﴾ قال ابن عباس: معناه الله هادي السموات والأرض فهم بنوره إلى الحق يهتدون، وبهدايته من حيرة الضلالة ينجون وقيل معناه الله منور السموات والأرض، نور السماء بالملائكة ونور الأرض بالأنبياء وقيل: معناه مزين السموات والأرض زين السماء بالشمس والقمر والنجوم، وزين الأرض بالأنبياء والعلماء والمؤمنين، ويقال: زين الأرض بالنبات والأشجار، وقيل: معناه إن الأنوار كلها منه وقد يذكر هذا اللفظ على طريق المدح كما قال الشاعر:

إذا ســار عبــدالله عــن مــرو ليلــة ... فقــد ســار عنهــا نــورهــا وجمــالهــا

﴿مثل نوره﴾ أي مثل نور الله عز وجل في قلب المؤمن، وهو النور الذي يهتدي به وقال ابن عباس مثل نوره الذي أعطى المؤمن، وقيل الكناية عائدة إلى المؤمن أي مثل نور قلب المؤمن وقيل أراد بالنور القرآن وقيل هو محمد ﷺ وقيل هو الطاعة سمي طاعة الله نوراً، وأضاف هذه الأنوار إلى نفسه تشريفاً وتفصيلاً ﴿كمشكاة﴾ هي الكوة التي لا منفذ لها قيل: هي بلغة الحبشة ﴿فيها مصباح﴾ أي سراج وأصله من الضوء ﴿المصباح في زجاجة﴾ يعني القنديل وإنما ذأر الزجاجة لأن النور، وضوء النار فيها أبين من كل شيء وضوءه يزيد في الزجاج ثم وصف الزجاجة، فقال تعالى ﴿الزجاجة كأنها كوكب دري﴾ من درأ الكوكب إذا اندفع منقضاً، فيتضاعف نوره في تلك الحال، وفي ذلك الوقت وقيل هو من درأ النجم إذا طلع، وارتفع وقيل دري أي شديد الإنارة نسب إلى الدر، في صفائه وحسنه وإن كان الكوكب أضوأ من الدر لكنه يفضل الكوكب بصفائه كما يفضل الدر على سائر اللؤلؤ وقيل الكوكب الدري

المكذبين، ﴿ وموعظة للمتقين ﴾، للمؤمنين الذين يتّقون الشرك والكبائر.

قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ نورُ السمٰواتِ والأرض ﴾، قال ابن عباس: هادي أهل السمٰوات والأرض، فهم بنوره إلى الحق يهتدون وبهداه من الضلالة ينجون. وقال الضحاك: منوّر السمٰوات والأرض، يقال: نوّر السماء بالملائكة ونوّر الأرض بالأنبياء. وقال مجاهد: مدبّر الأمور في السمٰوات والأرض. وقال أُبيّ بن كعب والحسن وأبو العالية: مزيّن السمٰوات والأرض، زيّن السماء بالشمس والقمر والنجوم، وزيّن الأرض بالأنبياء والعلماء والمؤمنين. ويقال: بالنبات والأشجار. وقيل: معناه الأنوار كلها منه، كما يقال: فلان رحمة أي منه الرحمة، وقد يذكر مثل هذا اللفظ على طريق المدح كما قال القائل «شعر»:

إذا سـار عبـد الله عن مـر وليلة ... فقـد سـار منهـا نـورهـا وجمـالهـا

قوله تعالى: ﴿ مثل نوره ﴾ أي مثل نور الله تعالى في قلب المؤمن وهو النور الذي يهتدي به كما قال فهو على نور من ربه، وكان ابن مسعود يقرأ مثل نوره في قلب المؤمن. وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: مثل نوره الذي أعطى المؤمن. وقال بعضهم: الكناية عائدة إلى المؤمن، أي: مثل نور قلب المؤمن، وكان أُبيّ يقرأ: (مثل نور مَن آمن به) وهو عبد جعل الإيمان والقرآن في صدره. وقال الحسن وزيد بن أسلم: أراد بالنور القرآن. وقال سعيد بن جبير والضحاك هو محمد ﷺ. وقيل: أراد بالنور الطاعة، سمّى طاعةَ الله نوراً وأضاف هذه الأنوار إلى نفسه تفضيلاً، ﴿ كمشكاة ﴾، وهي الكوّة التي لا منفذ لها فإن كان لها منفذ فهي كوّة. وقيل: المشكاة حبشية قال مجاهد: هي القنديل ﴿ فيها مصباح ﴾ أي: سراج، أصله من الضوء، ومنه الصبح، ومعناه: كمصباح في مشكاة، ﴿ المصباح في زجاجة ﴾، يعني القنديل، قال الزجّاج: إنما ذكر الزجاجة لأن النور وضوء النار فيها أبين من كل شيء، وضوء يزيد في الزجاج، ثم وصف الزجاجة، فقال: ﴿ الزجاجة كأنها كوكب دُرّي ﴾، قرأ أبو عمر والكسائي (دريء) بكسر الدال والهمزة، وقرأ حمزة وأبو بكر بضم الدال والهمزة، فَمَن كسر الدال فهو فعيل من الدرء وهو

أحد الكواكب الخمسة السيارة، التي هي زحل والمريخ والمشتري والزهرة وعطارد، قيل: شبهه بالكواكب ولم يشبهه بالشمس والقمر، لأنهما يلحقهما الكسوف بخلاف الكواكب ﴿**يوقد**﴾ أي اتقد المصباح ﴿**من شجرة مباركة زيتونة**﴾ أي من زيت شجرة مباركة كثيرة البركة، وفيها منافع كثيرة لأن الزيت يسرج به ويدهن به وهو إدام وهو أصفى الأدهان وأضوأها، وقيل: إنها أول شجرة نبتت بعد الطوفان وقيل: أراد به زيتون الشام لأنها هي الأرض المباركة، وهي شجرة لا يسقط ورقها، عن أسيد بن ثابت أو أبي أسيد الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ «كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة» أخرجه الترمذي. وقوله ﴿**لا شرقية ولا غربية**﴾ أي ليست شرقية وحدها فلا تصيبها الشمس إذا غربت ولا غربية وحدها فلا تصيبها الشمس بالغداة، إذا طلعت بل مصاحبة للشمس طول النهار تصيبها الشمس عند طلوعها، وعند غروبها فتكون شرقية غربية تأخذ حظها من الأمرين فيكون زيتها أضوأ، وهذا معنى قول ابن عباس وقيل معناه أنها ليست في مقنأة لا تصيبها الشمس، ولا في مضحاة لا يصيبها الظل فهي لا تضرها شمس ولا ظل وقيل معناه أنها معتدلة ليست في شرق يضرها الحر، ولا في غرب يضرها البرد وقيل معناه هي شامية لأن الشام وسط الأرض، لا شرقي ولا غربي وقيل ليست هذه الشجرة من أشجار الدنيا لأنها لو كانت في الدنيا لكانت شرقية أو غربية، وإنما هو مثل ضربه الله لنوره ﴿**يكاد زيتها يضيء**﴾ أي من صفائه ﴿**ولو لم تمسسه نار**﴾ أي قبل أن تمسه النار ﴿**نور على نور**﴾ أي نور المصباح على نور الزجاجة.

الدفع لأن الكوكب يدفع الشياطين من السماء، وشبّهه بحالة الدفع لأنه يكون في تلك الحالة أضْوأ وأنورَ، ويُقال: هو من درأ الكوكب إذا اندفع منقبضاً فيتضاعف ضوءه في ذلك الوقت. وقيل: دُريّ مكرر أي طالع، يقال درأ النجم إذا طلع وارتفع. ويقال: درأ علينا فلان أي طلع وظهر، فأما رفع الدال مع الهمزة كما قرأ حمزة قال أكثر النحاة: هو لحن لأنه ليس في كلام العرب فعيل بضم الفاء وكسر العين، قال أبو عبيدة: وأنا أرى لها وجهاً وذلك أنها دروء على وزن فعول، مثل سبّوح وقدّوس، وقد استثقلوا كثرة الضمّات فردّوا بعضها إلى الكسر، كما قالوا: عتياً وهو فعول من عتوت، وقرأ الآخرون ﴿**دُريّ**﴾ بضم الدال وتشديد الياء بلا همز، أي: شديد الإنارة نسبت إلى الدرّ في صفائه وحُسنه، وإن كان الكوكب أكثر ضوءاً من الدرّ لكنه يفضل الكواكب بضيائه، كما يفضل الدرّ سائر الحب. وقيل: الكوكب الدريّ واحد من الكواكب الخمسة العظام، وهي زُحَل والمرّيخ والمشتري والزُّهرة وعُطارد. وقيل: شبّهه بالكوكب، ولم يشبّهه بالشمس والقمر لأن الشمس والقمر يلحقهما الخسوف والكواكب لا يلحقها الخسوف. ﴿ **يُوقد** ﴾ قرأ أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب «توقد» بالتاء وفتحها وفتح الواو والدال أو تشديد القاف على الماضي يعني المصباح، أي: اتّقد يقال توقّدت النار إذا اتّقدت. وقرأ أهل الكوفة غير حفص توقد بالتاء وضمها وفتح القاف خفيفاً، يعني الزجاجة أي: نار الزجاجة لأن الزجاجة لا توقد، وقرأ الآخرون بالياء وضمّها خفيفاً يعني المصباح، ﴿ **من شجرة مباركة زيتونة** ﴾، أي من زيت شجرة مباركة، فحذف المضاف بدليل قوله تعالى: ﴿ **يكاد زيتها يضيء** ﴾، وأرا بالشجرة المباركة الزيتونة وهي كثيرة البركة، وفيها منافع كثيرة لأن الزيت يسرج به وهو أضوأ وأصفى الأدهان، وهو إدام وفاكهة، ولا يحتاج في استخراجه إلى إعصار بل كل أحد يستخرجه، وجاء في الحديث: «أنه مصحة من الباسور»، وهي شجرة تورق من أعلاها إلى أسفلها، أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو الحسن القاسم بن بكر الطيالسي أنا أبو أُمية الطوسي أنا أبي قبيصة بن عقبة أنا سفيان الثوري عن عبد الله بن عيسى عن عطاء الذي كان بالشام، وليس بابن أبي رباح عن أسد بن ثابت وأبي أسلم الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «كلوا الزيتَ وادّهِنوا به فإنه من شجرة مباركة». قوله تعالى: ﴿ **لا شرقية ولا غربية** ﴾، أي: ليست شرقية وحدها حتى لا تصيبها الشمس إذا غربت ولا غربية وحدها فلا تصيبها الشمس بالغداة

فصل في بيان التمثيل المذكور في الآية

اختلف أهل العلم في معنى هذا التمثيل، فقيل: المراد به الهدى ومعناه أن هداية الله تعالى قد بلغت في الظهور والجلاء إلى أقصى الغايات، وصار ذلك بمنزلة المشكاة التي فيها زجاجة صافية وفي تلك الزجاجة مصباح يتقد بزيت بلغ النهاية في الصفاء، والرقة والبياض فإذا كان كذلك كان كاملاً في صفائه، وصلح أن يجعل مثلاً لهداية الله تعالى وقيل وقع هذا التمثيل لنور محمد ﷺ قال ابن عباس لكعب الأحبار: أخبرني عن قوله تعالى ﴿مثل نوره كمشكاة﴾ قال كعب: هذا مثل ضربه الله لنبيّه ﷺ فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة توقد من شجرة مباركة هي شجرة النبوة يكاد نور محمد ﷺ وأمره يتبين للناس ولو لم يتكلم به أنه نبيّ كما يكاد ذلك الزيت يضيء، ولو لم تمسسه نار وروي عن ابن عمر في هذه الآية قال المشكاة: جوف محمد ﷺ والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعله الله فيه لا شرقية ولا غربية، لا يهودي ولا نصراني توقد من شجرة مباركة إبراهيم نور على نور قلب إبراهيم ونور قلب محمد ﷺ: وقال محمد بن كعب القرظي: المشكاة إبراهيم، والزجاجة إسماعيل والمصباح محمد ﷺ وعليهم أجمعين سمى الله محمداً مصباحاً، كما سماه سراجاً منيراً والشجرة المباركة إبراهيم عليه السلام لأن أكثر الأنبياء من صلبه لا شرقية ولا غربية، يعني إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً لأن اليهود تصلّي إلى الغرب، والنصارى تصلّي إلى الشرق يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار تكاد محاسن محمد ﷺ تظهر للناس قبل أن يوحى إليه نور على نور نبي من نسل نبي نور محمد على نور إبراهيم، وقيل وقع هذا التمثيل لنور قلب المؤمن قال أبيّ بن كعب، هذا مثل المؤمن فالمشكاة نفسه، والزجاجة قلبه والمصباح ما جعله الله فيه من الإيمان والقرآن توقد

إذا طلعت، بل هي ضاحية الشمس طول النهار تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية وغربية تأخذ حظها من الأمرين، فيكون زيتها أضوأ وهذا كما يقال: فلان ليس بأسود ولا بأبيض يريد ليس بأسود خالص ولا بأبيض خالص، بل اجتمع فيه كل واحد منهما، وهذا الرمّان ليس بحلو ولا حامض أي اجتمعت فيه الحلاوة والحموضة، هذا قول ابن عباس في رواية عكرمة والكلبي، والأكثرين. وقال السديّ وجماعة: معناه أنها ليست في مقناة لا تصيبها الشمس ولا في مضحاة لا يصيبها الظل، فهي لا تضرّها شمس ولا ظل. وقيل: معناه أنها معتدلة ليست في شرق يضرّها الحرّ، ولا في غرب يضرّها البرد. وقيل: معناه هي شامية لأن الشام لا شرقي ولا غربي. وقال الحسن: ليست هذه من أشجار الدنيا ولو كانت في الدنيا لكانت شرقية أو غربية وإنما هو مثل ضربه الله لنوره. ﴿ يكاد زيتها ﴾، دهنها، ﴿ يضيء ﴾، من صفائه، ﴿ ولو لم تمسسه نار ﴾، أي: قبل أن تصيبه النار، ﴿ نور على نور ﴾، يعني نور المصباح على نور الزجاجة. واختلف أهل العلم في معنى هذا التمثيل، فقال بعضهم: وقع هذا التمثيل لنور محمد ﷺ، قال ابن عباس لكعب الأحبار: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ مثل نوره كمشكاة ﴾ فقال كعب: هذا مثل ضربه الله لنبيّه ﷺ، فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوّة توقد من شجرة مباركة هي شجرة النبوّة، يكاد نور محمد وأمره يتبيّن للناس ولو لم يتكلم أنه نبيّ كما يكاد ذلك الزيت يُضيء ولو لم تمسسه نار. وروى سالم عن ابن عمر في هذه الآية قال: المشكاة جوف محمد والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعله الله فيه، لا شرقية ولا غربية ولا يهودي ولا نصراني، توقد من شجرة مباركة إبراهيم نور على نور قلب إبراهيم ونور قلب محمد ﷺ، وقال محمد بن كعب القرظي: المشكاة إبراهيم والزجاجة إسماعيل والمصباح محمد صلوات الله عليهم أجمعين سمّاه الله مصباحاً كما سمّاه سراجاً، فقال تعالى: ﴿ وسراجاً منيراً ﴾ [الأحزاب: ٤٦] توقد من شجرة مباركة وهي إبراهيم سمّاه مباركة لأن أكثر الأنبياء من صلبه، لا شرقية ولا غربية يعني إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً، لأن اليهود تصلّي قِبَلَ المغرب والنصارى تصلّي قِبَلَ المشرق يكاد زيتها يضيء

من شجرة مباركة هي شجرة الإخلاص لله وجده فمثله مثل شجرة التف بها الشجر فهي خضراء ناعمة نضرة، لا تصيبها الشمس إذا طلعت ولا إذا غربت فكذلك المؤمن، قد احترس أن يصيبه شيء من الفتن فهو بين أربع خلال إن أعطي شكر وإن ابتلي صبر وإن حكم عدل وإن قال صدق يكاد زيتها يضيء أي يكاد قلب المؤمن يعرف الحق قبل أن يتبين له لموافقته إياه، نور على نور قال أبي: فهو يتقلب في خمسة أنوار قوله نور، وعمله نور ومدخله نور، ومخرجه نور ومصيره إلى النور يوم القيامة وقال ابن عباس: هذا مثل نور الله وهداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسسه النار، فإذا مسته النار ازداد ضوءاً على ضوئه كذلك يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم، فإذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونور على نور، وقال الكلبي: نور على نور يعني إيمان المؤمن وعمله. وقيل نور الإيمان ونور القرآن وقيل هذا مثل القرآن فالمصباح هو القرآن فكما يستضاء بالمصباح فكذلك يهتدى بالقرآن والزجاجة قلب المؤمن، والمشكاة فمه ولسانه والشجرة المباركة شجرة المعرفة في قلبه، يكاد زيتها يضيء أي نور المعرفة يشرق في قلب المؤمن، ولو لم يمسسه النار وقيل تكاد حجة القرآن تتضح، وإن لم يقرأ نور على نور يعني القرآن نور من الله لخلقه مع ما أقام لهم من الدلائل والإعلام قبل نزول القرآن فازدادوا بذلك نوراً على نور. قوله تعالى ﴿**يهدي الله لنوره من يشاء**﴾ قال ابن عباس: لدين الإسلام وهو نور البصيرة ﴿**ويضرب الله الأمثال للناس**﴾ أي يبين الله الأشياء للناس تقريباً إلى الأفهام، وتسهيلاً لسبيل الإدراك ﴿**والله بكل شيء عليم**﴾ قوله عزّ وجلّ:

فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾

﴿**في بيوت**﴾ أي ذلك المصباح يوقد في بيوت والمراد بالبيوت جميع المساجد، قال ابن عباس: المساجد

ولو لم تمسسه نار، تكاد محاسن محمد ﷺ تظهر للناس قبل أن يُوحى إليه نور على نور، نبي من نسل نبي، نور محمد على نور إبراهيم. وقال بعضهم: وقع هذا التمثيل لنور قلب المؤمن. روى أبو العالية عن أُبيّ بن كعب قال: هذا مثل المؤمن، فالمشكاة نفسه والزجاجة صدره، والمصباح ما جعل الله فيه من الإيمان، والقرآن في قلبه يوقد من شجرة مباركة وهي الإخلاص لله وحده، فمثله كمثل الشجرة التي التفّ بها الشجر خضراء ناعمة لا تصيبها الشمس لا إذا طلعت ولا إذا غربت فكذلك المؤمن، قد احترس من أن يصيبه شيء من الفتن فهو بين أربع خلال إن أُعطيَ شكر وإن ابْتلي صَبر، وإن حكم عدل، وإن قال صدق، يكاد زيتها يضيء أي يكاد قلب المؤمن يعرف الحق قبل أن يتبيّن له لموافقته إيّاه نور على نور. قال أُبيّ فهو يتقلّب في خمسة أنوار. قوله: ﴿ **نور** ﴾ وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره إلى النور يوم القيامة. قال ابن عباس: هذا مثل نور الله وهداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسّه النار، فإذا مسّته النار ازداد ضوءاً على ضوئه، كذلك يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم، فإذا جاءه العلم ازداد هدىً على هدى ونوراً على نور، يعني إيمان المؤمن وعمله. وقال السدي: نور الإيمان ونور القرآن. وقال الحسن وابن زيد: هذا مثل القرآن، فالمصباح هو القرآن فكما يُستضاء بالمصباح يُهتدى بالقرآن، والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة فمه ولسانه والشجرة المباركة شجرة الوحي، ﴿ **يكاد زيتها يضيء** ﴾ تكاد حجّة القرآن تتّضح وإن لم يقرأ نور على نور يعني القرآن نور من الله لخلقه مع ما أقام لهم من الدلائل والإعلام قبل نزول القرآن، فازداد بذلك نوراً على نور قوله تعالى: ﴿ **يهدي الله لنوره مَن يشاء** ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لدينُ الإسلام وهو نور البصيرة وقيل القرآن ﴿ **ويضرب الله الأمثال للناس** ﴾، يبيّن الله الأشياء للناس تقريباً للأفهام وتسهيلاً لسُبُل الإدراك، ﴿ **والله بكل شيء عليم** ﴾.

قوله: ﴿ **في بيوت أذن الله** ﴾، أي ذلك المصباح في بيوت. وقيل: يوقد في بيوت، والبيوت: هي المساجد،

بيوت الله في الأرض تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض وقيل: المراد بالبيوت أربعة مساجد لم يبنها إلا نبي الكعبة بناها إبراهيم وإسماعيل، فجعلاها قبلة، وبيت المقدس بناه داود وسليمان ومسجد المدينة بناه رسول الله ﷺ ومسجد قباء أسس على التقوى وبناه رسول الله ﷺ أيضاً ﴿أذن الله أن ترفع﴾ أي تبنى وقيل: تعظم فلا يذكر فيها الخنى من القول وتطهر عن الأنجاس والأقذار ﴿ويذكر فيها اسمه﴾ قال ابن عباس يتلى فيها كتابه ﴿يسبح له فيها﴾ أي يصلي له فيها ﴿بالغدو والآصال﴾ بالغداة والعشي قال أهل التفسير: أراد به الصلاة المفروضة فالتي تؤدّى بالغداة صلاة الفجر والتي تؤدى بالآصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين، لأن اسم الأصيل يقع على هذا الوقت كله وقيل: أراد به الصبح والعصر. عن أبي موسى الأشعري عن النبيّ ﷺ قال «من صلى صلاة البردين دخل الجنة أراد بالبردين صلاة الصبح، وصلاة العصر» وقال ابن عباس: التسبيح بالغدو صلاة الضحى والآصال صلاة العصر عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ «من خرج من بيته متطهراً إلى صلاة مكتوبة كان أجره كأجر الحاج المحرم، ومن خرج إلى المسجد إلى تسبيح الضحى لا يعنيه إلا ذاك كان أجره كأجر المعتمر وصلاة على أثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين» أخرجه أبو داوود.

رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ

قال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: المساجد بيوت الله في الأرض، وهي تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض. وروى صالح بن حيّان عن ابن بريدة في قوله تعالى: ﴿ في بيوت أذن الله ﴾، قال: إنما هي أربعة مساجد لم يبنها إلاّ نبيّ الكعبة بناها إبراهيم وإسماعيل فجعلاها قِبلة، وبيت المقدس بناه داود وسليمان، ومسجد المدينة بناه رسول الله ﷺ، ومسجد قباء أسّس على التقوى بناه رسول الله ﷺ. قوله: ﴿ أن ترفع ﴾، قال مجاهد أن تُبنى نظيره قوله تعالى: ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت ﴾ [البقرة: ١٢٧] قال الحسن: أي تعظم أي لا يذكر فيه الخنَا مِنَ القول. ﴿ ويذكر فيها اسمه ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: يتلى فيها كتابه، ﴿ يسبّح ﴾، قرأ ابن عامر وأبو بكر ﴿ يسبَّح ﴾ بفتح الباء على غير تسمية الفاعل والوقف على هذه القراءة عند قوله: ﴿ والآصال ﴾ [النور: ٣٦] وقرأ الآخرون بكسر الباء جعلوا التسبيح فعلاً للرجال، ﴿ يسبّح له ﴾ أي: يصلّي، ﴿ له فيها بالغدو والآصال ﴾، أي بالغداة والعشي. قال أهل التفسير أراد به الصلوات المفروضات. فالتي تؤدّى بالغداة صلاة الصبح والتي تؤدّى بالآصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين لأن اسم الأصيل يجمعهما. وقيل: أراد به صلاة الصبح والعصر. أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحيري أنا محمد بن أحمد بن محمد بن معقل الميداني ثنا ومحمد بن يحيىٰ أنا عبد الله بن رجاء أنا همّام بن أبي حمزة أن أبا بكر بن عبد الله بن قيس حدّثه عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «مَن صلّى البردين دخل الجنّة»، ورُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: التسبيح بالغدو صلاة الضحى، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن السمعان أنا أبو جعفر الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا عبد الله بن يوسف أنا الهيثم بن حميد أخبرني يحيىٰ بن الحارث عن القاسم بن عبد الرحمن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن مشى إلى صلاة مكتوبة وهو متطهّر فأجرُه كأجْر الحاجّ المحرم، ومَن مشى إلى تسبيح الضحى لا ينصبه إلاّ إيّاه فأجره كأجر المعتمر، وصلاة على أثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين».

﴿حِسَابَهُۥ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾

﴿**رجال**﴾ قيل خص الرجال بالذكر في هذه المساجد، لأن النساء ليس عليهن حضور المساجد لجمعة ولا جماعة ﴿**لا تلهيهم**﴾ أي لا تشغلهم ﴿**تجارة**﴾ وقيل خص التجارة بالذكر لأنها أعظم ما يشتغل الإنسان به عن الصلوات، والطاعات وأراد بالتجارة الشراء وإن كان اسم التجارة يقع على البيع والشراء جميعاً، لأنه ذكر البيع بعده وقيل التجارة لأهل الجلب والبيع ما باعه الرجل على يده ﴿**ولا بيع**﴾ أي ولا يشغلهم بيع ﴿**عن ذكر الله**﴾ أي حضور المساجد لإقامة الصلوات ﴿**وإقام الصلاة**﴾ يعني إقامة الصلاة في وقتها لأن من أخر الصلاة عن وقتها لا يكون من مقيمي الصلاة، وروي عن ابن عمر أنه كان في السوق فأقيمت الصلاة فقام الناس وأغلقوا حوانيتهم، ودخلوا المسجد فقال ابن عمر فيهم نزلت هذه الآية «رجال لا تلهيهم تجارة، ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة» ﴿**وإيتاء الزكاة**﴾ يعني المفروضة قال ابن عباس إذا حضر، وقت أداء الزكاة لا يحبسونها ﴿**يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار**﴾ يعني أن هؤلاء الرجال، وإن بالغوا في ذكر الله والطاعات فإنهم مع ذلك وجلون خائفون لعلمهم بأنهم ما عبدوا الله حق عبادته. قيل: إن القلوب تضطرب من الهول والفزع وتشخص الأبصار. وقيل: تتقلب القلوب عما كانت عليه في الدنيا من الشك إلى اليقين وترفع عن الأبصار الأغطية. وقيل: تتقلب القلوب بين الخوف والرجاء فتخشى الهلاك وتطمع في النجاة، وتتقلب الأبصار من هول ذلك اليوم، من أي ناحية يؤخذ بهم أمن ذات اليمين، أم من ذات الشمال ومن أي يؤتون كتبهم أمن اليمين أم من قبل الشمال؟ وقيل: يتقلب القلب في الجوف، فيرتفع إلى الحنجرة فلا ينزل ولا يخرج ويتقلب البصر فيشخص من هول الأمر وشدته ﴿**ليجزيهم الله أحسن ما عملوا**﴾ يعني أنهم اشتغلوا بذكر الله وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة ليجزيهم الله أحسن ما عملوا والمراد بالأحسن الحسنات كلها وهي الطاعات فرضها ونفلها، وذكر الأحسن تنبيهاً على أنه لا يجازيهم على مساوىء أعمالهم، بل يغفرها لهم وقيل: إنه سبحانه وتعالى يجزيهم جزاء أحسن من أعمالهم، على الواحد من عشرة إلى سبعمائة ضعف ﴿**ويزيدهم من فضله**﴾ يعني أنه سبحانه وتعالى يجزيهم بأحسن أعمالهم ولا يقتصر على ذلك بل يزيدهم من فضله ﴿**والله يرزق من يشاء بغير حساب**﴾ فيه تنبيه على كمال قدرته وكمال جوده وسعة إحسانه وفضله. قوله تعالى:

﴿**والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة**﴾ لما ضرب مثلاً لحال المؤمن وأنه في الدنيا والآخرة في نور، وأنه فائز بالنعيم المقيم، أتبعه بضرب مثل لأعمال الكفار، وشبهه بالسراب وهو شبه ماء يرى نصف النهار عند شدة الحر في البراري يظنه من رآه ماء، فإذا قرب منه لم ير شيئاً. والقيعة القاع وهو المنبسط من الأرض وفيه يكون السراب ﴿**يحسبه**﴾ أي يتوهمه ﴿**الظمآن**﴾ أي العطشان ﴿**ماء حتى إذا جاءه**﴾ أي جاء ما قدر أنه ماء وقيل: جاء إلى موضع السراب ﴿**لم يجده شيئاً**﴾ أي لم يجده على ما قدره وظنه ووجه التشبيه أن الذي يأتي به الكافر من أعمال البر، يعتقد

قوله: ﴿ **رجال** ﴾، قيل: خصّ الرجال بالذكر في هذه المساجد لأنه ليس على النساء جمعة ولا جماعة في

ثم ابتدأ فقال: ﴿ **ظلمات** ﴾، ﴿ **بعضها فوق بعض** ﴾، ظلمة السحاب وظلمة الموج وظلمة البحر بعضها فوق بعض، أي: ظلمة الموج على ظلمة البحر وظلمة الموج فوق الموج، وظلمة السحاب على ظلمة الموج، وأراد بالظلمات أعمال الكافر وبالبحر اللجي قلبه، وبالموج ما يغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة، وبالسحاب الختم والطبع على قلبه. قال أُبي بن كعب: في هذه الآية الكافر ينقلب في خمسة من الظلم: فكلامه ظلمة: وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة إلى النار. ﴿ **إذا أخرج** ﴾، يعني الناظر،

أنه له ثواباً عند الله وليس كذلك فإذا وافى عرصات القيامة لم يجد الثواب الذي كان يظنه، بل وجد العقاب العظيم والعذاب الأليم فعظمت حسرته، وتناهى غمه فشبه حاله بحال الظمآن الذي اشتدت حاجته إلى الماء، فإذا شاهد السراب في البر تعلق قلبه به فإذا جاءه لم يجده شيئاً فكذلك حال الكافر يحسب أن عمله، نافعة فإذا احتاج إلى عمله لم يجده أغنى عنه شيئاً ولا نفعه ﴿**ووجد الله عنده**﴾ أي وجد الله بالمرصاد وقيل: قدم على الله ﴿**فوفاه حسابه**﴾ أي جزاء عمله ﴿**والله سريع الحساب**﴾ معناه أنه عالم بجميع المعلومات فلا تشغله محاسبة واحد عن واحد. ثم ضرب للكفار مثلاً آخر فقال تعالى ﴿**أو كظلمات**﴾ أعلم الله سبحانه وتعالى أن أعمال الكفار إن كانت حسنة، فهي كسراب بقيعة وإن كانت قبيحة فهي كظلمات، وقيل: معناه إن مثل أعمالهم في فسادها، وجهالتهم فيها كظلمات ﴿**في بحر لجي**﴾ أي عميق كثير الماء ولجة البحر معظمه ﴿**يغشاه**﴾ أي يعلوه ﴿**موج من فوقه موج**﴾ أي متراكم ﴿**من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض**﴾ معناه أن البحر اللجي يكون قعره مظلماً جداً بسبب غمورة الماء، فإذا ترادفت الأمواج ازدادت الظلمة فإذا كان فوق الأمواج سحاب بلغت الظلمة النهاية القصوى ﴿**إذا أخرج يده لم يكد يراها**﴾ أي لم يقرب أن يراها لشدة الظلمة وقيل: معناه لم يرها إلا بعد الجهد وقيل: لما كانت اليد من أقرب شيء يراه الإنسان قال: لم يكد يراها، ووجه التشبيه أن الله ذكر ثلاثة أنواع من الظلمات: ظلمة البحر وظلمة الأمواج وظلمة السحاب، وكذلك الكافر له ثلاث ظلمات ظلمة الاعتقاد وظلمة القول وظلمة العمل وقيل: شبه بالبحر اللجي قلبه، وبالموج ما يتغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة، وبالسحاب الختم والطبع على قلبه. قال أبيّ بن كعب: الكافر يتقلب في خمس من الظلم كلامه ظلمة وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة، ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة في النار ﴿**ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور**﴾ قال ابن عباس من لم يجعل الله له ديناً وإيماناً، فلا دين له وقيل من لم يهده الله فلا هادي له قيل نزلت هذا الآية في عتبة بن ربيعة بن أمية، كان يلتمس الدين في الجاهلية ولبس المسوح فلما جاء الإسلام كفر وعاند، والأصح أن الآية عامة في حق جميع الكفار. قوله عزّ وجلّ:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾

﴿**ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات**﴾ أي باسطات أجنحتهن في الهواء قيل خص

﴿ **يده لم يكد يراها** ﴾، يعني لم يقرب من أن يراها من شدّة الظلمة. وقال الفرّاء: ﴿ **يكد** ﴾ صلة أي لم يرها، قال المبرّد: يعني لم يرها إلّا بعد الجهد، كما يقول القائل: ما كدت أراك من الظلمة وقد رآه، ولكن بعد يأس وشدّة. وقيل: معناه قرب من رؤيتها ولم يرها، كما يقال: كاد النعام يطير. ﴿ **وَمَن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور** ﴾، قال ابن عباس: مَن لم يجعل الله له ديناً وإيماناً فلا دين له. وقيل: مَن لم يهده الله فلا إيمان له ولا يهديه أحد. وقال مقاتل: نزلت هذه الآية في عتبة بن ربيعة بن أمية كان يلتمس الدين في الجاهلية ويلبس المسوح فلما جاء الإسلام كفر. والأكثرون على أنه عامّ في جميع الكفّار.

قوله تعالى: ﴿ **ألم ترَ أن الله يسبّح له مَن في السمٰواتِ والأرضِ والطيرُ صافّاتٍ** ﴾، باسطات أجنحتهنّ

الطير بالذكر من جملة الحيوان لأنها تكون بين السماء والأرض، فتكون خارجة عن حكم من في السموات والأرض ﴿كل قد علم صلاته وتسبيحه﴾ قيل: الصلاة لبني آدم والتسبيح لسائر الخلق وقيل إن ضرب أجنحة الطير صلاته وتسبيحه، وقيل: معناه إن كل مصل ومسبح علم الله صلاته وتسبيحه وقيل معناه كل مصل ومسبح منهم قد علم صلاة نفسه وتسبيحه ﴿والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والأرض﴾ أي إن جميع الموجودات ملكه وفي تصرفه وعنه نشأت ومنه بدأت فهو واجد الوجود وقيل معناه أن خزائن المطر والرزق بيده ولا يملكها أحد سواه ﴿وإلى الله المصير﴾ أي وإلى الله مرجع العباد بعد الموت. قوله تعالى ﴿ألم تر أن الله يزجي﴾ أي يسوق ﴿سحاباً﴾ بأمره إلى حيث يشاء من أرضه وبلاده ﴿ثم يؤلف بينه﴾ أي يجمع بين قطع السحاب المتفرقة بعضها إلى بعض ﴿ثم يجعله ركاماً﴾ أي متراكماً بعضه فوق بعض ﴿فترى الودق﴾ أي المطر ﴿يخرج من خلاله﴾ أي من وسطه وهو مخارج القطر ﴿وينزل من السماء من جبال فيها من برد﴾ قيل معناه وينزل من جبال من السماء وتلك الجبال من برد. قال ابن عباس: أخبر الله أن في السماء جبالاً من برد وقيل معناه وينزل من السماء مقدار جبال في الكثرة من برد. فإن قلت: ما الفرق بين من الأولى والثانية والثالثة. قلت: من الأولى لابتداء الغاية لأن ابتداء الإنزال من السماء والثانية للتبعيض لأن ما ينزله الله بعض تلك الجبال التي في السماء، والثالثة للتجنيس لأن تلك الجبال من جنس البرد ﴿فيصيب به﴾ أي البرد ﴿من يشاء﴾ فيهلكه وأمواله ﴿ويصرفه عمن يشاء﴾ أي فلا يضره ﴿يكاد سنا برقه﴾ أي ضوء

بالهواء. قيل: خصّ الطير بالذكر من جملة الحيوان لأنها تكون بين السماء والأرض فتكون خارجة عن حكم مَن في السماء والأرض، ﴿ كلٌّ قد علم صلاتَه وتسبيحه ﴾، قال مجاهد: الصلاة لبني آدم، والتسبيح لسائر الخلق. وقيل إن ضرب الأجنحة صلاة الطير وصوته تسبيحه. قوله: ﴿ كلٌّ قد علم ﴾ أي: كلّ مُصَلٍّ ومسبِّح علم الله صلاته وتسبيحه. وقيل: معناه كل مُصَلٍّ ومُسبِّح منهم قد علم صلاة نفسه وتسبيحه، ﴿ والله عليم بما يفعلون ﴾.

﴿ ولله ملكُ السمٰوات والأرض وإلى الله المصير ﴾.

﴿ ألم ترَ أن الله يُزجي ﴾، يعني يسوق بأمره، ﴿ سحاباً ﴾، إلى حيث يريد، ﴿ ثم يُؤلّف بينه ﴾، يعني يجمع بين قطع السحاب المتفرّقة بعضها إلى بعض، ﴿ ثم يجعله ركاماً ﴾، متراكماً بعضه فوق بعض، ﴿ فترى الودق ﴾، يعني المطر، ﴿ يخرج من خلاله ﴾، وسطه وهو جمع الخلل، كالجبال جمع الجبل. ﴿ ويُنزّل من السماء من جبال فيها من برد ﴾، يعني: ينزل البرد، و﴿ من ﴾ صلة، وقيل: معناه وينزل من السماء من جبال أي مقدار جبال في الكثرة من البرد، و﴿من﴾ في قوله: ﴿من جبال﴾ صلة أي: وينزل من السماء جبالاً من برد. وقيل المسجد، ﴿ لا تُلهيهم ﴾، لا تشغلهم، ﴿ تجارة ﴾، قيل: خصّ التجارة بالذكر لأنها أعظم ما يشتغل به الإنسان عن الصلاة والطاعات، وأراد بالتجارة الشراء وإن كان اسم التجارة يقع على البيع والشراء جميعاً لأنه ذكر البيع بعد هذا، كقوله: ﴿ وإذا رأوا تجارة ﴾ [الجمعة: ١١] يعني الشراء، وقال الفرّاء: التجارة لأهل الجلب والبيع ما باعه الرجل على يديه. قوله: ﴿ ولا بيعٌ عن ذكر الله ﴾، عن حضور المساجد لإقامة الصلاة، ﴿ وإقام ﴾، أي: لإقامة، ﴿ الصلاة ﴾، حذف الهاء وأراد أداءها في وقتها لأن من أخّر الصلاة عن وقتها لا يكون من مُقيمي الصلاة وأعاد ذكر إقامة الصلاة مع أن المراد من ذكر الله الصلوات الخمس لأنه أراد بإقام الصلاة حفظ المواقيت. روى سالم عن ابن عمر أنه كان في السوق فأُقيمت الصلاة فقام الناس وأغلقوا حوانيتهم فدخلوا المسجد، فقال ابن عمر: فيهم نزلت: ﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام ﴾. ﴿ وإيتاء الزكاة ﴾، المفروضة، قال ابن عباس رضي الله عنه: إذا حضر وقت أداء الزكاة لم يحبسوها. وقيل: هي الأعمال الصالحة. ﴿ يخافون يوماً تتقلّب فيه القلوب

برق السحاب ﴿يذهب بالأبصار﴾ أي من شدة ضوئه وبريقه ﴿يقلب الله الليل والنهار﴾ أي يصرفهما في اختلافهما وتعاقبهما فيأتي بالليل ويذهب بالنهار ويأتي بالنهار ويذهب بالليل (ق) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ قال الله تعالى «يؤذيني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر بيدي الأمن أقلب الليل والنهار». معنى هذا الحديث: أن العرب كانوا يقولون عند النوازل والشدائد أصابنا الدهر ويذمونه في أشعارهم فقيل لهم: لا تسبوا الدهر فإن فاعل ذلك هو الله عز وجل والدهر مصرف تقع فيه التأثيرات كما تقع بكم، وقوله تعالى ﴿إن في ذلك﴾ أي الذي ذكر من هذه الأشياء ﴿لعبرة لأولي الأبصار﴾ أي دلالة لأهل العقول والبصائر على قدرة الله وتوحيده.

قوله عز وجل ﴿والله خلق كل دابة من ماء﴾ أي من نطفة وأراد به كل حيوان يشاهد في الدنيا ولا يدخل فيه الملائكة والجن، لأنا لا نشاهدهم وقيل: إن أصل جميع الخلق من الماء وذلك أن الله خلق ماء فجعل بعضه ريحاً ونوراً فخلق منه الملائكة وجعل بعضه ناراً فخلق منه الجن، وجعل بعضه طيناً فخلق منه آدم ﴿فمنهم من يمشي على

والأبصار ﴾، قيل: تتقلّب القلوب عمّا كانت عليه في الدنيا من الشرك والكفر، وتنفتح أبصار من الأغطية، وقيل: تتقلب القلوب بين الخوف والرجاء تخشى الهلاك وتطمع في النجاة، وتقلب الأبصار من هَوْله أي: ناحيةً ويؤخذ بهم ذات اليمين أم ذات الشمال، ومن أين يؤتون الكتب أم من قبل الإيمان أم من قبل الشمائل، وذلك يوم القيامة. وقيل: فتقلّب القلوب في الجوف فترتفع إلى الحنجرة فلا تنزل ولا تخرج، وتقلب البصر شخوصه من هول الأمر وشدّته.

﴿ ليجزيهم الله أحسنَ ما عملوا ﴾، يريد أنهم اشتغلوا بذكر الله وإقامَ الصلاة وإيتاء الزكاة ليجزيهم الله أحسن ما عملوا، أي بأحسن ما عملوا، يريد يجزيهم بحسناتهم، وما كان من مساوىء أعمالهم لا يجزيهم بها، ﴿ ويزيدهم من فضله ﴾، ما لم يستحقّوه بأعمالهم، ﴿ والله يرزق مَن يشاء بغير حساب ﴾، ثم ضرب لأعمال الكفّار مثلاً.

فقال تعالى: ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة ﴾، السراب الشعاع الذي يرى نصف النهار عند شدّة الحرّ في البراري، يشبه الماء الجاري على الأرض يظنه مَن رآه ماء، فإذا قرب منه انفشّ فلم يَرَ شيئاً، والأل ما ارتفع من الأرض وهو شعاع يرى بين السماء والأرض بالغدوات شبه الملاءة يرفع فيه الشخوص يرى فيه الصغير كبيراً والقصير طويلاً، والرقراق يكون بالعشايا وهو ما ترقرق من السراب، أي جاء وذهب. والقيعة: جمع القاع وهو المنبسط الواسع من الأرض، وفيه يكون السراب، ﴿ يحسبه الظمآن ﴾، أي يتوهمه العطشان، ﴿ ماءً حتى إذا جاءه ﴾ أي: جاء ما قدر رأى أنه ماء. وقيل: جاء موضع السراب، ﴿ لم يجده شيئاً ﴾، على ما قدّره وحسبه، كذلك الكافر يحسب أن عمله نافعه فإذا أتاه ملك الموت واحتاج إلى عمله لم يجد عمله أغنى منه شيئاً ولا نفعه. ﴿ ووجد الله عنده ﴾، أي عند عمله، أي وجد الله بالمرصاد. وقيل: قَدِمَ على الله، ﴿ فوفاه حسابه ﴾، أي جزاء عمله، ﴿ والله سريع الحساب ﴾.

﴿ أو كظلمات ﴾، وهذا مثل آخر ضربه الله لأعمال الكفّار، يقول مثل أعمالهم من فسادها وجهالتهم فيها كظلمات، ﴿ في بحر لجي ﴾، وهو العميق الكثير الماء، ولجة البحر معظمه، ﴿ يغشاه ﴾، يعلوه، ﴿ موج من فوقه موج ﴾، متراكم، ﴿ من فوقه سحاب ﴾، قرأ ابن كثير برواية القواس ﴿ سحاب ﴾ بالرفع والتنوين، ﴿ ظلمات ﴾، بالجر على البدل من قوله: ﴿ أو كظلمات ﴾. وروى أبو الحسن البري عنه: ﴿ سحاب ظلمات ﴾ بالإضافة، وقرأ الآخرون ﴿ سحاب ظلمات ﴾ كلاهما بالرفع والتنوين، فيكون تمام الكلام عند قوله: ﴿ سحاب ﴾

بطنه﴾ أي كالحيات والحيتان والديدان ونحو ذلك ﴿**ومنهم من يمشي على رجلين**﴾ يعني مثل بني آدم والطير ﴿**ومنهم من يمشي على أربع**﴾ يعني كالبهائم والسباع. فإن قلت كيف قال: خلق كل دابة من ماء مع أن كثيراً من الحيوانات يتولد من غير نطفة. قلت ذلك المخلوق من غير نطفة، لا بد أن يتكون من شيء، وذلك الشيء أصله من الماء فكان من الماء. فإن قلت: فمنهم من يمشي ضمير العقلاء، فلم يستعمل في غير العقلاء. قلت ذكر الله تعالى ما لا يعقل مع من يعقل لأن جعل الشريف أصلاً، والخسيس تبعاً أولى. فإن قلت: لم قدم ما يمشي على بطنه على غيره من المخلوقات. قلت قدم الأعجب، والأعرف في القدرة وهو الماشي بغير آلة المشي، وهي الأرجل والقوائم ثم ذكر ما يمشي على رجلين ثم ما يمشي على أربع. فإن قلت: لم اقتصر على ذكر الأربع وفي الحيوانات ما يمشي على أكثر من أربع، كالعناكب والعقارب والرتيلا وما له أربع وأربعون رجلاً ونحو ذلك. قلت هذا القسم كالنادر فكان ملحقاً بالأغلب وقيل: إن هذه الحيوانات اعتمادها على أربع في المشي والباقي تبع لها ﴿**يخلق الله ما يشاء**﴾ أي مما لا يعقل ولا يعلم ﴿**إن الله على كل شيء قدير**﴾ أي هو القادر على الكل العالم بالكل المطلع على الكل، يخلق ما يشاء كما يشاء لا يمنعه مانع ولا دافع.

معناه وينزل من جبال في السماء تلك الجبال من برد. وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أخبر الله عزّ وجلّ أن في السماء جبالاً من برد، ومفعول الإنزال محذوف تقديره: وينزل من السماء من جبال فيها برد، فاستغنى عن ذكر المفعول للدلالة عليه. قال أهل النحو ذكر الله تعالى ﴿ من ﴾ ثلاث مرات في هذه الآية فقوله: ﴿ **من السماء** ﴾ لابتداء الغاية لأن ابتداء الإنزال من السماء، وقوله تعالى: ﴿ **من جبال** ﴾ للتبعيض لأن ما ينزله الله تعالى بعض تلك الجبال التي في السماء، وقوله تعالى: ﴿ **من برد** ﴾ للتجنيس لأن تلك الجبال من جنس البرد. ﴿ **فيصيب به** ﴾، يعني بالبرد ﴿ **مَن يشاء** ﴾، فيهلك زروعه وأمواله، ﴿ **ويصرفه عمّن يشاء** ﴾، فلا يضرّه، ﴿ **يكاد سنا برقه** ﴾ يعني ضوء برق السحاب، ﴿**يذهب بالأبصار**﴾، من شدّة ضوئه وبريقه، وقرأ أبو جعفر يذهب بضم الياء وكسر الهاء.

﴿ **يُقلّب اللّهُ الليلَ والنهارَ** ﴾، يصرفهما في اختلافهما وتعاقبهما يأتي بالليل ويذهب بالنهار ويذهب بالليل، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبد الحميد أنا سفيان أنا الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: «يؤذيني ابن آدم، يسبّ الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر، أُقلّب الليل والنهار». قوله تعالى: ﴿ **إنّ في ذلك** ﴾، يعني في ذلك الذي ذكرت من هذه الأشياء، ﴿ **لعبرة لأولي الأبصار** ﴾، يعني دلالة لأهل العقول والبصائر على قدرة الله تعالى وتوحيده.

قوله تعالى: ﴿ **والله خلق كلّ دابّة** ﴾، قرأ حمزة والكسائي «خالق كل» بالإضافة، وقرأ الآخرون ﴿ **خلق كل** ﴾ على الفعل، ﴿ **من ماء** ﴾، يعني من نطفة وأراد به كل حيوان يشاهد في الدنيا ولا يدخل فيه الملائكة ولا الجن، لأنّا لا نشاهدهم. وقيل: أصل جميع الخلق من الماء، وذلك أن الله تعالى خلق ماء ثم جعل بعضه ريحاً فخلق منها الملائكة، وبعضه ناراً فخلق منها الجن، وبعضها طيناً فخلق منها آدم، ﴿ **فمنهم مَن يمشي على بطنه** ﴾، كالحيّات والحيتان والديدان، ﴿ **ومنهم مَن يمشي على رجلين** ﴾، مثل بني آدم والطير، ﴿ **ومنهم مَن يمشي على أربع** ﴾، كالبهائم والسّباع، ولم يذكر مَن يمشي على أكثر من أربع مثل حشرات الأرض لأنها في الصورة كالتي يمشي على الأربع، وإنما قال: ﴿ **مَن يمشي** ﴾، و﴿ مَن ﴾ إنما تستعمل فيمن يعقل دون مَن لا يعقل من الحيات والبهائم، لأنه ذكر كل دابّة، فدخل فيه الناس وغيرهم، وإذا جمع اللفظ مَن يعقل ومَن لا يعقل تجعل الغلبة لمَن يعقل. ﴿ **يخلق الله ما يشاء إنّ الله على كل شيء قدير** ﴾.

لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ
وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا
فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ
عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟
سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾
۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ
أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ
إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا
ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا
يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾

﴿لقد أنزلنا آيات مبينات﴾ يعني القرآن هو المبين للهدى والأحكام والحلال والحرام **﴿والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾** يعني إلى دين الإسلام الذي هو دين الله وطريقه إلى رضاه وجنته. قوله تعالى **﴿ويقولون﴾** يعني المنافقين **﴿آمنا بالله وبالرسول وأطعنا﴾** أي يقولونه: بألسنتهم من غير اعتقاد **﴿ثم يتولى فريق منهم﴾** أي يعرض عن طاعة الله ورسوله **﴿من بعد ذلك﴾** أي من بعد قولهم آمنا، ويدعو إلى غير حكم الله قال الله تعالى **﴿وما أولئك بالمؤمنين﴾** نزلت هذا الآية في بشر المنافق، كان بينه وبين يهودي خصومة في أرض، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد ﷺ وقال المنافق بل نتحاكم إلى كعب بن الأشرف فإن محمداً يحيف فأنزل الله هذه الآية **﴿وإذا دعوا إلى الله**

﴿ لقد أنزلنا ﴾، إليك، **﴿ آياتٍ مبيّناتٍ والله يهدي مَن يشاء إلى صراط مستقيم ﴾**.

﴿ ويقولون آمنّا بالله وبالرسول وأطعنا ﴾. يعني المنافقين. يقولونه، **﴿ ثم يتولى ﴾**، يعرض عن طاعة الله ورسوله، **﴿ فريقٌ منهم من بعد ذلك ﴾**، أي من بعد قولهم آمنّا، ويدعو إلى غير حكم الله. قال الله تعالى: **﴿ وما أولئك بالمؤمنين ﴾**، نزلت هذه الآية في بشر المنافق كانت بينه وبين رجل من اليهود خصومة في أرض، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد ﷺ، وقال المنافق نتحاكم إلى كعب بن الأشرف، فإن محمداً يحيف علينا، فأنزل الله هذه الآية.

﴿ وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم ﴾، الرسول يحكم بحكم الله، **﴿ إذا فريقٌ منهم مُعرِضون ﴾**، يعني عن الحكم. وقيل: عن الإجابة.

﴿ وإنْ يكن لهم الحق يأتوا إليه مُذعنين ﴾، مطيعين منقادين لحكمه، يعني إذا كان الحق لهم على غيرهم أسرعوا إلى حكمه لثقتهم بأنه كما يحكم عليهم بالحق يحكم لهم أيضاً بالحق.

﴿ أفي قلوبهم مرض أمِ ارْتابُوا ﴾، يعني شكّوا، هذا استفهام ذمّ وتوبيخ، يعني هم كذلك، **﴿ أم يخافون أن يَحِيفَ اللّهُ عليهم ورسولهُ ﴾**، يعني بظلم، **﴿ بلْ أولئك همُ الظالمون ﴾** لأنفسهم بإعراضهم عن الحق.

ورسوله ليحكم بينهم﴾ أي الرسول يحكم بحكم الله بينهم ﴿إذا فريق منهم معرضون﴾ يعني عن الحكم وقيل عن الإجابة ﴿وإن لم يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين﴾ أي مطيعين منقادين لحكمه أي إذا كان الحكم لهم على غيرهم أسرعوا إلى حكمه لثقتهم أنه، كما يحكم عليهم بالحق يحكم لهم أيضاً ﴿في قلوبهم مرض﴾ أي كفر ونفاق ﴿أم ارتابوا﴾ أي شكوا وهذا استفهام ذم وتوبيخ، والمعنى هم كذلك ﴿أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله﴾ أي بظلم ﴿بل أولئك هم الظالمون﴾ أي لأنفسهم بإعراضهم عن الحق. قوله عزّ وجلّ ﴿إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله﴾ أي إلى كتاب الله ﴿ورسوله ليحكم بينهم﴾ هذا تعليم أدب الشرع على معنى أن المؤمنين كذا ينبغي أن يكونوا وهو ﴿أن يقولوا سمعنا﴾ أي الدعاء ﴿وأطعنا﴾ أي بالإجابة ﴿ وأولئك﴾ أي من هذه صفته ﴿هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله﴾ قال ابن عباس فيما ساءه وسره ﴿ويخش الله﴾ أي على ما عمل من الذنوب ﴿ويتقه﴾ أي فيما بعد ﴿فأولئك هم الفائزون﴾ يعني الناجون.

قوله تعالى ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ قيل: جهد اليمين أن يحلف بالله ولا يزيد على ذلك شيئاً ﴿لئن أمرتهم ليخرجن﴾ وذلك أن المنافقين كانوا يقولون لرسول الله ﷺ أينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا، ولئن أقمت أقمنا، ولئن أمرتنا بالجهاد جاهدنا وقيل لما نزل بيان كراهتهم لحكم الله ورسوله قالوا للنبيّ ﷺ لو أمرتنا أن نخرج من ديارنا، وأموالنا ونسائنا لخرجنا، فكيف لا نرضى بحكمك فقال الله تعالى ﴿قل﴾ لهم ﴿لا تقسموا﴾ يعني لا تحلفوا، وتم الكلام ثم ابتدأ فقال ﴿طاعة معروفة﴾ يعني هذه طاعة القول باللسان دون الاعتقاد بالقلب، وهي معروفة يعني أمر عرف منكم أنكم تكذبون، وتقولون ما لا تفعلون وقيل: معناه طاعة معروفة بنية خالصة أفضل وأمثل من يمين باللسان

﴿ إنّما كان قول المؤمنين إذا دُعوا إلى الله ورسوله ﴾، إلى كتاب الله ورسوله، ﴿ ليحكم بينهم ﴾، هذا ليس على طريق الخبر لكنه تعليم أدب الشرع على معنى أن المؤمنين كذا ينبغي أن يكونوا، ونصب القول على الخبر واسمه في قوله تعالى: ﴿ أن يقولوا سمعنا وأطعنا ﴾، يعني سمعنا الدعاء وأطعنا بالإجابة. ﴿ وأولئك همُ المفلحون ﴾.

﴿ ومَن يطع الله ورسولَه ويخشَ اللّهَ ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: فيما ساءه وسرّه ويخشى الله على ما عمل من الذنوب. ﴿ ويتّقه ﴾، فيما بعده، ﴿ فأولئك همُ الفائزون ﴾، الناجون، قرأ أبو عمرو وأبو بكر ﴿ يتّقه ﴾ ساكنة الهاء، ويختلسها أبو جعفر ويعقوب وقالون، كما في نظائرها ويشبعها الباقون كسراً، وقرأ حفص ﴿ يتّقه ﴾ بسكون القاف واختلاس الهاء، وهذه اللغة إذا سقطت الياء للجزم يسكّنون ما قبلها يقولون لم أشترْ طعاماً بسكون الراء.

قوله تعالى: ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم ﴾، جهد اليمين أن يحلف بالله ولا حلف فوق الحلف بالله، ﴿ لئن أمرتهم ليخرجنّ ﴾، وذلك أن المنافقين كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: أينما كنت نكن معك، لئن خرجتَ خرجنا وإن أقمت أقمنا وإن أمرتنا بالجهاد جاهدنا، فقال تعالى: ﴿ قلْ ﴾، لهم ﴿ لا تُقسموا ﴾، لا تحلفوا، وقد تمّ الكلام، ثم قال: ﴿ طاعةٌ معروفة ﴾، يعني هذه طاعة بالقول وباللسان دون الاعتقاد، وهي معروفة يعني أمر عـرف منكم أنكم تكذبون وتقولون ما لا تفعلون، هذا معنى قول مجاهد رضي الله عنه. وقيل: معناه طاعة معروفة بنيّة خالصة أفضل وأمثل من يمين باللسان لا يوافقها الفعل. وقال مقاتل بن سليمان لكن منكم طاعة معروفة. ﴿ إن الله خبير بما تعملون ﴾.

﴿ قلْ أطيعوا اللّهَ وأطيعوا الرسولَ فإن تولّوا ﴾، يعني تولّوا عن طاعة الله ورسوله، ﴿ فإنما عليه ما حُمِّلَ ﴾،

لا يوافقها الفعل ﴿إن الله خبير بما تعلمون﴾ يعني من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ يعني بقلوبكم وصدق نياتكم ﴿فإن تولوا﴾ يعني أعرضوا عن طاعة الله ورسوله ﴿فإنما عليه﴾ أي على الرسول ﴿ما حمل﴾ أي ما كلف وأمر به من تبليغ الرسالة ﴿وعليكم ما حملتم﴾ أي ما كلفتم من الإجابة والطاعة ﴿وإن تطيعوه تهتدوا﴾ أي تصيبوا الحق والرشد في طاعته ﴿وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ أي التبليغ الواضح البين. قوله عزّ وجلّ ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض﴾ قيل مكث النبيّ ﷺ بمكة بعد الوحي عشر سنين مع أصحابه، وأمروا بالصبر على أذى الكفار فكانوا يصبحون ويمسون خائفين ثم أمروا بالهجرة إلى المدينة وأمروا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق أحد منهم: سلاحه فقال رجل منهم أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فأنزل الله هذه الآية، ومعنى ليستخلفنهم والله ليورثنهم أرض الكفار من العرب والعجم، فجعلهم ملوكها وساستها وسكانها ﴿كما استخلف الذين من قبلهم﴾ أي كما استخلف داوُد وسليمان وغيرهما من الأنبياء، وكما استخلف بني إسرائيل وأهلك الجبابرة بمصر والشام وأورثهم أرضهم وديارهم ﴿وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى﴾ أي اختاره ﴿لهم﴾ قال ابن عباس يوسع لهم في البلاد حتى يملكوها ويظهر دينهم على سائر الأديان ﴿وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني﴾ آمنين ﴿لا يشركون بي شيئاً﴾ فأنجز الله وعده وأظهر دينه ونصر أولياءه وأبدلهم بعد الخوف أمناً وبسطاً في الأرض (خ) عن عدي بن حاتم قال: بينا أنا عند النبيّ ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل فقال: «يا عدي هل رأيت الحيرة قلت: لم أرها ولقد أنبئت عنها قال فإن طالت بك حياة فلترين الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله قلت فيما بيني وبين نفسي،

يعني على الرسول ما كُلِّف وأُمر به من تبليغ الرسالة، ﴿ وعليكم ما حُمِّلتم ﴾، من الإجابة والطاعة، ﴿ وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلاّ البلاغ المبين ﴾، أي التبليغ البيّن.

قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحاتِ ليستخلفنَّهم في الأرض ﴾، قال أبو العالية: في هذه الآية مكث النبي ﷺ بمكة بعد الوحي عشر سنين مع أصحابه، وأُمروا بالصبر على أذى الكفّار، وكانوا يصبِحُون ويُمسُون خائفين ثم أُمروا بالهجرة إلى المدينة، وأُمروا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق أحد منهم سلاحه فقال رجل منهم: أمَا يأتي علينا يوم نؤمن فيه ونضع السلاح، فأنزل الله هذه الآية: ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم ﴾ أدخل اللام لجواب اليمين المضمرة، يعني والله ليستخلفنّهم أي ليورثنّهم أرض الكفّار من العرب والعجم، فيجعلهم ملوكها وساستها وسكّانها، ﴿ كما استخلف الذين من قبلهم ﴾، قرأ أبو بكر عن عاصم ﴿ كما استخلف ﴾ بضم التاء وكسر اللام على ما لم يُسَمَّ فاعله، وقرأ الآخرون بفتح التاء واللام لقوله تعالى: ﴿ وعد الله ﴾ قال قتادة: ﴿ كما استخلف ﴾ داود وسليمان وغيرهما من الأنبياء. وقيل: كما استخلف الذين من قبلهم أي بني إسرائيل حيث أهلك الجبابرة بمصر والشام وأورثهم أرضهم وديارهم، ﴿ وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم ﴾، أي اختار، قال ابن عباس: يوسع لهم في البلاد حتى يملكوها ويُظهِر دينهم على سائر الأديان، ﴿ وليبدلنّهم ﴾، قرأ ابن كثير وأبو بكر ويعقوب بالتخفيف من الإبدال، وقرأ الآخرون بالتشديد من التبديل، وهما لغتان، وقال بعضهم: التبديل تغيّر حال إلى حال، والإبدال رفع الشيء وجعل غيره مكانه، ﴿ من بعد خوفهم أمناً يعبدونني ﴾، آمنين، ﴿ لا يشركون بي شيئاً ﴾ فأنجز الله وعده وأظهر دينه ونصر أوليائه وأبدلهم بعد الخوف أمناً وبسطاً في الأرض. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن الحكم أنا النضر أنا إسرائيل أنا سعيد الطاهري أنا محمد بن خليفة عن عديّ بن حاتم قال: بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكى إليه الفاقة، ثم أتاه رجل فشكى إليه قطع السبيل، فقال: «يا

فأين دعار طيىء الذين قد سعروا البلاد، ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى قلت كسرى بن هرمز قال كسرى بن هرمز ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه وليلقين الله أحدكم يوم القيامة، وليس بينه وبينه ترجمان يترجم فليقولن ألم أبعث إليك رسولاً، فيبلغك فيقول بلى يا رب، ألم أعطك مالاً وأفضل عليك فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم، وينظر عن شماله فلا يرى إلا جهنم» قال عدي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة» قال عدي: فرأيت الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال أبو القاسم ﷺ: يخرج الرجل ملء كفه ذهباً إلخ.

وفي الآية دليل على صحة خلافة أبي بكر الصديق والخلفاء الراشدين بعده، لأن في أيامهم كانت الفتوحات العظيمة وفتحت كنوز كسرى وغيره من الملوك، وحصل الأمن والتمكين وظهور الدين عن سفينة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً» ثم قال: أمسك خلافة أبي بكر سنتين وخلافة عمر عشر سنين، وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة وعلي ستاً قال علي: قلت لحماد القائل لسعيد أمسك سفينة قال نعم» أخرجه أبو داود والترمذي بنحو هذا اللفظ. قلت: كذا ورد هذا الحديث بهذا التفصيل، وفيه إجمال وتفصيله أن خلافة أبي بكر كانت سنتين وثلاثة أشهر، وخلافة عمر كانت عشر سنين وستة أشهر وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة كما ذكر في الحديث، وخلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر ولهذا جاء في بعض روايات الحديث على كذا، ولم يبين تعيين مدته فعلى هذا التفصيل تكون مدة خلافة الأئمة الأربعة تسعة وعشرين سنة وستة أشهر، وكملت ثلاثين سنة بخلافة الحسن كانت ستة أشهر ثم نزل عنها والله أعلم، وقوله تعالى ﴿**ومن كفر بعد ذلك**﴾ أراد به كفران النعمة ولم يرد الكفران بالله ﴿**فأولئك هم الفاسقون**﴾ أي العاصون قال أهل التفسير: أول من كفر بهذه النعمة وجحد حقها الذين قتلوا عثمان، فلما قتلوه غير الله ما بهم وأدخل عليهم الخوف حتى صاروا يقتلون بعد أن كانوا إخواناً. عن ابن أخي

عديّ هل رأيت الحيرة؟ قلت: لم أرَها وقد أُنبئت عنها، قال: فإن طالت بك حياة فلترينّ الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلّا الله، قلت فيما بيني وبين نفسي فأين دعار طيء الذين قد سعروا البلاد، ولئن طالت بك حياة لتفتحنّ كنوز كسرى، قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: كسرى بن هرمز، لئن طالت بك حياة لترينّ الرجل يخرج ملء كفّه من ذهب وفضة يطلب مَن يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه، وليَلْقَيَنَّ اللَّهَ أحدكم يوم القيامة وليس بينه وبينه ترجمان يترجم، فليقولنّ له ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك؟ فيقول: بلى، فيقول ألم أُعطِك مالاً وأُفضِل عليك؟ فيقول: بلى فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنّم وينظر عن يساره فلا يرى إلّا جهنم»، قال عدي: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اتقوا النار ولو بشقّ تمرة فمَن لم يجد فبكلمة طيبة»، قال عدي فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلّا الله، وكنت ممّن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي أبو القاسم ﷺ: «يخرج ملء كفّه». وفي الآية دلالة على خلافة الصدّيق وإمامة الخلفاء الراشدين، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد أخبرني حمّاد هو ابن سلمة بن دينار عن سيد جمهان عن سفينة قال سمعت النبي ﷺ يقول: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً». ثم قال: أمسك خلافة أبي بكر سنتين، وخلافة عمر عشراً، وعثمان اثني عشر، وعلي ستّة قال علي: قلت لحمّاد سفينة القائل لسعيد أمسك؟ قال: نعم. قوله تعالى: ﴿ **ومَن كفر بعد ذلك** ﴾، أراد به كفران النعمة، ولم يرد الكفر بالله، ﴿ **فأولئك هم الفاسقون** ﴾، العاصون لله، قال أهل التفسير: أول مَن كفر بهذه النعمة وجحد حقها الذين قتلوا عثمان رضي الله عنه، فلما قتلوه غيّر الله ما بهم وأدخل عليهم الخوف حتى صاروا

عبدالله بن سلام قال: «لما أريد قتل عثمان جاء عبدالله بن سلام فقال عثمان: ما جاء بك قال: جئت في نصرك قال: اخرج إلى الناس فاطردهم عني فإنك خارجاً خير لي منك داخلاً، فخرج عبدالله إلى الناس فقال: أيّها الناس إن لله سيفاً مغموداً وإن الملائكة قد جاورتكم في بلدكم هذا الذي نزل فيه رسول الله ﷺ فالله الله في هذا الرجل أن تقتلوه فوالله إن قتلتموه لتطردن جيرانكم الملائكة، وليسلن الله سيفه المغمود عنكم فلا يغمد إلى يوم القيامة قالوا: اقتلوا اليهودي واقتلوا عثمان» أخرجه الترمذي زاد في رواية غير الترمذي «فما قتل نبي قط إلا قتل به سبعون ألفاً، ولا خليفة إلا قتل به خمسة وثلاثون ألفاً». قوله تعالى:

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾

﴿**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون**﴾ أي افعلوا هذه الأشياء على رجاء الرحمة ﴿**لا تحسبن الذين كفروا معجزين**﴾ أي فائتين عنا ﴿**في الأرض ومأواهم النار ولبئس المصير**﴾ قوله تعالى ﴿**يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم**﴾ قال ابن عباس وجه رسول الله ﷺ غلاماً من الأنصار يقال له: مدلج بن عمرو إلى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه، فدخل فرأى عمر بحالة كره عمر رؤيته عند ذلك فأنزل الله هذه الآية وقيل: نزلت في أسماء بنت مرثد كان لها غلام كبير فدخل عليها في وقت كرهته فأتت رسول الله ﷺ فقالت إن خدمنا

يقتلون بعد أن كانوا إخواناً. أخبرنا أبو المظفر محمد بن أحمد النعيمي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن القاسم المعروف بابن نصر أنا أبو الحسن خيثمة بن سليمان بن حيدرة المعروف بالطرابلسي أنا إسحاق بن إبراهيم بن عبّاد عن عبد الرزّاق عن معمر عن أيوب عن حميد بن هلال قال: قال عبد الله بن سلام في عثمان: إن الملائكة لم تزل محيطة بمدينتكم هذه منذ قَدِمَها رسول الله ﷺ حتى اليوم، فوالله لئن قتلتموه ليذهبون ثم لا يعودون أبداً، فوالله لا يقتلنّه رجل منكم إلّا لقي الله أجذم لا يَدَ لَهُ، وإن سيف الله لم يزل مغموداً عنكم، والله لئن قتلتموه ليسلنّه الله ثم لا يغمده عنكم، إما قال أبداً وإما قال إلى يوم القيامة، فما قتل نبيّ قطّ إلّا قتل به سبعون ألفاً ولا خليفة إلا قتل به خمسة وثلاثون ألفاً.

قوله تعالى: ﴿ **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلّكم تُرحَمون** ﴾، أي افعلوها على رجاء الرحمة.

﴿ **لا تحسبنّ الذين كفروا** ﴾، قرأ عامر وحمزة (لا يحسبنّ) بالياء أي لا يحسبنّ الذين كفروا أنفسهم، ﴿ **مُعجزين في الأرض** ﴾، وقرأ الآخرون بالتاء يقول لا تحسبنّ يا محمد الذين كفروا مُعجِزين فائتين عنّا، ﴿ **ومأواهم النار ولبئس المصير** ﴾.

قوله تعالى: ﴿ **يا أيّها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم** ﴾، الآية. قال ابن عباس رضي الله عنهما وجّه رسول الله ﷺ غلاماً من الأنصار يُقال له مدلج بن عمرو إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقت الظهيرة

وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها، فأنزل الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم﴾ واللام لام الأمر وفيه قولان أحدهما: أنه على الندب والاستحباب والثاني: أنه على الوجوب وهو الأولى الذين ملكت أيمانكم يعني العبيد والإماء ﴿والذين لم يبلغوا الحلم منكم﴾ يعني الأحرار وليس المراد منهم الذين لم يظهروا على عورات النساء، بل المراد الذين عرفوا أمر النساء ولكنهم لم يبلغوا الحلم وهو سن التمييز والعقل وغيرهما، واتفق العلماء على أن الاحتلام بلوغ واختلفوا فيما إذا بلغ خمس عشرة سنة، ولم يحتلم فقال أبو حنيفة لا يكون بالغاً حتى يبلغ ثمان عشرة سنة ويستكملها والجارية سبع عشرة سنة وقال الشافعي وأبو يوسف ومحمد وأحمد في الغلام والجارية بخمسة عشرة سنة يصير مكلفاً، وتجري عليه الأحكام وإن لم يحتلم ﴿ثلاث مرات﴾ أي ليستأذنوا في ثلاثة أوقات ﴿من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة﴾ أي وقت المقيل ﴿ومن بعد صلاة العشاء﴾ وإنما خص هذه الثلاثة الأوقات، لأنها ساعات الخلوات ووضع الثياب، فربما يبدو من الإنسان ما لا يجوز أن يراه أحد من العبيد والصبيان، فأمرهم بالاستئذان في هذه الأوقات وغير العبيد والصبيان يستأذن في جميع الأوقات ﴿ثلاث عورات لكم﴾ سميت هذه الأوقات عورات لأن الإنسان يضع فيها ثيابه فتبدو عورته ﴿ليس عليكم ولا عليهم﴾ يعني العبيد والخدم والصبيان ﴿جناح﴾ أي حرج في الدخول عليكم بغير استئذان ﴿بعدهن﴾ أي بعد هذه الأوقات الثلاثة ﴿طوافون عليكم﴾ أي العبيد والخدم يترددون ويدخلون ويخرجون في أشغالكم بغير إذن ﴿بعضكم على بعض﴾ أي يطوف بعضكم على بعض ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم﴾ اختلف العلماء في حكم هذه الآية فقيل: إنها منسوخة حكي ذلك عن سعيد بن المسيب، روى عكرمة أن نفراً من أهل العراق قالوا يا ابن العباس كيف ترى في هذه الآية التي أمرنا بها، ولا يعمل بها أحد قول الله عزّ وجلّ ﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم﴾ الآية فقال ابن عباس: إن الله حليم رحيم بالمؤمنين يحب الستر وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجاب فربما دخل الخدم أو الولد أو يتيم الرجل والرجل على أهله فأمرهم الله بالاستئذان في تلك العورات، فجاءهم الله بالستور والخير» فلم أر أحداً يعمل بذلك بعد. أخرجه أبو داود في رواية عنه نحوه وزاد فرأيي أن ذلك أغنى عن الاستئذان في تلك العورات، وذهب قوم إلى أنها غير منسوخة روى سفيان عن موسى بن أبي عائشة قال: «سألت الشعبي عن هذه

ليدعوه، فدخل فرأى عمر بحالة رؤيته ذلك فأنزل الله هذه الآية. وقال مقاتل: نزلت في أسماء بنت مرثد كان لها غلام كبير فدخل عليها في وقت كرهته، فأتت رسول الله ﷺ فقالت: إن خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها، فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم﴾ اللام لام الأمر ﴿الذين ملكت أيمانكم﴾ يعني العبيد والإماء، ﴿والذين لم يبلغوا الحلم منكم﴾، من الأحرار، ليس المراد منهم الأطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء، بل الذين عرفوا أمر النساء ولكن لم يبلغوا. ﴿ثلاثَ مراتٍ﴾، أي ليستأذنوا في ثلاث أوقات، ﴿من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة﴾، يريد المقبل، ﴿ومن بعد صلاة العشاء﴾، وإنما خصّ هذه الأوقات لأنها ساعات الخلوة ووضع الثياب فربما يبدو من الإنسان ما لا يحبّ أن يراه أحد، أمر العبيد والصبيان بالاستئذان في هذه الأوقات، وأما غيرهم فليستأذنوا في جميع الأوقات ﴿ثلاثُ عورات لكم﴾، قرأ حمزة والكسائي ﴿ثلاث﴾ بنصب الثاء بدلاً من قوله: ﴿ثلاثَ مرات﴾، وقرأ الآخرون بالرفع، أي هذه الأوقات ثلاث عورات لكم، سُمّيت هذه الأوقات عورات لأن الإنسان يضع فيها ثيابه فتبدو عورته، ﴿ليس عليكم﴾، جناح، ﴿ولا عليهم﴾، على العبيد والخدم والصبيان، ﴿جُناح﴾، في الدخول عليكم من غير استئذان، ﴿بعدهنّ﴾، أي بعد هذه الأوقات الثلاثة، ﴿طوّافون عليكم﴾، أي: العبيد والخدم يطوفون عليكم فيتردّدون ويدخلون ويخرجون في أشغالهم بغير إذن، ﴿بعضكم على بعض﴾ أي يطوف ﴿بعضكم على بعض كذلك يبيّن الله لكم الآيات والله عليم حكيم﴾، واختلف العلماء في حكم هذه الآية، فقال قوم: منسوخ. قال ابن عباس رضي الله

الآية ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم أمنسوخة هي؟ قال: لا والله قلت إن الناس لا يعملون بها قال الله تعالى المستعان وقال سعيد بن جبير في هذه الآية أن ناساً يقولون: نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس قيل ثلاث آيات ترك الناس العمل بهن هذه الآية وقوله ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ والناس يقولون أعظمكم بيتاً ﴿**وإذا حضر القسمة أولو القربى**﴾ الآية. وقوله عزّ وجلّ:

وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ
ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن
يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَّيْسَ عَلَى
ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ
بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ
صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ
تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

﴿**وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم**﴾ أي ا لاحتلام يريد الأحرار الذين بلغوا ﴿**فليستأذنوا**﴾ أي يستأذنوا في جميع الأوقات في الدخول عليكم ﴿**كما استأذن الذين من قبلهم**﴾ أي الأحرار الكبار ﴿**كذلك يبين الله لكم آياته**﴾ أي دلالته وقيل أحكامه ﴿**والله عليم**﴾ أي بأمور خلقه ﴿**حكيم**﴾ بما دبر وشرع قال سعيد بن المسيب: يستأذن الرجل على أمه فإنما أنزلت هذه الآية في ذلك، وسئل حذيفة أيستأذن الرجل على والدته قال نعم إن لم تفعل رأيت منها ما تكره قوله ﴿**والقواعد من النساء**﴾ يعني اللاتي قعدن عن الحيض والولد من الكبر فلا يلدن ولا يحضن ﴿**اللاتي لا يرجون**

عنه: لم يكن للقوم ستور ولا حجاب، فكان الخدم والولائد يدخلون فربما يرون منهم ما لا يحبّون، فأُمِروا بالاستئذان، وقد بسط الله الرزق واتخذ الناس الستور فرأى أن ذلك أغنى عن الاستئذان، وذهب قوم إلى أنها غير منسوخة، روى سفيان عن موسى بن عائشة قالت: سألت الشعبي عن هذه الآية ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم أمنسوخة هي؟ قال: لا والله، قلت: إن الناس لا يعملون بها، قال: الله المُستعان. وقال سعيد بن جبير في هذه الآية: أن ناساً يقولون نسخت والله ما نسخت، ولكنها مما تهاون به الناس.

قوله تعالى: ﴿ **وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم** ﴾ أي: الاحتلام يريد الأحرار الذين بلغوا، ﴿ **فليستأذنوا** ﴾، أي يستأذنون في جميع الأوقات في الدخول عليكم، ﴿ **كما استأذن الذين من قبلهم** ﴾، من الأحرار والكبار. وقيل: يعني الذين كانوا مع إبراهيم وموسى وعيسى، ﴿ **كذلك يبيّن الله لكم آياته** ﴾، دلالاته. وقيل: أحكامه، ﴿ **والله عليم** ﴾، بأمور خلقه، ﴿ **حكيم** ﴾، بما دَبَّر لهم. قال سعيد بن المسيب: يستأذن الرجل على أمه فإنما أُنزلت هذه الآية في ذلك. وسُئِلَ حذيفة أيستأذن الرجل على والدته؟ قال: نعم إن لم يفعل رأى منها ما يكره.

قوله تعالى: ﴿ **والقواعدُ من النساء** ﴾، يعني اللاتي قعدن على الولد والحيض من الكِبَر لا يلدن ولا يحضن، واحدتها قاعد بلا هاء. وقيل: قعدن عن الأزواج، وهذا معنى قوله: ﴿ **اللاتي لا يرجون نكاحاً** ﴾، أي لا يردن الرجال لكبرهنّ، قال ابن قتيبة: سُمّيت المرأة قاعداً إذا كبرت لأنها تكثر القعود. وقال ربيعة الرأي: هنّ

نكاحاً﴾ أي لا يردن الأزواج لكبرهن، وقيل: هن العجائز اللواتي إذا رآهن الرجال استقذروهن فأما من كانت فيها بقية جمال وهي محل الشهوة فلا تدخل في حكم هذه الآية **﴿فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن﴾** أي عند الرجال والمعنى بعض ثيابهن وهو الجلباب والرداء الذي فوق الثياب، والقناع الذي فوق الخمار فأما الخمار فلا يجوز وضعه **﴿غير متبرجات بزينة﴾** أي من غير أن يردن بوضع الجلباب والرداء إظهار زينتهن. والتبرج هو أن تظهر المرأة من محاسنها ما يجب عليها أن تستره **﴿وأن يستعففن﴾** أي فلا يلقين الجلباب ولا الرداء **﴿خير لهن والله سميع عليم﴾** قوله عز وجل **﴿ليس على الأعمى حرج﴾** اختلف العلماء في هذه الآية فقال ابن عباس: لما أنزل الله **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾** تحرج المسلمون عن مؤاكلة المرضى، والزمنى والعمى والعرج وقالوا الطعام أفضل الأموال وقد نهانا الله عز وجل عن أكل الأموال بالباطل، والأعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب والأعرج لا يتمكن من الجلوس، ولا يستطيع المزاحمة على الطعام والمريض يضعف عن التناول فلا يستوفي من الطعام حقه فأنزل الله هذه الآية فعلى هذا التأويل يكون على بمعنى في أي ليس في الأعمى، والمعنى ليس عليكم في مؤاكلة الأعمى والمريض والأعرج حرج وقيل كان العميان والعرجان والمرضى يتنزهون عن مؤاكلة الأصحاء لأن الناس يقذرونهم ويكرهون مؤاكلتهم، وكان الأعمى يقول ربما آكل أكثر من ذلك ويقول الأعرج والأعمى ربما أجلس مكان اثنين فنزلت هذه الآية، وقيل: نزلت ترخيصاً لهؤلاء في الأكل من بيوت من سماهم الله في باقي الآية، وذلك أن هؤلاء كانوا يدخلون على الرجل في طلب الطعام فإذا لم يكن عنده شيء، ذهب بهم إلى بيت أبيه أو بيت أمه أو بعض من سمى الله تعالى

العُجّز اللائي إذا رأوهنّ الرجال استقذروهنّ، فأما مَن كانت فيها بقية من جمال وهي محل الشهوة فلا تدخل في هذه الآية، ﴿ فليس عليهنّ جناح أن يضعن ثيابهنّ ﴾، عند الرجال، يعني يضعن بعض ثيابهنّ، وهي الجلباب والرداء الذي فوق الثياب، والقناع الذي فوق الخمار، فأما الخمار فلا يجوز وضعه، وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وأُبيّ بن كعب **﴿ أن يضعن من ثيابهنّ ﴾، ﴿ غيرَ مُتبرجات بزينة ﴾،** أي من غير أن يردن بوضع الجلباب، والرداء إظهار زينتهنّ، والتبرّج هو أن تُظهِر المرأة من محاسنها ما ينبغي لها أن تتنزّه عنه. **﴿ وأن يستعففن ﴾،** فلا يلقين الجلباب والرداء، **﴿ خيرٌ لهنّ والله سميع عليم ﴾.**

قوله تعالى: **﴿ ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ﴾** الآية، اختلف العلماء في هذه الآية، فقال ابن عباس رضي الله عنهما لمّا أنزل الله عزّ وجلّ قوله: **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾** [البقرة: ١٨٨، النساء: ٢٩] تحرّج المسلمون عن مؤاكلة المرضى والزَّمِنَ والعُمي، وقالوا الطعام أفضل الأموال، وقد نهانَا الله عن أكل المال بالباطل. والأعمى لا يُبصِر موضع الطعام الطيب، والأعرج لا يتمكّن من الجلوس ولا يستطيع المزاحمة على الطعام، والمريض يضعف عن التناول فلا يستوفي الطعام، فأنزل الله هذه الآية، وعلى هذا التأويل يكون **﴿على﴾** بمعنى في، أي ليس في الأعمى يعني ليس عليكم في مؤاكلة الأعمى والأعرج والمريض. وقال سعيد بن جبير والضحّاك وغيرهما كان العرجان والعميان والمرضى يتنزّهون عن مؤاكلة الأصحاء لأن الناس يتقذرون منهم ويكرهون مؤاكلتهم، ويقول الأعمى ربما أكل أكثر، ويقول الأعرج ربما أخذ مكان الاثنين، فنزلت هذه الآية. وقال مجاهد نزلت الآية ترخّصاً لهؤلاء في الأكل من بيوت مَن سمّى الله في هذه الآية، وذلك أن هؤلاء كانوا يدخلون على الرجل لطلب الطعام فإذا لم يكن عنده ما يطعمهم ذهب بهم إلى بيوت آبائهم وأُمهاتهم أو بعض مَن سمّى الله في هذه الآية، فكان أهل الزمانة يتحرّجون من ذلك الطعام ويقولون أذهب بنا إلى بيت غيره؟ فأنزل الله هذه الآية. وقال سعيد بن المسيب: كان المسلمون إذا غزوا خلفوا زَمْناهم ويدفعون إليهم مفاتيح أبوابهم ويقولون قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا، فكانوا يتحرّجون من ذلك

فكان أهل الزمانة يتحرجون من ذلك، ويقولون ذهب بنا إلى غير بيته فأنزل الله هذا الآية وقيل: كان المسلمون إذا غزوا دفعوا مفاتيح بيوتهم إلى الزمنى ويقولون لهم قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا، فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون لا ندخلها وأصحابها غيب فأنزل الله هذه الآية رخصة لهم وقيل نزلت رخصة لهؤلاء في التخلف عن الجهاد فعلى هذا تم الكلام عند قوله ﴿ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾ وقوله تعالى ﴿ولا على أنفسكم﴾ كلام مستأنف قيل لما نزلت ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ قالوا: لا يحل لأحد منا أن يأكل من أحد فأنزل الله تعالى ﴿ولا على أنفسكم﴾ ﴿أن تأكلوا من بيوتكم﴾ أي لا حرج عليكم أن تأكلوا من بيوتكم، قيل أراد من أموال عيالكم وبيوت أزواجكم لأن بيت المرأة كبيت الزوج، وقيل بيوت أولادكم ونسب بيوت الأولاد إلى الآباء لما جاء في الحديث «أنت ومالك لأبيك» ﴿أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه﴾ قال ابن عباس: عني بذلك وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته لا بأس عليه أن يأكل من ثمرة ضيعته، ويشرب من لبن ماشيته ولا يحمل ولا يدخر، وقيل يعني بيوت عبيدكم ومماليككم، وذلك أن السيد يملك منزل عبده، والمفاتح الخزائن ويجوز أن يكون المفتاح الذي يفتح به، وإذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن فلا بأس أن يأكل الشيء اليسير، وقيل: ما ملكتم مفاتحه أي ما خزنتموه عندكم وما ملكتموه ﴿أو صديقكم﴾ الصديق هو الذي صدقك في المودة؛ قال ابن عباس نزلت في الحارث بن عمرو خرج غازياً مع رسول الله ﷺ وخلف مالك بن زيد على أهله، فلما رجع وجده مجهوداً فسأله عن

ويقولون لا ندخلها وهم غُيَّب، فأنزل الله هذه الآية رخصة لهم. قال الحسن: نزلت هذه الآية رخصة لهؤلاء في التخلّف عن الجهاد. قال: تمّ الكلام عند قوله: ﴿ ولا على المريض حرج ﴾، وقوله تعالى: ﴿ ولا على أنفسكم ﴾ كلام منقطع عمّا قبله. وقيل: لمّا نزل قوله: ﴿ لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾ [البقرة: ١٨٨، النساء: ٢٩] قالوا: لا يحلّ لأحد منّا أن يأكل عند أحد، فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿ ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم ﴾، أي لا حرج عليكم أن تأكلوا من بيوتكم. قيل: أراد من أموال عيالكم وأزواجكم، وبيت المرأة كبيت الزوج. وقال ابن قتيبة: أراد من بيوت أولادكم نسب الأولاد إلى الآباء، كما جاء في الحديث: «أنت ومالك لأبيك»، ﴿ أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت أخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عمّاتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: عنى بذلك وكيل الرجل وقيّمه في ضيعته وماشيته، لا بأس عليه أن يأكل من ثمر ضيعتـه ويشرب من آن ماشيته، ولا يحمل ولا يدّخر. وقال الضحاك: يعني في بيوت عبيدكم ومماليككم، وذلك أن السيد يملك منزل عبده والمفاتيح الخزائن، لقوله تعالى: ﴿ وعنده مفاتح الغيب ﴾ [الأنعام: ٥٩] ويجوز أن يكون الذي يفتح به. قال عكرمة: إذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن، فلا بأس أن يطعم الشيء اليسير. وقال السدي: الرجل يولي طعامه غيره يقوم عليه فلا بأس أن يأكل منه. وقال قوم وما ملكتم مفاتحه ما خزنتموه عندكم. قال مجاهد وقتادة: من بيوت أنفسكم مما أحرزتم وملكتم، ﴿ أو صديقكم ﴾، الصديق الذي صدقك في المودّة. قال ابن عباس: نزلت في الحارث بن عمرو رضي الله عنه خرج غازياً مع رسول الله ﷺ وخلف مالك بن زيد على أهله. فلما رجع وجده مجهوداً فسأله عن حاله فقال تحرّجت أن آكل طعامك بغير إذنك فأنزل الله هذه الآيـة. وكان الحسن وقتـادة يريـان دخول الـرجل بيت صديقه والتحرم بطعامه من غير استئذان منه في الأكل بهذه الآية، والمعنى ﴿ ليس عليكم جناح أن تأكلوا ﴾، من منازل هؤلاء إذا دخلتموها وإن لم يحضروا، من غير أن تتزوّدوا وتحملوا. قوله: ﴿ ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً ﴾، نزلت في بني ليث بكر بن عمرو، وهم حيّ من بني كنانة كان الرجل منهم لا يأكل وحده حتى

حاله فقال: تحرجت أن آكل من طعامك بغير إذنك فأنزل الله تعالى هذه الآية، والمعنى أنه ليس عليكم جناح أن تأكلوا من منازل هؤلاء إذا دخلتموها وإن لم يحضروا من غير أن تتزودوا وتحملوا ﴿**ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً**﴾ نزلت في بني ليث بن عمرو، وهم حي من كنانة كان الرجل منهم لا يأكل وحده حتى يجد ضيفاً يأكل معه فربما قعد الرجل والطعام بين يديه من الصباح إلى الرواح، ربما كانت معه الإبل الحفل فلا يشرب من ألبانها حتى يأتي من يشاربه، فإذا أمسى ولم يجد أحداً أكل وقال ابن عباس: كان الغني يدخل على الفقير من ذوي قرابته وصداقته فيدعوه إلى طعامه فيقول: والله إني لأجنح أي أتحرج أن آكل معك، وأنا غني وأنت فقير فنزلت هذه الآية وقيل: نزلت في قوم من الأنصار كانوا لا يأكلون إذا أنزل بهم ضيف إلا مع ضيفهم، فرخص لهم أن يأكلوا كيف شاؤوا جميعاً، أي مجتمعين أو أشتاتاً أي متفرقين ﴿**فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم**﴾ أي ليسلم بعضكم على بعض هذا في دخول الرجل بيت نفسه يسلم على أهله، ومن في بيته قال قتادة: إذا دخلت بيتك فسلم على أهلك فهم أحق من سلمت عليه، وإذا دخلت بيتاً ليس فيه أحد فقل السلام علينا، وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته، حدثنا أن الملائكة ترد عليه وقال ابن عباس إذا لم يكن في البيت أحد، فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿**فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم**﴾ قال: إذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴿**تحية من عند الله مباركة طيبة**﴾ قال ابن عباس حسنة جميلة وقيل ذكر البركة والطيب ها هنا لما فيه من الثواب والأجر ﴿**كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون**﴾ أي عن الله أمره ونهيه وآدابه. قوله عز وجل:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ

يجد ضيفاً يأكل معه، فربما قعد الرجل والطعام بين يديه من الصباح إلى الرواح، وربما كانت معه الإبل الحفل فلا يشرب من ألبانها حتى يجد مَن يُشاربه، فإذا أمسى ولم يجد أحداً أكل، هذا قول قتادة والضحاك وابن جريج، وقال عطاء الخراساني عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان الغني يدخل على الفقير من ذوي قرابته وصداقته فيدعوه إلى طعامه، فيقول: والله إنّي لأجنح أي أتحرّج أن آكل معك وأنا غني وأنت فقير، فنزلت هذه الآية. وقال عكرمة وأبو صالح: نزلت في قوم من الأنصار كانوا لا يأكلون إذا نزل بهم ضيف إلّا مع ضيفهم، فرخّص لهم أن يأكلوا كيف شاؤوا جميعاً أو أشتاتاً متفرقين، ﴿ **فإذا دخلتم بيوتاً فسلّموا على أنفسكم** ﴾، أي يسلّم بعضكم على بعض، هذا في دخول الرجل ببيت نفسه يسلّم على أهله ومَن في بيته، وهو قول جابر وطاوس والزهري وقتادة والضحاك وعمرو بن دينار، وقال قتادة: إذا دخلت بيتك فسلّم على أهلك فهو أحق مَن سلّمت عليه، وإذا دخلت بيتاً لا أحد فيه فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. حُدِّثنا أن الملائكة تردّ عليه. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن لم يكن في البيت أحد فليقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام على أهل البيت ورحمة الله. وروى عمرو بن دينار عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ **فإذا دخلتم بيوتاً فسلّموا على أنفسكم** ﴾ قال: إذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. ﴿ **تحيةً من عند الله** ﴾، نصب على المصدر أي تحيّون تحية، ﴿ **مباركةً طيبةً** ﴾، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: حسنة جميلة. وقيل: ذكر البركة والطيبة ههنا لما فيه من الثواب والأجر. ﴿ **كذلك يبيّن الله لكم الآيات لعلّكم تعقلون** ﴾.

يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾

﴿**إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه**﴾ أي مع رسول الله ﷺ ﴿**على أمر جامع**﴾ أي يجمعهم من حرب أو صلاة حضرت، أو جمعة أو عيد أو جماعة أو تشاور في أمر نزل ﴿**لم يذهبوا**﴾ أي لم يتفرقوا عنه ولم ينصرفوا عما اجتمعوا له ﴿**حتى يستأذنوه**﴾ قال المفسرون «وكان رسول الله ﷺ إذا صعد المنبر يوم الجمعة، وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر لم يخرج حتى يقوم بحيال رسول الله ﷺ، بحيث يراه فيعرف أنه إنما قام ليستأذن فيأذن لمن شاء منهم» قال مجاهد: وإذن الإمام يوم الجمعة أن يشير بيده قال أهل العلم وكذلك كل أمر اجتمع عليه المسلمون مع الإمام لا يخالفونه، ولا يرجعون عنه إلا بإذن وإذا استأذن الإمام إن شاء أذن له وإن شاء لم يأذن وهذا إذا لم يكن حدث سبب يمنعه من المقام فإن حدث سبب يمنعه من المقام، بأن يكون في المسجد فتحيض امرأة منهم أو يجنب رجل أو يعرض له مرض فلا يحتاج إلى الاستئذان ﴿**إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم**﴾ أي أمرهم ﴿**فأذن لمن شئت منهم**﴾ أي في الانصراف والمعنى إن شئت فأذن إن شئت فلا تأذن ﴿**واستغفر لهم الله**﴾ أي إن رأيت لهم عذراً في الخروج عن الجماعة ﴿**إن الله غفور رحيم**﴾ قوله عز وجل ﴿**لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً**﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: يقول احذروا دعاء الرسول إذا أسخطتموه فإن دعاءه موجب ليس كدعاء غيره وقيل معناه لا تدعوه باسمه، كما يدعو بعضكم بعضاً يا محمد يا عبدالله، ولكن فخموه وعظموه وشرفوه وقولوا يا نبيّ الله يا رسول الله في لين وتواضع ﴿**قد يعلم الله الذين يتسللون**﴾ أي يخرجون ﴿**منكم لواذاً**﴾ أي يستتر بعضهم ببعض ويروغ في خفية فيذهب قيل كانوا في حفر الخندق

﴿ **إنّما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه** ﴾، أي مع رسول الله ﷺ، ﴿ **على أمرٍ جامعٍ** ﴾، يجمعهم من حرب حضرت أو صلاة أو جمعة أو عيد أو جماعة أو تشاور في أمر نزل، ﴿ **لم يذهبوا** ﴾، لم يتفرقوا عنه لم ينصرفوا عمّا اجتمعوا له من الأمر، ﴿ **حتى يستأذنوه** ﴾، قال المفسّرون: كان رسول الله ﷺ إذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر لم يخرج حتى يقوم بحيال رسول الله ﷺ حيث يراه فيعرف أنه إنما قام يستأذن، فيأذن لمَن شاء منهم، قال مجاهد: وإذْنُ الإمام يوم الجمعة أن يشير بيده. قال أهل العلم: وكذلك كل أمر اجتمع عليه المسلمون مع الإمام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه إلاّ بإذن، وإذا استأذن فللإمام إن شاء أذن له وإن شاء لم يأذن، وهذا إذا لم يكن له سبب يمنعه من المقام، فإن حدث سبب يمنعه من المقام بأن يكون في المسجد فتحيض منهم امرأة أو يجنب رجل أو يعرض له مرض فلا يحتاج إلى الاستئذان. ﴿ **إنّ الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم** ﴾، أي أمرهم، ﴿ **فأذن لمَن شئت منهم** ﴾، في الانصراف، معناه إن شئت فأذن وإن شئت فلا تأذن، ﴿ **واستغفر لهمُ اللّهَ إنّ الله غفور رحيم** ﴾.

﴿ **لا تجعلوا دُعاءَ الرسولِ بينكم كدُعَاءِ بعضكم بعضاً** ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يقول احذروا دعاء الرسول عليكم إذا أسخطتموه فإن دعاءه موجب لنزول البلاء بكم ليس كدعاء غيره. وقال مجاهد وقتادة: لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضاً يا محمد يا عبد الله ولكن فَخِّموه وشرِّفوه، فقولوا: يا نبيّ الله يا رسول الله في لِيْنٍ وتواضع، ﴿ **قد يعلم اللّهُ الذين يتسلّلون** ﴾، أي: يخرجون ﴿ **مِنْكُم لِوَاذاً** ﴾، أي يستر بعضكم بعضاً ويروغ في خيفة، فيذهب، واللواذ مصدر لَاوَذَ يُلَاوِذُ مُلَاوَذَةً، ولواذاً، قيل: كان هذا في حفر الخندق فكان المنافقون ينصرفون عن رسول الله ﷺ مختفين، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لواذاً أي يلوذ بعضهم ببعض، وذلك أن

فكان المنافقون ينصرفون عن رسول الله ﷺ مختفين وقال ابن عباس لواذاً أي يلوذ بعضهم ببعض، وذلك أن المنافقين كان يثقل عليهم المقام في المسجد يوم الجمعة واستماع خطبة النبيّ ﷺ فكانوا يلوذون ببعض أصحابه، فيخرجون من المسجد في استتار وقوله قد يعلم فيه التهديد بالمجازاة ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾ أي يعرضون عن أمره وينصرفون عنه بغير إذنه ﴿أن تصيبهم فتنة﴾ أي لئلا تصيبهم فتنة أي بلاء في الدنيا ﴿أو يصيبهم عذاب أليم﴾ أي وجيع في الآخرة، ثم عظم الله نفسه فقال تعالى:

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾

﴿ألا إن لله ما في السموات والأرض﴾ أي ملكاً وعبيداً ﴿قد يعلم ما أنتم عليه﴾ أي من الإيمان والنفاق ﴿ويوم يرجعون إليه﴾ يعني يوم القيامة ﴿فينبئهم بما عملوا﴾ أي من الخير والشر ﴿والله بكل شيء عليم﴾ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله ﷺ «لا تنزلوا النساء الغرف، ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل وسورة النور» أخرجه أبو عبدالله بن السبع في صحيحه والله سبحانه وتعالى أعلم.

المنافقين كان يثقل عليهم المقام في المسجد يوم الجمعة واستماع خطبة النبي ﷺ فكانوا يلوذون ببعض أصحابه فيخرجون من المسجد في استتار، ومعنى قوله: ﴿ قد يعلم الله ﴾ للتهديد بالمجازاة، ﴿ فليحذرِ الذين يُخالفون عن أمره ﴾، أي أمره، و﴿ عن ﴾ صلة. وقيل: معناه يُعرضون عن أمره وينصرفون عنه بغير إذنه. ﴿ أن تصيبهم فتنة ﴾ أي لئلا تصيبهم فتنة، قال مجاهد: بلاء في الدنيا، ﴿ أو يصيبهم عذاب أليم ﴾، وجيع في الآخرة. وقيل: عذاب أليم عاجل في الدنيا. ثم عظّم نفسه.

فقال: ﴿ ألَا إنّ لله ما في السمٰوات والأرض﴾، ملكاً وعبيداً، ﴿ قد يعلم ما أنتم عليه ﴾، من الإيمان والنفاق أي يعلم، و﴿ قد ﴾ صلة ﴿ ويوم يرجعون إليه ﴾، يعني يوم البعث، ﴿ فينبئهم بما عملوا ﴾، من الخير والشرّ، ﴿ والله بكل شيء عليم ﴾. أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه حدّثنا عبد الله بن محمد بن شيبة حدّثنا محمد بن إبراهيم الكرابيسي حدّثنا سليمان بن توبة حدّثنا أبو داود الأنصاري أنا محمد بن إبراهيم الشامي ثنا شعيب بن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا تُنزلوا النساء الغرف، ولا تعلّموهنّ الكتابة وعلّموهنّ الغزلَ، وسورة النور».

تفسير سورة الفرقان

مكية وهي سبع وسبعون آية وثمانمائة واثنتان وتسعون كلمة وثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاثون حرفاً

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (٢)﴾

قوله عزّ وجلّ ﴿تبارك﴾ تفاعل من البركة قيل: معناه جاء بكل بركة وخير وقيل معناه تعظم ﴿الذي نزل الفرقان﴾ أي القرآن سماه فرقاناً لأنه فرق بين الحق، والباطل والحلال والحرام وقيل لأنه نزل مفرقاً في أوقات كثيرة ولهذا قال نزل بالتشديد لتكثير التفريق ﴿على عبده﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿ليكون للعالمين﴾ أي للإنس والجن ﴿نذيراً﴾ قيل هو القرآن وقيل النذير هو محمد ﷺ ﴿الذي له ملك السموات والأرض﴾ أي هو المتصرف فيهما كيف يشاء ﴿ولم يتخذ ولداً﴾ أي هو الفرد في وحدانيته، وفيه رد على النصارى ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ يعني هو المنفرد بالإلهية، وفيه رد على الثنوية وعباد الأصنام ﴿وخلق كل شيء﴾ مما تطلق عليه صفة المخلوق ﴿فقدره تقديراً﴾ أي سواه وهيأه لما يصلح له لا خلل فيه ولا تفاوت، وقيل: قدر كل شيء تقديراً من الأجل والرزق فجرت المقادير على ما خلق. قوله تعالى:

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا (٣) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾

سُوْرَة الفُرْقَانْ

مكية وهي سبع وسبعون آية.

﴿ تبارك ﴾، تفاعل، من البركة، عن ابن عباس: معناه جاء بكل بركة، دليله قول الحسن: مجيء البركة من قبله. وقال الضحاك: تعظم، ﴿ الذي نَزَّلَ الفرقانَ ﴾، أي القرآن، ﴿ على عبده ﴾، محمد ﷺ. ﴿ ليكون للعالمين نذيراً ﴾، أي: للجن والإنس. قيل: النذير هو القرآن. وقيل: محمد ﷺ.

﴿ الذي له مُلكُ السمواتِ والأرضِ ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في المُلْك وخلق كلِ شيء ﴾، مما يطلق عليه صفة المخلوق، ﴿ فقدّره تقديراً ﴾، فسوّاه وهيّأه لِما يصلح له لا خلل فيه ولا تفاوت، وقيل: قدّر لكل شيء تقديراً من الأجل والرزق، فجرت المقادير على ما خلق. قوله عزّ وجلّ:

فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾

﴿**واتخذوا**﴾ يعني عبدة الأوثان ﴿**من دونه آلهة**﴾ يعني الأصنام ﴿**لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً**﴾ يعني دفع ضر ولا جر نفع ﴿**ولا يملكون موتاً**﴾ أي إماتة ﴿**ولا حياة**﴾ أي إحياء ﴿**ولا نشوراً**﴾ أي بعثاً بعد الموت ﴿**وقال الذين كفروا**﴾ يعني النضر بن الحارث وأصحابه ﴿**إن هذا**﴾ أي ما هذا القرآن ﴿**إلا إفك**﴾ أي كذب ﴿**افتراه**﴾ أي اختلقه محمد ﷺ ﴿**وأعانه عليه قوم آخرون**﴾ قيل: هم اليهود وقيل عبيد بن الخضر الحبشي الكاهن، وقيل جبر ويسار وعداس بن عبيد كانوا بمكة من أهل الكتاب، فزعم المشركون أن محمداً ﷺ يأخذ منهم قال الله تعالى ﴿**فقد جاؤوا**﴾ يعني قائلي هذه المقالة ﴿**ظلماً وزوراً**﴾ أي بظلم وزور، وهو تسميتهم كلام الله بالإفك والافتراء ﴿**وقالوا أساطير الأولين اكتتبها**﴾ يعني النضر بن الحارث كان يقول: إن هذا القرآن ليس من الله وإنما هو مما سطره الأولون مثل حديث رستم واسفنديار ومعنى اكتتبها انتسخها محمد ﷺ من جبر ويسار وعداس وطلب أن تكتب له لأنه كان لا يكتب ﴿**فهي تملى عليه**﴾ أي تقرأ عليه ليحفظها لأنه لا يكتب ﴿**بكرة وأصيلاً**﴾ يعني غدوة وعشية قال الله

﴿ **واتخذوا** ﴾، يعني عبدة الأوثان، ﴿ **من دونه آلهة** ﴾، يعني: الأصنام، ﴿ **لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضَرّاً ولا نفعاً** ﴾، أي دفع ضرٍّ ولا جلب نفع، ﴿ **ولا يملكون موتاً ولا حياةً** ﴾، أي إماتةً وإحياءً، ﴿ **ولا نشوراً** ﴾، أي بعثاً بعد الموت.

﴿ **وقال الذين كفروا** ﴾، يعني المشركين، يعني النضر بن الحارث وأصحابه، ﴿ **إن هذا** ﴾، ما هذا القرآن، ﴿ **إلاّ إفك** ﴾، كذب، ﴿ **افتراه** ﴾، اختلقه محمد ﷺ، ﴿ **وأعانه عليه قوم آخرون** ﴾، قال مجاهد: يعني اليهود. وقال الحسن: هو عبيد بن الخضر الحبشي الكاهن. وقيل: جبر ويسار وعداس بن عبيد، كانوا بمكة من أهل الكتاب، فزعم المشركون أن محمداً ﷺ يأخذ منهم، قال الله تعالى: ﴿ **فقد جاؤوا** ﴾، يعني قائلي هذه المقالة، ﴿ **ظلماً وزُوراً** ﴾، أي بظلم وزور. فلما حذف الباء انتصب، يعني جاؤوا شركاً وكذباً بنسبتهم كلام الله تعالى إلى الإفك والافتراء.

﴿ **وقالوا أساطير الأوّلين اكتتبها** ﴾، يعني النضر بن الحارث كان يقول: إنّ هذا القرآن ليس من الله وإنما هو مما سطّره الأوّلون مثل حديث رستم وإسفنديار، اكتتبها انتسخها محمد من جبر ويسار وعداس، ومعنى اكتتب يعني طلب أن يكتب له لأنه كان لا يكتب، ﴿ **فهي تُملى عليه** ﴾، يعني تقرأ عليه ليحفظها لا ليكتبها، ﴿ **بُكرةً وأصيلاً** ﴾، غدوةً وعشياً. قال الله عزّ وجلّ ردّاً عليهم:

﴿ **قلْ أنزله** ﴾، يعني القرآن، ﴿ **الذي يعلم السرّ** ﴾، يعني الغيب ﴿ **في السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً** ﴾.

﴿**وقالوا مَالِ هذا الرسول**﴾، يعنون محمداً ﷺ، ﴿ **يأكل الطعام** ﴾، كما نأكل نحن، ﴿ **ويمشي في الأسواق** ﴾، يلتمس المعاش كما نمشي فلا يجوز أن يمتاز عنّا بالنبوّة، وكانوا يقولون له لست أنت بمَلَك ولا

تعالى رداً عليهم ﴿قل﴾ يا محمد ﴿أنزله﴾ يعني القرآن ﴿الذي يعلم السر﴾ أي الغيب ﴿في السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً﴾ أي لولا ذلك لعاجلهم بعذابه ﴿وقالوا مال هذا الرسول﴾ يعنون محمداً ﷺ ﴿يأكل الطعام﴾ أي كما نأكل نحن ﴿ويمشي في الأسواق﴾ أي يلتمس المعاش كما نمشي نحن وإذا كان كذلك فمن أين له الفضل علينا، ولا يجوز أن يمتاز عنا بالنبوة وكانوا يقولون له لست بملك لأنك بشر مثلنا، والملك لا يأكل ولا يملك لأن الملك لا يتسوق وأنت تتسوق وتبتذل وما قالوه فاسد لأن أكله الطعام لكونه آدميا، ولم يدع أنه ملك ومشيه في الأسواق لتواضعه وكان ذلك صفته في التوراة ولم يكن سخابا في الأسواق وليس شيء من ذلك ينافي النبوة ولأنه لم يدع أنه ملك من الملوك ﴿لولا أنزل إليه ملك﴾ أي يصدقه ويشهد له ﴿فيكون معه نذيراً﴾ أي داعياً ﴿أو يلقى إليه كنز﴾ أي ينزل عليه كنز من السماء ينفقه فلا يحتاج إلى التصرف في طلب المعاش ﴿أو تكون له جنة﴾ يعني بستان ﴿يأكل منها﴾ أي هو فلا أقل من ذلك إن لم يكن له كنز ﴿وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً﴾ يعني مخدوعاً وقيل مصروفاً عن الحق.

انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَـٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَـٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَـٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾

﴿انظر﴾ يا محمد ﴿كيف ضربوا لك الأمثال﴾ أي الأشباه التي لا فائدة لها فقالوا مسحور محتاج ﴿فضلوا﴾ أي عن الحق ﴿فلا يستطيعون سبيلاً﴾ إلى الهدى ومخرجاً عن الضلالة. قوله تعالى ﴿تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك﴾ أي من الذي قالوا: وأفضل من البستان الذي ذكروا وقال ابن عباس يعني خيراً من المشي في الأسواق

بملك، لأنك تأكل والمَلَك لا يأكل، ولست بملك لأن الملك لا يتسوّق، وأنت تتسوق وتتبذّل. وما قالوه فاسد لأن أكله الطعام لكونه آدمياً ومشيه في الأسواق لتواضعه، وكان ذلك صفة له وشيء من ذلك لا ينافي النبوّة. ﴿ لولا أنزل إليه ملك ﴾، فيصدّقه، ﴿ فيكون معه نذيراً ﴾. داعياً.

﴿ أو يلقى إليه كنز ﴾، أي: ينزل عليه كنز من السماء ينفقه فلا يحتاج إلى التردّد والتصرّف في طلب المعاش، ﴿ أو تكون له جنة ﴾، بستان، ﴿ يأكل منها ﴾، قرأ حمزة والكسائي (نأكل) بالنون أي نأكل نحن منها، ﴿ وقال الظالمون إنْ تتبعون إلّا رجلاً مسحوراً ﴾، مخدوعاً. وقيل: مصروفاً عن الحق.

﴿ انظر ﴾، يا محمد، ﴿ كيف ضربُوا لَكَ الأمثال ﴾، يعني الأشباه، فقال: مسحور محتاج وغيره، ﴿ فضلّوا ﴾، عن الحق، ﴿ فلا يستطيعون سبيلاً ﴾، إلى الهدى ومخرجاً عن الضلالة.

﴿ تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك ﴾، الـذي قالوا أو أفضل من الكنز والبستان الذي ذكروا، وروى عكرمة عن ابن عباس قال: يعني خيراً من المشي في الأسواق والتماس المعاش، ثم بيّن ذلك الخير فقال:

والتماس المعاش ثم بين ذلك الخير فقال ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً﴾ أي بيوتاً مشيدة عن أبي أمامة أن النبيّ ﷺ قال «عرض عليَّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً قلت لا يا رب ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً أو قال ثلاثاً أو نحو هذا، فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك وإذا شبعت حمدتك وشكرتك» عن عائشة قالت: «قال رسول الله ﷺ: لو شئت لسارت معي جبال مكة ذهباً جاءني ملك إن حجزته لتساوي الكعبة فقال يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول: إن شئت نبياً عبداً وإن شئت نبياً ملكاً فنظرت إلى جبريل فأشار إلي أن ضع نفسك، فقلت: نبياً عبداً قالت فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك لا يأكل متكئاً يقول: أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد» ذكر هذين الحديثين البغوي بسنده. قوله تعالى: ﴿بل كذبوا بالساعة﴾ أي القيامة ﴿وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً﴾ أي ناراً مسعرة ﴿إذا رأتهم من مكان بعيد﴾ قيل: من مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة عام. فإن قلت: كيف تتصور الرؤية من النار وهو قوله إذا رأتهم. قلت يجوز أن يخلق الله لها حياة وعقلاً ورؤية وقيل: معناه رأتهم زبانيتها ﴿سمعوا لها تغيظاً﴾ أي غلياناً كالغضبان إذا غلى صدره من الغضب ﴿وزفيراً﴾ أي صوتاً فإن قلت كيف يسمع التغليظ. قلت: معناه رأوا وعلموا لها تغيظاً وسمعوا لها زفيراً كما قال الشاعر:

ورأيت زوجك في الوغى متقلداً سيفاً ورمحاً

﴿ جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً ﴾، بيوتاً مشيّدة، والعرب تسمّي كل بيت مشيّد قصراً، وقرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم برواية أبي بكر، ويجعل برفع اللام، وقرأ الآخرون بجزمها على محل الجزاء في قوله: ﴿ إن شاء جعل لك ﴾، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة الكشمهيني أنا أبو طاهر محمد بن الحارث أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن يحيىٰ بن أيوب حدّثني عبد الله بن زخر عن علي بن زيد عن القاسم بن أبي عبد الرحمن عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «عرض عليّ ربّي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت: لا يا رب، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً، وقال ثلاثاً أو نحو هذا، فإذا جعت تضرّعتُ إليك وذكرتُك، وإذا شبعتُ حمدتُك وشكرتُك»، حدّثنا أبو طاهر المطهر بن علي ابن عبيد الله الفارسي أنا أبو ذرّ محمد بن إبراهيم الصالحاني أنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بأبي الشيخ أنا أبو يعلى ثنا محمد بن بكّار ثنا أبو معشر عن سعيد يعني المقبري عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «يا عائشة لو شئت لسارت معي جبال الذهب جاءني ملك أن حجزتة لتساوي الكعبة، فقال: إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول إن شئت نبيّاً عبداً، وإن شئت نبيّاً ملكاً فنظرت إلى جبريل فأشار إليّ أن ضع نفسك، وفي رواية ابن عباس: فالتفت رسول الله ﷺ إلى جبريل كالمستشير له فأشار جبريل بيده أن تواضع، فقلت: نبيّاً عبداً» قال: فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك لا يأكل متكئاً يقول: «آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد».

قوله عزّ وجلّ: ﴿ بل كذبوا بالساعة ﴾، بالقيامة، ﴿ وأعتدنا لمَن كذب بالساعة سعيراً ﴾، ناراً مستعرّة.

﴿ إذا رأتهم من مكان بعيد ﴾، قال الكلبيّ والسدي: من مسيرة عام. وقيل: من مسيرة مائة سنة. وقيل: خمسمائة سنة. وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ بين عيني جهنّم مقعداً». قالوا: وهل لها من عينين؟ قال: نعم ألم تستمعوا قول الله تعالى: ﴿ إذا رأتهم من مكان بعيد ﴾، وقيل: إذا رأتهم زبانيتها. ﴿ سمعوا لها تغيظاً ﴾ غلياناً كالغضبان إذا غلى صدره من الغضب. ﴿ وزفيراً ﴾ صوتاً فإن قيل: كيف يسمع التغيّظ؟ قيل: معناه رأوا وعلموا أن لها تغيظاً وسمعوا لها زفيراً، كما قال الشاعر:

ورأيت زوجك في الوغى متقلّداً سيفاً ورمحاً

أي وحاملاً رمحاً، وقيل: سمعوا لها صوت التغيظ من التلهب والتوقد، وقال عبيد بن عمير: تزفر جهنم يوم القيامة زفرة فلا يبقى ملك مقرب، ولا نبي مرسل إلا خر لوجهه ﴿**وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً**﴾ قال ابن عباس تضيق عليه كما يضيق الزج في الرمح ﴿**مقرنين**﴾ أي مصفدين قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال، وقيل: مقرنين مع الشياطين في السلاسل ﴿**دعوا هنالك ثبوراً**﴾ قال ابن عباس: ويلاً وقيل هلاكاً وفي الحديث «إن أول من يكسى حلة من النار إبليس، فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من خلفه وهو يقول يا ثبوراه وهم ينادون يا ثبورهم حتى يقفوا على النار فينادي يا ثبوراه وهم ينادون يا ثبورهم فيقال لهم ﴿**لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً**﴾» هكذا ذكره البغوي بغير سند، وقيل معناه هلاككم أكثر من أن تدعوا مرة واحدة فادعوا أدعية كثيرة. قوله عز وجل ﴿**قل أذلك خير**﴾ أي الذي ذكرت من صفة النار وأهلها ﴿**أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاءً ومصيراً**﴾ أي ثواباً ومرجعاً لهم قال تعالى ﴿**لهم فيها ما يشاؤون**﴾ أي أن جميع المرادات لا تحصل إلا في الجنة، لا في غيرها. فإن قلت: قد يشتهي الإنسان شيئاً، وهو لا يحصل في الجنة كأن يشتهي الولد ونحوه وليس هو في الجنة قلت إنّ الله يزيل ذلك الخاطر عن أهل الجنة، بل كل واحد من أهل الجنة مشتغل بما هو فيه من اللذات الشاغلة عن الالتفات إلى غيره ﴿**خالدين**﴾ أي في نعيم الجنة ومن تمام النعيم أن يكون دائماً، إذ لو انقطع لكان مشوباً بضرب من الغم وأنشد في المعنى:

أشـد الغـم عنـدي فـي سـرور تيقـن عنـه صـاحبـه انتقـالا

﴿**كان على ربك وعداً مسؤولاً**﴾ أي مطلوباً، وذلك أن المؤمنين سألوا ربهم في الدنيا حين قالوا «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة» وقالوا «ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك» يقول كان إعطاء الله المؤمنين جنة وعداً،

أي وحاملاً رمحاً. وقيل: سمعوا لها تغيظاً أي: صوت التغيّظ من التلهّب والتوقّد. قال عبيد بن عمير: تزفر جهنّم يوم القيامة زفرة فلا يبقى ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل إلا خرّ لوجهه.

﴿ **وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً** ﴾، قال ابن عباس: يضيق عليهم الزجّ في الرمح، ﴿ **مُقرّنين** ﴾، مصفّدين قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال. وقيل: مقرنين مع الشياطين في السلاسل، ﴿ **دعوا هُنالِكَ ثبوراً** ﴾، قال ابن عباس: ويلاً. وقال الضحاك: هلاكاً، وفي الحديث: «إنّ أول مَن يُكسى حلّة من النار إبليس»، فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريّته من خلفه وهو يقول: يا ثبوراه، وهم ينادون يا ثبورهم حتى يقفوا على النار فينادون يا ثبوراه وينادي يا ثبورهم، فيقال لهم:

﴿ **لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً** ﴾، قيل: أي هلاككم أكثر من أن تدعوا مرة واحدة فادعوا أدعية كثيرة.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**قلْ أذلك**﴾، يعني الذي ذكرته من صفة النـار وأهلها، ﴿**خيـر أم جنّة الخلد التي وعـد المتّقون كانت لهم جزاء** ﴾، ثواباً، ﴿ **ومصيراً** ﴾، مرجعاً.

﴿ **لهم فيها ما يشاؤون خالدين كان على ربك وعداً مسؤولاً** ﴾، مطلوباً، وذلك أن المؤمنين سألوا ربّهم في الدنيا حين قالوا ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك، يقول: كان أعطى الله المؤمنين جنّة خلد وعداً وعدهم على طاعتهم إيّاه في الدنيا ومسألتهم إياه ذلك. قال محمد بن كعب القرظي: الطلب من الملائكة للمؤمنين وذلك قولهم ربنا وأدخلهم جنّات عدن التي وعدتم.

﴿ **ويوم يحشرهم** ﴾، قرأ ابن كثير وأبو جعفر ويعقوب وحفص ﴿ **يحشرهم** ﴾ بالياء وقرأ الباقون بالنون،

وعدهم على طاعتهم إياه في الدنيا ومسألتهم إياه ذلك الوعد وقيل الطلبة من الملائكة للمؤمنين وذلك قولهم ﴿ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم﴾. قوله تعالى ﴿ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله﴾ يعني من الملائكة والإنس والجن مثل عيسى والعزير، وقيل يعني الأصنام ثم يخاطبهم ﴿فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل﴾ أي أخطؤوا الطريق.

قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ ۞ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾

﴿قالوا﴾ يعني المعبودين ﴿سبحانك﴾ نزهوا الله سبحانه وتعالى من أن يكون معه آلهة ﴿ما ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء﴾ يعني ما كان ينبغي لنا أن نوالي أعداءك، بل أنت ولينا من دونهم وقيل معناه، ما كان لنا أن نأمرهم بعبادتنا ونحن نعبدك ونحن عبيدك ﴿ولكن متعتهم وآباءهم﴾ أي بطول العمر والصحة والنعمة في الدنيا ﴿حتى نسوا الذكر﴾ معناه تركوا المواعظ والإيمان بالقرآن وقيل تركوا ذكرك وغفلوا عنه ﴿وكانوا قوماً بوراً﴾ معناه هلكى أي غلب

﴿ وما يعبدون من دون الله ﴾، قال مجاهد: من الملائكة والجنّ والإنس وعيسى وعزير. وقال عكرمة والضحاك والكلبي: يعني الأصنام ثم يخاطبهم، ﴿ فيقول ﴾، قرأ ابن عامر بالنون والآخرون بالياء، ﴿ أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلّوا السبيل ﴾، أخطئوا الطريق.

﴿ قالوا سبحانك ﴾، نزّهوا الله من أن يكون معه إله، ﴿ ما كان ينبغي لنا أن نتّخذ من دونك من أولياء ﴾، يعني ما كان ينبغي لنا أن نوالي أعداءك بل أنت وليّنا من دونهم. وقيل: ما كان لنا أن نأمرهم بعبادتنا ونحن نعبدك. وقرأ أبو جعفر ﴿ أن نُتّخذ ﴾ بضم النون وفتح الخاء فتكون ﴿ من ﴾ الثاني صلة، ﴿ ولكن متعتهم وآباءهم ﴾، في الدنيا بطول العمر والصحة والنعمة، ﴿ حتى نسوا الذكر ﴾، تركوا الموعظة والإيمان بالقرآن. وقيل: تركوا ذكرك وغفلوا عنه، ﴿ وكانوا قوماً بوراً ﴾، يعني هلكى غلب عليهم الشقاء والخذلان، رجل يقال له بائر، وقوم بور، وأصله من البوار وهو الكساد والفساد، ومنه بوار السلعة وهو كسادها. وقيل هو اسم مصدر كالزور يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكّر والمؤنّث.

﴿ قد كذّبوكم ﴾، هذا خطاب مع المشركين، أي: كذّبكم المعبودون، ﴿ بما تقولون ﴾، إنهم آلهة، ﴿ فما تستطيعون ﴾، قرأ حفص بالتاء يعني العابدين، وقرأ الآخرون بالياء يعني: الآلهة. ﴿ صرفاً ﴾ يعني صرف العذاب عن أنفسهم، ﴿ ولا نصراً ﴾ يعني ولا نصر أنفسهم. وقيل: ولا نصركم أيها العابدون من عذاب الله بدفع العذاب عنكم وقيل الصرف الحيلة، ومنه قول العرب: إنه ليصرف أي يحتال، ﴿ ومَن يظلم ﴾، يشرك، ﴿ منكم نُذقه عذاباً كبيراً ﴾.

عليهم الشقاء والخذلان ﴿فقد كذبوكم﴾ هذا خطاب مع المشركين أي كذبكم المعبودون ﴿بما تقولون﴾ يعني أنهم آلهة ﴿فما يستطيعون﴾ أي الآلهة ﴿صرفاً﴾ أي صرف العذاب عن أنفسهم ﴿ولا نصراً﴾ يعني ولا نصر أنفسهم وقيل لا ينصرونكم أيها العابدون بدفع العذاب عنكم ﴿ومن يظلم منكم﴾ يعني يشرك ﴿نذقه عذاباً كبيراً﴾.

قوله عز وجل ﴿وما أرسلنا قبلك﴾ أي يا محمد ﴿من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق﴾ قال ابن عباس: لما عير المشركون رسول الله ﷺ وقالوا ﴿ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق﴾ أنزل الله تعالى على هذه الآية والمعنى أن هذه عادة مستمرة من الله تعالى على رسله فلا وجه لهذا الطعن ﴿وما أنا إلا رسول﴾ ﴿وما كنت بدعاً من الرسل﴾ وهم كانوا بشراً مثلي، يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة﴾ أي بلية قال ابن عباس أي جعلنا بعضكم بلاء بعض، لتصبروا على ما تسمعون منهم وترون من خلافهم وتتبعوا أنتم الهدى، قيل: نزلت في ابتلاء الشريف بالوضيع وذلك أن الشريف إذا أراد أن يسلم رأى الوضيع، قد أسلم قبله فأنف وقال: أسلم بعده فيكون له السابقة والفضل علي فيقيم على كفره ويمتنع من الإسلام فذلك افتتان بعضهم ببعض وقيل: نزلت في أبي جهل والوليد بن عقبة والعاص بن وائل السهمي والنضر بن الحارث وذلك أنهم رأوا أبا ذر وابن مسعود وعمار بن ياسر وبلالاً، وصهيباً وعامر بن فهيرة وذويهم، قد أسلموا قبلهم فقالوا: نسلم فنكون مثل هؤلاء

قوله عزّ وجلّ: ﴿ وما أرسلنا قبلك من المرسلين ﴾، يا محمد، ﴿ إلاّ أنهم ليأكلون الطعام ﴾، روى الضحاك عن ابن عباس قال: لمّا عيّر المشركون رسول الله ﷺ وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، أنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية، يعني ما أنا إلاّ رسول وما كنتُ بِدَعاً من الرسل، وهم كانوا بشراً يأكلون الطعام، ﴿ ويمشون في الأسواق ﴾. وقيل: معناه وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلاّ قيل لهم مثل هذا أنهم يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق كما قال في موضع آخر: ما يقال لك إلاّ ما قد قيل للرسل من قبلك، ﴿ وجعلنا بعضكم لبعض فتنة ﴾، أي بليّة فالغني فتنة للفقير، يقول الفقير ما لي لم أكن مثله، والصحيح فتنة للمريض، والشريف فتنة للوضيع. وقال ابن عباس: أي جعلت بعضكم بلاءً لبعض لتصبروا على ما تسمعون منهم، وترون من خلافهم، وتتبعوا الهدى. وقيل: نزلت في ابتلاء الشريف بالوضيع، وذلك أن الشريف إذا أراد أن يسلم فرأى الوضيع قد أسلم قبله أنف، وقال أسلم بعده فيكون له عليّ السابقة والفضل، فيقيم على كفره ويمتنع من الإسلام، فذلك افتتان بعضهم ببعض، وهذا قول الكلبي. وقال مقاتلَ: نزلت في أبي جهل والوليد بن عقبة والعاص بن وائل والنضر بن الحارث. وذلك أنهم لما رأوا أبا ذرّ وابن مسعود وعمّاراً وبلالاً وصهيباً وعامر بن فهيرة وذويهم قالوا نسلم فنكون مثل هؤلاء. وقال مقاتل نزلت في ابتلاء فقراء المؤمنين بالمستهزئين من قريش، كانوا يقولون انظروا إلى هؤلاء الذين اتّبعوا محمداً من موالينا وأراذلنا، فقال الله تعالى لهؤلاء المؤمنين: ﴿ أتصبرون ﴾ يعني على هذه الحالة من الفقر والشدّة والأذى، ﴿ وكان ربّك بصيراً ﴾، بمَن صبر وبمَن جزع، أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن أنا أبو العباس الأصم ثنا زكريا بن يحيىٰ المروزي ثنا سفيان بن عيينة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ قال: «إذا نظر أحدكم إلى مَن فضل عليه في المال والجسم فلينظر إلى مَن دونه في المال والجسم».

﴿ وقال الذين لا يرجون لقاءنا ﴾، أي لا يخافون البعث، قال الفرّاء: الرجاء بمعنى الخوف لغة تهامة، ومنه قوله تعالى: ﴿ ما لكم لا ترجون لله وقاراً ﴾ [نوح: ١٣] أي: لا تخافون لله عظمة. ﴿ لولا أُنزل علينا الملائكة ﴾، فتخبرنا أن محمداً صادق، ﴿ أو نرى ربنا ﴾، فيخبرنا بذلك، ﴿ لقد استكبروا ﴾، أي تعظموا. ﴿ في أنفسهم ﴾، بهذه المقالة، ﴿ وعَتَوْا عتوّاً كبيراً ﴾. قال مجاهد: عتوا طغوا في القول والعتوّ أشدّ الكفر

وقيل: نزلت في ابتلاء فقراء المسلمين بالمستهزئين من قريش كانوا يقولون: انظروا إلى هؤلاء الذين تبعوا محمداً ﷺ من موالينا وأراذلنا فقال الله تعالى لهؤلاء المؤمنين ﴿**أتصبرون**﴾ أي على هذه الحالة من الفقر والشدة والأذى وقيل إن الغني فتنة الفقير يقول ما لي لم أكن مثله والصحيح فتنة المريض والشريف فتنة الوضيع ﴿**وكان ربك بصيراً**﴾ أي بمن صبر وبمن جزع (ق) عن أبي هريرة يبلغ به النبيّ ﷺ قال: «إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه بالمال والجسم فلينظر إلى من هو دونه في المال والجسم» لفظ البخاري ولمسلم «انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم».

قوله تعالى ﴿**وقال الذين لا يرجون لقاءنا**﴾ أي يخافون البعث والرجاء، بمعنى الخوف لغة تهامة ﴿**لولا أنزل علينا الملائكة**﴾ فتخبرنا أن محمداً صادق ﴿**أو نرى ربنا**﴾ فيخبرنا بذلك ﴿**لقد استكبروا**﴾ أي تعظموا ﴿**في أنفسهم**﴾ بهذه المقالة ﴿**وعتوا عتواً كبيراً**﴾ أي طغوا وقيل عتواً في القول وهو أشد الكفر والفحش وعتوهم، طلبهم رؤية الله حتى يؤمنوا به. قوله تعالى ﴿**يوم يرون الملائكة**﴾ أي عند الموت وقيل يوم القيامة ﴿**لا بشرى يومئذٍ للمجرمين**﴾ وذلك أن الملائكة يبشرون المؤمنين، يوم القيامة ويقولون للكفار: لا بشرى لكم وقيل: لا بشارة لهم بالجنة كما بشر المؤمن ﴿**ويقولون حجراً محجوراً**﴾ قال ابن عباس تقول الملائكة حراماً محرماً أن يدخل الجنة، إلا من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله، وقيل: إذا خرج الكفار من قبورهم تقول لهم الملائكة حراماً محرماً عليكم أن تكون لكم البشرى وقيل هذا قول: الكفار للملائكة وذلك أن العرب كانت إذا نزلت بهم شدة ورأوا ما يكرهون قالوا حجراً محجوراً فهم يقولون ذلك إذا عاينوا الملائكة. قوله عز وجل ﴿**وقدمنا إلى ما عملوا من عمل**﴾ يعني من أعمال البر التي عملوها في حال الكفر ﴿**فجعلناه هباء منثوراً**﴾ أي باطلاً لا ثواب له لأنهم لم يعملوه لله عز وجل ومنه الحديث الصحيح كل عمل ليس عليه أمرنا، فهو رد والهباء هو ما يرى في الكوة كالغبار، إذا وقعت الشمس فيها فلا يمس بالأيدي، ولا يرى في الظل والمنثور المفرق قال ابن عباس هو ما تسقيه الرياح، وتذريه من التراب كحطام الشجر وقيل هو ما يسطع من حوافر الدواب عند السير من الغبار. قوله تعالى:

وأفحش الظلم، وعتوهم طلبهم رؤية الله حتى يؤمنوا به.

﴿ يوم يرون الملائكة ﴾ عند الموت. وقيل: في القيامة. ﴿ لا بُشرى يومئذٍ للمجرمين ﴾، للكافرين، وذلك أن الملائكة يبشّرون المؤمنين يوم القيامة، ويقولون للكفّار لا بشرى لكم، هكذا قال عطية، وقال بعضهم: معناه أنه لا بشرى يوم القيامة للمجرمين، أي لا بشارة لهم بالجنة، كما يُبَشَّرُ المؤمنون. ﴿ ويقولون حِجْراً محجوراً ﴾، قال عطاء عن ابن عباس: تقول الملائكة حراماً محرماً أن يدخل الجنة، إلاّ مَن قال لا إلَه إلاّ الله. وقال مقاتل: إذا خرج الكفّار من قبورهم قالت لهم الملائكة حراماً محرّماً عليكم أن يكون لكم البشرى. وقال بعضهم: هذا قول الكفّار للملائكة. قال ابن جريج: كانت العرب إذا نزلت بهم شدّة رأوا ما يكرهون، قالوا حجراً محجوراً، فهم يقولونه إذا عاينوا الملائكة قال مجاهد: يعني عوذاً معاذاً يستعيذون به من الملائكة.

﴿ وقَدِمْنَا ﴾، وعمدنا، ﴿ إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً ﴾، أي باطلاً لا ثواب له، فهم لم يعملوه لله عزّ وجلّ. واختلفوا في الهباء قال علي: هو ما يرى في الكوّة إذا وقع ضوء الشمس فيها كالغبار يمسّ بالأيدي، ولا يرى في الظل، وهو قول الحسن وعكرمة ومجاهد، والمنثور والمفرّق، وقال ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير: هو ما تسفيه الرياح وتذريه من التراب وحطام الشجر. وقال مقاتل: هو ما يسطع من حوافر الدواب عند السير. وقيل: الهباء المنثور ما يرى في الكوّة والهباء المنبثّ هو ما تطيّره الرياح من سنابك الخيل.

أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ
يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ
بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾

﴿**أصحاب الجنة يومئذٍ**﴾ أي يوم القيامة ﴿**خير مستقراً**﴾ أي من هؤلاء المشركين المستكبرين ﴿**وأحسن مقيلاً**﴾ أي موضع القائلة، وذلك أن أهل الجنة لا يمر بهم يوم القيامة إلا قدر من أول النهار إلى وقت القائلة حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة قال ابن مسعود لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار والقيلولة الاستراحة نصف النهار وإن لم يكن مع ذلك نوم لأن الله تعالى قال ﴿**وأحسن مقيلاً**﴾ والجنة لا نوم فيها قال ابن عباس الحساب في ذلك اليوم في أوله، ويروى أن يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون، كما بين العصر إلى غروب الشمس. قوله تعالى﴿**ويوم تشقق السماء بالغمام**﴾ أي عن الغمام وهو غمام أبيض مثل الضبابة، ولم يكن إلا لبني إسرائيل في تيههم ﴿**ونزل الملائكة تنزيلاً**﴾ قال ابن عباس تشقق السماء الدنيا فينزل أهلها، وهم أكثر ممن في الأرض من الإنس والجن ثم تتشقق السماء الثانية فينزل أهلها وهم أكثر ممن في السماء الدنيا ومن الجن والإنس ثم كذلك حتى تتشق السماء السابعة وأهل كل سماء يزيدون على أهل السماء التي تليها ثم تنزل الكروبيون ثم حملة العرش ﴿**الملك يومئذٍ الحق للرحمن**﴾ أي الملك الذي هو الملك حقاً ملك الرحمن يوم القيامة، قال ابن عباس:

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً** ﴾ أي: من هؤلاء المشركين المتكبّرين، ﴿ **وأحسن مقيلاً** ﴾، موضع قائلة يعني أهل الجنة لا يمرّ بهم يوم القيامة إلّا قدر النهار من أوله إلى وقت القائلة حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة، قال ابن مسعود: لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار، وقرأ (ثم إن مقيلهم لا إلى الجحيم) هكذا كان يقرأ، وقال ابن عباس في هذه الآية الحساب ذلك اليوم في أوله، قال القوم حين قالوا في منازلهم في الجنة. قال الأزهري: القيلولة والمقيل الاستراحة نصف النهار، وإن لم يكن مع ذلك نوم، لأن الله تعالى قال: ﴿ **وأحسن مقيلاً** ﴾ والجنة لا نوم فيها. ويُروى أن يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر إلى غروب الشمس.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **ويوم تشقّق السماء بالغمام** ﴾، أي عن الغمام الباء وعن يتعاقبان كما يقال رميت عن القوس وبالقوس وتشقّق بمعنى تتشقّق، أدغموا إحدى التاءين في الأخرى، وقرأ أبو عمرو وأهل الكوفة بتخفيف الشين ههنا، وفي سورة ﴿ قٓ ﴾ [٤٤] بحذف إحدى التاءين، وقرأ الآخرون بالتشديد، أي تنشقّ بالغمام وهو غمام أبيض رقيق مثل الضبابة، ولم يكن إلا لبني إسرائيل في تيههم. ﴿ **ونُزِّلَ الملائكةُ تنزيلاً** ﴾، قرأ ابن كثير و(ننزل) بنونين خفيف ورفع اللام، ﴿ **الملائكة** ﴾ نصب، قال ابن عباس: تشقّق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر ممّن في الأرض من الجنّ والإنس، ثم تشقّق السماء الثانية فينزل أهلها وهم أكثر ممّن في السماء الدنيا، ومن الجن والإنس، ثم كذلك حتى تشقّق السماء السابعة وأهل كل سماء يزيدون على أهل السماء التي قبلها، ثم ينزل الكروبيون ثم حملة العرش.

﴿ **الملك يومئذ الحق للرحمن** ﴾ أي الملك الذي هو الملك الحق حقاً ملك الرحمن يوم القيامة قال ابن عباس يريد أن يوم القيامة لا ملك يقضى غيره. ﴿ **وكان يوماً على الكافرين عسيراً** ﴾، شديداً فهذا الخطاب يدلّ

يريد أن يوم القيامة لا ملك يقضي غيره ﴿وكان يوماً على الكافرين عسيراً﴾ أي شديد وفيه دليل على أنه لا يكون على المؤمنين عسيراً وجاء في الحديث «أنه يهون يوم القيامة على المؤمن حتى يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا».

قوله تعالى ﴿ويوم يعض الظالم على يديه﴾ أراد بالظالم عقبة بن أبي معيط، وذلك أنه كان لا يقدم من سفر، إلا صنع طعاماً ودعا إليه أشراف قومه وكان يكثر مجالسة النبيّ ﷺ فقدم ذات يوم من سفر، فصنع طعاماً ودعا الناس إليه ودعا رسول الله ﷺ فلما قرب الطعام، قال رسول الله ﷺ: ما أنا بآكل طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله فقال عقبة: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فأكل رسول الله ﷺ من طعامه. وكان عقبة صديقاً لأبيّ بن خلف، فلما أخبر أبيّ بن خلف، قال له: يا عقبة صبأت، قال لا والله ما صبأت ولكن دخل علي رجل فأبى أن يأكل طعامي إلا أن أشهد له، فاستحييت أن يخرج من بيتي، ولم يطعم فشهدت له فطعم، فقال: ما أنا بالذي أرضى عنك أبداً إلا أن تأتيه فتبزق في وجهه، ففعل ذلك عقبة فقال عليه الصلاة والسلام، لا أراك خارجاً من مكة إلا علوت رأسك بالسيف، فقتل عقبة يوم بدر صبراً وأما أبيّ بن خلف فقتله النبيّ ﷺ بيده يوم أُحد، وقيل: لما بزق عقبة في وجه النبيّ ﷺ عاد بزاقه في وجهه، فاحترق خداه فكان أثر ذلك في وجهه، حتى قتل وقيل كان عقبة بن أبي معيط خليل أمية بن خلف، فأسلم عقبة فقال له أمية: وجهي من وجهك حرام إن تابعت محمداً فكفر وارتد، فأنزل الله فيه

على أنه لا يكون على المؤمن عسيراً، وجاء في الحديث: «أنه يهون يوم القيامة على المؤمنين حتى يكون عليهم أخفّ من صلاة مكتوبة صلّوها في الدنيا».

﴿ ويوم يعضّ الظالم على يديه ﴾ أراد بالظالم عقبة بن أبي معيط، وذلك أن عقبة كان لا يقدم من سفر إلّا صنع طعاماً فدعا إليه أشراف قومه، وكان يكثر مجالسة النبي ﷺ فقدِمَ ذات يوم من سفر يصنع طعاماً فدعا الناس ودعا رسول الله ﷺ، فلما قرب الطعام قال رسول الله ﷺ: «ما أنا بآكل طعامك حتى تشهد أن لا إلّه إلّا الله وأني رسول الله» فقال عقبة: أشهد أن لا إلّه إلّا الله وأن محمداً رسول الله فأكل رسول الله ﷺ من طعامه، وكان عقبة صديقاً لأُبيّ بن خلف فلما أخبر أُبيّ بن خلف قال له: يا عقبة صبأت؟ قال: لا والله ما صبأت ولكن دخل عليّ رجل فأبى أن يأكل طعامي إلّا أن أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم. فشهدت له فطعم، فقال: ما أنا بالذي أرضى عنك أبداً إلّا أن تأتيه فتبزق في وجهه، ففعل ذلك عقبة فقال عليه السلام: «لا ألقاكَ خارجاً من مكة إلّا علوتُ رأسك بالسيف» فقتل عقبة يوم بدر صبراً وأما أُبيّ بن خلف فقتله النبي ﷺ يوم أُحد بيده. وقال الضحاك: لما بزق عقبة في وجه رسول الله ﷺ عاد بُزاقه في وجهه فاحترق خدّاه، وكان أثر ذلك فيه حتى الموت. وقال الشعبي: كان عقبة بن أبي معيط خليل أمية بن خلف فأسلم عقبة فقال أُميّة وجهي من وجهك حرام أن بايعت محمداً فكفر وارتدّ فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿ ويوم يعضّ الظالم ﴾ يعني عقبة بن أبي معيط بن عبد شمس بن مناف على يديه ندماً وأسفاً على ما فرط في جنب الله، وأوبق نفسه بالمعصية والكفر بالله بطاعة خليله الذي سدّه عن سبيل ربّه قال عطاء: يأكل يديه حتى تبلغ مرفقيه ثم تنبتان ثم يأكل هكذا كلما نبتت يده أكلها تحسّراً على ما فعل ﴿ يقول يا ليتني اتخذت ﴾، في الدنيا، ﴿ مع الرسول سبيلاً ﴾، ليتني اتّبعت محمداً ﷺ واتخذت معه سبيلاً إلى الهدى، قرأ أبو عمرو ﴿ يا ليتني اتخذت ﴾ بفتح الياء، والآخرون بإسكانها.

﴿ يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً ﴾، يعني أُبيّ بن خلف.

﴿ لقد أضلّني عن الذكر ﴾، عن الإيمان والقرآن، ﴿ بعد إذْ جاءني ﴾ يعني الذكر مع الرسول، ﴿ وكان

﴿ويوم يعض الظالم﴾ يعني عقبة بن أبي معيط بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، على يديه، أي ندماً وأسفاً على ما فرط في جنب الله، وأوبق نفسه بالمعصية والكفر لطاعة خليله الذي صده عن سبيل ربه، قال عطاء: يأكل يديه حتى يبلغ مرفقيه ثم ينبتان، ثم يأكلهما هكذا كلما نبتت يده أكلها على ما فعل، تحسراً وندامة ﴿يقول يا ليتني اتخذت﴾ أي في الدنيا ﴿مع الرسول سبيلاً﴾ أي ليتني اتبعت محمداً ﷺ واتخذت معه طريقاً إلى الهداية ﴿يا ويلتى﴾ دعا على نفسه بالويل ﴿ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً﴾ قيل يعني أبي بن خلف ﴿لقد أضلني عن الذكر﴾ أي عن الإيمان والقرآن ﴿بعد إذ جاءني﴾ يعني الذكر مع الرسول صلّى الله عليه وسلّم ﴿وكان الشيطان﴾ وهو كل متمرد عات صد عن سبيل الله من الجن والإنس ﴿للإنسان خذولاً﴾ أي كثير الخذلان يتركه ويتبرأ منه عند نزول البلاء والعذاب به وحكم الآية عام في كل خليلين، ومتحابين اجتمعا على معصية الله (ق) عن أبي موسى الأشعري عن النبيّ ﷺ قال «مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيباً ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» أخرجه أبو داود والترمذي. ولهما عن أبي سعيد الخدري قال: قال الرسول صلّى الله عليه وسلّم «لاتصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي». قوله عز وجل:

وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ
ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ
لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ
عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ
أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا
كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ
ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْاْ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ

﴿ الشيطان ﴾، وهو كل متمرِّد عاتٍ من الإنس والجن وكلّ مَن صدّ عن سبيل الله فهو شيطان. ﴿ للإنسان خذولاً ﴾، أي تاركاً يتركه ويتبرأ منه عند نزول البلاء والعذاب وحكم هذه الآية عامّ في حق كل متحابّين اجتمعا على معصية الله. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن العلاء أنا أبو أسامة عن يزيد عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «مثل الجليس الصالح والسوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إمّا أن يحذيك وإمّا أن تبتاع منه، وإمّا أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إمّا أن يحرق ثيابك، وإمّا تجد منه ريحاً خبيثة». أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث ومحمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن حياة بن شريح أخبرني سالم بن غيلان أن الوليد بن قيس التجيبي أخبره أنه سمع أبا سعيد الخدري قال سالم أو عن أبي الهيثم عن أبي سعيد أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لا تصاحب إلاّ مؤمناً ولا يأكل طعامك إلاّ تقي»، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن كسّاب النيسابوري أنا أبو العباس الأصمّ ثنا حميد بن عياش الرملي أنا مؤمل بن إسماعيل ثنا زهير بن محمد الخراساني ثنا موسى بن وردان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم مَن يخالل».

﴿أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾﴾

﴿وقال الرسول﴾ يعني ويقول الرسول في ذلك اليوم ﴿يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾ أي متروكاً وأعرضوا عنه، ولم يؤمنوا به ولم يعملوا بما فيه وقيل جعلوه بمنزلة الهجر وهو السيىء من القول فزعموا أنه سحر وشعر، والمعنى أن محمداً صلّى الله عليه وسلّم، يشكو قومه إلى الله عز وجل يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً، فعزاه الله تعالى فقال ﴿وكذلك جعلنا﴾ أي وكما جعلت لك أعداء من مشركي مكة، وهم قومك كذلك جعلنا ﴿لكل نبي عدواً من المجرمين﴾ أي المشركين والمعنى لا يكبرن عليك ذلك فإن الأنبياء قبلك قد لقوا هذا من قومهم، فصبروا فاصبر أنت كما صبروا فإني ناصرك، وهاديك وهو قوله تعالى ﴿وكفى بربك هادياً ونصيراً﴾ قوله تعالى ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة﴾ أي كما أنزلت التوراة على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داود صلوات الله عليهم أجمعين قال الله ﴿كذلك﴾ فعلنا ذلك ﴿لنثبت به فؤادك﴾ أي أنزلناه مفرقاً لنقوي به قلبك، فتعيه وتحفظه فإن الكتب المتقدمة نزلت على أنبياء، يكتبون ويقرؤون وأنزلنا القرآن على نبي أمي لا يكتب ولا يقرأ ولأن من القرآن الناسخ والمنسوخ، ومنه ما هو جواب لمن سأل عن أمور تحدث في أوقات مختلفة ففرقناه ليكون أوعى لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وأيسر على العامل به ﴿ورتلناه ترتيلاً﴾.

﴿ وقال الرسول ﴾، يعني: ويقول الرسول في ذلك اليوم: ﴿ يا ربِّ إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً ﴾، يعني متروكاً فأعرضوا عنه، ولم يؤمنوا به ولم يعملوا بما فيه. وقيل: جعلوه بمنزلة الهجر وهو الهذيان، والقول السيء، فزعموا أنه شعر وسحر، وهو قول النخعي ومجاهد. وقيل: قال الرسول يعني محمداً ﷺ يشكوا قومه إلى الله يا رب: إنّ قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً فعزّاه الله تعالى فقال:

﴿ وكذلك جعلنا ﴾، يعني كما جعلنا لك أعداء من مشركي قومك كذلك جعلنا، ﴿ لكل نبي عدوّاً من المجرمين ﴾، يعني المشركين. قال مقاتل: يقول لا يكبرنّ عليك فإن الأنبياء قبلك قد لقوا هذا من قومهم فاصبرْ لأمري كما صبروا فإني ناصرك وهاديك، ﴿ وكفى بربّك هادياً ونصيراً ﴾.

﴿ وقال الذين كفروا لولا نُزِّل عليه القرآن جملة واحدة ﴾، كما أنزلت التوراة على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داود، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ كذلك ﴾، فعلنا، ﴿ لنثبتَ به فؤادَك ﴾، يعني أنزلناه متفرّقاً ليقوى به قلبك فتعيه وتحفظه فإن الكتب أُنزلت على الأنبياء يكتبون ويقرؤون، وأنزل الله القرآن على نبيّ أُميّ لا يكتب ولا يقرأ، ولأن من القرآن الناسخ والمنسوخ، ومنه ما هو جواب إن سأل عن أمور ففرّقناه ليكون أوعى لرسول الله ﷺ وأيسر على العامل به. ﴿ ورتّلناه ترتيلاً ﴾، قال ابن عباس بيّناه بياناً، والترتيل التبيين في ترتّل وتثبّت. وقال السدي: فصّلناه تفصيلاً. وقال ومجاهد: بعضه في إثر بعض. وقال النخعي والحسن: فرّقناه تفريقاً آية بعد آية.

﴿ ولا يأتونك ﴾، يا محمد يعني هؤلاء المشركين، ﴿ بمثل ﴾، يضربونه في إبطال أمرك ﴿ إلاّ جئناك بالحق ﴾، يعني بما ترد به ما جاؤوا به من المثل وتبطله، فسُمّي ما يردون من الشبه مثلاً، وسُمّي ما يدفع به الشبه حقّاً، ﴿ وأحسن تفسيراً ﴾، يعني بياناً وتفصيلاً، والتفسير تفعيل من الفسر وهو كشف ما قد غطي، ثم ذكرَ ما لهؤلاء المشركين فقال:

﴿ الذين ﴾، أي: هم الذين، ﴿ يُحشرون على وجوههم ﴾، فيُساقون ويُجرّون، ﴿ إلى جهنّم أولئك شرّ مكاناً ﴾، يعني مكانةً ومنزلةً، ويقال منزلاً ومصيراً، ﴿ وأضلّ سبيلاً ﴾، أخطأ طريقاً.

قال ابن عباس: وبيناه بياناً والترتيل التبيين في ترسل وتثبت وقيل فرقناه تفريقاً آية بعد آية ﴿ولا يأتونك﴾ يعني يا محمد هؤلاء المشركون ﴿بمثل﴾ يعني يضربونه لك في إبطال أمرك ﴿إلا جئناك بالحق﴾ أي بما ترد به ما جاؤوا به من ما يوردون المثل، وتبطله فسمي ما يوردون من الشبه مثلاً، وسمي ما يدفع به الشبه حقاً ﴿وأحسن تفسيراً﴾ يعني أحسن بياناً وتفصيلاً ثم ذكر ما لهؤلاء المشركين فقال تعالى ﴿الذين﴾ يعني هم الذين ﴿يحشرون﴾ أي يساقون ويجرون ﴿على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكاناً﴾ يعني منزلاً ومصيراً ﴿وأضل سبيلاً﴾ أي أخطأ طريقاً. قوله تعالى ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً﴾ أي معيناً وظهيراً ﴿فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ يعني القبط ﴿فدمرناهم﴾ فيه إضمار أي فكذبوهما فدمرناهم ﴿تدميراً﴾ يعني أهلكناهم إهلاكاً ﴿وقوم نوح لما كذبوا الرسل﴾ يعني رسولهم ومن كذب رسولاً واحداً فقد كذب جميع الرسل فلذلك ذكره بلفظ الجمع ﴿أغرقناهم وجعلناهم للناس آية﴾ أي عبرة لمن بعدهم ﴿وأعتدنا للظالمين﴾ في الآخرة ﴿عذاباً أليماً﴾ يعني سيرى ما حل بهم من عاجل العذاب في الدنيا ﴿وعاداً وثمود﴾ أي أهلكنا عاداً وثمود ﴿وأصحاب الرس﴾ قال وهب بن منبه كان أهل بئر الرس نزولاً عليها، وكانوا أصحاب مواش يعبدون الأصنام فبعث الله إليهم شعيباً، يدعوهم إلى الإسلام فتمادوا في طغيانهم وآذوا شعيباً فبينما هم حول البئر في منازلهم، انهارت البئر وخسف بهم وبديارهم ورباعهم وقيل: الرس بئر بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فأهلكهم الله. وقال سعيد بن جبير: كان لهم نبي يقال له حنظلة بن صفوان فقتلوه فأهلكهم الله

﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً ﴾، مُعيناً وظهيراً.

﴿ فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذّبوا بآياتنا ﴾، يعني القبط، ﴿ فدمّرناهم ﴾، فيه إضمار، أي: فكذّبوهما فدمّرناهم، ﴿ تدميراً ﴾، أهلكناهم إهلاكاً.

﴿ وقوم نوح لما كذبوا الرسل ﴾، أي: الرسول، ومَن كذب رسولاً واحداً فقد كذّب جميع الرسل، فلذلك ذكر بلفظ الجمع. ﴿ أغرقناهم وجعلناهم للناس آية ﴾، يعني لِمَن بعدهم عبرة، ﴿ وأعتدنا للظالمين ﴾، في الآخرة، ﴿ عذاباً أليماً ﴾، سوى ما حلّ به من عاجل العذاب. ﴿ وعاداً وثموداْ ﴾، يعني وأهلكنا عاداً وثمود، ﴿ وأصحاب الرس ﴾، اختلفوا فيهم، قال وهب بن منبّه: كانوا أهل بئر قعوداً عليها وأصحاب مواشي يعبدون الأصنام فوجّه الله إليهم شعيباً يدعوهم إلى الإسلام فتمادوا في طغيانهم. وفي أذى شعيب عليه السلام فبينما هم حوالي البئر في منازلهم انهارت بهم البئر فخسف اللَّهُ بهم وبديارهم ورباعهم، فهلكوا جميعاً، والرس: البئر وكل ركية لم تطوَ بالحجارة والآجر فهو رس. وقال قتادة والكلبي: الرس بئر بأرض اليمامة قتلوا نبيّهم فأهلكهم الله عزّ وجلّ، وقال بعضهم: هم بقية ثمود وقوم صالح، وهم أصحاب البئر التي ذكر الله تعالى في قوله: ﴿ وبئرٍ معطّلةٍ وقَصْرٍ مَشِيْد ﴾ [الحج: ٤٥]. وقال سعيد بن جبير: كان لهم نبي يقال له حنظلة بن صفوان فقتلوه فأهلكهم الله تعالى. وقال كعب ومقاتل والسدي: الرس بئر بإنطاكية قتلوا فيها حبيباً النجّار، وهم الذين ذكرهم الله في سورة يٓس. وقيل هم: أصحاب الأخدود، والرس هو الأخدود الذي حفروه. وقال عكرمة: هم قوم رسّوا نبيّهم في بئر. وقيل: الرس المعدن وجمعه رساس، ﴿ وقُرُوناً بين ذلك كثيراً ﴾، يعني وأهلكنا قروناً كثيراً بين عاد وأصحاب الرس.

﴿ وكلاًّ ضربنا له الأمثال ﴾، يعني الأشباه في إقامة الحجة عليهم، فلم نهلكهم إلاّ بعد الإنذار، ﴿ وكلاًّ تبّرنا تتبيراً ﴾، يعني أهلكنا إهلاكاً. وقال الأخفش: كسرنا تكسيراً. قال الزجّاج: كل شيء كسّرتَه وفتّتَه فقد تبّرتَه.

وقيل الرس بأنطاكية قتلوا فيها حبيباً النجار هم الذين ذكرهم الله في سورة «يسۤ» وقيل هم أصحاب الأخدود والرس الأخدود ﴿وقروناً بين ذلك كثيراً﴾ أي وأهلكنا قروناً كثيراً بين عاد وثمود وأصحاب الرس ﴿وكلاً ضربنا له الأمثال﴾ أي الأشباه في إقامة الحجة عليهم فلم نهلكهم إلا بعد الإنذار ﴿وكلاً تبرنا تتبيراً﴾ أي أهلكناهم إهلاكاً قوله تعالى ﴿ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء﴾ يعني الحجارة وهي قريات قوم لوط، وهي خمس قرى أهلك الله منها أربعاً ونجت واحدة. وهي أصغرها وكان أهلها لا يعملون العمل الخبيث ﴿أفلم يكونوا يرونها﴾ يعني إذا مروا بها في أسفارهم فيعتبروا ويتعظوا لأن مدائن قوم لوط كانت على طريقهم في ممرهم إلى الشأم ﴿بل كانوا لا يرجون نشوراً﴾ يعني لا يخافون بعثاً. قوله تعالى:

وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا (٤١) إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٢) أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا (٤٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٤) أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا (٤٥) ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا (٤٦) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا (٤٧) وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (٤٨)

﴿وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزواً﴾ نزلت في أبي جهل كان إذا مر مع أصحابه قال مستهزئاً ﴿أهذا الذي بعث الله رسولاً إن كاد ليضلنا﴾ يعني قد قارب أن يضلنا ﴿عن﴾ عبادة ﴿آلهتنا لولا أن صبرنا عليها﴾ يعني على عبادتها والمعنى لو لم نصبر عليها لصرفنا عنها ﴿وسوف يعلمون حين يرون العذاب﴾ أي في الآخرة عياناً ﴿من أضل سبيلاً﴾ أي أخطأ طريقاً ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ وذلك أن الرجل من المشركين كان يعبد حجراً، فإذا رأى حجراً أحسن منه رماه وأخذ الأحسن منه وعبده وقال ابن عباس: أرأيت من ترك عبادة الله خالقه، ثم هوى حجراً فعبده ما حاله

﴿ ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء ﴾، يعني الحجارة وهي قريات قوم لوط وكانت خمس قرى فأهلك الله أربعاً منها وبقيت واحدة، وهي أصغرها وكان أهلها لا يعملون العمل الخبيث، ﴿ أفلم يكونوا يرونها ﴾، إذ مرّوا بهم في أسفارهم فيعتبروا ويتفكّروا لأنّ مدائن قوم لوط كانت على طريقهم عند ممرّهم إلى الشام، ﴿ بل كانوا لا يرجون ﴾، لا يخافون، ﴿ نشوراً ﴾ بعثاً.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وإذا رأوك إنْ يتخذونَك﴾، يعني ما يتخذونك، ﴿ إلاّ هُزُواً ﴾، يعني مهزوءاً به، نزلت في أبي جهل كان إذا مرّ بأصحابه على رسول الله ﷺ قال مستهزئاً: ﴿ أهذا الذي بعث الله رسولاً ﴾.

﴿ إنْ كادَ ليضلّنا ﴾، يعني قد قارب أن يضلّنا، ﴿ عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها ﴾، يعني لو لم نصبر عليها لصرفنا عنها، ﴿ وسوف يعلمون حين يرون العذاب مَن أضلّ سبيلاً ﴾، مَن أخطأ طريقاً.

﴿ أرأيت مَن اتخذ إلَهه هواه ﴾، وذلك أن الرجل من المشركين كان يعبد الحجر فإذا رأى حجراً أحسن منه طرح الأول وأخذ الآخر، فعبدوه. وقال ابن عباس: أرأيت مَن ترك عبادة الله وخالقه ثم هوى حجراً فعبده ما حاله عندي، ﴿ أفأنت تكون عليه وكيلاً ﴾، يعني حافظاً يقول أفأنت عليه كفيل تحفظه من اتّباع هواه وعبادة مَن يهوى من دون الله، أي لست كذلك. قال الكلبي: نسختها آية القتال.

عندي وقيل الهوى إله يعبد ﴿أفأنت تكون عليه وكيلاً﴾ أي حافظاً تحفظه من اتباع الهوى وعبادة ما يهواه من دون الله والمعنى لست كذلك وقال الكلبي نسختها آية القتال ﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون﴾ أي ما تقول سماع طالب الإفهام ﴿أو يعقلون﴾ يعني ما يعاينون من الحجج والأعلام وهذه المذمة أعظم من التي تقدمت، لأنهم لشدة عنادهم لا يسمعون القول وإذا سمعوه لا يتفكرون فيه، فكأنهم لا سمع لهم ولا عقل البتة فعند ذلك شبههم بالأنعام فقال تعالى ﴿إن هم﴾ ﴿أي ما هم إلا كالأنعام﴾ أي في عدم انتفاعهم بالكلام وعدم إقدامهم على التدبر والتفكير ثم قال تعالى ﴿بل هم أضل سبيلاً﴾ لأن البهائم تهتدي لمراعيها ومشاربها وتنقاد لأربابها الذين يتعاهدونها، وهؤلاء الكفار لا يعرفون طريق الحق ولا يطيعون ربهم الذي خلقهم ورزقهم لأن الأنعام تسجد وتسبح والكفار لا يفعلون ذلك.

قوله تعالى ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل﴾ هو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس جعله ممدوداً، لأنه ظل لا شمس معه ﴿ولو شاء لجعله ساكناً﴾ يعني دائماً ثابتاً لا يزول ولا تذهبه الشمس ﴿ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً﴾ معنى دلالتها عليه أنه لو لم تكن الشمس لما عرف الظل، ولولا النور لما عرفت الظلمة، والأشياء تعرف بضدها ﴿ثم قبضناه﴾ يعني الظل ﴿إلينا قبضاً يسيراً﴾ يعني بالشمس التي تأتي عليه والمعنى أن الظل يعم جميع الأرض قبل طلوع الشمس فإذا طلعت الشمس قبض الله الظل جزأ فجزأ قبضاً خفيفاً ﴿وهو الذي جعل لكم الليل لباساً﴾ يعني ستراً

﴿ أم تحسب أن أكثرهم يسمعون ﴾ ما تقول سماع طالب الإفهام، ﴿ أو يعقلون ﴾، ما يعاينون من الحجج والإعلام، ﴿ إنْ هم ﴾، ما هم، ﴿ إلاّ كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً ﴾، لأن البهائم تهتدي لمراعيها ومشاربها وتنقاد لأربابها الذين يتعهدونها، وهؤلاء الكفّار لا يعرفون طريق الحق ولا يطيعون ربّهم الذي خلقهم، ورزقهم، ولأن الأنعام تسجد وتسبّح لله وهؤلاء الكفّار لا يفعلون.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ ألم ترَ إلى ربِّك كيف مَدَّ الظل ﴾، معناه ألم ترَ إلى مَدِّ ربِّك الظلَّ وهو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، جعله ممدوداً لأنه ظلٌّ لا شمس معه، كما قال: (في ظل الجنّة)، ﴿ وظلٍّ ممدود ﴾ [الواقعة: ٣٠] لم يكن معه شمس. ﴿ ولو شاء لجعله ساكناً ﴾، أي: دائماً ثابتاً لا يزول ولا تُذهِبه الشمس. قال أبو عبيدة: الظل ما نسخته الشمس. وهو بالغداة والفيء ما نسخ الشمس، وهو بعد الزوال، سُمّي فيئاً لأنه فاء من جانب المشرق إلى جانب المغرب، ﴿ ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً ﴾، يعني على الظل. ومعنى دلالتها عليه أنه لو لم تكن الشمس لما عرف الظل ولولا النور لما عرفت الظلمة، والأشياء تُعرَف بأضدادها.

﴿ ثم قبضناه ﴾، يعني الظل، ﴿ إلينا قبضاً يسيراً ﴾، بالشمس التي تأتي عليه، والقبض جمع المنبسط من الشيء معناه أن الظل، يعمّ جميع الأرض قبل طلوع الشمس، فإذا طلعت الشمس قبض الله الظلَّ جزءاً فجزءاً قبضاً يسيراً أي خفيّاً.

﴿ وهو الذي جعل لكم الليل لباساً ﴾ أي ستراً تستترون به، يريد أن ظلمته تغشى كل شيء، كاللباس الذي يشتمل على لابسه، ﴿ والنومَ سُباتاً ﴾، راحةً لأبدانكم وقطعاً لعملكم، وأصل السبت القطع، والنائم مسبوت لأنه انقطع عمله وحركته. ﴿وجعل النهار نشوراً﴾، أي يقظةً وزماناً تنتشرون فيه لابتغاء الرزق وتنتشرون لأشغالكم.

﴿ وهو الذي أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته ﴾، يعني المطر ﴿ وأنزلنا من السماء ماءً طهوراً ﴾، والطَّهور هو الطاهر في نفسه المطهّر لغيره، فهو اسم لما يتطهّر به كالسحور اسم لما يتسحّر به والفطور اسم لما يفطر به، والدليل عليه ما روينا أن النبي ﷺ قال في البحر: «هو الطهور ماؤه الحلّ ميتته» وأراد به المطهّر فالماء مطهّر لأنه يطهّر الإنسان من الحَدَث والنجاسة، كما قال في آية أخرى: ﴿ ويُنزِّل عليكم من السماء ماءً ليطهّركم

تستترون به والمعنى أن الظلمة الليل تغشى كل شيء كاللباس، الذي يشتمل على لابسه ﴿**والنوم سباتاً**﴾ يعني راحة لأبدانكم وقطعاً لأعمالكم ﴿**وجعل النهار نشوراً**﴾ يعني يقظة وزماناً تنتشرون فيه لابتغاء رزقكم وطلب الاشتغال ﴿**وهو الذي أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته**﴾ يعني المطر ﴿**وأنزلنا من السماء ماء طهوراً**﴾ الطهور هو الطاهر في نفسه المطهر لغيره فهو اسم لما يتطهر به بدليل ما روي عن النبي ﷺ قال في البحر «هو الطهور ماؤه الحل ميتته» أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي. وأراد به المطهر والماء المطر لأنه يطهر الإنسان من الحدث والنجاسة فثبت أن التطهير مختص بالماء وذهب أصحاب الرأي إلى أن الطهور وهو الطاهر حتى جوزوا إزالة النجاسة بالمائعات الطاهرة مثل الخل والريق ونحوها، ولو جاز إزالة النجاسة بها لجاز إزالة الحدث بها وذهب بعضهم إلى أن الطهور ما تكرر منه التطهير، وهو قول مالك حتى جوز الوضوء بالماء إذا توضيء به مرة، وإن وقع في الماء شيء غير طعمه أو لونه أو ريحه هل تزول طهوريته نظر إن كان الواقع شيئاً لا يمكن صون الماء عنه، كالطين والتراب وأوراق الأشجار فتجوز الطهارة به كما لو تغير بطول المكث في قراره، وكذلك لو وقع فيه ما لا يختلط كالدهن يصب فيه فيتروح الماء برائحته تجوز الطهارة به لأن تغيره للمجاورة لا للمخالطة، وإن كان شيئاً يمكن صون الماء عنه، ومخالطته كالخل والزعفران ونحوهما تزول طهوريته فلا يجوز الوضوء به وإن لم يتغير أحد أوصافه نظر إن كان الواقع شيئاً طاهراً لا يزيل طهوريته يجوز الوضوء به سواء كان الماء قليلاً أو كثيراً، وإن كان الواقع شيئاً نجساً نظر فيه فإن كان الماء، أقل من قلتين نجس الماء وإن كان قدر قلتين فأكثر فهو طاهر يجوز الوضوء به والقلتان خمسمائة رطل بالبغدادي يدل عليه ما روي عن ابن عمر عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنه سئل عن الماء يكون في الفلاة، ترده السباع والذئاب فقال: «إذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث» أخرجه أبو داود والترمذي. وهذا قول الشافعي وأحمد وإسحاق وجماعة من أهل الحديث، أن الماء إذا بلغ هذا الحد لا ينجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يتغير أحد أوصافه، وذهب جماعة إلى أن الماء القليل لا

به﴾ [الأنفال: ١١] فثبت به أن التطهير يختصّ بالماء، وذهب أصحاب الرأي إلى أن الطهور هو الطاهر حتى جوّزوا إزالة النجاسة بالمائعات الطاهرة، مثل الخلّ وماء الورد والمرق ونحوها، ولو جاز إزالة النجاسة بها لجاز إزالة الحدث بها، وذهب بعضهم إلى أن الطهور ما يتكرّر منه التطهير كالصبور اسم لمَن يتكرّر منه الصبر والشكور اسم لمَن يتكرر منه الشكر، وهو قول مالك حتى جوّز الوضوء بالماء الذي توضأ منه مرة. وإن وقع في الماء شيء غير طعمه أو لونه أو ريحه هل تزول طهوريته أم لا نظر؟ إن كان الواقع شيئاً لا يمكن صون الماء عنه كالطين والتراب وأوراق الأشجار لا يزول فيجوز الطهارة به كما لو تغيّر لطول المكث في قراره، وكذلك لو وقع فيه ما لا يخالطه كالدهن يُصَبّ فيه فيتروّح الماء برائحته يجوز الطهارة به، لأن تغيّره للمجاوزة لا للمخالطة، وإن كان شيئاً يمكن صون الماء منه ويخالطه كالخلّ والزعفران ونحوهما يزول طهوريته ولا يجوز الوضوء به، وإن لم يتغير أحد أوصافه ينظر إن كان الواقع فيه شيئاً طاهراً لا تزول طهوريته فتجوز الطهارة به سواء كان الماء قليلاً أو كثيراً، وإن كان الواقع فيه شيئاً نجساً ينظر فإن كان الماء قليلاً أقل من القلّتين ينجس الماء وإن كان قدر قلّتين فأكثر فهو طاهر يجوز الوضوء به، والقلّتان خمس قُرَب ووزنه خمسمائة رطل، والدليل عليه ما أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي ثنا عبد الرحيم بن المنيب أنا جرير عن محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن النبي ﷺ أنه سُئِلَ عن الماء يكون في الفلاة من الأرض وما ينوبه من الدواب والسِّباع فقال: «إذا كان الماء قُلّتين لم يحمل الخبث»، وهذا قول الشافعي وأحمد وإسحاق وجماعة من أهل الحديث أن الماء إذا بلغ هذا الحدّ فلا ينجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يتغيّر أحد أوصافه الثلاثة، وذهب جماعة إلى أن الماء القليل لا ينجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يتغيّر طعمه أو لونه أو ريحه،

ينجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يتغير طعمه أو لونه أو ريحه، وهذا قول الحسن وعطاء والنخعي والزهري واحتجوا بما روي عن أبي سعيد الخدري قال: «قيل يا رسول الله إنه يستقى لك من بئر بضاعة ويلقى فيها لحوم الكلاب وخرق الحيض وعذر النساء، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إن الماء طهور لا ينجسه شيء» وفي رواية قال «قلت يا رسول الله أيتوضأ من بئر بضاعة، وهي بئر تطرح فيها خرق الحيض ولحوم الكلاب والنتن فقال رسول الله ﷺ «الماء طهور لا ينجسه شيء» وقوله تعالى:

لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾

﴿**لنحيي به**﴾ أي بالمطر ﴿**بلدة ميتاً**﴾ قيل: أراد به موضع البلدة ﴿**ونسقيه مما خلقنا**﴾ أي نسقي من ذلك الماء ﴿**أنعاماً وأناسيّ كثيراً**﴾ أي بشراً كثيراً والأناسي جمع إنسي وقيل جمع إنسان قوله عز وجل ﴿**ولقد صرفناه بينهم**﴾ يعني المطر مرة ببلدة ومرة ببلدة أخرى وقال ابن عباس ما عام بأمطر من عام ولكن الله يصرفه في الأرض وقرأ هذه الآية، وهذا كما روي مرفوعاً «ما من ساعة من ليل ولا نهار إلا والسماء تمطر فيها يصرفه الله حيث يشاء» وروي عن

وهو قول الحسن وعطاء والنخعي والزهري، واحتجّوا بما أخبرنا أبو القاسم بن عبد الله بن محمد الحنفي أنا أبو الحارث طاهر بن محمد الطاهري ثنا أبو محمد الحسن بن محمد بن حكيم ثنا أبو الموجّه بن محمد بن عمرو بن الموجّه ثنا صدقة بن الفضل أنا أبو أسامة عن الوليد بن كثير عن محمد بن كعب القرظي عن عبد الله بن عبد الرحمن ثنا رافع بن خديج عن أبي سعيد الخدري قال: قيل يا رسول الله أنتوضأ من بئر بضاعة؟ وهي بئر يلقي في الحيض ولحوم الكلاب والنتن، فقال رسول الله ﷺ: «إن الماء طهور لا ينجسه شيء».

قوله عزّ وجلّ: ﴿**لنحيي به**﴾، أي: بالمطر، ﴿ **بلدةً ميتاً** ﴾، ولم يقل ميتة لأنه رجع به إلى الموضع والمكان، ﴿ **ونسقيه مما خلقنا أنعاماً** ﴾، نسقي من ذلك الماء أنعاماً، ﴿ **وأناسيَّ كثيراً** ﴾، أي بشراً كثيراً، والأناسي جمع أنسي، وقيل جمع إنسان، وأصله أناسين مثل بستان وبساتين، فجعل الياء عوضاً عن النون.

﴿ **ولقد صرفناه بينهم** ﴾، يعني المطر مرة ببلد ومرة ببلد آخر. قال ابن عباس: ما من عام بأمطر من عام ولكن الله يصرفه في الأرض. وقرأ هذه الآية وهذا كما رُوِيَ مرفوعاً ما من ساعة من ليل أو نهار إلّا والسماء تمطر فيها يصرفه الله حيث يشاء. وذكر ابن إسحاق وابن جريج ومقاتل وبلغوا به، وابن مسعود يرفعه قال: «ليس من سنة بأمطر من أخرى ولكنّ الله قسم هذه الأرزاق فجعلها في السماء الدنيا في هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل معلوم ووزن معلوم، وإذا عمل قوم بالمعاصي حوّل الله ذلك إلى غيرهم، فإذا عصوا جميعاً صرف الله ذلك إلى الفيافي والبحار». وقيل: المراد من تصريف المطر تصريفه وابلاً وطلاًّ ورذاذاً ونحوها. وقيل: التصريف راجع إلى الريح.
﴿ **ليذكّروا** ﴾ أي ليتذكروا ويتفكّروا في قدرة الله تعالى، ﴿ **فأبى أكثر الناس إلّا كُفُوراً** ﴾، جحوداً، وكفرانهم هو

ابن مسعود يرفعه، قال: ليس من سنة بأمطر من سنة أخرى ولكن الله عزّ وجلّ قسم هذه الأرزاق فجعلها في هذه السماء الدنيا في هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل معلوم، ووزن معلوم وإذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك إلى غيرهم وإذا عصوا جميعاً صرف الله ذلك المطر إلى الفيافي والبحار، وقيل: المراد من تصريف المطر تصريفه وابلاً وطشاً ورذاذاً ونحوها وقيل التصريف راجع إلى الريح ﴿ليذكروا﴾ أي ليتذكروا ويتفكروا في قدرة الله تعالى ﴿فأبى أكثر الناس إلا كفوراً﴾ أي جحوداً في كفرهم هو أنهم إذا مطروا قالوا أمطرنا بنوء كذا (ق) عن زيد بن خالد الجهني أنه قال: صلّى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في أثر سماء من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال «هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال أصبح عن عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب»

قوله تعالى: ﴿ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً﴾ أي رسولاً ينذرهم ولكن بعثناك إلى القرى كلها وحملناك ثقل النذارة لتستوجب بصبرك ما أعددنا لك من الكرامة والدرجة الرفيعة ﴿فلا تطع الكافرين﴾ فيما يدعونك إليه من موافقتهم ومداهنتهم ﴿وجاهدهم به﴾ أي بالقرآن ﴿جهاداً كبيراً﴾ أي شديداً. قوله تعالى: ﴿وهو الذي مرج البحرين﴾ أي خلطهما وأفاض أحدهما على الآخر وقيل أرسلهما في مجاريهما ﴿هذا عذب فرات﴾ أي شديد العذوبة يميل إلى الحلاوة ﴿وهذا ملح أجاج﴾ أي شديد الملوحة وقيل مر ﴿وجعل بينهما برزخاً﴾ أي حاجزاً بقدرته فلا يختلط العذب بالملح ولا الملح بالعذب ﴿وحجراً محجوراً﴾ أي ستراً ممنوعاً فلا يبغي أحدهما على الآخر ولا يفسد الملح العذب. قوله تعالى: ﴿وهو الذي خلق من الماء﴾ أي من النطقة ﴿بشراً فجعله نسباً وصهراً﴾ أي جعله ذا نسب وصهر وقيل

أنهم إذا مطروا قالوا مطرنا بنوء كذا وكذا. أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك بن أنس عن صالح بن كيسان عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن زيد بن خالد الجهني أنه قال: صلّى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربّكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأمّا مَن قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي، وكافر بالكواكب، وأمّا مَن قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب».

قوله عزّ وجلّ: ﴿ ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً ﴾، رسولاً ينذرهم، ولكن بعثناك إلى القرى كلها وحملناك ثقل النذارة جميعها لتستوجب بصبرك على ما أعددنا لك من الكرامة والدرجة الرفيعة.

﴿ فلا تطعِ الكافرين ﴾ فيما يدعونك فيه من موافقتهم ومداهنتهم. ﴿ وجاهدهمْ به ﴾ أي: بالقرآن، ﴿ جهاداً كبيراً ﴾، شديداً.

﴿ وهو الذي مرج البحرين ﴾، أي: خلطهما وأفاض أحدهما في الآخر، وقيل: أرسلهما في مجاريهما وخلاهما كما يرسل الخيل في المرج، وأصل المرج الخلط والإرسال، يقال: مرجت الدابّة وأمرجتها إذا أرسلتها في المرعى وخلّيتها تذهب حيث تشاء، ﴿ هذا عذبٌ فُراتٌ ﴾، شديد العذوبة والفرات أعذب المياه، ﴿ وهذا مِلْحٌ أجاج ﴾، شديد الملوحة. وقيل: أجاجٍ أي مرّ، ﴿ وجعل بينهما برزخاً ﴾ أي: حاجزاً بقدرته لئلا يختلط العذب بالملح ولا الملح بالعذب، ﴿ وحِجْراً محجوراً ﴾ أي: ستراً ممنوعاً فلا يبغيان، فلا يفسد الملح العذب.

﴿ وهو الذي خلق من الماء ﴾، من النطفة، ﴿ بشراً فجعله نسباً وصهراً ﴾ أي: جعله ذا نسب وذا صهر، قيل: النسب ما لا يحلّ نكاحه والصهر ما يحلّ نكاحه، فالنسب ما يوجب الحُرمة والصهر ما لا يوجبها، وقيل: هو

النسب ما لا يحل نكاحه والصهر ما يحل نكاحه والنسب ما يوجب الحرمة والصهر ما لا يوجبها وقيل النسب من القرابة والصهر الخلطة التي تشبه القرابة وهو النسب المحرم للنكاح وقد حرم الله بالنسب سبعاً وبالسبب سبعاً ويجمعها قوله ﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾ الآية وقد تقدم تفسير ذلك وبيانه في تفسير سورة النساء ﴿**وكان ربك قديراً**﴾ على ما أراد حيث خلق من النطفة الواحدة نوعين من البشر الذكر والأنثى ﴿**ويعبدون من دون الله**﴾ يعني هؤلاء المشركين ﴿**ما لا ينفعهم**﴾ أي إن عبدوه ﴿**ولا يضرهم**﴾ أي إن تركوه ﴿**وكان الكافر على ربه ظهيراً**﴾ أي معيناً أعان الشيطان على ربه بالمعاصي لأن عبادتهم الأصنام معاونة للشيطان وقيل معنى ظهيراً هيناً ذليلاً من قولك ظهرت بفلان إذا جعلته وراء ظهرك ولم تلتفت إليه وقيل أراد بالكافر أبا جهل والأصح أنه عام في كل كافر. وقوله تعالى: ﴿**وما أرسلناك إلا مبشراً**﴾ أي بالثواب على الإيمان والطاعة ﴿**ونذيراً**﴾ منذراً بالعقاب على الكفر والمعصية ﴿**قل**﴾ يا محمد ﴿**ما أسألكم عليه**﴾ أي على تبليغ الوحي ﴿**من أجر**﴾ فتقولون إنما يطلب محمد أموالنا بما يدعوننا إليه فلا نتبعه ﴿**إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً**﴾ معناه لكن من شاء أن يتخذ بإنفاق ماله سبيلاً إلى ربه فعلى هذا يكون المعنى لا أسألكم لنفسي أجراً، ولكن أمنع من إنفاق المال إلا في طلب مرضاة الله، واتخاذ السبيل إلى جنته. قوله عز وجل:

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾

﴿**وتوكل على الحي الذي لا يموت**﴾ معناه أنه سبحانه وتعالى لما أمر نبيه صلّى الله عليه وسلّم بأن لا يطلب

الصحيح النسب من القرابة والصهر الخلطة التي تشبه القرابة، وهو السبب المحرّم للنكاح، وقد ذكرنا أن الله تعالى حرّم بالنسب سبعاً وبالسبب سبعاً في قوله: ﴿ حُرِّمتْ عليكم أُمّهاتُكم ﴾ [النساء: ٢٣]. ﴿ **وكان ربّك قديراً** ﴾.

﴿ **ويعبدون من دون الله** ﴾، يعني هؤلاء المشركين، ﴿ **ما لا ينفعهم** ﴾، إن عبدوه، ﴿ **ولا يضرّهم** ﴾، إن تركوه، ﴿ **وكان الكافر على ربّه ظهيراً** ﴾، أي: مُعيناً للشيطان على ربّه بالمعاصي. وقال الزجّاج: أي يعاون الشيطان على معصية الله لأن عبادتهم الأصنام معاونة للشيطان. وقيل: معناه وكان الكافر على ربّه ظهيراً أي هيّناً ذليلاً كما يقال الرجل جعلني بظهير أي جعلني هيّناً. ويقال: ظهر به إذا جعله خلف ظهره فلم يلتفت إليه.

﴿ **وما أرسلناك إلّا مبشّراً ونذيراً** ﴾، أي: منذراً.

﴿ **قلْ ما أسألكم عليه** ﴾، أي على تبليغ الوحي، ﴿ **من أجر** ﴾، فتقولوا إنما يطلب محمد أموالنا بما يدعونا إليه فلا نتّبعه، ﴿ **إلّا مَن شاء أن يتخذ إلى ربّه سبيلاً** ﴾، هذا من الاستثناء المنقطع، مجازه: لكن مَن شاء أن يتخذ إلى ربّه سبيلاً بالإنفاق من ماله في سبيله فعل ذلك، والمعنى: لا أسألكم لنفسي أجراً ولكن لا أمنع من إنفاق المال في طلب مرضاة الله واتخاذ السبيل إلى جنته.

﴿ **وتوكّلْ على الحيّ الذي لا يموت وسبّحْ بحمده** ﴾، أي صلِّ له شكراً على نعمه. وقيل: قل سبحان الله

منهم أجراً البتة أمره أن يتوكل عليه في جميع أموره، وإنما قال على الحي الذي لا يموت لأن من توكل على حي يموت انقطع توكله عليه بموته، وأما الله سبحانه وتعالى فإنه حي لا يموت فلا ينقطع توكل من توكل عليه، ولا يضيع البتة ﴿وسبح بحمده﴾ أي صل له شكراً على نعمه وقيل: معناه قل سبحان الله والحمد لله ﴿وكفى به بذنوب عباده خبيراً﴾ يعني أنه تعالى عالم بجميع ذنوب عباده فيجازيهم بها. وقيل: معناه أنه لا يحتاج معه إلى غيره لأنه خبير عالم قادر على مكافأتهم وفيه وعيد شديد، كأنه إذا قدمتم على مخالفة أمره كفاكم علمه في مجازاتكم بما تستحقون من العقوبة. قوله عز وجل ﴿الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيراً﴾ أي فاسأل الخبير بذلك، يعني بما ذكر من خلق السموات والأرض والاستواء على العرش. وقيل: معناه أيها الإنسان لا ترجع في طلب العلم، بهذا إلى غيري وقيل معناه فاسأل عنه خبيراً وهو الله تعالى وقيل: هو جبريل عليه السلام ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن﴾ أي ما نعرف الرحمن إلا رحمان اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب كانوا يسمونه رحمان اليمامة ﴿أنسجد لما تأمرنا﴾ أنت يا محمد ﴿وزادهم﴾ يعني قول القائل اسجدوا للرحمن ﴿نفوراً﴾ يعني عن الإيمان والسجود.

والحمد لله، ﴿ وكفى به بذنوب عباده خبيراً ﴾، عالماً بصغيرها وكبيرها فيجازيهم بها.

﴿ الذي خلق السمٰوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيراً ﴾، أي بالرحمن، قال الكلبي: يقول فاسأل الخبير بذلك يعني بما ذكرنا من خلق السمٰوات والأرض والاستواء على العرش. وقيل: الخطاب للرسول والمراد منه غيره لأنه كان مصدّقاً به، والمعنى: أيها الإنسان لا ترجع في طلب العلم بهذا إلى غيري. وقيل: الباء بمعنى عن أي: فاسأل عنه خبيراً وهو الله عزّ وجلّ. وقيل: جبريل عليه السلام.

﴿ وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن ﴾، ما نعرف الرحمن إلّا رحمن اليمامة، يعنون مسيلمة الكذّاب، كانوا يسمّونه رحمن اليمامة. ﴿ أنسجد لما تأمرنا ﴾، قرأ حمزة والكسائي «يأمرنا» بالياء أي لما يأمرنا محمد بالسجود له، وقرأ الآخرون بالتاء أي لما تأمرنا أنت يا محمد، ﴿ وزادهم ﴾ يعني زادهم قول القائل لهم: ﴿ اسجدوا للرحمن ﴾ ﴿ نفوراً ﴾، عن الدين والإيمان.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ تبارك الذي جعل في السماء بروجاً ﴾، قال الحسن ومجاهد وقتادة: النجوم هي النجوم الكبار سُمّيت بروجاً لظهورها، وقال عطية العوفي: بروجاً أي قصوراً فيها الحرس، كما قال: ﴿ ولو كنتم في بُروج مشيّدة ﴾ [النساء: ٧٨]، وقال عطاء عن ابن عباس: هي البروج الإثنا عشر التي هي منازل الكواكب السبعة السيّارة، وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت، فالحمل والعقرب بيتا المريخ، والثور والميزان بيتا الزهرة، والجوزاء والسنبلة بيتا عطارد، والسرطان بيت القمر، والأسد بيت الشمس، والقوس والحوت بيتا المشتري، والجدي والدلو بيتا زُحَل. وهذه البروج مقسومة على الطبائع الأربع فيكون نصيب كل واحد منها ثلاثة بروج تسمى المثلثات، فالحمل والأسد والقوس مثلثه نارية، والثور والسنبلة والجدي مثلثه أرضية والجوزاء والميزان والدلو مثلثه هوائية، والسرطان والعقرب والحوت مثلثه مائية. ﴿ وجعل فيها سراجاً ﴾، يعني الشمس كما قال: ﴿ وجعل الشمس سراجاً ﴾ [نوح: ١٦] وقرأ حمزة والكسائي (سرجاً) بالجمع يعني النجوم. ﴿ وقمراً منيراً ﴾، والقمر قد دخل في السرج على قراءة مَن قرأ بالجمع، غير أنه خصّه بالذكر لنوع فضيلة، كما قال: ﴿ فيهما فاكهة ونخل ورمّان ﴾ [الرحمن: ٦٨]، خصّ النخل والرمّان بالذكر مع دخولهما في الفاكهة.

فصل

وهذه السجدة من عزائم السجدات فيسن للقارىء، والمستمع أن يسجدا عند سماعها وقراءتها. قوله تعالى ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجاً﴾ قيل: البروج هي النجوم الكبار سميت بروجاً لظهورها، وقيل: البروج قصور فيها الحرس. وقال ابن عباس: هي البروج الاثنا عشر التي هي منازل الكواكب السبعة السيارة، وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت سميت بالبروج، التي هي القصور العالية لأنها للكواكب كالمنازل لسكانها ﴿وجعل فيها سراجاً﴾ يعني الشمس ﴿وقمراً منيراً وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة﴾ قال ابن عباس معناه خلفاً، وعوضاً يقوم أحدهما مقام صاحبه فمن فاته عمله في أحدهما قضاه في الآخر. قال شقيق: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب. قال فاتتني الصلاة الليلة قال أدرك ما فاتك من ليلتك في نهارك، فإنّ الله جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر. وقيل جعل كل واحد منهما مخالفاً لصاحبه فجعل هذا أسود وهذا أبيض وقيل يخلف أحدهما صاحبه إذا ذهب هذا جاء هذا فهما يتعقبان في الضياء، والظلمة والزيادة والنقصان ﴿لمن أراد أن يذكر﴾ أي يتذكر ويتعظ ﴿أو أراد شكوراً﴾ يعني شكر نعمة ربه عليه فيهما. قوله عز وجل ﴿وعباد الرحمن﴾ قيل هذه الإضافة للتخصيص، والتفضيل وإلا فالخلق كلهم عباد الله ﴿الذين يمشون على الأرض هوناً﴾ يعني بالسكينة والوقار متواضعين غير أشرين، ولا مرحين ولا متكبرين بل علماء حكماء، أصحاب وقار وعفة ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون﴾ يعني السفهاء بما يكرهونه ﴿قالوا سلاماً﴾ يعني سداداً من القول يسلمون فيه لا يسفهون

﴿ وهو الذي جعل الليلَ والنهارَ خِلْفَةً ﴾، اختلفوا فيها قال ابن عباس والحسن وقتادة: يعني خلفاً وعوضاً يقوم أحدهما مقام صاحبه، فمَن فاته عمله في أحدهما قضاه في الآخر. قال شقيق: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب، قال فاتتني الصلاة الليلة، فقال أدرك ما فاتك من ليلتك في نهارك، فإن الله عزّ وجلّ جعل الليل والنهار خلفة لمَن أراد أن يذكر. قال مجاهد: يعني جعل كل واحد منهما مخالفاً لصاحبه فجعل هذا أسود وهذا أبيض، وقال ابن زيد وغيره يعني يخلف أحدهما صاحبه إذا ذهب أحدهما جاء الآخر فهما يتعاقبان في الضياء والظلمة والزيادة والنقصان، ﴿ لمَن أراد أن يذكر ﴾، قرأ حمزة بتخفيف الدال والكاف وضمّها من الذكر، وقرأ الآخرون بتشديدهما أي يتذكّر ويتّعظ ﴿ أو أراد شكوراً ﴾، قال مجاهد: أي شكر نعمة ربّه عليه فيهما.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ وعباد الرحمن ﴾، يعني أفاضل العباد. وقيل: هذه الإضافة للتخصيص والتفضيل، وإلا فالخلق كلهم عباد الله. ﴿ الذين يمشون على الأرض هوناً ﴾، يعني بالسكينة والوقار متواضعين غير أشرين ولا مرحين، ولا متكبرين، وقال الحسن: علماء وحكماء. وقال محمد بن الحنفية: أصحاب وقار وعفّة لا يسفهون، وإن سُفّه عليهم حلموا، والهون في اللغة والرفق واللين، ﴿ وإذا خاطبهم الجاهلون ﴾، يعني السفهاء بما يكرهون، ﴿ قالوا سلاماً ﴾، قال مجاهد: سداداً من القول. وقال مقاتل بن حيان: قولاً يسلمون فيه من الإثم. وقال الحسن: إن جهل عليهم جاهل حلموا ولـم يجهلوا، وليس المراد منه السلام المعروف. ورُوِيَ عن الحسن: معناه سلّموا عليهم، دليله قوله عزّ وجلّ: ﴿ وإذا سمعوا اللغوَ أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم ﴾ [القصص: ٥٥]، قال الكلبي وأبو العالية: هذا قبل أن يؤمر بالقتال، ثم نسختها آية القتال: ورُوِيَ عن الحسن البصري أنه كان إذا قرأ هذه الآية قال: هذا وصف نهارهم، ثم قرأ ﴿ والذين يبيتون لربهم سجّداً وقياماً ﴾، قال: هذا وصف ليلهم.

قوله تعالى: ﴿ والذين يبيتون لربِّهم ﴾، يقال لمَن أدرك الليل: بات نام أو لم ينم، يقال: بات فلان قلقاً،

وإن سفه عليهم حلموا ولم يجهلوا وليس المراد منه السلام المعروف وقيل هذا قبل أن يؤمروا بالقتال ثم نسختها آية القتال ويروى عن الحسن البصري أنه كان إذا قرأ هذه الآية قال: هذا وصف نهارهم ثم إذا قرأ ﴿والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً﴾ قال هذا وصف ليلهم، والمعنى يبيتون لربهم في الليل بالصلاة سجداً على وجوههم وقياماً على أقدامهم. قال ابن عباس، من صلّى بعد العشاء الأخيرة ركعتين أو أكثر فقد بات لله ساجداً وقائماً (م) عن عثمان بن عفان رضي الله عنه: قال: قال رسول الله ﷺ «من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف الليل ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليلة» قوله عز وجل:

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝٦٦ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ۝٦٧ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝٦٨ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۝٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٧٠﴾

﴿والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً﴾ أي ملحاً دائماً لازماً غير مفارق من عذب من الكفار. قال محمد بن كعب القرظي: سأل الله الكفار ثمن نعمته فلم يؤدوه فأغرمهم فبقوا في النار، وقال كل غريمه مفارق غريم إلا جهنم: وقيل: الغرام الشر اللازم والهلاك الدائم ﴿إنها﴾ يعني جهنم ﴿ساءت﴾ بئست ﴿مستقراً ومقاماً﴾ أي موضع قرار وإقامة ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا﴾ قيل الإسراف النفقة في معصية الله، وإن

والمعنى يبيتون لربهم بالليل في الصلاة، ﴿ سُجّداً ﴾، على وجوههم، ﴿ وقياماً ﴾ على أقدامهم. قال ابن عباس: مَن صلّى بعد العشاء الآخرة ركعتين أو أكثر فقد بات لله ساجداً. وقائماً، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبّار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا أبو نعيم عن سفيان عن عثمان بن حكيم عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن عثمان بن عفّان قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن صلّى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومَن صلّى الصبح في جماعة فكأنما صلّى الليل كله».

قوله عزّ وجلّ: ﴿ والذين يقولون ربّنا اصرفْ عنّا عذاب جهنّم إن عذابها كان غراماً ﴾، يعني ملحاً دائماً لازماً غير مفارق مَن عذّب به من الكفّار، ومنه سُمّي الغريم لطلبه حقه والحاجة على صاحبه وملازمته إياه. قال محمد بن كعب القرظي: سأل الله الكفّار ثمن نعمه فلم يؤدّوا فأغرمهم فيه، فبقوا في النار. قال الحسن: كل غريم يفارق غريمه إلّا جهنّم. والغرام الشرّ اللازم، وقيل: غراماً هلاكاً.

﴿ إنها ﴾، يعني جهنم، ﴿ ساءتْ مُستقراً ومُقاماً ﴾، يعني بئس موضع قرار وإقامة.

﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة ﴿ يقتروا ﴾ بفتح الياء وكسر التاء، وقرأ أهل المدينة وابن عامر بضم الياء وكسر التاء، وقرأ الآخرون بفتح الياء وضمّ التاء، وكلها لغات صحيحة. يقال: أقتر وقتّر بالتشديد، وقتَر يقتِر، واختلفوا في معنى الإسراف والإقتار، فقال بعضهم: الإسراف النفقة في معصية الله وإن قلّت، والإقتار منع حق الله تعالى. وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن جريج وقال الحسن في هذه الآية لم ينفقوا في معاصي الله ولم يمسكوا عن فرائض الله. وقال قوم: الإسراف مجاوزة الحدّ في الإنفاق، حتى يدخل في حدّ التبذير والإقتار التقصير عمّا لا بدّ منه، وهذا معنى قول إبراهيم لا يجيعهم ولا يُعرّيهم ولا ينفق

قلت والإقتار منع حقوق الله تعالى وهو قول ابن عباس. وقيل: الإسراف مجاوزة الحد في الإنفاق، حتى يدخل في حد التبذير والإقتار التقصير عما لا بد منه وهو أن لا يجيع عياله ولا يعريهم ولا ينفق نفقة يقول الناس قد أسرف ﴿وكان بين ذلك قواماً﴾ أي قصداً وسطاً بين الإسراف والإقتار وحسنة بين السيئتين قيل: هذه الآية في صفة أصحاب محمد ﷺ كانوا لا يأكلون الطعام للتنعم واللذة لا يلبسون ثوباً للجمال، ولكن كانوا يريدون من الطعام ما يسد عنهم الجوع ويقويهم على عبادة ربهم ومن الثياب ما يسترون به العورة، ويقيهم من الحر والبرد. قال عمر بن الخطاب كفى سرفاً أن لا يشتهي شيئاً إلا اشتراه فأكله ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر﴾ (ق) عن ابن عباس «أن أناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا فأتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعونا إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزل ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون﴾ ونزل ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾ (ق) عن عبدالله بن مسعود قال: قال رجل «يا رسول الله أي الذنب أكبر عند الله قال: أن تدعو لله نداً وهو خلقك، قال: ثم أي قال أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك. قال: ثم أي قال أن تزاني حليلة جارك، فأنزل الله تعالى تصديقه، والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون» ﴿ومن يفعل ذلك يلق أثاماً﴾ أي ومن يفعل شيئاً من ذلك يلق أثاماً قال ابن عباس إنما يريد جزاء الإثم، وقيل عقوبة وقيل: الأثام واد في جهنم ويروى في الحديث «أن الغي والأثام بئران في

نفقة يقول الناس قد أسرف، ﴿ وكان بين ذلك قواماً ﴾، قصداً وسطاً بين الإسراف والإقتار، حسنةٌ بين السيئتين. وقال يزيد بن أبي حبيب في هذه الآية: أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا يأكلون طعاماً للتنعّم واللذّة ولا يلبسون ثوباً للجمال، ولكن كانوا يريدون من الطعام ما يسدّ عنهم الجوع ويقوّيهم على عبادة ربّهم، ومن الثياب ما يستر عوراتهم ويكنهم من الحرّ والقرّ. قال عمر بن الخطاب: كفى سرفاً أن لا يشتهي الرجل شيئاً إلّا اشتراه فأكله.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلّهاً آخر ﴾ الآية. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا إبراهيم بن موسى أنا هشام بن يوسف بن جريج أخبرهم قال: قال يعلى وهو يعلى بن مسلم أنا سعيد بن جبير أخبره عن ابن عباس أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا فأتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا بأن لنا عملنا كفّارة، فنزل: ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلّهاً آخر ﴾، ﴿ ولا يقتلون النفس التي حرّم الله إلّا بالحق ولا يزنون ﴾، ونزل: ﴿ قلْ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ [الزّمر: ٥٣]. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا جرير عن الأعمش عن أبي وائل عن عمرو بن شرحبيل قال: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله أيّ الذنب أكبر عند الله؟ قال: «أن تدعوا لله نداً وهو خلقك» قال: ثم أيّ؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك»، قال: ثم أيّ؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك»، فأنزل الله تصديقها: ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلّهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرّم الله إلّا بالحق ولا يزنون ومَنْ يفعلْ ذلك يلقَ أثاماً ﴾. قوله عزّ وجلّ: ﴿ ومَن يفعل ذلك ﴾، أي شيئاً من هذه الأفعال، ﴿ يلقَ آثاماً ﴾، يوم القيامة، قال ابن عباس رضي الله عنهما إنما يريد جزاء الإثم. وقال أبو عبيدة الآثام العقوبة. وقال مجاهد: الآثام وادٍ في جهنم. يُروى ذلك عن عبد الله بن عمرو بن العاص، ويُروَى في الحديث: «الغيّ والآثام بئران يسيل فيها صديد أهل النار».

﴿ يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مُهاناً ﴾، قرأ ابن عامر وأبو بكر ﴿ يضاعف ﴾ و﴿ يخلد ﴾برفع الفاء والدال على الابتداء، وشدّاد بنُ عامر (يضعف)، وقرأ الآخرون بجزم الفاء والدال على جواب الشرط.

جهنم يسيل فيهما صديد أهل النار» ﴿يضاعف له العذاب يوم القيامة﴾ وسبب تضعيف العذاب، أن المشرك إذا ارتكب المعاصي مع الشرك يضاعف له العذاب على شركه ومعصيته ﴿ويخلد فيه مهاناً﴾ أي ذليلاً.

قوله تعالى ﴿إلا من تاب﴾ أي عن ذنبه ﴿وآمن﴾ يعني بربه ﴿وعمل عملاً صالحاً﴾ أي فيما بينه وبين ربه روي عن ابن عباس رضي الله عنه عنهما قال: قرأناها على عهد رسول الله ﷺ سنين والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر الآية ثم نزلت إلا من تاب فما رأيت النبيّ ﷺ فرح بشيء قط مثل ما فرح بها وفرحه بإنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر». وقوله تعالى ﴿فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً﴾ قال ابن عباس: يبدلهم الله بقبائح أعمالهم في الشرك محاسن الأعمال في الإسلام فيبدلهم بالشرك إيماناً، وبقتل المؤمنين قتل المشركين، وبالزنا عفة وإحصاناً وقيل يبدل الله سيئاتهم التي عملوها في الإسلام حسنات يوم القيامة (م) عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ «إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة، وآخر أهل النار خروجاً منها رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال أعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فتعرض عليه صغارها فيقال له: عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا فيقول نعم لا يستطيع أن ينكر، وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له إن لك مكان كل سيئة حسنة فيقول يا رب قد عملت أشياء لا أراها ها هنا قال فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه وقيل إن الله تعالى يمحو بالندم جميع السيئات ثم يثبت مكان كل سيئة حسنة.

وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا

﴿ إلاّ مَن تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً ﴾، قال قتادة: إلاّ مَن تاب وآمن بربّه وعمل عملاً صالحاً فيما بينه وبين ربه، أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني أبو الحسين بن محمد بن عبد الله ثنا موسى بن محمد ثنا موسى بن هارون الحمّال ثنا إبراهيم بن محمد الشافعي ثنا عبد الله بن رجاء عن عبيد الله بن عمر عن علي بن يزيد عن يوسف محمد بن مهران عن ابن عباس قال: قرأناها على عهد رسول الله ﷺ سنتين: ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ﴾ الآية، ثم نزلت: ﴿ إلاّ مَن تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً ﴾، فما رأيت النبي ﷺ فرح بشيء قطّ كفرحه بها وفرحه: ﴿ بإنّا فتحنا لك فتحاً مُبيناً ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخر ﴾ [الفتح: ١ و٢]، ﴿ فأولئك يبدّل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً ﴾، فذهب جماعة إلى أن هذا التبديل في الدنيا. قال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد والسدي والضحاك: يبدلهم الله بقبائح أعمالهم في الشرك محاسن الأعمال في الإسلام، فيبدلهم بالشرك إيمانهم وبقتل المؤمنين قتل المشركين، وبالزنا عفّةً وإحصاناً. وقال قوم: يبدل الله سيآتهم التي عملوها في الإسلام حسنات يوم القيامة، وهو قول سعيد بن المسيب ومكحول، يدلّ عليه ما أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجورجاني أنا أبو القاسم علي بن أبي أحمد الخزاعي أنا الهيثم بن كليب أنا أبو عيسى الترمذي ثنا أبو عمّار الحسين بن خريث ثنا وكيع ثنا الأعمش عن المعرور بن سويد عن أبي ذرّ قال: قال النبي ﷺ: «إني لأعلم آخر رجل يخرج من النار، يؤتى به يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه ويخبأ عنه كبارها، فيقال عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا وهو مُقرٌّ لا ينكر وهو مشفق من كبارها، فيقال أعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة، فيقول: ربِّ إن لي ذنوباً ما أراها ههنا»، قال أبو ذرّ: لقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ ضحك حتى بدتْ نواجذه، وقال بعضهم: إن الله عزّ وجلّ يمحو بالندم جميع السيئات، ثم يثبت مكان كل سيئة حسنة.

صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَـٰمًا ﴿٧٥﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

﴿ومن تاب وعمل صالحاً﴾ قيل هذا في التوبة من غير ما سبق ذكره في الآية الأولى من القتل والزنا ومعناه، ومن تاب من الشرك وعمل صالحاً يعني أدّى الفرائض ممن لم يقتل ولم يزن ﴿فإنه يتوب إلى الله﴾ أي يعود إليه بعد الموت ﴿متاباً﴾ أي حسناً يفضل على غيره ممن قتل وزنى فالآية الأولى وهي قوله: ومن تاب رجوع عن الشرك والثانية رجوع إلى الله للجزاء والمكافأة. وقيل: هذه الآية أيضاً في التوبة عن جميع السيئات ومعناه ومن أراد التوبة، وعزم عليها فليتب إلى الله فقوله يتوب إلى الله خبر بمعنى الأمر أي تب إلى الله وقيل معناه فليعلم أن توبته ومصيره إلى الله تعالى. قوله تعالى ﴿والذين لا يشهدون الزور﴾ يعني الشرك وقيل هي شهادة الزور (ق) عن أبي بكر قال قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قلنا: بلى يا رسول الله قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس فقال ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت» وكان عمر بن الخطاب يجلد شاهد الزور أربعين جلدة، ويسخم وجهه ويطوف به في الأسواق وقيل: لا يشهدون الزور يعني أعياد المشركين وقيل: الكذب وقيل: النوح وقيل لا يساعد أهل الباطل على باطلهم وقيل الزور اللهو واللعب والغناء. قال ابن مسعود: الغناء ينبت النفاق في ا لقلب كما ينبت الماء الزرع. وأصل الزور حقيقة تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته فهو تمويه الباطل بما يوهم أنه حق ﴿وإذا مروا باللغو﴾ هو كل ما يجب أن يلغى ويترك ﴿مروا كراماً﴾ يعني إذا سمعوا من

قوله عزّ وجلّ: ﴿ومَن تاب وعمل صالحاً﴾، قال بعض أهل العلم هذا في التوبة عن غير ما سبق ذكره في الآية الأولى من القتل والزنا، يعني مَن تاب من الشرك وعمل صالحاً أي: أدّى الفرائض ممّن لم يقتل ولم يزن، ﴿فإنه يتوب إلى الله﴾، أي يعود إليه بالموت، ﴿متاباً﴾، حسناً يفضل به على غيره ممّن قتل وزنا فالتوبة الأولى وهو قوله: ﴿ومَن تاب﴾ رجوع عن الشرك والثاني رجوع إلى الله للجزاء والمكافأة. وقال بعضهم: هذه الآية أيضاً في التوبة عن جميع السيئات. ومعناه: ومَن أراد التوبة وعزم عليها فليتب لوجه الله. وقوله: ﴿يتوب إلى الله﴾ خبر بمعنى الأمر، أي: ليتب إلى الله. وقيل: معناه فليعلم أن توبته ومصيره إلى الله.

﴿والذين لا يشهدون الزور﴾، قال الضحاك وأكثر المفسّرين: يعني الشرك. وقال علي بن طلحة: يعني شهادة الزور. وكان عمر بن الخطاب: يجلد شاهد الزور أربعين جلدة ويسخم وجهه ويطوف به في السوق. وقال ابن جريج: يعني الكذب. وقال مجاهد: يعني أعياد المشركين. وقيل النوح قال قتادة: لا يساعدون أهل الباطل على باطلهم. وقال محمد بن الحنفية لا يشهدون اللهو والغنا. قال ابن مسعود: الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع. وأصل الزور تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته، فهو تمويه الباطل بما يوهم أنه حق، ﴿وإذا مرّوا باللغو مرّوا كراماً﴾، قال مقاتل: إذا سمعوا من الكفّار الشتم والأذى أعرضوا وصفحوا، وهي رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد، نظيره قوله: ﴿وإذا سمعوا اللغوَ أعرضوا عنه﴾ [القصص: ٥٥]، قال السدي: وهي منسوخة بآية القتال. قال الحسن والكلبي: اللغو المعاصي كلها يعني إذا مرّوا بمجلس اللهو والباطل مرّوا كراماً مسرعين مُعرِضين. يقال: تكرّم فلان عمّا يشينه إذا تنزّه وأكره نفسه عنه.

﴿والذين إذا ذُكّروا بآيات ربهم لم يخرّوا﴾، لم يقعوا ولم يسقطوا، ﴿عليها صُمّاً وعمياناً﴾، كأنهم صُمٌّ عُمْيٌ بل يسمعون ما يذكرون به فيفهمونه ويرون الحق فيه فيتبعونه. قال القتيبي: لم يتغافلوا عنها كأنهم صُمٌّ لم يسمعوها وعُمْيٌ لم يروها.

الكفار الشتم والأذى أعرضوا وصفحوا فعلى هذا التفسير، تكون الآية منسوخة بآية القتال. وقيل: اللغو المعاصي كلها، والمعنى إذا مروا بمجالس اللهو والباطل مروا كراماً أي مسرعين معرضين، وهو أن ينزه المرء نفسه ويكرمها عن هذه المجالس السيئة ﴿**والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً**﴾ قيل: معناه أنه ليس فيه نفي الخرور إنما هو إثبات له ونفي الصمم والعمى والمعنى إذا ذكروا بها أكبوا على استماعها بآذان واعية وأقبلوا على المذكر بها بعيون مبصرة راعية. وقيل: معناه لم يخروا أي لم يسقطوا ولم يقعوا عليها صماً وعمياناً، كأنهم بآذانهم صمم وبأعينهم عمى بل يسمعون ما يذكرون به، فيفهمونه ويرون الحق فيه فيتبعونه.

قوله عز وجل ﴿**والذي يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين**﴾ يعني أبراراً أتقياء فيقرون أعيننا بذلك قيل: ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته، وأولاده مطيعين لله عز وجل فيطمع أن يحلوا معه في الجنة فيتم سروره، وتقر عينه بذلك وقيل: إن العرب تذكر قرة العين عند السرور والفرح وسخنة العين عند الغم والحزن. ويقال: دمع العين عند السرور والفرح بارد وعند الحزن حار وقيل معنى قرة العين أن يصادف قلبه من يرضاه، فتقر عينه به عن النظر إلى غيره ﴿**واجعلنا للمتقين إماماً**﴾ يعني يقتدون في الخير بنا. وقيل: معناه نقتدي بالمتقين وتقتدي بنا المتقون وقال ابن عباس: اجعلنا أئمة هدى وقيل: معناه أنهم سألوا الله أن يبلغهم في الطاعات المبلغ الذي يشار إليهم فيه ويقتدي بهم. قال بعضهم: فيه دليل على أن الرياسة في الدين مطلوبة مرغوب فيها وقيل هذا من المقلوب معناه، واجعل المتقين لنا إماماً واجعلنا مقتدين مؤتمين بهم ﴿**أولئك يجزون**﴾ أي يثابون ﴿**الغرفة**﴾ الدرجة العالية الرفيعة في الجنة وقيل: يريد غرف الدر والزبرجد واللؤلؤ والياقوت في الجنة ﴿**بما صبروا**﴾ يعني على طاعة الله تعالى

﴿ **والذين يقولون ربنا هبْ لنا من أزواجنا وذريّاتنا** ﴾، قرأ بغير ألف أبو عمر وحمزة والكسائي وأبو بكر وقرأ الباقون بالألف على الجمع، ﴿ **قُرّةَ أعين** ﴾، يعني أولاداً أبراراً أتقياء، يقولون اجعلهم صالحين فتقرّ أعينُنا بذلك. قال القرظي: ليس شيء أقرّ لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله عزّ وجلّ. وقاله الحسن، ووحّد القرّة لأنها مصدر وأصلها من القرّ لأن العرب تتأذّى من الحرّ وتستروح إلى البرد وتذكر قرّة العين عند السرور وسخنة العين عند الحزن، ويقال: دمع العين عند السرور بارد، وعند الحزن حارّ. وقال الأزهري: معنى قرّة الأعين أن يصادف قلبه مَن يرضاه فتقرّ عينه به عن النظر إلى غيره. ﴿ **واجعلنا للمتّقين إماماً** ﴾، يعني أئمة يقتدون في الخير بنا ولم يقل أئمة. كقوله تعالى: ﴿ أنا رسول ربِّ العالمين ﴾[الشعراء: ١٦]، وقيل: أراد أئمة كقوله: ﴿ فإنهم عدوٌّ لي ﴾ [الشعراء: ٧٧] يعني أعداء، ويقال أميرنا هؤلاء أي أمراؤنا. وقيل: لأنه مصدر كالصيام والقيام، يقال أمّ إماماً كما يقال قام قياماً وصام صياماً. قال الحسن: نقتدي بالمتّقين ويقتدي بنا المتّقون. وقال ابن عباس: اجعلنا أئمة هداة، كما قال: ﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا ﴾ [الأنبياء: ٧٣]، ولا تجعلنا أئمة ضلالة كما قال: ﴿ وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ﴾ [القصص: ٤١]، وقيل هذا من المقرّب يعني واجعل المتّقين لنا إماماً واجعلنا مؤتمّين مقتدين بهم، وهو قول مجاهد.

﴿ **أولئك يُجزون** ﴾، يعني ينالون، ﴿ **الغُرْفَةَ** ﴾، يعني الدرجة الرفيعة في الجنة والغرفة كل بناء مرتفع عالٍ وقال عطاء: يريد غرف الدرّ والزبرجد في الجنة، ﴿ **بما صبروا** ﴾، على أمر الله تعالى وطاعته. وقيل: على أذى المشركين. وقيل: عن الشهوات ﴿ **ويلقون فيها** ﴾، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بفتح الياء وتخفيف القاف كما قال فسوف يلقون غيّاً. وقرأ الآخرون بضم الياء وتشديد القاف كما قال: ﴿ ولقاهم نضرةً وسروراً ﴾ [الإنسان: ١١] وقوله: ﴿ **تحيةً** ﴾، أي ملكاً وقيل بقاءً دائماً، ﴿ **وسلاماً** ﴾، أي: يسلم بعضهم على بعض. وقال الكلبي: يحيّي بعضهم بالسلام، ويرسل الرب إليهم بالسلام. وقيل: سلاماً أي سلامة من الآفات.

وأوامره وعلى أذى المشركين وقيل: بما صبروا عن الشهوات ﴿ويلقون فيها تحية﴾ أي ملكاً وقيل بقاء دائماً ﴿وسلاماً﴾ أي يسلم بعضهم على بعض أو يرسل الرب عز وجل إليهم السلام وقيل سلاماً أي سلامة من الآفات. قوله تعالى ﴿خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً﴾ أي موضع قرار وإقامة. قوله تعالى ﴿قل ما يعبأ بكم ربي﴾ أي ما يصنع ما يفعل بكم فوجودكم وعدمكم سواء، وقيل: معناه أي وزن ومقدار لكم عنده ﴿لولا دعاؤكم﴾ إياه. قيل معناه لولا عبادتكم إياه وقيل: لولا إيمانكم وقيل لولا دعاؤه إياكم إلى الإيمان فإذا آمنتم ظهر لكم عنده قدر. وقيل: معناه ما يعبأ بخلقكم ربي لولا عبادتكم وطاقتكم، والمعنى أنه خلقكم لطاعته وعبادته وهذا قول ابن عباس وقيل: معنى ما يعبأ أي ما يبالي بمغفرتكم ربي لولا دعاؤكم معه آلهة. وقيل معناه ما خلقتكم ولي إليكم حاجة إلا أن تسألوني، فأعطيكم وتستغفروني فأغفر لكم ﴿فقد كذبتم﴾ أيها الكافرون يخاطب أهل مكة يعني أن الله دعاكم إلى توحيده وعبادته على لسان رسول الله ﷺ فكذبتم الرسول ولم تجيبوه إلى الإيمان ﴿فسوف يكون لزاماً﴾ هذا تهديد لهم أي يكون تكذيبهم لزاماً قال ابن عباس: موتاً وقيل هلاكاً وقيل: قتالاً والمعنى يكون التكذيب لازماً لمن كذب فلا يعطى التوبة حتى يجازى بعمله. وقيل: معناه عذاباً دائماً وهلاكاً لازماً لمن كذب مفنياً يلحق بعضكم بعضاً وقيل: هو يوم بدر قتل منهم سبعون وأسر سبعون وهو قول عبدالله بن مسعود وأبي بن كعب، يعني أنهم قتلوا يوم بدر واتصل بهم عذاب الآخرة لازماً لهم (ق) عن عبدالله بن مسعود قال «خمس قد مضين الدخان واللزام والروم والبطشة والقمر وفي رواية الدخان والقمر والروم واللزام والبطشة» والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ خالدين فيها حَسُنَتْ مستقراً ومُقاماً ﴾ أي: موضع قرار وإقامة.

﴿ قلْ ما يعبأ بكم ربّي ﴾، قال مجاهد وابن زيد: أي ما يصنع وما يفعل بكم، قال أبو عبيدة يقال: ما عبأت به شيئاً أي لم أعدّه، فوجوده وعدمه سواء، مجازه: أيّ وزن وأيّ مقدار لكم عنده، ﴿ لولا دعاؤكم ﴾ إيّاه، وقيل: لولا إيمانكم، وقيل: لولا عبادتكم، وقيل: لولا دعاؤه إيّاكم إلى الإسلام، فإذا آمنتم ظهر لكم قدر. وقال قوم: معناها قلْ ما يعبأ بخلقكم ربّي لولا عبادتكم وطاعتكم إيّاه يعني إنه خلقكم لعبادته، كما قال: ﴿ وما خلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وهذا قول ابن عباس ومجاهد، وقال قوم: قلْ ما يعبأ ما يبالي بمغفرتكم لولا دعاؤكم معه آلهة، أو ما يفعل بعذابكم لولا شرككم، كما قال الله تعالى: ﴿ ما يفعل الله بعذابكم إنْ شكرتم وآمنتم ﴾ [النساء: ١٤٧] وقيل: ما يعبأ بعذابكم لولا دعاؤكم إيّاه في الشدائد، كما قال: ﴿ فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وقال: ﴿ فأخذناهم بالبأساء والضرّاء لعلّهم يتضرعون ﴾ [الأنعام: ٤٢]. وقيل: ﴿ قلْ ما يعبأ بكم ربّي لولا دعاؤكم ﴾ يقول: ما خلقتكم ولي إليكم حاجة إلّا أن تسألوني فأُعطيكم وتستغفروني فأغفر لكم. ﴿ فقد كذبتم ﴾، أيها الكافرون يخاطب أهل مكة يعني إن الله دعاكم بالرسول إلى توحيده وعبادته فقد كذبتم الرسول ولم تجيبوه. ﴿ فسوف يكون لِزاماً ﴾، هذا تهديه لهم أي يكون تكذيبكم لزاماً، قال ابن عباس موتاً. وقال أبو عبيدة: هلاكاً. وقال ابن زيد: قتالاً. والمعنى: يكون التكذيب لازماً لِمَن كذب فلا يُعطى التوبة حتى يُجازى بعمله. وقال ابن جرير عذاباً دائماً وهلاكاً مقيماً يلحق بعضكم ببعض واختلفوا فيه فقال قوم: هو يوم بدر قتل منهم سبعون وأسر سبعون. وهو قول عبد الله بن مسعود وأُبيّ بن كعب ومجاهد ومقاتل، يعني أنهم قتلوا يوم بدر واتصل بهم عذاب الآخرة، لازماً لهم، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عمر بن حفص بن غياث أنا أبي أنا الأعمش عن مسروق قال: قال عبد الله خمس قد مضين الدخان والقمر والروم والبطشة واللزام. وقيل: اللزام هو عذاب الآخرة.

تفسير سورة الشعراء

وهي مكية إلا أربع آيات من آخر السورة من قوله تعالى ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ وهي مائتان وسبع وعشرون آية وألف ومائتان وتسع وسبعون كلمة وخمسة آلاف وخمسمائة وأربعون حرفاً، روي عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «أعطيت طه والطواسين من ألواح موسى عليه الصلاة والسلام».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾

قوله عز وجل ﴿طسمٓ﴾ قال ابن عباس: عجزت العلماء عن علم تفسيرها وفي رواية أخرى عنه أنه قسم، وهو من أسماء الله تعالى وقيل اسم من أسماء القرآن، وقيل اسم السورة وقيل أقسم بطوله وسنائه وملكه ﴿تلك آيات﴾ أي هذه الآيات آيات ﴿الكتاب المبين﴾ قيل لما كان القرآن فيه دلائل التوحيد، والإعجاز الدالة على نبوة محمد ﷺ ودلائل الأحكام أجمع ثبت بذلك أن آيات القرآن كافية مبينة لجميع الأحكام.

لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ

سُورَة الشّعَرَاء

﴿ سورة الشعراء ﴾ مكية إلاّ أربع آيات من آخر السورة من قوله: ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ﴾ [٢٢٤ ـ ٢٢٧] وهي مائتان وسبع وعشرون آية. وروينا عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «أعطيت طَه والطواسين من ألواح موسى عليه الصلاة والسلام».

﴿ طَسٓمٓ ﴾، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر طَسٓمٓ وطَسٓ [النمل: ١]، وحَمٓ [غافر: ١، فصّلت: ١، الشورى: ١، الزخرف: ١، الدخان: ١، الجاثية: ١، الأحقاف: ١]، ويَسٓ [يَس: ١]، بكسر الطاء والياء والحاء، وقرأ أهل المدينة بين الفتح والكسر، وقرأ الآخرون بالفتح على التفخيم، وأظهر النون من السين عند الميم في طَسٓم أبو جعفر وحمزة، وأخفاها الآخرون. ورُوِيَ عن عكرمة عن ابن عباس قال: طَسٓم عجزت العلماء عن تفسيرها. وروى علي بن طلحة الوالبي عن ابن عباس: أنه قسم وهو من أسماء الله تعالى: وقال قتادة: اسم من أسماء القرآن. وقال مجاهد: اسم للسورة. وقال محمد بن كعب القرظي: أقسم الله بطَوْله وسنائه ومُلكه.

﴿ تلك ﴾، أي هذه، ﴿ آيات الكتاب المبين ﴾.

﴿يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝٧ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۝٨﴾

﴿لعلك باخع نفسك﴾ أي قاتل نفسك ﴿ألا يكونوا مؤمنين﴾ أي إن لم يؤمنوا وذلك حين كذبه أهل مكة فشق عليه ذلك وكان يحرص على إيمانهم، فأنزل الله عز وجل هذه الآية ﴿إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين﴾ أي لو شاء الله لأنزل عليهم آية يذلون منها فلا يلوي أحد منهم عنقه إلى معصية الله سبحانه وتعالى. وقيل: معناه لو شاء الله لأراهم أمراً من أمره لا يعمل أحد منهم بعده معصية. فإن قلت: كيف صح مجيء خاضعين خبراً عن الأعناق. قلت أصل الكلام فظلوا لها خاضعين، فأقحمت الأعناق لبيان الخضوع وترك الكلام على أصله أو لما، وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء قيل خاضعين. وقيل: أعناق الناس رؤساؤهم ومقدموهم أي فظلت كبراؤهم لها خاضعين وقيل أراد بالأعناق الجماعات، يقال جاء عنق من الناس أي جماعة قوله تعالى ﴿وما يأتيهم من ذكر من الرحمن﴾ أي وعظ وتذكير ﴿محدث﴾ أي محدث إنزاله فهو محدث التنزيل وكلما نزل شيء من القرآن بعد شيء فهو أحدث من الأول ﴿إلا كانوا عنه معرضين﴾ أي عن الإيمان به ﴿فقد كذبوا فسيأتيهم﴾ أي فسوف يأتيهم ﴿أنباء﴾ أي أخبار وعواقب ﴿ما كانوا به يستهزئون أولم يروا إلى الأرض﴾ يعني المشركين ﴿كم أنبتنا فيها﴾ أي بعد أن لم يكن فيها نبات ﴿من كل زوج كريم﴾ أي جنس ونوع وصنف حسن من النبات مما يأكل الناس والأنعام، قال الشعبي: الناس من

﴿ لعلّك باخعٌ ﴾، قاتل، ﴿ نفسك ألّا يكونوا مؤمنين ﴾، إن لم يؤمنوا ذلك حين كذّبه أهل مكة فشقّ عليه وكان يحرص على إيمانهم، فأنزل الله هذه الآية.

﴿ إن نشأ نُنزّل عليهم من السماء آية فظلّت أعناقهم لها خاضعين ﴾، قال قتادة: لو شاء الله لأنزل عليهم آية يذلّون بها فلا يلوي أحد منهم عنقه إلى معصية الله. وقال ابن جريج: معناه لو شاء الله لأراهم أمراً من أمره لا يعمل أحد منهم بعده معصية. وقوله عزّ وجلّ: ﴿ خاضعين ﴾ ولم يقل خاضعة وهي صفة الأعناق، ففيه أقاويل أحدها أراد أصحاب الأعناق فحذف الأصحاب وأقام الأعناق مقامهم، لأن الأعناق إذا خضعت فأربابها خاضعون، جعل الفعل أولاً للأعناق ثم جعل خاضعين للرجال. وقال الأخفش: ردُّ الخضوع على المضمر الذي أضاف الأعناق إليه. وقال قوم: ذكر الصفة لمجاورتها المذكر، وهو قوله: على عادة العرب في تذكير المؤنث إذا أضافوه إلى مذكر، وتأنيث المذكّر إذا أضافوه إلى مؤنث. وقيل: أراد فظلوا خاضعين فعبروا بالعنق عن جميع البدن، كقوله ذلك بما قدّمت يداك وألزمناه طائره في عنقه. وقال مجاهد أراد بالأعناق الرؤساء والكبراء، أي: فظلّت كبراؤهم خاضعين. وقيل: أراد بالأعناق الجماعات، يقال: جاء القوي عنقاً عنقاً أي جماعات وطوائف. وقيل: إنما قال خاضعين على وفاق رؤوس الآي ليكون على نسق واحد.

﴿ وما يأتيهم من ذكر ﴾، وعظ وتذكير، ﴿ من الرحمن محدث ﴾، أي محدث إنزاله، فهو محدث في التنزيل. قال الكلبي: كلما نزل شيء من القرآن بعد شيء فهو أحدث من الأول، ﴿ إلّا كانوا عنه مُعرِضين ﴾، أي عن الإيمان به.

﴿ فقد كذبوا فسيأتيهم ﴾، أي: فسوف يأتيهم، ﴿ أنباء ﴾، أخبار وعواقب، ﴿ ما كانوا به يستهزؤون ﴾.

﴿ أو لم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج ﴾، صنف وضرب، ﴿ كريم ﴾، حسن من النبات مما يأكل الناس والأنعام، يقال: نخلة كريمة إذا طاب حملها، وناقة كريمة إذا كثر لبنها. قال الشعبي: الناس من نبات الأرض فمَن دخل الجنة فهو كريم، ومَن دخل النار فهو لئيم.

نبات الأرض فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لئيم ﴿إن في ذلك﴾ أي الذي ذكر ﴿لآية﴾ تدل على أنه واحد أي دلالة على كمال قدرتنا وتوحيدنا كما قيل:

وفـــي كـــل شـــيء لـــه آيـــة تـــدل علـــى أنـــه واحـــد

و ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ أي سبق علمي فيهم أن أكثرهم لا يؤمنون ولا يصدقون.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝٩ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝١٠ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ۝١١ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۝١٢ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ۝١٣ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ۝١٤ قَالَ كَلَّا ۖ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ۝١٥ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ۝١٧ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ۝١٨ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۝١٩ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ۝٢٠ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝٢١ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ۝٢٢﴾

﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ أي المنتقم من أعدائه ﴿الرحيم﴾ ذو الرحمة لأوليائه. قوله تعالى ﴿وإذ نادى﴾ أي واذكر يا محمد إذ نادى ﴿ربك موسى﴾ أي حين رأى الشجرة والنار ﴿أن ائت القوم الظالمين﴾ يعني الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي وظلموا بني إسرائيل باستعبادهم وسومهم سوء العذاب ﴿قوم فرعون﴾ يعني القبط ﴿ألا يتقون﴾ أي يصرفون عن أنفسهم عقوبة الله بطاعته والإيمان به ﴿قال﴾ يعني موسى ﴿رب﴾ أي يا رب ﴿إني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري﴾ أي بتكذيبهم إياي ﴿ولا ينطلق لساني﴾ أي للعقدة التي كانت على لسانه ﴿فأرسل إلى هارون﴾ ليوازرني ويعينني على تبليغ الرسالة ﴿ولهم عليّ ذنب﴾ أي دعوى ذنب وهو قتله القبطي ﴿فأخاف أن

﴿ إن في ذلك ﴾، الذي ذكرت، ﴿ لآية ﴾، دلالة على وجودي وتوحيدي وكمال قدرتي، ﴿ وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾، مصدّقين أي سبق علمي فيهم أن أكثرهم لا يؤمنون. وقال سيبويه: كان ههنا صلة مجازه: وما أكثرهم مؤمنين.

﴿ وإن ربّك لهو العزيز ﴾، العزيز بالنقمة من أعدائه، ﴿ الرحيم ﴾، ذو الرحمة بأوليائه.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ وإذ نادى ربُّك موسى ﴾، واذكر يا محمد إذ نادى ربك موسى حين رأى الشجرة والنار، ﴿ أنِ ائتِ القومَ الظالمين ﴾، يعني الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعصية، وظلموا بني إسرائيل باستعبادهم وسومهم سوء العذاب.

﴿ قوم فرعون ألا يتّقون ﴾، ألا يصرفون عن أنفسهم عقوبة الله بطاعته.

﴿ قال ﴾، يعني موسى، ﴿ ربِّ إني أخاف أن يكذبون ﴾.

﴿ ويضيق صدري ﴾، بتكذيبهم إيّاي، ﴿ولا ينطلق لساني ﴾، قال: هذا للعقدة التي كانت على لسانه، قرأ يعقوب ﴿ ويضيق ﴾، ﴿ ولا ينطلق ﴾ بنصب القافين على معنى وأن يضيق، وقرأ العامّة ويرفعهما ردّاً على قوله: ﴿ إني أخاف ﴾، ﴿ فأرسلْ إلى هارون ﴾، ليؤازرني ويظاهرني على تبليغ الرسالة.

﴿ ولهم عليّ ذنب ﴾، أي دعوى ذنب، وهو قتله القبطي، ﴿ فأخاف أن يقتلون ﴾، أي يقتلونني به.

يقتلون﴾ أي به **﴿قال﴾** الله تعالى **﴿كلا﴾** أي لن يقتلوك **﴿فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون﴾** أي سامعون ما تقولون وما يقال لكم. فإن قلت: كيف ذكرهم بلفظ الجمع في قوله معكم وهما اثنان. قلت: أجراهما مجرى الجماعة، وهو جائز في لغة العرب **﴿فائتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين﴾** فإن قلت هلا ثنى الرسول كما في قوله: فائتياه فقولا إنا رسولا ربك. قلت: الرسول قد يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعله ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته، وجعله هنا بمعنى الرسالة فجازت التسوية فيه، إذا وصف به الواحد والتثنية والجمع والمعنى أنا ذو رسالة كما قال كثير:

لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بشيء ولا أرسلتهم برسول

أي برسالة وقيل إنهما لاتفاقهما في الرسالة، والشريعة والإخوة فصارا كأنهما رسول واحد وقيل كل واحد منا رسول رب العالمين **﴿أن أرسل معنا بني إسرائيل﴾** أي خلهم وأطلقهم معنا إلى أرض فلسطين، ولا تستعبدهم وكان فرعون قد استعبدهم أربعمائة سنة وكانوا في ذلك الوقت ستمائة ألف وثلاثين ألفاً، فانطلق موسى برسالة ربه إلى مصر وهارون بها فأخبره بذلك، وفي القصة أن موسى رجع إلى مصر وعليه جبة صوف وفي يده عصاه والمكتل معلق في

﴿قال﴾، الله تعالى، **﴿كلا﴾**، أي لن يقتلوك، **﴿فاذهبا بآياتنا إنّا معكم مستمعون﴾**، سامعون ما يقولون، ذكر معكم بلفظ الجمع، وهما اثنان أجراهما مجرى الجماعة. وقيل: أراد معكما ومع بني إسرائيل نسمع ما يجيبكم فرعون.

﴿فأْتيا فرعون فقولا إنّا رسولُ ربِّ العالمين﴾، ولم يقل رسولا ربِّ العالمين لأنه أراد الرسالة أنا ذُو رسالة ربِّ العالمين، كما قال كثير:

لقد كذب الواشون ما بحث عندهم بسر ولا أرسلتهم برسول

أي بالرسالة، وقال أبو عبيدة: يجوز أن يكون الرسول بمعنى الاثنين والجمع، تقول العرب: هذا رسولي ووكيلي وهذان وهؤلاء رسولي ووكيلي، كما قال الله تعالى: ﴿وهو لكم عدو﴾ [الكهف: ٥٠]، وقيل: معناه كل واحد منّا رسول ربِّ العالمين.

﴿أن أرسل﴾، أي بأن أرسلْ، **﴿معنا بني إسرائيل﴾**، أي إلى فلسطين، ولا تستعبدهم، وكان فرعون استعبدهم أربعمائة سنة، وكانوا في ذلك الوقت ستمائة ألف وثلاثين ألفاً، فانطلق موسى إلى مصر وهارون بها فأخبره بذلك، وفي القصة أن موسى رجع إلى مصر وعليه جبّة صوف وفي يده عصا والمكتل معلّق في رأس العصا، وفيه زاده فدخل دار نفسه وأخبر هارون بأن الله أرسلني إلى فرعون وأرسلني إليك حتى تدعو فرعون إلى الله، فخرجتْ أُمهما وصاحت وقالت: إن فرعون يطلبك ليقتلك فلو ذهبتما إليه قتلكما فلم يمتنعا لقولها، وذهبا إلى باب فرعون ليلاً ودقّ الباب ففزع البوّابون وقال: مَن بالباب؟ ورُوِيَ أنه اطّلع البوّاب عليهما فقال مَن أنتما؟ فقال موسى: أنا رسول ربِّ العالمين، فذهب البوّاب إلى فرعون وقال: إنّ مجنوناً بالباب يزعم أنه رسول ربِّ العالمين، فنزل حتى أصبح ثم دعاهما. ورُوِيَ أنهما انطلقا جميعاً إلى فرعون فلم يؤذن لهما سنة في الدخول عليه، فدخل البوّاب وقال لفرعون ههنا إنسان يزعم أنه رسول ربِّ العالمين، فقال فرعون: ائذن له لعلّنا نضحك منه، فدخلا عليه وأدّيا رسالة الله عزّ وجلّ فعرف فرعون موسى لأنه نشأ في بيته.

﴿قال ألم نُربِّك فينا وليداً﴾، صبيّاً، **﴿ولبثت فينا من عمرك سنين﴾**، وهو ثلاثون سنة.

رأس العصا، وفيه زاده فدخل دار نفسه وأخبر هارون أن الله قد أرسلني إلى فرعون وأرسل إليك ندعو فرعون إلى الله تعالى فخرجت أمهما فصاحت وقالت: إن فرعون يطلبك ليقتلك فإذا ذهبت إليه، قتلك فلم يمتنع لقولها وذهبا إلى باب فرعون وذلك بالليل فدقا الباب ففزع البوابون، وقالوا: من بالباب فقال أنا موسى رسول رب العالمين فذهب البوابون إلى فرعون وقالوا إن مجنوناً بالباب يزعم أنه رسول رب العالمين فترك حتى أصبح ثم دعاهما وقيل إنهما انطلقا جميعاً إلى فرعون فلم يؤذن لهما سنة في الدخول، ثم دخل البواب فقال لفرعون ها هنا إنسان يزعم أنه رسول رب العالمين فقال فرعون: ائذن له لعلنا نضحك منه فدخلا على فرعون وأديا رسالة الله تعالى فعرف فرعون موسى لأنه نشأ في بيته فـ ﴿**قال**﴾ له ﴿**ألم نربك فينا وليداً**﴾ يعني صبياً ﴿**ولبثت فينا من عمرك سنين**﴾ أي ثلاثين سنة ﴿**وفعلت فعلتك التي فعلت**﴾ يعني قتلت القبطي ﴿**وأنت من الكافرين**﴾ قال أكثر المفسرين من الجاحدين لنعمتي وحق تربيتي يقول ربيناك فينا فكافأتنا أن قتلت منا نفساً، وكفرت نعمتنا وهي رواية عن ابن عباس قال إن فرعون لم يكن يعلم الكفر بالربوبية ولأن الكفر غير جائز على الأنبياء لا قبل النبوة، ولا بعدها وقيل معناه وأنت من الكافرين بفرعون وإلهيته ﴿**قال**﴾ يعني موسى ﴿**فعلتها إذاً وأنا من الضالين**﴾ أي من الجاهلين بأن ذلك يؤدي إلى قتله لأن فعل الوكزة على وجه التأديب لا على وجه القتل وقيل من الضالين عن طريق الصواب وقيل من المخطئين ﴿**ففررت منكم**﴾ أي إلى مدين ﴿**لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً**﴾ يعني النبوة وقيل العلم والفهم ﴿**وجعلني من المرسلين وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل**﴾ أي اتخذتهم عبيداً قيل: عدها موسى نعمة منه عليه حيث رباه لم يقتله كما قتل ولدان بني إسرائيل، ولم يستعبده كما استعبد بني إسرائيل فيكون معنى الآية، وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني

﴿ **وفعلت فعلتك التي فعلت** ﴾، يعني قتل القبطي، ﴿ **وأنت من الكافرين** ﴾، قال الحسن والسدي: يعني وأنت من الكافرين بإلهك الذي تدّعيه، ومعناه: على ديننا هذا الذي تعيبه. وقال أكثر المفسّرين: معنى قوله وأنت من الكافرين يعني من الجاحدين لنعمتي وحق تربيتي، تقول ربّيناك فينا فكافأتنا أن قتلت منّا نفساً وكفرت بنعمتنا. وهذا رواية العوفي عن ابن عباس: إن فرعون لم يكن يعلم ما الكفر بالربوبية.

﴿ **قال** ﴾، موسى، ﴿ **فعلتها إذاً** ﴾، أي فعلت ما فعلت حينئذ، ﴿ **وأنا من الضالّين** ﴾، أي من الجاهلين، لم يأتِ من الله شيئاً، وقيل: من الجاهلين بأن ذلك يؤدّي إلى قتله. وقيل: من الضالّين عن طريق الصواب من غير تعمّد. وقيل: من المخطئين.

﴿ **ففَررتُ منكم لمّا خِفتُكم** ﴾، إلى مدين، ﴿ **فوهب لي ربّي حكماً** ﴾، يعني النبوّة، وقال مقاتل: يعني العلم والفهم، ﴿ **وجعلني من المرسلين** ﴾.

﴿ **وتلك نعمةٌ تمنّها عَلَيّ أن عَبّدتَّ بني إسرائيل** ﴾، اختلفوا في تأويلها فحملها بعضهم على الإقرار وبعضهم على الإنكار، فمَن قال هو إقرار قال عدّها موسى نعمة منه عليه حيث ربّاه، ولم يقتله كما قتل سائر غلمان بني إسرائيل، ولم يستعبده كما استعبد بني إسرائيل، مجازه: بلى وتلك نعمة لك عليّ أن عبّدت بني إسرائيل، وتركتني فلم تستعبدني. ومَن قال: هو إنكار قال قوله: وتلك نعمة هو على طريق الاستفهام أي: أوَ تلك نعمة؟ حذف ألف الاستفهام، كقوله: ﴿ فهم الخالدون ﴾ [الأنبياء: ٣٤]؟ قال الشاعر:

تـروح من الحيّ أم تتبكّر وماذا يضـرّك لـو تنتظر

أي: تروح من الحيّ. قال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة:

إسرائيل وتركتني فلم تستعبدني، وقيل هو على طريق الإنكار ومعنى الآية أو تلك نعمة على طريق الاستفهام، فحذف الألف كما قال عمر بن عبدالله بن ربيعة:

لم أنس يوم الرحيل وقفتها وطرفها من دموعها غرق
وقولها والركاب واقفة تتركني هكذا وتنطلق

أي أتتركني، والمعنى أتمن علي أن ربيتني، وتنسى جنايتك على بني إسرائيل بالاستعباد والمعاملات القبيحة أو يريد كيف تمن علي بالتربية، وقد استعبدت قومي ومن أهين قومه فقد ذل فتعبد بني إسرائيل قد أحبط حسناتك إلي، ولو لم تستعبدهم ولم تقتل أولادهم لم أرفع إليك حتى تربيني وتكلفني، ولكان لي من أهلي من يربيني ولم يلقوني في اليم.

قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾

﴿قال فرعون وما رب العالمين﴾ يقول أي شيء رب العالمين الذي تزعم أنك رسوله أي يستوصفه إلهه الذي أرسله إليه، وهو سؤال عن جنس الشيء، والله تعالى منزه عن الجنسية والماهية فلهذا عدل موسى عن جوابه، وأجابه بذكر أفعاله وآثار قدرته التي تعجز الخلائق عن الإتيان بمثلها ﴿قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين﴾

لم أنسَ يوم الرحيل وقفتها وطرفها في دموعها غرق
وقولها والركاب واقفة تتركني هكذا وتنطلق

أي: أتتركني، يقول تمنّ عليّ أن ربيتني وتنسى جنايتك على بني إسرائيل بالاستعباد والمعاملات القبيحة؟ أو يريد: كيف تمنّ عليّ بالتربية وقد استعبدت قومي، ومَن أُهين قومه ذُلّ، فتعبيدك بني إسرائيل قد أحبط إحسانك إليّ، وقيل معناه تمنّ عليّ بالتربية. وقوله: ﴿ أنْ عبَّدتَّ بني إسرائيل ﴾ أي: باستعبادك بني إسرائيل وقتلك أولادهم، دُفعت إليك حتى ربيتني وكفلتني ولو لم تستعبدهم وتقتلهم كانَ لِي من أهلي مَن يربيني ولم يلقوني في اليم، فأيّ نعمة لك عليّ؟ قوله: ﴿ عبَّدتَّ ﴾ أي اتخذتهم عبيداً، يقال عبَّدت فلاناً وأعبدته وتعبّدته واستعبدته، أي اتخذته عبداً.

﴿ قال فرعون وما ربُّ العالمين ﴾، يقول: أي شيء ربّ العالمين الذي تزعم أنك رسوله إليّ يستوصفه إلٓهه الذي أرسله إليه مما هو سؤال عن جنس الشيء، والله منزّه عن الجنسية، فأجابه موسى عليه السلام بذكر أفعاله التي يعجز عن الإتيان بمثلها.

أنه خالقهما فاعرفوا أنه لا يمكن تعريفة إلا بما ذكرته لكم، فإن أيقنتم بذلك لزمكم أن تقطعوا أنه لا جواب لكم عن هذا السؤال إلا ما ذكرته من الجواب، وقال أهل المعاني أي كما توقنون هذه الأشياء التي تعاينونها، فأيقنوا أن إله الخلق هو الله تعالى الذي خلقها وأوجدها فلما قال ذلك موسى تحير فرعون في جواب موسى **﴿قال لمن حوله﴾** أي من أشراف قومه قال ابن عباس: كانوا خمسمائة رجل عليهم الأسورة **﴿ألا تستمعون﴾** وإنما قال فرعون: ذلك على سبيل التعجب من جواب موسى، يعني أني إنما أطلب منه الماهية وخصوصية الحقيقة وهو يجيبني بأفعاله وآثاره وقيل: إنهم كانوا يعتقدون إن آلهتهم ملوكهم ثم زادهم موسى في البيان **﴿قال ربكم ورب آبائكم الأولين﴾** يعني أن موسى ذكر ما هو أقرب فقال ربكم يعني أنه خالقكم وخالق آبائكم الأولين **﴿قال﴾** يعني فرعون **﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾** يعني المقصود من السؤال طلب الماهية، وهو يجيب بالآثار الخارجة وهذا لا يفيد البتة فهذا الذي يدعي الرسالة مجنون لا يفهم السؤال فضلاً عن أن يجيب عنه، ويتكلم بكلام لا نقبله ولا نعرف صحته، وكان عندهم أن من لا يعتقد ما يعتقدون ليس بعاقل فزاد في البيان **﴿قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون﴾** فعدل إلى طريق ثالث أوضح من الثاني، ومعنى إن كنتم تعقلون قد عرفتم أنه لا جواب عن سؤالك إلا ما ذكرت **﴿قال﴾** فرعون حين لزمته الحجة، وانقطع عنه الجواب تكبراً عن الحق **﴿لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين﴾** قيل كان سجن فرعون أشد من القتل، لأنه كان يأخذ الرجل فيطرحه في مكان يهوي فيه إلى الأرض وحده فرداً لا يسمع ولا يبصر فيه **﴿قال﴾** له موسى حين توعده بالسجن **﴿أولو جئتك بشيء مبين﴾** أي بآية بينة والمعنى أتفعل ذلك، ولو جئتك بحجة بينة وإنما قال ذلك موسى لأن من أخلاق الناس السكون إلى الإنصاف

﴿ قال ربُّ السموٰاتِ والأرضِ وما بينهما إن كنتم موقنين ﴾، إنه خالقهما. قال أهل المعاني: أي كما توقنون هذه الأشياء التي تعاينونها فأيقنوا أن إلٰه الخلق هو الله عزّ وجلّ، فلما قال موسى ذلك تحيّر فرعون في جواب موسى.

﴿ قال لمَن حوله ﴾، من أشراف قومه. قال ابن عباس: كانوا خمس مائة رجل عليهم الأصورة، قال لهم فرعون استبعاداً لقول موسى، **﴿ ألا تستمعون ﴾**، وذلك أنهم كانوا يعتقدون أن آلهتهم ملوكهم، فزادهم موسى في البيان.

﴿ قال ربُّكم وربُّ آبائكم الأوّلين ﴾.

﴿ قال ﴾، يعني فرعون، **﴿ إنّ رسولكم الذي أُرسل إليكم لمجنون ﴾**، يتكلم بكلام لا نعقله ولا نعرف صحته، وكان عندهم أن مَن لا يعتقد ما يعتقدون ليس بعاقل، فزاد موسى في البيان.

﴿ قال ربُّ المشرقِ والمغربِ وما بينهما إنْ كنتمُ تعقِلُون ﴾.

﴿ قال ﴾، فرعون حين لزمته الحجّة وانقطع عن الجواب تكبّراً عن الحق:

﴿ لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنّك من المسجونين ﴾، من المحبوسين، قال الكلبي: كان سجنه أشدّ من القتل، لأنه كان يأخذ الرجل فيطرحه في مكان وحده فرداً لا يسمع ولا يبصر فيه شيئاً، من عمقه يهوي في الأرض.

﴿ قال ﴾ له موسى حين توعّده بالسجن **﴿ أوَلَو جِئتُك ﴾** أي: وإن جئتك، **﴿ بشيء مبين ﴾**، بآية مبينة، ومعنى الآية أتفعل ذلك وإن أتيتك بحجة بيّنة، وإنما قال ذلك موسى لأن من أخلاق الناس السكون إلى الإنصاف والإجابة إلى الحق بعد البيان.

والإجابة إلى الحق بالبيان ﴿**قال**﴾ يعني فرعون ﴿**فأت به**﴾ أي إنا لن نسجنك حينئذٍ ﴿**إن كنت من الصادقين فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين**﴾ قيل إنها لما صارت حية ارتفعت في السماء، قدر ميل ثم انحطت مقبلة إلى فرعون فقال: بالذي أرسلك ألا أخذتها فأخذها موسى، فعادت عصاً كما كانت فقال وهل غيرها قال نعم وأراه يده ثم أدخلها في جيبه ثم أخرجها، فإذا هي بيضاء من غير برص لها شعاع كشعاع الشمس وهو قوله ﴿**ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين**﴾ فعند ذلك ﴿**قال**﴾ فرعون ﴿**للملأ حوله إن هذا**﴾ يعني موسى ﴿**لساحر عليم**﴾ وكان زمان السحر فلهذا روج فرعون هذا القول على قومه ثم قال ﴿**يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره**﴾ قال هذا القول على سبيل التنفير لئلا يقبلوا قول موسى ﴿**فماذا تأمرون**﴾ يعني ما رأيكم فيه وما الذي أعمله فعند ذلك ﴿**قالوا أرجه وأخاه**﴾ أي أخره وأخاه ﴿**وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم**﴾ قيل إن فرعون أراد قتل موسى فقالوا لا تفعل فإنك إن قتلته دخلت الناس شبهة في أمره ولكن أخره واجمع له سحرة ليقاوموه ولا تثبت له عليك حجة. قوله تعالى ﴿**فجمع لسحرة لميقات يوم معلوم**﴾ يعني يوم الزينة قال ابن عباس وافق ذلك يوم السبت في أول يوم من السنة، وهو يوم النيروز ﴿**وقيل للناس هل أنتم مجتمعون**﴾ أي لتنظروا ما يفعل الفريقان، ولمن تكون الغلبة ﴿**لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين**﴾ لموسى قيل أراد بالسحرة موسى وهارون وقالوا: ذلك على طريقة الاستهزاء ﴿**فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين**﴾ طلبوا من فرعون الجزاء، وهو بذل المال والجاه فبذل لهم ذلك كله، وأكده بقوله:

قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ
بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾
قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ

﴿ **قال** ﴾ له فرعون، ﴿ **فأتِ به** ﴾، فإنّا لن نسجنك حينئذ، ﴿ **إن كنت من الصادقين** ﴾.

﴿ **فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مُبين** ﴾، فقال وهل غيرها، ﴿ **ونزع** ﴾، موسى، ﴿ **يده فإذا هي بيضاء للناظرين** ﴾.

﴿ **قال** ﴾ فرعون، ﴿ **للملأ حوله إنّ هذا لسَاحِرٌ عليم** ﴾.

﴿ **يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون** ﴾.

﴿ **قالوا أرْجِهْ وأخاه وابعث في المدائن حاشرين** ﴾.

﴿ **يأتوك بكل سحّار عليم** ﴾.

﴿ **فجُمِعَ السحرةُ لميقات يوم معلوم** ﴾، وهو يوم الزينة. ورُوِيَ عن ابن عباس قال: وافق ذلك اليوم يوم السبت في أول يوم من السنة وهو يوم النيروز.

﴿ **وقيل للناس هل أنتم مجتمعون** ﴾، لتنظروا إلى ما يفعل الفريقان ولمَن تكون الغلبة.

﴿ **لعلّنا نتّبعُ السحرةَ إن كانوا هم الغالبين** ﴾، لموسى، وقيل: إنما قالوا ذلك على طريق الاستهزاء، وأرادوا بالسحرة موسى وهارون وقومهما.

﴿ **فلما جاء السحرةُ قالوا لفرعون أئنّ لنَا لأجراً إنْ كنّا نحن الغالبين** ﴾.

ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا
مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم
مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ
حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم
مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾

﴿قال نعم وإنكم لمن المقربين قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون﴾ أي بعظمة فرعون ﴿إنا لنحن الغالبون فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون﴾ أي ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم قيل: إن عصى موسى صارت حية وابتلعت كل ما رموه من حبالهم وعصيهم ثم أخذها موسى فإذا هي كما كانت أول مرة ﴿فألقي السحرة ساجدين﴾ قيل إنهم لما رأوا ما جاوز حد السحر علموا أنه ليس بسحر، ثم لم يتمالكوا أن خروا ساجدين ثم إنهم ﴿قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون﴾ وإنما قالوا رب موسى وهارون، لأن فرعون كان يدعي الربوبية فأرادوا عزله ﴿قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون﴾ فيه وعيد مطلق وتهديد شديد ثم بين ذلك الوعيد فقال ﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين قالوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون﴾ أي لا ضرر علينا فيما ينالنا في الدنيا، لأنا ننقلب ونصير إلى ربنا في الآخرة مؤمنين مؤملين غفرانه وهو قولهم ﴿إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا﴾ أي الكفر والسحر ﴿أن﴾ أي لأن ﴿كنا أول المؤمنين﴾ أي من أهل زماننا وقيل أول المؤمنين أي من الجماعة الذين حضروا ذلك الجمع. قوله تعالى ﴿وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم متبعون﴾ أي يتبعكم فرعون وقومه ليحولوا بينكم وبين الخروج، قيل: أوحى الله إلى موسى أن اجمع بني إسرائيل، كل أهل أربعة أبيات في بيت ثم اذبحوا أولاد الضأن فاضربوا بدمائها على أبوابكم فإني سآمر الملائكة فتقتل أبكار آل فرعون من أنفسهم وآمرهم أن لا يدخلوا بيتاً على بابه دم، ثم اخبزوا فطيراً فإنه أسرع لكم ثم اسر بعبادي حتى تنتهي إلى البحر، فيأتيك أمري ففعل ذلك موسى، ثم إن قوم موسى قالوا لقوم فرعون إن لنا في هذه الليلة عيداً

﴿ قال نعم وإنكم لمن المقرّبين ﴾.

﴿ قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون ﴾.

﴿ فألقوا حبالَهم وعِصِيَّهم وقالوا بِعزَّةِ فرعون إنّا لنحنُ الغالبون ﴾.

﴿ فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقفُ ما يأفِكُون ﴾.

﴿ فأُلقِيَ السحرةُ ساجدين ﴾.

﴿ قالوا آمنّا بربِّ العالمين ﴾.

﴿ ربِّ موسى وهارون ﴾.

﴿ قال آمنتم له قبل أنْ آذنَ لكم إنّه لكبيركم الذي علّمكم السحرَ فلسوفَ تعلمون لأقطعنّ أيديَكم وأرجلَكم من خلاف ولأصلبنّكم أجمعين ﴾.

﴿ قالوا لا ضير ﴾، لا ضرر، ﴿ إنّا إلى ربِّنا منقلبون ﴾.

فاستعاروا منهم حليهم، ثم خرجوا بتلك الأموال في الليل إلى جهة البحر فلما سمع فرعون ذلك، قال: هذا عمل موسى وقومه قتلوا أبكارنا من أنفسنا وأخذوا أموالنا ﴿**فأرسل فرعون في المدائن حاشرين**﴾ يعني الشرط يحشرون الجيش قيل: كانت المدائن ألف مدينة واثني عشر ألف قرية، فأرسل فرعون في أثر موسى وقومه ألف ألف وخمسمائة ألف، وخرج فرعون في الكرسي العظيم في مائتي ألف ملك مسورين مع كل ملك ألف فلذلك قال ﴿**إن هؤلاء لشرذمة قليلون**﴾ قال أهل التفسير كانت الشرذمة الذين قللهم فرعون ستمائة ألف مقاتل، لم يعدوا دون العشرين وفوق الستين سنة وقال ابن مسعود كانت ستمائة ألف وسبعين ألفاً، ولا يحصى عدد أصحاب فرعون. ﴿**وإنهم لنا لغائظون**﴾ الغيظ الغضب يعني أنهم أغضبونا بمخالفتهم فينا وقتلهم أبكارنا وذهابهم بأموالنا التي استعاروها، وخروجهم من أرضنا بغير إذن منا ﴿**وإنا لجميع حاذرون**﴾ أي خائفون من شرهم وقرىء حذرون، أي ذوو قوة وأداة شاكو السلاح وقيل الحاذر الذي يحذرك الآن بالتحقيق من المتلبس بحمل السلاح، والحذر الذي لا تلقاه إلا خائفاً ﴿**فأخرجناهم من جنات وعيون**﴾ قيل: كانت البساتين ممتدة في حافتي النيل فيها عيون وأنهار جارية ﴿**وكنوز**﴾ يعني الأموال الظاهرة من

﴿ **إنّا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كُنّا** ﴾ ﴿ **أول المؤمنين** ﴾، من أهل زماننا.

﴿ **وأوحينا إلى موسى أن أسرِ بعبادي إنكمُ مُتَّبَعُون** ﴾، يتبعكم فرعون وقومه ليحولوا بينكم وبين الخروج من مصر. ورُوِيَ عن ابن جريج قال: أوحى الله تعالى إلى موسى أن اجمع بني إسرائيل كل أهل أربعة أبيات في بيت ثم اذبحوا أولاد الضأن فاضربوا بدمائها على أبوابكم، فإني سآمر الملائكة فلا يدخلوا بيتاً على بابه دم، وسآمرها فتقتل أبكار آل فرعون من أنفسهم وأموالهم، ثم اخبزوا خبزاً فطيراً فإنه أسرع لكم ثم أسرِ بعبادي حتى تنتهي إلى البحر، فيأتيك أمري ففعل ذلك، فلما أصبحوا قال فرعون هذا عمل موسى وقومه قتلوا أبكارنا من أنفسنا وأخذوا أموالنا فأرسل في أثره ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسور مع كل ملك ألف، وخرج فرعون في الكرسي العظيم.

﴿ **فأرسل فرعون في المدائن حاشرين** ﴾، يحشرون الناس يعني الشرط ليجمعوا السحرة. وقيل: حتى يجمعوا له الجيش، وذكر بعضهم: أنه كان له ألف مدينة واثنا عشرة ألف قرية. وقال لهم.

﴿ **إنّ هؤلاء لِشرْذِمة** ﴾، عصابة ﴿ **قليلون** ﴾، والشرذمة القطعة من الناس غير الكثير، وجمعها شراذم. قال أهل التفسير: كانت الشرذمة الذين قلّلهم فرعون ستمائة ألف. وعن ابن مسعود قال: كانوا ستمائة وسبعين ألفاً ولا يحصى عدد أصحاب فرعون.

﴿ **وإنهم لنا لغائظون** ﴾، يقال غاظه وأغاظه وغيظه إذا أغضبه، والغيظ والغضب واحد، يقول: أغضبونا بمخالفتهم ديننا وقتلهم أبكارنا وذهابهم بأموالنا التي استعاروها، وخروجهم من أرضنا بغير إذن منّا.

﴿ **وإنّا لجميع حاذِرُون** ﴾، قرأ أهل الحجاز والبصرة (حذرون) و﴿ فرهين ﴾ [الشعراء: ١٤٩] بغير ألف وقرأ الآخرون ﴿حاذرون﴾ و﴿فارهين﴾ بالألف فيهما، وهما لغتان. وقال أهل التفسير: حاذرون أي مؤدّون ومقوون، أي: ذوو أداة وقوة مستعدون شاكون في السلاح، ومنه حذرون أي خائفون شرّهم. وقال الزجّاج: الحاذر المستعد، والحذر المستيقظ. وقال الفرّاء: الحاذر الذي يحذرك الآن، والحذر المخوف. وكذلك لا تلقاه إلّا حذراً. والحذر اجتناب الشيء خوفاً منه.

﴿ **فأخرجناهم من جنات** ﴾، وفي القصة البساتين كانت ممتدة على حافّتي النيل، ﴿ **وعيون** ﴾، أنهار جارية.

الذهب والفضة، وسماها كنوزاً لأنه لم يؤد حق الله منها وكل مال لم يعط، ولم يؤد حق الله منه فهو كنز وإن كان ظاهراً قيل كان لفرعون ثمانمائة ألف غلام كل غلام على فرس عتيق، في عنق كل فرس طوق من ذهب قال الله تعالى ﴿ومقام كريم﴾ أي مجلس حسن قيل: أراد مجالس الأمراء والرؤساء التي كانت لهم وقيل إنه كان إذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلاثمائة كرسي من ذهب يجلس عليها الأشراف من قومه والأمراء وعليهم أقبية الديباج مخوصة بالذهب والمعنى أنا أخرجناهم من بساتينهم التي فيها العيون وأموالهم ومجالسهم الحسنة ﴿كذلك﴾ أي كما وصفنا ﴿وأورثناها بني إسرائيل﴾ وذلك أن الله عز وجل رد بني إسرائيل إلى مصر بعد هلاك فرعون، وقومه، فأعطاهم جميع ما كان لفرعون، وقومه من الأموال والأماكن الحسنة ﴿فأتبعوهم مشرقين﴾ أي لحق فرعون وقومه موسى، وأصحابه وقت شروق الشمس وهو إضاءتها ﴿فلما تراءى الجمعان﴾ يعني تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه ﴿قال أصحاب موسى إنا لمدركون﴾ أي سيدركنا فرعون وقومه ولا طاقة لنا بهم.

قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ
كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ
لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ
يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ
وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي
وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾

﴿قال﴾ أي موسى لثقته وعد الله تعالى إياه ﴿كلا﴾ أي لن يدركونا ﴿إن معي ربي سيهدين﴾ يعني يدلني على

﴿ وكنوز ﴾، يعني الأموال الظاهرة من الذهب والفضة قال مجاهد سمّاها كنوزاً لأنه لم يعطِ حق الله منها وما لم يعطَ حقّ الله منها فهو كنز وإن كان ظاهراً قيل كان لفرعون ثمانمائة ألف غلام كل غلام على فرس عتيق في عنق كل فرس طوق من ذهب، ﴿ ومقام كريم ﴾، أي مجلس حسن، قال المفسّرون: أراد مجالس الأمراء والرؤساء التي كانت تحفّها الأتباع. وقال مجاهد وسعيد بن جبير: هي المنابر. وذكر بعضهم: أنه كان إذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلاثمائة كرسي من ذهب يجلس عليها الأشراف عليهم الأقبية من الديباج مَخُوصة بالذهب.

﴿ كذلك ﴾، كما وصفنا، ﴿ وأورثناها ﴾، بهلاكهم، ﴿ بني إسرائيل ﴾، وذلك أن الله تعالى ردّ بني إسرائيل إلى مصر بعدما أغرق فرعون وقومه فأعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الأموال والمساكن.

﴿ فأتبعوهم مشرقين ﴾، يعني لحقوهم في وقت إشراق الشمس، وهو إضاءتها أي أدرك قوم فرعون موسى وأصحابه وقت شروق الشمس.

﴿ فلما تراءى الجمعان ﴾، يعني تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه، وكير حمزة الراء من تراءى وفتحها الآخرون. ﴿ قال أصحاب موسى إنّا لمدْركون ﴾، يعني سيدركنا قوم فرعون ولا طاقة لنا بهم.

﴿ قال ﴾، موسى ثقة بوعد الله إيّاه ﴿ كلا ﴾، لن يدركونا، ﴿ إنّ معي ربي سيهدين ﴾، يدلّني على طريق النجاة.

طريق النجاة ﴿فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق﴾ أي فضربه فانشق ﴿فكان كل فرق﴾ أي قطعة من الماء ﴿كالطود﴾ أي الجبل ﴿العظيم﴾ قيل لما انتهى موسى ومن معه إلى البحر هاجت الرياح فصار البحر يرمي بموج كالجبال، قال يوشع: يا كليم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون من خلفنا، والبحر أمامنا قال موسى، ها هنا فخاض يوشع الماء لا يواري حافر دابته، وقال: الذي يكتم إيمانه يا كليم الله أين أمرت قال: ها هنا فكبح فرسه فصكه بلجامه حتى طار الزبد من شدقه، ثم أقحمه البحر فارتسب في الماء وذهب القوم يصنعون مثل ذلك فلم يقدروا فجعل موسى لا يدري كيف يصنع فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق، فإذا الرجل واقف على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبده ﴿وأزلفنا ثم الآخرين﴾ يعني قربنا فرعون وجنوده إلى البحر وقدمناهم إلى الهلاك وقيل إن جبريل كان بين بني إسرائيل، وبين قوم فرعون يقول لبني إسرائيل ليلحق آخركم أولكم، ويقول للقبط رويداً ليلحق آخركم أولكم، فكان بنو إسرائيل يقولون ما رأينا أحسن سياقة من هذا الرجل، وكان قوم فرعون يقولون ما رأينا أحسن دعة من هذا الرجل ﴿وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين﴾ يعني أنه تعالى جعل البحر يبساً حتى خرج موسى وقومه، منه وأغرق فرعون وقومه، وذلك أنهم لما تكاملوا في البحر انطبق عليهم فأغرقهم ﴿إن في ذلك لآية﴾ يعني ما حدث في البحر من انفلاقه آية من الآيات العظام الدالة على قدرته ومعجزة لموسى عليه السلام ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ يعني أهل مصر قيل: لم يؤمن منهم إلا آسية امرأة فرعون، وحزقيل مؤمن آل فرعون، ومريم ابنة ماموبا التي دلت على قبر يوسف حين أخرجه موسى من البحر ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ قوله تعالى ﴿واتل

﴿ فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحرَ فانفلق ﴾ يعني فضربه فانفلق فانشقّ، ﴿ فكان كلُّ فِرْقٍ ﴾، قطعة من الماء، ﴿ كالطودِ العظيم ﴾، كالجبل الضخم، قال ابن جريج وغيره: لمّا انتهى موسى إلى البحر هاجت الريح والبحر يرمي بموج مثل الجبال، فقال يوشع: يا مكلّم الله أين أُمرتَ فقد غشينا فرعون والبحر أمامنا؟ قال موسى: ههنا فخاض يوشع الماء وجاز البحر ما يواري حافر دابّته الماء. وقال الذي يكتم إيمانه يا مكلّم الله أين أُمرتَ؟ قال ههنا فكبح فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شدقيه، ثم أقحمه البحر فارتسب في الماء وذهب القوم يصنعون مثل ذلك فلم يقدروا فجعل موسى لا يدري كيف يصنع، فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فإذا الرجل واقف على فرسه لم يبتلّ سرجه ولا لبده.

﴿وأزلفنا﴾، يعني وقرّبنا﴿ ثَمَّ الآخرين ﴾، يعني قوم فرعون يقول قدمناهم إلى البحر وقرّبناهم إلى الهلاك، وقال أبو عبيدة: وأزلفنا: جمعنا، ومنه ليلة المزدلفة أي ليلة الجمع. وفي القصة أن جبريل كان بين بني إسرائيل وبين قوم فرعون وكان يسوق بني إسرائيل ويقولون ما رأينا أحسن سياقة من هذا الرجل، وكان يرع قوم فرعون، وكانوا يقولون ما رأينا أحسن رعة من هذا.

﴿ وأنجينا موسى ومَن معه أجمعين ﴾.

﴿ ثم أغرقنا الآخرين ﴾، فرعون وقومه. وقال سعيد بن جبير: كان البحر ساكناً قبل ذلك فلما ضربه موسى بالعصا اضطرب فجعل يمدّ ويجزر.

﴿ إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾، أي من أهل مصر، قيل: لم يكن آمن من أهل مصر إلا آسية امرأة فرعون وحزقيل المؤمن، ومريم بنت ماموبا التي دلّت على عظام يوسف عليه السلام.

﴿ وإن ربك لهو العزيز الرحيم ﴾، العزيز في الانتقام من أعدائه، الرحيم بالمؤمنين حين أنجاهم.

قوله: ﴿ واتلُ عليهم نبأ إبراهيم ﴾.

عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون﴾ يعني أي شيء تعبدون وإنما قال إبراهيم ذلك مع علمه بأنهم عبدة لأصنام، ليريهم أن ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة في شيء ﴿قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين﴾ يعني نقيم على عبادتها وإنما قالوا: نظل لأنهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل ﴿قال هل يسمعونكم﴾ يعني يسمعون دعاءكم ﴿إذ تدعون أو ينفعونكم﴾ يعني بالرزق ﴿أو يضرون﴾ يعني إن تركتم عبادتهم وإذا كان كذلك، فكيف يستحقون العبادة؟ فلما لزمتهم الحجة القاطعة ﴿قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون﴾ المعنى أنها لا تسمع قولاً ولا تجلب نفعاً ولا تدفع ضراً ولكن اقتدينا بآبائنا في ذلك، وفي الآية دليل على إبطال التقليد في الدين وذمه ومدح الأخذ بالاستدلال ﴿قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون﴾ أي الأولون ﴿فإنهم عدو لي﴾ أي أعداء لي وإنما وحده على إرادة الجنس. فإن قلت: كيف وصف الأصنام بالعداوة؟ وهي جمادات لا تعقل. قلت: معناه فإنهم عدو لي يوم القيامة لو عبدتهم في الدنيا وقيل: إن الكفار لما عبدوها ونزلوها منزلة الأحياء العقلاء أطلق إبراهيم لفظ العداوة عليها وقيل: هو من المقلوب أراد فإني عدو لهم لأن من عاديته فقد عاداك ﴿إلا رب العالمين﴾ أي ولكن رب العالمين، فإنه ربي ووليي وقيل إنهم كانوا يعبدون الأصنام مع الله تعالى فقال إبراهيم كل ما تعبدون أعداء لي إلا رب العالمين ثم وصف معبوده الذي يستحق العبادة فقال ﴿الذي خلقني فهو يهدين﴾ إلى طريق النجاة ﴿والذي هو يطعمني ويسقين﴾

﴿ إذْ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ﴾، أي: شيء تعبدون.

﴿ قالوا نعبد أصناماً فنظلُّ لها عاكفين ﴾، يعني نقيم على عبادتها. قال بعض أهل العلم: إنما قال: ﴿ فنظلّ ﴾ لأنهم كانوا يعبدونها بالنهار، دون الليل، يقال: ظل يفعل كذا إذا فعل بالنهار.

﴿ قال هل يسمعونكم ﴾، أي هل يسمعون دعاءكم، ﴿ إذْ تدعون ﴾، قال ابن عباس يسمعون لكم.

﴿ أو ينفعونكم ﴾، قيل بالرزق، ﴿ أو يضرّون ﴾، إن تركتم عبادتها.

﴿ قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ﴾، معناه إنها لا تسمع قولاً ولا تجلب نفعاً ولا تدفع ضرّاً لكن اقتدينا بآبائنا، فيه إبطال التقليد في الدين.

﴿ قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون ﴾، الأوّلون.

﴿ فإنهم عدوٌّ لي ﴾، يعني أعدائي ووحده على معنى أن كل معبود لكم عدوٌّ لي، فإن قيل: كيف وصف الأصنام بالعداوة وهي جمادات؟ قيل: معناه فإنهم عدوٌّ لي لو عبدتهم يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿ سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدّاً ﴾ [مريم: ٨٢]، وقال الفرّاء: هو من المقلوب أراد فإنهم عدوٌّ لهم لأن مَن عاديته فقد عاداك. وقيل: فإنهم عدوٌّ لي على معنى إني لا أتوهم ولا أطلب من جهتهم نفعاً كما لا يتولى العدو ولا يطلب من جهته النفع، قوله: ﴿ إلّا ربَّ العالمين ﴾، اختلفوا في هذا الاستثناء، قيل: هو استثناء منقطع، كأنه قال: فإنهم عدوٌّ لي لكن ربّ العالمين وليّي. وقيل: إنهم كانوا يعبدون الأصنام مع الله، فقال إبراهيم: كلّ مَن تعبدون أعدائي إلّا ربَّ العالمين. وقيل: إنهم غير معبود لي إلّا ربَّ العالمين، فإني أعبده. وقال الحسين بن الفضل: معناه إلّا من عند ربّ العالمين، ثم وصف معبوده فقال.

﴿ الذي خلقني فهو يهدين ﴾، أي يرشدني إلى طريق النجاة.

﴿ والذي هو يطعمني ويسقين ﴾، أي يرزقني ويغذني بالطعام والشراب، فهو رازقي ومن عنده رزقي.

﴿ وإذا مرضتُ ﴾، أضاف المرض إلى نفسه وإن كان المرض والشفاء كله من الله، استعمالاً لحُسْن الأدب

أي يرزقني ويغذيني بالطعام والشراب ﴿وإذا مرضت﴾ أصابني مرض أضاف المرض إلى نفسه استعمالاً للأدب وإن كان المرض والشفاء من الله ﴿فهو يشفين﴾ أي يبرئني ويعافيني من المرض ﴿والذي يميتني ثم يحيين﴾ أي يميتني في الدنيا ثم يحييني في الآخرة.

وَالَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِالصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى الْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ الضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾

﴿والذي أطمع﴾ أي أرجو ﴿أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾ أي يوم الجزاء والحساب قيل: خطيئته كذباته الثلاث وتقدم الكلام عليها (م) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين أكان ذلك نافعا له؟ قال «لا ينفعه إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين» وهذا كله احتجاج من إبراهيم على قومه، أنه لا يصلح للإلهية إلا من يفعل هذه الأفعال ﴿رب هب لي حكما﴾ قال ابن عباس: معرفة حدود الله وأحكامه وقيل: العلم والفهم ﴿وألحقني بالصالحين﴾ أي بمن سلف قبلي من الأنبياء في المنزلة والدرجة العالية ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ أي ثناءً حسناً وذكراً جميلاً وقبولاً عاماً في الأمم التي تجيء

كما قال الخضر: ﴿ فأردتُ أن أَعِيبَها ﴾ [الكهف: ٧٩]، وقال: ﴿ فأراد ربك أن يبلغا أشدَّهما ﴾ [الكهف: ٨٢].
﴿ فهو يشفين ﴾، أي يبرئني من المرض.

﴿ والذي يُميتني ثم يُحيين ﴾ أدخل ﴿ ثم ﴾ ههنا للتراخي أي يميتني في الدنيا ويحييني في الآخرة.

﴿ والذي أطمع ﴾، أرجو، ﴿ أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ﴾، أي خطاياي يوم الحساب. قال مجاهد: هو قوله إني سقيم، وقوله: ﴿ بل فعله كبيرهم هذا ﴾ [الأنبياء: ٦٣]، وقوله لسارة: هذه أُختي، وزاد الحسن وقوله للكواكب: ﴿ هذا ربّي ﴾ [الأنعام: ٧٧]، وأخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بَن الحجّاج ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا حفص بن غياث عن داود عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قال: قلت يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المساكين فهل ذلك نافعه؟ قال: «لا ينفعه إن لم يقل يوماً ربِّ اغفرْ لي خطيئتي يوم الدين»، وهذا كله احتجاج من إبراهيم على قومه وإخبار أنه لا تصلح الإلّهية إلاّ لمَن يفعل هذه الأفعال.

﴿ ربِّ هبْ لي حكماً ﴾، قال ابن عباس معرفة حدود الله وأحكامه. وقال مقاتل: الفهم والعلم. وقال الكلبي: النبوّة، ﴿ وألحقني بالصالحين ﴾، بمَن قبلي من النبيّين في المنزلة والدرجة.

﴿ واجعل لي لسان صدق في الآخرين ﴾، أي ثناءً حسناً وذكراً جميلاً وقبولاً عامّاً في الأمم التي تجيء

بعدي، فأعطاه الله ذلك وجعل كل الأديان يتولونه، ويثنون عليه ﴿واجعلني من ورثة جنة النعيم﴾ أي ممن تعطيه جنة النعيم لأنها السعادة الكبرى ﴿واغفر لأبي إنه كان من الضالين﴾ قيل دعا لأبيه على رجاء أن يسلم فيغفر له فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ﴿ولا تخزني﴾ أي ولا تفضحني ﴿يوم يبعثون﴾ وهو يوم القيامة ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ أي خالص من الشرك والشك فأما الذنوب فلا يسلم منها أحد قال سعيد بن المسيب القلب السليم هو الصحيح وهو قلب المؤمن لأن قلب الكافر والمنافق مريض وقيل: القلب السليم هو الخالي من البدعة المطمئن إلى السنة ﴿وأزلفت الجنة﴾ أي قربت ﴿للمتقين وبرزت الجحيم﴾ أي أظهرت ﴿للغاوين﴾ أي للكافرين ﴿وقيل لهم﴾ يعني يوم القيامة ﴿أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم﴾ أي يمنعونكم من عذاب الله ﴿أو ينتصرون﴾ لأنفسهم ﴿فكبكبوا﴾ قال ابن عباس جمعوا وقيل قذفوا وطرحوا بعضهم على بعض وقيل: ألقوا على رؤوسهم ﴿فيها﴾ أي في جهنم ﴿هم والغاوون﴾ يعني الآلهة والعابدين وقيل: الجن والكافرين ﴿وجنود إبليس

بعدي، فأعطاه الله ذلك فجعل كل أهل الأديان يتولّونه ويثنون عليه. قال القتيبي: وضع اللسان موضع القول على الاستعارة لأن القول يكون به.

﴿ واجعلني من ورثة جنّة النعيم ﴾، أي ممّن تعطيه جنة النعيم.

﴿ واغفرْ لأبي إنه كان من الضالّين ﴾، وقال هذا قبل أن يتبيّن له أنه عدو الله، كما سبق ذكره في سورة التوبة.

﴿ ولا تخزني ﴾ لا تفضحني ﴿ يوم يبعثون ﴾.

﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ مَن أتى الله بقلب سليم ﴾، أي خالص من الشرك والشك فأما الذنوب فليس يسلم منها أحد، هذا قول أكثر المفسّرين قال سعيد بن المسيب: القلب السليم هو الصحيح، وهو قلب المؤمن لأن قلب الكافر والمنافق مريض. قال الله تعالى: ﴿ في قلوبهم مرض ﴾ [البقرة: ١٠] قال ابن عثمان النيسابوري: هو القلب الخالي من البدعة المطمئن على السُّنّة.

﴿ وأُزلفتِ ﴾ قربت ﴿ الجنةُ للمتّقين وبرِّزتِ ﴾، أظهرت، ﴿ الجحيم للغاوين ﴾، للكافرين.

﴿ وقيل لهم ﴾، يوم القيامة، ﴿ أينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصروكم ﴾، يمنعونكم من العذاب، ﴿ أو ينتصرون ﴾ لأنفسهم.

﴿ فكُبكبوا فيها ﴾، قال ابن عباس: جمعوا. وقال مجاهد: دهوراً. وقال مقاتل: قذفوا. وقال الزجّاج: طرح بعضهم على بعض. وقال القتيبي: أُلقوا على رؤوسهم. ﴿ هم الغاوون ﴾، يعني الشياطين، قال قتادة ومقاتل وقال الكلبي: كَفَرَة الجن.

﴿ وجنود إبليس أجمعون ﴾، وهم أتباعه ومَن أطاعه من الجنّ والإنس. ويقال: ذريّته.

﴿ قالوا ﴾ أي: قال الغاوون للشياطين والمعبودين، ﴿ وهم فيها يختصمون ﴾، مع المعبودين ويجادل بعضهم بعضاً.

﴿ تالله إنْ كنّا لفي ضلال مبين ﴾.

﴿ إذ نسوّيكم ﴾، نعدلكم، ﴿ بربِّ العالمين ﴾، فنعبدكم .

أجمعون﴾ يعني أتباعه ومن أطاعه من الإنس والجن وقيل ذريته ﴿قالوا وهم فيها يختصمون﴾ يعني العابدين والمعبودين ﴿تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم﴾ أي نعدلكم ﴿برب العالمين﴾ فنعبدكم ﴿وما أضلنا﴾ يعني دعانا إلى الضلال ﴿إلا المجرمون﴾ يعني من دعاهم إلى عبادة الأصنام من الجن والإنس، وقيل: الأولون الذين اقتدينا بهم وقيل يعني إبليس وابن آدم الأول وهو قابيل، وهو أول من سن القتل وأنواع المعاصي ﴿فما لنا من شافعين﴾ يعني من يشفع لنا يعني كما أن للمؤمنين شافعين من الملائكة والأنبياء ﴿ولا صديق حميم﴾ أي قريب يشفع لنا، يقول ذلك الكفار حين يشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون، والصديق هو الصادق في المودة مع موافقة الدين عن جابر بن عبدالله قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرجل يقول في الجنة ما فعل بصديقي فلان وصديقه في الجحيم، فيقول الله عز وجل أخرجوا له صديقه إلى الجنة، فيقول من بقي فما لنا من شافعين ولا صديق حميم» رواه البغوي بإسناد الثعلبي. وقال الحسن: استكثروا من الأصدقاء المؤمنين فإن لهم شفاعة يوم القيامة ﴿فلو أن لنا كرة﴾ أي رجعة إلى الدنيا ﴿فنكون من المؤمنين﴾ أي أنهم تمنوا الرجعة حين لا رجعة لهم.

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾
إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ
أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا
لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾

﴿ وما أضلّنا ﴾ أي: ما دعانا إلى الضلال، ﴿ إلاّ المجرمون ﴾. قال مقاتل: يعني الشياطين. وقال الكلبي: إلاّ ولونا الذين اقتدينا بهم. وقال أبو العالية وعكرمة: يعني إبليس وابن آدم الأول وهو قابيل، لأنه أول مَن سنّ القتل، وأنواع المعاصي.

﴿ فما لنا من شافعين ﴾، أي: مَن يشفع لنا من الملائكة والنبيّين والمؤمنين.

﴿ ولا صديق حميم ﴾، أي قريب يشفع لنا بقوله الكفار حين تشفع الملائكة والنبيّون والمؤمنون، والصديق هو الصادق في المودّة بشرط الدين، أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه ثنا محمد بن الحسين اليقطيني أنا أحمد بن عبد الله يزيد العقيلي ثنا صفوان بن صالح ثنا الوليد بن مسلم ثنا مَن سمع أبا الزبير يقول أشهد لسمعت جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرجل ليقول في الجنة ما فعل صديقي فلان، وصديقه في الجحيم، فيقول الله تعالى: أخرجوا له صديقه إلى الجنة، فيقول مَن بقي: فما لنا من شافعين ولا صديق حميم» قال الحسن: استكثروا من الأصدقاء المؤمنين فإن لهم شفاعة يوم القيامة.

﴿ فلو أنّ لنا كرّة ﴾، أي: رجعة إلى الدنيا، ﴿ فنكون من المؤمنين ﴾.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾﴾

﴿إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ أي مع هذه الدلائل والآيات ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ أي المنتقم الذي لا يغالب وهو في وصف عزته رحيم. قوله وعز وجل ﴿كذبت قوم نوح المرسلين﴾ أي كذبت جماعة قوم نوح، قيل: القوم مؤنثة وتصغيرها قويمة. فإن قلت: كيف قال المرسلين وإنما هو رسول واحد وكذلك باقي القصص. قلت: لأن دين الرسل واحد وإن الآخر منهم جاء بما جاء به الأول فمن كذب واحد من الأنبياء فقد كذب جميعهم ﴿إذ قال لهم أخوهم نوح﴾ أي أخوهم في النسب لا في الدين ﴿ألا تتقون﴾ أي ألا تخافون فتتركوا الكفر والمعاصي ﴿إني لكم رسول أمين﴾ أي على الوحي، وكان معروفاً عندهم بالأمانة ﴿فاتقوا الله﴾ أي بطاعته وعبادته ﴿وأطيعون﴾ أي فيما أمرتكم به من الإيمان والتوحيد ﴿وما أسألكم عليه من أجر﴾ أي من جعل وجزاء ﴿إن أجري﴾ أي ثوابي ﴿إلا على رب العالمين فاتقوا الله وأطيعون﴾ قيل: كرره ليؤكده عليهم ويقرره في نفوسهم وقيل ليس فيه

﴿ إنّ في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾.

﴿ وإنّ ربّك لهو العزيز الرحيم ﴾ العزيز الذي لا يغالب، فالله عزيزٌ وهو في وصف عزّته رحيم.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ كذّبت قوم نوح المرسلين ﴾، قيل للحسن البصري: يا أبا سعيد أرأيت قوله: ﴿ كذّبت قوم نوح المرسلين ﴾ و﴿ كذّبت عاد المرسلين ﴾ و﴿ كذبت ثمود المرسلين ﴾ [الشعراء: ١٤١]، وإنما أرسل إليهم رسول واحد؟ قال: إن الآخر جاء بما جاء به الأول، فإذا كذبوا واحداً فقد كذّبوا الرسل أجمعين.

﴿ إذْ قال لهم أخوهم ﴾. في النسب لا في الدين. ﴿ نوح ألاَ تتّقون ﴾.

﴿ إني لكم رسول أمين ﴾، على الوحي.

﴿ فاتقوا الله ﴾، بطاعته وعبادته، ﴿ وأطيعون ﴾، فيما آمركم به من الإيمان والتوحيد.

﴿ وما أسألكم عليه من أجر إنْ أجري ﴾، ثوابي ﴿ إلاّ على ربِّ العالمين ﴾.

﴿ فاتقوا الله ﴾ بطاعته وعبادته ﴿ وأطيعون ﴾.

﴿ قالوا أنؤمنُ لك واتّبعك الأرذلون ﴾، قرأ يعقوب: (وأتباعك الأرذلون) السفلة. وعن ابن عباس قال: الصاغة. وقال عكرمة: الحاكة والأساكفة.

﴿ قال ﴾، نوح، ﴿ وما علمي بما كانوا يعملون ﴾، أي ما أعلم أعمالهم وصنائعهم، وليس عليّ من دناءة مكاسبهم وأحوالهم شيء إنما كُلِّفت أن أدعوهم إلى الله ولي منهم ظاهرُ أمرهم.

﴿ إنْ حسابهم ﴾، ما حسابهم، ﴿ إلاّ على ربي لو تشعُرُون ﴾، لو تعلمون ذلك ما عبتموهم بصنائعهم. قال الزجّاج: الصناعات لا تضرّ في الديانات. وقيل: معناه أي لم أعلم أن الله يهديهم ويضلّكم ويوفّقهم ويخذلكم.

﴿ وما أنا بطاردِ المؤمنين إنْ أنا إلاّ نذير مبين ﴾.

﴿ قالوا لئن لم تنته يا نوح ﴾، عمّا تقول، ﴿ لتكوننّ من المرجومين ﴾، قال مقاتل والكلبي: من المقتولين بالحجارة. وقال الضحاك: من المشتومين.

تكرار ومعنى الأول ألا تتقون الله في مخالفتي وأنا رسول الله ومعنى الثاني ألا تتقون الله في مخالفتي وإني لست آخذ منكم أجراً ﴿قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون﴾ أي السفلة قال ابن عباس: يعني القافة وقيل هم الحاكة والأساكفة ﴿قال﴾ يعني نوحاً ﴿وما علمي بما كانوا يعملون﴾ أي وما أعلم أعمالهم وصنائعهم، وليس علي من دناءة مكاسبهم وأحوالهم شيء إنما كلفت أن أدعوهم إلى الله تعالى، وما لي إلا ظواهر أمرهم وقال الزجاج الصناعات لا تضر في الديانات وقيل: معناه إني لم أعلم أن الله يهديهم ويضلكم ويوفقهم ويخذلكم ﴿إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون﴾ أي لو تعلمون ذلك ما عيرتموهم بصنائعهم ﴿وما أنا بطارد المؤمنين﴾ أي عني وقد آمنوا ﴿إن أنا إلا نذير مبين﴾ معناه أخوف من كذبني فمن آمن فهو القريب مني، ومن لم يؤمن فهو البعيد عني ﴿قالوا لئن لم تنته يا نوح﴾ أي عما تقول ﴿لتكونن من المرجومين﴾ أي من المقتولين بالحجارة وهو أسوأ القتل وقيل من المشتومين ﴿قال رب إن قومي كذبون فافتح﴾ أي احكم ﴿بيني وبينهم فتحاً﴾ أي حكماً ﴿ونجني ومن معي من المؤمنين فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون﴾ أي الموقر المملوء من الناس والطير والحيوان ﴿ثم أغرقنا بعد الباقين﴾ أي بعد إنجاء نوح ومن معه ﴿إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ قوله تعالى ﴿كذبت عاد المرسلين إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون إني لكم رسول أمين﴾ أي أمين على الرسالة فكيف تتهمونني اليوم ﴿فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أتبنون بكل ريع﴾ قال ابن عباس: أي بكل شرف وفي رواية عنه بكل طريق، وقيل: هو الفج بين الجبلين وقيل: المكان المرتفع ﴿آية﴾ أي علامة وهي العلم ﴿تعبثون﴾ يعني بمن مر بالطريق والمعنى، أنهم كانوا: يبنون بالمواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة والسابلة فيسخروا منهم ويعبثوا بهم،

﴿ قال رَبِّ إنَّ قومي كذَّبون فافتح ﴾، فاحكم، ﴿ بيني وبينهم فتحاً ﴾، حكماً، ﴿ ونجني ومَن معي من المؤمنين ﴾.

﴿ فأنجيناه ومَن معه في الفلك المشحون ﴾، الموقَّر المملوء من الناس والطير والحيوان كلها.

﴿ ثم أغرقنا بعد الباقين ﴾، أي أغرقنا بعد إنجاء نوح، وأهله: مَن بقي من قومه.

﴿ إنّ في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾.

﴿ وإنّ ربَّك لهوَ العزيزُ الرحيم ﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ كذبتْ عادٌ المرسلين ﴾.

﴿ إذ قال لهم أخوهم ﴾، يعني في النسب لا في الدين، ﴿ هودٌ ألَا تتّقون ﴾.

﴿ إنّي لكم رسول أمين ﴾، على الرسالة، قال الكلبي: أمين فيكم قبل الرسالة فكيف تتّهموني اليوم.

﴿ فاتقوا الله وأطيعون ﴾.

﴿ وما أسئلكم عليه من أجر إن أجريَ إلّا على ربِّ العالمين ﴾.

﴿ أتبْنُونَ بكلِ ريعٍ ﴾، قال الوالبي عن ابن عباس: بكل شرف. وقال الضحاك ومقاتل والكلبي: بكل طريق، وهو رواية العوفي عن ابن عباس، وعن مجاهد قال: هو الفجّ بين الجبلين. وعنه أيضاً: أنه المنظرة. ﴿ آيةً ﴾، علامة ﴿ تَعْبَثُون ﴾، بمَن مرّ بالطريق، والمعنى: أنهم كانوا يبنون المواضع المرتفعة ليُشرِفوا على المارّة والسابلة فيسخروا منهم ويعبثوا بهم. وعن سعيد بن جبير ومجاهد: هذا في بروج الحمام أنكر عليهم هود اتخاذها بدليل قوله: ﴿ تعبثون ﴾، أي تلعبون، وهم كانوا يلعبون بالحمام. وقال أبو عبيدة: الرِّيع المكان المرتفع.

وقيل إنهم بنوا بروج الحمام فأنكر عليهم هود باتخاذها، ومعنى تعبثون تلعبون بالحمام ﴿وتتخذون مصانع﴾ قال ابن عباس أبنية وقيل قصوراً مشيدة وحصوناً مانعة، وقيل مآخذ الماء يعني الحياض ﴿لعلكم تخلدون﴾ أي كأنكم تبقون فيها خالدين لا تموتون.

وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾

﴿وإذا بطشتم﴾ أي وإذا أخذتم وسطوتم ﴿بطشتم جبارين﴾ أي قتلاً بالسيف وضرباً بالسوط والجبار الذي يضرب ويقتل على الغضب، وهو مذموم في وصف البشر ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ فيه زيادة زجر عن حب الدنيا والشرف والتفاخر ﴿واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون﴾ أي أعطاكم من الخير ما تعلمون ثم ذكر ما أعطاهم فقال

﴿ وتّتخذون مصانعَ ﴾، قال ابن عباس: أبنية. وقال مجاهد: قصوراً مشيّدة. وعن الكلبي: أنها الحصون. وقال قتادة: مآخذ الماء يعني الحياض، واحدتها مصنعة، ﴿ لعلّكم تَخْلُدون ﴾، أي كأنكم تبقون فيها خالدين. والمعنى: أنهم كانوا يستوثقون المصانع كأنهم لا يموتون.

﴿ وإذا بطشتم ﴾، أخذتم وسطوتم، ﴿ بطشتم جبّارين ﴾، قتلاً بالسيف وضرباً بالسوط، والجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب.

﴿ فاتقوا الله وأطيعون ﴾.

﴿ واتقوا الذي أمدّكم بما تعلمون ﴾، أي أعطاكم من الخير ما تعلمون ثم ذكر ما أعطاهم فقال:

﴿ أمدّكم بأنعام وبنين وجنّات وعيون ﴾، يعني بساتين وأنهار.

﴿ إني أخاف عليكم ﴾، قال ابن عباس: إن عصيتموني، ﴿ عذاب يوم عظيم ﴾.

﴿ قالوا سواء علينا ﴾، يعني مستوٍ عندنا، ﴿ أوَعَظْتَ أم لم تكن من الواعظين ﴾، الوعظ كلام يليّن القلب بذكر الوعد والوعيد. قال الكلبي: نهيتنا أم لم تكن من الناهين لنا.

﴿ إنْ هذا ﴾، ما هذا، ﴿ إلاّ خُلُقُ الأوّلين ﴾، قرأ ابن كثير وأبو جعفر وأبو عمرو والكسائي ويعقوب ﴿ خلق ﴾ بفتح الخاء وسكون اللام أي اختلاق الأوّلين وكذبهم، دليل هذه القراءة قوله تعالى: ﴿ وتخلقون إفكاً ﴾

﴿أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون﴾ فيه التنبيه على نعمة الله تعالى عليهم ﴿إني أخاف عليكم﴾ قال ابن عباس إن عصيتموني ﴿عذاب يوم عظيم﴾ فكان جوابهم أن ﴿قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين﴾ أي أنهم أظهروا قلة اكتراثهم بكلامه، واستخفافهم بما أورده من المواعظ والوعظ كلام يلين القلب يذكر الوعد والوعيد ﴿إن هذا إلا خلق الأولين﴾ قرىء بفتح الخاء أي اختلاق الأولين وكذبهم وقرىء خلق بضم الخاء، واللام أي عادة الأولين من قبلنا أنهم يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب وقولهم ﴿وما نحن بمعذبين﴾ أي أنهم أظهروا بذلك تقوية نفوسهم فيما تمسكوا به من إنكارهم المعاد ﴿فكذبوه فأهلكناهم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ قوله تعالى ﴿كذبت ثمود المرسلين إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أتتركون فيما ها هنا آمنين﴾ أي في الدنيا من العذاب ﴿في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها﴾ أي ثمرها الذي يطلع منها ﴿هضيم﴾ قال ابن عباس: لطيف وعنه يانع نضيج وقيل: هو اللين الرخو. وقيل: متهشم يتفتت إذا مس. وقيل: الهضيم هو الذي دخل بعضه في بعض من النضج أو النعومة وقيل هو المدرك ﴿وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين﴾ وقرىء فرهين قيل: الفاره الحاذق بنحتها والفره قال

[العنكبوت: ١٧]، وقرأ الآخرون ﴿ خلق ﴾ بضم الخاء واللام، أي عادة الأوّلين من قبلنا، وأمرهم أنهم يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب.

﴿ وما نحن بمعذبين ﴾.

﴿ فكذّبوه فأهلكناهم إنّ في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾.

﴿ وإن ربّك لهو العزيز الرحيم ﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ كذّبت ثمود المرسلين * إذْ قال لهم أخوهم صالح ألاَ تتّقون * إنّي لكم رسول أمين * فاتقوا الله وأطيعون * وما أسألكم عليه من أجْر إن أجريَ إلاّ على ربِّ العالمين * أتتركون فيما ههنا ﴾، يعني في الدنيا ﴿ آمنين ﴾، من العذاب.

﴿ في جنّاتٍ وعيونٍ * وزروعٍ ونخلٍ طلعها ﴾، ثمرها يريد ما يطلع منها من الثمر، ﴿ هضيم ﴾، قال ابن عباس: لطيف، ومنه هضيم الكشح إذا كان لطيفاً. وروى عطية عنه: يانع نضيج. وقال عكرمة: هو اللين. وقال الحسن: هو الرخو. وقال مجاهد: متهشّم متفتّت إذا مس، وذلك أنه ما دام رطباً فهو هضيم، فإذا يبس فهو هشيم. وقال الضحّاك ومقاتل: قد ركب بعضه بعضاً حتى هضم بعضه بعضاً، أي كسره. وقال أهل اللغة: هو المنضمّ بعضه إلى بعض في وعائه قبل أن يظهر. وقال الأزهري: الهضيم هو الداخل بعضه في بعض من النضج والنعومة. وقيل: هضيم أي هاضم يهضم الطعام. وكل هذا للطافته.

﴿ وتنحِتُون من الجبال بيوتاً فارِهين ﴾، وقرىء: «فـرهين»، قيل: معناهما واحد. وقيل: فارهين أي حاذقين بنحتها، من قولهم فره الرجل فراهة فهو فاره، ومَن قرأ «فـرهين» قال ابن عباس: أشرين بطرين. وقال عكرمة: ناعمين. وقال مجاهد: شرهين. قال قتادة: معجبين بصنيعكم قال السدي: متجبّرين. وقال أبو عبيدة: مرحين. وقال الأخفش فرحين. والعرب تعاقب بين الهاء والحاء مثل مدحته ومدهته. قال الضحاك: كيّسين.

﴿ فاتقوا الله وأطيعون * ولا تطيعوا أمر المسرفين ﴾، قال ابن عباس: المشركين. وقال مقاتل: هم التسعة الذين عقروا الناقة وهم.

ابن عباس: الأشر والبطر وقيل: معناه متجبرين فرحين معجبين بصنعكم ﴿**فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين**﴾ قال ابن عباس: أي المشركين وقيل يعني التسعة الذين عقروا الناقة ﴿**الذين يفسدون في الأرض**﴾ أي بالمعاصي ﴿**ولا يصلحون**﴾ أي لا يطيعون الله فيما أمرهم ﴿**قالوا إنما أنت من المسحرين**﴾ أي من المسحورين المخدوعين وقال ابن عباس: من المخلوقين المعللين بالطعام والشراب ﴿**ما أنت إلا بشر مثلنا**﴾ والمعنى أنت بشر مثلنا ولست بملك ﴿**فأت بآية**﴾ يعني على صحة ما تقول ﴿**إن كنت من الصادقين**﴾ يعني أنك رسول إلينا ﴿**قال هذه ناقة لها شرب**﴾ أي حظ من الماء ﴿**ولكم شرب يوم معلوم**﴾.

وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذۡ
قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ
أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ
قَوۡمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهۡلِي
مِمَّا يَعۡمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزٗا فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ
مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ
لۡـَٔيۡكَةِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ
عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ
ٱلۡمُسۡتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلۡجِبِلَّةَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾
قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨٨﴾

﴿**ولا تمسوها بسوء**﴾ أي بعقر ﴿**فيأخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فأصبحوا نادمين**﴾ أي على عقرها لما رأوا

﴿ **الذين يفسدون في الأرض** ﴾، بالمعاصي، ﴿ **ولا يصلحون** ﴾، لا يطيعون الله فيما أمرهم به.

﴿ **قالوا إنّما أنت من المسحَّرين** ﴾، قال مجاهد وقتادة: من المسحورين المخدوعين، أي ممّن يسحر مرة بعد مرة. وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أي من المخلوقين المعلّلين بالطعام والشراب، يقال: سحّره أي علّله بالطعام والشراب، يريد إنك تأكل الطعام والشراب ولست بملك، بل:

﴿ **ما أنت إلا بشر مثلنا فأتِ بآية** ﴾، على صحة ما تقول. ﴿ **إن كنت من الصادقين** ﴾، أنك رسول الله إلينا.

﴿ **قال هذه ناقة لها شرب** ﴾، حظ ونصيب من الماء، ﴿ **ولكم شربُ يومٍ معلوم** ﴾.

﴿ **ولا تَمَسُّوها بسوء** ﴾، بعقر، ﴿ **فيأخُذكم عذابُ يومٍ عظيم** ﴾.

﴿ **فعقروا فأصبحوا نادمين** ﴾، على عقرها حين رأوا العذاب.

العذاب ﴿فأخذهم العذاب إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ قوله عز وجل ﴿كذبت قوم لوط المرسلين إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين﴾ يعني نكاح الرجال من بني آدم ﴿وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم﴾ يعني أتتركون العضو المباح من النساء وتميلون إلى أدبار الرجال ﴿بل أنتم قوم عادون﴾ أي معتدون مجاوزون الحلال إلى الحرام ﴿قالوا لئن لم تنه يا لوط لتكونن من المخرجين﴾ أي من قريتنا ﴿قال إني لعملكم من القالين﴾ أي من التاركين المبغضين ﴿رب نجني وأهلي مما يعملون﴾ أي من العمل الخبيث قال الله تعالى ﴿فنجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزاً﴾ أي امرأته ﴿في الغابرين﴾ أي بقيت في المهلكين ﴿ثم دمرنا الآخرين﴾ أي أهلكناهم ﴿وأمطرنا عليهم مطراً﴾ يعني الكبريت والنار ﴿فساء مطر المنذرين إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين

﴿ فأخذهم العذابُ إنّ في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾.

﴿ وإنّ ربَّك لهو العزيز الرحيم ﴾.

قوله تعالى: ﴿ كذّبتْ قومُ لوطٍ المرسلين * إذْ قال لهم أخوهم لوطٌ ألاَ تتّقون * إنّي لكم رسول أمين * فاتقوا الله وأطيعون * وما أسألكم عليه من أجر إنْ أجريَ إلاّ على ربِّ العالمين * أتأتون الذُّكْرَانَ ﴾، قال مقاتل: يعني جماع الرجال. ﴿ من العَالَمِين ﴾، يعني من بني آدم.

﴿ وتذرُون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم ﴾، قال مجاهد: تركتم أقبال النساء إلى أدبار الرجال، ﴿ بل أنتم قوم عادون ﴾، معتدون مجاوزون الحلال إلى الحرام.

﴿ قالوا لئن لم تنته يا لوطُ لتكوننّ من المخرَجين ﴾، من قريتنا.

﴿ قال إنّي لِعَمَلِكم من القَالِين ﴾، المبغضين، ثم دعا فقال:

﴿ ربِّ نجّني وأهلي مما يعملون ﴾، من العمل الخبيث.

قال الله تعالى: ﴿ فنجّيناه وأهله أجمعين * إلاّ عجوزاً في الغابرين ﴾ وهي امرأة لوط بقيت في العذاب والهلاك.

﴿ ثم دمّرنا الآخَرِين ﴾، أي: أهلكناهم.

﴿ وأمطرنا عليهم مطراً فساءَ مطر المُنذَرِين ﴾، قال وهب بن منبّه: الكبريت والنار.

﴿ إنّ في ذلك لآيةً وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾.

﴿ وإنّ ربَّك لهو العزيز الرحيم ﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ كذّب أصحابُ الأيكة المرسلين ﴾، وهم قوم شعيب عليه السلام، قرأ العراقيون: «الأيكة» هنا وفي صٓ [١٣] بالهمزة وسكون اللام وكسر التاء، وقرأ الآخرون «ليكة» بفتح اللام والتاء غير مهموز، جعلوها اسم البلدة، وهو لا ينصرف، ولم يختلفوا في سورة الحجر [٧٨] وقٓ [١٤] أنهما مهموزان مكسوران، والأيكة: الغيضة من الشجر الملتفّ.

﴿ إذْ قال لهم شعيب ﴾، ولم يقل أخوهم لأنه لم يكن من أصحاب الأيكة في النسب، فلما ذكر مدين قال أخاهم شعيباً لأنه كان منهم، وكان الله تعالى بعثه إلى قومه أهل مدين وإلى أصحاب الأيكة. ﴿ ألاَ تتّقون ﴾.

وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ قوله عز وجل ﴿كذب أصحاب الأيكة المرسلين﴾ أي الغيضة الملتفة من الشجر وقيل هو اسم البلد ﴿إذ قال لهم شعيب﴾ لم يقل لهم أخوهم لأنه لم يكن منهم وإنما كان من مدين وأرسل إليهم ﴿ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين﴾ إنما كانت دعوة هؤلاء الأنبياء فيما حكي عنهم على صيغة واحدة لاتفاقهم على تقوى الله وطاعته، والإخلاص في العبادة والامتناع من أخذ الأجر على تبليغ الرسالة، ﴿أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين﴾ أي الناقصين لحقوق الناس في الكيل والوزن ﴿وزنوا بالقسطاس﴾ أي بالميزان العدل ﴿المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين﴾ يعني الخليقة والأمم المتقدمة ﴿قالوا إنما أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين فأسقط علينا كسفاً﴾ يعني قطعاً ﴿من السماء إن كنت من الصادقين قال ربي أعلم بما تعملون﴾ يعني من نقصان الكيل والوزن وهو مجازيكم بأعمالكم، وليس العذاب إلي وما علي إلا الدعوة والتبليغ.

فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ
لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى
قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟
هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾
مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ
بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ
فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾

﴿فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم﴾ وذلك أنهم أصابهم حر شديد فكانوا يدخلون

﴿ إنّي لكم رسولٌ أمين * فاتّقوا الله وأطيعون * وما أسألكم عليه من أجر إنْ أجريَ إلّا على ربِّ العالمين ﴾، وإنما كانت دعوة هؤلاء الأنبياء كلهم فيما حكى الله عنهم على صيغة واحدة لاتفاقهم على الأمر بالتقوى والطاعة والإخلاص في العبادة والامتناع من أخذ الأجر على الدعوة وتبليغ الرسالة.

﴿ أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسِرين ﴾، الناقصين لحقوق الناس بالكيل والوزن.

﴿ وزِنُوا بالقسطاس المستقيم * ولا تبخسوا الناس أشياءَهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين * واتقوا الذي خلقكم والجِبلّة ﴾، الخليقة، ﴿ الأوّلين ﴾، يعني الأمم المتقدمين، والجبلّة: الخلْق، يقال: جُبل أي خُلق.

﴿ قالوا إنّما أنتَ من المسحَّرين وما أنت إلّا بشرٌ مثلنا وإنْ نظنّك لمنَ الكاذبين * فأسقطْ علينا كِسَفاً من السماء إن كنت من الصادقين * قال ربّي أعلمُ بما تعملون ﴾. أي من نقصان الكيل والوزن، وهو مجازيكم بأعمالكم، وليس العذاب إليّ وما عليّ إلّا الدعوة.

﴿ فكذّبوه فأخذهم عذابُ يومِ الظُلّة ﴾، وذلك أنه أخذهم حرٌّ شديد، فكانوا يدخلون الأسراب فإذا دخلوها

الأسراب، فيجدونها أحر من ذلك فيخرجون فأظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم ناراً فاحترقوا جميعاً ﴿إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ وقد تقدم الكلام على هذه القصص في سورة الأعراف وهود فأغنى عن الإعادة هنا والله أعلم بمراده قوله عز وجل ﴿وإنه﴾ يعني القرآن ﴿لتنزيل رب العالمين﴾ يعني أن فيه من أخبار الأمم الماضية ما يدل على أنه من رب العالمين ﴿نزل به الروح الأمين﴾ يعني جبريل عليه السلام سماه زوجاً لأنه خلق من الروح وسماه أميناً، لأنه مؤتمن على وحيه لأنبيائه ﴿على قلبك﴾ يعني على قلبك حتى تعيه وتفهمه ولا تنساه وإنما خص القلب لأنه هو المخاطب في الحقيقة، وأنه موضع التمييز والعقل والاختيار وسائر الأعضاء مسخرة له ويدل عليه قوله ﷺ «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب» أخرجاه في الصحيحين. ومن المعقول أن موضع الفرح والسرور، والغم والحزن هو القلب، فإذا فرح القلب أو حزن يتغير حال سائر الأعضاء فكأن القلب كالرئيس لها، ومنه أن موضع العقل هو القلب على الصحيح من القولين فإذا ثبت ذلك كان القلب هو الأمير المطلق، وهو المكلف والتكليف مشروط بالعقل والفهم. قوله تعالى ﴿لتكون من المنذرين﴾ أي المخوفين ﴿بلسان عربي مبين﴾ قال ابن عباس بلسان قريش ليفهموا ما فيه ﴿وإنه﴾ يعني القرآن وقيل ذكر محمد ﷺ وصفته ونعته ﴿لفي زبر الأولين﴾ أي كتب الأولين ﴿أولم يكن لهم آية﴾ يعني أولم يكن لهؤلاء المتكبرين علامة ودلالة على صدق محمد ﷺ ﴿أن يعلمه﴾ يعني يعلم محمداً ﷺ ﴿علماء بني إسرائيل﴾.

وجدوها أشدّ حرّاً فخرجوا فأظلّتهم سحابة وهي الظلة فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم ناراً فاحترقوا، ذكرناه في سورة هود. ﴿ إنّه كان عذاب يوم عظيم ﴾.

﴿ إنّ في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾.

﴿ وإنّ ربّك لهو العزيز الرحيم ﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ وإنّه ﴾، يعني القرآن. ﴿ لتنزيل ربّ العالمين نزل به الروح الأمين ﴾، قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو وحفص: ﴿ نزل ﴾ خفيف الروح الأمين برفع الحاء والنون، أي نزل جبريل بالقرآن. وقرأ الآخرون بتشديد الزاي وفتح الحاء والنون أي: نزّل الله به جبريل لقوله عزّ وجلّ: ﴿ وإنه لتنزيل ربِّ العالمين ﴾.

﴿ على قلبك ﴾، يا محمد حتى وعيته، ﴿ لتكون من المنذرين ﴾، المخوّفين.

﴿ بلسانٍ عربيّ مبين ﴾، قال ابن عباس: بلسان قريش ليفهموا ما فيه.

﴿ وإنه ﴾، أي ذكر إنزال القرآن، قاله أكثر المفسّرين، وقال مقاتل: ذكر محمد ﷺ ونعته، ﴿ لفي زُبُرِ ﴾ كتب ﴿ الأوّلين ﴾.

﴿ أوَ لَمْ يكنْ لهم آية ﴾، قرأ ابن عامر: (تكـــن) بالتاء آية بالرفع، جعل الآية اسماً وخبره: ﴿ أنْ يعلَمه ﴾، وقرأ الآخرون بالياء، ﴿ آية ﴾ نصب، جعلوا الآية خبر يكن، معناه: أوَ لم يكن لهؤلاء المتكبّرين علم بني إسرائيل آية، أي علامة ودلالة على نبوّة محمد ﷺ، لأن العلماء الذين كانوا من بني إسرائيل كانوا يخبرون بوجود ذكره في كتبهم، وهم عبد الله بن سلام وأصحابه. قال ابن عباس: بعث أهل مكة إلى اليهود وهم بالمدينة فسألوهم عن محمد ﷺ، فقالوا: إن هذا لزمانه وإنّا نجد في التوراة نعتَه وصفته، فكان ذلك آية على صدقه. قوله تعالى: ﴿ أنْ يعلَمه ﴾، يعني يعلم محمد ﷺ، ﴿ علماءُ بني إسرائيل ﴾، قال عطيّة: كانوا خمسة عبد الله بن سلام وابن يامين وثعلبة وأسد وأسيد.

قال ابن عباس: بعث أهل مكة إلى اليهود وهم بالمدينة يسألونهم عن محمد ﷺ فقالوا إن هذا لزمانه وإنا نجد في التوراة نعته وصفته فكان ذلك آية على صدقه ﷺ قيل كانوا خمسة عبدالله بن سلام وابن يامين وثعلبة وأسد وأسيد. قوله تعالى ﴿ولو نزلناه﴾ يعني القرآن ﴿على بعض الأعجمين﴾ جمع أعجمي وهو الذي لا يفصح ولا يحسن العربية، وإن كان عربياً في النسب ومعنى الآية، وأنزلنا القرآن على رجل ليس بعربي اللسان ﴿فقرأه عليهم﴾ يعني القرآن ﴿ما كانوا به مؤمنين﴾ أي لقالوا لا نفقه قولك وقيل معناه لما آمنوا به أنفة من اتباع من ليس من العرب ﴿كذلك سلكناه﴾ قال ابن عباس: يعني أدخلنا الشرك والتكذيب ﴿في قلوب المجرمين لا يؤمنون به﴾ أي القرآن ﴿حتى يروا العذاب الأليم فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون﴾ أي لنؤمن ونصدق وتمنوا الرجعة ولا رجعة لهم ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ قيل لما وعدهم النبيّ ﷺ بالعذاب قالوا إلى متى توعدنا بالعذاب ومتى هذا العذاب، فأنزل الله أفبعذابنا يستعجلون ﴿أفرأيت إن متعناهم سنين﴾ أي كفار مكة في الدنيا ولم نهلكهم ﴿ثم جاءهم ما كانوا يوعدون﴾ يعني العذاب ﴿ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ أي في تلك السنين الكثيرة والمعنى أنهم وإن طال تمتعهم بنعيم الدنيا، فإذا أتاهم العذاب لم يغن عنهم طول التمتع شيئاً ويكونوا كأنهم لم يكونوا في نعيم قط ﴿وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون﴾ أي رسل ينذرونهم ﴿ذكرى﴾ أي تذكره ﴿وما كنا ظالمين﴾ أي في تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم ﴿وما

﴿ ولو نزّلناه ﴾، يعني القرآن، ﴿ على بعض الأعجمين ﴾، جمع الأعجمي، وهو الذي لا يُفصِح ولا يُحسِن العربية وإن كان عربياً في النسب، والعجمي: منسوب إلى العجم، وإن كان فصيحاً. ومعنى الآية: ولو نزّلناه على رجل ليس بعربي اللسـان.

﴿ فقرأه عليهم ﴾، بغير لغة العرب، ﴿ ما كانوا به مؤمنين ﴾، وقالوا: ما نفقه قولك، نظيره قوله عزّ وجلّ: ﴿ ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فُصِّلتْ آياتُه ﴾ [فصّلت: ٤٤]، وقيل: معناه ولو نزّلناه على رجل ليس من العرب لما آمنوا به أنفةً من اتّباعه.

﴿ كذلك سلكناه ﴾، قال ابن عباس والحسن ومجاهد أدخلنا الشرك والتكذيب ﴿ في قلوب المجرمين ﴾.

﴿ لا يؤمنون به ﴾، أي بالقرآن، ﴿ حتى يَرَوا العذابَ الأليم ﴾، يعني عند الموت.

﴿ فيأتيهم ﴾، يعني العذاب، ﴿ بغتةً ﴾، فجأة، ﴿ وهم لا يشعرون ﴾، به في الدنيا.

﴿ فيقولوا هَلْ نحنُ مُنظَرُون ﴾، أي لنؤمن ونصدق، يتمنّون الرجعة والنظرة. قال مقاتل: لمّا أوعدهم النبي ﷺ بالعذاب، قالوا: إلى متى توعدنا بالعذاب متى هذا العذاب؟ قال الله تعالى:

﴿ أفبعذابنا يستعجلون * أفرأيت إن متّعناهم سنين ﴾، كثيرة في الدنيا يعني كفّار مكة ولم نهلكهم.

﴿ ثم جاءهم ما كانوا يُوعدون ﴾، يعني بالعذاب.

﴿ ما أغنى عنهم ما كانوا يمتّعون ﴾، به في تلك السنين. والمعنى أنهم وإن طال تمتّعهم بنعيم الدنيا فإذا أتاهم العذاب لم يُغنِ عنهم طول التمتّع شيئاً، ويكون كأنّهم لم يكونوا في نعيم قطّ.

﴿ وما أهلكنا من قرية إلاّ لها مُنذِرُون ﴾، رسل ينذرونهم.

﴿ ذكرى ﴾، محلها نصب أي ينذرونهم، تذكرة، وقيل: رفع أي تلك ذكرى، ﴿ وما كنّا ظالمين ﴾، في تعذيبهم حيث قدّمنا الحجة عليهم وأعذرنا إليهم.

تنزلت به الشياطين﴾ يعني أن المشركين كانوا يقولون: إن الشياطين يلقون القرآن على قلب محمد ﷺ ذلك ﴿وما ينبغي لهم﴾ أن ينزلوا بالقرآن ﴿وما يستطيعون﴾ أي ذلك، ثم إنه تعالى ذكر سبب ذلك فقال ﴿إنهم عن السمع لمعزولون﴾ أي محجوبون بالرمي بالشهب فلا يصلون إلى استراق السمع ﴿فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين﴾ الخطاب للنبي ﷺ والمراد به غيره لأنه معصوم من ذلك.

قال ابن عباس: يحذر به غيره يقول أنت أكرم الخلق علي، ولو اتخذت إلهاً غيري لعذبتك. قوله تعالى ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ روى محمد بن إسحاق بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ قال يا علي إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فضقت بذلك ذرعاً وعرفت أني متى أباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره فصمت عليها حتى جاءني جبريل فقال: يا محمد أن لا تفعل ما تؤمر يعذبك ربك فاصنع لنا طعاماً واجعل لنا عليه رجل شاة واملأ لنا عساً من لبن ثم اجمع لي بني عبدالمطلب حتى أبلغهم ما أمرت به، ففعلت ما أمرني به، ثم دعوتهم له وكانوا يومئذٍ نحو أربعين رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب فلما اجتمعوا دعاني بالطعام الذي صنعت فجئت به، فتناول رسول الله ﷺ جذبة من اللحم فشقها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصحفة ثم قال: خذوا باسم الله فأكل القوم حتى ما لهم بشيء من حاجة وايم الله أن كان

﴿ وما تنزّلتْ به الشياطين ﴾، وذلك أن المشركين كانوا يقولون إن الشياطين يلقون القرآن على لسان محمد ﷺ، فقال جلّ ذكره: ﴿ وما تنزّلت ﴾ به أي بالقرآن الشياطين.

﴿ وما ينبغي لهم ﴾، أي ينزلوا بالقرآن، ﴿ وما يستطيعون ﴾، ذلك.

﴿ إنّهم عن السمع ﴾ أي عن استراق السمع من السماء، ﴿ لمعزولون ﴾، أي محجوبون بالشهب مرجومون.

﴿ فلا تدعُ مع الله إلّهاً آخر فتكون من المعذَّبين ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما يحذّر به غيره، يقول: أنت أكرم الخلق عليّ ولو اتخذت إلّهاً غيري لعذّبتك.

﴿ وأنذِرْ عشيرتَك الأقربين ﴾، روى محمد بن إسحاق عن عبد الغفّار بن القاسم عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطّلب عن عبد الله بن عباس عن عليّ بن أبي طالب. قال: لمّا نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ: ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾، دعاني رسول الله ﷺ فقال: «يا عليّ إن الله يأمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فضقت بذلك ذرعاً وعرفت أني متى أُباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمتُ عليها حتى جاءني جبريل»، فقال لي: يا محمد إلّا تفعل ما تُؤمر يعذّبك ربُّك فاصنع لنا صاعاً من طعام واجعل عليه رِجْل شاة، واملأ لنا عسّاً من لبن، ثم اجمع لي بني عبد المطّلب حتى أُبلغهم ما أُمرتُ به، ففعلتُ ما أمرني به، ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس رضي الله عنهما، وأبو لهب فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعته فجئت به، فلما وضعته تناول رسول الله ﷺ جذبة من اللحم، فشقّها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصحفة، ثم قال: «خذوا باسم الله» فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة، وإيْمُ الله إن كان الرجل الواحد منهم ليأكل مثل ما قدّمت لجميعهم، ثم قال: «اسقِ القومَ» فجئتهم بذلك العِسِّ فشربوا حتى رَووا جميعاً، وإيْمُ الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله. فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلّمهم بدره أبو لهب فقال: سحركم صاحبكم فتفرّق القوم ولم يكلّمهم رسول الله ﷺ، فقال الغد: «يا عليّ إن هذا الرجل قد سبقني إلى ما سمعت من القوم فتفرّق القوم قبل أن أُكلّمهم، فعُدَّ لنا من الطعام مثل ما صنعت ثم

الرجل الواحد ليأكل، مثل ما قدمت لجميعهم ثم قال اسق القوم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا جميعاً، وايم الله أن كان الرجل الواحد ليشرب مثله فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم بدره أبو لهب فقال: سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله ﷺ فقال الغد يا: علي فإن هذا الرجل قد سبقني إلى ما سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم، فاعدد لنا من الطعام مثل ما صنعت ثم أجمعهم ففعلت ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربته، ففعل كما فعل بالأمس فأكلوا وشربوا ثم تكلم رسول الله ﷺ فقال: يا بني عبد المطلب إني قد جئتكم بخبري الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله عز وجل أن أدعوكم إليه فأيكم يوازرني على أمري هذا، ويكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم فأحجم القوم عنها جميعاً، وأنا أحدثهم سناً فقلت أنا يا رسول الله أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتي، ثم قال هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لعلي وتطيعه» (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما: لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين صعد النبيّ ﷺ على الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر يا بني عدي لبطون من قريش، حتى اجتمعوا فجعل الذي لم يستطع أن يخرج يرسل رسولاً لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذباً قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد.

اجمعهم» ففعلت ثم جمعت فدعاني بالطعام فقرّبته ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا وشربوا ثم تكلم رسول الله ﷺ فقال: «يا بني عبد المطّلب إني قد جئتكم بخيريّ الدنيا والآخرة. وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأيّكم يؤازرني على أمري هذا؟ ويكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا» فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لعلي وتطيع. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف حدّثنا محمد بن إسماعيل حدّثنا يوسف بن موسى حدّثنا أبو أسامة حدّثنا الأعمش حدّثنا عمرو بن مرّة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لمّا نزلت ﴿ وأنذِرْ عشيرتك الأقربين ﴾ ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف يا صاحباه، فقالوا: مَن هذا فاجتمعوا إليه فقال: «أرأيتكم إنْ أخبرتكم أنّ خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدّقيّ»؟ قالوا: ما جرّبنا عليك كذباً قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب: تبّاً لك ما جمعتنا إلاّ لهذا، ثم قال: فنزلت ﴿ تبّتْ يدا أبي لهب وتبّ ﴾ [اللهب: ١] هكذا قرأ الأعمش يومئذ: أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عمر بن حفص بن غياث ثنا أبي ثنا الأعمش حدّثني عمرو بن مرّة عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قال: لما نزلت ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾، صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: «يا بني فهر يا بني عديّ، لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، وقال أرأيتُكم لو أخبرتُكم أنّ خيلاً بالوادي تريد أن تُغير عليكم أكنتم مصدقيّ؟ قالوا: نعم ما جرّبنا عليك كذباً، قال: فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تبّاً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿ تبّت يدا أبي لهب وتبّ ما أغنى عنه ماله وما كسب ﴾ [اللهب: ١ و٢]، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري أخبرني سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله تعالى: ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾، فقال: «يا معشر قريش أو كلمة نحوها، اشتروا أنفسكم لا أُغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف لا أُغني عنكم من الله شيئاً يا عباس بن عبد المطّلب لا أُغني عنك من الله شيئاً، يا صفيّة عمّة رسول الله لا أُغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد سَليني ما شئت من مالي لا أُغني

فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا فنزلت ﴿تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾ وفي رواية قد تب وفي رواية للبخاري، لما نزلت ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله ﷺ، حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه، فقالوا من هذا واجتمعوا إليه وذكر نحوه (ق) عن أبي هريرة قال قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله تعالى «وأنذر عشيرتك الأقربين وقال يا معشر قريش أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئاً يا عباس بن عبدالمطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا صفية عمة رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئاً ويا فاطمة بنت رسول الله سليني ما شئت من مالي لا أغنى عنك من الله شيئاً» (م) عن قبيصة بنت مخارق وزهير بن عمرو قالا لما نزلت ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ انطلق رسول الله ﷺ إلى رضمة جبل فعلا أعلاها حجراً ثم نادى «يا بني عبد مناف إني نذير لكم إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يريد أهله فخشي أن يسبقوه، فجعل يهتف يا صباحاه» ومعنى الآية أن الإنسان إذا بدأ بنفسه أولاً وبالأقرب فالأقرب من أهله ثانياً لم يكن لأحد عليه طعن البتة وكان قوله أنفع وكلامه أنجع.

وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

﴿واخفض﴾ أي ألن ﴿جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ فإن قلت ما معنى التبعيض في قوله «من المؤمنين» وقلت: معناه لمن اتبعك من المؤمنين المصدقين بقلوبهم وألسنتهم دون المؤمنين بألسنتهم وهم المنافقون ﴿فإن

عنك من الله شيئاً». أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري أنا جدّ أبو سهل بن عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز أنا أبو بكر محمد بن زكريا العذافري أنا أبو إسحاق بن إبراهيم الدبري ثنا عبد الرزّاق أنا معمر عن قتادة عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن عياض بن جمان المجاشعي قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عزّ وجلّ أمرني أن أُعلمكم ما جهلتم مما علّمني يومي هذا وإنه قال إن كل مال نحلته عبادي فهو لهم حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرّمتْ عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أُنزل به سلطاناً وإن الله نظر إلى أهل الأرض فَمقَتَهم عربَهم وعجمَهم إلاّ بقايا من أهل الكتاب، وإن الله تعالى أمرني أن أُخوف قريشاً، فقلت: يا رب إنهم إذا يثلغوا رأسي حتى يدعوه خبزه، فقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وقد أنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء، تقرؤه في المنام واليقظة، فاغزهم نغزك وأنفق ننفق عليك، وابعث جيشاً نمددك بخمسة أمثالهم، وقاتل بمَن أطاعك مَن عصاك، ثم قال أهل الجنة ثلاثة: إمام مُقسِط، ورجل رحيم رقيق القلب بكل ذي قربى، ومسلم ورجل غني متعفّف متصدّق، وأهل النار خمسة الضعيف الذي لا زبر له، الذين هم فيكم تُبّع لا يبتغون بذلك أهلاً ولا مالاً، ورجل إن أصبح أصبح يخادعك عن أهلك ومالك، ورجل لا يُخفى له طمع وإن دقّ إلاّ ذهب به، والشنظير الفاحش»، وذكر البخل والكذب.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ واخفضْ جناحك ﴾، يعني ألِنْ جانبك، ﴿ لمَن اتّبعك من المؤمنين ﴾.

عصوك﴾ يعني فيما تأمرهم به ﴿فقل إني بريء مما تعملون﴾ يعني من الكفر والمخالفة ﴿وتوكل على العزيز الرحيم﴾ التوكل عبارة عن تفويض الرجل أمره إلى من يملك أمره، ويقدر على نفعه وضره وهو الله تعالى العزيز الذي يقهر أعداءك، بعزته الرحيم الذي ينصرك عليهم برحمته ﴿الذي يراك حين تقوم﴾ إلى صلاتك وقيل يراك أينما كنت وقيل يراك حين تقوم لدعائك ﴿وتقلبك في الساجدين﴾ قال ابن عباس: ويرى تقلبك في صلاتك في حال قيامك وركوعك وسجودك وقعودك وقيل مع المصلين في الجماعة يقول يراك إذا صليت وحدك ومع الجماعة، وقيل: معناه يرى تقلب بصرك في المصلين فإنه كان ﷺ يبصر من خلفه كما يبصر من قدامه عن أبي هريرة أن النبيّ ﷺ قال: «هل ترون قبلتي ها هنا فوالله ما يخفى علي خشوعكم ولا ركوعكم إني لأراكم من وراء ظهري» وقيل: معناه يرى تصرفك وذهابك ومجيئك في أصحابك المؤمنين. وقيل: تصرفك في أحوالك كما كانت الأنبياء من قبلك وقال ابن عباس أراد وتقلبك في أصلاب الأنبياء من نبي إلى نبي حتى أخرجك في هذه الأمة ﴿إنه هو السميع﴾ يعني لقولك ودعائك ﴿العليم﴾ يعني بنيتك وعملك قل يا محمد ﴿هل أنبئكم﴾ يعني أخبركم ﴿على من تنزل الشياطين﴾ هذا جواب لقولهم ينزل عليه شيطان ثم بين على من تنزل الشياطين فقال تعالى ﴿تنزل على كل أفاك﴾ يعني كذاب ﴿أثيم﴾ يعني فاجر وهم الكهنة وذلك أن الشياطين كانوا يسترقون السمع، ثم يلقون ذلك إلى أوليائهم من الإنس وهو قوله تعالى ﴿يلقون السمع﴾ يعني ما يسمعون من الملائكة فيلقونه إلى الكهنة ﴿وأكثرهم كاذبون﴾ لأنهم يخلطون به كذباً كثيراً ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ قال أهل التفسير أراد شعراء الكفار الذين كانوا يهجون النبي ﷺ منهم عبدالله بن الزبعرى السهمي،

﴿ فإن عَصَوْكَ فقل إني بريءٌ مما تعملون ﴾، من الكفر وعبادة غير الله.

﴿ وتوكّل ﴾، قرأ أهل المدينة والشام فتوكّل بالفاء، وكذلك هو في مصاحفهم، وقرأ الباقون بالواو ﴿ وتوكّل ﴾، ﴿ على العزيز الرحيم ﴾، ليكفيك كيد الأعداء.

﴿ الذي يراك حين تقوم ﴾، إلى صلاتك، عن أكثر المفسّرين. وقال مجاهد: الذي يراك أينما كنت. وقيل: حين تقوم لدعائهم.

﴿ وتقلّبك في الساجدين ﴾، يعني يرى تقلّبك في صلاتك في حال قيامك وركوعك وسجودك وقعودك. قال عكرمة وعطية عن ابن عباس: في الساجدين أي في المصلّين. وقال مقاتل والكلبي: أي مع المصلّين في الجماعة، يقول يراك حين تقوم وحدك للصلاة ويراك إذا صلّيت مع المصلّين في الجماعة. وقال مجاهد: يرى تقلّب بصرك في المصلّين، فإنه كان يبصر مَن خلفه كما يبصر مَن أمامه. أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزِّناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «هل ترون قبلتي ههنا فوالله ما يخفى عليّ خشوعكم ولا ركوعكم إني لأراكم من وراء ظهري». وقال الحسن: وتقلّبك في الساجدين أي تصرّفك وذهابك ومجيئك في أصحابك المؤمنين. وقال سعيد بن جبير: يعني وتصرّفك في أحوالك كما كانت الأنبياء من قبلك. والساجدون: هم الأنبياء. وقال عطاء عن ابن عباس: أراد تقلّبك في أصلاب الأنبياء من نبي إلى نبي حتى أخرجك في هذه الأمة.

﴿ إنّه هو السميع العليم ﴾.

﴿ هل أنبئكم ﴾، أُخبركم، ﴿ على مَن تنزّل الشياطين ﴾، هذا جواب قولهم: (تتنزّل عليه الشياطين). ثم بيّن فقال:

وهبيرة بن أبي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وأبو عمرو بن عبدالله الجمحي وأمية بن أبي الصلت الثقفي تكلموا بالكذب، والباطل وقالوا نحن نقول مثل ما يقول محمد وقالوا الشعر، واجتمع إليهم غواة قومهم يسمعون أشعارهم حين يهجون محمداً ﷺ، وأصحابه وكانوا يروون عنهم قولهم فذلك قوله ﴿يتبعهم الغاوون﴾ فهم الرواة الذين يروون هجاء المسلمين، وقيل الغاوون هم الشياطين وقيل هم السفهاء الضالون وفي رواية أن الرجلين أحدهما من الأنصار تهاجيا على عهد رسول الله ﷺ ومع كل واحد غواة من قومه، وهم السفهاء فنزلت هذه الآية **﴿ألم تر أنهم في كل واد﴾** من أودية الكلام **﴿يهيمون﴾** يعني حائرين وعن طريق الحق حائدين، والهائم الذاهب على وجهه لا مقصد له وقال ابن عباس في كل لغو يخوضون، وقيل يمدحون بالباطل ويهجون بالباطل وقيل أنهم يمدحون الشيء ثم يذمونه لا يطلبون الحق والصدق، فالوادي مثل لفنون الكلام والغوص في المعاني والقوافي **﴿وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾** أي أنهم يكذبون في شعرهم وقيل إنهم يمدحون الجود والكرم ويحثون عليه وهم لا يفعلونه ويذمون البخل ويصرون عليه ويهجون الناس بأدنى شيء صدر منهم (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً حتى يريه خير له من أن يمتلىء شعراً» ثم استثنى شعراء المسلمين الذين كانوا يجتنبون شعر الكفار، ويهجون وينافحون عن محمد ﷺ وأصحابه منهم حسان بن ثابت وعبدالله بن رواحة وكعب بن مالك فقال تعالى **﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾** روي أن كعب بن مالك قال للنبيّ ﷺ: إن الله أنزل في الشعر ما أنزل فقال رسول الله ﷺ «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل» عن أنس بن مالك

﴿ تنزَّل ﴾، أي تتنزّل، **﴿ على كل أفّاك ﴾**، كذّاب، **﴿ أثيم ﴾**، فاجر، قال قتادة: هم الكهنة يسترقّ الجنّ السمع ثم يلقون إلى أوليائهم من الإنس. وهو قوله عزّ وجلّ.

﴿ يُلقون السمع ﴾، أي يستمعون من الملائكة مستقرّين فيلقون إلى الكهنة، **﴿ وأكثرهم كاذبون ﴾**، لأنهم يخلطون به كذباً كثيراً.

قوله عزّ وجلّ: **﴿ والشعراءُ يتّبِعُهم الغاوون ﴾**. قال أهل التفسير: أراد شعراء الكفّار الذين كانوا يهجون رسول الله ﷺ وذكر مقاتل أسماءهم، فقال: منهم عبد الله بن الزبعري السهمي، وهبيرة بن أبي وهب المخزومي، ومشافع بن عبد مناف. وأبو عز بن عبد الله الجمحي، وأُميّة بن أبي الصلت الثقفي، تكلموا بالكذب على رسول الله ﷺ وبالباطل، وقالوا: نحن نقول مثل ما يقول محمد. وقالوا الشعر، واجتمع إليهم غواة من قومهم يستمعون أشعارهم حين يهجون النبي ﷺ وأصحابه، ويروون عنهم وذلك. قوله: **﴿ والشعراء يتّبعهم الغاوون ﴾**، هم الرواة الذين يروون هجاء النبي ﷺ والمسلمين. وقال قتادة ومجاهد: الغاوون هم الشياطين. وقال الضحاك: تهاجى رجلان على عهد رسول الله ﷺ أحدهما من الأنصار والآخر من قوم آخرين، ومع كل واحد منهما غواة من قومه، وهم السفهاء فنزلت هذه الآية. وهي رواية عطية عن ابن عباس.

﴿ ألم ترَ أنّهم في كل وادٍ ﴾، من أودية الكلام، **﴿ يهيمُون ﴾**، حائرون وعن طريق الحق جائرون، والهائم: الذاهب على وجهه لا مقصد له. قال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية: في كل لغو يخوضون. وقال مجاهد: في كل فنٍّ يفتنون. وقال قتادة: يمدحون بالباطل ويستمعون ويهجون بالباطل. فالوادي مثلٌ لفنون الكلام، كما يقال: أنا في وادٍ وأنت في واد. وقيل: في كل وادٍ يهيمون أي على كل حرف من حروف الهجاء يصُوغُون القوافي.

﴿ وأنّهم يقولون ما لا يفعلون ﴾، أي: يكذبون في شعرهم يقولون فعلنا وفعّلنا وهم كذبة. أخبرنا

رضي الله عنه «أن النبي ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء وابن رواحة يمشي بين يديه وهو يقول:

خلـوا بنـي الكفـار عـن سبيلـه اليـوم نضـربكـم علـى تنـزيلـه
ضـربـاً يـزيـل الهـام عـن مقيلـه ويـذهـل الخليـل عـن خليلـه

فقال عمر يا ابن رواحة بين يدي رسول الله ﷺ وفي حرم الله تقول الشعر؟ فقال رسول الله ﷺ «خل عنه يا عمر فلهي أسرع فيهم من نضح النبل» أخرجه الترمذي والنسائي. وقال الترمذي: وقد روي في غير هذا الحديث أن النبيّ ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء وكعب بن مالك بين يديه، وهذا أصح عند بعض أهل الحديث لأن عبدالله بن رواحة قتل يوم مؤتة، وكانت عمرة القضاء بعد ذلك قلت الصحيح، هو الأول لأن عمرة القضاء كانت سنة سبع ويوم مؤتة سنة ثمان والله أعلم (ق) عن البراء أن رسول الله ﷺ قال يوم قريظة لحسان: «أهج المشركين فإن جبريل معك» (خ) عن عائشة قالت «كان رسول الله ﷺ يضع لحسان منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله ﷺ وينافح ويقول رسول الله ﷺ: إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح أو فاخر عن رسول الله» (م) عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال «اهجوا قريشاً فإنه أشد عليها من رشق النبل فأرسل إلى ابن رواحة فقال: أهجهم فهجاهم فلم يرض فأرسل إلى كعب بن مالك ثم أرسل إلى حسان بن ثابت فلما دخل عليه حسان: قال: قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه ثم أدلع لسانه فجعل يحركه فقال: والذي بعثك بالحق لأفرينهم بلساني فري الأديم فقال النبيّ ﷺ لا تعجل فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها، وإن لي فيهم نسباً حتى يلخص لك نسبي فأتاه حسان ثم رجع فقال: يا رسول الله قد لخص لي نسبك والذي بعثك بالحق نبياً لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين قالت

عبد الواحد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي ثنا علي بن الجعد أنا شعبة عن الأعمش عن ذكوان عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً حتى يُريه، خيرٌ له من أن يمتلىء شعراً»، ثم استثنى شعراء المسلمين الذين كانوا يُجيبون شعراء الجاهلية، ويهجون شعراء الكفّار، وينافِحُون عن النبي ﷺ وأصحابه، منهم حسّان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك، فقال:

﴿ **إلاّ الذين آمنوا وعمِلُوا الصالحات** ﴾، أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسين علي بن عبد الله بن بشران أنا إسماعيل بن محمد الصفّار ثنا أحمد بن منصور الرمادي ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه أنه قال للنبي ﷺ: إن الله قد أنزل في الشعر ما أنزل فقال النبي ﷺ: «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكأنّما ترمونهم به نَضْحَ النَّبل». أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد الجورجاني أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي أنا الهيثم بن كليب أنا أبو عيسى الترمذي ثنا إسحاق بن منصور أنا عبد الرزاق أنا جعفر بن سليمان ثنا ثابت عن أنس أن النبي ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء وابن رواحة يمشي بين يديه ويقول:

خلّوا بني الكفّار عن سبيله اليوم نضـربكم على تنزيله
ضرباً يُزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

فقال له عمر: يا ابن رواحة بين يدي رسول الله ﷺ وفي حرم الله تقول الشعر؟ فقال النبيّ ﷺ: «خلِّ عنه يا عمر، فلهي أسرع فيهم من نضح النبل». أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا حجّاج بن منهال ثنا شعبة أخبرني عديّ أنه سمع البراء قال: قال رسول الله ﷺ لحسّان: «اهجهم أو هاجهم وجبريل معك». أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد الجورجاني أنا أبو القاسم الخزاعي أنا

عائشة: فسمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان: إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله قالت وسمعت رسول الله ﷺ يقول هجاهم حسان فشفى واشتفى» فقال حسان:

هجـوت محمـداً فـأجبـت عنـه وعنـد الله فـي ذاك الجـزاء
هجـوت محمـداً بـراً تقيـاً رسـول الله شيمتـه الـوفـاء
فـإن أبـي ووالـدتـي وعـرضـي لعـرض محمـد منكـم وقـاء
ثكلـت بنيتـي إن لـم تـروهـا تثيـر النقـع مـوعـدهـا كـداء
يبـاريـن الأعنـة مصعـدات علـى أكنـافهـا الأسـل الظمـاء
تظـل جيـادهـا متمطـرات تلطمهـن بـالخمـر النسـاء
فـإن أعـرضتـم عنـا اعتمـرنـا وكـان الفتـح وانكشـف الغطـاء
وإلا فـاصبـروا لضـراب يـوم يعـز الله فيـه مـن يشـاء
وقـال الله قـد أرسلـت عبـداً يقـول الحـق ليـس بـه خفـاء
وقـال الله قـد سيـرت جنـداً هـم الأنصـار عـرضتهـا اللقـاء
لنـا فـي كـل يـوم مـن معـد سبـاب أو قتـال أو هجـاء
فمـن يهجـو رسـول الله منكـم ويمـدحـه وينصـره سـواء

الهيثم بن كليب ثنا أبو عيسى ثنا إسماعيل بن موسى الفزاري وعلي بن حجر، المعنى واحد، قالا: ثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يضع لحسان بن ثابت مِنبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله ﷺ أو ينافح عن رسول الله ﷺ، ويقول رسول الله ﷺ: «إن الله يُؤيِّد حسّانَ بروح القدس، ما ينافح أو يفاخر عن رسول الله». أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد ثنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجّاج ثنا عبد الملك بن شعيب بن الليث حدّثني أبي عن جدّي ثنا خالد بن زيد حدّثني سعيد بن أبي هلال عن عمّار بن غزية عن محمد بن إبراهيم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «اهجُو قريشاً فإنه أشدّ عليهم من رشق النبل»، فأرسل إلى ابن رواحة فقال: «اهجهم»، فهجاهم فلم يرضَ، فأرسل إلى كعب بن مالك ثم أرسل إلى حسان بن ثابت، فلما دخل عليه قال حسان: قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه ثم أدلع لسانه، فجعل يحرّكه، فقال: الذي بعثك بالحق لأفرينّهم بلساني فريَ الأديم، فقال رسول الله ﷺ: «لا تعجل فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها، وإنّ لي فيهم نسباً حتى يلخّص لك نسبي»، فأتاه حسّان ثم رجع، فقال: يا رسول الله قد لخّص لي نسبك والذي بعثك بالحق لأسلنّك منهم كما تُسَلّ الشعرة من العجين. قالت عائشة: فسمعتُ رسول الله ﷺ يقول لحسان: «إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله»، وقالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «هجاهم حسان فشفي واشتفى»، قال حسان:

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه وعنـد الله في ذاك الجزاء
هجوتَ محمداً برّاً حنيفاً رسـول الله شيمته الـوفاء
فإن أبي ووالـدتي وعرضي لعرض محمد منكم وِقـاء
فمَن يهجـو رسولَ الله منكم ويمـدحه وينصره سواء
وجبـريل رسـول الله فينا وروح القدس ليس له كِفاء

وجبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس له كفاء

فصل في مدح الشعر

(خ) عن أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ قال «إن من الشعر لحكمة» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فجعل يتكلم بكلام فقال «إن من البيان سحراً وإن من الشعر حكماً» أخرجه أبو داود (م) عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال: «ردفت وراء النبي ﷺ يوماً فقال هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء، قلت نعم قال: هيه: فأنشدته بيتاً فقال: هيه ثم أنشدته بيتاً قال: هيه حتى أنشدته مائة بيت زاد في رواية لقد كاد يسلم في شعره» عن جابر بن سمرة قال: «جالست النبيّ ﷺ أكثر من مائة مرة فكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية، وهو ساكت وربما تبسم معهم» أخرجه الترمذي. وقال حديث حسن صحيح. وقالت عائشة: الشعر كلام فمنه حسن ومنه قبيح فخذ منه الحسن ودع منه القبيح. وقال الشعبي: كان أبو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان علي أشعر منهما وروي عن ابن عباس أنه كان ينشد الشعر ويستنشده في المسجد، فيروى أنه دعا عمر بن ربيعة المخزومي، فاستنشده القصيدة التي قالها فقال:

أمن آل نعمٍ أنت غادٍ فمبكر غداة غدٍ أم رائح فمهجر

فأنشده القصيدة إلى آخرها، وهي قريب من تسعين بيتاً ثم إن ابن عباس أعاد القصيدة جميعها، وكان حفظها بمرة واحدة. قوله تعالى ﴿وذكروا الله كثيراً﴾ أي لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله ﴿وانتصروا من بعد ما ظلموا﴾ أي انتصروا من المشركين لأنهم بدؤوا بالهجاء، ثم أوعد شعراء المشركين فقال تعالى ﴿وسيعلم الذين ظلموا﴾ أي أشركوا وهجوا رسول الله ﷺ وهو الطاهر المطهر من الهجاء ﴿أي منقلب ينقلبون﴾ أي أيَّ مرجع يرجعون إليه بعد الموت قال ابن عباس: إلى جهنم وبئس المصير والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري أخبرني أبو بكر بن عبد الرحمن أن مروان بن الحكم أخبره أن عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث أخبره أن أُبيّ بن كعب أخبره أن رسول الله ﷺ قال: «إن من الشعر لحكمة». قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: الشعر كلام فمنه حسن ومنه قبيح فخذ الحسن ودع القبيح. وقال الشعبي: كان أبو بكر رضي الله تعالى عنه يقول الشعر، وكان عمر رضي الله تعالى عنه يقول الشعر، وكان علي رضي الله تعالى عنه أشعر الثلاثة ورُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان ينشد الشعر في المسجد ويستنشده، فرُوِيَ أنه دعا عمر بن أبي ربيعة المخزومي فاستنشده القصيدة التي قالها فقال:

أمن آل نعم أنت غادٍ فمبكر غداة غدٍ أم رائح فمهجّر

فأنشده ابن أبي ربيعة القصيدة إلى آخرها، وهي قريبة من تسعين بيتاً، ثم إن ابن عباس أعاد القصيدة جميعها، وكان حفظها بمرة واحدة. ﴿ وذكروا الله كثيراً ﴾، أي لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله، ﴿ وانتصروا من بعد ما ظُلِمُوا ﴾، قال مقاتل انتصروا من المشركين لأنهم بدؤوا بالهجاء، ثم أوعد شعراء المشركين فقال: ﴿ وسيعلمُ الذين ظَلَمُوا ﴾، أشركوا وهجوا رسول الله ﷺ ﴿ أيَّ منقلب ينقلبون ﴾، أي مرجع يرجعون بعد الموت. قال ابن عباس رضي الله عنهما: إلى جهنم والسعير. والله أعلم.

تفسير سورة النمل

مكية وهي ثلاث وتسعون آية وألف وثلاثمائة وسبع عشرة كلمة وأربعة آلاف وسبعمائة وتسعة وتسعون حرفاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ (١) هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ
ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٣)

قوله عز وجل ﴿طسٓ تلك آيات القرآن﴾ أي هذه آيات القرآن ﴿وكتاب مبين﴾ أي وآيات كتاب مبين ﴿هدى وبشرى للمؤمنين﴾ أي هو هدى من الضلالة، وبشرى لهم بالجنة ﴿الذين يقيمون الصلاة﴾ أي الخمس بشرائطها ﴿ويؤتون الزكاة﴾ أي إذا وجبت عليهم طيبة بها أنفسهم ﴿وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ يعني أن هؤلاء الذين يعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة.

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ (٤) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ
هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ (٥) وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (٦) إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ
أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٧) فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ (٨) يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٩) وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا
تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ (١٠)

﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم﴾ أي القبيحة حتى رأوها حسنة وقيل: إن التزين هو أن يخلق الله

سُورَة النَّمْل

مكيّة وهي ثلاث وتسعون آية.

﴿ طسٓ ﴾، قال ابن عباس: هو اسم من أسماء الله تعالى، وقد سبق الكلام في حروف الهجاء. ﴿ تلك آياتُ القرآن ﴾، أي هذه آيات القرآن، ﴿ وكتاب مُبين ﴾، يعني وآيات كتاب مبين.

﴿ هدىً وبشرى للمؤمنين ﴾، يعني هو هدىً من الضلالة وبشرى للمؤمنين المصدقين به بالجنة.

﴿ الذين يُقيمون الصلاة ﴾، أي يؤدّون الصلاة بأركانها وشروطها، ﴿ ويؤتُون الزكاةَ ﴾، يعطون ما وجب عليهم من زكاة أموالهم لأربابها، ﴿ وهم بالآخرة هم يوقنون ﴾.

﴿ إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينّا لهم أعمالهم ﴾، القبيحة حتى رأوها حسنة، ﴿ فهم يعمهون ﴾، أي يترددون فيها متحيّرين.

العلم في القلب بما فيه المنافع واللذات ولا يخلق العلم بما فيه المضار والآفات ﴿فهم يعمهون﴾ أي يترددون فيها متحيرين ﴿أولئك الذين لهم سوء العذاب﴾ أي أشده وهو القتل والأسر ﴿وهم في الآخرة هم الأخسرون﴾ أي أنهم خسروا أنفسهم وأهليهم وساروا إلى النار. قوله تعالى ﴿وإنك لتلقى القرآن﴾ أي تؤتاه وتلقنه وحياً ﴿من لدن حكيم عليم﴾ أي حكيم عليم بما أنزل إليك. فإن قلت: ما الفرق بين الحكمة والعلم. قلت: الحكمة هي العلم بالأمور العلمية فقط والعلم أعم منه لأنه العلم قد يكون علماً، وقد يكون نظراً والعلوم النظرية أشرف ﴿إذ قال﴾ أي واذكر يا محمد إذ قال ﴿موسى لأهله﴾ أي في مسيره بأهله من مدين إلى مصر ﴿إني آنست﴾ أي أبصرت ﴿ناراً سآتيكم منها بخبر﴾ أي امكثوا مكانكم سآتيكم بخبر عن الطريق، وقد كان ضل عن الطريق ﴿أو آتيكم بشهاب قبس﴾ الشهاب شعلة النار والقبس النار المقبوسة منها، وقيل: القبس هو العود الذي في أحد طرفيه نار ﴿لعلكم تصطلون﴾ يعني تستدفئون من البرد وكان في شدة الشتاء ﴿فلما جاءها نودي أن بورك من في النار﴾ يعني يورك على من في النار وقيل: البركة راجعة إلى موسى والملائكة والمعنى من في طلب النار وهو موسى ﴿ومن حولها﴾ وهم الملائكة الذين حول

﴿ أولئك الذين لهم سوء العذاب ﴾، شدّة العذاب في الدنيا بالقتل والأسْر ببدر، ﴿ وهم في الآخرة هُم الأخسرون ﴾ لأنهم خسروا أنفسهم وأهليهم وصاروا إلى النار.

﴿ وإنّك لَتُلَقَّى القرآن ﴾، أي تُؤتى القرآن، ﴿ من لدن حكيم عليم ﴾، أي وحياً من عند الله الحكيم العليم.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ إذْ قال موسى لأهله ﴾، أي واذكر يا محمد إذ قال موسى لأهله في مسيره من مدين إلى مصر، ﴿ إني آنستُ ناراً ﴾، أي أبصرت ناراً، ﴿ سآتيكم منها بخبر ﴾، أي امكثوا مكانكم سآتيكم بخبر عن الطريق أو النار، وكان قد ترك الطريق، ﴿ أو آتيكم بشهابٍ قبسٍ ﴾، قرأ أهل الكوفة بشهاب بالتنوين جعلوا القبس نعتاً للشهاب، وقرأ الأخرون بلا تنوين على الإضافة، وهو إضافة الشيء إلى نفسه، لأن الشهاب والقبس متقاربان في المعنى، وهو العود الذي في أحد طرفيه فيه نار، وليس في الطرف الآخر نار. وقال بعضهم: الشهاب هو شيء ذو نور، مثل العمود، والعرب تسمّي كل أبيض ذي نور شهاباً، والقبس: القطعة من النار، ﴿ لعلّكم تصطلون ﴾، تستدفئون من البرد وكان ذلك في شدّة الشتاء.

﴿ فلما جاءها نُودي أنْ بورك مَنْ في النار ومَن حولها ﴾، أي بورك على مَن في النار أو مَن في النار، والعرب تقول: باركه الله وبارك فيه وبارك عليه، بمعنى واحد. وقال قوم: البركة راجعة إلى موسى والملائكة، معناه: بورك في مَن طلب النار، وهو موسى عليه السلام، ومَن حولها وهم الملائكة الذين حول النار، ومعناه: بورك فيك يا موسى وفي الملائكة الذين حول النار، وهذا تحية من عند الله عزّ وجلّ لموسى بالبركة، كما حيّا إبراهيم على ألسنة الملائكة حين دخلوا عليه فقالوا رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت. ومذهب أكثر المفسّرين أن المراد بالنار النور، وذكر بلفظ النار لأن موسى حسبه ناراً، ومَن في النار هم الملائكة، وذلك أن النور الذي رآه موسى كان فيه ملائكة لهم زجل بالتقديس والتسبيح، ومَن حولها موسى لأنه كان بالقرب منها، ولم يكن فيها. وقيل: مَن في النار ومَن حولها جميعاً الملائكة. وقيل: مَن في النار موسى ومَن حولها الملائكة، وموسى وإن لم يكن في النار كان قريباً منها كما يقال بلغ فلان المنزل إذا قرب منه، وإن لم يبلغه بعد، وذهب بعضهم إلى أن البركة راجعة إلى النار. وروى مجاهد عن ابن عباس أنه قال: معناه بُوركتِ النار، وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: سمعت أُبيّاً يقرأ: أن بوركت النار ومَن حولها، و﴿ مَن ﴾ قد يأتي بمعنى ما، كقوله تعالى: ﴿ فمنهم

النار وهذه تحية من الله عز وجل لموسى بالبركة، وقيل: المراد من النار النور وذكر بلفظ النار لأن موسى حسبه ناراً ومن في النار هم الملائكة وذلك أن النور الذي رآه موسى كان فيه ملائكة لهم زجل بالتسبيح والتقديس، ومن حولها موسى، لأنه كان بالقرب منها وقيل البركة راجعة إلى النار، وقال ابن عباس: معناه بوركت النار والمعنى بورك من في النار ومن حولها وهم الملائكة وموسى وروي عن ابن عباس في قوله بورك من في النار يعني قدس من في النار وهو الله تعالى عنى به نفسه على معنى أنه نادى موسى وأسمعه من جهتها كما روي أنه مكتوب في التوراة جاء الله من سيناء، وأشرف من ساعين واستعلى من جبال فاران ومعنى مجيئه من سيناء بعثه موسى منه، ومن ساعين بعثة المسيح ومن جبال فاران بعثة محمد ﷺ وفاران اسم مكة، وقيل كانت النار بعينها وهي إحدى حجب الله عز وجل كما صح في الحديث «حجابه النار لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه» ثم نزه الله سبحانه وتعالى نفسه، وهو المنزه من كل سوء وعيب فقال تعالى ﴿**وسبحان الله رب العالمين**﴾ ثم تعرف إلى موسى بصفاته فقال: الله يا موسى ﴿**إنه أنا الله العزيز الحكيم**﴾ قيل معناه أن موسى قال: من المنادي قال: إنه أنا الله وهذا تمهيد لما أراد الله أن يظهره على يده من المعجزات، والمعنى أنا القوي القادر على ما يبعد من الأوهام كقلب العصا حية وهو قوله ﴿**وألق عصاك**﴾ تقديره فألقاها فصارت حية ﴿**فلما رآها تهتز**﴾ أي تتحرك ﴿**كأنها جان**﴾ وهي الحية الصغيرة التي يكثر اضطرابها ﴿**ولى مدبراً**﴾ يعني هرب من الخوف ﴿**ولم يعقب**﴾ يعني لم يرجع، ولم يلتفت قال الله تعالى ﴿**يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون**﴾ يريد إذا أمنتهم لا يخافون أما الخوف الذي هو شرط الإيمان، فلا يفارقهم قال النبيّ ﷺ «أنا أخشاكم لله».

إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِي

مَن يمشي على بطنه ﴾ [النور: ٤٥]، و﴿ **ما** ﴾ قد يكون صلة في الكلام، كقوله: ﴿ جندٌ ما هنالك ﴾ [صٓ: ١١]، ومعناه: بورك في النار وفيمن حولها، وهم الملائكة وموسى عليه السلام، وسمّى النار مباركة كما سمّى البقعة مباركة فقال: ﴿ في البقعة المباركة ﴾ [القصص: ٣٠]، ورُوِيَ عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن في قوله: ﴿ **بُورك مَن في النار** ﴾، يعني قُدّس مَن في النار، وهو الله عنى به نفسه، على معنى أنه نادى موسى منها وأسمعه كلامه من جهتها، كما رُوِيَ: أنه مكتوب في التوراة جاء الله من سيناء وأشرف من ساعين واستعلى من جبال فاران، فمجيئه من سيناء بعثة موسى منها، ومن ساعين بعثة المسيح منها، ومن جبال فاران بعثة المصطفى منها، وفاران مكة. قيل: كان ذلك نوره عزّ وجلّ. قال سعيد بن جبير: كانت النار بعينها، والنار إحدى حجب الله تعالى، كما جاء في الحديث: «حجابه النار لو كشفها لأحرقت سُبحَاتُ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»، ثم نزّه الله نفسه وهو المنزّه من كل سوء وعيب، فقال جلّ ذكره. ﴿ **وسبحان الله ربِّ العالمين** ﴾، ثم تعرّف إلى موسى بصفاته، فقال:

﴿ **يا موسى إنّه أنا الله العزيز الحكيم** ﴾، والهاء في قوله: ﴿ **إنه** ﴾ عماد وليس بكناية، وقيل: هي كناية عن الأمر والشأن، أي الأمر والشأن أي المعبود أنا، ثم أرى موسى آية على قدرته، فقال:

﴿ **وألقِ عصاك فلما رآها تهتزّ** ﴾، تتحرّك، ﴿ **كأنّها جان** ﴾، وهي الحية الصغيرة التي يكثر اضطرابها، ﴿ **ولّى مدبراً** ﴾، وهرب من الخوف، ﴿ **ولم يُعقِّب** ﴾، ولم يرجع، يقال: عقّب فلان إذا رجع، وكلّ راجع معقب. وقال قتادة: ولم يلتفت، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿ **يا موسى لا تخف إني لا يخاف لديَّ المرسَلُون** ﴾، يريد إذا آمنهم لا يخافون أما الخوف الذي هو شرط الإيمان فلا يفارقهم، قال النبي ﷺ: «أنا أخشاكم لله».

﴿تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ۝١٢ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝١٣ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝١٤ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٥ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ۝١٦﴾

﴿إلا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء فإني غفور رحيم﴾ قيل: هو ما يصدر من الأنبياء من ترك الأفضل والصغيرة وقيل يحتمل أن يكون المراد منه التعريض بما وجد من موسى من قتل القبطي وهو من التعريضات اللطيفة وسماه ظلماً لقول موسى ﴿إني ظلمت نفسي﴾ ثم إنه خاف من ذلك فتاب قال: ﴿رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له﴾ قال ابن جريج: قال الله تعالى لموسى إنما أخفتك لقتلك النفس، ومعنى الآية لا يخيف الله الأنبياء إلا بذنب يصيبه أحدهم فإن أصابه أخافه حتى يتوب، فعلى هذا التأويل يكون صحيحاً وتناهى الخبر عن الرسل عند قوله إلا من ظلم ثم ابتدأ الخبر عن حالة من ظلم من الناس كافة وفي الآية متروك استغنى عن ذكره لدلالة الكلام عليه تقديره: فمن ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء فإني غفور رحيم وقيل ليس هذا الاستثناء من المرسلين، لأنه لا يجوز عليهم الظلم بل هو استثناء من المتروك ومعناه: لا يخاف لدي المرسلون إنما الخوف عليهم من الظالمين وهذا الاستثناء المنقطع معناه لكن من ظلم من سائر الناس فإنه يخاف فإن تاب وبدل حسناً بعد سوء فإني غفور رحيم أي أغفر له وأزيل خوفه وقيل: إلا هنا بمعنى ولا معناه ولا يخاف لدي المرسلون ولا من ظلم، ثم بدل حسناً بعد سوء يعني تاب من ظلمه فإني غفور رحيم ثم إن الله تعالى أراه آية أخرى فقال تعالى ﴿وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء﴾ قيل كانت عليه

وقوله: ﴿ إلاّ مَن ظَلَمَ ثم بدّل حُسناً بعد سوء فإني غفور رحيم ﴾، واختلف في هذا الاستثناء، قيل: هذا إشارة إلى أن موسى حين قتل القبطي خاف من ذلك، ثم تاب فقال: ربِّ إني ظلمتُ نفسي فاغفر لي، فغفر له، قال ابن جريج: قال الله تعالى لموسى: إنما أخفتُك لقتلِك النفس. وقال معنى الآية: لا يخيف الله الإنبياء إلا بذنب يصيبه أحدهم، فإن أصابه أخافه حتى يتوب، فعلى هذا التأويل يكون الاستثناء صحيحاً وتناهى الخبر عن الرُّسل عند قوله: ﴿ إلاّ مَن ظلم ﴾ ثم ابتدأ الخبر عن حال مَن ظلم من الناس كافّة، وفي الآية متروك استُغني عن ذكره بدلالة الكلام عليه، تقديره: فمَن ظَلَمَ ثم بدّل حسناً بعد سوء فإنّي غفور رحيم. قال بعض العلماء: ليس هذا باستثناء من المرسلين لأنه لا يجوز عليهم الظلم، بل هو استثناء من المتروك في الكلام، معناه لا يخاف لديّ المرسلون، إنما الخوف على غيرهم من الظالمين، إلاّ مَن ظلم ثم تاب، وهذا من الاستثناء المنقطع، معناه: لكن مَن ظلم من سائر الناس فإنه يخاف، فإن تاب وبدّل حسناً بعد سوء فإن الله غفور رحيم، يعني يغفر الله له ويُزيل الخوف عنه. وقال بعض النحويين: إلاّ ههنا بمعنى ولا، يعني: لا يخاف لديّ المرسلون ولا مَن ظلم ثم بدّل حسناً بعد سوء يقول لا يخاف لديّ المرسلون ولا المذنبون التائبون كقوله تعالى: ﴿ لئلا يكون للناس عليكم حجّة إلاّ الذين ظلموا منهم ﴾ [البقرة: ١٥٠] يعني ولا الذين ظلموا، ثم أراه الله آية أخرى فقال:

﴿ وأدخلْ يدكَ في جيبك ﴾، والجيب حيث جبب من القميص، أي قطع، قال أهل التفسير: كانت عليه مدرّعة من صوف لا كمّ لها ولا أزرار فأدخل يده في جيبه وأخرجها، فإذا هي تبرق مثل البرق، فذلك قوله: ﴿ تخرج بيضاءَ من غير سوء ﴾، من غير برص، ﴿ في تسع آيات ﴾، يقول هذه آية مع تسع آيات أنت مرسل بهنّ، ﴿ إلى فرعون وقومه إنّهم كانوا قوماً فاسقين ﴾.

مدرعة صوف لا كمَّ لها، ولا أزرار فأدخل يده في جيبها وأخرجها فإذا هي تبرق مثل شعاع الشمس أو البرق ﴿من غير سوء﴾ يعني من غير برص ﴿في تسع آيات﴾ يعني آية مع تسع آيات أنت مرسل بهن فعلى هذا تكون الآيات إحدى عشرة العصا واليد البيضاء والفلق والطوفان والجراد، والقمل والضفادع والدم والطمس والجدب في بواديهم، والنقصان في مزارعهم، وقيل: في بمعنى من أي من تسع آيات فتكون اليد البيضاء من التسع ﴿إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ يعني خارجين عن الطاعة ﴿فلما جاءتهم آياتنا مبصرة﴾ يعني بينة واضحة يبصرونها ﴿قالوا هذا﴾ يعني الذي نراه ﴿سحر مبين﴾ يعني ظاهر ﴿وجحدوا بها﴾ يعني أنكروا الآيات، ولم يقروا أنها من عند الله ﴿واستيقنتها أنفسهم﴾ يعني علموا أنها من عند الله والمعنى أنهم جحدوا بها بألسنتهم واستيقنوها بقلوبهم وضمائرهم ﴿ظلماً وعلواً﴾ أي شركاً وتكبراً عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى ﴿فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾ يعني الغرق.

قوله تعالى ﴿ولقد آتينا داود وسليمان علماً﴾ يعني علم القضاء والسياسة وعلم داود تسبيح الطير، والجبال وعلم سليمان منطق الطير والدواب ﴿وقالا الحمد لله الذي فضلنا﴾ يعني بالنبوة والكتاب والملك وتسخير الجن والإنس ﴿على كثير من عباده المؤمنين﴾ أراد بالكثير الذين فضلا عليهم من لم يؤت علماً أو لم يؤت مثل علمهما، وفيه أنهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وقيل إنهما لم يفضلا أنفسهما على الكل، وذلك يدل على حسن

﴿ فلما جاءتْهم آياتُنا مبصرةً ﴾، بيِّنة واضحة يبصر بها، ﴿ قالوا هذا سحرٌ مبين ﴾، ظاهر.

﴿ وجحدوا بها ﴾، أي أنكروا الآيات ولم يقرّوا أنها من عند الله، ﴿ واستيقنتها أنفسهم ﴾، يعني علموا أنها من عند الله، قوله: ﴿ ظلماً وعُلوّاً ﴾، يعني شركاً وتكبّراً عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى، ﴿ فانظرْ كيفَ كان عاقبة المفسدين ﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ ولقد آتينا داود وسليمان علماً ﴾، يعني علم القضاء ومنطق الطير والدواب وتسخير الشياطين وتسبيح الجبال، ﴿ وقالا الحمد لله الذي فضّلنا ﴾، بالنبوّة والكتاب وتسخير الشياطين والجن والإنس ﴿ على كثيرٍ من عباده المؤمنين ﴾.

﴿ وورث سليمان داود ﴾، نبوّته وعلمه وملكه دون سائر أولاده، وكان لداود تسعة عشر ابناً، وأُعطي سليمان ما أُعطي داود من المُلْك، وزِيدَ له تسخير الريح وتسخير الشياطين. وقال مقاتل: كان سليمان أعظم ملكاً من داود وأقضى منه، وكان داود أشدّ تعبّداً من سليمان، وكان سليمان شاكراً. لنِعَم الله تعالى، ﴿ وقال يا أيّها الناس عُلِّمنا منطقَ الطير ﴾، سمّى صوت الطير منطقاً لحصول الفهم منه، كما يُفهم من كلام الناس. رُوِيَ عن كعب قال: صاح ورشان عند سليمان عليه السلام، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: إنه يقول لِدُوا للموت وابنُوا للخراب، وصاحت فاختة، فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا، قال: إنها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا، وصاح طاوس، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: فإنه يقول كما تدين تُدان، وصاح هدهد، فقال: أتدرون ما يقول هذا؟ قالوا: لا، قال: فإنه يقول مَن لا يَرحم لا يُرحَم، وصاح صرد، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا؟ لا، قال: فإنه يقول استغفروا الله يا مذنبين، قال: وصاحت طيطوى، فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا، قال: فإنها تقول: كل حيّ ميت وكل حديد بالٍ، وصاح خطّاف، فقال: أتدرون مايقول؟ قالوا: لا، قال: فإنه يقول: قدِّموا خيراً تجدوه، وهدرت حمامة، فقال: أتدرون ما تقول: قالوا: لا، فإنها تقول: سبحان ربّي الأعلى ملء سمائه وأرضه، وصاح قمرى، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: فإنه يقول: سبحان ربّي الأعلى، قال: والغراب يدعو على العشار، والحدأة تقول: كل شيء هالك إلاّ الله، والقطاة تقول: مَن سكت سَلِمَ، والببّغاء تقول: ويل لمَن الدنيا همّه،

التواضع. قوله تعالى ﴿وورث سليمان داود﴾ يعني نبوته وعلمه، وملكه دون سائر أولاده وكان لداود تسعة عشر ابناً وأعطي سليمان ما أعطى داود وزيد له تسخير الريح، والجن والشياطين قال مقاتل: كان سليمان أعظم ملكاً من داود، وأقضى منه وكان داود أشد تعبداً من سليمان وكان سليمان شاكراً لنعم الله تعالى ﴿وقال﴾ يعني سليمان ﴿يا أيها الناس علمنا منطق الطير﴾ سمى صوت الطير منطقاً لحصول الفهم منه، وروي عن كعب الأحبار قال: صاح ورشان عند سليمان، فقال: أتدرون ما يقول هذا؟ قالوا: لا قال إنه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب وصاحت فاختة فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا لا قال إنها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وصاح طاووس فقال أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا قال: إنه يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال: أتدرون ما يقول هذا؟ قالوا: لا قال: إنه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال: أتدرون ما يقول هذا؟ قالوا: لا قال إنه يقول استغفروا ربكم يا مذنبين وصاحت طيطوى فقال أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا قال: فإنها تقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال: أتدرون ما يقول قالوا: لا قال: إنه يقول قدموا خيراً تجدوه وهدرت حمامة قال: أتدرون ما تقول قالوا: لا قال: إنها تقول سبحان ربي الأعلى ملء سمائه وأرضه وصاح قمري قال أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا قال إنه يقول سبحان ربي الدائم قال والغراب يدعو على العشار والحدأة تقول كل شيء هالك إلا وجهه، والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء تقول: ويل لمن كانت الدنيا همه. والضفدع يقول سبحان ربي القدوس والبازي يقول: سبحان ربي وبحمده والضفدعة تقول: سبحان المذكور بكل لسان.

وعن مكحول قال صاح دراج عند سليمان فقال: أتدرون ما يقول قالوا: لا قال إنه يقول الرحمن على العرش استوى وقال فرقد مر سليمان على بلبل فوق شجرة يحرك رأسه، ويميل ذنبه فقال: لأصحابه أتدرون ما يقول هذا البلبل؟ قالوا الله ونبيه أعلم قال إنه يقول أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وروي أن جماعة من اليهود قالوا لابن عباس: إنا سائلوك عن سبعة أشياء إن أخبرتنا آمنا وصدقنا قال: سلوا تفقهاً لا تعنتاً قالوا أخبرنا ما تقول القنبرة في صفيرها والديك في صعيقه، والضفدع في نقيقه والحمار في نهيقه، والفرس في صهيله وماذا يقول الزرزور والدراج قال نعم أما القنبر فإنه يقول: اللهم العن مبغض محمد وآل محمد والديك يقول اذكروا الله يا غافلين وأما

والضفدع يقول: سبحان ربّي القدّوس، **والبازي يقول:** سبحان ربي وبحمده، **والضفدعة تقول:** سبحان المذكور بكل لسان، **وعن مكحول قال:** صاح درّاج عند سليمان، **فقال:** هل تدرون ما يقول؟ **قالوا:** لا، **قال:** فإنه يقول: الرحمن على العرش استوى، **وعن فرقد السنجي قال:** مرّ سليمان على بلبل فوق شجرة يحرّك رأسه ويُميل ذنبه، **فقال لأصحابه:** أتدرون ما يقول هذا البلبل؟ **فقالوا:** الله ونبيّه أعلم، **قال:** يقول: أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء. **ورُوِيَ أن جماعة من اليهود قالوا لابن عباس:** إنّا سائلوك عن سبعة أشياء فإن أخبرتنا آمنّا وصدّقنا، **قال:** سَلوا تفقهاً ولا تسألوا تعنّتاً، **قالوا:** أخبرنا ما يقول القنبر في صفيره والديك في صعيقه والضفدع في نقيقه والحمار في نهيقه والفرس في صهيله، وماذا يقول الزرزور والدراج، **قال:** نعم، أما القنبر **فيقول:** اللّهمّ العن مُبغِضي محمد وآل محمد، وأما الديك **فيقول:** اذكروا الله يا غافلون، وأما الضفدع **فيقول:** سبحان المعبود في لجج البحار، وأما الحمار **فيقول:** اللّهمَّ العن العشار، وأما الفرس فيقول إذا التقى الصفّان سبّوح قدّوس ربّ الملائكة والروح، وأما الزرزور **فيقول:** اللّهمَّ إني أسألك قوت يوم بيوم يـا رازق، وأما الدراج **فيقول:** الرحمن على العرش استوى، **قال:** فأسلم اليهود وحَسُنَ إسلامهم، ورُوِيَ عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جدّه عن الحسين عن علي **قال:** إذا صاح النسر **قال:** يا ابن آدم عش ما شئت آخره الموت، وإذا صاح العقاب **قال:** في البعد من الناس أنس، وإذا صاح القنبر **قال:** إلّهي العن مُبغِضي محمد، وإذا صاح الخطاف قرأ الحمد لله ربّ العالمين، ويمدّ الضالّين كما

الضفدع، فإنه يقول سبحان الله المعبود في البحار وأما الحمار فإنه يقول اللهم العن العشار وأما الفرس، فإنه يقول إذا التقى الجمعان سبوح قدوس رب الملائكة والروح وأما الزرزور، فإنه يقول اللهم إني أسألك قوت يوم بيوم يا رزاق وأما الدراج فإنه يقول الرحمن على العرش استوى، فأسلم هؤلاء اليهود وحسن إسلامهم وروي عن جعفر الصادق عن أبيه عن جده الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، قال: إذا صاح النسر قال: يا ابن آدم عشت ما شئت آخره الموت، وإذا صاح العقاب قال البعد من الناس أنس، وإذا صاح القنبر قال إلهي العن مبغضي محمد وآل محمد وإذا صاح الخطاف قال الحمد لله رب العالمين ويمد العالمين كما يمد القارىء. وقوله تعالى ﴿وأوتينا من كل شيء﴾ أي مما أوتي الأنبياء، والملوك قال ابن عباس: من أمر الدنيا والآخرة وقيل النبوة والملك وتسخير الرياح والجن والشياطين ﴿إن هذا لهو الفضل المبين﴾ يعني الزيادة الظاهرة على ما أعطي غيرنا وروي أن سليمان أعطي مشارق الأرض ومغاربها فملك ذلك أربعين سنة فملك جميع الدنيا من الجن والإنس والشياطين والطير، والدواب والسباع وأعطي مع هذا منطق الطير ومنطق كل شيء وفي زمنه صنعت الصنائع العجيبة.

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وحشر﴾ أي جمع ﴿لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير﴾ من الأماكن المختلفة في مسير له ﴿فهم يوزعون﴾ أي يحبسون حتى يرد أولهم على آخرهم، قيل: كان على جنوده وزعة من النقباء ترد أولها على آخرها لئلا يتقدموا في المسير قال محمد بن كعب القرظي كان معسكر سليمان مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للإنس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش، وخمسة وعشرون للطير والفرسخ اثنا عشر ألف خطوة فالبريد ثمانية وأربعون ألف خطوة لأنه أربع فراسخ فجملة ذلك خمسة وعشرون بريداً وقيل نسجت الجن له بساطاً من ذهب

يمدّ القارىء. قوله تعالى: ﴿ **وأوتينا من كل شيء** ﴾، يُؤتى الأنبياء والملوك، قال ابن عباس: من أمر الدنيا والآخرة. وقال مقاتل: يعني النبوّة والمُلْك وتسخير الجنّ والشياطين والرياح، ﴿ **إن هذا لهو الفضل المُبين** ﴾، الزيادة الظاهرة على ما أعطى غيرنا، ورُوِيَ أن سليمان عليه السلام أُعطِيَ مُلْك مشارق الأرض ومغاربها، فملك سبعمائة سنة وستّة أشهر، مَلَكَ جميع أهل الدنيا من الجن والإنس والدواب والطير والسِّباع، وأُعطي على ذلك منطق كل شيء، وفي زمانه صُنِعَت الصنائع العجيبة.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **وحُشر لسليمان** ﴾، وجُمِعَ لسليمان، ﴿ **جنوده من الجن والإنس والطير** ﴾ في مسيره، ﴿ **فهم يُوزَعون** ﴾، فهم يكفون. قال قتادة كان على كل صف من جنوده وزعة ترد أولها إلى آخرها لئلا يتقدموا في المسير، والوازع الحابس، وهو النقيب، وقال مقاتل: يوزعون يُساقون، وقال السدي: يوقفون. وقيل: يجمعون. وأصل الوزع الكفّ والمنع، قال محمد بن كعب القرظي: كان معسكر سليمان مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للإنس، وخمسة وعشرون للجن، وخمسة وعشرون للوحش، وخمسة وعشرون للطير، وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب، فيها ثلثمائة منكوحة، وسبعمائة سَرِيّة يأمر الريح العاصف فترفعه، ويأمر الرخاء فتسير به، فأوحى الله إليه وهو يسير بين السماء والأرض، إني قد زدت في مُلْكك أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء إلّا جاءت به الريح، فأخبرتك.

وحرير، فرسخاً في فرسخ وكان يوضع كرسيه في وسطه، فيقعد وحوله كراسي الذهب والفضة فيقعد الأنبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة، والناس حوله والجن والشياطين حول الناس والوحوش حولهم وتظله الطير بأجنحتها، حتى لا تقع عليه شمس وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة منكوحة يعني حرة وسبعمائة سرية فيأمر الريح العاصف فترفعه ثم يأمر الرخاء فتسير به وأوحى الله إليه، وهو يسير بين السماء والأرض أني قد زدت في ملكك أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء إلا جاءت الريح وأخبرتك به. قوله عز وجل ﴿حتى إذا أتوا على وادي النمل﴾ أي أشرفوا على وادي النمل روي عن كعب الأحبار قال: كان سليمان إذا ركب حمل أهله وخدمه وحشمه، وقد اتخذ مطابخ ومخابز فيها تنانير الحديد والقدور العظام تسع كل قدر عشرة من الإبل، فيطبخ الطباخون ويخبز الخبازون وهو بين السماء والأرض واتخذ ميادين للدواب فتجري بين يديه والريح تهوي به فسار من اصطخر يريد اليمن فسلك على مدينة الرسول ﷺ فقال سليمان: هذه دار هجرة نبي يكون في آخر الزمان طوبى لمن آمن به، وطوبى لمن اتبعه ولما وصل مكة رأى حول البيت، أصناماً تعبد فجاوزه سليمان فلما جاوزه بكى البيت فأوحى الله إليه ما يبكيك قال يا رب أبكاني هذا نبي من أنبيائك ومعه قوم من أوليائك مروا علي، ولم يهبطوا ولم يصلوا عندي والأصنام تعبد حولي من دونك فأوحى الله إليه لا تبك، فإني سوف أملؤك وجوهاً سجداً وأنزل فيك قرآناً جديداً، وأبعث منك نبياً في آخر الزمان أحب أنبيائي إلي، وأجعل فيك عماراً من خلقي يعبدونني، وأفرض عليهم فريضة يزفون إليك زفيف النسر إلى وكرها ويحنون إليك حنين الناقة إلى ولدها والحمامة إلى بيضها، وأطهرك من الأوثان والأصنام والشيطان ثم مضى سليمان حتى مر بوادي السدير وادٍ من الطائف فأتى على وادي النمل كذا قال كعب الأحبار. وقيل: إنه بالشأم هو واد يسكنه الجن وذلك النمل مراكبهم. وقيل: إن ذلك النمل أمثال الذباب. وقيل

قوله عزّ وجلّ: ﴿ حتى إذا أتوا على وادِ النّمل ﴾، رُوِيَ عن وهب بن منبّه عن كعب قال: كان سليمان إذا ركب حمل أهله وخدمه وحشمه، وقد اتخذ مطابخ ومخابز يحمل فيها تنانير الحديد وقدور عظام يسع كل قدر عشر جزائر، وقد اتخذ ميادين للدواب أمامه فيطبخ الطبّاخون ويخبز الخبّازون وتجري الدواب بين يديه بين السماء والأرض، والريح تهوي بهم فسار من اصطخر إلى اليمن فسلك مدينة رسول الله ﷺ، فقال سليمان: هذه دار هجرة نبي في آخر الزمان طوبى لمَن آمن به وطوبى لمَن اتّبعه، ورأى حول البيت أصناماً تُعبَد من دون الله فلما جاوز سليمان البيت بكى البيت، فأوحى الله إلى البيت ما يُبكِيك؟ فقال: يا ربِّ أبكاني أن هذا نبي من أنبيائك وقوم من أوليائك مرّوا عليّ فلم يهبطوا ولم يصلّوا عندي، والأصنام تُعبَد حولي من دونك فأوحى الله إليه أنْ لا تبكِ، فإني سوف أملؤك وجوهاً سُجّداً وأنزل فيك قرآناً جديداً، وأبعث منك نبياً في آخر الزمان أحبّ أنبيائي إليّ وأجعل فيك عمّاراً من خلقي يعبدونني، وأفرض على عبادي فريضة يزفّون إليك زفيف النسور إلى وكرها، ويحنّون إليك حنين الناقة إلى ولدها والحمامة إلى بيضتها، وأُطهّرك من الأوثان وعَبَدَة الشياطين، ثم مضى سليمان حتى مرّ بوادي السدير وادٍ من الطائف، فأتى على وادي النمل، هكذا قال كعب: إنه وادٍ بالطائف، وقال قتادة ومقاتل: هو أرض بالشام. وقيل: وادٍ كان يسكنـه الجنّ، وأولئك النمل مراكبهم. وقال نوف الحميري: كان نمل ذلك الوادي أمثال الذُباب. وقيل: كالبخاتي. والمشهور: أنه النمل الصغير. وقال الشعبي: كانت تلك النملة ذات جناحين. وقيل: كانت نملة عرجاء فنادت، ﴿ قالت نملةٌ يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم ﴾، ولم تقل ادخلن لأنه لمّا جعل لهم قولاً كالآدميين خوطبوا بخطاب الآدميين، ﴿ لا يحطِمَنّكم ﴾، لا يكسرنّكم، ﴿ سليمان وجنوده ﴾، والحطم الكسر، ﴿ وهم لا يشعرون ﴾، فسمع سليمان قولها، وكان لا يتكلم خلق إلا حملت الريح ذلك فألقته في مسامع سليمان، قال مقاتل: سمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال، قال الضحاك: كان اسم تلك النملة طاحية، قال مقاتل: كان

كالبخاتي والمشهور أنه النمل الصغير ﴿قالت نملة﴾ قيل: كانت عرجاء وكانت ذات جناحين وقيل اسمها طاخية وقيل جرمى ﴿يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم﴾ ولم يقل ادخلن لأنه جعل لهم عقولاً كالآدميين فخوطبوا خطاب الآدميين وهذا ليس بمستبعد أن يخلق الله فيها عقلاً ونطقاً فإنه قادر على ذلك ﴿لا يحطمنكم﴾ أي لا يكسرنكم ﴿سليمان وجنوده وهم لا يشعرون﴾ قال أهل التفسير. علمت النملة أن سليمان نبي ليس فيه جبروتية ولا ظلم، ومعنى الآية أنكم لو لم تدخلوا وطؤوكم، ولم يشعروا فسمع سليمان قولها من ثلاثة أميال وكان لا يتكلم أحد بشيء إلا حملته الريح حتى تلقيه إلى مسامع سليمان، فلما بلغ وادي النمل حبس جنوده حتى دخلوا بيوتهم. فإن قلت: كيف يتصور الحطم من سليمان وجنوده وهو فوق البساط على متن الريح، قلت كأنهم أرادوا النزول عند منقطع الوادي، فلذلك قالت نملة: لا يحطمنكم سليمان وجنوده لأنهم ما دامت الريح تحملهم لا يخاف حطمهم ﴿فتبسم ضاحكاً من قولها﴾ قيل أكثر ضحك الأنبياء تبسم وقيل معنى ضاحكاً متبسماً، وقيل: كان أوله التبسم وآخره الضحك (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما رأيت النبي صلّى الله عليه وسلّم مستجمعاً قط ضاحكاً حتى أرى منه لهواته إنما كان يتبسم» عن عبدالله بن الحارث بن جزء قال «ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم» أخرجه الترمذي. فإن قلت: ما كان سبب ضحك سليمان. قلت شيئان: أحدهما ما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم، وذلك قولها وهم لا يشعرون يعني أنهم لو شعروا ما يفعلون. الثاني سروره بما آتاه الله مما لم يؤت أحداً من إدراك سمعه، ما قالته النملة وقيل: إن الإنسان إذا رأى أو سمع ما لا عهد له به تعجب وضحك، ثم إن سليمان حمد ربه على ما أنعم به عليه ﴿وقال رب أوزعني﴾ أي ألهمني ﴿أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾ أي أدخلني في جملتهم، وأثبت اسمي مع أسمائهم واحشرني في زمرتهم.

اسمها جرمى، فإن قيل كيف يتصوّر الحطم من سليمان وجنوده وكانت الريح تحمل سليمان وجنوده على بساط بين السماء والأرض؟ قيل: كان جنوده ركباناً وفيهم مشاة على الأرض تُطوَى لهم. وقيل: يحتمل أن يكون هذا قبل تسخير الله الريح لسليمان: قال أهل التفسير: علم النمل أن سليمان نبي ليس فيه جبرية ولا ظلم. ومعنى الآية أنكم لو لم تدخلوا مساكنكم وطؤوكم ولم يشعروا بكم، ويُروَى أن سليمان لمّا بلغ وادي النمل حبس جنوده حتى دخل النمل بيوتهم.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ فتبسّم ضاحكاً من قولها ﴾، قال الزجّاج: أكثر ضحك الأنبياء التبسّم وقوله: ﴿ ضاحكاً ﴾ أي متبسّماً. قيل: كان أوله التبسّم وآخره الضحك، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا يحيىٰ بن سليمان حدّثني ابن وهب أنا عمرو وهو ابن الحارث أنا أبي النضر حدّثه عن سليمان بن يسار عن عائشة قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعاً قطّ ضاحكاً حتى أرى منه لهواته إنما كان يتبسّم، أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد الجورجاني أنا أبو القاسم الخزاعي أنا الهيثم بن كليب ثنا أبو عيسى ثنا قتيبة بن سعيد ثنا ابن لهيعة عن عبد الله بن المغيرة عن عبد الله بن الحارث بن جزء قال: ما رأيتُ أحداً أكثر تبسّماً من رسول الله ﷺ. قال مقاتل: كان ضحك سليمان من قول النملة تعجّباً لأن الإنسان إذا رأى ما لا عهد له به تعجّب وضحك ثم حمد سليمان ربّه على ما أنعم عليه، ﴿ وقال ربِّ أوزعني ﴾، ألهمني، ﴿ أن أشكر نعمتَك التي أنعمتَ عليّ وعلى والديّ وأنْ أعمل صالحاً ترضاه، وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ﴾، أي أدخلني في جملتهم، وأثبت اسمي مع أسمائهم واحشرني في زمرتهم، قال ابن عباس: يريد مع إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، ومَن بعدهم من النبيّين. وقيل: أدخلني الجنة برحمتك من عبادك الصالحين.

قال ابن عباس: يريد مع إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين وقيل: أدخلني الجنة مع عبادك الصالحين. قوله عز وجل ﴿**وتفقد الطير**﴾ أي طلبها وبحث عنها والمعنى أنه طلب ما فقد من الطير ﴿**فقال ما لي لا أرى الهدهد**﴾ وكان سبب تفقده الهدهد وسؤاله عنه إخلاله بالنوبة، وذلك أن سليمان كان إذا نزل منزلاً تظله وجنده الطير من الشمس، فأصابته الشمس من موضع الهدهد فنظر فرآه خالياً. وروي عن ابن عباس أنه كان دليله على الماء وكان يعرف موضع الماء ويرى الماء تحت الأرض كما يرى في الزجاجة، ويعرف قربه من بعده فينقر الأرض فتجيء الشياطين فيحفرونه ويستخرجون الماء منه قال سعيد بن جبير: لما ذكر ابن عباس هذا، قال نافع بن الأزرق بأوصاف، انظر ما تقول إن الصبي منا يضع الفخ ويحثو عليه التراب، فيجيء بالهدهد، وهو لا يبصر الفخ حتى يقع في عنقه، فقال له ابن عباس ويحك إذا جاء القدر حال دون البصر وفي رواية إذا نزل القضاء والقدر ذهب اللب، وعمي البصر فنزل سليمان منزلاً واحتاج إلى الماء، فطلبوه فلم يجدوه فتفقد الهدهد ليدله على الماء فقال ما لي لا أرى الهدهد على تقدير أنه مع جنوده، وهو لا يراه ثم إنه أدركه الشك فقال ﴿**أم كان من الغائبين**﴾ أي أكان وقيل بل كان من أهل الغائبين، ثم أوعده على غيبته فقال:

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿**لأعذبنه عذاباً شديداً**﴾ قيل هو أن ينتف ريشه وذنبه ويلقيه في الشمس ممعطاً لا يمتنع من النمل ولا من غيره وقيل لأودعنه القفص ولأحبسنه مع ضده، وقيل لأفرقنَّ بينه وبين إلفه ﴿**أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين**﴾ أي بحجة بينة على غيبته وكان سبب غيبة الهدهد على ما ذكره العلماء أن سليمان لما فرغ من بناء بيت المقدس، عزم على

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **وتفقّد الطير** ﴾، أي: طلبها وبحث عنها، والتفقّد طلب ما فُقِدَ، ومعنى الآية: طلب ما فقد من الطير، ﴿ **فقال ما لي لا أرى الهدهد** ﴾، أي ما للهدهد لا أراه، تقول العرب: ما لي أراك كئيباً؟ أي ما لك؟ **والهدهد**: طائر معروف، وكان سبب تفقّد الهدهد وسؤاله عنه، قيل: إخلاله بالنوبة، وذلك أن سليمان كان إذا نزل منزلاً يظلّه وجنده جناح الطير من الشمس فأصابته الشمس من موضع الهدهد، فنظر فرآه خالياً. ورُوِيَ عن ابن عباس: أن الهدهد كان دليل سليمان على الماء وكان يعرف موضع الماء ويرى الماء تحت الأرض، كما يُرَى في الزجاجة، ويعرف قُرْبَه وبُعْدَه فينقر الأرض ثم تجيء الشياطين فيسلخونه ويستخرجون الماء. قال سعيد بن جبير: لمّا ذكر ابن عباس هذا قال له نافع بن الأزرق: يا وصّاف انظر ما تقول إن الصبي منّا يضع الفخ ويحثو عليه التراب فيجيء الهدهد ولا يبصر الفخ حتى يقع في عنقه، فقال له ابن عباس: ويحك إن القدر إذا جاء حال دون البصر. وفي رواية: إذا نزل القضاء والقدر ذهب اللبّ وعَمِيَ البصر. فنزل سليمان منزلاً فاحتاج إلى الماء فطلبوا فلم يجدوا، فتفقّد الهدهد ليدلّ على الماء، فقال: ما لي لا أرى الهدهد، على تقرير أنه مع جنوده، وهو لا يراه ثم أدركه الشكّ في غيبته، فقال: ﴿ **أم كان من الغائبين** ﴾، يعني أكان من الغائبين، والميم صلة، وقيل: أم بمعنى بل، ثم أوعده على غيبته، فقال:

﴿ **لأعذبنّه عذاباً شديداً** ﴾، واختلفوا في العذاب الذي أوعده به، فأظهر الأقاويل أن ينتف ريشه وذنبه ويلقيه في الشمس ممعطاً لا يمتنع من النمل ولا من هوام الأرض. وقال مقاتل وابن حيّان: لأطلينّه بالقطران ولأشمسنّه وقيل: لأودعنّه القفص. وقيل: لأفرقنّ بينه وبين ألفه. وقيل: لأحبسنّه مع ضدّه. ﴿ **أو لأذبحنّه** ﴾، لأقطعن حلقه، ﴿ **أو لَيأتيني بسلطان مبين** ﴾، بحجّة بيّنة في غيبته، وعذر ظاهر، قرأ ابن كثير ﴿ **ليأتينني** ﴾ بنونين الأولى مشدّدة،

الخروج إلى أرض الحرم فتجهز للمسير واستصحب جنوده من الجن والإنس، والطير والوحش فحملتهم الريح فلما وافى الحرم أقام ما شاء الله أن يقيم، وكان في كل يوم ينحر طول مقامه خمسة آلاف ناقة ويذبح خمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة وقال لمن يحضر من أشراف قومه إن هذا المكان يخرج منه نبي عربي صفته كذا وكذا، يعطى النصرة على جميع من ناوأه وتبلغ هيبته مسيرة شهر، القريب والبعيد عنده في الحق سواء لا تأخذه في الله لومة لائم قالوا فبأي دين يدين يا نبي الله؟ قال: بدين الحنيفية فطوبى لمن أدركه وآمن به قالوا كم بيننا وبين خروجه يا نبي الله قال مقدار ألف سنة فليبلغ الشاهد الغائب، فإنه سيد الأنبياء وخاتم الرسل قال فأقام بمكة حتى قضى نسكه ثم خرج من مكة صباحاً، وسار نحو اليمن فوافى صنعاء زوالاً أي وقت الزوال، وذلك مسيرة شهر فرأى أرضاً حسناء تزهو خضرتها فأحب النزول بها ليصلي ويتغذى فلما نزل قال الهدهد: اشتغل سليمان بالنزول فارتفع نحو السماء لينظر إلى الدنيا، وعرضها فبينما هو ينظر يميناً وشمالاً رأى بستاناً لبلقيس فنزل إليه فإذا هو بهدهد آخر وكان اسم هدهد سليمان يعفور واسم هدهد اليمن يعفير، فقال يعفير ليعفور: من أين أقبلت وأين تريد قال أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود قال ومن سليمان بن داود؟ قال: ملك الإنس والجن والشياطين، والطير والوحش والرياح فمن أين أنت يا يعفير قال أنا من هذه البلاد قال: ومن ملكها؟ قال: امرأة يقال لها بلقيس وإن لصاحبك ملكاً عظيماً، ولكن

وقرأ الآخرون بنون واحدة مشدّدة، وكان سبب غيبته على ما ذكر العلماء أن سليمان لمّا فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج إلى أرض الحرم، فتجهّز للمسير واستصحب من الجن والإنس والشياطين والطيور والوحوش ما بلغ معسكره مائة فرسخ، فحملهم الريح فلما وافى الحرم أقام به ما شاء الله أن يقيم، وكان ينحر كل يوم بمقامه بمكة خمسة آلاف ناقة ويذبح خمسة آلاف ثور وعشرين ألف كبش، وقال لمَن حضره من أشراف قومه: إن هذا مكان يخرج منه نبي عربي صفته كذا وكذا يُعطى النصر على جميع مَن ناوأه، وتبلغ هيبته مسيرة شهر، القريب والبعيد عنده في الحق سواء، لا تأخذه في الله لومة لائم، قالوا: فبأيّ دين يدين يا نبيّ الله؟ قال: يدين بدين الحنيفية البيضاء، فطوبى لمَن أدركه وآمن به، فقالوا: كم بيننا وبين خروجه يا نبيّ الله؟ قال: مقدار ألف عام فليبلغ الشاهد منكم الغائب، فإنه سيّد الأنبياء وخاتم الرُّسل، قال: فأقام بمكة حتى قضى نسكه، ثم خرج من مكة صباحاً وسار نحو اليمن فوافى صنعاء وقت الزوال، وذلك مسيرة شهر، فرأى أرضاً حسناء تزهو خضرتها فأحبّ النزول بها ليصلّي ويتغدى ، فلما نزل قال الهدهد إن سليمان قد اشتغل بالنزول فارتفع نحو السماء لينظر إلى طول الدنيا وعرضها، ففعل ذلك فنظر يميناً وشمالاً فرأى بستاناً لبلقيس، فمال إلى الخضرة فوقع فيه فإذا هو بهدهد فهبط عليه، وكان اسم هدْهد سليمان يعفور واسم هدهد اليمن يعفير فقال يعفير اليمن ليعفور سليمان: من أين أقبلت وأين تريد؟ قال: أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود، فقال: ومَن سليمان؟ قال ملك الجن والإنس والشياطين والطير والوحش والرياح: فمن أين أنت؟ قال: أنا من هذه البلاد، قال: ومَن ملكها؟ قال: امرأة يقال لها بلقيس، وإن لصاحبكم ملكاً عظيماً ولكن ليس ملك بلقيس دونه، فإنها ملكة اليمن كلها وتحت يدها اثنا عشر ألف قائد تحت يد كل قائد مائة ألف مقاتل، فهل أنت منطلق معه حتى تنظر إلى ملكها، قال أخاف أن يتفقدني سليمان في وقت الصلاة إذا احتاج إلى الماء، قال الهدهد اليماني: إن صاحبك يسرّه أن تأتيه بخبر هذه الملكة، فانطلق معه ونظر إلى بلقيس وملكها وما رجع إلى سليمان إلاّ في وقت العصر، قال: فلما نزل سليمان ودخل عليه وقت الصلاة وكان نزل على غير ماء، فسأل الإنس والجنّ والشياطين عن الماء فلم يعلموا، فتفقّد الطير ففقد الهدهد فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عن الهدهد، فقال: أصلح الله الملك ما أدري أين هو وما أرسلته إلى مكان فغضب عند ذلك سليمان، وقال: ﴿ لأعذبنّه عذاباً شديداً ﴾ الآية ثم دعا العقاب سيد الطير فقال: عليّ بالهدهد الساعة فرفع العقاب

ليس ملك بلقيس دونه، فإنها تملك اليمن وتحت يدها أربعمائة ملك كل ملك على كورة مع كل ملك أربعة آلاف مقاتل، ولها ثلاثمائة وزير يديرون ملكها ولها اثنا عشر ألف قائد مع كل قائد اثنا عشر ألف مقاتل، فهل أنت منطلق معي حتى تنظر إلى ملكها قال أخاف أن يفقدني سليمان في وقت الصلاة إذا احتاج إلى الماء قال الهدهد اليماني إن صاحبك يسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة. قال فانطلق معه ونظر إلى بلقيس وملكها، وأما سليمان فإنه نزل على غير ماء فسأل عن الماء الإنس والجن فلم يعلموا فتفقد الهدهد فلم يره فدعا بعريف الطير، وهو النسر فسأله عن الهدهد فقال أصلح الله الملك ما أدري أين هو، وما أرسلته إلى مكان فغضب سليمان وقال لأعذبنه الآية ثم دعا العقاب وهو أشد الطير، فقال له عليّ بالهدهد هذه الساعة فرفع العقاب في الهواء حتى رأى الدنيا كالقصعة بين يدي أحدكم، ثم التفت يميناً وشمالاً فرأى الهدهد مقبلاً من نحو اليمن فانقض العقاب يريده، فعلم الهدهد أن العقاب يقصده بسوء فقال له بحق الله الذي قواك وأقدرك علي إلا ما رحمتني، ولم تتعرض لي بسوء فتركه العقاب وقال ويحك ثكلتك أمك إن نبي الله قد حلف أن يعذبك، أو أن يذبحك ثم طارا متوجهين نحو سليمان فلما انتهيا إلى العسكر تلقاه النسر والطير، فقالوا: ويلك أين غبت في يومك هذا فلقد توعدك نبي الله وأخبروه بما قال سليمان. فقال الهدهد: أو ما استثنى نبي الله قالوا بلى ولكنه قال أو ليأتيني بسلطان مبين. قال نجوت إذاً فانطلق به العقاب: حتى أتيا سليمان وكان قاعداً على كرسيه فقال العقاب قد أتيتك به يا نبي الله فلما قرب منه الهدهد رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الأرض تواضعاً لسليمان، فلما دنا منه أخذ برأسه فمده إليه. وقال له: أين كنت لأعذبنك عذاباً شديداً فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فلما سمع سليمان ذلك ارتعد وعفا عنه، ثم قال ما الذي أبطأك عني فقال الهدهد ما أخبر الله عنه بقوله تعالى ﴿فمكث غير بعيد﴾ معناه أي غير طويل ﴿فقال أحطت بما لم تحط به﴾ أي عملت ما لم تعلم وبلغت ما لم تبلغ أنت ولا جنودك ألهم الله الهدهد هذا الكلام فكافح سليمان تنبيهاً على أن أدنى خلق الله قد أحاط علماً بما لم يحط به ليكون لطفاً له في ترك الإعجاب. والإحاطة بالشيء علماً أن يعلمه من جميع جهاته حتى لا يخفى عليه منه

نفسه دون السماء حتى التزق بالهواء فنظر إلى الدنيا كالقصعة بين يدي أحدكم ثم التفت يميناً وشمالاً فإذا هو بالهدهد مقبلاً من نحو اليمن، فانقضّ العقاب نحوه يريده، فلما رأى الهدهد ذلك علم أن العقاب يقصده بسوء فناشده فقال: بحق الله الذي قوّاك وأقدرك عليّ إلّا رحمتني ولم تتعرض لي بسوء، قال فولّى عنه العقاب، وقال له ويلك ثكلتك أُمك إن نبيّ الله قد حلف أن يعذبك أو يذبحك، ثم طارا متوجهين نحو سليمان، فلما انتهيا إلى المعكسر تلقّاه النسر والطير، فقالوا له: ويلك أين غبت في يومك هذا، ولقد توعدك نبيّ الله وأخبراه بما قال، فقال الهدهد: أوَ ما استثنى رسول الله؟ قالوا: بلى، قال: أو ليأتيّني بسلطان مُبين، قال: فنجوت إذاً، ثم طار العقاب والهدهد حتى أتيا سليمان وكان قاعداً على كرسيّه، فقال العقاب: قد أتيتك به يا نبيّ الله فلما قرب الهدهد منه رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرّهما على الأرض تواضعاً لسليمان، فلما دنا منه أخذ برأسه فمدّه إليه وقال: أين كنت لأعذبنّك عذاباً شديداً؟ فقال الهدهد: يا نبيّ الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى، فلما سمع سليمان ذلك ارتعد وعفا عنه، ثم سأله فقال: ما الذي أبطأ بك عنّي؟ فقال الهدهد: ما أخبر الله عنه في قوله:

﴿ فمكث ﴾ قرأ عاصم ويعقوب ﴿ فمكث ﴾ بفتح الكاف، وقرأ الآخرون بضمّها وهما لغتان، ﴿ غير بعيد ﴾، أي غير طويل، ﴿ فقال أحطتُ بما لم تُحطْ به ﴾، والإحاطة العلم بالشيء من جميع جهاته، يقول: علمت ما لم تعلم وبلغت ما لم تبلغه أنت ولا جنودك، ﴿ وجئتُك من سبأ ﴾ قرأ أبو عمرو والبزّي عن ابن كثير من ﴿ سبأ ﴾ و﴿ لسبأ ﴾ في سورة سبأ [١٥]، مفتوحة الهمزة، وقرأ القواس عن ابن كثير ساكنة بلا همزة، وقرأ الآخرون بالجرّ، فمَن لم يجرّه جعله اسم البلد، ومَن أجراه جعله اسم رجل، فقد جاء في الحديث أن النبيّ ﷺ سُئل عن

معلوم ﴿وجئتك من سبأ﴾ قيل: هو اسم للبلد وهي مأرب والأصح أنه أسم رجل وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وقد جاء في الحديث أن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم سئل عن سبأ فقال: رحل له عشرة من البنين تيامن منهم ستة وتشاءم أربعة ﴿بنبأ﴾ أي بخبر ﴿يقين﴾ فقال سليمان وما ذاك فقال:

إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾

﴿إني﴾ أي الهدهد ﴿وجدت امرأة تملكهم﴾ هي بلقيس بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان، وكان أبوها ملكاً عظيم الشأن قد ولد له أربعون ملكاً هو آخرهم، وكان يملك أرض اليمن كلها وكان يقول لملوك الأطراف ليس أحد منكم كفؤاً لي وأبى أن يتزوج منهم فخطب إلى الجن فزوجوه منهم امرأة يقال لها ريحانة بنت السكن. قيل في سبب وصوله إلى الجن حتى خطب منهم، أنه كان كثير الصيد فربما اصطاد الجن، وهم على صورة الظباء فيخلي عنهم فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك واتخذه صديقاً، فخطب ابنته فزوجه إياها وقيل إنه خرج متصيداً فرأى حيتين يقتتلان بيضاء وسوداء، وقد ظهرت السوداء على البيضاء، فقتل السوداء وحمل البيضاء وصب عليها الماء فأفاقت، وأطلقها فلما رجع إلى داره وجلس وحده منفرداً، فإذا معه شاب جميل فخاف منه، قال: لا تخف أنا الحية البيضاء التي أحييتني والأسود الذي قتلته هو عبد لنا تمرد علينا، وقتل عدة منا وعرض عليه المال فقال: المال لا حاجة لي به. ولكن إن كان لك بنت فزوجنيها فزوجه ابنته، فولدت له بلقيس وجاء في الحديث «إن أحد أبوي بلقيس كان جنياً: فلما مات أبو بلقيس طمعت في الملك وطلبت قومها أن يبايعوها فأطاعها قوم وأبى آخرون، وملكوا عليهم

سبأ فقال: «كان رجلاً له عشرة من البنين تَيامَنَ منهم ستّة وتشاءم أربعة». ﴿ بنبأ ﴾، بخبر ﴿ يقين ﴾، فقال سليمان: وما ذاك؟ قال:

﴿ إنّي وجدت امرأة تملكهم ﴾، وكان اسمها بلقيس بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان، وكان أبوها ملكاً عظيم الشأن، قد ولد له أربعون ملكاً هو آخرهم، وكان يملك أرض اليمن كلها، وكان يقول الملوك الأطراف ليس أحد منكم كفؤاً لي، وأبى أن يتزوّج فيهم فزوّجوه امرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت السكن، فولدت له بلقيس، ولم يكن له ولد غيرها، وجاء في الحديث: إن إحدى أبويّ بلقيس كان جنياً. فلما مات أبو بلقيس طمعت في الملك فطلبت من قومها أن يبايعوها فأطاعها قوم وعصاها قوم آخرون، فملكوا عليهم رجلاً وافترقوا فرقتين كل فرقة استولت على طرف من أرض اليمن، ثم إن الرجل الذي ملكوه أساء السيرة في أهل مملكته حتى كان يمدّ يده إلى حرم رعيّته ويفجر بهنّ فأراد قومه خلعه فلم يقدروا عليه، فلما رأت ذلك بلقيس أدركتها الغيرة فأرسلت إليه تعرض نفسها عليه، فأجابها الملك، وقال: ما منعني أن أبتدئك بالخطبة إلّا اليأس منك، فقالت لا أرغب عنك كفؤ كريم، فاجمع رجال قومي واخطبني إليهم، فجمعهم وخطبها إليهم، فقالوا ألا تراها تفعل هذا، فقال لهم إنها ابتدأتني فإنه أحبّ أن تسمعوا قولها فجاؤوها فذكروا لها، فقالت: نعم أحببت الولد. فزوّجوها منه، فلما زُفّت إليه خرجت في أُناس كثير من حشمها فلما جاءته سقته الخمر حتى سكر، ثم جزّت رأسه وانصرفت من الليل إلى

رجلاً آخر يقال: إنه ابن أخي الملك وكان خبيثاً سيء السيرة في أهل مملكته، حتى كان يمد يده إلى حريم رعيته، ويفجر بهن فأراد قومه خلعه فلم يقدروا عليه فلما رأت بلقيس ذلك، أدركتها الغيرة فأرسلت إليه فعرضت نفسها عليه فأجابها الملك وقال: ما منعني أن أبتدئك بالخطبة إلا اليأس منك فقالت لا أرغب عنك لأنك كفؤ كريم، فاجمع رجال أهلي واخطبني منهم، وخطبها فقالوا لا نراها تفعل فقال: بلى إنها قد رغبت فيّ فذكروا ذلك لها فقالت: نعم فزوجوها منه فلما زفت إليه خرجت في ملأ كثير من خدمها وحشمها، فلما دخلت به سقته الخمر حتى سكر ثم قتلته وحزت رأسه وانصرفت إلى منزلها من الليل، فلما أصبحت أرسلت إلى وزرائه وأحضرتهم وقرعتهم وقالت أما كان فيكم من يأنف لكريمته أو كرائم عشيرته، ثم أرتهم إياه قتيلاً وقالت اختاروا رجلاً تملكونه عليكم فقالوا لا نرضى غيرك فملكوها وعلموا أن ذلك النكاح كان مكراً وخديعة منها (خ) عن أبي بكرة قال لما بلغ رسول الله ﷺ أن أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال «لن يفلح قوم ملكوا عليهم امرأة». قوله تعالى **﴿وأوتيت من كل شيء﴾** يعني ما تحتاج إليه الملوك من المال والعدة **﴿ولها عرش عظيم﴾** أي سرير ضخم عال. فإن قلت: كيف استعظم الهدهد عرشها على ما رأى من عظمة ملك سليمان. قلت: يحتمل أنه استعظم ذلك بالنسبة إليها، ويحتمل أنه لم يكن لسليمان مع عظم ملكه مثله وكان عرش بلقيس من الذهب مكللاً بالدر، والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر، وقوائمه من الياقوت والزمرد، وعليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق قال ابن عباس: كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعاً، في ثلاثين ذراعاً وطوله في السماء ثلاثون ذراعاً. وقيل كان طوله ثمانين في ثمانين وعلوه ثمانون وقيل: كان طوله ثمانين وعرضه أربعين وارتفاعه ثلاثون ذراعاً. قوله عز وجل إخباراً عن الهدهد **﴿وجدتها وقومها يسجدون**

منزلها، فلما أصبح الناس رأوا الملك قتيلاً ورأسه منصوب على باب دارها، فلما رأوا وعلموا أن تلك المناكحة كانت مكراً وخديعةً منها، فاجتمعوا إليها وقالوا أنت بهذا المُلْك أحق من غيرك فملّكوها. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عثمان بن الهيثم أنا عوف عن الحسن عن أبي بكرة رضي الله عنه قال لمّا بلغ رسول الله ﷺ أن أهل فارس ملكوا عليهم بنت كسرى قال: «لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة». قوله تعالى: **﴿ وأوتيت من كل شيء ﴾**، يحتاج إليه الملوك من الآلة والعُدّة، **﴿ ولها عرش عظيم ﴾**، سرير ضخم كان مضروباً من الذهب مكلّلاً بالدرّ والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر، وقوائمه من الياقوت والزمرّد عليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق، قال ابن عباس: كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعاً في ثلاثين، وطوله في السماء ثلاثون ذراعاً. وقال مقاتل: كان طوله ثمانين ذراعاً وطوله في الهواء ثمانين ذراعاً. وقيل: كان طوله ثمانين ذراعاً وعرضه أربعين ذراعاً وارتفاعه ثلاثين ذراعاً.

﴿ وجدتُها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل فهم لا يهتدون ﴾.

﴿ ألّا يسجدوا ﴾، قرأ أبو جعفر والكِسائي: «ألاَ يســجدوا» بالتخفيف وإذا وقفوا يقولون: ألاَ يأثم يبتدئون: اسجدوا، على معنى: ألا يا هؤلاء اسجدوا، وجعلوه أمراً من عند الله مستأنفاً، وحذفوا هؤلاء اكتفاءً بدلالة يا عليها، وذكر بعضهم سماعاً من العرب ألاَ يا ارحمونا، يريدون ألاَ يا قوم، قال الأخطل:

ألاَ يـا اسلمي يا هنـد هند بني بـدر ... وإن كـان حيٌّ قـاعـداً آخر الـدهـر

يريد ألاَ يا هند اسلمي، وعلى هذا يكون قوله ألاَ كلاماً معترضاً من غير القصة إما من الهدهد وإما من سليمان. قال أبو عبيدة: هذا أمر من الله مستأنف يعني يا أيها الناس اسجدوا. وقرأ الآخرون ألّا يسجدوا بالتشديد

للشمس من دون الله﴾ وذلك أنهم كانوا يعبدون الشمس، وهم مجوس ﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ المزين هو الله لأنه الفعال لما يريد، وإنما ذكر الشيطان لأنه سبب الإغواء ﴿فصدهم عن السبيل﴾ أي عن طريق الحق الذي هو دين الإسلام ﴿فهم لا يهتدون﴾ أي إلى الصواب ﴿ألا يسجدوا﴾ قرىء بالتخفيف ومعناه ألا يا أيها الناس اسجدوا وهو أمر من الله مستأنف، وقرىء بالتشديد ومعناه وزين لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا ﴿لله الذي يخرج الخبء﴾ يعني الخفي المخبأ ﴿في السموات والأرض﴾ قيل خبء السموات المطر وخبء الأرض النبات ﴿ويعلم ما تخفون وما تعلنون﴾ والمقصود من هذا الكلام الرد على من يعبد الشمس وغيرها، من دون الله لأنه لا يستحق العبادة إلا من هو قادر على من في السموات والأرض، عالم بجميع المعلومات ﴿الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم﴾ أي هو المستحق للعبادة والسجود لا غيره.

فصل

وهذه السجدة من عزائم السجود، يستحب للقارىء والمستمع أن يسجد عند قراءتها. فإن قلت: قد وصف عرش بلقيس بالعظم وعرش الله بالعظم، فما الفرق بينهما. قلت وصف عرش بلقيس بالعظم بالنسبة إليها وإلى أمثالها من ملوك الدنيا وأما عرش الله تعالى فهو بالنسبة إلى جميع المخلوقات من السموات والأرض، فحصل الفرق بينهما فلما فرغ الهدهد من كلامه ﴿قال﴾ سليمان ﴿سننظر أصدقت﴾ أي فيما أخبرت ﴿أم كنت من الكاذبين﴾ ثم إن الهدهد دلهم على الماء فاحتفروا الركايا وروى الناس والدواب، ثم إن سليمان كتب كتاباً: من عبدالله سليمان بن داود إلى

بمعنى، وزيّن لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا، ﴿ لله الذي يُخرِج الخبء ﴾، أي الخفي المخبّأ، ﴿ في السموات والأرض ﴾، أي ما خبّأت. قال أكثر المفسّرين: خبء السماء: المطر، وخبء الأرض: النبات. وفي قراءة عبد الله: (يُخرِج الخبء من السمٰوات والأرض)، ومن وفي يتعاقبان تقول العرب لأستخرجنّ العلم فيكم يريد منكم. وقيل: معنى الخبء الغيب، يريد يعلم غيب السمٰوات والأرض، ﴿ ويعلم ما تُخفون وما تُعلنون ﴾، قرأ الكسائي وحفص عن عاصم بالتاء فيهما لأن أول الآية خطاب على قراءة الكسائي بتخفيف ألَا، وقرأ الآخرون بالياء.

﴿ الله لا إلٰه إلّا هو ربُّ العرش العظيم ﴾، أي هو المستحقّ للعبادة والسجود لا غيره. وعرش ملكة سبأ وإن كان عظيماً فهو صغير حقير في جنب عرشه عزّ وجلّ، تمّ ههنا كلام الهدهد، فلما فرغ الهدهد من كلامه.

﴿ قال ﴾، سليمان للهدهد ﴿ سننظرُ أصدقتَ ﴾، فيما أخبرت، ﴿ أم كنتَ من الكاذبين ﴾، فدلّهم الهدهد على الماء فاحتفروا الركايا وروي الناس والدواب، ثم كتب سليمان كتاباً من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ: بسم الله الرحمن الرحيم السلام على مَن اتّبع الهدى أما بعد فلا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين، قال ابن جريج لم يزد سليمان على ما قصّ الله في كتابه. وقال قتادة: وكذلك كل الأنبياء كانت تكتب جُمَلاً لا يُطيلون ولا يُكثِرون، فلما كتب الكتاب طبعه بالمِسك وختمه بخاتمه. فقال للهدهد:

﴿ اذهبْ بكتابي هذا فألقهْ إليهم ﴾، قرأ أبو عمرو وعاصم وحمزة ساكنة الهاء ويختلسها أبو جعفر ويعقوب وقالون كسراً، ﴿ ثم تولّ عنهم ﴾، تَنَحّ عنهم فكنْ قريباً منهم، ﴿ فانظرْ ماذا يرجعون ﴾، يردّون من الجواب. وقال ابن زيد: في الآية تقديم وتأخير مجازها: اذهبْ بكتابي هذا فألقه إليهم فانظر ماذا يرجعون، ثم تولّ عنهم، أي انصرف إليّ فأخذ الهدهد الكتاب فأتى به إلى بلقيس، وكانت بأرض يقال لها مأرب من صنعاء على ثلاثة أيام، فوافاها في قصرها وقد غلّقت الأبواب وكانت إذا رقدت غلّقت الأبواب وأخذت المفاتيح فوضعتها تحت رأسها،

بلقيس ملكة سبأ «بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى، أما بعد أن لا تعلوا علي وأتوني مسلمين قيل لم يزد على ما نص الله في كتابه، وكذلك الأنبياء كانوا يكتبون جملاً، لا يطيلون ولا يكثرون فلما كتب سليمان الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه، وقال للهدهد ﴿**اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم**﴾ إنما قال: إليهم بلفظ الجمع لأنه جعله جواباً لقول الهدهد وجدتها وقومها يسجدون للشمس فقال: فألقه إلى الذين هذا دينهم ﴿**ثم تول عنهم**﴾ أي تنح عنهم فقف قريباً منهم ﴿**فانظر ماذا يرجعون**﴾ أي يردون من الجواب وقيل: تقدير الآية فألقه إليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنه، أي انصرف إلي فأخذ الهدهد الكتاب وأتى به إلى بلقيس وكانت بأرض مأرب من اليمن على ثلاث مراحل من صنعاء، فوجدها نائمة مستلقية على قفاها وقد غلقت الأبواب، ووضعت المفاتيح تحت رأسها وكذلك كانت تفعل إذا رقدت فأتى الهدهد وألقى الكتاب على نحرها وقيل: حمل الهدهد الكتاب بمنقاره حتى وقف على المرأة وحولها القادة والوزراء والجنود، فرفرف ساعة والناس ينظرون فرفعت بلقيس رأسها فألقى الكتاب في حجرها وقال وهب بن منبه: كانت لها كوة مستقبلة الشمس تقع فيها حين تطلع فإذا نظرت إليها سجدت لها فجاء الهدهد، وسد الكوة بجناحيه فارتفعت الشمس، ولم تعلم فلما استبطأت الشمس قامت تنظر، فرمى بالصحيفة إليها فأخذت بلقيس الكتاب، وكانت قارئة فلما رأت الخاتم ارتعدت، وخضعت لأن ملك سليمان كان في خاتمه وعرفت أن الذي أرسل الكتاب أعظم ملكاً منها فقرأت الكتاب وتأخر الهدهد غير بعيد وجاءت هي حتى قعدت على سرير ملكها، وجمعت الملأ من قومها وهم الأشراف وقال ابن عباس كان مع بلقيس مائة قيل مع كل قيل مائة ألف والقيل ملك دون الملك الأعظم وقيل كان أهل مشورتها ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، كل رجل منهم على عشرة آلاف فلما جاؤوا وأخذوا مجالسهم.

﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ۝٢٩ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ۝٣١ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ۝٣٢ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ۝٣٣ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ۝٣٤ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٣٥﴾

﴿**قالت**﴾ لهم بلقيس ﴿**يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم**﴾ قيل سمته كريماً لأنه كان مختوماً، روى ابن

فأتاها الهدهد وهي نائمة مستلقية على قفاها، فألقى الكتاب على نحرها، هذا قول قتادة، وقال مقاتل: حمل الهدهد الكتاب بمنقاره حتى وقف على رأس المرأة وحولها القادة والجنود فرفرف ساعة والناس ينظرون إليه، حتى رفعت المرأة رأسها فألقى الكتاب في حجرها، وقال ابن منبّه وابن زيد: كانت لها كوّة مستقبِلة الشمس تقع الشمس فيها حين تطلع، فإذا نظرت إليها سجدت لها، فجاء الهدهد الكوّة فسدّها بجناحه فارتفعت الشمس ولم تعلم فلما استبطأت الشمس قامت تنظر، فرمى بالصحيفة إليها فأخذت بلقيس الكتاب وكانت قارئة فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لأن ملك سليمان كان في خاتمه، وعرفت أن الذي أرسل الكتاب إليها أعظم ملكاً منها، فقرأت الكتاب وتأخر الهدهد غير بعيد فجاءت حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت الملأ من قومها، وهم اثنا عشر ألف قائد مع كل قائد مائة ألف مقاتل. وعن ابن عباس قال: كان مع بلقيس مائة ألف، قيل: كان مع كل مائة ألف، والفيل الملك دون الملك الأعظم. وقال قتادة ومقاتل: كان أهل مشورتها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً كل رجل منهم على عشرة آلاف، قال: فجاؤوا وأخذوا مجالسهم.

﴿ قالت ﴾، لهم بلقيس، ﴿ يا أيها الملأ ﴾، وهم أشراف الناس وكبراؤهم ﴿ إني أُلقيَ إليّ كتاب كريم ﴾،

عباس عن النبيّ ﷺ قال «كرامة الكتاب ختمه» وقال ابن عباس: كريم أي شريف لشرف صاحبه، ثم بينت ممن الكتاب فقالت ﴿إنه من سليمان﴾ قرأت المكتوب فيه فقالت ﴿وإنه بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فإن قلت لم قدم إنه من سليمان على بسم الله. قلت: ليس هو كذلك بل ابتدأ سليمان ببسم الله الرحمن الرحيم وإنما ذكرت بلقيس، أن هذا الكتاب من سليمان ثم ذكرت ما في الكتاب فقالت: وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ألا تعلوا علي﴾ قال ابن عباس: لا تتكبروا علي. والمعنى لا تمتنعوا من الإجابة فإن ترك الإجابة، من العلو والتكبر ﴿وأتوني مسلمين﴾ أي طائعين مؤمنين وقيل من الاستسلام وهو الانقياد ﴿قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري﴾ أي أشيروا علي فيما عرض لي ﴿ما كنت قاطعة أمراً﴾ أي قاضية وفاصلة ﴿حتى تشهدون﴾ أي تحضرون ﴿قالوا﴾ يعني الملأ مجيبين لها ﴿نحن أولو قوة﴾ أي في الجسم على القتال ﴿وأولو بأس شديد﴾ أي عند الحرب وقيل أرادوا بالقوة كثرة العدد والبأس والشجاعة وهذا تعريض منهم بالقتال أي إن أمرتهم بذلك ثم قالوا ﴿والأمر إليك﴾ أيتها الملكة أي في القتال وتركه ﴿فانظري ماذا تأمرين﴾ أي تجدين مطيعين لأمرك ﴿قالت﴾ بلقيس مجيبة لهم عن التعريض للقتال وما يؤول إليه أمره ﴿إن الملوك إذا دخلوا قرية﴾ أي عنوة ﴿أفسدوها﴾ أي خربوها ﴿وجعلوا أعزة أهلها أذلة﴾ أي أهانوا أشرافها وكبراءها كي يستقيم لهم الأمر تحذرهم بذلك مسير سليمان إليهم ودخوله بلادهم ثم تناهى الخبر عنها هنا، وصدق الله قولها فقال تعالى ﴿وكذلك يفعلون﴾ أي كما قالت هي يفعلون وقيل هو من قولها وهو للتأكيد لما قالت ثم قالت ﴿وإني مرسلة إليهم بهدية﴾ يعني

قال عطاء والضحاك: سمّته كريماً لأنه كان مختوماً. وروى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «كرامة الكتاب ختمه» وقال قتادة ومقاتل: كتاب كريم أي حَسَن، وهو اختيار الزجّاج، وقال حسن ما فيه، ورُوِيَ عن ابن عباس: كريم أي شريف لشرف صاحبه، وقيل: سمّته كريماً لأنه كان مُصَدّراً ببسم الله الرحمن الرحيم، ثم بيّنت الكتاب.

فقالت: ﴿ إنّه من سليمان ﴾، وبيّنت المكتوب فقالت: ﴿ وإنّه بسم الله الرحمن الرحيم ﴾.

﴿ ألّا تعلُوا عليّ ﴾، قال ابن عباس: أي لا تتكبّروا عليّ. وقيل: لا تتعظّموا ولا ترفعوا عليّ. وقيل: معناه لا تمتنعوا عليّ من الإجابة، فإن ترك الإجابة من العلوّ والتكبّر، ﴿ وأتوني مسلمين ﴾، مؤمنين طائعين. قيل هو من الإسلام، وقيل: هو من الاستسلام.

﴿ قالتْ يا أيها الملأ أفتوني في أمري ﴾، أشيروا عليّ فيما عرض لي وأجيبوني فيما أُشاوركم فيه ﴿ ما كنتُ قاطعةً ﴾، قاضيةً وفاصلةً، ﴿ أمراً حتى تشهدون ﴾، أي تحضرون.

﴿ قالوا ﴾، مجيبين لها، ﴿ نحنُ أُولوا قوّة ﴾، في القتال، ﴿ وأُولوا بأس شديد ﴾، عند الحرب، قال مقاتل: أرادوا بالقوة كثرة العدد وبالبأس الشديد الشجاعة، وهذا تعريض منهم بالقتال إن أمرتهم بذلك ثم قالوا: ﴿ والأمر إليك ﴾، أيتها الملكة في القتال وتركه، ﴿ فانظري ﴾، من الرأي، ﴿ ماذا تأمرين ﴾، تجدين لأمرك مطيعين.

﴿ قالت ﴾، بلقيس مُجيبة لهم عن التعريض للقتال، ﴿ إنّ الملوك إذا دخلوا قرية ﴾، عنوة، ﴿ أفسدوها ﴾، خرّبوها، ﴿ وجعلوا أعزّة أهلها أذلّة ﴾، أي أهانوا أشرافها وكُبَراءها، كي يستقيم لهم الأمر تحذّرهم مسير سليمان إليهم ودخوله بلادهم، وتناهى الخبر عنها ههنا، فصدّق الله قولها فقال ﴿ وكذلك يفعلون ﴾، أي كما قالت هي يفعلون.

إلى سليمان وقومه آصانعه بها على ملكي، وأختبره بها أملك هو أم نبي فإن كان ملكاً قبل الهدية ورجع، وإن كان نبياً لم يقبل الهدية، ولم يرضه منا إلا أن نتبعه في دينه وهو قولها ﴿فناظرة بم يرجع المرسلون﴾ وذلك أن بلقيس كانت امرأة لبيبة عاقلة قد ساست الأمور، وجربتها فأهدت وصفاء ووصائف.

قال ابن عباس: مائة وصيف ومائه وصيفة قال وهب وغيره عمدت بلقيس إلى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية، فألبست الجواري لبس الغلمان الأقبية والمناطق، وألبست الغلمان لبس الجواري وجعلت في أيديهم أساور الذهب، وفي أعناقهم أطواق الذهب وفي آذانهم أقرطة، وشنوفاً مرصعات بأنواع الجواهر وحملت الجواري على خمسمائة رمكة، والغلمان على خمسمائة برذون على كل فرس سرج من الذهب مرصع بالجواهر، وأغشية الديباج وبعثت إليه لبنات من الذهب ولبنات من الفضة وتاجاً مكللاً بالدر والياقوت، وأرسلت بالمسك والعنبر والعود اليلنجوج وعمدت إلى حق جعلت فيه درة بقيمة ثمينة غير مثقوبة، وخرزة جزع معوجة الثقب ودعت رجلاً من أشراف قومها يقال له: المنذر بن عمرو وضمت إليه رجالاً من قومها أصحاب عقل ورأي وكتبت مع المنذر كتاباً تذكر فيه الهدية، وقالت: إن كنت نبياً ميز بين الوصفاء والوصائف، وأخبرنا بما في الحق قبل أن تفتحه واثقب الدرة ثقباً

ثم قالت: ﴿ وإني مُرسلة إليهم بهدية ﴾، والهدية هي العطية على طريق الملاطفة، وذلك أن بلقيس كانت امرأة لبيبة قد سيست وساست، فقالت للملأ من قومها: إني مُرسِلة إليهم أي إلى سليمان وقومه بهدية أُصانعه بها عن مُلكي وأختبره بها أملكٌ هو أو نبي؟ فإن يكن ملكاً قبل الهدية وانصرف، وإن كان نبيّاً لم يقبل الهدية ولم يُرضِه منّا إلّا أن نتّبعه على دينه، فذلك قوله تعالى: ﴿ فناظرةٌ بِمَ يرجعُ المرسلون ﴾، فأهدت إليه وصفاء ووصائف، قال ابن عباس: ألبستهم لباساً واحداً كي لا يعرف الذَّكر من الأنثى. وقال مجاهد: أَلبسَ الغلمان لباس الجواري وأَلبسَ الجواري ألبسة الغلمان، واختلفوا في عددهم، فقال ابن عباس: مائة وصيف ومائة وصيفة، وقال مجاهد ومقاتل: مائتا غلام ومائتا جارية. وقال قتادة وسعيد بن جبير: أرسلت إليه بلَبِنة من ذهب في حرير وديباج. وقال ثابت البناني: أهدت إليه صفائح من الذهب في أوعية الديباج. وقيل: كانت أربع لَبِنات من ذهب. وقال وهب وغيره: عمدت بلقيس إلى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية، فألبست الغلمان لباسَ الجواري، وجعلت في سواعدهم أساور من ذهب، وفي أعناقهم أطواقاً من ذهب وفي آذانهم أقراطاً وشنوفاً مرصّعات بأنواع الجواهر، وألبست الجواري لباس الغلمان الأقبية والمناطِق، وحملت الجواري على خمسمائة رمكة والغلمان على خمسمائة برذون، على كل فرس لجام من ذهب مرصّع بالجواهر وغواشيها من الديباج الملوّن، وبعثت إليه خمسمائة لَبِنة من ذهب وخمسمائة لَبِنة من فضة وتاجاً مكلّلاً بالدرّ والياقوت المرتفع، وأرسلت إليه المسك والعنبر والعود اليلنجوج وعمدت إلى حقّة فجعلت فيها درّة ثمينة غير مثقوبة وخرزة جزعية مثقوبة معوجّة الثقب، ودعت رجلاً من أشراف قومها يُقال له المنذر بن عمرو، وضمّت إليه، رجالاً من قومهما أصحاب رأي وعقل، وكتبت معه كتاباً بنسخة الهدية، وقالت فيه إن كنت نبيّاً فميزْ لي بيْنِ الوصائف والوصفاء، وأخبرني بما في الحقّة قبل أن تفتحها واثقب الدرّ ثقباً مستوياً وأدخل خيطاً في الخرزة المثقوبة من غير علاج إنس ولا جنّ، وأمرت بلقيس الغلمان فقالت إذا كلّمكم سليمان فكلّموه بكلام تأنيث وتخنيث يشبه كلام النساء، وأمرت الجواري أن يكلّمنه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال، ثم قالت للرسول: انظر إلى الرجل إذا دخلت عليه فإن نظر إليك نظر غضب فاعلم أنه ملك ولا يهولنّك منظره، فإنّا أعزّ منه، وإن رأيت الرجل بشّاشاً لطيفاً فاعلم أنه نبيّ مُرسَل فتفهّم قوله، وردّ الجواب، فانطلق الرسول بالهدايا، وأقبل الهدهد مسرعاً إلى سليمان فأخبره الخبر كله فأمر سليمان الجن أن يضربوا لَبِنات الذهب ولَبِنات الفضة ففعلوا، ثم أمرهم أن يبسطوا من موضعه الذي هو فيه إلى تسعة فراسخ ميداناً واحداً بلَبِنات الذهب والفضة وأن يجعلوا حول

مستوياً وأدخل في الخرزة خيطاً من غير علاج إنس ولا جن، وأمرت بلقيس الغلمان فقالت: إذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام تأنيث وتخنيث يشبه كلام النساء، وأمرت الجواري أن يكلمنه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال، ثم قالت للرسول انظر إذا دخلت، فإن نظر إليك نظراً فيه غضب فاعلم أنه ملك فلا يهولنك أمره ومنظره فأنا أعز منه وإن رأيت الرجل بشاشاً لطيفاً فافهم أنه نبي فتفهم قوله ورد الجواب فانطلق الرسول بالهدايا، وأقبل الهدهد مسرعاً إلى سليمان، فأخبره فأمر سليمان الجن أن يضربوا لبناً من الذهب والفضة، ففعلوا وأمرهم بعمل ميدان مقدار تسعة فراسخ وأن يفرشوا لبن الذهب والفضة، وأن يخلوا مقدار تلك اللبنات التي معهم وأن يعملوا حائطاً شرفه من الذهب والفضة، ففعلوا ثم قال أي دواب البر والبحر أحسن فقالوا يا نبي الله ما رأينا أحسن من دابة من دواب البحر يقال لها كذا وكذا مختلفة ألوانها لها أجنحة وأعراف ونواص، قال: علي بها الساعة فأتوا بها قال شدوها بين يمين الميدان وشماله ثم قال للجن علي بأولادكم، فاجتمع منهم خلق كثير فأقامهم على يمين الميدان، وعلى شماله وأمر الإنس والجن والشياطين، والوحوش والطير والسباع فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله، فلما دنا القوم إلى الميدان ونظروا إلى ملك سليمان رأوا أول الأمر الدواب، التي لا يرى مثلها تروث في لبنات الذهب والفضة، فلما رأوا ذلك تقاصرت أنفسهم وخبؤوا ما معهم من الهدايا وقيل إن سليمان فرش الميدان بلبنات الذهب والفضة، وترك على طريقهم موضعاً على قدر ما معهم من اللبن في ذلك الموضع فلما رأى الرسل موضع اللبنات خالياً خافوا أن يتهموا بذلك، فوضعوا ما معهم من اللبن في ذلك الموضع، ولما رأوا الشياطين هالهم ما رأوا وفزعوا فقالت لهم الشياطين جوزوا لا بأس عليكم، فكانوا يمرون على كردايس الإنس والجن والوحش والطير حتى وقفوا بين يدي سليمان، فأقبل عليهم بوجه طلق وتلقاهم تلقياً حسناً، وسألهم عن حالهم فأخبره رئيس القوم بما جاؤوا فيه وأعطوه كتاب الملكة فنظر فيه، وقال

الميدان حائطاً شُرفها من الذهب والفضة، ثم قال أيّ الدواب أحسن مما رأيتم في البرّ والبحر، قالوا: يا نبيّ الله إنّا رأينا دواب في بحر كذا وكذا منقّطة مختلفة ألوانها لها أجنحة وأعراف ونواص، فقال: عليّ بها الساعة، فأتوا بها، فقال شدّوها عن يمين الميدان وعن يساره على لَبِنات الذهب والفضة، وألقُوا لها علوفتَها فيها، ثم قال للجن: عليّ بأولادكم فاجتمع خلق كثير فأقامهم على يمين الميدان ويساره، ثم قعد سليمان في مجلسه على سريره ووضع له أربعة آلاف كرسي عن يمينه ومثلها عن يساره، وأمر الشياطين أن يصطفّوا صفوفاً فراسخ، وأمر الإنس فاصطفّوا فراسخ وأمر الوحوش والسِّباع والهوام والطير، فاصطفّوا فراسخ عن يمينه وعن يساره، فلما دنا القوم من الميدان ونظروا إلى ملك سليمان ورأوا الدواب التي لم ترَ أعينُهم مثلها تروث على لَبِنِ الذهب والفضة، تقاصرت أنفسهم ورموا بما معهم من الهدايا، وفي بعض الروايات أن سليمان لمّا أمر بفرش الميدان بلَبِنات الذهب والفضة أمرهم أن يتركوا على طريقهم موضعاً على قدر موضع اللَّبِنات التي معهم، فلما رأى الرُّسل موضع اللَّبِنات خالياً وكانت الأرض مفروشة خافوا أن يُتّهموا بذلك فطرحوا ما معهم في ذلك المكان، فلما رأوا الشياطين نظروا إلى منظر عجيب ففزعوا فقالت لهم الشياطين جوزوا فلا بأس عليكم، فكانوا يمرّون على كردوس كردوس من الجن والإنس والطير والهوام والسِّباع والوحوش، حتى وقفوا بين يدي سليمان، فنظر إليهم سليمان نظراً حسناً بوجه طلق، وقال: ما وراءكم فأخبره رئيس القوم بما جاؤوا له وأعطاه كتاب الملكة فنظر فيه، ثم قال: أين الحقّة فأُتِيَ به فحرّكها وجاء جبريل فأخبره بما في الحقّة، فقال: إن فيها درّة ثمينة غير مثقوبة وجزعة مثقوبة معوجّة الثقب، فقال الرسول: صدقت فاثقب الدرّة، وأدخل الخيط في الخرزة، فقال سليمان: مَن لي بثقبها فسأل سليمان الإنس ثم الجن فلم يكن عندهم علم ذلك ثم سأل الشياطين، فقالوا: نرسل إلى الأرضة فجاءت الأرضة فأخذت شعرة في فِيْها فدخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان: ما حاجتك؟ فقالت: تصيّر رزقي في الشجرة، فقال: لك

أين الحق؟ فأتى به فحركه فجاءه جبريل فأخبره بما فيه، فقال لهم: أن فيه درة ثمينة غير مثقوبة وخرزة معوجة الثقب قال الرسول: صدقت فاثقب الدرة وأدخل الخيط في الجزعة فقال سليمان: من لي بثقبها وسأل الإنس والجن، فلم يكن عندهم علم ثم سأل الشياطين فقالوا: نرسل إلى الأرضة فلما جاءت الأرضة أخذت شعرة في فيها ودخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر فقال سليمان ما حاجتك قالت: تصير رزقي في الشجر. فقال: لك ذلك ثم قال من لي بهذه الخرزة فقالت دودة بيضاء أنا لها يا نبي الله فأخذت الدودة الخيط في فيها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر. فقال لها سليمان: ما حاجتك فقالت يكون رزقي في الفواكه قال: لك ذلك ثم ميز بين الغلمان والجواري، بأن أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم فجعلت الجارية تأخذ الماء بيدها، تضرب بها الأخرى وتغسل وجهها والغلام يأخذ الماء بيديه ويغسل به وجهه، وكانت الجارية تصب الماء على باطن ساعدها والغلام على ظاهره فميز بين الغلمان والجواري، ثم رد سليمان الهدية كما أخبر الله تعالى فقال تعالى:

﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾

﴿فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال فما آتاني الله﴾ أي ما أعطاني من الدين والنبوة والحكمة والملك ﴿خير﴾ أي أفضل ﴿مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون﴾ معناه أنتم أهل مفاخرة ومكاثرة بالدنيا تفرحون بإهداء بعضكم إلى بعض، وأما أنا فلا أفرح بالدنيا وليست الدنيا من حاجتي لأن الله قد أعطاني منها ما لم يعط أحداً ومع ذلك أكرمني بالدين والنبوة، ثم قال للمنذر بن عمرو أمير الوفد ﴿ارجع إليهم﴾ أي بالهدية ﴿فلنأتينهم بجنود لا قبل﴾ أي لا طاقة

ذلك. ورُوِيَ أنها جاءت دودة تكون في الصفصاف فقالت: أنا أُدخل الخيط في الثقب على أن يكون رزقي في الصفصاف، فجعل لها ذلك فأخذت الخيط بفِيْها ودخلت الثقب وخرجت من الجانب الآخر، ثم قال: مَن لهذه الخرزة فيسلكها في الخيط؟ فقالت دودة بيضاء: أنا لها يا رسول الله فأخذت الدودة الخيط في فِيْها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر، فقال لها سليمان: ما حاجتك؟ فقالت: تجعل رزقي في الفواكه، قال: لك ذلك، ثم ميّز بين الجواري والغلمان، بأن أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم، فجعلت الجارية تأخذ الماء من الآنية بإحدى يديها ثم تجعله على اليد الأخرى ثم تضرب به الوجه، والغلام كما يأخذه من الآنية يضرب به وجهه، وكانت الجارية تصبّ الماء على بطن ساعدها والغلام على ظهر الساعد، وكانت الجارية تصبّ الماء صبّاً وكان الغلام يحدر الماء على يديه حدراً، فميّز بينهم بذلك، ثم ردّ سليمان الهدية.

كما قال الله تعالى: ﴿ فلما جاء سليمان قال أتمدُّونَنِ بمالٍ ﴾، قرأ حمزة ويعقوب (أتمدوني) بنون واحدة مشدّدة وإثبات الياء، وقرأ الآخرون بنونين خفيفتين، ويثبت الياء أهل الحجاز والبصرة، والآخرون يحذفونها، ﴿ فما آتاني الله ﴾، أعطاني الله من النبوّة والدين والحكمة والمُلْك، ﴿ خير ﴾ أفضل، ﴿ مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ﴾، لأنكم أهل مفاخرة في الدنيا ومكاثرة بها تفرحون بإهداء بعضكم إلى بعض، فأما أنا فلا أفرح بها وليست الدنيا من حاجتي لأن الله تعالى قد مكّنني فيها وأعطاني منها ما لم يُعطِ أحداً، ومع ذلك أكرمني بالدين والنبوّة، ثم قال للمنذر بن عمرو وأمير الوفد:

﴿ ارجعْ إليهم ﴾، بالهدية، ﴿فلنأتينّهم بجنود لا قِبَلَ لهم ﴾، لا طاقة لهم، ﴿ بها ولنخرجنّهم منها ﴾، أي

﴿لهم بها ولنخرجنهم منها﴾ أي من أرض سبأ ﴿أذلة وهم صاغرون﴾ أي إن لم يأتوني مسلمين قال وهب وغيره من أهل الكتاب: لما رجعت رسل بلقيس إليها أي من عند سليمان، وبلغوها ما قال سليمان قالت والله لقد عرفت ما هذا بملك وما لنا به من طاقة. فبعثت إلى سليمان إني قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك، وما الذي تدعو إليه من دينك، ثم أمرت بعرشها فجعلته في آخر سبعة أبيات بعضها داخل بعض ثم أغلقت عليه سبعة أبواب، ووكلت به حراساً يحفظونه ثم قالت لمن خلفت على ملكها احتفظ بما قبلك وسرير ملكي لا يخلص إليه أحد، ثم أمرت منادياً ينادي في أهل مملكتها تؤذنهم بالرحيل، وشخصت إلى سليمان في اثني عشر ألف قيل من ملوك اليمن كل قيل تحت يده ألوف كثيرة، قال ابن عباس: وكان سليمان رجلاً مهيباً لا يبتدأ بشيء حتى يكون هو الذي يسأل عنه. فخرج يوماً فجلس على سريره فرأى رهجاً قريباً منه قال ما هذا؟ قالوا: بلقيس قد نزلت منا بهذا المكان وكان على مسيرة فرسخ من سليمان فأقبل سليمان على جنوده ﴿قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين﴾ قال ابن عباس يعني طائعين وقيل مؤمنين. قيل: غرض سليمان في إحضار عرشها ليريها قدرة الله تعالى وإظهار معجزة دالة على نبوته، وقيل أراد أن ينكره ويغيره قبل مجيئها ليختبر بذلك عقلها وقيل: إن سليمان علم أنها إن أسلمت يحرم عليه مالها فأراد أن يأخذ سريرها قبل أن يحرم عليه أخذه لأنه أعجبه وصفه، لما وصفه له الهدهد وقيل أراد أن يعرف قدر ملكها لأن السرير على قدر المملكة ﴿قال عفريت من الجن﴾ وهو المارد القوي، وقال ابن عباس العفريت الداهية قال وهب: اسمه كوذي. وقيل: ذكوان. وقيل: هو صخر المارد وكان مثل الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه ﴿أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك﴾ أي مجلس قضائك قال ابن عباس: وكان له في الغداة مجلس يقضي فيه إلى متسع

من أرضهم وبلادهم وهي سبأ، ﴿ أذلَّةً وهم صاغرون ﴾، ذليلون إن لم يأتوني مسلمين، قال وهب وغيره من أهل الكتب: فلما رجعت رسل بلقيس إليها من عند سليمان قالت قد عرفت والله ما هذا بملك وما لنا به طاقة، فبعثت إلى سليمان إني قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما تدعو إليه من دينك، ثم أمرت بعرشها فجُعِلَ في آخر سبعة أبيات بعضها في بعض في آخر قصر من سبعة قصور لها ثم أغلقت دونه الأبواب ووكّلت به حرّاساً يحفظونه ثم قالت لمَن خلفت على سلطانها احتفظ بما قبلك وسرير مُلْكي لا يخلص إليه أحد ولا يقربه حتى آتيك، ثم أمرت مُنادياً ينادي في أهلِ مملكتها يؤذنهم بالرحيل، وشخصت إلى سليمان في اثني عشر ألف، قيل: من ملوك اليمن، تحت يدي كلِّ قيل ألوفٌ كثيرة، قال ابن عباس: وكان سليمان رجلاً مهيباً لا يبتدأ بشيء حتى يكون هو الذي يسأل عنه، فخرج يوماً فجلس على سرير مُلْكه فرأى وهجاً قريباً منه، فقال: ما هذا؟ قالوا بلقيس وقد نزلت منّا بهذا المكان، وكان على مسيرة فرسخ من سليمان، قال ابن عباس وكان بين الكوفة والحيرة مسيرة قدر فرسخ، فأقبل سليمان حينئذ على جنوده.

﴿ قال يا أيها الملأ أيّكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين ﴾، أي مؤمنين، وقال ابن عباس: طائعين، واختلفوا في السبب الذي لأجله أمر سليمان بإحضار عرشها، فقال أكثرهم: لأن سليمان علم أنها إن أسلمت يحرم عليه مالها فأراد أن يأخذ سريرها قبل أن يحرم عليه أخذه بإسلامها، وقيل: ليُرِيها قدرة الله وعظم سلطانه في معجزة يأتي بها في عرشها، وقال قتادة لأنه أعجبته صفته لما وصفه الهدهد فأحبَّ أن يراه. قال ابن زيد: أراد أن يأمر بتنكّره وتغييره ليختبر بذلك عقلها.

﴿ قال عفريتٌ من الجن ﴾، وهو المارد القوي، قال وهب: اسمه كوذى، وقيل: ذكوان، قال ابن عباس: العفريت الداهية. وقال الضحاك: هو الخبيث. وقال الربيع: الغليظ، قال الفرّاء: القوي الشديد، وقيل: هو صخرة الجني، وكان بمنزلة جبل يضع قدمه عند منتهى طرفه، ﴿ أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ﴾، أي من

النهاروقيل نصفه ﴿وإني عليه﴾ أي على حمله ﴿لقوي أمين﴾ أي على ما فيه من الجواهر وغيرها قال سليمان: أريد أسرع من ذلك.

﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿قال الذي عنده علم من الكتاب﴾ قيل هو جبريل. وقيل: هو ملك أيد الله به سليمان وقيل هو آصف بن بزخيا وكان صديقاً يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى وقيل هو سليمان نفسه لأنه أعلم بني إسرائيل بالكتاب وكان الله قد آتاه علماً وفهماً، فعلى هذا يكون المخاطب العفريت الذي كلمه فأراد سليمان إظهار معجزة، فتحداهم أولاً ثم بين للعفريت أنه يتأتى له من سرعة الإتيان بالعرش ما لا يتأتى للعفريت قيل: كان الدعاء الذي دعا به: يا ذا الجلال والإكرام وقيل: يا حي يا قيوم. وروي ذلك عن عائشة وروي عن الزهري قال دعاء الذي عنده علم من الكتاب: يا إلهنا وإله كل شيء إلهاً واحداً لا إله إلا أنت، ائتني بعرشها، وقال ابن عباس: إن آصف قال لسليمان حين صلى مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد سليمان عينيه ونظر نحو اليمن ودعا آصف، فبعث الله الملائكة فحملوا السرير يجرون به تحت الأرض، حتى نبع من بين يدي سليمان وقيل: خر سليمان ساجداً ودعا باسم الله الأعظم فغاب العرش تحت الأرض حتى ظهر عند كرسي سليمان فقال: ما قال ﴿أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ قال سليمان: هات قال أنت النبي ابن النبي وليس أحد عند الله أوجه منك فإن دعوت الله كان عندك: قال صدقت ففعل ذلك فجيء بالعرش في الوقت ﴿فلما رآه﴾ يعني رأى سليمان العرش ﴿مستقراً عنده﴾ أي محولاً إليه من مأرب إلى

مجلسك الذي تقضي فيه، قال ابن عباس: وكان له كل غداة مجلس يقضي فيه إلى متّسع النهار، ﴿ وإني عليه ﴾، أي على حمله ﴿ لقويٌّ أمين ﴾، علي ما فيه من الجواهر، فقال سليمان: أريد أسرع من هذا.

فـ﴿ قال الذي عنده علم من الكتاب ﴾، واختلفوا فيه فقال بعضهم: هو جبريل. وقيل: هو ملك من الملائكة أيّد الله به نبيّه سليمان. وقال أكثر المفسّرين: هو آصف ابن برخيا، وكان صديقاً يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب وإذا سُئِلَ به أعطى. وروى جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال: إن آصف قال لسليمان حين صلّى مدّ عينيك حتى ينتهي طرفك، فمدّ سليمان عينيه، فنظر نحو اليمين فدعا آصف فبعث الله الملائكة فحملوا السرير من تحت الأرض يخدّون به خدّاً حتى انخرقت الأرض بالسرير بين يدي سليمان. وقال الكلبي: خرّ آصف ساجداً ودعا باسم الله الأعظم فغار عرشها تحت الأرض حتى نبع عند كرسي سليمان. وقيل: كانت المسافة مقدار شهرين، واختلفوا في الدعاء الذي دعا آصف، فقال مجاهد ومقاتل: يا ذا الجلال والإكرام. وقال الكلبي: يا حيّ يا قيّوم. ورُوِيَ ذلك عن عائشة. ورُوِيَ عن الزهري قال: دعاء الذي عنده علم من الكتاب: يا إلَهنا وإلَه كل شيء إلَهاً واحداً لا إلَه إلّا أنت ائتني بعرشها. وقال محمد بن المنكدر: إنما هو سليمان، قال له عالم من بني إسرائيل آتاه الله علماً وفهماً. ﴿ أنا آتيك به قبل أن يرتدّ إليك طرفك ﴾، قال سليمان هات، قال أنت

الشام في قدر ارتداد الطرف ﴿قال هذا من فضل ربي ليبلوني﴾ يعني لتمكن من حصول المراد ﴿أأشكر﴾ أي نعمته علي ﴿أم أكفر﴾ فلا أشكرها ﴿ومن شكر فإنما يشكر لنفسه﴾ أي يعود نفع شكره إليه وهو أن يستوجب به تمام النعمة، ودوامها لأن الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة ﴿ومن كفر فإن ربي غني﴾ أي عن شكره لا يضره ذلك الكفران ﴿كريم﴾ يعني بالإفضال عليه لا يقطع نعمة عنه بسبب إعراضه عن الشكر وكفران النعمة﴿قال نكروا لها عرشها﴾ يعني غيروا سريرها إلى حال تنكره إذا رأته قيل: هو أن يزاد فيه أو ينقص منه وقيل: إنما يجعل أسفله أعلاه ويجعل مكان الجوهر الأحمر أخضر ومكان الأخضر أحمر ﴿ننظر أتهتدي﴾ إلى معرفة عرشها ﴿أم تكون من الذين لا يهتدون﴾ إلى معرفته، وإنما حمل سليمان على ذلك ما قال وهب ومحمد بن كعب، وغيرهما أن الشياطين خافت أن يتزوجها سليمان فتفشي إليه أسرار الجن، لأن أمها كانت جنية وإذا ولدت ولداً لا ينفكون من تسخير سليمان وذريته من بعده فأساءوا الثناء عليها ليزهدوه فيها، وقالوا: إن في عقلها شيئاً وإن رجلها كحافر الحمار، وإنها شعراء الساقين فأراد سليمان، أن يختبر عقلها بتنكير عرشها وينظر إلى قدميها ببناء الصرح ﴿فلما جاءت قيل﴾ لها ﴿أهكذا عرشك قالت كأنه هو﴾ قيل: إنها عرفته ولكن شبهت عليهم كما شبهوا عليها، وقيل: إنها كانت حكيمة لم تقل نعم خوفاً من الكذب ولا قالت: لا خوفاً من التكذيب أيضاً فقالت: كأنه هو فعرف سليمان كمال عقلها بحيث لم تقر ولم تنكر اشتبه عليها أمر العرش، لأنها تركته في بيت عليه سبعة أبواب مغلقة والمفاتيح معها قيل فإنه عرشك فما أغنى عنك إغلاق الأبواب ثم قالت ﴿وأوتينا العلم من قبلها﴾ يعني من قبل الآية في العرش ﴿وكنا مسلمين﴾ يعني منقادين مطيعين خاضعين لأمر سليمان وقيل: قوله تعالى وأوتينا العلم أي بالله وبصحة نبوة سليمان بالآيات المتقدمة من أمر الهدهد والرسل من قبلها أي من قبل الآية في العرش، وكنا مسلمين أو معناه وأوتينا العلم بالله، وبقدرته على ما يشاء من قبل

النبي ابن النبي، وليس أحد أوجه عند الله منك فإن دعوت الله وطلبت إليه كان عندك، فقال صدقت ففعل ذلك فجيء بالعرش في الوقت، وقوله تعالى: ﴿ قبل أن يرتدّ إليك طرفك ﴾ قال سعيد بن جبير: يعني من قبل أن يرجع إليك أقصى مَن ترى، وهو أن يصل إليك مَن كان منك على مدّ بصرك. قال قتادة: قبل أن يأتيك الشخص من مدّ البصر. وقال مجاهد: يعني إدامة النظر حتى يرتدّ الطرف خاسئاً. قال وهب: تمدّ عينيك فلا ينتهي طرفك إلى مداه، حتى أمثله بين يديك، ﴿ فلما رآه ﴾، يعني رأى سليمان العرش، ﴿ مستقراً عنده ﴾، محمولاً إليه من مأرب إلى الشام في قدرِ ارْتدادِ الطرف، ﴿ قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكرُ ﴾، نعمه، ﴿ أم أكفرُ ﴾، فلا أشكرها، ﴿ ومَن شكرَ فإنّما يشكر لنفسه ﴾، أي يعود نفع شكره إليه وهو أن يستوجب به تمام النعمة ودوامها، لأن الشكر قَيْدُ النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة، ﴿ ومَن كفر فإن ربّي غنيٌّ ﴾، عن شكره، ﴿ كريم ﴾، بإفضال على مَن يكفر نعمه.

قوله تعالى: ﴿ قال نكّروا لها عرشها ﴾، يقول غيّروا سريرها إلى حال تنكره إذا رأته، قال قتادة ومقاتل: هو أن يُزاد فيه ويُنقَص منه، ورُوِيَ أنه جعل أسفله أعلاه وأعلاه أسفله، وجعل مكان الجوهر الأحمر أخضر ومكان الأخضر أحمر، ﴿ ننظرْ أتهتدي ﴾، إلى عرشها فتعرفه، ﴿ أم تكون من ﴾، الجاهلين، ﴿ الذين لا يهتدون ﴾، إليه، وإنما حمل سليمان على ذلك كما ذكره وهب ومحمد بن كعب وغيرهما: أن الشياطين خافت أن يتزوّجها سليمان فتفشي إليه أسرار الجن وذلك أن أُمها كانت جنيّة، وإذا ولدت له ولداً لا ينفكّون من تسخير سليمان وذريّته من بعده، فأساؤا الثناء عليها ليزهّدوه فيها، وقالوا: إن في عقلها شيئاً وإن رجلها كحافر الحمار وأنها شعراء الساقين فأراد سليمان أن يختبر عقلها بتنكير عرشها، وينظر إلى قدميها ببناء الصرح.

﴿ فلما جاءت قيل ﴾، لها، ﴿ أهكذا عرشُكِ قالتْ كأنّه هو ﴾، قال مقاتل: عرفته لكنها شبّهت عليهم كما

هذه المرأة وكنا مسلمين ويكون الغرض من هذا شكر نعمة الله عليه أن خصه بمزيد العلم، والتقدم في الإسلام وقيل معناه وأوتينا العلم بإسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها طائعة وكنا مسلمين لله.

قوله تعالى ﴿**وصدها ما كانت تعبد من دون الله**﴾ يعني منعتها عبادة الشمس عن التوحيد وعبادة الله وقيل معناه صدها سليمان، عما كانت تعبد من دون الله وحال بينها وبينه ﴿**إنها كانت من قوم كافرين**﴾ أخبر الله أنها كانت من قوم يعبدون الشمس، فنشأت بينهم ولم تعرف إلا عبادة الشمس ﴿**قيل لها ادخلي الصرح**﴾ وذلك أن سليمان لما اختبر عقلها بتنكير العرش وأراد أن ينظر إلى قدميها وساقيها من غير أن يسألها كشفهما لما أخبرته الجن أن رجليها كحافر حمار، وهي شعراء الساقين أمر الشياطين، فعملوا لها قصراً من الزجاج الأبيض كالماء وقيل: الصرح صحن الدار وأجرى تحته الماء، وألقى فيه السمك والضفادع وغيرهما من دواب البحر ثم وضع سريره في صدر المجلس وجلس عليه وقيل إنما عمل الصرح ليختبر به فهمها كما فعلت في الوصفاء والوصائف. فلما جلس على السرير دعا بلقيس، ولما جاءت قيل لها ادخلي الصرح ﴿**فلما رأته حسبته لجة**﴾ أي ماء عظيماً ﴿**وكشفت عن ساقيها**﴾ لتخوض الماء إلى سليمان، فإذا هي أحسن النساء ساقاً وقدماً إلا أنها كانت شعراء الساقين فلما نظر سليمان ذلك صرف بصره عنها ﴿**قال إنه صرح ممرد**﴾ أي مملس ﴿**من قوارير**﴾ زجاج وليس بماء فحينئذٍ سترت ساقيها وعجبت من ذلك وعلمت أن ملك سليمان من الله تعالى واستدلت بذلك على التوحيد والنبوة ﴿**قالت رب إني ظلمت نفسي**﴾ بعبادة غيرك ﴿**وأسلمت مع**

شبّهوا عليها. وقال عكرمة: كانت حكيمة لم تقل نعم خوفاً من أن تكذب، ولم تقل لا خوفاً من التكذيب، قالت: كأنه هو فعرف سليمان كمال عقلها حيث لم تُقرّ ولم تنكر، وقيل اشتبه عليها أمر العرش لأنها تركته في بيت خلف سبعة أبواب مغلقة والمفاتيح معها، قيل لها فإنه عرشك فما أغنى عنك إغلاق الأبواب، فقالت ﴿ **وأوتينا العلم** ﴾، بصحّة نبوّة سليمان بالآيات المتقدمة من أمر الهدية والرسل، ﴿ **من قبلها** ﴾، من قبل الآية في العرش ﴿ **وكنّا مسلمين** ﴾، منقادين طائعين لأمر سليمان، وقيل: قوله وأُوتينا العلم من قبلها قاله سليمان، يقول وأُوتينا العلم بالله وبقدرته على ما يشاء من قبل هذه المرأة، وكنّا مسلمين، هذا قول مجاهد. وقيل: معناه وأُوتينا العلم بإسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها وكنّا مسلمين طائعين لله.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **وصدّها ما كانت تعبد من دون الله** ﴾، أي منعها ما كانت تعبد من دون الله وهو الشمس أن تعبد الله، أي صدّها عبادة الشمس عن التوحيد وعبادة الله، فعلى هذا التأويل يكون ﴿ **ما** ﴾ في محل الرفع. وقيل: معناه ما صدّها عن عبادة الله نقصان عقلها كما قالت الجن: إن في عقلها شيئاً بل ما كانت تعبد من دون الله. وقيل: معناه وصدّها سليمان ما كانت تعبد من دون الله أي منعها من ذلك وحال بينها وبينه فيكون محل ﴿ **ما** ﴾ نصباً، ﴿ **إنّها كانتْ من قوم كافرين** ﴾، هذا استئناف أخبر الله تعالى أنها كانت من قوم يعبدون الشمس، فنشأت بينهم ولم تعرف إلّا عبادة الشمس.

قوله: ﴿ **قيل لها ادْخلي الصرح** ﴾ الآية، وذلك أن سليمان أراد أن ينظر إلى قدميها وساقيها من غير أن يسألها كشفها لما قالت الشياطين إن رجليها كحافر الحمار وهي شعراء الساقين، أمر الشياطين فبنوا له صرحاً أي قصراً من زجاج، وقيل بيتاً من زجاج كأنه الماء بياضاً وقيل الصرح صحن الدار وأجرى تحته الماء وألقى فيه كل شيء من دواب البحر السمك والضفادع وغيرهما، ثم وضع سريره في صدره وجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والإنس وقيل: اتخذ صحناً من قوارير وجعل تحتها تماثيل من الحيتان والضفادع، فكان الواحد إذا رآه ظنّه ماء. وقيل: إنما بُنِيَ الصرح ليختبر عقلها وفهمها كما فعلت هي بالوصائف والوصيفات، فلما جلس على السرير دعا

سليمان رب العالمين﴾ أي أخلصت له التوحيد والعبادة، وقيل: إنها لما بلغت الصرح وظنته لجة قالت: في نفسها إن سليمان يريد أن يغرقني وكان القتل أهون من هذا فلما تبين لها خلاف ذلك قالت: رب إني ظلمت نفسي بذلك الظن. واختلفوا في أمر بلقيس بعد إسلامها، فقيل انتهى أمرها إلى قولها أسلمت لله رب العالمين ولا عمل لأحد وراء ذلك، لأنه لم يذكر في الكتاب ولا في خبر صحيح وقال بعضهم: تزوجها سليمان وكره ما رأى من كثرة شعر ساقيها، فسأل الإنس عما يذهب ذلك فقالوا الموسى. فقالت المرأة إني لم يمسني حديد قط فكره سليمان الموسى وقال: إنها تقطع ساقيها فسأل الجن فقالوا لا ندري فسأل الشياطين. فقالوا: نحتال لك حتى تكون كالفضة البيضاء فاتخذوا النورة، والحمام فكانت النورة والحمامات من يومئذٍ. فلما تزوجها سليمان أحبها حباً شديداً، وأقرها على ملكها وأمر الجن فابتنوا لها بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعاً وحسناً، وهي سلحين وبيسنون وغمدان ثم كان سليمان يزورها في كل شهر مرة، ويقيم عندها ثلاثة أيام يبكر من الشام إلى اليمن ومن اليمن إلى الشام وولدت له ولداً ذكراً. وقال وهب: زعموا أن بلقيس لما أسلمت قال لها سليمان اختاري رجلاً من قومك حتى أزوجك إياه، فقالت: ومثلي يا نبي الله ينكح الرجال وقد كان لي من قومي الملك والسلطان، قال: نعم إنه لا يكون في الإسلام إلا ذلك ولا ينبغي لك أن تحرمي ما أحل الله قالت: فإن كان ولا بد فزوجني ذا تبع ملك همدان فزوجها إياه وذهب بها إلى اليمن، وملك زوجها ذا تبع على اليمن، ودعا زوبعة ملك الجن وقال له اعمل لذي تبع ما استعملك فيه فلم يزل يعمل له ما أراد إلى

بلقيس، فلما جاءت قيل لها ادخلي الصرح، ﴿فلما رأتْه حسبته لُجّةً﴾، وهي معظم الماء، ﴿وكشفت عن ساقيها﴾، لتخوضه إلى سليمان فنظر سليمان فإذا هي أحسن الناس قدماً وساقاً إلّا أنها كانت شعراء الساقين، فلما رأى سليمان ذلك صرف بصره عنه وناداها، ﴿قال إنّه صرح ممرد﴾، مملس مستوٍ، ﴿من قوارير﴾، وليس بماء، ثم إن سليمان دعاها إلى الإسلام وكانت قد رأت حال العرش والصرح فأجابت، و﴿قالت ربِّ إني ظلمتُ نفسي﴾، بالكفر، وقال مقاتل: لما رأت السرير والصرح علمت أن مُلك سليمان من الله فقالت: ربِّ إني ظلمت نفسي بعبادة غيرك، ﴿وأسلمتُ مع سليمان لله ربِّ العالمين﴾، أي أخلصت له التوحيد، وقيل: إنها لمّا بلغت الصرح فظنّته لجّة، قالت في نفسها إن سليمان يريد أن يُغرقني، وكان القتل عليّ أهون من هذا، فقولها ظلمت نفسي تعني بذلك الظن واختلفوا في أمرها بعد إسلامها، فقال عون بن عبد الله سأل رجل عبد الله بن عتبة: هل تزوّجها سليمان؟ فقال: انتهى أمرها إلى قولها أسلمت مع سليمان لله ربِّ العالمين، يعني لا علم لنا وراء ذلك، وقال بعضهم: تزوّجها ولمّا أراد أن يتزوجها كره ما رأى من كثرة شعر ساقيها، فسأل الإنس ما يذهب هذا قالوا الموسى، فقالت المرأة لم تمسّني حديدة قطّ، فكره سليمان الموسى، وقال: إنها تقطع ساقيها، قال الحسن: فسأل الجن فقالوا: لا ندري، ثم سأل الشياطين فقال إنّا نحتال لك حتى تكون كالفضة البيضاء، فاتخذوا النورة والحمام فكانت النورة والحمامات من يومئذ، فلما تزوجها سليمان أحبّها حبّاً شديداً وأقرّها على مُلكها وأمر الجن فابتنوا لها بأرض اليمن ثلاثة حصون لم يرَ الناسُ مثلها ارتفاعاً وحُسْناً وهي سلحين وبيسنون وعمدان، ثم كان سليمان يزورها في كل شهر مرة بعد أن ردّها إلى مُلْكها ويقيم عندها ثلاثة أيام يبتكر من الشام إلى اليمن ومن اليمن إلى الشام، وولدت له فيما ذُكِرَ ورُوِيَ عن وهب قال: زعموا أن بلقيس لمّا أسلمت قال لها سليمان: اختاري رجلاً من قومك أُزوّجكه، قالت: ومثلي يا نبيّ الله يتكح الرجال وقد كان لي في قومي من المُلْك والسلطان ما كان، قال: نعم إنه لا يكون في الإسلام إلا ذلك ولا ينبغي لك أن تحرّمي ما أحلّ الله لك، فقالت زوّجني إن كان لا بدّ من ذلك ذا تبع ملك همدان فزوّجها إيّاه ثم، ردّها إلى اليمن وسلّط زوجها ذا تبع على اليمن ودعا زوبعة أمير الجن باليمن، فقال: اعمل لذي تبع ما استعملك فيه فلم يزل بها ملكاً يعمل له فيها ما أراد حتى مات سليمان، فلما أن

آن مات سليمان وحال الحول، وعلم الجن موت سليمان، فأقبل رجل منهم حتى بلغ جوف اليمن وقال بأعلى صوته: يا معشر الجن إن الملك سليمان قد مات فارفعوا أيديكم فرفعوا أيديهم وتفرقوا وانقضى ملك سلمان وملك ذي تبع وملك بلقيس، وبقي الملك لله الواحد القهار قيل إن سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة. قوله عز وجل:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾

﴿ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً أن اعبدوا الله﴾ أي وحدوه لا تشركوا به شيئاً ﴿فإذاهم فريقان﴾ أي مؤمن وكافر ﴿يختصمون﴾ أي في الدين كل فريق يقول الحق معنا ﴿قال﴾ يعني صالحاً للفريق المكذب ﴿يا قوم لم تستعجلون بالسيئة﴾ أي بالبلاء والعقوبة ﴿قبل الحسنة﴾ أي العافية والرحمة ﴿لولا﴾ أي هلا ﴿تستغفرون الله﴾ أي بالتوبة إليه من الكفر ﴿لعلكم ترحمون﴾ أي لا تعذبون في الدنيا ﴿قالوا اطيرنا﴾ أي تشاءمنا ﴿بك وبمن معك﴾ قيل: إنما قالوا ذلك لتفرق كلمتهم وقيل: لإمساك القطر عنهم قالوا إنما أصابنا هذا الضر والشدة من شؤمك وشؤم

حال الحول وتبينت الجن موت سليمان أقبل رجل منهم فسلك تهامة حتى إذا كان في جوف اليمن صرخ بأعلى صوته: يا معشر الجن إن الملك سليمان قد مات، فارفعوا أيديكم فرفعوا أيديهم وتفرّقوا وانقضى ملك ذي تبع، ومُلْك بلقيس مع مُلْك سليمان. وقيل: إن الملك وصل إلى سليمان وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ ولقد أرسلنا إلى ثمودَ أخاهم صالحاً أنِ ﴾، أي أنِ، ﴿ اعبدوا الله ﴾، وحده، ﴿ فإذا هم فريقان ﴾، مؤمن وكافر، ﴿ يختصمون ﴾، في الدين، قال مقاتل واختصامهم ما ذكر في سورة الأعراف [٧٥ ـ ٧٧]: ﴿ قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمَن آمن منهم ﴾، إلى قوله: ﴿ يا صالح ائتِنَا بِمَا تَعِدُنا إنْ كنتَ من المرسلين ﴾ [الأعراف: ٧٥ ـ ٧٧].

فـ ﴿ قال ﴾، لهم صالح، ﴿ يا قوم لِمَ تستعجلون بالسيئة ﴾، بالبلاء والعقوبة، ﴿ قبلَ الحسنة ﴾، العافية والرحمة، ﴿ لولا ﴾، هلاّ ﴿ تستغفرون الله ﴾، بالتوبة من كفركم، ﴿ لعلّكم ترحمون ﴾.

﴿ قالوا اطّيّرنا ﴾، أي تشاءمنا، وأصله تطيّرنا، ﴿ بك وبمَن معك ﴾، قيل: إنما قالوا ذلك لتفرّق كلمتهم. وقيل: لأنه أمسك عنهم المطر في ذلك الوقت وقحطوا فقالوا: أصابنا هذا الضرّ والشدّة من شؤمك وشؤم أصحابك، ﴿ قال طائركم عند الله ﴾، أي ما يصيبكم من الخير والشر عند الله بأمره وهو مكتوب عليكم، سُمّي طائراً لسرعة نزوله بالإنسان فإنه لا شيء أسرع من قضاء محتوم، قال ابن عباس: الشؤم أتاكم من عند الله لكفركم. وقيل طِائركم أي عملكم عند الله، سُمّي طائراً لسرعة صعوده إلى السماء. ﴿ بل أنتم قوم تُفْتَنُون ﴾، قال ابن عباس: تختبرن وبالخير والشر، نظيره قوله تعالى: ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وقال محمد بن كعب القرظي: تعذّبون.

أصحابك ﴿**قال طائركم عند الله**﴾ أي ما يصيبكم من الخير والشر بأمر الله مكتوب عليكم، سمي طائراً لأنه لا شيء أسرع من نزول القضاء المحتوم وقال ابن عباس الشؤم الذي أتاكم من عند الله بكفركم وقيل طائركم أي عملكم، عند الله، سمي طائراً لسرعة صعوده إلى السماء ﴿**بل أنتم قوم تفتنون**﴾ قال ابن عباس تختبرون بالخير والشر وقيل معناه تعذبون. قوله تعالى ﴿**وكان في المدينة**﴾ يعني مدينة ثمود وهي الحجر ﴿**تسعة رهط**﴾ يعني من أبناء أشرافهم ﴿**يفسدون في الأرض**﴾ أي بالمعاصي ﴿**ولا يصلحون**﴾ أي لا يطيعون وهم غواة قوم صالح الذين اتفقوا على عقر الناقة ورأسهم قدار بن سالف ﴿**قالوا تقاسموا بالله**﴾ يعني يقول بعضهم لبعض احلفوا بالله أيها القوم ﴿**لنبيتنه**﴾ أي لنقتلنه ليلاً ﴿**وأهله**﴾ يعني قومه الذين آمنوا معه ﴿**ثم لنقولن لوليه**﴾ أي لولي دمه ﴿**ما شهدنا**﴾ يعني ما حضرنا ﴿**مهلك أهله**﴾ أي ما ندري من قتله ولا هلاك أهله ﴿**وإنا لصادقون**﴾ يعني في قولنا ما شهدنا ذلك.

وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ
أَنَّا دَمَّرْنَـٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ
يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ
ٱلْفَـٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا
كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ
إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَـٰهَا مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ
عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ
يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَـٰلَهَآ أَنْهَـٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ
أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ
خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن

قوله تعالى: ﴿ **وكان في المدينة** ﴾ يعني مدينة ثمود وهي الحِجْر، ﴿ **تسعةُ رهطٍ** ﴾، من أبناء أشرافهم، ﴿ **يفسدون في الأرض ولا يصلحون** ﴾، وهم الذين اتفقوا على عقر الناقة وهم غواة قوم صالح ورأسهم قدار بن سالف، وهو الذي تولّى عقرها؛ كانوا يعملون بالمعاصي.

﴿ **قالوا تقاسموا بالله** ﴾، تحالفوا، يقول بعضهم لبعض: احلفوا بالله أيها القوم، وموضع تقاسموا جزم على الأمر، وقال قوم محله نصب على الفعل الماضي، يعني أنهم تحالفوا وتواثقوا، تقديره: قالوا متقاسمين بالله، ﴿ **لَنُبَيِّتَنَّهُ** ﴾ أي: لنقتلنّه بياتاً أي ليلاً، ﴿ **وأهله** ﴾، أي قومه الذين أسلموا معه، وقرأ الأعمش وحمزة والكسائي (لتبيّتنّه) و(لتقولنّ) بالتاء فيهما وضمّ لام الفعل على الخطاب، وقرأ الآخرون بالنون فيهما وفتح لام الفعل، ﴿ **ثم لنقولنّ لوليّه** ﴾، أي لوليّ دمه، ﴿ **ما شهدنا** ﴾، ما حضرنا، ﴿ **مَهْلِكَ أهله** ﴾، أي إهلاكهم، ولا ندري مَن قتله، ومَن فتح الميم فمعناه هلاك أهله، ﴿ **وإنّا لصادقون** ﴾، في قولنا ما شهدنا ذلك.

يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾

﴿**ومكروا مكراً**﴾ أي غدروا غدراً حين قصدوا تبيت صالح وأهله ﴿**ومكرنا مكراً**﴾ يعني جازيناهم على مكرهم بتعجيل العذاب ﴿**وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم**﴾ يعني أهلكناهم أي التسعة قال ابن عباس: أرسل الله الملائكة تلك الليلة إلى دار صالح يحرسونه فأتت التسعة دار صالح شاهرين سلاحهم، فرمتهم الملائكة بالحجارة وهم يرون الحجارة ولا يرون الملائكة فقتلتهم وأهلك الله جميع القوم بالصيحة ﴿**وقومهم أجمعين، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا**﴾ أي بظلمهم وكفرهم ﴿**إن في ذلك لآية**﴾ أي لعبرة ﴿**لقوم يعلمون**﴾ أي قدرتنا ﴿**وأنجينا الذين آمنوا، وكانوا يتقون**﴾ يقال إن الناجين كانوا أربعة آلاف. قوله تعالى ﴿**ولوطاً إذ قال لقومه: أتأتون الفاحشة**﴾ أي الفعلة القبيحة ﴿**وأنتم تبصرون**﴾ أي تعلمون أنها فاحشة وهو من بصر القلب وقيل: معناه يبصر بعضكم بعضاً وكانوا لا يستترون عتواً منهم ﴿**أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون**﴾ فإن قلت إذا فسر تبصرون بالعلم وقد قال: بعده «قوم تجهلون» فيكون العلم جهلاً. قلت: معناه تفعلون فعل الجاهلين وتعلمون أنه فاحشة. وقيل: تجهلون العاقبة وقيل أراد بالجهل السفاهة التي كانوا عليها ﴿**فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون**﴾ يعني من أدبار الرجال ﴿**فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين**﴾ أي قضينا عليها بأن جعلناها من الباقين في العذاب ﴿**وأمطرنا عليهم مطراً**﴾ أي الحجارة ﴿**فساء**﴾ أي فبئس ﴿**مطر المنذرين**﴾ قوله عز وجل ﴿**قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى**﴾ هذا خطاب لرسول الله ﷺ أن يحمد

﴿ **ومكروا مكراً** ﴾، غدروا غدراً حين قصدوا تبييت صالح والفتك به، ﴿ **ومكرنا مكراً** ﴾، جزيناهم على مكرهم بتعجيل عقوبتهم، ﴿ **وهم لا يشعرون** ﴾.

﴿ **فانظرْ كيفَ كان عاقبةُ مكرهم أنّا** ﴾، قرأ أهل الكوفة ﴿ **أنا** ﴾بفتح الألف ردّاً على العاقبة، أي أنّا دمّرناهم، وقرأ الآخرون (إنّا) بالكسر على الاستئناف، ﴿ **دمّرناهم** ﴾، أي أهلكناهم التسعة. واختلفوا في كيفية هلاكهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أرسل الله الملائكة تلك الليلة إلى دار صالح يحرسونه فأتى التسعة دار صالح شاهِرين سيوفهم فرمتهم الملائكة بالحجارة من حيث يرون الملائكة، فقتلهم. قال مقاتل: نزلوا في سفح جبل ينظر بعضهم بعضاً ليأتوا دار صالح، فجثم عليهم الجبل فأهلكهم، ﴿ **وقومهم أجمعين** ﴾، أهلكهم الله بالصيحة.

﴿ **فتلك بيوتُهم خاويةً** ﴾، نصب على الحال أي خالية، ﴿ **بما ظلموا** ﴾ أي بظلمهم وكفرهم، ﴿ **إنّ في ذلك لآية** ﴾، لعبرة، ﴿ **لقوم يعلمون** ﴾، قدرتنا.

﴿ **وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتّقون** ﴾، يقال: كان الناجون منهم أربعة آلاف.

قوله تعالى: ﴿ **ولوطاً إذْ قال لقومه أتأتون الفاحشة** ﴾، وهي الفعلة القبيحة، ﴿ **وأنتم تبصرون** ﴾، أي تعلمون أنها فاحشة. وقيل: معناه يرى بعضكم بعضاً وكانوا لا يستترون عتوّاً منهم.

﴿ **أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون** ﴾.

﴿ **فما كان جواب قومه إلّا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أُناس يتطهّرون** ﴾، من أدبار الرجال.

﴿ **فأنجيناه وأهله إلّا امرأته قدّرناها** ﴾، قضينا عليها وجعلناها بتقديرنا، ﴿ **من الغابرين** ﴾، أي الباقين في العذاب.

الله على هلاك كفار الأمم الخالية، وقيل: يحمده على جميع نعمه وسلام على عباده الذين اصطفى يعني الأنبياء والمرسلين وقال ابن عباس: هم أصحاب محمد ﷺ وقيل: هم كل المؤمنين من السابقين واللاحقين ﴿آلله خير أما يشركون﴾ فيه تبكيت للمشركين وإلزام الحجة عليهم بعد هلاك الكفار. والمعنى آلله خير لمن عبده أم الأصنام لمن عبدها فإن الله خير لمن عبده وآمن به لإغنائه عنه من الهلاك والأصنام، لم تغن شيئاً عن عابديها عند نزول العذاب، ولهذا السبب ذكر أنواعاً تدل على وحدانيته وكمال قدرته.

فالنوع الأول قوله تعالى: ﴿أمن خلق السموات والأرض﴾ ذكر أعظم الأشياء المشاهدة الدالة على عظيم قدرته. والمعنى الأصنام خير أم الذي خلق السموات والأرض ثم ذكر نعمه فقال ﴿وأنزل لكم من السماء ماء﴾ يعني المطر ﴿فأنبتنا به حدائق﴾ أي بساتين جمع حديقة، وهو البستان المحيط عليه فإن لم يكن عليه حائط فليس بحديقة ﴿ذات بهجة﴾ أي ذات منظر حسن والبهجة الحسن يبتهج به من يراه ﴿ما كان لكم أن تنبتوا شجرها﴾ يعني ما ينبغي لكم، لأنكم لا تقدرون على ذلك لأن الإنسان قد يقول: أنا المنبت للشجرة بأن أغرسها وأسقيها الماء فأزال هذه الشبهة بقوله ﴿ما كان لكم أن تنبتوا شجرها﴾ لأن إنبات الحدائق المختلفة الأصناف، والطعوم والروائح المختلفة والزروع تسقى بماء واحد، لا يقدر عليه إلا الله تعالى؛ ولا يتأتى لأحد وإن تأتى ذلك لغيره محال ﴿أإله مع الله﴾ يعني هل معه معبود أعانه على صنعه ﴿بل﴾ يعني ليس معه إله ولا شريك ﴿هم قوم﴾ يعني كفار مكة ﴿يعدلون﴾ يشركون وقيل يعدلون عن هذا الحق الظاهر إلى الباطل. النوع الثاني قوله عز وجل ﴿أمن جعل الأرض قراراً﴾ أي دحاها وسواها للاستقرار عليها، وقيل لا تميد بأهلها ﴿وجعل خلالها أنهاراً﴾ أي وسطها بأنهار تطرد بالمياه ﴿وجعل لها رواسي﴾ أي جبالاً ثوابت ﴿وجعل بين البحرين﴾ يعني العذب والملح ﴿حاجزاً﴾ أي مانعاً لا يختلط أحدهما بالآخر ﴿أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ أي توحيد ربهم وقدرته وسلطانه. النوع الثالث قوله تعالى ﴿أمن يجيب

﴿ وأمطرنا عليهم مطراً ﴾ وهو الحجارة، ﴿ فساء ﴾ فبئس، ﴿ مطر المنذَرين ﴾.

قوله تعالى: ﴿ قل الحمدُ لله ﴾، هذا خطاب لرسول الله ﷺ أمر أن يحمد الله على هلاك كفّار الأمم الخالية. وقيل: على جميع نِعَمه. ﴿ وسلامٌ على عباده الذين اصطفى ﴾، قال مقاتل: هم الأنبياء والمرسلون، دليله قوله عزّ وجلّ: ﴿ وسلام على المرسلين ﴾ [الصّافّات: ١٨١]، وقال ابن عباس في رواية أبي مالك هم أصحاب محمد ﷺ. وقال الكلبي: هم أُمة محمد ﷺ. وقيل: هم كل المؤمنين من السابقين واللاحقين، ﴿ آللَّهُ خيرٌ أمّا يُشركون ﴾، قرأ أهل البصرة وعاصم: ﴿ يشركون ﴾ بالياء، وقرأ الآخرون بالتاء، يخاطب أهل مكة وفيه إلزام الحجة على المشركين بعد هلاك الكفّار، يقول آلله خير لمَن عبده أم الأصنام خير لمَن عبدها والمعنى: أن الله نجّى مَنْ عَبَدَه مِنَ الهلاك، والأصنام لم تُغْنِ شيئاً عن عابدِيها عند نزول العذاب بهم.

﴿ أمَّن خلق السمٰواتِ والأرضَ ﴾، معناه آلهتكم خيرٌ أمِ الذي خلق السمٰوات والأرض، ﴿ وأنزل لكم من السماء ماءً ﴾، يعني المطر، ﴿ فأنبتنا به حدائق ﴾، بساتين جمع حديقة، قال الفرّاء: الحديقة البستان المُحاط عليه، فإن لم يكن عليه حائط فليس بحديقة، ﴿ ذات بهجة ﴾، أي منظر حسن، والبهجة: الحُسْن يبتهج به مَن يراه، ﴿ ما كان لكم أن تُنْبِتُوا شجرَها ﴾، أي ما ينبغي لكم، لأنكم لا تقدرون عليها. ﴿ أإلَهٌ معَ الله ﴾، استفهام على طريق الإنكار أي هل معه معبود سواه يُعينه على صنعه بل ليس معه إلٰه. ﴿بل هم قوم﴾، يعني كفّار مكة، ﴿ يعدِلُون ﴾، يشركون.

﴿ أمَّن جعَل الأرضَ قراراً ﴾، لا تميد بأهلها، ﴿ وجعل خلالها ﴾، وسطها ﴿ أنهاراً ﴾، تطرد بالمياه،

المضطر﴾ أي المكروب المجهود، وقيل: المضرور بالحاجة المحوجة من مرض أو نازلة من نوازل الدهر يعني إذا نزلت بأحد بادر إلى الالتجاء والتضرع إلى الله تعالى وقيل: هو المذنب إذا استغفر ﴿إذا دعاه﴾ يعني فيكشف ضره ﴿ويكشف السوء﴾ أي الضر لأنه لا يقدر على تغيير حال من فقر إلى غنى، ومن مرض إلى صحة ومن ضيق إلى سعة إلا القادر، الذي لا يعجز والقاهر الذي لا يغلب ولا ينازع ﴿ويجعلكم خلفاء الأرض﴾ أي سكانها، وذلك أنه ورثهم سكانها والتصرف فيها قرناً بعد قرن وقيل يجعل أولادكم خلفاء لكم وقيل: جعلكم خلفاء الجن في الأرض ﴿أإله مع الله قليلاً ما تذكرون﴾ أي تتعظون. النوع الرابع قوله عز وجل ﴿أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر﴾ أي يهديكم بالنجوم والعلامات إذا جن عليكم الليل مسافرين في البر والبحر ﴿ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته﴾ أي قدام المطر ﴿أإله مع الله تعالى عما يشركون﴾ النوع الخامس قوله تعالى:

أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَـٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾

﴿أمن يبدأ الخلق﴾ أي نطفاً في الأرحام ﴿ثم يعيده﴾ بعد الموت ﴿ومن يرزقكم من السماء والأرض﴾ أي من السماء بالمطر ومن الأرض بالنبات ﴿أإله مع الله قل هاتوا برهانكم﴾ أي حجتكم على قولكم إن مع الله إلهاً آخر ﴿إن

﴿ وجعل لها رواسي ﴾ جبالاً ثوابت، ﴿ وجعل بين البحرين ﴾، العذب والمالح، ﴿ حاجزاً ﴾، مانعاً لئلا يختلط أحدهما بالآخر، ﴿ أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾، توحيد ربهم وسلطانه.

﴿ أمّن يجيبُ المضطر ﴾، المكروب المجهود، ﴿ إذا دعاه ويكشف السوء ﴾، الضرّ، ﴿ ويجعلكم خلفاء الأرض ﴾، سكانها يهلك قرناً وينشىء آخر. وقيل: يجعل أولادكم خلفائكم وقيل: جعل خلفاء الجنّ في الأرض. ﴿ أإلَه مع الله قليلاً ما تذكرون ﴾، قرأ أبو عمرو بالياء والآخرون بالتاء.

﴿ أمّن يهديكم في ظلمات البرّ والبحر ﴾، إذا سافرتم، ﴿ ومَن يُرسلُ الرياحَ بشراً بين يدي رحمته ﴾ أي قدّام المطر، ﴿ أإله مع الله تعالى الله عمّا يشركون ﴾.

﴿ أمّن يبدأ الخلق ثم يعيده ﴾، بعد الموت، ﴿ ومَن يرزقكم من السماء والأرض ﴾، أي من السماء المطر ومن الأرض النبات. ﴿ أإله مَع الله قلْ هاتُوا بُرهانَكم ﴾، حجّتكم على قولكم أنّ مع الله إلَهاً آخر. ﴿ إن كنتم صادقيـــن ﴾.

كنتم صادقين﴾ قوله تعالى ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾ نزلت في المشركين حين سألوا رسول الله ﷺ عن وقت الساعة. والمعنى أن الله هو الذي يعلم الغيب وحده ويعلم متى تقوم الساعة ﴿وما يشعرون أيان يبعثون﴾ يعني أن من في السموات وهم الملائكة ومن في الأرض وهم بنو آدم لا يعلمون متى يبعثون والله تعالى تفرد بعلم ذلك ﴿بل ادارك علمهم﴾ أي بلغ ولحق علمهم ﴿في الآخرة﴾ هو ما جهلوه في الدنيا وسقط عنهم علمه. وقيل بل علموا في الآخرة حين عاينوها ما شكوا فيه وعلموا عنه في الدنيا وهو قوله تعالى ﴿بل هم في شك منها﴾ أي هم اليوم في شك من الساعة ﴿بل هم منها عمون﴾ جمع عم وهو أعمى القلب وقيل معنى الآية أن الله أخبر عنهم إذا بعثوا يوم القيامة يستوي علمهم في الآخرة، وما وعدوا فيها من الثواب والعقاب وإن كانت علومهم مختلفة في الدنيا.

﴿ قلْ لا يعلم مَن في السمٰوات والأرض الغيبَ إلاّ الله ﴾، نزلت في المشركين حيث سألوا النبيّ ﷺ عن وقت قيام الساعة، ﴿ وما يشعرون أيّان ﴾، متى، ﴿ يُبعثون ﴾.

﴿ بل ادّارك علمهم ﴾، قرأ أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو: (أدرك) على وزن أفعل أي بلغ ولحق، كما يقال: أدركه علمي إذا لحقه وبلغه، يريد ما جهلوا في الدنيا وسقط علمه عنهم أعلموه في الآخرة. وقال مجاهد: يدرك علمهم، ﴿ في الآخرة ﴾، ويعلمونها إذا عاينوها حين لا ينفعهم علمهم. قال مقاتل: بل علموا في الآخرة حين عاينوها ما شكّوا وعمُوا عنه في الدنيا وهو قوله: ﴿ بلْ هم في شكٍّ منها ﴾، يعني هم اليوم في شكٍّ من الساعة وقرأ الآخرون بل ادّارك موصولاً مشدّداً مع الألف بعد الدال المشدّد، يعني تدارك وتتابع علمهم في الآخرة وتلاحق، وقيل: معناه اجتمع علمهم حين عاينوها في الآخرة أنها كائنة، وهم في شكٍّ منها في وقتهم، فيكون بمعنى الأول، وقيل: هو على طريق الاستفهام، معناه: هل تدارك وتتابع علمهم بذلك في الآخرة؟ يعني: لم يتتابع وضلّ وغاب علمهم به فلم يبلغوه ولم يدركوه، لأن في الاستفهام ضرباً من الجحد يدلّ عليه، قراءة ابن عباس ﴿ بلى ﴾ بإثبات الياء، ﴿ أَدّارك ﴾ بفتح الألف على الاستفهام، يعني: لم يدرك، وفي حرف أُبيّ «أم تدرك علمهم»، والعرب تضع بل موضع أم وأم موضع بل، وجملة القول فيه أن الله أخبر أنهم إذا بعثوا يوم القيامة يستوي علمهم في الآخرة وما وعدوا فيها من الثواب والعقاب، وإن كانت علومهم مختلفة في الدنيا، وذكر علي بن عيسى أن معنى ﴿ بل ﴾ ههنا لو ومعناه لو أدركوا في الدنيا ما أدركوا في الآخرة لم يشكّوا بل هم في شكٍّ منها، بل هم اليوم في الدنيا في شكٍّ من الساعة، ﴿ بل هم منها عمون ﴾، جمع عَمٍ وهو الأعمى القلب. قال الكلبي: يقول هم جهلة بها.

﴿ وقال الذين كفروا ﴾، يعني مشركي مكة، ﴿ أئذا كنّا تراباً وآباؤنا أئنّا لمخرجون ﴾، من قبورنا أحياء، قرأ أهل المدينة «إذا» غير مستفهم ﴿ أئنّا ﴾ بالاستفهام، وقرأ ابن عامر والكسائي ﴿ أئنّا ﴾ بهمزتين أننا بنونين، وقرأ الآخرون باستفهامها.

﴿ لقد وُعدنا هذا ﴾، أي هذا البعث، ﴿نحن وآباؤنا من قبل﴾، أي من قبل محمد وليس ذلك بشيء ﴿ إن هذا ﴾، ما هذا ﴿ إلا أساطير الأوّلين ﴾ أحاديثهم وأكاذيبهم التي كتبوها.

﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ﴾.

﴿ ولا تحزنْ عليهم ﴾، على تكذيبهم إياك وإعراضهم عنك، ﴿ ولا تكنْ في ضيق مما يمكرون ﴾، نزلت في المستهزئين الذين اقتسموا أعقاب مكة.

قوله تعالى ﴿وقال الذين كفروا﴾ أي مشركو مكة ﴿أإذا كنا تراباً وآباؤنا أإنا لمخرجون﴾ أي من قبورنا أحياء ﴿لقد وعدنا هذا﴾ أي هذا البعث ﴿نحن وآباؤنا من قبل﴾ أي من قبل محمد ﷺ وليس ذلك بشيء ﴿إن هذا﴾ أي ما هذا ﴿إلا أساطير الأولين﴾ أي أحاديثهم وأكاذيبهم التي كتبوها ﴿قيل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم﴾ أي بتكذيبهم إياك وإعراضهم عنك. ﴿ولا تكن في ضيق مما يمكرون﴾ نزلت في المستهزئين الذي اقتسموا عقاب مكة ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل عسى أن يكون ردف﴾ أي دنا وقرب ﴿لكم﴾ وقيل معناه ردفكم ﴿بعض الذي تستعجلون﴾ أي من العذاب فحل بهم ذلك يوم بدر. قوله عز وجل ﴿وإن ربك لذو فضل على الناس﴾ يعني على أهل مكة حيث لم يعجل لهم بالعذاب ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ أي ذلك ﴿وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم﴾ أي تخفي ﴿وما يعلنون﴾ أي من عداوة رسول الله ﷺ ﴿وما من غائبة﴾ أي من جملة غائبة من مكتوم سر وخفي أمر وشيء غائب ﴿في السماء والأرض إلا في كتاب مبين﴾ يعني في اللوح المحفوظ ﴿إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل﴾ أي يبين لهم ﴿أكثر الذين هم فيه يختلفون﴾ أي من أمر الدين، وذلك أن أهل الكتاب اختلفوا فيما بينهم فصاروا أحزاباً يطعن بعضهم على بعض فنزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه ﴿وإنه﴾ يعني القرآن ﴿لهدى ورحمة للمؤمنين إن ربك يقضي بينهم﴾ أي يفصل بينهم ويحكم بين المختلفين في الدين يوم القيامة ﴿بحكمه﴾ أي الحق ﴿هو العزيز﴾ الممتنع الذي لا يرد له أمر ﴿العليم﴾ أي بأحوالهم فلا يخفى عليه شيء منها.

فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ

﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴾.

﴿ قلْ عسى أن يكون رَدِفَ ﴾، أي دنا وقرب، ﴿ لكم ﴾، وقيل تبعكم والمعنى ردفكم أدخل فيه اللام كما أدخل في قوله: ﴿ لربهم يرهبون ﴾ [الأعراف: ١٥٤] قال الفرّاء: اللام صلة زائدة كما تقول نقدته مائة ونقدت له ﴿ بعض الذي تستعجلون ﴾ من العذاب فحلّ بهم ذلك يوم بدر.

﴿ وإنّ ربّك لذو فضلٍ على الناس ﴾، قال مقاتل: على أهل مكة حيث لم يعجل عليهم العذاب، ﴿ ولكن أكثرهم لا يشكرون ﴾، ذلك.

﴿ وإنّ ربك ليعلم ما تكنّ ﴾، تخفي، ﴿ صدورهم ومايعلنون ﴾.

﴿ وما من غائبة ﴾، أي جملة غائبة من مكتوم سرّ وخفي أمرٍ وشيءٍ غائب، ﴿ في السماء والأرض إلاّ في كتاب مُبين ﴾، أي في اللوح المحفوظ.

﴿ إنّ هذا القرآن يقصّ على بني إسرائيل ﴾، أي يبيّن لهم، ﴿ أكثر الذي هم فيه يختلفون ﴾، من أمر الدين، قال الكلبي: إن أهل الكتاب اختلفوا فيما بينهم فصاروا أحزاباً يطعن بعضهم على بعض، فنزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه.

﴿ وإنه ﴾، يعني القرآن ﴿ لهدىً ورحمةً للمؤمنين ﴾.

﴿ إنّ ربك يقضي ﴾، يفصل ﴿ بينهم ﴾، أي بين المختلفين في الدين يوم القيامة، ﴿ بحكمه ﴾، الحق، ﴿ وهو العزيز ﴾، المنيع فلا يردّ له أمر، و﴿ العليم ﴾، بأحوالهم فلا يخفى عليه شيء.

أَنتَ بِهَٰدِي ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾

﴿فتوكل على الله﴾ أي فثق به ﴿إنك على الحق المبين﴾ أي البين ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ يعني موتى القلوب وهم الكفار ﴿ولا تسمع الصم الدعاء، إذا ولوا مدبرين﴾ أي معرضين. فإن قلت ما معنى مدبرين والأصم لا يسمع صوتاً سواء أقبل أو أدبر؟. قلت: هو تأكيد ومبالغة وقيل: إن الأصم إذا كان حاضراً قد يسمع برفع الصوت، أو يفهم بالإشارة فإذا ولى لم يسمع ولم يفهم. ومعنى الآية إنه لفرط إعراضهم عما يدعون إليه كالميت الذي لا سبيل إلى سماعه، وكالأصم الذي لا يسمع ولا يفهم ﴿وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم﴾ معناه ما أنت بمرشد من أعماه الله عن الهدى وأعمى قلبه عن الإيمان ﴿إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا﴾ إلا من يصدق بالقرآن أنه من الله ﴿فهم مسلمون﴾ أي مخلصون. قوله تعالى: ﴿وإذا وقع القول عليهم﴾ يعني إذا وجب عليهم العذاب وقيل: إذا غضب الله عليهم وقيل إذا وجبت الحجة عليهم، وذلك أنهم لم يأمروا بالمعروف، ولم ينهوا عن المنكر وقيل إذا لم يرج صلاحهم وذلك في آخر الزمان قبل قيام الساعة ﴿أخرجنا لهم دابة من الأرض﴾. (م) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «بادروا بالأعمال قبل ست: طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والدابة وخويصة أحدكم وأمر العامة» (م) عن

﴿ فتوكل على الله إنّك على الحق المبين ﴾، البيّن.

﴿ إنـك لا تسمع الموتى ﴾، يعني الكفّار، ﴿ ولا تسمع الصُمَّ الدعاء ﴾، قرأ ابن كثير لا يسمع بالياء وفتحها وفتح الميم الصم رفع وكذلك في سورة الروم [٥٢]، وقرأ الباقـون بالتـاء وضمّها وكسـر الميم الصُمّ نصب. ﴿إذا ولّوا مُدبرين ﴾، مُعرضين، فإن قيل ما معنى قوله: ﴿ ولّوا مدبرين ﴾، وإذا كانوا صُمّاً لا يسمعون سواء ولّوا أو لم يولّوا؟ قيل: ذكره على سبيل التأكيد والمبالغة. وقيل: الأصمّ إذا كان حاضراً فقد يسمع برفع الصوت ويفهم بالإشارة، فإذا ولّى لم يسمع ولم يفهم. قال قتادة: الأصمّ إذا ولّى مدبراً ثم ناديته لم يسمع، كذلك الكافر لا يسمع ما يدعى إليه من الإيمان، ومعنى الآية أنهم لفرط إعراضهم عمّا يدعون إليه كالميت الذي لا سبيل إلى إسماعه، والأصمّ الذي لا يسمع.

﴿ وما أنت بهادي العُمْي ﴾، قرأ الأعمش وحمزة (تهدي) بالتاء وفتحها على الفعل ﴿ العمي ﴾ بنصب الياء هٰهنا وفي الروم [٥٣]، وقرأ الآخرون بهادي باليـاء على الاسم، ﴿ العمي ﴾ بكسر اليـاء، ﴿ عن ضلالتهم ﴾، أي مـا أنت بمرشد مَن أعماه الله عن الهدى وأعمى قلبه عن الإيمان، ﴿ إنْ تُسْمِعُ ﴾، ما تسمع، ﴿ إلاّ مَن يُؤمنُ بآياتنا ﴾، إلاّ مَن يصدق بالقرآن أنه من الله، ﴿ فهم مسلمون ﴾، مخلصون.

قوله تعالى: ﴿ وإذا وقع القول عليهم ﴾، وجب العذاب عليهم، وقال قتادة إذا غضب الله عليهم، ﴿ أخرجنا لهم دابّة من الأرض تكلّمهم ﴾، واختلفوا في كلامها، فقال السدي: تكلمهم ببطلان الأديان سوى دين الإسلام. وقال بعضهم: كلامها أن تقول لواحد هذا مؤمن، وتقول لآخر هذا كافر، وقيل: كلامها ما قال الله تعالى: ﴿ أن الناس كانوا بآياتنا لا يُوقِنُون ﴾، قال مقاتل تكلمهم بالعربية، فتقول إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون تخبر الناس أن أهل مكة لم يؤمنوا بالقرآن والبعث، قرأ أهل الكوفة ﴿ أن الناس ﴾ بفتح الألف أي بأن الناس، وقرأ الباقون بالكسر على الاستئناف، أي إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون قبل خروجها، قال ابن عمر: وذلك حين لا يؤمر بمعروف ولا ينهى عن منكر، وقرأ سعيد بن جبير وعاصم الجحدري وأبو رجاء العطاردي: ﴿ تكلمهم ﴾ وبفتح التاء

عبدالله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريباً» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان وعصا موسى فتجلو وجه المؤمن وتخطم أنف الكافر بالخاتم: حتى إن أهل الحق ليجتمعون فيقول هذا يا مؤمن ويقول هذا يا كافر» أخرجه الترمذي. وقال حديث حسن، وروى البغوي بإسناده عن الثعلبي عن النبيّ ﷺ قال: «يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خروجاً بأقصى اليمن فيفشو ذكرها بالبادية لا يدخل ذكرها القرية، يعني مكة ثم تمكث زمناً طويلاً، ثم تخرج خرجة أخرى قريباً من مكة فيفشو ذكرها بالبادية، ويدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم بينا الناس يوماً في أعظم المساجد على الله حرمة، وأكرمها على الله يعني المسجد الحرام لم يرعهم، إلا وهي في ناحية المسجد تدنو وتدنو، كذا قال عمر وما بين الركب الأسود إلى باب

وتخفيف اللام من الكَلِم وهو الجرح، وقال أبو الجوزاء: سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن هذه الآية ﴿ تكلمهم أو تكلم ﴾ قال: كل ذلك تفعل، تكلم المؤمن وتكلم الكافر، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي أنا أبو الحسن الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشمهيني أنا علي بن حجر أنا إسماعيل بن جعفر أنا العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «بادرُوا بالأعمال ستّاً: طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجّال ودابّة الأرض وخاصة أحدكم وأمر العامّة»، أخبرنا إسماعيل بن عبد الله أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجّاج أنا أبو بكر بن أبي شيبة أنا محمد بن بشر عن أبي حيان عن أبي زرعة عن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ: «إن أوّل الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابّة على الناس ضحىً وآيتهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريباً»، وأخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن فنجويه أنا أبو بكر بن خرجة أنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي أنا هشيم بن حمّاد أنا عمرو بن محمد العبقري عن طلحة عن عمرو عن عبد الله بن عمير الليثي عن أبي شريحة الأنصاري عن النبي ﷺ قال: «يكون للدابّة ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خروجاً بأقصى اليمن فيفشو ذكرها في البادية ولا يدخل ذكرها القرية»، يعني مكة، «ثم تمكث زماناً طويلاً ثم تخرج خرجة أخرى قريباً من مكة فيفشو ذكرها في البادية ويدخل ذكرها القرية»، يعني مكة، «فبينما الناس يوماً في أعظم المساجد على الله حُرمة وأكرمها على الله عزّ وجلّ يعني المسجد الحرام لم يرعهم إلّا وهي في ناحية المسجد تدنو وتدنو» كذا قال ابن عمر وما بين الركن الأسود إلى باب بني مخزوم عن يمين الخارج في وسط من ذلك فارفضّ الناس عنها وتثبت لها عصابة عرفوا أنهم لن يعجزوا الله، فخرجت عليهم تنفض رأسها من التراب فمرّت بهم فجلت عن وجوههم حتى تركتها كأنها الكوكب الدريّة، ثم ولّت في الأرض لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب، حتى أن الرجل ليقوم فيتعوّذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلّي فيقبل عليها بوجهه فتسمّه في وجهه، فيتجاور والناس في ديارهم ويصطحبون في أسفارهم ويشتركون في الأموال، يُعرف الكافر من المؤمن، فيقال للمؤمن يا مؤمن ويقال للكافر يا كافر. أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني الحسن بن محمد أنا أبو بكر بن مالك العطيفي أنـا عبد الله بن أحمـد بن حنبل أنا أبي ثنا بهز ثنا حمّاد هو ابن أبي سلمة أنا علي بن زيد عن أوس بن خالد عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «تخرج الدابّة ومعها عصى موسى وخاتم سليمان فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتحطّم أنف الكافر بالخاتم، حتى أن أهل الخوان ليجتمعون فيقول هذا يا مؤمن ويقول هذا يا كافر» ورُوِيَ عن علي قال: ليست بدابّة لها ذنب ولكن لها لحية كأنه يشير إلى أنه رجل، والأكثرون على أنها دابّة. وروى ابن جريج عن ابن الزبير أنه وصف الدابّة فقال:

بني مخزوم، عن يمين الخارج في وسط من ذلك فارفض الناس عنها وتثبت لها عصابة عرفوا أنهم لم يعجزوا الله، فخرجت عليهم تنفض رأسها من التراب فمرت بهم فجلت وجوههم حتى تركتها كأنها الكواكب الدرية، ثم ولت في الأرض لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب حتى أن الرجل، ليقوم فيعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلي فيقبل عليها بوجهه فتسمه في وجهه، فيتجاور الناس في ديارهم ويصطحبون في أسفارهم ويشتركون في الأموال يعرف الكافر من المؤمن فيقال للمؤمن يا مؤمن وللكافر يا كافر» وبإسناد الثعلبي عن حذيفة بن اليمان ذكر رسول الله ﷺ الدابة قلت: يا رسول الله من أين تخرج قال «من أعظم المساجد حرمة على الله فبينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون إذ تضطرب الأرض، وينشق الصفا مما يلي المسعى وتخرج الدابة من الصفا أول ما يخرج منها رأسها ملمعة ذات وبر وريش لن يدركها الطالب، ولن يفوتها هارب تسم الناس مؤمناً وكافراً؛ فأما المؤمن فتترك وجهه كأنه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن؛ وأما الكافر فتنكت بين عينيه نكتة سوداء وتكتب بين عينيه كافر» وروي عن ابن عباس أنه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال: إن الدابة لتسمع قرع عصاي هذه وعن ابن عمر قال تخرج الدابة ليلة جمع والناس يسيرون إلى منى، وعن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ قال «بئس الشعب شعب أجياد مرتين أو ثلاثاً قيل: ولم ذاك يا رسول الله؟ قال: تخرج منه الدابة تصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين» وروي عن ابن الزبير أنه وصف الدابة فقال: رأسها رأس ثور وعينها عين خنزير، وأذنها أذن فيل وقرنها قرن إيل وصدرها صدر أسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر، وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعاً. وعن عبدالله بن عمرو قال: تخرج الدابة من شعب أجياد فتمس رأسها السحاب ورجلاها في الأرض وروي عن علي قال: ليست بدابة لها ذنب ولكن لها لحية وقال وهب: وجهها وجه رجل وسائر خلقها كخلق الطير فتخبر من رآها أن

رأسها رأس الثور وعينها عين الخنزير، وأُذنها أذن فيل وقرنها قرن إيل، وصدرها صدر أسد ولونها لون نمر، وخاصرتها خاصرة هرّ، وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير، بين كل مِفصلين اثنا عشر ذراعاً معها عصا موسى وخاتم سليمان، فلا يبقى مؤمن إلاّ نكتته في مسجده بعصا موسى نكتة بيضاء يضيء بها وجهه، ولا يبقى كافر إلاّ نكتت وجهه بخاتم سليمان فيسودّ بها وجهه، حتى إن الناس يتبايعون في الأسواق: بكم يا مؤمن؟ بكم يا كافر؟ ثم تقول لهم الدابّة: يا فلان أنت من أهل الجنة ويا فلان أنت من أهل النار، فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ **وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابّة من الأرض**﴾ الآية، أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني عقيل بن محمد الجرجاني الفقيه أنا أبو الفرج المعافى بن زكريا البغدادي أنا أبو جعفر محمد بن جرير الطبري أنا أبو كريب أنا الأشجعي عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن ابن عمر قال: تخرج الدابّة من صدع في الصفا كجرس الفرس ثلاثة أيام وما خرج ثلثها، وبه عن محمد بن جرير الطبري قال: حدّثني عصام بن داود الجرّاح ثنا أبي سفيان بن سعيد أنا منصور بن المعتمر عن ربعي بن خراش عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الدابّة، قلت: يا رسول الله من أين تخرج ؟ قال: «من أعظم المساجد حُرمة على الله، بينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون إذ تضرب الأرض تحتهم وتنشقّ الصفا مما يلي المشعر، وتخرج الدابّة من الصفا أول ما يبدر منها رأسها ملمعة ذات وبرٍ وريش، لن يدركها طالب ولن يفوتها هارب، تُسمّي الناس مؤمناً وكافراً، أما المؤمن فتترك وجهه كوكب درّيّ وتكتب بين عينيه مؤمن، وأما الكافر تكتب بين عينيه نكتة سوداء، وتكتب بين عينيه كافراً»، ورُوِيَ عن ابن عباس: أنه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال إن الدابّة لتسمع قرع عصاي هذه. وعن عبد الله بن عمر قال: تخرج الدابّة من شعب فيمسّ رأسها في السحاب ورجلاها في الأرض، فخرجنا فتمرّ بالإنسان يصلّي فتقول ما الصلاة من حاجتك فتخطمه. وعن ابن عمر قال: تخرج الدابّة ليلة جمع والناس يسيرون إلى منى. وعن

أهل مكة، كانوا بمحمد والقرآن لا يوقنون ﴿تكلمهم﴾ أي بكلام فصيح قيل تقول هذا مؤمن وهذا كافر. وقيل: تقول ما أخبر الله تعالى ﴿إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾ تخبر الناس عن أهل مكة أنهم لم يؤمنوا بالقرآن والبعث. وقرىء تكلمهم بتخفيف اللام من الكلم، وهو الجرح وقال ابن الجوزي: سئل ابن عباس عن هذه الآية تكلمهم وتكلمهم فقال: كل ذلك تفعل تكلم المؤمن وتكلم الكافر. قوله تعالى:

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجاً﴾ أي نحشر من كل قرن جماعة ﴿ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون﴾ أي يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعون ثم يساقوا إلى النار ﴿حتى إذا جاؤوا﴾ يعني يوم القيامة ﴿قال﴾ الله تعالى لهم ﴿أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً﴾ أي ولم تعرفوها حق معرفتها ﴿أم ماذا كنتم تعملون﴾ أي حين لم تتفكروا فيها وقيل: معنى الآية أكذبتم بآياتي غير عالمين بها ولم تتفكروا في صحتها بل كنتم بها جاهلين ﴿ووقع القول﴾ أي وجب العذاب ﴿عليهم بما ظلموا﴾ أي بما أشركوا ﴿فهم لا ينطقون﴾ أي بحجة وقيل إن أفواههم مختومة ﴿ألم يروا أنا جعلنا﴾ أي أنا خلقنا ﴿الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصراً﴾ أي مضيئاً يبصر فيه. وفي الآية دليل على البعث بعد الموت لأن القادر على قلب الضياء ظلمة، والظلمة ضياء قادر على الإعادة بعد الموت ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ أي يصدقون فيعتبرون. قوله تعالى ﴿ويوم ينفخ في الصور﴾ هو قرن ينفخ فيه إسرافيل قال الحسن: الصور هو القرن ومعنى كلامه إن الأرواح تجتمع في القرن ثم ينفخ فيه فتذهب في الأجساد فتحيا بها الأجساد ﴿ففزع﴾ أي فصعق ﴿من في السموات ومن في الأرض﴾ أي ماتوا. والمعنى أنه يلقى عليهم الفزع إلى أن يموتوا. وقيل ينفخ إسرافيل في الصور ثلاث نفخات، نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيام لرب العالمين ﴿إلا من شاء الله﴾ روى أبو هريرة أن

سهيل بن صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «بئس الشعب شعب أجياد»، مرتين أو ثلاثاً، قيل: ولِمَ ذلك يا رسول الله؟ قال: «تخرج منه الدابّة فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها مَنْ بين الخافقين»، وقال وهب: وجهها وجه رجل وسائر خلقها كخلق الطير، فتخبر مَن رآها أن أهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لا يوقنون.

قوله تعالى: ﴿ ويوم نحشر من كل أمة فوجاً ﴾ أي من كل قرن جماعة، ﴿ ممّن يكذب بآياتنا ﴾، وليس من ههنا للتبعيض لأن جميع المكذّبين يُحشرون، ﴿ فهم يوزعون ﴾، يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يُساقون إلى النار.

﴿ حتى إذا جاؤوا ﴾، يوم القيامة، ﴿ قال ﴾، الله لهم، ﴿ أكذبتم بآياتي ولم تُحيطوا بها علماً ﴾، ولم تعرفوها حقّ معرفتها، ﴿ أم ماذا كنتم تعملون ﴾، حين لم تفكّروا فيها ومعنى الآية أكذبتم بآياتي غير عالمين بها ولم تفكّروا في صحيّتها بل كذبتم بها جاهلين.

﴿ ووقع القول ﴾، وجب العذاب، ﴿ عليهم بما ظلموا ﴾، بما أشركوا، ﴿ فهم لا ينطقون ﴾، قال قتادة: كيف ينطقون ولا حجّة لهم، نظيره قوله تعالى: ﴿ هذا يوم لا ينطقون ولا يُؤذنُ لهم فيعتذرون ﴾ [المرسلات: ٣٦]، وقيل: لا ينطقون لأن أفواههم مختومة.

النبيّ ﷺ سئل عن قوله تعالى «إلا من شاء الله» قال هم الشهداء متقلدون أسيافهم حول العرش وقال ابن عباس: هم الشهداء لأنهم أحياء عند ربهم لا يصل إليهم الفزع. وقيل: يعني جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل فلا يبقى بعد النفخة إلا هؤلاء الأربعة ويروى أن الله تعالى يقول لملك الموت خذ نفس إسرافيل فيأخذ نفسه ثم يقول: من بقي يا ملك الموت فيقول: سبحانك ربي تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام، وجهك الباقي الدائم بقي جبريل وميكائيل، وملك الموت فيقول: خذ نفس ميكائيل. فيأخذ نفس ميكائيل فيقع، كالطود العظيم فيقول من بقي من خلقي فيقول: سبحانك ربي تباركت وتعاليت بقي جبريل، وملك الموت فيقول مت يا ملك الموت فيموت فيقول يا جبريل من بقي فيقول: تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام بقي وجهك الدائم الباقي وجبريل، الميت الفاني فيقول الله: يا جبريل لا بد من موتك فيقع ساجداً يخفق بجناحيه. فيروى أن فضل خلقه على ميكائيل كفضل الطود العظيم على ظرب من الظراب. ويروى أنه يبقى مع هؤلاء الأربعة حملة العرش ثم روح ملك الموت، فإذا لم يبق أحد إلا الله تبارك وتعالى طوى السماء كطي السجل للكتاب ثم يقول الله «أنا الجبار لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد فيقول الله تعالى: لله الواحد القهار» (ق) عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال «ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **ألم يروا أنّا جعلنا** ﴾، خلقنا، ﴿ **الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصراً** ﴾، مضيئاً يبصر فيه، ﴿ **إنّ في ذلك لآيات لقوم يؤمنون** ﴾، يصدقون فيعتبرون.

قوله تعالى: ﴿ **ويوم ينفخ في الصور** ﴾، والصور قرن ينفخ فيه إسرافيل، وقال الحسن: الصور هي القرن، وأوّل بعضهم كلامه أن الأرواح تجمع في القرن ثم ينفخ فيه فتذهب الأرواح إلى الأجساد فتحيا بالأجساد، قوله: ﴿ **ففزع مَنْ في السمواتِ ومَن في الأرض** ﴾، أي فصعق كما قال في آية أخرى: ﴿ فصعق مَن في السموات ومَن في الأرض ﴾ [الزمر: ٦٨]، أي ماتوا، والمعنى أنه يلقى عليهم الفزع إلى أن يموتوا وقيل: ينفخ إسرافيل في الصور ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيام لربّ العالمين، قوله: ﴿ **إلّا مَن شاء الله** ﴾، اختلفوا في هذا الاستثناء، رُوِيَ عن أبي هريرة أن النبي ﷺ سأل جبريل عن قوله: ﴿ **إلّا مَن شاء الله** ﴾، قال: هم الشهداء المقلّدون أسيافهم حول العرش، وروى سعيد بن جبير وعطاء عن ابن عباس: هم الشهداء لأنهم أحياء عند ربّهم لا يصل الفزع إليهم، وفي بعض الآثار: الشهداء ثنية الله. أي الذين استثناهم الله تعالى. وقال الكلبي ومقاتل: يعني جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، فلا يبقى بعد النفخة إلّا هؤلاء الأربعة ثم يقبض الله روح ميكائيل ثم روح ملك الموت ثم روح جبريل فيكون آخرهم موتاً جبريل. ويُروَى أن الله تعالى يقول لملك الموت: خذ نفسَ إسرافيل ثم يقول مَن بقي يا ملك الموت؟ فيقول سبحانك ربّي تباركت وتعاليت يـا ذا الجلال والإكـرام، بقي جبرائيـل وميكائيل وملك الموت، فيقول: خذ نفس ميكائيل، فيأخذ نفسه فيقع كالطود العظيم، فيقول: مَن بقي؟ فيقول: سبحانك ربي تباركت وتعاليت، بقي جبريل وملك الموت، فيقول: مت يا ملك الموت فيموت، فيقول: يا جبريل مَن بقي؟ فيقول: تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام وجهك الباقي الدائم وجبريل الميت الفاني، قال فيقول: يا جبريل لا بدّ من موتك فيقع ساجداً يخفق بجناحيه فيُروَى أنه فضّل خلقه على خلق ميكائيل كالطود العظيم على ظرب من الظراب. ويُروَى أنه يبقى مع هؤلاء الأربعة حَمَلَة العرش، فيقبض روح جبريل وميكائيل ثم أرواح حَمَلَة العرش ثم روح إسرافيل ثم روح ملك الموت، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنا عبد الله بن علي الجوهري أنا أحمد بن علي الكشمهيني أنا علي بن حجر أنا إسماعيل بن جعفر أنا محمد بن عمرو ثنا علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ينفخ في الصور فيصعق مَن في السموات ومَن في الأرض إلّا مَن شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول مَن يرفع رأسه فإذا موسى آخذ

الأرض إلا من شاء الله ثم ينفخ فيه أخرى، فأكون أول من رفع رأسه فإذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أكان ممن استثنى الله عز وجل أم رفع رأسه قبلي، ومن قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب» وقيل الذين استثنى الله هم رضوان والحور ومالك والزبانية. وقوله تعالى ﴿وكل﴾ أي وكل الذين أحيوا بعد الموت ﴿أتوه﴾ أي جاؤوه ﴿داخرين﴾ أي صاغرين.

﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

قوله تعالى ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة﴾ أي قائمة واقفة ﴿وهي تمر مر السحاب﴾ أي تسير سير السحاب حتى تقع على الأرض فتستوي بها وذلك أن كل شيء عظيم وكل جسم كبير وكل جمع كثير يقصر عنه البصر لكثرته وعظمه وبعد ما بين أطرافه فهو في حساب الناظر واقف وهو سائر كذلك سير الجبال يوم القيامة لا يرى لعظمها كما أن سير السحاب لا يرى لعظمه ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾ يعني أنه تعالى، لما قدم هذه الأشياء كلها التي لا يقدر عليها غيره جعل ذلك الصنع من الأشياء التي أتقنها وأحكمها وأتى بها على وجه الحكمة والصواب ﴿إنه خبير بما تفعلون﴾. قوله تعالى ﴿من جاء بالحسنة﴾ أي بكلمة الإخلاص ،وهي شهادة أن لا إله إلا الله وقيل الإخلاص في العمل، وقيل الحسنة كل طاعة عملها لله عز وجل ﴿فله خير منها﴾ قال ابن عباس فيها يصل إلى الخير بمعنى أن له من تلك الحسنة خير يوم القيامة وهو الثواب والأمن من العذاب أما من يكون له شيء خير من الإيمان فلا، لأنه لا شيء خير من لا إله إلا الله، وقيل: هو جزاء الأعمال والطاعات الثواب والجنة وجزاء الإيمان والإخلاص رضوان الله والنظر إليه لقوله «ورضوان من الله» وقيل: معنى خير منها الأضعاف أعطاه الله بالواحدة عشر أضعافها، لأن الحسنة استحقاق

بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري، أكان مَن استثنى الله عزّ وجلّ أم رفع رأسه قبلي، ومَن قال أنا خير من يونس بن متّى فقد كذب». قال الضحاك: هم رضوان والحور ومالك والزبانية. وقيل: عقارب النار وحيّاتها. قوله عزّ وجلّ: ﴿ وكل ﴾ أي كل الذين أحيوا بعد الموت، ﴿ أتوه ﴾، قرأ الأعمش وحمزة وحفص ﴿ أتوه ﴾ مقصوراً بفتح التاء على الفعل أي جاؤوه، وقرأ الآخرون بالمدّ وضمّ التاء كقوله تعالى: ﴿ وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً ﴾ [مريم: ٩٥]، ﴿ داخرين ﴾، صاغرين.

قال الله تعالى: ﴿ وترى الجبال تحسبها جامدة ﴾، قائمة واقفة، ﴿ وهي تمرّ مرّ السحاب ﴾، أي تسير سير السحاب حتي تقع على الأرض، فتستوي بها وذلك إن كل شيء عظيم وكل جمع كثير يقصر عنه البصر لكثرته وبعد ما بين أطرافه فهو في حسبان الناظر واقف وهو سائر كذلك سير الجبال لا يرى يوم القيامة لعظمها كما أن سير السحاب لا يُرى لعظمه وهو سائر، ﴿ صنع الله ﴾، نصب على المصدر، ﴿ الذي أتقن كل شيء ﴾، يعني أحكم، ﴿ إنه خبير بما تفعلون ﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة بالياء والباقون بالتاء.

﴿ مَن جاء بالحسنة ﴾، بكلمة الإخلاص وهي شهادة أن لا إله إلاّ الله، قال أبو معشر: كان إبراهيم يحلف

العبد والتضعيف تفضيل الرب تبارك وتعالى ﴿وهم من فزع يومئذٍ آمنون﴾ فإن قلت كيف نفى الفزع هنا وقد قال قبله ففزع من في السموات ومن في الأرض. قلت: إن الفزع الأول هو ما لا يخلو عنه أحد عند الإحساس بشدة تقع وهول يفجأ من رعب وهيبة وإن كان المحسن يأمن وصول ذلك الضرر إليه فأما الفزع الثاني فهو الخوف من العذاب فهم آمنون منه. وأما ما يلحق الإنسان من الرعب عند مشاهدة الأهوال فلا ينفك منه أحد ﴿ومن جاء بالسيئة﴾ يعني بالشرك ﴿فكبت وجوههم في النار﴾ عبر بالوجه عن جميع البدن كأنه قال كبوا وطرحوا جميعهم في النار ﴿هل تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ أي تقول لهم خزنة جهنم «هل تجزون إلا ما كنتم تعملون» في الدنيا من الشرك.

وقوله تعالى ﴿إنما أمرت﴾ يعني يقول الله تعالى لرسوله قل إنما أمرت ﴿أن أعبد رب هذه البلدة﴾ يعني أمرت أن أخص بعبادتي وتوحيدي الله الذي هو رب هذه البلدة يعني مكة، وإنما خصها من بين سائر البلاد بالذكر لأنها مضافة إليه وأحب البلاد وأكرمها عليه، وأشار إليها إشارة تعظيم لأنها موطن نبيه ومهبط وحيه ﴿الذي حرمها﴾ أي جعلها الله حرماً آمناً لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها أحد ولا يصاد صيدها ولا يختلى خلاها ولا يدخلها إلا محرم، وإنما ذكر أنه هو الذي حرمها لأن العرب كانوا معترفين بفضيلة مكة، وأن تحريمها من الله لا من الأصنام ﴿وله كل شيء﴾ أي خلقاً وملكاً ﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ لله المطيعين له ﴿وأن أتلو القرآن﴾ أي أمرت أن أتلو القرآن ولقد قام ﷺ بكل ما أمر به أتم قيام على ما أمر به ﴿فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه﴾ أي نفع اهتدائه يرجع إليه ﴿ومن

ولا يستثني أن الحسنة لا إلَه إلّا الله. وقال قتادة: بالإخلاص. وقيل: هي كل الطاعة، ﴿ فله خير منها ﴾، قال ابن عباس فمنها يصل الخير إليه يعني له من تلك الحسنة خير يوم القيامة، وهو الثواب والأمن من العذاب، إما أن يكون له شيء خير من الإيمان فلا لأنه ليس شيء خيراً من قوله لا إلَه إلّا الله. وقيل: فله خير منها يعني رضوان الله، قال تعالى: ﴿ ورضوان من الله أكبر ﴾ [التوبة: ٧٢]، وقال محمد بن كعب: قال عبد الرحمن بن زيد: فله خير منها يعني الأضعاف أعطاه الله تعالى بالواحدة عشراً فصاعداً، وهذا حسن لأن للأضعاف خصائص منها أن العبد يسأل عن عمله ولا يسأل عن الأضعاف، ومنها أن للشيطان سبيلاً إلى عمله وليس له سبيل إلى الأضعاف ولا مطمع للخصوم في الأضعاف ولأن الحسنة على استحقاق العبد والتضعيف كما يليق بكرم الرب تبارك وتعالى، ﴿ وهم من فزع يومئذ آمنون ﴾، قرأ أهل الكوفة من فزع بالتنوين يومئذ بفتح الميم، وقرأ الآخرون بالإضافة لأنه أعمّ فإنه يقتضي الأمن من جميع فزع ذلك اليوم، وبالتنوين كأنه فزع دون فزع، ويفتح أهل المدينة الميم من يومئذ.

﴿ ومَن جاء بالسيئة ﴾، يعني الشرك، ﴿ فكُبّتْ وجوههم في النار ﴾، يعني ألقوا على وجوههم، يقال: كَبَبْتُ الرجلَ إذا ألقيتُه على وجهه فانكبّ وأكبّ، وتقول لهم خَزَنَة جهنم: ﴿ هل تجزون إلّا ما كنتم تعملون ﴾، في الدنيا من الشرك.

قوله تعالى: ﴿ إنما أُمرت ﴾، يقول الله لرسوله ﷺ قل إنما أُمرت، ﴿ أن أعبد ربّ هذه البلدة ﴾، يعني مكة، ﴿ الذي حرّمها ﴾، يعني جعلها الله حرماً آمناً لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها أحد ولا يُصاد صيدها ولا يختلى خلاهـا، ﴿ وله كل شيء ﴾، خلقاً وملكاً، ﴿ وأُمرت أن أكون من المسلمين ﴾، لله.

﴿ وأن أتلوَا القرآن ﴾، يعني وأُمرت أن أتلو القرآن، ﴿ فمَن اهتدى فإنّما يهتدي لنفسه ﴾، أي نفع اهتدائه يرجع إليه، ﴿ ومَن ضلّ ﴾، عن الإيمان وأخطأ عن طريق الهدى، ﴿ فقلْ إنّما أنا من المنذرين ﴾، من المخوفين فليس عليّ إلّا البلاغ، نسختها آية القتال.

﴿ وقل الحمد لله ﴾، على نعمه، ﴿ سيُريكم آياته ﴾، يعني يوم بدر من القتل والسبي وضرب الملائكة

ضل﴾ أي عن الإيمان وأخطأ طريق الهدى ﴿فقل إنما أنا من المنذرين﴾ أي من المخوفين، وما علي إلا البلاغ نسختها آية القتال ﴿وقل الحمد لله﴾ أي على جميع نعمه، وقيل: على ما وفقني من القيام بأداء الرسالة والإنذار ﴿سيريكم آياته﴾ الباهرة ودلائله القاهرة قيل: هو يوم بدر وهو ما أراهم من القتل والسبي وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم وقيل: آياته في السموات والأرض وفي أنفسكم ﴿فتعرفونها﴾ أي فتعرفون الآيات والدلالات ﴿وما ربك بغافل عما تعملون﴾ فيه وعيد بالجزاء على أعمالهم والله سبحانه وتعالى أعلم.

وجوههم وأدبارهم، نظيره قوله عزّ وجلّ: ﴿ سأُريكم آياتي فلا تستعجلون ﴾ [الأنبياء: ٣٧]، وقال مجاهد: سيُريكم آياته في السماء والأرض وفي أنفسكم، كما قال: ﴿ سنُريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ﴾ [فصّلت: ٥٣]، ﴿ فتعرفونها ﴾، يعني تعرفون الآيات والدلالات، ﴿ وما ربّك بغافل عمّا تعملون ﴾، وعيد لهم بالجزاء على أعمالهم.

فهرس محتويات
الجزء الرابع
من تفسير الخازن والبغوي

فهرس المحتويات

تفسير سورة النحل

الآيتان: ١، ٢ .... ٣
الآيات: ٣ ـ ١٢ .... ٥
الآيات: ١٣ ـ ٢٣ .... ٩
الآيات: ٢٤ ـ ٣٢ .... ١٣
الآيات: ٣٣ ـ ٣٨ .... ١٧
الآيات: ٣٩ ـ ٥٠ .... ١٩
الآيات: ٥١ ـ ٦٠ .... ٢٥
الآيات: ٦١ ـ ٦٧ .... ٢٨
الآيات: ٦٨ ـ ٧١ .... ٣٢
الآيتان: ٧٢، ٧٣ .... ٣٦
الآيات: ٧٤ ـ ٧٧ .... ٣٧
الآيات: ٧٨ ـ ٨٠ .... ٣٩
الآيات: ٨١ ـ ٨٨ .... ٤١
الآيات: ٨٩ ـ ٩٧ .... ٤٤
الآيات: ٩٨ ـ ١٠٢ .... ٤٨
الآيات: ١٠٣ ـ ١٠٥ .... ٥٠
الآيات: ١٠٦ ـ ١١٧ .... ٥٢
الآيات: ١١٨ ـ ١٢٣ .... ٥٨
الآيات: ١٢٤ ـ ١٢٨ .... ٦٠

تفسير سوة الإسراء

الآية: ١ .... ٦٦
الآيات: ٢ ـ ٤ .... ٧٨
الآيات: ٥ ـ ٧ .... ٩٠
الآيات: ٨ ـ ١٩ .... ٩٣
الآيات: ٢٠ ـ ٢٥ .... ٩٧
الآيات: ٢٦ ـ ٣٨ .... ١٠٠
الآيات: ٣٩ ـ ٤٦ .... ١٠٥
الآيات: ٤٧ ـ ٥٧ .... ١٠٨
الآيات: ٥٨ ـ ٦٤ .... ١١٢
الآيات: ٦٥ ـ ٦٩ .... ١١٧
الآيتان: ٧٠، ٧١ .... ١١٨
الآيات: ٧٢ ـ ٧٦ .... ١٢٠
الآيات: ٧٧ ـ ٧٩ .... ١٢٢
الآيتان: ٨٠، ٨١ .... ١٢٩
الآيات: ٨٢ ـ ٨٤ .... ١٣٠
الآيات: ٨٥ ـ ٨٨ .... ١٣٢
الآيات: ٨٩ ـ ٩٣ .... ١٣٥
الآيات: ٩٤ ـ ٩٧ .... ١٣٨
الآيات: ٩٨ ـ ١٠١ .... ١٣٩
الآيات: ١٠٢ ـ ١٠٤ .... ١٤١
الآيتان: ١٠٥ ـ ١٠٩ .... ١٤٢
الآيتان: ١١٠، ١١١ .... ١٤٣

تفسير سورة الكهف

الآيات: ١ ـ ١٠ .... ١٤٦
الآيات: ١١ ـ ١٧ .... ١٦٠
الآيات: ١٨ ـ ٢٠ .... ١٦٢
الآيات: ٢١ ـ ٢٥ .... ١٦٤
الآيات: ٢٦ ـ ٢٩ .... ١٦٧
الآيات: ٣٠ ـ ٣٣ .... ١٧٠
الآيات: ٣٤ ـ ٤٤ .... ١٧٢
الآيات: ٤٥ ـ ٤٨ .... ١٧٦
الآيات: ٤٩ ـ ٥١ .... ١٧٧
الآيات: ٥٢ ـ ٦٠ .... ١٨٠
الآيتان: ٦١، ٦٢ .... ١٨٥
الآيات: ٦٣ ـ ٧١ .... ١٨٦

الآيات: ٧٢ ـ ٧٧ .... ١٨٨
الآيات: ٧٨ ـ ٨٢ .... ١٩١
الآيات: ٨٣ ـ ٩١ .... ١٩٤
الآيات: ٩٢ ـ ٩٤ .... ١٩٧
الآيات: ٩٥ ـ ٩٨ .... ٢٠٠
الآيات: ٩٩ ـ ١٠٥ .... ٢٠٣
الآيات: ١٠٦ ـ ١١٠ .... ٢٠٥

تفسير سورة مريم عليها السلام

الآيات: ١ ـ ١٠ .... ٢٠٨
الآيات: ١١ ـ ٢٢ .... ٢١٠
الآيات: ٢٣ ـ ٢٨ .... ٢١٤
الآيات: ٢٩ ـ ٣٧ .... ٢١٧
الآيات: ٣٨ ـ ٤٦ .... ٢١٩
الآيات: ٤٧ ـ ٥٧ .... ٢٢٢
الآيات: ٥٨ ـ ٦٢ .... ٢٢٦
الآيات: ٦٣ ـ ٧١ .... ٢٢٩
الآية: ٧٢ .... ٢٣٣
الآيات: ٧٣ ـ ٧٧ .... ٢٣٦
الآيات: ٧٨ ـ ٩١ .... ٢٣٧
الآيات: ٩٢ ـ ٩٨ .... ٢٤٠

تفسير سورة طه

الآيات: ١ ـ ٦ .... ٢٤٢
الآيات: ٧ ـ ١٤ .... ٢٤٤
الآيات: ١٥ ـ ٢٣ .... ٢٤٦
الآيات: ٢٤ ـ ٤٠ .... ٢٤٩
الآيات: ٤١ ـ ٤٨ .... ٢٥٣
الآيات: ٤٩ ـ ٦١ .... ٢٥٥
الآيات: ٦٢ ـ ٦٤ .... ٢٥٧
الآيات: ٦٥ ـ ٧٥ .... ٢٥٩
الآيات: ٧٦ ـ ٨٦ .... ٢٦١
الآيات: ٨٧ ـ ٩٦ .... ٢٦٤
الآيات: ٩٧ ـ ١٠٨ .... ٢٦٧
الآيات: ١٠٩ ـ ١١٩ .... ٢٦٩
الآيات: ١٢٠ ـ ١٢٩ .... ٢٧٢
الآيات: ١٣٠ ـ ١٣٥ .... ٢٧٧

تفسير سورة الأنبياء عليهم السلام

الآيات: ١ ـ ١٠ .... ٢٨٠
الآيات: ١١ ـ ٢٣ .... ٢٨٣
الآيات: ٢٤ ـ ٣٣ .... ٢٨٦
الآيات: ٣٤ ـ ٤٣ .... ٢٨٩
الآيات: ٤٤ ـ ٥٧ .... ٢٩٢
الآيات: ٥٨ ـ ٦٨ .... ٢٩٥
الآيات: ٦٩ ـ ٧١ .... ٢٩٩
الآيات: ٧٢ ـ ٧٩ .... ٣٠١
الآيتان: ٨٠، ٨١ .... ٣٠٥
الآيتان: ٨٢، ٨٣ .... ٣٠٧
الآية: ٨٤ .... ٣١٧
الآيات: ٨٥ ـ ٨٧ .... ٣١٩
الآيات: ٨٨ ـ ٩٢ .... ٣٢٢
الآيات: ٩٣ ـ ١٠٠ .... ٣٢٤
الآيات: ١٠١ ـ ١٠٧ .... ٣٢٨
الآيات: ١٠٨ ـ ١١٢ .... ٣٣١

تفسير سورة الحج

الآيتان: ١، ٢ .... ٣٣٢
الآيات: ٣ ـ ٥ .... ٣٣٤
الآيات: ٦ ـ ١٣ .... ٣٣٦
الآيات: ١٤ ـ ١٨ .... ٣٣٩
الآيات: ١٩ ـ ٢٤ .... ٣٤٢
الآيات: ٢٥ ـ ٢٨ .... ٣٤٥
الآيتان: ٢٩، ٣٠ .... ٣٤٨
الآيات: ٣١ ـ ٣٤ .... ٣٥١
الآيات: ٣٥ ـ ٤٠ .... ٣٥٣
الآيات: ٤١ ـ ٤٧ .... ٣٥٦
الآيات: ٤٨ ـ ٥٣ .... ٣٥٨
الآيات: ٥٤ ـ ٥٨ .... ٣٦٢
الآيات: ٥٩ ـ ٧١ .... ٣٦٣
الآيات: ٧٢ ـ ٧٧ .... ٣٦٦
الآية: ٧٨ .... ٣٦٩

تفسير سورة المؤمنون

الآيتان: ١، ٢ .... ٣٧١

الآيات: ٣ ـ ١٠ .... ٣٧٣
الآيات: ١١ ـ ١٨ .... ٣٧٤
الآيات: ١٩ ـ ٢٩ .... ٣٧٧
الآيات: ٣٠ ـ ٤٤ .... ٣٨٠
الآيات: ٤٥ ـ ٦٠ .... ٣٨٢
الآيات: ٦١ ـ ٧١ .... ٣٨٥
الآيات: ٧٢ ـ ٨٨ .... ٣٨٧
الآيات: ٨٩ ـ ١٠١ .... ٣٩٠
الآيات: ١٠٢ ـ ١١٤ .... ٣٩٣
الآيات: ١١٥ ـ ١١٨ .... ٣٩٥

تفسير سورة النور

الآيات: ١ ـ ٣ .... ٣٩٦
الآيات: ٤ ـ ٧ .... ٣٩٩
الآيتان: ٨، ٩ .... ٤٠٥
الآيتان: ١٠، ١١ .... ٤٠٧
الآيات: ١٢ ـ ٢١ .... ٤١٥
الآيات: ٢٢ ـ ٢٦ .... ٤١٦
الآيات: ٢٧ ـ ٣٠ .... ٤١٩
الآية: ٣١ .... ٤٢٢
الآية: ٣٢ .... ٤٢٦
الآية: ٣٣ .... ٤٢٨
الآيتان: ٣٤، ٣٥ .... ٤٣١
الآية: ٣٦ .... ٤٣٥
الآيات: ٣٧ ـ ٤٠ .... ٤٣٧
الآيات: ٤١ ـ ٤٥ .... ٤٣٨
الآيات: ٤٦ ـ ٥٥ .... ٤٤٢
الآيات: ٥٦ ـ ٥٨ .... ٤٤٦
الآيات: ٥٩ ـ ٦١ .... ٤٤٨
الآيتان: ٦٢، ٦٣ .... ٤٥١
الآية: ٦٤ .... ٤٥٣

تفسير سورة الفرقان

الآيتان: ١، ٢ .... ٤٥٤
الآيات: ٤ ـ ٨ .... ٤٥٥
الآيات: ٩ ـ ١٧ .... ٤٥٦
الآيات: ١٨ ـ ٢٣ .... ٤٥٩
الآيات: ٢٤ ـ ٢٩ .... ٤٦٢
الآيات: ٣٠ ـ ٤٠ .... ٤٦٥
الآيات: ٤١ ـ ٤٨ .... ٤٦٧
الآيات: ٤٩ ـ ٥٧ .... ٤٧٠
الآيات: ٥٨ ـ ٦٤ .... ٤٧٢
الآيات: ٦٥ ـ ٧٠ .... ٤٧٥
الآيات: ٧١ ـ ٧٧ .... ٤٧٨

تفسير سورة الشعراء

الآيتان: ١، ٢ .... ٤٨١
الآيات: ٣ ـ ٨ .... ٤٨٢
الآيات: ٩ ـ ٢٢ .... ٤٨٣
الآيات: ٢٣ ـ ٤١ .... ٤٨٦
الآيات: ٤٢ ـ ٦١ .... ٤٨٩
الآيات: ٦٢ ـ ٨١ .... ٤٩١
الآيات: ٨٢ ـ ١٠٢ .... ٤٩٤
الآيات: ١٠٣ ـ ١٢٩ .... ٤٩٧
الآيات: ١٣٠ ـ ١٥٥ .... ٤٩٩
الآيات: ١٥٦ ـ ١٨٨ .... ٥٠١
الآيات: ١٨٩ ـ ٢١٤ .... ٥٠٣
الآيات: ٢١٥ ـ ٢٢٧ .... ٥٠٨

تفسير سورة النمل

الآيات: ١ ـ ١٠ .... ٥١٤
الآيات: ١١ ـ ١٦ .... ٥١٧
الآيات: ١٧ ـ ٢٠ .... ٥٢٠
الآيتان: ٢١، ٢٢ .... ٥٢٣
الآيات: ٢٣ ـ ٢٨ .... ٥٢٦
الآيات: ٢٩ ـ ٣٥ .... ٥٢٩
الآيات: ٣٦ ـ ٣٩ .... ٥٣٣
الآيات: ٤٠ ـ ٤٤ .... ٥٣٥
الآيات: ٤٥ ـ ٤٩ .... ٥٣٩
الآيات: ٥٠ ـ ٦٣ .... ٥٤١
الآيات: ٦٤ ـ ٧٨ .... ٥٤٣
الآيات: ٧٩ ـ ٨٢ .... ٥٤٦
الآيات: ٨٣ ـ ٨٧ .... ٥٤٩
الآيات: ٨٨ ـ ٩٣ .... ٥٥١